موسوعة الحضارة المصرية القديمة

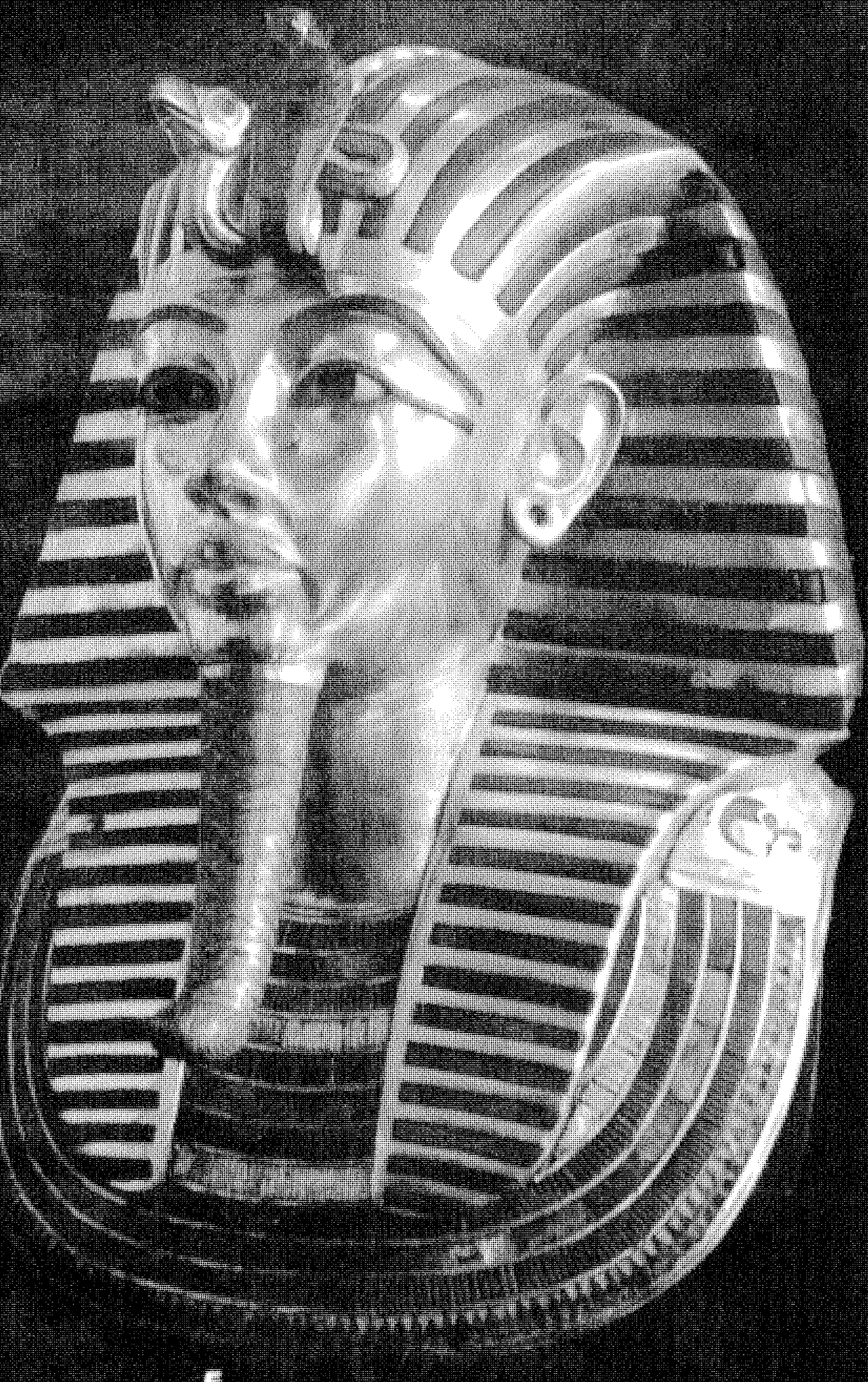

دكتور سمير أديب

العربي

موسوعة الحضارة المصرية القديمة

دكتور سمير أديب

العربي للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العيني (١١٤٥١) القاهرة
ت ٣٥٥٤٥٢٩
ت فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦
٤٢ ميدان البصرة - شارع دجله - المهندسين
تليفاكس : ٧٤٩٢١٤٥
E-Mail:alarabi5@intouch.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

العربى للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) - القاهرة
ت : ٣٥٥٤٥٢٩ - ٥٩٤١٩٤٣ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

٤٢ ميدان البصرة - شارع دجله من شهاب - المهندسين
ت . وفاكس : ٧٤٩٢١٤٥

E-Mail:alarabi5@intouch.com

الطبعة الأولى

٢٠٠٠

موسوعة الحضارة المصرية القديمة

المؤلف : د / سمير أديب

الغلاف للفنان : مصطفى رمزى

عدد الصفحات : ٨٨٣

إهداء ....

إلى مصر القديمة ...

إلى مصر التى يعمر حبها قلبى

ويضئ تاريخها دربى
ويشرف بإسمها إسمى
مصرى من مصر
وبمصر
ولمصر

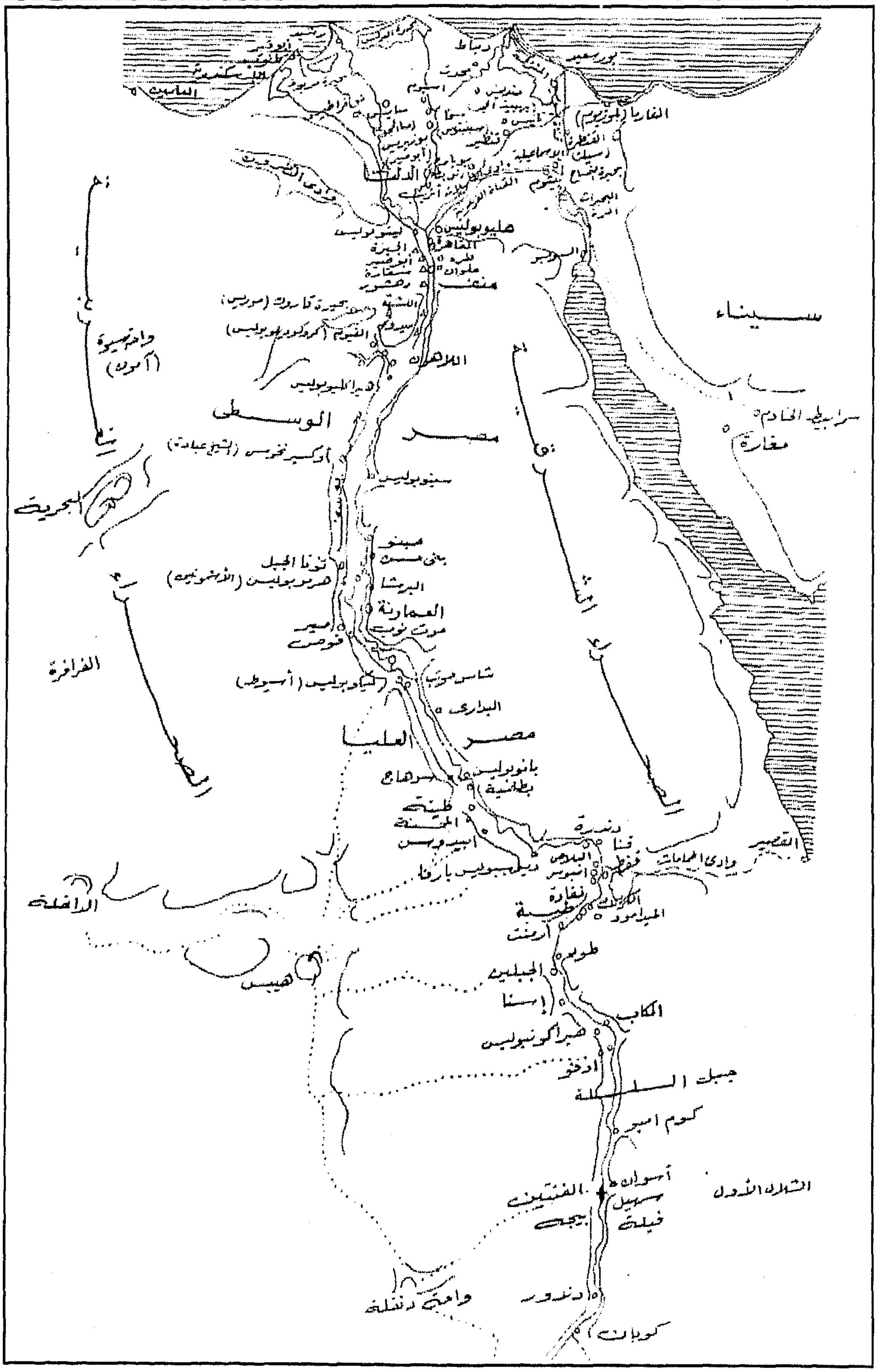

خريطة مصر ومواقعها الأثرية

تمهيد

مصر ، إسم قدسته الأديان ، وكرمته كتب السماء ، أنه سجل مفاخر الإنسان ، مرآه أمجاد البشر وصرح الحضارة بأسمى معانيها ، أنه التاريخ نفسه بجميع حقائقه ، ومن ثم فقد كان إسم مصر متلازما مع المصريين منذ عصور التاريخ القديم ، له أساس تاريخى ، وجغرافى ، ودينى، ونفسى، وليس إسما نشأ لمجرد ظروف سياسية يمكن تغييره فى ظروف سياسية أخرى ، فهو أقدم إسم يحمله أقدم بلد فى الدنيا ، إسم حملته مصر الفرعونية ومصر القبطية ومصر الإسلامية ومصر الحديثة ، على مدى عدة آلاف من السنين.

مصر ، ذلك البلد العظيم الذى نعيش على أرضه ونستظل بسمائه ، ونشرب من ماء نيله ، أعطاها الله العديد من الميزات ، وحبتها الطبيعة بالفريد من الصفات ومن هنا فليس عجبا أن كانت "أول أمه" فى التاريخ نمت فيها عناصر الأمة بمعناها الكامل الصحيح ، وبعدها كانت "أول ملكية" عرفتها البشرية ، وفى أن تحافظ على وحدتها القومية عبر التاريخ ، وما أن يمضى حين من الدهر حتى تصبح أعظم قوة سياسية عرفها التاريخ القديم.

مصر ، لم تسبق العالم كدولة سياسية فحسب ، وإنما هى أطول دولة حافظت على وحدتها القومية عبر التاريخ ، فلم يحدث خلال ستة آلاف عام من الحكم المنظم ، أن إنفرط عقد وحدتها وتدهورت إنفصاليات إقليمية ، إلا فى حالات نادرة شاذة ، أغلبها مفروض من قوى أجنبية دخيلة ، كغزو الهكسوس حين إنفردوا بالدلتا ، وظل الصعيد معقل الدولة الوطنية المستقلة ، كما كان فى البدء قاعدة التوحيد.

وهكذا بقيت مصر وستبقى شامخة تتحدى المعتدين ، وتمتص الحضارات وتضيف إليها، كما تمتص مطامع الغزاة وتلين من ضراوتها ، حتى تبددها آخر الأمر بالصبر والعزم ، بالكفاح والمقاومة ، وبشئ آخر غير منظور وان كان محسوسا، عراقة التاريخ الرابض فى الصخور وعلى ضفاف النيل فى الأهرامات والمعابد والهياكل والتماثيل ، والذى كان وسيظل دليلا على عظمة هذا الشعب الذى آمن بربه وبوطنه ، إيماناً لا نعرف أنه إتفق لكثير من غيره من شعوب الدنيا ، ثم أحب هذا الوطن حبا مصدره اليقين ، وليس الهوى ، بحيث أضحى لدى أصحابه من قواعد الإيمان.

ومن ثم فقد إستحق أن يتصدر تاريخ الدنيا فى عصره ، وأن يمثل صفحة الذهب من هـــذا الوجود، وحسبنا أن تاريخ مصر قد أضحى نغما حلوا فى فم الدهر ، يغنيه فيطـــرب لـــه الكـــون وسيظل يطرب ما بقيت مصر ، وبقى فى الدنيا ما يقدر تاريخ مصر ، وهو أمر يجمع العالم كلـــه عليه ، وعلى حد تعبير مورخ أوروبى كبير " لا تكاد اليوم توجد جامعة فى العالم تحـــترم نفســـها ليس فيها كرسى للدراسات المصرية القديمة" ، وإن كان الأمر عندنا فى مصـــر والعـــالم العربـــى يختلف عن ذلك كثيراً.

كان المصريين القدامى هداه وعلماء ومرشدين ، يوم أن كانت الدنيا طفلا يحبو فى جهالـــة القرون، نقشوا على الحجر ، وكتبوا على الورق ، وإهتدوا إلى معرفة الألة الواحد الأحـــد ، يـــوم كانت الشعوب الأخرى تضطرب جهلاً بين العديد من الآلهة ، ينسبون إليهم ما يعجزهم من ظواهر وأحداث، عرفوا العدل والحق والحرية وآمنوا بالقيم المثلى ، وإنتظمت فى بلادهم الإدارة، ونمـــت لديهم مقومات الأمة ، يوم كانت الشعوب الأخرى تعيش فرقاً متناثرة وقبائل متنـــاحرة ، قانونـــها الحق للأقوى ، وملاك تصرفاتها غريزة غشوم هوجاء.

غير أن التباهى بالتاريخ المجيد العريق لا ينبغى أن يكون مجرد تباهى بتذكر أمجاده ، وإنما كذلك بالعمل من أجل رفعه الوطن ، بالإستزادة بالعلم والتعمق فيـــه ، بالتمســـك بـــالخلق والقيـــم والفضائل ، بالإيمان بالله ، بحب مصر والعمل من أجلها ، حتى نكون أكفـــاء للمجـــد العريـــق ، جديرين بالأنتساب إلى هؤلاء الذين صاغوا يوما تاريخ العالم ، حينما كان يعيش فيما قبل التاريخ.

لقد أثبت المصريون فى كل زمان أنهم يدركون قدر أنفسهم ويدركون التبعات التـــى ألقاهـــا على كاهلهم مركزهم الجغرافى فى هذا الجزء من العالم ، وسيرى قارئ هذا الكتاب قصة تـــاريخ هذا الشعب منذ أقدم عصوره وسيدرك من تلقاء نفسه أن مصر لم تخضع يوماً من الأيام لغـــزو أو إستعمار أجنبى وترتضيه ، وإن غلبت على أمرها يوما من الأيام فلا تلبث إلا حينا حتـــى تجد الزعيم الوطنى المخلص الذى يدعوه إلى العمل ويتقدم الصفوف فتلبى دعوته وتبـــدأ عهداً من عهودها الزاهره.

ورغم أن حضارة مصر القديمة كانت مادة للعديد من الكتابات والبحوث والدراسات.. فإنـــها لا تزال حتى اليوم ، وستظل ، معينا لا ينضب للمزيد والمزيد من التأملات والتحليلات العلمية.

والدليل على ذلك أن الأهتمام "بعلم المصريات" لايـــزال يتصـــدر جـــدول أعمـــال البـــاحثين المصريين وغير المصريين على حد سواء ، وتكفى نظرة خاطفه لأى "ببليوجرافيا"هامه لـــنرى أن هذا الأهتمام يكتسب قوه دافعة كل عام.

وبالطبع فإن هذا الأهتمام ليس نابعا من فراغ ، كما وأنه ليس وليد الصدفه . وإنمـــا هـــو نتاج طبيعى ، ومنطقى ، للحضارة المصرية القديمة التى لم تبح - بعد - إلا بالنذر اليســير مــن أسرارها، والتىلاتزال مقوماتها العبقرية كنوزا ثمينة وإرثا مشتركا للبشرية بأسرها ، تطرح كـــل يوم تأملات جديدة ، وتبصرات جديدة ، ومعانى جديدة ومتجددة.

وبالنسبة لنا نحن أحفاد بناة هذه الحضارة العبقرية الفذة ، فإن عكوف باحثينا مـــن شـــتى التخصصات على سبر أغوار تلك الحقبة المجيدة من تاريخ بلادنا ، وتاريخ العالم بأسره ، لايدخـــل فى باب "النكوص" إلى الماضى السحيق ، والتعلق "بفردوس مفقود" ولى زمانه وسقطت أوراقـــه الذهبية مع هيمنة "الخريف التاريخى والحضارى" الذى فرضته عوامل متعددة على بلادنا.

ليس هذا الأهتمام "بالماضى" هروبا من "الحاضر" ومشكلات تحدياته ، ليس تعلقـــا بأمجاد الأسلاف الغابرة كمجرد "تعويض" عن تردى أوضاع الأحفاد ، وتراجـــع مكانـــهم على خارطة العالم المعاصر.

الهدف هو بالأحرى - إكتشاف "القوانين" التى تكمن خلف مراحل الأزدهـــار والإنحطـــاط ، وإستخلاص الدروس المستفادة من ملابسات الصعود والهبوط التى أكتنفت حضارتنـــا المصريـــة القديمة ، من أجل توظيف وعينا بهذه القوانين وتلك الدروس فى مشروع حضارى جديد لبلادنـــا يتناسب ليس فقط مع ماضيها التليد ، وإنما أيضا مع مكانتها التى لازالت تتبوؤهـــا - رغـــم كـــل شئ - بحكم التاريخ والجغرافيا والوضع "الجيوبو ليتيكى".

.... لذلك كان الهدف الرئيسى من هذه الموسوعة الأثرية ، هو تهيئة مرجع ميسر للقـــارئ العربى والأجنبى ، يجمع أكبر قدر من المعارف والمعلومات التى يمكن الأعتماد عليها فى معرفـــة الحقائق عن مصر القديمة فى نواحيها المختلفة من تاريخية وإجتماعية وسياسية وعلمية وفنية.

وقد جمعت عناصر وموضوعات الموسوعة على الأساس الهجائى على حـــروف المعجـــم العربى الألف بائى ، ولم يمنع ذلك من تصنيف هذه المواد على أساس ماينبغى أن تتسم به مـــن شمول وتركيز.

وعلى هدى دراسات نظرية وواقعية بما سارت عليه موسوعات مماثلة تتناول أمه أو قطـــرا أو مرحلة تاريخية من مراحل الحضارات الأنسانية ، وعن طريق الأفـــادة مـــن منـــاهج بعـــض الموسوعات الحديثة تم وضع منهاج علمى يجمع بين الأساس الموضوعى فى التصنيف ، وفـــى ترتيب المواد ، وهنا نلاحظ أننى قد إختصرت - نسبياً - فى بعض المعلومـــات وأحيانـــاً أخـــرى

تناولتها بالتطويل والشرح المفصل. وتضم أجزاء الموسوعة الصور والرسوم والبيانات والخرائط والفهارس التى ترتبط بالمادة المعروضة.

وليس من شك أن الجهد الذى بذل يكافئ الأحساس بأهمية العمل ومدى الحاجة إليه. ولكن لا أدعى فى الوقت نفسه أنها بلغت الكمال أو ما يقاربة ، وحسبنا أنى مهدت الطريق ، وليس أحب لكل من يقدر أمانه المعرفة من تقويم عمله، تصحيحاً لخطأ ، أو استكمالا لنقص أو إعادة للخطة والمنهج والصياغة جميعاً.

وأرجو أن يغفر لى القارئ غير المتخصص "جفاف" بعض الصفحات التى فرضته متطلبات البحث الأكاديمى ، ولكن عذرى فى ذلك هو ثقتى فى ذكاء القارئ المصرى سليل أعظم وأقدم حضارة ظهرت على كوكبنا.

وأخيراً لعل القارئ أن يجد فى هذه الموسوعة ما يغذى العقل ، ويثرى الفكر ويرهف الحس ، ويرضى النفس .

وبالله التوفيق ،،،

د. سمير أديب

أ

الآثار المصريه :

أنظر علم المصريات

آى :

من ملوك الأسرة الثامنة عشرة وكان من كبار رجال الدين، وقد سارع إلى اعتناق عقيدة أتون التى بشر بها أخناتون، وكان من أكثر المقربين للملك وحاز على ألقاب تدل على مكانته الكبرى فى البلاط وانه كان من أصهار البيت المالك، وكان كذلك من أول المرتدين على عقيدة أتون، عندما أفل نجمها وذهب مع توت عنخ أمون إلى طيبة، وساندة فى مجابهة الموقف بل وكان شريكا له فى العرش وكان "آى" يحمل اللقب الكهنوتى "الأب الألهى"، وقد صور على جدران مقبرة "توت عنخ أمون" بلباس الكهنة ويقوم بطقس فتح الفم لمومياء الملك المتوفى "توت عنخ أمون". وبعد موت الملك الشاب إعتلى آى عرش مصر وبقى فترة قصيرة لم تصل إلى أربعة أعوام ثم مات ودفن فى مقبرته فى وادى الملوك الغربى.

آى : (مقبرة)

وهذه المقبرة تقع فى خانق جبلى عند نهاية الفرع الغربى لوادى الملوك وهى تحمل رقم (٢٣)، والمقبرة محفورة فى صخر الجبل لمسافة تصل إلى ٦٦ مترا. وقد كشف عنها "جيوفانى بلزونى" فى عام ١٨١٧ حيث حفر إسمه فخورا على باب المقبرة وتاريخ إكتشافها. وعندما دخل المقبرة، ودخل غرفة الدفن أطلق أحد عماله على المقبرة إسم " مقبرة القرود" متأثرا فى ذلك بأحد المناظر المرسومه على حوائطها والذى يمثل إثنى عشر قردا مرتبه فى ثلاثة صفوف. ولم يتمكن "آى" من إستكمال إلا نصف ماقدر لمقبرته من تخطيط وقد نفذت مناظرها على إستعجال فوق طبقة خشنه غير مستويه من الجص.

وقد تعرضت مقبرة "آى" للتخريب المتعمد فى العصور القديمة بهدف إزالة إسم المتوفى من مقبرته لمحو ذكراه وشخصه من الوجود محوا تاما. ويمكن الدخول إلى المقبرة من خلال درج منحدر يؤدى إلى مدخل المقبرة الذى يعقبه ممر منحدر يؤدى إلى درج آخر ثم ممر منحدر يفضى إلى غرفة صغيرة تفضى إلى غرفة الدفن التى تليها غرفة داخليه صغيرة.

تحتوى غرفة الدفن فى الوقت الحاضر على التابوت الجرانيتى الوردى بعد أن تمت إعادته من المتحف المصرى ليعرض فى مكانه الأصلى بالمقبرة. وتحلى حوائط غرفة الدفن مناظر مختلفه ذات ألوان لامعه. فالحائط الشمالى تحليه مركب ذات قائمين على هيئة الصقر ومنظر للألهه "تفتيس" كما تحليه صورة لمركب آخر بداخله أعضاء التاسوع المقدس، هذا بالإضافه إلى نصوص من كتاب الموتى أما حائط المدخل فعليه منظران، أحدهما على اليمين وهو يمثل الملك "آى" وزوجته وهما يطعنان فرس النهر فى الأحراش المائية. وعلى الشمال نشاهد "آى" وزوجته أيضا وهما يستقلان زورقا صغيرا يسير بهما وسط أدغال البردى. والحائط الأيمن للغرفة تزينه بعض مناظر من كتاب ماهو موجود فى العالم الآخر" (إمى - دوات). وتمثل هذه المناظر مركب إله الشمس تتقدمه خمس معبودات. ومن أسفل ذلك منظر لأثنى عشر قردا مرتبه فى ثلاثه سطور رمزا لساعات الليل.

ويشمل الحائط الخلفى للغرفة عدة مناظر مرتبه من اليسار إلى اليمين على النحو التالى:

منظر لأبناء حورس الأربعة وبينهم مائدة قرابين، ثم منظر الملك تحتضنه الألهة "حتحور" وآخر الملك ترحب به الألهه "توت" ربة السماء، ورابع له وهو يتسلم رمز الحياة من "حتحور" وخامس للملك تتبعه الروح وهو يتسلم رمز الحياة من "حتحور"، وأخيرا منظر للملك يحتضنه الأله "أوزيريس".

وقد تم ترميم المقبرة وإعدادها للزيارة فى عام ١٩٩٤.

أبريس :

إسمه المصرى القديم (واح - إيب - رع) أى (يخلد قلب رع)، وهو رابع ملوك الأسرة السادسة والعشرين، وقد حكم تسعة عشرة عاما. هاجم فى عهده الملك البابلى "نبوخذ نصر" مملكة أورشليم التى كانت موالية لمصر، فقضى عليها وأسر العديد من رجالها وفر الباقون منهم إلى مصر فسهل لهم "أبريس" العيش فيها وسمح لبعض منهم بالأستقرار فى الفنتين. كذلك إستنجد الليبيون به ليحميهم ضد التوسع الأغريقي ، فأرسل جيشا من المصريين - وليس من الجنود الأغريقين المرتزقة لأنه كان على يقين بأنهم لن يحاربوا بلدتهم - بقيادة أحمس، فوقع الجيش فى كمين وأبيد أغلب جنوده من المصريين ونجا عدد قليل بإعجوبة، وكانت النتيجة أن قام المصريون بثورة ضد "أبريس" وبايع الجيش أحمس وقامت الحرب بين الملكين مات فيها "أبريس" وتولى أحمس الملك، فأكرم رفات ولى نعمته المقتول ودفنها بما يليق بمقام صاحبها.

أبناء حورس :

أطلق المصريون القدماء على أربعة معبودات إسم أبناء حورس وهم: أمستى ، وحابى، ودواموتف وقبحسنوف. وإعتبروهم أصلا من نجوم السماء، وذكرتهم نصوص الأهرام من الدولة القديمة كمصابيح تساعد الموتى وهم فى طريقهم إلى السماء. واعتبرهم المصريون أيضا معبودات ترمز إلى أركان الدنيا الأربعة "حابى" يرمز للشمال و "أمستى" للجنوب و"دواموتف" للشرق و"قبح سنوف" للغرب. أعتاد الناس منذ الدولة الوسطى كتابة أسمائهم على أركان التابوت الأربعة إذ كانوا من القائمين على حراسة جثة أوزيريس أثناء عملية الاعداد لدفنها. ومن ثم إرتبطت بهم مهمة المحافظة على سلامه أحشاء الموتى وأصبحت سدادات أوانى الأحشاء تصنع فى صورة رأس من رؤوس هذه المعبودات الأربعة، وهناك نصوص من العصر المتأخر تتحدث عن الأجزاء التى يتولى كل معبود المحافظة عليها وهى أجزاء غير مادية بل معنوية: فيحافظ (أمستى) على (الكا) أى القرين و(حابى) على القلب، و(دواموتف) على البا أى الروح، و(قبح سنوف) على (السا) أى الشخصية الوقورة للميت نفسه.

(انظر أوانى الأحشاء)

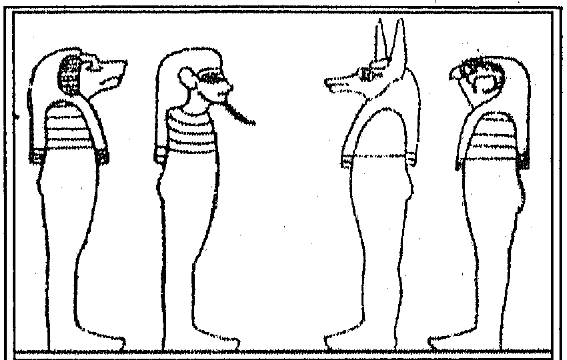
أولاد حورس الأربعة

أبو الهول :

وكلمة "أبو الهول" مرادفة لكلمة "سر" فحتى عام ١٩٢٦ كان ذلك التمثال الكبير مدفونا فى الرمال حتى عنقه ، وطالما ذهب الخيال بالزائرين عما عساه أن يكون مدفونا تحت تلك الرمال. ولكن فى أيامنا الحالية، وبعد أن تم رفع الرمال التى كانت حوله تؤكد لنا البحوث الأثرية أن تاريخ أبو الهول يرجع إلى أيام "خفرع" بانى الهرم الثانى.

وقصة أبو الهول، كما كشفت عنها الحفائر قصة طريفة فما من شك فى أن هذا التمثال جزء من مجموعة "خفرع" الهرمية، ولكنها ظاهرة فريدة، لم يقم بعمل مثلها ملك آخر من ملوك الفراعنة. ولهذا يحق لنا أن نتساءل: كيف نشأت؟ وما هو السبب الذى جعل "خفرع" يقوم بهذا التجديد؟

ويربض أبو الهول فى وسط مكان منخفض على الحافة الشرقية للهضبة. وليس هذا المنخفض فى حقيقة الأمر إلا محجراً كبيراً من المحاجر التى قطع منها العمال الأحجار اللازمة لبناء الأهرام والمقابر الخاصة. أخذوا من هذا المحجر أحسن الأحجار ، أى الصلبة منها، ولكن بقيت فى وسطه كتلة كبيرة تركوها فى مكانها لأن حجرها كان من نوع غير جيد. وكان وجود

هذه الكتلة الكبيرة فى مكانها على مقربة من معبد الوادى شيئاً لا يروق للعين. بل يفسد منظر الهرم الثانى وطريقة الصاعد. وهنا واجه البناءون مشكلة كان عليهم أن يجدوا حلاً لها. كان عليهم أن يختاروا بين أن يزيلوا هذه الكتلة الضخمة إزاله تامه أو يغيروا شكلها. ومن المحتمل أن شكلها الطبيعى كان يوحى فى صورة ما بشكل أسد رابض، وعلى أى حال فإن مهندسى "خفرع" أمكنهم أن يروا فيها ما يمكن أن تصبح تمثالاً فخماً للملك على صورة أسد له رأس إنسان، ثم حولوا هذه الفكرة إلى حقيقة واقعة، وحولوا هذه الكتلة التى تؤذى العين إلى أثر جميل.

وأبو الهول منحوت كله فى صخر الجبل ، وإرتفاعه يزيد قليلاً على ٢٠متراً ، وطوله ٥٧ متراً، ولم تكن هناك حاجة فى الأصل لعمل أى جزء منه من المبانى، ولكن حدث مع مرور الزمن أن بعض أجزاء من الحجر غير الجيد قد تفتت وتآكل بسبب القدم وهبوب العواصف الرملية التى لا حصر لها، ولهذا كان الحكام أو الكهنة فى العصور المختلفة يرممون جسمه ويديه بأحجار صغيرة. وينظر "أبو الهول" نحو الشرق، وهو بسيط فى نحته، عظيم فى هيئته، وعلى رأسه لباس الرأس الملكى المعروف باسم "تمس"، وينزل على جانبي وجهه الذى يمثل وجه الملك "خفرع" نفسه. ويجدر بى أن أصحح قصة طالما تناقلها الناس ونشرتها بعض الكتب عن تحطيم جنود نابليون لأنف أبو الهول، وذلك عندما استخدموا هذا التمثال كهدف عند تمريناتهم فى إطلاق البنادق والمدافع.

ويكذب هذه القصة ما رواه المؤرخ العربى "المقريزى" الذى توفى عام ١٤٣٦ ميلادية. يذكر المقريزى أنه كان يعيش فى زمانه رجل صوفى يسمى "صائم الدهر"، وكان هذا الرجل ممن يريدون إدخال الإصلاح فى أمور الدين، فذهب إلى منطقة الأهرام وشوه وجه "أبوالهول" وقد بقى التشويه حتى الآن.

أبو الهول

ويرمز أبوالهول إلى الملك، وليس وجهه إلا صورة لوجه "خفرع". وبالرغم من أننا نعرف أنه لم يحدث أن ملكاً من ملوك الدولة القديمة أو غيرها حاول تقليد هذا التمثال الضخم فأنا نجد فى النقوش التى كانت تزين الطرق الصاعدة لبعض أهرام الأسرتين الخامسة والسادسة مناظر عند بدايتها فى جهة الشرق تمثل الملك على هيئة أسد يصرع تحت أقدامه أعداء مصر المطروحين أمامه على الأرض. ومن الجائز جداً أن يكون "أبوالهول" هو الذى أوحى للفنانين بذلك لأنه رابض فى مكان مماثل، أى عند بداية الطريق الصاعد فى مجموعة "خفرع" الهرمية.

وفى أيام الدولة الحديثة تغيرت فكرة المصريين عن "أبوالهول". وبالرغم من أن الملوك القدماء من تلك الفترة كانوا يرمزون إليهم بأسد له رأس رجل، وكان يرمز أيضا للملكات بأنثى الأسد فإن "أبوالهول" الرابض فى صحراء الجيزة أصبح يمثل إله الشمس، كما أصبحت له عبادة خاصة فى المنطقة، ومكان يحج إليه الزائرون، وبالرغم من هذه الصفة فإن الرمال كانت تزحف عليه وتغطى جزءاً كبيراً منه بين حين وآخر.

وفى منتصف أيام الأسرة الثامنة عشرة كان "أبوالهول" مغطى بالرمال حتى عنقه، على ما يظهر، وكانت الصحراء التى حول الأهرام تعج بحيوانات الصيد، وكان الأمراء وأشراف البلاد يخرجون للإستمتاع بالصيد فى تلك المنطقة. ونعرف من إحدى الوثائق القديمة، أن أميراً شاباً يسمى "تحوتمس"، وكان من أبناء الملك "أمنحوتب الثانى" ، خرج للصيد فى تلك المنطقة، وعند الظهيرة أتى إلى المكان القريب من "أبوالهول" ليتناول طعامه ويرتاح فى ظل رأسه ،

وكان الرأس هو الجزء الظاهر من الرمال. وعندما أخذت الأمير سنة من النوم رأى فى الحلم أن هذا الإله قد تحدث إليه وشكا له من تراكم الرمال حوله تراكماً جعله لا يستطيع التنفس بسهولة ، وبشر الإله "حور مخيس" ، ومعناه"حورس فى الأفق" وهو الاسم الذى كانوا يطلقونه على أبو الهول فى ذلك العهد ، الأمير الشاب بأنه سيصبح ملكاً على مصر إذا وعد بإزالة الرمال التى حوله. ووعد الأمير تحوتمس بتنفيذ ذلك فى منامه ثم جدد له هذا الوعد بعد إستيقاظه ، ولكنه أبقى أمر هذه الرؤيا سراً ولم يتحدث بها إلى أحد. وبالرغم من أنه كان لهذا الأمير أخوة أحق منه بتولى العرش فإن "أبوالهول" حافظ على وعده ، وتولى الأمير عرش البلاد وأصبح يعرف باسم "تحوتمس الرابع" وقد أمر هذا الملك برفع الرمال المتراكمة حوله كما أمر ببناء سور من اللبن حول المكان ليمنع تراكم الرمال مرة أخرى ، بناه حول أبوالهول فى الجهات الشمالية والغربية والجنوبية ، ومازالت بعض بقايا السور قائمة حتى الآن ، وعلى كل طوبة منها إسم ذلك الملك ، ونقرأ تفاصيل قصة حلم تحوتمس وقصة الأتفاق بينه وبين أبو الهول على لوحة أمر إقامتها هناك ، وهى اللوحة الجرانيتية القائمة أمام صدره.

وأغلب الظن أن هذه القصة ليست إلا قصة وضعت للدعاية السياسية فقط ، أخترعها تحوتمس ليحمل الناس على الاعتقاد بأن إعتلاءه العرش راجع إلى إختيار إلهى، لأنه لم يكن صاحب الحق فى ذلك ، لقد أعلن نفسه ملكاً وذلك راجع إما إلى نفوذه الخاص وإما بسبب المنازعات فى الأسرة المالكة . ومن المحتمل أيضا أن كهنة هليوبوليس ومنف قد عاونوه على ذلك ، وكان أولئك الكهنة يكنون أكبر الأحترام للإله "حور-أم-آخت" (حور مخيس) الذى يرمز إليه تمثال "أبوالهول" ولهذا أراد تحوتمس أن يرى الناس أن إله الشمس نفسه هو الذى إختاره ليكون ملكاً على البلاد. وليس عمله هذا غريباً على التاريخ المصرى ، فقد أقتفى المثل الذى سنته الملكة حتشبسوت إحدى شهيرات الفراعنة عندما أدعت أنها إبنه للإله "أمون - رع" الذى تخفى فى صورة أبيها تحوتمس الأول وزار أمها فى مخدعها ، وكانت ترمى حتشبسوت من وراء ذلك إلى إقناع الناس بأنها أحق بالملك من ابن أخيها.

وفى الحفائر ظهرت لوحات كثيرة هامة كما ظهرت أيضاً بعض آثار أخرى ، وكلها تدل على أن "أبوالهول" كان موضع تكريم خاص فى أيام الدولة الحديثة ، وأن كثيراً من الملوك والأشخاص العاديين كانوا يأتون لزيارته والتماس البركة والرضوان منه. وأهم ما عثر عليه فى تلك الحفائر معبد صغير شاده الملك "أمنحوتب الثانى" تكريماً لأبو الهول ، وهو قريب جداً فى الناحية الشمالية الشرقية منه. وهو مبنى باللبن ، ولكن أبوابه مبنية بالحجر الجيرى الجيد ، وعليها نقوش متعددة ، ولكن أهم ما فى المعبد لوحة كبيرة فى آخر مكان منه ، وهى من الحجر الجيري ، ويقص علينا فيها الملك "أمنحوتب الثانى" سبب بناء المعبد ، والكثير من المعلومات الأخرى. كان أمنحوتب فى صغره مولعاً بالخيل وبأنواع الرياضه البدنية الأخرى ، وكان لايحس بالسعادة إلا عندما يدخل إسطبلات خيول أبيه فى منف ليسوق الجياد ، ويتعلم كيف يدربها. ويعتنى بها ورفع أحد رجال البلاط الأمر إلى أبيه الملك ، ولكن تحوتمس الثالث ، ذلك المحارب العظيم أبدى سروره لأن إبنه الصغير أخذ يظهر سمات الرجوله. وإستدعى إبنه إليه وطلب منه أن يريه ما يستطيع القيام به ، فأخذ الفتى يستعرض مهارته فى قيادة العربة ، فسر "تحوتمس" سروراً كبيراً من مقدرته وشجاعته وأمر بأن يعطى له كل ما فى أسطبلات منف من خيول. ويقص "أمنحوتب" أنه حدث فى أحد الأيام أن أسرج خيول عربته فى منف وساقها إلى جبانة الجيزة حيث قضى اليوم يزور الآثار ويتجول معجباً بالأهرام وأبو الهول وأقسم إنه عندما يأتى اليوم الذى يعتلى فيه عرش البلاد أن يبنى معبداً تكريماً لأبوالهول وأن يضع فى ذلك المعبد لوحة يقص فيها قصة زيارته وقصة ذلك اليوم السعيد الذى قضاه فى هذه المنطقة.

وزاد بعض الملوك الذين حكموا مصر بعد "أمنحوتب الثانى" بعض الزيادات فى هذا المعبد ، ونجد الملك "سيتى الأول" أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة يقدم لوحه من الحجر الجيرى فى هيكل جانبى يتفرع من فناء المعبد ، وعلى هذه اللوحة نرى "سيتى الأول" يصيد بعض الحيوانات ، ونعرف مما ورد عليها من نقوش أن سيتى قد أتى إلى هذا المكان الذى يأتي إليه الناس للتعبد. ومن أعمال سيتى أيضا أنه أضاف قائمتى كتف البوابة الخارجية لهذا المعبد ، وقد نقش حفيده الملك "مرنبتاح" إسمه على ناحية منها.

ولم يقتصر الأمر على تلك الوحدات التى أمر بأقامتها الملوك ، بل كشفت الحفائر أيضاً عن وجود عدد كبير من اللوحات التى قدمها رعاياهم. وبعضها عبارة عن لوحات نقشت أو رسمت عليها أذن آدمية أو أذنان يصحبها أحياناً دعاء أو أسم صاحبها فقط ، والمفروض أن هذه الآذان هى آذان الإله ، وكان المتعبد يضع مثل هذه اللوحة قريباً ما أمكن من تمثال الإله ليحصل منه على العناية والإستجابة. ومما يستلفت النظر حقاً أن بعض أصحاب تلك الوحدات كانوا يطلبون مطالب روحية مثل الذكاء والفهم والقناعة.

وعثر هناك أيضاً على عدد من اللوحات التى رسموا عليها "أبوالهول" ويرسمونه عادة وعلى رأسه التاج وعلى جسمه ، الذى على هيئة جسم الأسد ، زخرفة بريش الصقر ، ويلبس عقداً عريضاً حول عنقه، ويجثم فوق قاعدة لها زخرفة كورنيشية فى أعلاها ، ولها باب. ومثل هذا الرسم جدير بالتفسير لأن من قاموا برسمه كانوا من الفنانين القدماء الذين عاصروا الزمن الذى عبد فيه الناس هذا التمثال ، وكانوا يرونه أمام أعينهم.

ويسهل علينا تفسير وجود التاج وما على الجسم من زخرفة ففى أعلى رأس أبو الهول ثقب مربع عميق لتثبيت قائمة التاج الضخم الذى كان فوق رأسه ، أما العقد والريش المرسوم على جسده فربما كانت حليات موضوعه فى مكانها. أما رسم القاعدة فقد تسبب وجودها فى تضليل "ماسبرو" وغيره من الباحثين وجعلهم يتجهون إتجاهاً خاطئاً. فمنذ أزمان بعيدة ، ترجع إلى أيام البطالمة ، كانت هناك قصص منتشرة بين الناس عن وجود حجرة سرية أو مقبرة تحت "أبوالهول" وأنه يحتمل وجود دهليز سرى موصل بين "أبوالهول" والهرم الثانى. وحاول "ماسبرو" عبثاً البحث عن هذه القاعدة ، وبذل كثيراً من الجهد والمال إذ نظف الجزء الواقع أمام هذا التمثال حتى وصل إلى الصخر ولكنه لم يجد لها أثراً. وتم تنظيف المنطقة كلها عام ١٩٢٦ وأصبح مؤكداً أن "أبوالهول" منحوت فى الصخر وأنه فى مستوى أرضية المحجر القديم التى مهدوها قديماً عندما بدءوا فى نحته. ولكن لم يمض وقت طويل حتى ظهر سر القاعدة. حدث بعد سنوات قليلة أن إتضح عند فحص صورة فوتوغرافية صورها أحد المصورين لأبوالهول دون أى هدف خاص بعد الإنتهاء من الحفائر التى تمت فى الناحية الشرقية منه، حدث أن ظهر تمثال "أبوالهول" فى صورة وكأنه يجثم فوق معبده المشيد أمامه. ولاشك أن واجهة ذلك المعبد عندما كان كاملاً فى العصور القديمة ومحتفظاً بافريزه العلوى وأبوابه يشبه القاعدة التى نراها مرسومة على اللوحات.

ونحن نعلم علم اليقين أن معبد أبوالهول كان مغطى تماماً بالرمال فى أيام الدولة الحديثة ، وذلك لأن أساسات معبد أمنحوتب مبنية فوق أحد أركانه ، ولكن بالرغم من ذلك فإن فنانى الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة كانوا يعلمون بوجود هذا المعبد ويعلمون أيضاً مظهره الخارجى ، وهذا بدوره يدلنا على أنه يمكننا الإعتماد على الوثائق القديمة ، ويدل أيضا على أن المصريين القدماء كانوا يعرفون من تاريخهم القديم أكثر مما نعتقد أنهم كانوا على علم به.

وتدلنا اللوحات والتماثيل الصغيرة لأبو الهول ، وتماثيل الأسود والصقور التى عثر عليها حوله ، على الأسماء التى كان يطلقها عليها المتعبدون القدماء. كان أكثرهم يسميه "حور - أم — آخت" أو "حورس فى الأفق" أو "حورأختى" أى حورس المنتمى إلى الأفق ، وكلاهما مناسب له ، لأن الجبانة القديمة كلها كانت تسمى "آخت - خوفو" أى أفق خوفو.

وكان أبوالهول يسمى فى بعض الأحيان "حو" أو "حول" ووحدوه أيضاً مع الإله الكنعانى "حورون" الذى كان على هيئة الصقر ، والذى إنتشرت عبادته فى مصر فى أيام الأسرة التاسعة عشرة. وفى الدولة الحديثة أيضاً إستخدم المصريون مرة أخرى المقابر المنحوتة فى الصخر فى الجهة الشمالية من "أبوالهول" إستخدموا بعضها كمدافن ، والبعض الآخر كمخازن ، يضعون فيها اللوحات والتماثيل الصغيرة التى كان المتعبدون يقدمونها قرباناً لذلك الإله ، كما نجد أيضاً أن بعض الشخصيات الهامة فى هذا العهد نحتوا لهم مقابر فى الصخر قريباً من "أبوالهول" تبركاً بالمكان.

ومما يدعو إلى الدهشة أن "هيرودوت" لم يشر بكلمة واحدة إلى "أبوالهول" عندما قص علينا قصة زيارته لأهرام الجيزة.

وفى العصر البطلمى لابد أن "أبوالهول" كان غير مغطى بالرمال لأن عوامل التعرية جعلت هذا التمثال يفقد بعض خطوط شكله، وقد حاول البناءون فى ذلك العهد أن يعيدوا شكله إلى ما كان عليه وذلك باستخدام أحجار صغيرة الحجم، مازلنا نراها فى ترميم ذراعى التمثال، وعلى جانبيه، وفى ذيله ليعيدوا إليه شكله الأصلى ، ووضعوا أيضاً بين يديه مذبحاً من الجرانيت الأحمر.

كانت منطقة "أبوالهول" من المناطق التى كان يقبل عليها الناس فى العصر الرومانى ، يحجون إليها ويتنزهون فيها ، وبنوا هناك ما يشبه المسرح المدرج ، وكان مكوناً من درجات ، كما شيدوا بعض المبانى على طراز العمارة الرومانية ليخلدوا زيارات بعض الشخصيات الأجنبية التى أتت للأستمتاع برؤيته. ونقش كثير من الزوار أسمائهم ، وأحياناً تعليقاتهم ، على ذراعى "أبوالهول" وعلى لوحات الحجر الجيرى تركوها على مقربة من المكان. ومهما كان شعورنا إزاء ذلك التشويه للآثار القديمة بالكتابة عليها فإنه لا يسعنا إلا التسامح مع الشخص الذى كتب قصيدة باللغة اليونانية على إحدى أصابع مخلب "أبوالهول".

لقد مرت آلاف السنين ومازال "أبوالهول" جاثماً فى مكانه ينظر نحو الشرق وعلى شفتيه إبتسامة باهتة ، مليئة بالأسرار والإستعلاء أى مصر وهى فى أوج عظمتها، كما رأى أيضاً كثيراً من جنود أجانب أعداء يدنسون الأرض المقدسة التى تمتد أمام يديه. وكم تغيرت الأيام والليالى ، وكم مرّ على مصر من مد وجزر فى تاريخها الطويل ، وكان المصريون ينظرون دائماً إلى ذلك التاريخ القديم ينتظرون منه الإلهام.

أنهم ينظرون إلى الأهرام كرمز للأستقرار والأعتزاز ، وهم ينظرون أيضاً إلى أبوالهول كمصدر غير محدود للحكمة ، وللأمل فى المستقبل.

أبو رواش :

قرية من قرى محافظة الجيزة تبعد ثمانى كيلومترات شمال أهرام الجيزة - وعلى مقربة منها وفوق سطح الهضبة ، توجد بضع جبانات من الأسرتين الأولى والثانية ، ومقابر منحوتة فى الصخر لكبار موظفى الملك "ددف-رع " ثالث ملوك الأسرة الرابعة . بها أطلال هرمين أحدهما من اللبن كادت تزول معالمه ولا نعرف إسم صاحبه ، والثانى مشيد بالحجر وهو هرم "أبو رواش"الذى شيده الملك " ددف-رع" (ويكتب أحيانا "رع-ددف" أو "جدفا-رع") الذى حكم مصر إبان الأسره الرابعه بعد أبيه "خوفو" مشيد الهرم الأكبر.

عثر عند حفر المعبد الجنائزى على أجزاء من تماثيل لهذا الملك أهمها رأس تمثال من الجرانيت.

أبوسمبل :

علم على منطقة أثرية بها معبدان منحوتان فى الصخر من أيام الملك رمسيس الثانى من الأسرة ١٩ ، وهى على مسافة ٢٨٠ كم جنوبى أسوان على الضفة الغربية للنيل قريبا من شاطئ النهر . يمتاز أكبر المعبدين بواجهته التى يجلس أمامها أربعة تماثيل لرمسيس الثانى منحوتة فى صخر الجبل وارتفاع كل منها ٢٠متر تقريبا ، وهى من أهم وأجمل الآثار فى مصر.

وفى داخل المعبد بهو محمول على أعمدة منحوتة فى الصخر تمثل الملك على هيئة أوزيريس ، وعلى جدرانه مناظر ملونة تمثل بعض المعارك التى خاضها رمسيس الثانى فى ليبيا ، وفى سوريا (معركة قادش). وفى نهاية المعبد حجرة قدس الأقداس وفيها تماثيل أربعة ، أحدها للمعبود "حورآختى" والثانى للمعبود "أمون رع" والثالث للمعبود "بتاح" أما الرابع فللملك نفسه كإله معبود فى هذا المعبد.

وهناك أيضا عدة حجرات جانبية ، وعلى جدرانها نقوش ملونة فى داخل المعبد ، وتوجد أيضا آثار أخرى فى خارجه ومن بينها اللوحة الشهيرة التى تروى قصة زواج رمسيس الثانى من بنت ملك الحيثيين.

وعلى مسافة قليلة شمالى المعبد الكبير نجد المعبد الآخر وهو باسم المعبودة "حتحور" والملكة "نفرتارى" زوجة رمسيس الثانى وأمام واجهته تماثيل منحوتة فى الصخر تمثل كلا من الملك والملكة ، وارتفاع كل منها نحو ١٠م. وفى داخله مناظر ملونة على الجدران تمثل الملكة تقدم القرابين لحتحور وغيرها من المعبودات.

وقد غمرت مياه السد العالى موقع هذين المعبدين كباقى معابد بلاد النوبة حيث تضافرت جهود شعوب العالم لإنقاذ هذه الآثار واشتركت عن طريق منظمة اليونسكو فى دفع نفقات مشروع أساسه تقطيع صخور هذين المعبدين إلى أجزاء يسهل نقلها ، ثم أعادة تشييدها كما كانت ، فوق ربوة مرتفعة على ضفة البحيرة الجديدة فى مكان لا يبعد كثيرا عن الموقع الأصلى.

وبدأ تنفيذ هذا العمل الضخم فى شهر يونيه ١٩٦٤ وانتهى تماما فى سبتمبر ١٩٦٨.

أبوسمبل الكبير : (معبد)

يعتبر معبدا أبوسمبل الصخريان ، وبخاصة أكبرهما، من أعظم وأجمل وأضخم وأروع عمل أنجزه مهندس معمارى مصرى عبر التاريخ.

وهذان المعبدان قد نحتا فى الصخر من واجهة سفحى ربوتين وكان تمثال حور آختى المنقوش بأعلى الباب مدفوناً كذلك حتى الرقبة ، بيد أن المستكشف العظيم نجح فى رحلته الثانية التى قام بها فى عام ١٨١٧، فى تطهير واجهة المعبد بحيث سهل دخوله إلى الغرف الداخلية.

وبذا كان أول الأوروبيين ممن نفذوا إلى داخل المعبد، لأن المستكشف بورخاردت الذى كان أول من لفت الأنظار إليه بعد زيارته فى عام ١٨١٢ ، لم يستطع أن يرى أكثر مما رأى بلزونى عند زيارته الأولى.

ومنذ أيام بلزونى جرى تطهير المعبد العظيم مرارا وتكرارا بصورة حاسمة على يد لبسيوس أثناء بعثته الكبيرة التى قام بها فى سنوات ١٨٤٢-١٨٤٥،وعلى يد ماريت فى عام ١٨٦٩ وأخيراً بارسانتى فى عام ١٩١٠.

كانت عملية التنظيف الأخيرة هى أكملها حيث نتج عنها أكتشاف مقصورة فى الجانب الشمالى من الواجهة لم يسبق معرفتها من قبل.

ويقوم خلف الفناء واجهة المعبد التى تعتبر من أروع الأعمال فى ذاتها وفى ارتباطها العجيب ببيئتها التى كان على العمارة المصرية أن تبرزها وأمام الواجهة شرفه يرقى إليها بواسطة درج قديم يتوسطه طريق منحدر.

وعند زاويتى السلالم الأولى لهذا الدرج كوتان أو مشكاوتان صغيرتان ربما استعملتا لأغراض التطهير وعليها نقوش ومناظر ، فعلى الكوة الأولى إلى اليمين منظر لرمسيس الثانى يقدم البخور والزهور إلى أمون رع وحور أختى بينما نشاهد على الكوة الثانية إلى اليسار منظر للملك يقدم لأمون وبتاح وسخمت القرابين.

ولواجهة الشرفة كورنيش مقعر وقد زينت بصفوف من الأسرى كما توجت بدرابزين يقوم خلفه صف من الصقور وتماثيل للملك على هيئة أوزيريس.

وقد شغلت مقدمة القسم من الشرفة ببقايا الجزء الأعلى من التمثال الذى تحطم نتيجة لسقوطه لدرجة أن باراسانتى لم يحاول اعادته إلى موضعه الأصلى فى عام ١٩١٠ خوفاً أن يتفتت إلى ذرات من الرمل أثناء العملية.

وهذه الواجهة على هيئة صرح ضخم ارتفاعه أكثر من مائة قدم ويبلغ عرضها الفعلى ١١٩ قدماً ، ويحتل معظم هذه المساحة بطبيعة الحال أربعة تماثيل ضخمة تمثل رمسيس الثانى على عرشه - وقد نحتت هذه التماثيل كبقية المعبد من صخور حية.

وهى تعتبر من أضخم التماثيل التى نحتها الفنان المصرى ، إذ يبلغ ارتفاع الواحد منها إلى أكثر من ٦٥ قدما ، وهذا يجعلها من نفس حجم تمثالى ممنون الموجودة فى الأقصر لأمنحوتب الثالث الضخمة. والتى كانت تبلغ نفس هذا الأرتفاع ، على أن أجراء أية مقارنات فى جوانب اخرى يعتبر أمرا مستحيلا لأن تمثالى ممنون الضخمة قد أصابتها عوامل تعرية وتقلبات جوية أكثر مما أصاب التماثيل فى أبوسمبل.

ويبلغ مقاس تماثيل أبوسمبل من الكتف حتى المرفق ١٥,٥ قدم ، أى نفس مقاس تمثالى ممنون تماما وأن كان طول الكتفين لهذه التماثيل يبلغ ٢٥ قدما أى بزيادة ٥ أقدام عن تمثالى ممنون ، أما مقاس الأذن فيبلغ ٣,٥ قدم. وهو نفس مقاس أذن تمثال رمسيس الضخم المحطم فى الرامسيوم.

معبد أبو سمبل الكبير

وقد أنقسمت الآراء فيما يختص بالقيمة الفنية لهذه التماثيل، فقد كان النقد القديم بطبيعة الحال واقعاً تحت التأثير العام بنوعية العمل الفنى ، إلى حد يستبعد نقد التفاصيل. وأن التقديرات التى قيمت بها نوعية التماثيل أكبر مما هو اليوم.

ان بعض النقاد لم يترددوا فى الحديث عن فظاعة وشناعة تماثيل أبو سمبل على أن هذا يعنى الحكم على التماثيل الضخمة بقسوة بالغة وتجاهل ، ناسين حقيقتين عن تكوينهما.

أولا: أن المادة التى صنعت بها هذه التماثيل تستبعد امكانية الرقة فى التقدير. ولم يكن ذلك ممكنا فى حالة الأحجار الرملية الخشنة اللهم سوى المعالجة الجريئة ، ولذلك فأن المثال قد عمد فى إطار هذه القيود على الأقل إلى التعبير الرائع مع الأهتمام بإبراز الوجه الملكى.

وذلك الأهتمام يتجلى عن انطباع لهيبة كبيرة، وهو الشئ الرئيسى الوحيد الذى كان يستهدفه. أن حكم سير فلندرز بيترى المستكشف لم يخطئ فى غمرة حماسة، ولكنه ربما يكون أقرب إلى الحقيقة من الاستخفاف المفرط الزائد الذى شاع أخيراً بقيمتها.

ثانياً: لقد عبر الوجه بصورة جيدة بالقدر الذى تسمح به عمليا مثل هذه الماده وينبغى ألا يغرب عن البال أن هذه المجموعات الضخمة من التماثيل الملكية التى كان الهدف من صنعها أن تبقى إلى الأبد أمام المعابد العظيمة[1].

ولم تكن تعتبر بمثابة صورا شخصية للملك بالمعنى الدقيق ، بقدر ما كانت أجزاء من مشروع معمارى وهندسى رفيع.أنه لضرب من الغباء أن ينظر اليها فى إطار التهذيب أو التقنية من حيث التصور والتنفيذ.

فإذا كانت قد شغلت مكانها بصورة مناسبة فى واجهة المعبد وأوحت إلى المشاهد انطباعا عن قدرة ومركز الفرعون الطاغى الذى أمر بصنعها - فإن كلا من الفنان والفرعون سيشعران بالرضا والارتياح.

أما وأن التماثيل الضخمة فى أبو سمبل تعطى انطباعا من هذا القبيل رغم عيوبها وفجاجتها التى لا شك فيها ، لذلك يحق لنا أن نعتبرها قد حققت الغرض الذى من أجله قد صنعت وأقيمت من أجله.

---

(١) هدفت المرحلة الأولى فى عمليات إنقاذ معابد أبو سمبل إلى إقامة سد واق من الركام الصخرى حول المعبدين يتوسطه حواجز حديدية، ويمتد هذا السد حول المعبدين لحماية أعمال الإنقاذ الجارية فيها، وقد أنتهى بناء هذا السد قبل أن تعلو مياه بحيرة ناصر سنة ١٩٦٥ ووصل إلى ارتفاع ١٣٣ مترا فوق سطح البحر، وفى أثناء ذلك كانت ثمة عمليات اربع يجرى تنفيذها: الأولى تركيب سقالات صلب داخل كل معبد لحماية الجدران والأسقف والأعمدة من أى خطر أثناء عمليات إزالة الصخور من فوق أسقف المعبدين، والثانية ترمى إلى ردم واجهتى المعبدين بالرمال لحمايتها من تساقط هذه الصخور، ثم إنشاء نفق اتصال يسمح بدخول كل معبد، وكانت العملية الثالثة تتصل بتقوية صخور المعبدين وتثبيت النقوش عليهما ولصق أقمشة فوق خطوط القطع حتى لا تتكسر الحواف- والعملية الرابعة تتصل بإزالة الصخور نفسها من فوق كل معبد من حول الجدران.

أننا لا نستطيع أن نكثر من ذلك وخصوصاً عندما يكون النقد قد استنفذ أغراضه فى تناول عيوبها فإن ثمة حقيقة باقية وهى أن هذه التماثيل العملاقة الأربعة التى تطل كما كانت تطل منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة على النهر المشرق. وعلى الأجيال العابرة من الناس فهى تمثل واحدة من أعظم المناظر وأروعها التى تشاهد بين جميع العجائب التى يزخر بها وادى النيل.

وتبرز ظهور التماثيل من صخرة الواجهة الضخمة التى ترتفع ٢٠ قدما أو أكثر فوق عقدة عند قمة التاج المزدوج الموضوع على رأس التمثال الضخم الأول ، وتنتهى عند القمة بكورنيش مزخرف بحليات معمارية تحمل خراطيش رمسيس محاطا بالأفاعى ورسمين منقوشين لأمون وحار آخت ، ونقش آخر تحت هذا التكريس لنفس هذه الآلهة.

وهناك فوق الكورنيش صف لأكثر من عشرين تمثالا من القرود المقدسة لها رؤوس كلاب ، واقفة على أقدامها ورافعة أيديها إلى أعلى محيية للشمس عند شروقها من بين قمم الجبال العالية الممتدة على الشاطئ الشرقى للنيل.

وتقبع القردة على طول الجزء الأعلى من المعبد حيث تضطلع بوظيفتها "كمراقبة للفجر" عند شروقه، وهناك عند التمثالين الضخمين الشمالى والجنوبى تنفتح البوابة العظيمة للمعبد الضخم.

وتوجد حول وفوق البوابة الخراطيش الملكية وصور آلهة مختلفة ومناظر لرمسيس يرقص أمام أمون-رع ، موت ، وحور آختى وزوجته "ورت-حكاو" الممثلة برأس أسد ، وفى أعلى البوابة فجوة تضم امتزاجا عجيبا من التقوى والكبرياء.

فالتمثال الذى يتحكم فى الفجوة هو تمثال رع حور آختى الممثل برأس صقر والمتوج بقرص الشمس ، ولكن على أحد جانبيه الصولجان "أوسر" برأس ابن آوى، وعلى الجانب الآخر رمز ماعت ، فإذا أخذ نازع حور آختى كممثل لرع تصبح المجموعة الكلية عندئذ تمثيلا للاسم الشخصى لرمسيس ونعنى به أوسر – ماعت – رع – رمسيس وهو بالتأكيد الملك الوحيد الذى يستطيع أن يجعل تقواه وكبرياؤه يسيران معا بهذا الأسلوب ، وعلى جانبى الفجوة مناظر للملك يقدم للتمثال الممثل لغروره المحكم.

ويتجمع حول وبين سيقان التماثيل كالعادة أفراد الأسرة المالكة ، فهناك على جانبى التمثال العملاق الأول (إلى أقصى الجنوب) تماثيل للأميرة نب توى والأميرة بانت – عنت – وأميرة – أخرى غير معروفة.

وعلى جانبى التمثال الضخم الثانى الملكة تووى أم الملك وزوجة الملك نفرتارى وابنه الأمير أمون – حر- خبشف ، وعند التمثال الثالث الملكة نفرتارى مكررة شخوصها مرتين والأمير رمسيس ، وعلى جوانب عرشى التمثالين العملاقين الأوسطين القريبين من البوابة رسومات بارزة لآلهة النيل تضع شعارى مصر السفلى والعليا. (البردى واللوتس) وحولهم شعار الوحدة.

بينما يوجد فوق الشعار خرطوش لرمسيس وتحته رسومات بارزة لصف من الأسرى الزنوج (الجنوب) والأسرى الأسيويين (الشمال) .

ثم نترك ملامح المعبد الأضافية بما فى ذلك المقصورتين والشواهد واللوحات لاعتبارات خاصة حتى ننته من وصف المعبد من الداخل وغرفه الداخلية.

بعد أن نمر عبر البوابة العظيمة التى تتوسط الواجهة، نجد أنفسنا نعبر الصالات الداخلية للمعبد حتى نصل إلى صالة الأعمدة الكبيرة حيث يبلغ عرض هذه الصالة ٥٤ قدما بعمق ٥٨ قدما.

ويفصل صحن هذه الصالة عن جناحيها إلى صفين من الأعمدة المربعة شكلت جوانبها المطلة على الردهة على هيئة صفين من التماثيل الضخمة الأوزورية التى تمثل الملك.

ويشاهد الملك على الصف الشمالى لابسا التاج المزدوج بينما يضع على رأسه فى الصف الجنوبى التاج الأبيض لمصر العليا ، ويبلغ ارتفاع هذه التماثيل حوالى ٣٠ قدما محفوظة فى حالة جيدة تدعو إلى الدهشة والإعجاب.

ومن بين هذه التماثيل ثلاث وجوه فى الصف الشمالى فى حالة جيدة ، وخاصة الأول والرابع ، أن الانطباع الذى تحدثه مشاهدة هذه التماثيل العملاقة فى مساحة محدودة نسبيا من الصالة انطباع هائل ومؤثر ، فهى ذات قيمة فنية كبيرة من حيث تصميمها وتنفيذها.

وما زالت الرسومات الزيتية لطيور جوارح ناشرة أجنحتها على سقف الممر الرئيسى بحالة جيدة ورائعة أما رسوم سقف الجناحين فهى تمثل النجوم.وهناك مشاهد أخرى للملك على الأعمدة القائمة وراء التماثيل العملاقة.

وفى هذه المشاهد يظهر الملك واقفا أمام مختلف الآلهة منها أمـون - رع وحـار آخـت ، وبتـاح ، وحورس وأتوم ، وتحوت ، ومين ، وخنوم ، وسـاتت وأنوقيت الاهتى الشـلال ،وحـاتحور إلهـة ابشـيك، وإيزيس وغيرها من المعبودات.

وتعتبر المشاهد على الجدران ذات أهمية وحيوية لافتة للنظر ، ونبدأ بجدار المدخل على جانبى البوابة.حيث يشاهد رمسيس على الجانب الشمالى (الأيمن) وهو يضرب عددا من الأسرى الأسيويين أمام الإله حار آخت الذى يسلمه السيف المقوس رمز الملكية المصرية.

ويشاهد الصقر نخبت يحلق فوق الملك ووراءه شعار "كا" رمز قرينه ويرى تحت هذا المشهد تسع من بناته العديدات يحملن الصلاصل ، وفى الركن تحت هذه النقوش البارزة مخطوط آخر قصير يقول أن هذا المشهد قد نقشه مثال رمسيس "مرى - أمون" ، محبوب رع وهو بياى ابن خانوفر ، وهذا مثل آخر للبيانات العادية عن شيوع تجاهل أسماء الفنانين المصريين .

ويشاهد على الجانب الجنوبى (اليسار) للبوابة ، رمسيس وهو يضرب الأسرى أمام الإله أمـون - رع وتحته ثمانية من أبنائه الكثيرين.

نتجه الآن إلى الجدار الشمالى المزخرف بسلسلة من المناظر التى أصبحت مألوفة لنا بالفعل فى أبيدوس والأقصر والرامسيوم.

وقد امتلأت الجدران بمناظر مختلفة كلها تسجل مواقف حربيه جريئة للملك وأهمها تلك المسجلة على الجدار الشمالى والخاصة بمعركة قادش المشهورة التى خاضها الملك رمسيس فى السنة الخامسة من حكمه وحاول غريمه ملك الحيثيين "خاتوسيلا" أن يغرر به ويوقعه فى كمين ، لولا يقظته وشجاعته الخارقة فاستبدل الهزيمة المنكرة نصرا مبينا.

ونشاهد بعد ذلك بين البابين المؤديين إلى الغرفة الأولى والثانية الجانبين منظر نصب المعسكر المصرى وراء سور واقى حيث يخلد الجنود للراحة والاسترخاء بينما يجرى إطعام الجياد فى جو عام من الهدوء الآمن [1].

على أن هناك اسفل هذا المشهد آخر يعتبر مفاجأة للزائر عند رؤيته لأول مرة ، فنشاهد نقوشا لجواسيس يجلدون ، وتدل المعلومات المستخلصة منهم على أن رمسيس كان على وشك أن يصاب بكارثة .

وهذه الكارثة تتمثل فى العدو الذى كان مفروضا أن يكون فى حلب ، وفى كمين منصوب فيه وراء قادش، وعلى وشك الأنقضاض عليه ، وفى منظر آخر يظهر فيه مجلس الحرب المنعقد على عجل وسرعة، ثم يأتى الاشتباك والصدام بين القوتين.

فيظهر رمسيس راكبا عجلته الحربية ومنقضا على العدو ومطوقا له من كل جانب . كما تظهر الروسومات أيضا مدينة قادش بشرفاتها والنهر المحيط بها وتقهقر الحيثيين ، وقيام الحامية بمراقبة مصير القتال وسير المعركة من الشرفات .

نأتى بعد ذلك إلى الجدار الخلفى (الغربى) ، حيث نشاهد عند الطرفى الشمالى (الأيمن) للجدار ، الملك وهو يقود الأسرى إلى الإله حار-آخت والإله أورت - حكاو ، وذاته المقدسة .

كما نرى خلف الباب المؤدى إلى الغرفة التالية الملك أيضا وهو يقود شرذمة أخرى من الأسرى أمام أمون والألهة موت وذاته المقدسة ، وتتألف المجموعة الشمالية من الأسرى الحيثيين والمجموعة الجنوبية من الأسرى الزنوج وعلى جانبى البوابة فى الجدار الخلفى ، نشاهد رمسيس أمام الإله بتاح، وحار - آخت، وأمون، ومين بينما يظهر فوق الباب وهو

[1] بدأت المرحلة الثانية فى عملية انقاذ معابد أبوسمبل بنشر الكتل الحجرية حسب الخطوط التى حددت لها ثم نقلها إلى المواقع الجديدة ، وقد تمت هذه المرحلة فى يناير ١٩٦٦ ، حيث كان يجرى فى نفس الوقت اعداد الموقع الجديد للمعبدين فوق هضبة مرتفعة ، ولما استكمل الفك والنقل بدأت مرحلة اعادة البناء على ارتفاع حوالى ٦٤ مترا أعلى من الموقع الاصلى وفى نفس الاتجاه القديم للمعبدين وتم انجاز هذه العملية فى نهاية العام نفسه ، ثم كانت هناك مرحلة أخرى هامة وهى بناء التلال الصخرية فوق كل معبد ، وحملت كل قبة ركاما صخريا بالقدر الذى أعطى للمعبدين الرونق والشكل القديم ، كما تمت عملية ملئ الفراغات بين الكتل حتى ليصعب على العين أن تلحظ أن ثمة أحجارا قد نقلت أو ركبت ، وهكذا تم انجاز ذلك العمل العظيم الضخم فى مدة أربعة سنوات.

يرقص أمام أمون - رع وموت وحار - آخت ، وأورت - حكاو .

وإذا تركنا الجدار الخلفى واتجهنا إلى الجدار الجنوبى نشاهد بين التمثالين الثالث والرابع فى الجانب الجنوبى . لوحة مؤرخة فى السنة الخامسة والثلاثين من حكم الملك وتسجل فى إسهاب كيف أن رمسيس قد أقام معبد فى ممفيس تخليدا للإله بتاح ، وقدم له الهدايا والعطايا.

وقد ملء الصف الأعلى للجدار الجنوبى بمشاهد مختلفة من النوع الدينى الرسمى والتى تظهر رمسيس أمام الإله متيف الممثل برأس كبش والآلهة ورت هيكيو الممثلة برأس أسد .

ثم وهو يقدم عطايا من الحبوب إلى الإله أمون ، ويحرق البخور أمام الإله بتاح ، هذا وتقوم سفخت بتسجيل سنوات عمره ، وهو راكع تحت الشجرة المقدسة برفقة تحوت وحار آخت.

وأخيرا يشاهد متعبدا أمام أمون الذى تخرج من عرشه أفعى هائله ، أما السجل الأسفل فنرى مشاهد أكثر جمالا ومتعة ، حيث نجد ثلاثة مناظر للمعركة - نرى فيها الملك واقفا فى عربته الحربية ، أولا وهو يطلق سهامه ضد قلعة عالية على تل مرتفع.

ويشاهد بعض القتلى يتساقطون من على الأسوار بينما يتوسل الأسرى الآخرون طلبا للرحمة ، ويرى أحد الرعاة يسوق ماشيته إلى مخبأ يحتمى فيه وهناك ثلاثة من أبناء رمسيس ، وهم أمون-حر خبشف ، ورمسيس وبراجر - ونامف ، وهم يتبعون والدهم فى عرباتهم الحربية.

وهناك مخطوط آخر يشيد بشجاعة الملك وقوته ويصفه بقاهر المتمردين على مرتفعاتهم وفى ديانهم، وفى المشهد الذى يليه نشاهد الملك وهو يطأ بقدميه عدوا واقعا على الأرض ويغرس رمحه فى صدر عدو آخر.

ويذكر المخطوط الخاص بهذا المنظر كيف أن الملك حطم الأقواس التسعة ودمر الأراضى الشمالية للعدو وأجبر الزنوج على الرحيل إلى الشمال ورجال الشمال إلى النوبة السفلى ، وكيف أنه أحضر إلى المعبد غنائم وأسلابا كثيرة من سوريا وريتينو.

وأخيرا نشاهد منظر آخر لرمسيس وهو يدخل منتصرا على عجلته الحربية وإلى جانبه أسده المروض، بينما يقود أحد الضباط صفين من الجنود الأسرى أمامه، ويتكون الصف العلوى من أسرى زنوج أصليين والصف السفلى من النوبيين الأقل سوادا من الزنوج. كما يرى إنقضاض رمسيس فى الصف الأعلى ، وبعد ذلك رمسيس مع ضباطه وهم يحصون أكواما من أيدى القتلى المبتورة ويسوقون بقيتهم أمامهم.

وتروى لنا الزخارف - والنقوش الغائره على الأعتاب أن رمسيس قد بنى هذا المعبد تقديرا لأبيه حار- آخت اله تاركنس العظيم ومن أجل والده أمون - رع رب الأرباب وسيد الآلهة.

وهناك على الجدار الشمالى (إلى اليمين) من الصالة بابان ينفتحان على غرفتين جانبيتين ، الغرفة الأولى منهما نرى الجدار الغربى فقط مزينا بالمناظر والنقوش البارزة من النمط العادى تبين الملك أمام معبودات مختلفة.

أما الغرفة الثانية فأنها زاخرة بالزخرفة والنقوش على جميع جوانبها بمشاهد متشابهة تبعث على الملل وللجدار الخلفى ثلاثة أبواب يؤدى الباب الأوسط منها إلى صالة أعمدة ثانية أصغر من الأولى، ويؤدى البابان الجانبيان إلى مجموعتين من الغرف تتألف كل مجموعة من ثلاث حجرات.

وقد زينت جدران هذه الحجرات الست بكثير من المناظر الدينية المتقنة التى لا تخرج عن النمط العادى الذى يجعلها جديرة بالوصف ، اللهم سوى أن المرء قد يلاحظ من جديد ما سبق ملاحظته هنا وفى أى مكان من أعمال رمسيس(٢).

وهى الرواية الطريفة والتخيل الغريب الذى يظهر به رمسيس الملك باستمرار أمام رمسيس "الإله الطيب" المرتبطة هنا على قدم المساواة مع "الآلهة العظام".

أما صالة الأعمدة الثانية التى ندخل إليها الأن ، فهى ذات احجام أصغر من التى تركناها للتو ، فهى

---

(٢) مع اكتمال انقاذ معبدى ابوسنبل الذى يعد تتويجا رائعا لأعمال انقاذ آثار النوبة ، ووقفة معبدى أبوسمبل على منصتها الجديدة شاهدين على يقظة الضمير الانسانى للحافظ على تراثه التاريخى ، وعلى قيمة التعاون الدولى حين يدور حول أنبل الأهداف الثقافية والانسانية نذكر بالتقدير رجالا ودولا قدموا للمشروع مساهمات قيمة وجهودا كبيرة مشرفة فى سبيل انقاذ ذلك الاثر الخالد للانسانية جميعا.

بعرض ٣٦ قدما ، وعمق ٢٣ قدما وبها أربعة أعمدة مربعة عليها نقوش ومناظر تصور الملك أمام الآلهة المختلفة أو فى عناق معها.

ويبين حائط المدخل رمسيس وهو يقدم القرابين إلى الآلهة مين - أمون وشخصه ، وإيزيس (على الجانب الشمالى من الباب) وإلى الإله أمون - رع ، وشخصه ، وموت (الجانب الجنوبى من الباب).

وعلى الحائط الشمالى نشاهد الملك مع الملكة نفرتارى زوجته ثم وهو يقدم قرابين إلى المركب المقدس المحمول على أكتاف الكهنة ، وعلى الجدار الجنوبى نشاهده مع نفرتارى وهما يقدمان القرابين إلى المركب المقدس.

وعلى الجدار الغربى (الخلفى) يشاهد الملك أمام الإله حار - آخت (عند الطرف الشمالى) ويتعبد أمام أمون - رع (عند الطرف الجنوبى).

وعلى قوائم كتفى البوابة المؤدية إلى الحجرة التالية، وعلى كل من كتفى البوابة وعتبة الباب نشاهد نقوش دينية متكررة ومتشابهة.

والآن ندخل إلى الحجرة المستعرضة أو الدهليز حيث تعتبر زخارفها ونقوشها مجرد مجموعة أخرى من الوحدات الزخرفية المتكررة فى الموضوع اللانهائى الذى يمثل الملك دائما أمام الآلهة المختلفة ، ولذلك ليس ثمة حاجة إلى تناولها تفصيليا.

وتنفتح ثلاث أبواب فى جدارها الخلفى ، حيث يؤدى البابان الجانبيان منها إلى حجرتين صغيرتين خاليتين من الزخارف أمام الباب الأوسط الذى يؤدى إلى المحراب أو قدس الأقداس.

وفى نفس قدس الأقداس نشاهد القاعدة المكسورة للمركب المقدسة فى وسط الأرضية وفى الحائط الخلفى نشاهد أربعة تماثيل ضخمة جالسة لآلهة المعبد وهم "بتاح" و "حار - آخت" و "أمون" و"رمسيس" نفسه .

ومن أهم المظاهر التى تميز هذا المعبد عن غيره من معابد المصريين القدماء دخول أشعة الشمس فى الصباح المبكر عند الشروق إلى قدس الأقداس ووصولها إلى التماثيل الأربعة ، فتضئ هذا المكان الضيق فى الصخر داخل المعبد والذى يبعد عن المدخل حوالى ستين مترا.

وبحيث تصبح هذه التماثيل مؤثرة وممتلئة قوة بهالة جميلة من الهيبة والوقار عند شروق الشمس وسقوط أشعتها عليه ، فإن أى مشاهد إذا لم يراقب سقوط أشعة الشمس هذه يساوره شك فى أثرها القوى المحسوب بدقة حسب علم الفلك والحساب عند قدماء المصريين حيث حسب بدقة ووجه نحو زاوية معينة حتى يتسنى سقوط هذه الأشعة على وجوه التماثيل الأربعة.

فى الساعة السادسة وخمس وعشرين دقيقة فى يوم ٢٢ فبراير بالضبط من كل عام يتسلل شعاع الشمس فى نعومه ورقة كأنه الوحى يهبط فوق وجه الملك رمسيس ويعانقه ويقبله.. فيض من نور يملأ قسمات وجه فرعون داخل حجرته فى قدس الأقداس فى قلب المعبد المهيب.. إحساس بالرهبة والخوف.. رعشة خفيفة تهز القلب.. كأن الشعاع قد أمسك بك وهزك من أعماقك بقوة سحرية غامرة أى سحر وأى غموض يهز كيانك وأنت تعيش لحظات حدوث تلك المعجزة.. ثم يتكاثر شعاع الشمس بسرعة مكونا حزمة من الضوء تضئ وجوه التماثيل الأربعة داخل قدس الأقداس وهى تماثيل حور - آختى إله منف وبتاح إله طيبة ورمسيس الثانى نفسه مع الإله أمون رع إله الشمس. أليس غريبا حقا ألا تتغير حسابات الكهان والمهندسين والفنانين ورجال الفلك المصريين عبر مشوار من الزمن طوله أكثر من ٣ آلاف سنة لتحتفل بعيد ميلاد الفرعون العظيم وعيد ميلاد جلوسه.

يبلغ طول المعبد العظيم من عتبة البوابة الأولى إلى جدار المحراب الخلفى من قدس الأقداس ١٨٠ قدما وهو منحوت كله من صخور حية.

أبو سمبل الصغير : (معبد)

وعلى مسافة قصيرة شمال المعبد الكبير يقع معبد أبو سمبل الصغير حيث يفصل بين المعبدين واد ضيق من الرمال وهذا المعبد من أعمال رمسيس الثانى أيضا وقد خصص لعبادة الألهة المحلية للمنطقة "حتحور" سيدة أبشك و لعبادة الملكه نفرتارى زوجة رمسيس الثانى، الذى شيد هذا المعبد من أجلها.

وهذا المعبد مقدس بالنسبة للألهة حاتحور إلهة أبشيك، وحجمه أقل بكثير من حجم المعبد الكبير، إذ أن

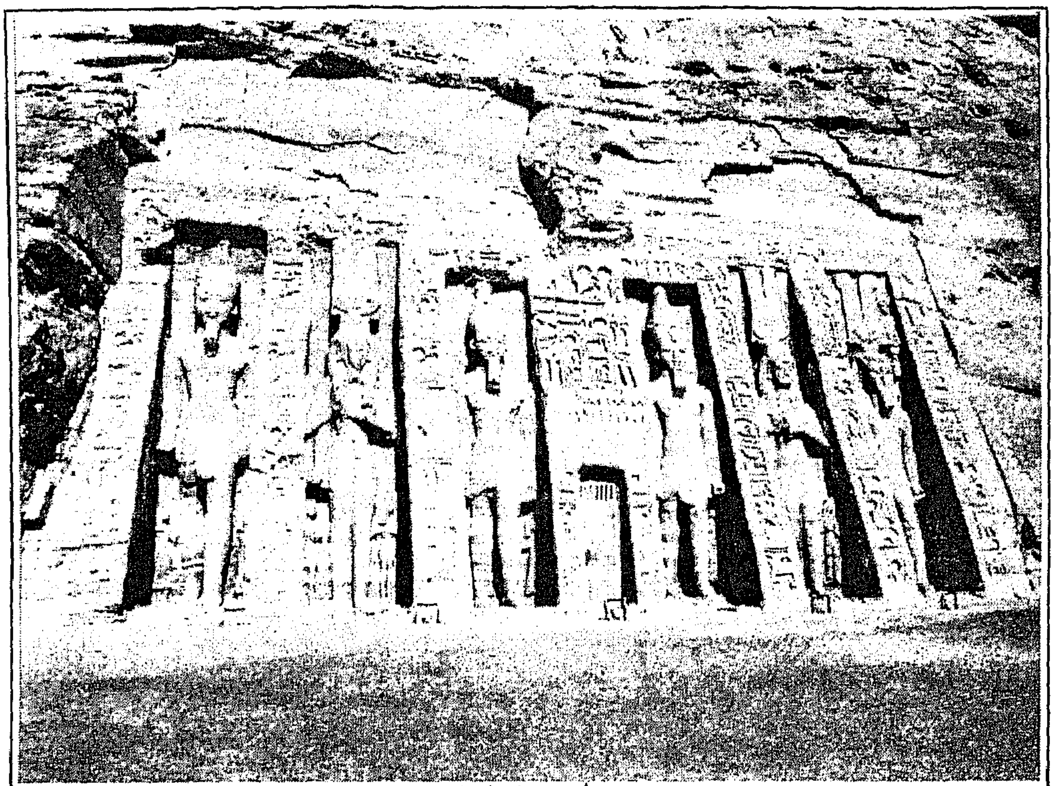

معبد أبو سمبل الصغير

عرض واجهته ٩٢ قدما فقط وارتفاعها ٣٩ قدما ولكن بالرغم من ذلك فهو قطعة رائعة من الفن.

وإذا لم يكن المعبد الكبير موجوداً لأعتبر معبد أبو سمبل الصغير أعجوبة من عجائب الزمان - ومع ذلك لا يمكن التقليل من أهميته وشأنه.

فهناك على كل جانب من جانبى البوابة فى وسط الواجهة نشاهد ثلاثة تماثيل عملاقة أثنان منها لرمسيس نفسه والثالث لزوجته المفضلة نفرتارى (ثلاثة تماثيل على الجهة اليمنى ، وثلاثة تماثيل أخرى على الجهة اليسرى). وحيث تظهر نفرتارى فى هذا المعبد فى صورتها المؤلهة مثلها مثل رمسيس نفسه فى المعبد الكبير.

ويبلغ ارتفاع كل من هذه التماثيل الضخمة مع تيجانها وريشها حوالى ٣٨ قدما ، ويفصل بينهما أكتاف ضخمة من الصخر تحمل الخراطيش الملكية. كما يقف إلى جانب كل تمثال بعض أبناء وبنات الملك. وبجانب الملكة أميرتان تقفان إلى جوارها هما مريت - أمون ، وحنت - تاوى.

أما تمثالا الملك الضخمان فيوجد بقربهما الأميران أمن - حر - خبشف، وبرا - حر - أوناميف، بينما يقف بجوار التمثالين الخارجيين الأميران مرى - أتوم، ومرى - رع. وتبلغنا الخرطوشة المنقوشة على الكتف الأول الواقعة على الجانب الشمالى للبوابة مايلى:

"أن الملك قد أقام هذا المعبد على شكل حفر فى التل كعمل خالد فى أرض التاكينز".

وتكرر الخرطوشة الصخرية الأخرى المنقوشة على الكتف الثالث فى نفس الجانب هذا النص أيضا مع اضافة طفيفة وهى أنه لم يفكر أى مصرى حقيقى على أغفالها من المخطوط لأى عمل قام به - "لم يحدث صنع أى عمل مثله من قبل".

وعلى سمكى البوابة عند جوانبها نشاهد الملك أمام حاتحور إلهة ابشيك (الجنوب) ، والملكة أمام إيزيس (الشمال).

ندخل بعد ذلك إلى صالة الأعمدة التى تضم ستة أعمدة مزخرفة ومنقوشة تمثل صلاصل موسيقية تحمل رؤوسا حاتحورية بينما تظهر الجوانب الأخرى الملك والملكة ومعبودات متعددة.

وعلى حائط المدخل عند الجانب الأيمن ، نشاهد الملك وهو يضرب أسيراً ليبيا أمام الإله حار - آخت ، وعلى الجانب الأيسر ، يضرب أسيراً زنجيا أمام الإله أمون - رع.

وعلى الحائط الشمالى (الأيمن) يقف الملك أمام الإله بتاح ويتعبد أمام الإلهة - حاتحور - وآبشف اله هيرا كليوبوليس (اهناسيا) بينما تقف الملكة أمام

حاتحور ويصب الملك الماء المقدس أمام حار - آخت.

وعلى الحائط الجنوبى (الأيسر) يقف رمسيس أمام حاتحور - سيدة أبشيك بينما تتعبد الملكة أمام الألهة أنوقيت بين ست اله أومبوس وحورس ويصلى الملك أمام أمون - رع.

أما الحائط الخلفى فقد كرس بأكمله للملكة ، ذلك لأن رمسيس كان يحتفظ دائما لنفسه بنصيب الأسد فى هذا المعبد مع أن المعبد هو معبدها تقريبا ، وقد فعل الملك نفس الشئ على الواجهة ، حيث يظهر مرتين مقابل مرة واحد تظهر فيها نفرتارى.

ولكن الآن نشاهد جدارا كاملا للملكة بنفسها حيث تظهر على جنوبى البوابة (إلى اليسار) أمام حاتحور وعلى الجدار الشمالى (إلى اليمين) أمام موت.

وهناك ثلاثة أبواب تؤدى إلى صالة عرضية تحوى مناظر معمارية ليست بذات أهمية ، فعلى حائط الدخول، عند الطرف الجنوبى تظهر الملكة أمام حاتحور سيدة ابشك وإيزيس.

بينما تظهر خراطيش الملكة فوق الأبواب ولكى لاتختص الملكة بالنصيب الأوفى لنفسها تجرى تسوية الأمور بظهور الملك على كلا الجدارين البحرى والقبلى حيث يتعبد إلى المركب المقدس التى تضم البقرة حاتحور بداخلها.

كما نشاهد باب فى كل من هذه الجدران يؤدى إلى غرفة صغيرة خالية من النقش ، وعلى الحائط الخلفى عند الطرف الشمالى (إلى اليمين) يظهر الملك رمسيس أمام حار - أخت ، ومنظر أخر يصور الملكة أمام خنوم وساتت وعنقت ، وعلى الطرف الجنوبى من الجدار الخلفى يظهر الملك أمام أمون رع ومنظر أصغر يمثل الملك فى حضرة ثلاثة أشكال من حورس سيد عنيبة وسيد كوبان وسيد بوهن.

وهناك باب أخر يحمل صور للملك مع نماذج صغيرة فى أعلاها لكل من الملك والملكة أيضا أمام حاتحور وفوقهما ، ويؤدى هذا الباب إلى قدس الأقداس.

ولقدس الأقداس فى جداره الخلفى مشكاة تسندها صلاصل معمارية ذات أشكال متنوعة لآلات موسيقية عليها صورة منقوشة بارزة لوجه كامل للألهة حاتحور البقرة تحمى رمسيس تحت راسها كانه يتمتع بحمايتها الإلهية.

بيد أن هذين التمثالين قد أصابهما تلف بالغ. وعلى الجدار الشمالى يقف الملك أمام شخصه المؤله والملكة المؤلهة.

وعلى الجدار الجنوبى تظهر الملكة نفرتارى أمام الإلهة موت وحاتحور ، ولكن ذلك العمل لم يستكمل فى هذا الجزء من المعبد لأن الغرض على ما يبدو كان أقامة غرفتين جانبيتين على جانبى قدس الأقداس كالمعتاد.

ويبين الجدار الخلفى للصالة العرضية مساحات خالية تركت لتركيب أبواب كانت ستؤدى إلى هاتين الغرفتين ولكن لم تنفذ قط.

وهناك على الجانب الشمالى من معبد حاتحور مخطوطات عديدة ، حيث نشاهد نائب ملك إثيوبيا منحنيا أمام رمسيس الثانى حيث يقول المخطوط "أنشأه نائب الملك فى كوش، أنى، من أهالى هيراكليوبوليس".

وعلى مسافة قصيرة من ذلك نعثر على لوحة يصعب الوصول اليها حيث يظهر نائبا آخر للملك. الأثيوبى منحنيا أيضا أمام رمسيس ، وبعد ذلك إلى الشمال توجد لوحة ثانية ثالثة تبين رجلا منحنيا أمام أمون، ورمسيس ، وحار - آخت وحورس.

وعلى بعض الصخور بأعلى الجبل نشاهد مخطوط يقول:

"أنشأه كاتب المعبد ، صهر الملك ، والمشرف على الماشية ، الأمير والكاهن الأعظم ، أحموس المدعو تورو".

وهناك على الجانب الجنوبى من المعبد الكبير نشاهد ثلاث لوحات تبين الأولى منها نائب الملك فى إثيوبيا يتعبد إلى رمسيس والثانية تصور الملك أمام الإله تحوت، وحار - آخت ، وشبس ، أما الثالثة فانها تصور الملك والملكة أمام الإله أمون - رع ورمسيس وحار - آخت.

أبوصير :

١- علم على عدد من المناطق الأثرية فى مصر أصلها القديم "برأوزير" أى بيت أوزيريس أحد المعبودات الهامة فى مصر القديمة. وأشهر البلاد المعروفة بهذا الأسم خمسة :

١- أبو صير فى محافظة الجيزة وهى جزء من الجبانة المنفية.
٢- أبو صير الملق عند مدخل الفيوم.
٣- أبو صير بنا ، قريبا من سمنود.
٤- أبو صير ، فى مريوط غربى الإسكندرية.
٥- أبو صير ، على الضفة الغربية للنيل عند الشلال الثانى قريبا من وداى حلفا.

أبو صير الجيزة :

علم على بلده ومنطقة أثرية تبعد نحو ٥ كم جنوبى أهرام الجيزة. بها أهرام أربعة من ملوك الأسرة الخامسة ومعابد وبعض مقابر ذلك العصر. قام بالحفر فيها الأثرى الألماني "بورخات" الذى نشر نتائج حفائره فى عدة مجلدات بين أعوام ١٩٠٧ ، ١٩١٣ واضخم الأهرام الأربعة هرم الملك"نفر - ايركا - رع" وكان ارتفاعه ٧٠م. وطول ضلع قاعدته ١١٠م. أما الأن فلا يزيد ارتفاعه عن ٥٠م. ويقل ضلع قاعدته عن ١٠٠ م. أما هرم "ساحورع" فارتفاعه الحالى ٣٦م. وطول ضلع قاعدته ٦٦م. ولكن ارتفاعه الأصلى كان ٥٠م. وطول ضلع قاعدته ٧٨م. وتخرب هرم "نيوسر-رع" كثيرا ، أما هرم "نفرف - رع" فلم يكمل بناؤه.

كانت هذه الأهرام مغطاه الجوانب بكساء من الحجر الجيرى الأبيض ، وعندما تعرضت المنطقة لعبث المخربين طلبا للأحجار نزعوا أحجار الكساء الخارجى فلم تبق إلا الأجزاء الداخلية من كل هرم وكانت مشيدة بالأحجار الفجة والحصى والطين ، كما خربوا المعابد أيضا فلم يبق منها إلا القليل ، ولكنه كاف لاعطائنا صورة لما كانت عليه من فخامة وعظمه إذ كانت أرضيتها من أحجار بركانية سوداء اللون ، وأعمدتها من الجرانيت الأحمر ، وهى من طراز الأعمدة النخيلية، أما جدرانها فكانت من الحجر الجيرى الجيد ومغطاه كلها بالكتابات والرسوم الملونة. وكانت سقوفها من الحجر حيث رسموا عليها نجوما ذهبيه اللون فوق خلفية زرقاء تمثل السماء.

وعثرت بعثة الحفر الألمانية على كثير من أحجار تلك المعابد ، ويوجد بعضها الأن فى متحف القاهرة والبعض الآخر فى متحف برلين ، كما عثرت تحت أرضية المعابد على مواسير من النحاس لتصريف المياه، وهى تمتد مسافات طويلة لتحمل مياه القرابين وغيرها إلى خارج أسوار المعبد وتلقى بها فى أحد الوديان.

وحول تلك الأهرام ومعابدها إنتشرت منازل الكهنة ومخازن المعابد وبعض المقابر ، وأهمها مصطبة "بتاح شبسس" الذى كان مديرا للأعمال فى عهد الملك "ساحورع" ، وفيها نقوش هامة بعضها مازال محتفظا بألوانه ، تمثل تقديم القرابين وبعض نواحى الحياة الخاصة فى ذلك العهد.

أبو صير الملق :

قرية بمحافظة بنى سويف شمالى غربى بلده اشمنت قريبا من مدخل الفيوم. حولها جبانات أثرية من عصور مختلفة أهمها من عصر ما قبل الأسرت المصرية والعصر العتيق (الأسرتين الأولى والثانية) عثر فيها (سنة ١٩٠٥-١٩٠٦) على آثار هامة يوجد أكثرها بمتحف برلين. كان إسمها قديما"أبيدوس الوجه البحرى" لأهمية معبد أوزيريس الذى كان مشيدا فيها.

دارت فيها عام ٧٥٠م معركة شهيرة استشهد فيها مروان الثانى آخر خلفاء بنى أميه الذى كان قد فر إلى مصر ، وقبره فيها.

أبو صير بنا :

على الضفة الغربية لفرع دمياط جنوب غربى سمنود بمحافظة الغربية فى وسط الدلتا.كانت عاصمة للإقليم التاسع من أقاليم الوجه البحرى. اشتهرت كمركز دينى هام لعبادة "أوزيريس" الذى احتل مكان الصداره من إله اقدم منه فى المنطقة وهو الإله "عنجتى".

كان اسمها القديم "ددو" وسميت فى العصور المتاخرة من تاريخ مصر باسم "بوزيريس" أى بيت أوزيريس".

عثر فى التل الأثرى الذى كان قريبا منـها ، وفـى الحقول المجاورة على كثير من التمـاثيل واللوحـات المكتوبة وموائد القرابين وغيرها من الآثـار. وذكـر هيرودوت المؤرخ اليونانى الذى زار مصر فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد أنه كان بهذه المدينة معبـد آخر للمعبودة "إيزيس" وأنه كان يقام بها سنويا احتفـال كبير حزنا على أوزيريس الذى كانوا يعتقدون أن أحـد أجزاء جسمه كان مدفونا بها.

أبو عودة : (معبد)

على مسافة أميال قليلة جنوبى أبو سمبل يوجـد صخرة بارزة ترتفع من النهر على الضفة الشرقية نحت فيها معبد أبو عودة الصخرى الـذى يسـمى أحيانا معبد جبل عدا.

وقد أقامه فى الصخر الملك "حور محب فى نهايـة الأسرة الثامنة عشرة.

وهذا المعبد الصغير يعتبر من أجمـل المعـابد مـن الناحية الفنية وأقدمها ، وهو يتألف من مدخل لـه سـلم قصير، وصالة بها أربعة أعمدة ذات تيجان علـى شـكل براعم البردى.

وغرفتان جانبيتان ومحراب ، وثمة جسر منحـدر من المحراب تحته بئر يؤدى إلى سرداب أو مخبأ.

وقد حول هذا المعبد إلى كنيسة مسيحية وقد غطيت مناظر الأسرة الثامنة عشرة بطبقة من الملاط رسـمت فوقها صورا قبطية وبعض القديسين ، وكانت النقـوش البارزة والحليات المعمارية للأسرة الثامنة عشرة قـد كسيت بالملاط وأنشأ فوقها الرسومات الزيتية القبطيـة التى مازالت تغطى أجزاء منها.

ولكن هذه الرسومات قد تناثرت وتساقطت ومحيـت كاشفة عن الأعمال الفنية القديمة التـى كـانت تزيـن المعبد من عصر الأسرة الثامنة عشرة.

أن حائط المدخل المؤدى إلى الصالة يظـهر علـى جانبه الأيمن الملك حور محب يتعبـد أمـام تحـوت ، وعلى جانبه الأيسر يشاهد حور محـب كذلـك وهـو يرضع من الألهة أنوقيت فى حضرة الإله خنوم.

وعلى الحائط الشمالى الأيسر لمعبد أبو عودة ، نشاهد الملك أمام الإله تحوت وحورس سيد عنيبـة ، وحورس سيد بوهن ، وحورس سيد(أبو سمبل).

وعند الطرف الشرقى لنفس الحـائط ، نشـاهد حور محب بين الإله ست وحورس ، على الحـائط الجنوبـى (الأيمـن) غطيـت جميـع النقـوش والرسومات القديمة برسومات زيتية مسيحية.

ولكن عند الطرف الشرقى يوجد مشهد نرى فيه حور محب أمام الإله أمون-رع. وعنـد الطـرف الجنوبى للحائط الخلفى يظهر أيضا حـور محـب أمام الإله حار-آخت.

وعند الطرف الشمالى نشاهده أمام الإله أمـون - رع. وفى المحراب مشهد على الحائط الشـمالى يظهر فيه حور محب يتعبد إلى المركب المقـدس ، وعلى الجدار الجنوبى والشرقى حجبـت النقـوش البارزة بطبقة ملاط.

ومازالت الرسومات الزيتية القبطية تحتفظ بكثير من ألوانها فى حالة جيدة ، وتشمل هذه الرسـومات صور للسيد المسيح(فوق البوابة وعلـى السـقف) وقديسين وملائكة على السقف والباب أيضا.

كان معبد أبوعودة فى الأصل يقع على الشـاطئ الشرقى للنيل ، جنوبى معبدى أبو سـمبل بقليـل وكان يؤدى إليه درج محفور فى الصخـر ، حيـث يتألف من بهو تقوم فيه أربعـة أسـاطين برديـة وتكتنفه قاعتان ، وتؤدى منه بضع درجـات إلـى مقصورة حفرت فى أرضها بئرا تؤدى إلـى قاعـة لايعرف الغرض منها ، ومن صور جدرانه ما يمثل حور محب يتقرب إلى آلهة مختلفة ، وفى العـهد المسيحى تحول المعبد إلى كنيسة صـورت علـى جدرانها صور القديسين والملائكة ، وعلى السـقف صور المسيح فى رداء أحمر ، ولم يتيسر نقل هـذا المعبد بكاملـة ، واكتفـى بانقـاذ أهـم أجـزاءه المنقوشة ولوحاته ، كما فك بعض أجـزاء هامـة منه وهناك دراسات لـهذه اللوحـات ومحـاولات لتنسيقها وترميمها توطئة لعرضـها مـع بعـض النقوش الصخرية فى معرض مكشوف ، وذلـك لأن

فك ونقل هذا المعبد أمرا غير ميسر نظرا لإرتفاع تكاليفها وسوء حالة الصخور والمعبد الذى كان فى حالة هشة.

أبو غراب :

منطقة أثرية بجبانه منف شمالى أهرام أبوصير بها اطلال معبد للشمس من عهد الملك "نيوسر - رع" من ملوك الأسرة الخامسة احتفالا بالعيد الثلاثينى (عيد الحب). ومازالت توجد فيه أطلال الجزء الأسفل من مسلة الشمس المشيدة بالحجر الجيرى ومائدة قربان كبيرة الحجم من حجر المرمر. وكانت جدران هذا المعبد مزينة بنقوش هامة عثر على بعض منها عند حفرة بين أعوام ١٨٩٨ ، ١٩٠١ وهى موزعة بين متحفى القاهرة وبرلين. وفى الجهة الجنوبية ، خارج سور المعبد ، نجد الأجزاء السفلي من سفينة للشمس مبنية بالطوب اللبن.

أبو فيس "إبيبى" :

ثعبان ضخم يهدد رب السماء (رع) عندما ينتقل فى قاربه الشمسى من الشرق إلى الغرب أثناء النهار ، وعندما ينتقل فى قاربه من الغرب إلى الشرق أثناء الليل، ولكن معبودا قويا آخر يساعد "رع" فى محنته هذه ويدافع عنه ضد "أبوفيس". ونظرا لأن المصرى تصور أنه بعد موته سيتبع "رع" فى قارب الليل ، ونظرا لأن هجمات "أبوفيس" تزداد خطورة وشدة فى هذه الفترة. فقد امتلأت نصوص الموتى بكثير من الفقرات التى تحذرهم من هذا المعبود وتعرفهم على طرق النجاة منه.

أبو قير :

من شواطئ الإسكندرية ويبعد نحو ٢٥ كم من قلب المدينة إلى الشرق منها. أسمها الحالى محرف عن "أبا-كير" أحد القديسين فى العصر المسيحى. يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن السادس ق.م. وكان أسمها فى أيام المصريين القدماء"جنوب" وهو أصل اسم "كانوبوس" الذى عرفت به فى أيام البطالمة والرومان. كانت لها شهرة كبيرة فى أيام البطالمة وأوائل أيام الرومان بطيب هوائها. كان بها معبد كبير للمعبود "سيرابيس" تقام فى الحفلات والأعياد التى أطال كتاب الرومان فى وصفها. مازلنا نرى على مقربة منها أطلال المدينة القديمة ، وقد طغت مياه البحر الأبيض المتوسط على الكثير مما كان قريبا من الشاطئ.

وموقعها هام للدفاع عن الإسكندرية وعندها دارت المعركة البحرية بين الإنجليز والفرنسيين فى أول أغسطس ١٧٩١ وهى المعركة المعروفة باسم معركة النيل.

"ابيبى الأول" بالإغريقية "أبو فيس" :

أحد ملوك الهكسوس الذين غزوا مصر عام ١٧٣٠ ق. م. واستقروا فى الدلتا وشيدوا فى المنطقة الشرقية منها عاصمتهم "أواريس" وتركوا مصر العليا متمتعه باستقلال ذاتى مع دفع الضرائب ، وقامت أسرة فى طيبة ، قلب الصعيد النابض ، بمناوءة الغزاة ووقع الصدام السافر لأول مرة فى عصر هذا الملك مع أمير طيبة "سقننرع" وتقول الوثيقة (بردية ساليية ١) أن "أبيبى" أرسل رسولا إلى طيبة ليبلغ أميرها أن أصوات أفراس النهر التى تسكن مياه طيبه تزعجه وتمنع عنه النوم وهو فى عاصمته فى الدلتا وطلب إسكاتها ، كما طلب منه أيضا عبادة اله الهكسوس فكان ذلك سببا فى قيام ثورة فى الصعيد ، واشتعال الحرب بين الهكسوس وأمراء طيبة وتدل مومياء"سقننرع" التى تحتفظ بآثار جرح كبير فى الصدر وضربة فاس فى الرأس على أن صاحبها مات شهيدا فى معركة التحرير ضد الهكسوس.

"أبيبى الثانى" بالإغريقية "أبو فيس" :

أحد ملوك الهكسوس فى مصر ، وثانى ملك بهذا الاسم. عاصر ثورة المصريين ضد حكم الغزاة التى قادها "كامس" بن "سقننرع" بعد موت أبيه واستطاع أمير طيبه أن يتقدم شمالا واضطر "ابوفيس" إلى طلب العون من أمير " كوش" فى السودان محرضا أياه على مهاجمة مصر من الجنوب فيفتح بذلك جبهة ثانية أمام

"كامس" الذى استطاع أن يعرف المؤامرة وأن يقضى عليها بأن أشرك أهل النوبة فى حركة التحرير واستعان بفرق كاملة من جند "البجا" سكان شرقى السودان ، كما حصن الواحات البحرية التى تلتقى فيها الدروب الموصلة إلى مصر الوسطى. وتحدثنا وثيقتان بتفاصيل المعارك هما لوحة كارنارفون ولوحة الكرنك ، ومنها نعرف أن كامس مات قبل تحرير الدلتا تاركا إتمام المهمة لأخيه أحمس الأول.

أبيدوس :

الأسم الذى يطلقه المشتغلون بالدراسات المصرية القديمة على بلدة وآثار "العرابة المدفونه" ، وهى على حافه الصحراء غربى مدينة البلينا بمحافظة سوهاج، وكان اسمها القديم "ابدو" وكتبه اليونانيون "أبيدوس" وكانت من بلاد الإقليم الثامن من أقاليم الوجه القبلى الذى كانت مدينة "ثنى" وهى قريبة من أبيدوس ، عاصمة له. وأبيدوس من أهم المناطق الأثرية بمصر حيث لعبت دورا كبيراً فى التاريخ الدينى للبلاد فى جميع العصور.

كانت جبانة لمدينة "ثنى" وهى المدينة التى خرج منها الملك "مينا" مؤسس الأسرة الأولى الذى تم على يديه توحيد البلاد وأصبحت لفترة من الزمن عاصمة لمصر كلها ، وكانت طيلة أيام الأسرتين الأولى والثانية (العصر العتيق) منافسة للعاصمة الشمالية فى منطقة منف.

وفى أبيدوس نجد مقابر عثر فيها على آثار بأسماء ملوك الأسرتين الأولى والثانية ، وعلى الرغم من أن ملوك الدولة القديمة ابتداء من "زوسر" مؤسس الأسرة الثالثة كانوا يدفنون فى الجبانة المنفية فى الشمال فمن المرجح أنه كانت لهم أضرحة فى أبيدوس فى الوقت ذاته قبل الأسرة الثالثة أى فى العصر العتيق.

كان الإله "خنتى أمنتيو" (إمام أهل الغرب) ويرمز له بالكلب الوحشى، حارسا حاميا لجبانتها ، ولكن ابتداء من الأسرة الخامسة أخذ الإله "أوزيريس" مكان الصدارة منه كإله للموتى وأصبحت "أبيدوس" أهم مراكز عبادته فى مصر.

وشيد الملك "بيبى الأول" معبدا على حافة الزراعة لعبادة "اوزيريس" وكانوا يقيمون فيه الاحتفالات السنوية الكبيرة فى أعياده ، يمثل فيها الكهنة تمثيلية أسطورة مقتله. وابتداء من الأسرة الحادية عشرة أصبحت أمنية كل مصرى مؤمن أن يدفن فى "أبيدوس" أو أن توضع باسمه لوحه فى جبانتها المقدسة حتى تستطيع روحه المشاركة فى أعياد "اوزيريس" وتستقل معه السفينة الألهيه التى ينتقل فيها ذلك الإله إلى قبره لكى يبعث مرة أخرى.

وفى الدولة الوسطى انتشرت أسطورة وجود قبر "أوزيريس" فى هذه الجبانة وأن رأسه مدفون فيها وحددوا قبر الملك "جر" من ملوك الأسرة الأولى بأنه قبره.

ومنذ أيام الأسرة ١٣ أخذ الملوك يشيدون أضرحة للروح على مقربة من قبر أوزيريس ومعبدة ، وقد بنى أحمس الأول مؤسس الأسرة ١٨ معبدا كضريح لروحه لم يبق من أطلاله شئ ، ولكن المعبدين اللذين شيدهما سيتى ورمسيس الثانى مازالا باقيين حتى الآن. ومعبد سيتى الأول (ويسمى معبد أبيدوس) من أجمل وأهم المعابد فى مصر ، وجدرانه مغطاه بنقوش بارزة من خير ما أخرجته يد الفنان المصرى ، ولها أهمية قصوى فى دراسة الديانة المصرية القديمة. وخلف المعبد مباشرة قبر وهمى شيده هذا الملك على هيئة قبر أوزيريس حسب وصف الأسطورة أى فى جزيرة تحت الأرض تحيط بها المياه ، وهو الأثر المعروف باسم الـ "أوزيريون".

أبيدوس : (معبد)

هو أحد مفاخر العمارة المصرية ، شيده سيتى الأول فى المدينة المقدسة ، وسماه "بيت ملايين السنين للملك من ماعت رع مبتهج القلب فى أبيدوس" ، على انه توفى قبل أن يتم بناؤه فأكمله ابنه رمسيس الثانى ليكفل لأبيه حياة مبرورة فى الآخرة ولكى يحظى هو أيضا برضاء الآلهة.ومعظم جدرانه وبلاط الأرض وبعض الأساطين من حجر الجير، وبعض الجدران وأغلب الأساطين والسقوف من حجر رملى، وكان يتقدمه صرح سامق ذو برجين ، وكان فى ظهر كل برج سبع مشكاوات كانت فيها تماثيل للملك فى شكل

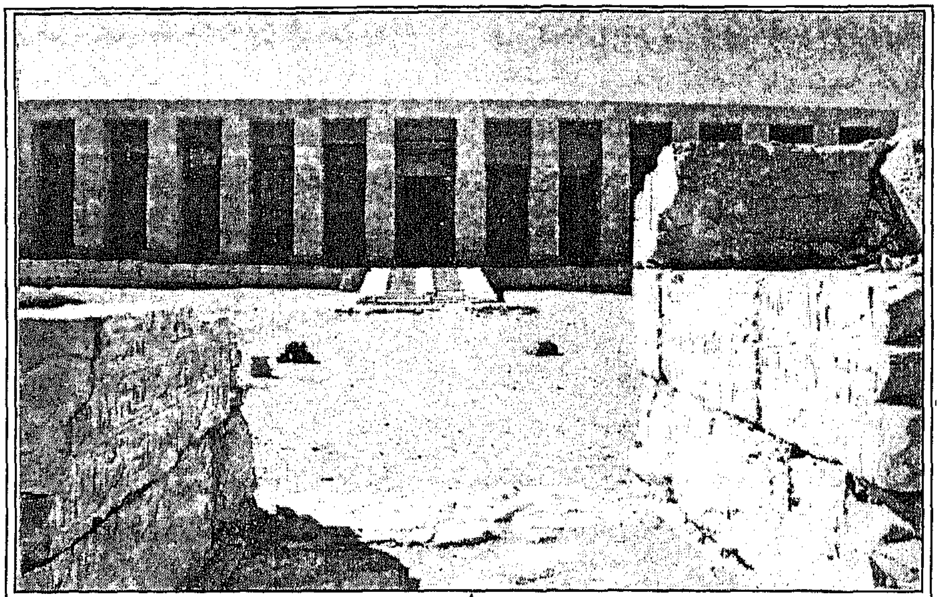

معبد أبيدوس

أوزيريس. وكان مدخل الصرح يؤدى إلى فناء فى مؤخرته صفة ترتفع عن الأرض، ويؤدى إليها درجان بين ثلاثة أحادير على المحور الرئيسى للمعبد، وفى جدارها مشكاوات عميقة.

وكان من وراء الصفة فناء ثان فى مؤخرته صفة ثانية يحلى واجهتها الكورنيش المصرى ويتخلل جدرانها سبعة أبواب تقابل المقصورات السبعة التى يشتمل عليها المعبد على خلاف سائر المعابد المصرية. وقد سد رمسيس الثانى جميع الأبواب إلا الباب الأوسط، وسجل على الجدار الخلفى للصفة ما يعرف بنص الإهداء ، وهو نص طويل يقع فى ١١٦ سطراً سجل فيه رمسيس الثانى الحالة التى ترك عليها أبوه المعبد وما أداة هو فيه من أعمال. وقد ذكر أنه اختار بنفسه رجلا يشرف على أعمال البناء وكلف بالعمل فرقاً من العمال والحجارين والمصورين والرسامين ، وعين كهنة مطهرين وكاهناً لتمثال الأله ليشرف على الطقوس ، ومؤن المخازن وسجل ممتلكات المعبد و زاد فى عدد الكهنه على اختلاف طبقاتهم بما يكفل أداء جميع الأعمال.

ويفضى الباب الأوسط إلى بهو الأساطين ، وهو بعرض المعبد ويشتمل على سبعة أروقة تقع على محاور المقصورات السبعة وتؤدى إليها. وتتخلل كل رواق أربعة أساطين فى صفين. ويمثل كل أسطون حزمة بردى بساق أسطوانية ملساء محلاة بالصور والنقوش . وفى الجدار الخلفى سبعة أبواب تؤدى إلى بهو ثان على شاكلة البهو الأول غير أنه أكثر عمقا ، إذ تتخلل كلا من أروقته ستة أساطين فى صفين ، والأساطين الأربعة الأولى بتيجان بردية ، والأسطونان الأخيران بساقين أسطونيتين ، ويقومان على مسطح أعلى قليلا يؤدى إليه أحدور. وفى الجدار الخلفى أبواب المقصورات فى صف واحد ، ويعلو كل باب الكورنيش المصرى، وبين كل باب وآخر مشكاة يزين أعلاها قرص الشمس المجنح. وكانت تحلى جدرانها نقوش مختلفة ، ويظن أنها كانت تحتوى على تماثيل.

وإختلاف طراز الأسطونين الآخرين عن طراز الأساطين الأربعة الأولى يلفت النظر ويدعو إلى التفكير؛ على أنه ليس من شك فى أنه كان مقصودا وأنه أريد به التمييز بين الأساطين أمام المقصورات السبع وبين أساطين بقية البهو كأنما قصد إلى أن يكون أمام واجهاتها مايشبه الصفة. ويؤيد ذلك ارتفاع المسطح الذى تقوم عليه.

وكانت المقصورات من الجنوب إلى الشمال لعبادة سيتى وبتاح ورع حور اختى وأمون وأوزيريس وايزيس وحورس.وتقع مقصورة أمون ، إله الدولة وملك الآلهة، فى مكان الشرف فى الوسط. وتتألف كل مقصورة فيما عدا مقصورة أوزيريس ، من قاعة

مستطيلة بسقف على شكل عقد كاذب من الحجر ، وقد بنى أولا على شكل عقد مدرج ثم نحت سطحه الأسفل حتى ليبدو وكأنه عقد صادق ، ولهذا ما يماثله فى معبد الدير البحرى من عهد حتشبسوت ، وفى مقصورة حتحور من عهد رمسيس الثالث.ويحلى الجدار الخلفى بابان وهميان من داخل إطار واحد ، نقش النحات بينهما أسطونا صغيرا على شكل غصن بردى يلتف حوله صل، وبذلك وفق أحسن ما يكون فى ابتداع عنصر مناسب بين البابين ويعلو البابين مستطيل يشغل أعلاه عقد وتتخلله علامة الدوام (عمود اوزيريس) ، وصور أرواح حارسة، وتبدو جميعها وكأنها مفرغ بينها على نحو المشربيات. وفى كل من طرفى العقد صورة لأبى الهول رابض تتسق رأسه وظهره مع انحناء العقد ، وتتفق الخطوط المقوسة فى هذا الزخرف أحسن ما تكون وتقوس السقف.

وتؤدى مقصورة أوزيريس إلى بهو أساطين خلف المقصورات الثلاثة الوسطى بما كفل لإله أبيدوس مكانا ممتازا فى المعبد لا يقل عن مكان أمون.وعلى يمين البهو ثلاث مقصورات لإيزيس وسيتى وحورس؛ وعلى يساره بهو صغير تطل عليه ثلاث قاعات صغيرة مهدمة.

وعلى غير المعتاد فى المعابد المصرية أضيف إلى يسار الجزء الخلفى من المعبد جناح يؤدى إليه باب فى جنوبى بهو الأساطين الثانى ؛ ويشتمل على عدة قاعات وأبهاء منها مقصورتان لبتاح سكر ونفرتم.من آلهة منف، ودهليز نقشت على جدرانه أسماء معظم ملوك مصر من مينا إلى سيتى الأول ، تؤلف ما يعرف بقائمة أبيدوس ، ومذبح تحيط الأساطين بثلاثة جدران منه ويقع مدخله على فناء كبير خارجى كانت تقاد إليه الضحايا من الحيوان بعيدا عن قاعات المعبد.ومن قاعاته أيضا قاعة قرابين أو زوارق تدور بجدرانها رفوف مشيدة ، ودهليز فى نهايته درج يؤدى إلى خارج المعبد.

وتحلى جدران المعبد نقوش دقيقة تتميز برشاقة خطوطها وجمال تفاصيلها وبهجة ألوانها ، وتمثل شعائر مختلفة يؤديها سيتى لكثير من الآلهة.

ووقف سيتى على هذا المعبد إيراد مناجم الذهب فى البرامية فى الصحراء الشرقية ، وكانت أعظم مناجم الذهب إنتاجا فى وقته ، كما وقف عليه أيضا إيراد الأقاليم التى استولى عليها. ونقش فى الصخور عند نورى شمال الشلال الثالث بقليل نصا طويلا حرم فيه على جميع الادارات والموظفين أن يكلفوا أحدا من خدم المعبد بأى عمل من أعمال السخرة فى الزراعة فى كافة أنحاء البلاد ، أو أن يحجزوا أية سفينة للمعبد. أو أن يفرضوا الضرائب على حمولتها أو يصادروا ما يملك المعبد من ثيران وحمير وخنازير وماعز ، وكفل به حماية جميع من يعمل للمعبد فى كافة البلاد من صيادين وصناع وفلاحين وحراس وتجار وعمال مناجم وغيرهم. وفرض عقوبات شديدة على كل من يعصى ذلك ، وهى فى المتوسط مائة عصا وخمسة جروح دامية مع رد المتاع المصادر.وفى الحالات الخطيرة دفع ما يساويه مائه مرة وأداء السخرة لفائدة المعبد أو النفى إلى الحدود بعد جدع الأنف وقطع الأذنين فى أكثر الأحيان.

(انظر سيتى الأول)

أبيس :

من الحيوانات التى قدسها المصريون ، وكانوا يرمزون بالعجل ابيس إلى القوة الجسدية والتفوق فى النسل ، ومن الشروط المميزة لهذا العجل المقدس أن يكون أسود اللون مرقوطا بدوائر بيضاء على جبهته وعنقه وظهره. كان مركز عبادته الرئيسى فى مدينة منف، ولذلك ارتبط بإلهها الكبير "بتاح" وسرعان ما أطلقوا عليه لقب "روح بتاح" ، كما ارتبط أيضا بأوزيريس رب الدنيا الثانية وملك الموتى ، واستحق بذلك أن يندمج بين آله الموتى.

وكانت تضفى على جثته كل معانى التقديس ، فتحنط تحنيطا فاخرا وتدفن فى توابيت حجرية ضخمة فاخرة ، عثر ماريت على جبانة ممتدة فى سقارة تعرف باسم "السرابيوم" تتكون من عدد من الحجرات حوت كل حجرة تابوتا من حجر الجرانيت لجثة واحدة منها.وكان الحزن يعم مصر بأسرها عند موت هذا العجل المقدس ، كما يعمها الفرح عندما يعثر الكهنه على بديل حى له.

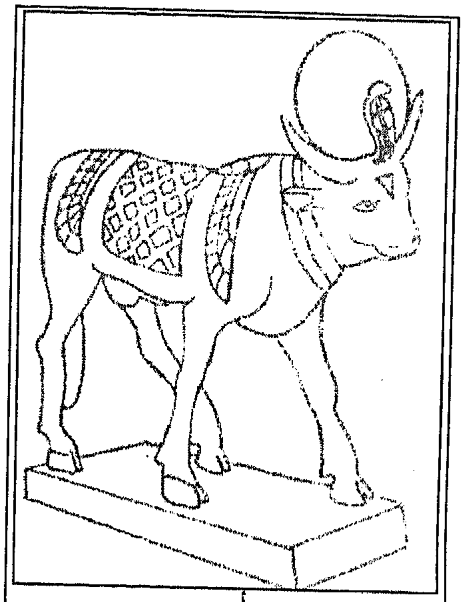

أبيس

أتوم :

المعبود الرئيسى لمدينة هليوبوليس ، مثله المصريون على هيئة آدمى يحمل فوق راسه قرص الشمس ، ويعنى إسمه التام والكامل واعتقد الناس انه خلق نفسه من نفسه على قمة التل الأزلى الذى انحسرت عنه مياه المحيط اللانهائى ، ومن ثم خلق من نفسه معبودين هما شو و تفنوت ، تزاوجا وأنجبا جب ونوت الذين تزاوجا وانجبا اربع معبودات : اوزيريس و ايزيس وست ونفتيس. وانجب اوزيريس وايزيس المعبود حورس. وهكذا تكون تاسوع هليوبوليس الذى انجبه الاله الاول اتوم ، وكذلك اخذت هليوبوليس بعبادة قرص الشمس تحت اسم "رع" واندمج الالهان سويا وعرفا باسم "أتوم رع" ولو أن المصرى عرف شمس الأصيل باسم اتوم.

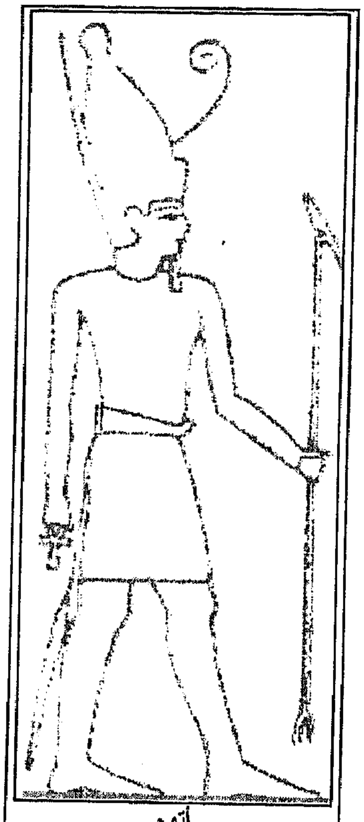

أتوم

أتون :

اطلق المصريون اسم "أتون" على قرص الشمس كجرم سماوى وسموا هذا القرص "رع" كمعبود وفى عصر تحتمس الرابع وعصر إبنه أمنحوتب الثالث (الأسرة ١٨). أطلق "أتون" على المعبود الشمسى. وجاء "أمنحوتب الرابع" ،(إخناتون) ورفع من قدره وحاول أن يجبر كهنة أمون على أن يعترفوا به كأحد معبودات معبد الكرنك (القلعة الحصينة لعبادة أمون ، ملك الآلهة وسيد البلاد والأله الخاص للأسرة المالكة) فقبلوه على حذر وسمحوا بتشييد معبد له فى رحاب الكرنك. ولكن سرعان ما أظهر أخناتون نياته وأفصح عن صفات معبوده الجديد : "انه الحرارة المنبثقة من قرص الشمس ، أنه رب الافقين الذى يتلألأ فى افقه باسمه كوالد لرع والذى عاد الينا كأتون". رفض كهنة أمون هذه النعوت واخذوا يناوئون الملك والمعبود الجديد فقوبلوا بقسوة شديدة ورحل اخناتون إلى عاصمة جديدة شيدها فى مصر الوسطى "آخت أتون" (تل العمارنه حاليا) ، وجرد حملة قوية هدفها محو كل اثر لأمون بتهشيم تماثيله وكشط اسمه من فوق آثاره

القائمة وتشتيت كهنته ، وأعلنها حربا شعواء على جميع آلهة مصر وطلب إلى الناس التعبد إلى اله واحد لاشريك له، هو "أتون" وابقى معه على المعبودة "ماعت" التى ترمز إلى جميع الكمالات الخلقية التى يجب توافرها للوصول إلى العدل المطلق والحقيقة العاريه والكمال فى قول الصدق ، وبهذا كان اخناتون اول من طالب الناس بالتوحيد فى الدين.

مثله فى رسومه على هيئة قرص الشمس تمتد منها أشعة ينتهى كل شعاع بيد بشرية تقبض على علامات تعنى الحياة والصحة والسؤدد ، ثم ألف انشودة طويلة تشرح صفات المعبود وتعدد مزاياه ، ويتضح منها انه قد رأى فيه معبودا عالميا ، لا يخص المصريين وحدهم، بل يخص شعوب العالم كله. ولم يقدر لأتون أن يبقى طويلا ، إذ كانت المعارضة أشد من قوة احتمال اخناتون الملك الفليسوف الذى تكاثرت عليه الأمراض فأصابه الوهن ، وانتهت عباده أتون بعد انتهاء حكم عائلة اخناتون ، وارتد الناس إلى دين البلاد المتوارث وسارع الجميع إلى الانتقام من أتون واخناتون بتحطيم آثارهما.

(انظر أمنحوتب الرابع "إخناتون")

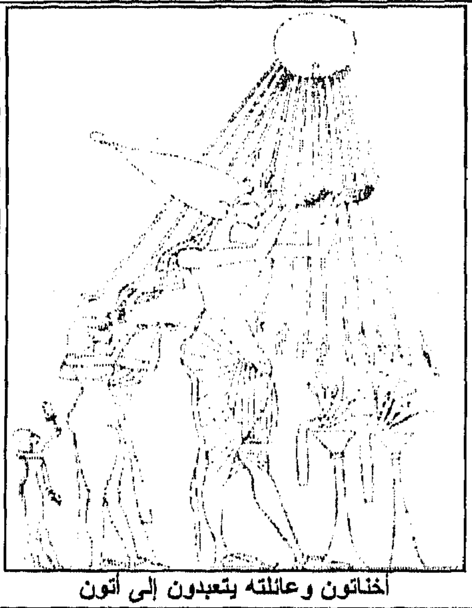
أخناتون وعائلته يتعبدون إلى أتون

الأثاث الجنازى :

عنى المصريون منذ اقدم العصور ، بتزويد الميت بما يلزمه من أثاث ، على أن ذلك ربما كان مقصورا فى بادئ الأمر ، على أسلحته وحليه ومواد زينته وبعض أوان فيها طعامه وشرابه ، غير أن هذا سرعان ما يتغير بازدياد الرخاء وتقدم الحضارة المادية ، فكان يودع مع الميت كذلك الأرائك والصناديق والمقاعد وتماثيل النساء والخدم والقوارب وأوان من الحجر والنحاس ، ولعل أهم ما كشف عنه من اثاث جنازى يرجع إلى عهد الدولة القديمة انما كان بقايا اثاث الملكة "حتب حرس" ففى عام ١٩٢٥م عثر "جورج رايزنر" على حجرة دفن ، شرقى الهرم الأكبر، لم يعرف اللصوص طريقهم اليها ، ومن ثم فقد عثر فى داخل هذه الحجرة على التابوت المرمرى الجميل ، والأثاث الجنائزى للملكة "حتب حرس" ام الملك خوفو ، وزوج سنفرو ، ومع أن التابوت وجد خاليا ، إلا أنه قد عثر على الاحشاء التى إستخرجت من الجسد فى صندوق من المرمر ، عرف باسم "الصندوق الكانوبى" ، ويذهب "جورج رايزنر" إلى أن الملكة ربما دفنت فى مقبرة بدهشور ، على مقربة من هرم زوجها الملك سنفرو ، وأن اللصوص قد اقتحموا قبرها وأخذوا الجسد بما عليه من جواهر وحلى ذهبية ، ولكنهم قبل أن يتمكنوا من سرقة بقية أثاثها اكتشف الحراس الأمر ، فنقلوا البقية الباقية منه إلى الجيزة ، وهناك قطعوا إلى جانب طريق المعبد الجنائزى للهرم الأكبر ، بئرا عميقا كدسوا فيه مابقى من محتويات المقبرة ، دون أن يحيطوا الملك خوفو علما بذلك.

وهناك فى احدى قاعات المتحف المصرى بالقاهرة، صفت محتويات الملكة حتب حرس ، ومنها اوان من المرمر وابريق من النحاس ، وثلاث اوان ذهبية ، وامواس وسكاكين من الذهب ، وادوات من النحاس ، وآلة ذهبية لتقليم الأظافر ، مدببه من أحد طرفيها لتنظيف الاظافر ، ومقوسة من الطرف الآخر لضغط

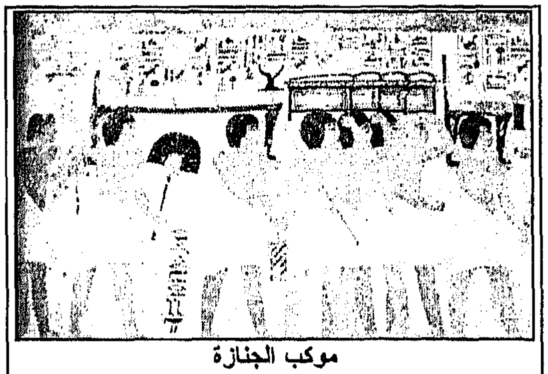
موكب الجنازة

اطراف اللحم عند الظفر إلى أسفل ، هذا وقد احتوى صندوق الزينة على ثمان أوان صغيرة من المرمر ، ملأى بالعطور والكحل ، فضلا عن عشرين خلخالا من الفضة ، ورصع كل منها بفراشات من الدهنج واللازورد والعقيق الأحمر.وهناك كذلك سرير الملكة المصفح بالذهب ، فضلا عن محفه مصنوعه من الذهب، مثبته فى لوح من الأبنوس ، ومكرره أربع مرات ، ويمكن ترجمتها كالتالى "أم ملك مصر العليا والسفلى تابعه الاله حورس رائدة الحاكم ، العزيزة التى تنفذ كل أوامرها ، ابنة الاله ، المولودة من صلبه، حتب حرس".

(انظر حتب حرس)

وبدهى أن أهم أثاث جنائزى عثر عليه انما كان من مقبرة "توت عنخ امون" والتى كشف عنها فى وادى الملوك بطيبة الغربية ، ذلك انه فى صباح يوم ٤ نوفمبر عثر "هوارد كارتر" على باب مختوم فى مكان عميق تخفيه بقايا تكونت فوق مقبرة رمسيس السادس ، وكان الباب يؤدى إلى اربع غرف منها إثنتان داخليتان سالمتان تماما ، واما الغرفة الخارجية عند المدخل فكانت تحوى اثاثا أعيد وضعه بسرعة وبغير ترتيب بعد أن حاول اللصوص نهبه وفشلوا ، اما الغرفة الرابعه فتقع وراء ذلك ، وكانت تستخدم للبقايا والمخلفات التى لم يكن من اليسير اصلاحها.

وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ أجرى رسميا إفتتاح الغرفة الخارجية أو الجنوبية التى فاقت محتوياتها كل ما شهده أو حلم برؤيته اى واحد ممن قاموا بعمليات الكشف عن الآثار فى مصر ، فقد عثر فى هذه الغرفة على ١٧١ قطعة من التحف ومختلف الآثار ، فهناك على الجدار الغربى لهذه الحجرة تركت على عجل صناديق صغيرة ومقاعد وكرسى ذو ثقوب ومزين بعلامات الخلود ، وعرش يتلألأ بالذهب والفضة وعجائن الزجاج ، وصناديق متنوعة تحوى حليا وملابس لم تكد تمسها يد، وكذا عناصر أربع مركبات مفككة ، ثم تمثال خشبى مرتفع أمامة صندوق كبير مطعم بالعاج والأبنوس ، وقد صورت على ضلعه مناظر للصيد والحرب ، كما عثر كذلك على مذبات مزدانه بريش النعام وحلى شتى ملقاه على الأرض أو فى داخل صناديق ، وأوان من المرمر وحوامل مشاعل من خشب وبرونز وصولجانات وعصى وأبواق وصناديق صغيرة تحوى حلى وملابس اخرى للملك ، منها تلك القفازات التى كانت تتيح للفرعون مزيدا من راحة إمساك أعنة جواده ، كما وجد بوق من البرونز عليه صورة الأله بتاح وأمون وحار آختى، ثم ثلاث عصى مزخرفة ، وأخرى ذات أطراف مقوسة ومزدانة بجسم رجل أسيوى أو زنجى أو هما معا ، وفى موضع آخر وجدت صلاصل من خشب مذهب ، وصندوق صغير ممتلئ بالأثواب والمناديل ومسائد الرأس ، وكذا تماثيل الأوشبتى الخشبية البديعة ، فضلا عن نواوس من الخشب المذهب.

وفى ١٧ فبراير ١٩٢٣ كسر الحائط الذى يفصل الغرفة الخارجية عن الغرفة الغربية التى يحرسها تمثالان حارسان على الجانبين بالحجم الطبيعى للملك (ما بين ١٦٧ سم ، ١٧٠ سم) ، وأن كان أهم ما فيها هيكل كبير مذهب ومحلى بالقاشانى وجدت بداخله ثلاثة هياكل أخرى مذهبه الواحد فى داخل الآخر ، وبداخل اصغرها تابوت ضخم من الكوارتز الاصفر يضم فى داخله ثلاثه توابيت فخمه ، وكان التابوت الأخير من الداخل من الذهب الخالص وبداخله مومياء الملك بقناعها الذهبى الرائع ، وكذا ثروة ضخمة من الحلى ، بين اللفائف تبلغ ١٤٣ حلية ذهبية ، وكان هناك سرير من خشب مذهب، منخفض جدا ، على شكل اسد ، يحمل وحده التوابيت الثلاثة والمومياء ، ويبلغ وزنها كلها ١٣٧٥ كيلو جراما ويبلغ وزن التابوت الذهبى وحده ١١٠,٤ كيلو جراما من الذهب الخالص وقد عثر خارج الهيكل الاول على عصا فاخرة مزينة بأزهار اللوتس المصفحة بالذهب والفضة وعجينة الزجاج ، وكان أمام الهيكل الثانى عصى أخرى ، أجملها اثنتان ، الواحدة من الذهب ، والاخرى من الفضة ، وكل منهما مزدانة بمقبض فى صورة الملك .

وأما الغرفة الشمالية أو غرفة الكنز ، فتضم صندقا كبيرا يشبه مقصورة مقدسة تضم تحت أغلفة عديدة احشاء الملك المودعة فى أوعيه كانوبية ، وعلى عتبة الباب حامل لصندوق كبير من الخشب المذهب على شكل صرح المعبد تمثال فخم مدهون بطلاء أسود للاله أنوبيس ، ملفوف بقماش من كتان ، فلا يظهر منه الا

راسه وفمه المدبب وعينه المرصعتان بالذهب وأذناه الموشتان بمعجون نفيس ، وإلى الخلف برز رأس بقرة من الذهب ، لها قرنان من النحاس على شكل قيثارة تمثل الآلهه حتحور ، وإلى الوراء ثلاثة كئوس من الألبستر تحتوى على اشياء مختلفة من الطقوس الجنازية، ثم هناك مجموعه الأوعية الكانوبية موضوعة على زحافة ، وتحمل العمد الجانبية الأربعة إفريزا تزينه ثعابين على راس كل منها قرص الشمس، وثمة مظلة تحمى الصندوق الأوسط ، وفى خارج المقصورة تقف الآلهات الأربع الحارسات ، ايزيس ونفتيس ونيت وسلقت ، وفى داخل هذا الاثاث المذهب استقر صندوق من الالبستر على زحافة ، وعلى زواياه برزت الآلهات الاربع باسطة أذرعها اللاصقة بجوانب الصندوق فى هيئة مماثلة ، وحفر فى كتلة الصندوق فراغ يسمح بوضع الجزء العلوى من أربعة أوعية من الالبستر إستقرت فى أربعة أقسام ، ويعلو كل منها غطاء فى صورة رأس توت عنخ أمون مزين بالنمس مع العقاب والكوبرا المقدسين على الجبهة ، وعندما رفعت الأغطية ذات الرؤوس الآدمية ، ظهر فى كل قسم تابوت مصغر من الذهب وضعت فى داخله أحشاء الملك فى شكل مومياء ، وخصص كل وعاء كانوبى لاله من الذكور ، وجعل بطن كل وعاء فى حمى الهة انثى ، وهناك على طول الحائط الجنوبى صناديق على شكل الناؤوس من خشب مسود ، مغلقة ، ما خلا واحدا، ابوابه مفتوحه ، تتلألأ خلالها دمية غريبة بديعة من الخشب المذهب وموضوعة على فهد اسود لامع فى وضع المشى واما بقية النواويس السود الصغيرة فكانت تحتوى على تماثيل صغيرة للملك أو الآلهة من خشب مذهب أو مسود بالراتنج ، منها سبعة تماثيل فى صورة الملك وتسعة وعشرون تمثالا تمثل الآلهة، وعيونها مرصعه بالألبستر وحجر زجاجى أسود مطعم بالبرونز ، وكذا بعجينة الزجاج ، وفوق هذه الصناديق تكدست مجموعة من زوارق يتجه مقدمتها صوب الغرب وتتجلى فيها جميع الأشكال ، مثل الزورق المصنوع من البردى المستخدم فى مطاردة فرس النهر ، إلى السفن المخصصة لرحلة الميت الجنائزية أو المركب الذى يتيح له الاشتراك فى رحلة اله الشمس فى عالم الموتى ، وكل هذه السفن مزودة بقمرة أو هيكل ، وامام الصناديق التى تحتوى على التماثيل الصغيرة المذهبة والسوداء التى تصور الملك والارواح ، والموضوعة على طول الحائط الجنوبى ظهر سته صناديق صغيرة وعلب ذات اشكال مختلفة ، واحد منها مكفت بالعاج والأبنوس بصورة فريدة ، وقد أحصى "كارتر" فيه ٤٥ ألف قطعة مرصعة، كما عثر على حلة للصدر فاخرة ومزينة بقارب فى وسطه جعل (جعران) يدفع قرص الشمس ، حيث شريط عريض من معدن ثمين معلق به حلية للصدر ، وسلة بدلا من القارب وتشكل المجموعة المكونة من الحبل والسلة والشمس اسم الملك توت عنخ أمون "نب خبرو رع" ، وهو الاسم الذى أخذه عند التتويج ، وكل ذلك من ذهب وأحجار كريمة ، وأما الصندوق الثانى فكان على شكل الخرطوش الملكى ، وقد برزت على الغطاء المصفح بالذهب ، والمحفوف بالأبنوس ، بعض النقوش الهيروغليفيه المرصعة بالعاج والأبنوس ، والتى استخدمت فى كتابه "توت عنخ امون" وهو اسم الملك الذى حمله قبل تتوجه ، وكان هذا الصندوق مليئا بالمجوهرات المكدسة فى غير نظام ، وهى عبارة عن طن اقراط وأساور من اللازورد وعجائن الزجاج والفيروز والعقيق والجمشت واليشب الأحمر ، هذا فضلا من عدة صناديق أخرى تحوى اشياء كثيرة أو قليلة من اثاث الفرعون الجنازى.

وفى أخريات نوفمبر عام ١٩٢٧م بدأ "كارتر" العمل فى الحجرة الرابعة أو الملحق ، حيث كشف عن تكدس لا يتصوره العقل لأشياء منوعة قلبها اللصوص ، وتركها مفتشو الجبانة كما هى ، وعلى اى حال ، فلقد كشف عن اربعة أسرة من نمط واحد ، منها سريران من الابنوس ، أحدهما مكسو بصفيحة سميكة من الذهب ، والثانى مذهب ، ثم سرير ثالث قابل للطى ، ثم هناك عرش فخم من خشب الابنوس المطعم بالعاج ، وبعض اجزائه مصفحه بالذهب والأخرى مطعمة بالخزف والاحجار الرقيقة ، والى جانبه كرسى من القش، اعتبره المنقبون من مقاعد الحديقة ، وبجواره كرسى آخر مدهون بطلاء ابيض ، ثم كرسى ثالث

بدون ظهر ومطلى بلون ابيض ، ثم مقعد نصف دائرى ووسادة مستديرة ، ثم هناك خزانتان نفيستان مزودتان باربع أرجل طويلة من خشب الأرز الأحمر القاتم والابنوس ، وبهما افريز من التمائم من علامة اوزيريس وعقدة إيزيس على الخزانة الأولى ، وعلامة "عنخ" (الحياة) متبادلة مع صولجانات "واس" (القوة الالهية) ، ثم هناك علبه خشبية مربعة فى داخلها ما يشبه المشجب لابد انها كانت قلنسوة الملك ، لم يبق منها الا آثار من قماش كتانى وبضع خرزات رقية من ذهب ولازورد وعقيق وفلسبار ، ثم من الابنوس لملابس الملك ، إلى جانب صندوق كبير على شكل القوس به قسى وسهام وعصى وسيوف وتروس ، إلى جانب مجموعة من العصى والهراوات مزخرفة بالذهب أو الفضة أو مطعمة بالخشب أو العاج، ثم مراوح صغيرة وكبيرة ، ثم مجموعة من تلك اللعبة ذات الثلاثين قسما ، ماتزال بها أحجار اللعب بأحجام مختلفة، ويدخل فى صناعتها الابنوس والعاج والذهب ، ثم مجموعة الاوانى التى حوت الادهان والمؤن من يابس وسائل ، بقى منها ٨٤ آنية من الألبستر ، وجدت فارغة ، ثم ١١٦ سلة موضوعة فوق الاوانى تحتوى على فواكه جافة وبذور كالعنب والدوم والماندراجور (تفاح الجن) وبذور الشمام وغيرها ، ثم ٣٦ جرة من النبيذ ، على بعض سداداتها آخر سنة من حكم توت عنخ آمون ، وهى السنة التاسعة.

(انظر توت عنخ أمون).

الأحجار:

١ - أنواع الأحجار التى استعملت فى مصر قديما

حبت الطبيعة أرض مصر أنواعا عدة من الأحجار الجميلة منها ما هو لين ومنها ما هو صلب ، مما جعل مصر منبت صناعة الأحجار واستعمالها فى كل العالم . ولا غرابة إذن ، إذا وجدنا مصر أعظم أمم العالم إتقاناً وحذقاً لفن البناء . وقد ضربت بسهم صائب فى هذا المضمار منذ اقدم العهود وبخاصة أنها قد توصلت إلى استعمال الآلات النحاسية لقطعها منذ عصر ما قبل التاريخ . وقد جاء على أثر ذلك استعمال الأحجار فى البناء منذ عهد الأسرة الأولى وسنتكلم هنا أولاً عن الأحجار التى استعملها المصرى فى البناء ثم نتبع ذلك الكلام عن الأحجار التى استعملها لصنع الأوانى ، والتماثيل والأثاث . والأحجار التى كان يعدها المصرى ثمينة ، أو شبه ثمينة وهى التى لا يعد بعضها فى نظرنا اليوم كذلك.

وأهم أحجار البناء ما يأتى :

الحجر الجيرى الأبيض : ويكثر وجوده فى التلال التى تحف وادى النيل من القاهرة إلى ما بعد مدينة إسنا بقليل ، وكذلك يوجد فى نقط مختلفة ما بين إسنا وقرب أسوان . فمثلاً يوجد على شاطئ النهر فى "فرس" بجوار السلسلة ، وبالقرب من كوم امبو . أما فى الوجه البحرى فيوجد بالقرب من الاسكندرية عند المكس وفى جوار السويس وقد ظل المصريون يستعملون هذا النوع من الحجر ، حتى منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة ، إذ أخذ وقتئذ يحل محله بكثرة الحجر الرملى ، غير أن استعماله لم يهمل دفعة واحدة، إذ استعمله "سيتى الأول" فى بناء معظم معبده بالعرابة المدفونة ، وفى بعض أجزاء معبد "رمسيس الثانى" فى هذه البقعة أيضاً ، يضاف إلى ذلك أن بعض المقابر من كل العصور كانت تنحت فى صخور هذا الحجر ، كما يشاهد ذلك فى الجيزة؛ وسقارة وطيبة ، وغيرها .

وأحسن أنواع هذا الحجر كانت لها محاجر خاصة تقطع منها كمحاجر طرة والمعصرة؛ والجبلين؛ وهى التى يمكن مشاهدة آثارها القديمة إلى يومنا هذا ، وقد عثر فى محاجر طرة على نقوش يرجع عهدها إلى الأسرة الثانية عشرة وتمتد إلى الأسرة الثلاثين. غير أنه لدينا وثائق ونقوش ، تدل على أن قطع الأحجار من طرة يرجع إلى الأسرة الرابعة ، ولكن مما لاشك فيه ، أن أحجار هذه الجهة كانت تستعمل فى بناء آثار سقارة منذ الأسرة الثالثة ، بل ومن المؤكد منذ الأسرة الأولى، إذ وجدت بعض أحجار من طرة داخلة فى مبانى هذه الفترة.

أما محاجر المعصرة ، فالنقوش التى عليها ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة حتى عصر البطالمة . وفى محاجر الجبلين نجد نقوشاً من الأسرة التاسعة عشرة حتى العصر الرومانى .

وهناك محاجر أخرى عليها نقوش فرعونية ، فنجد فى البرشا مثلاً محجراً عليه خرطوش من عهد الأسرة الثلاثين ، وبالقرب من العرابة عثر على محاجر قديمة، وفى قاو الكبير توجد محاجر عليها نقوش ديموطيقية وفى بنى حسن توجد محاجر تمتد أكثر من ثلاثة أميال على حافة التلال .

وقد كسيت أهرام الجيزة بأحجار من طرة . أما البناء الأصلى فكما ذكرنا قد قطعت أحجاره من محاجر محلية، عثر عليها حول الأهرام نفسها أما قول الأستاذ "بترى" بأن أحجار الهرم قطعت من طرة فلا صحة له . وربما كان لكتّاب الأغريق والرومان العذر فى قولهم أن أحجار الأهرام قطعت من طرة ، وذلك لأن الأهرام فى عصرهم كانت لا تزال مكسوة بأحجار طرة ، ولذلك حكموا بأن كل الأهرام قد بنيت من هذا الحجر .

والظاهر أن أحجار طرة كانت أجود أصناف الأحجار الجيرية ، ولذلك لا يبعد أن يكون الملوك قد استعملوها فى بناء معابدهم ، حتى بعد نقل العاصمة إلى طيبة التى لم يكن بجوارها صنف ممتاز لبناء معبد كمعبد "أمنحتب الأول" الذى تشبه أحجاره كثيراً أحجار طرة .

على أن الحجر الجيرى لم يقتصر استعماله على البناء فحسب بل كان يستعمل فى أغراض أخرى كنحت التماثيل ، وذلك لسهولة العمل فيه . وقد تجلى فن إتقان التماثيل فى هذا النوع من الحجر فى عهد الأسرتين الخامسة والسادسة فى الجيزة وسقارة ، وكذلك كانت تصنع منه الأبواب الوهمية وموائد القربان ، وغير ذلك من الأثاث الجنازى.

الحجر الرملى: وهو مركب من كوارتس رمل ناتج من تحلل صخور قديمة ومتماسك بعضه مع بعض بكميات قليلة من الطين والجير والحديد ، وتتألف منه التلال الممتدة من إسنا على حافتى النيل من أسوان ، ثم من "كلابشة" إلى وادى حلفا . على أن المصريين لم يستعملوا الحجر الرملى مادة للبناء إلا منذ الأسرة الثامنة عشرة . ولكن رغم ذلك وجدت منه بعض كتل مستعملة فى المبانى يرجع عهدها إلى ما قبل الأسرات ، وكذلك استعمل فى عهد الأسرة الحادية عشرة فى الأساس ، وفى رصف الأرضية وفى العمد ، وفى أحجار السقف ، وفى حجرة العمد فى معبد "منتوحتب" فى الدير البحرى.

على أن انتشار استعمال هذا الحجر لم يبدأ إلا فى منتصف الأسرة الثامنة عشرة إذ الواقع أن بناء معظم معابد الملوك منذ هذه الفترة حتى العصر الرومانى كان من هذا الحجر ؛ وأهم هذه المعابد ما يأتى : معبد الأقصر ، والكرنك والقرنة ، والرمسيوم ، ومدينة هابو، ودير المدينة ، ودندرة ، وإسنا ، وأدفو ، وكوم امبو ؛ وفيلة ، وكذلك المعابد التى فى بلاد النوبة ما بين أسوان ووادى حلفا ، يضاف إلى ذلك معابد الواحات الواقعة فى الصحراء الغربية . على أن هناك معابد قد بنى بعضها بالحجر الجيرى الأبيض وبعضها بالحجر الرملى ، ونخص بالذكر منها معبد "تحتمس الرابع" ومعبد "مرنبتاح" أما معبد "حتشبسوت" بالدير البحرى فقد بنى كله بالحجر الجيرى الأبيض .

وأهم محجر رملى يقع عند السلسلة على النيل على مسافة ٤٠ كيلو متراً شمالى أسوان بين أدفو ، وكوم امبو، ويوجد عليه نقوش منذ الأسرة الثامنة عشرة حتى العصر الرومانى ، وكذلك توجد محاجر سراج على مسافة ٣٠ ميلاً جنوبى أسوان ، وفى بلاد النوبة فى قرطاس على بعد ٢٥ ميلاً جنوبى أسوان أيضاً ، وهذه المحاجر الأخيرة كانت مستعملة حوالى الأسرة الثلاثين حتى العصر الرومانى ، وبخاصة لقطع الأحجار التى بنى بها معبد قرطاس ، ومعبد فيلة . أما الأحجار التى بنيت بها معابد بلاد النوبة فكانت تقطع من محاجر بالقرب من تلك المعابد نفسها ، كما يشاهد ذلك فى المحاجر الصغيرة القريبة من دابود ، وتافا ، وبيت الوالى .

حجر الجرانيت : تطلق لفظة جرانيت على فصيلة كبيرة من الأحجار المتبلورة البركانية الأصل ، وهى ليست منسجمة فى تركيبها كالحجر الجيرى ، أو الحجر الرملى بل فى الواقع تتركب من عدة عناصر مختلفة أهمها الكوارتس والفلسبار ، والميكا ، غير أن السليكون هو المادة السائدة فى تكوين هذا الحجر .

وقد استعمل الجرانيت مادة للبناء ، منذ بداية عصر الأسرات ، وقد ذكرنا فيما سبق استعماله فى البناء ، وفى كسوة الهرم الثالث وفى بناء معبد الهرم الثانى لخفرع ، وفى داخل الأهرام . والجرانيت الذى كان يستعمل فى أقدم العهود ، هو الجرانيت المحبب المستخرج من أسوان وكان الجرانيت الرمادى يستعمل كذلك ، ولكن بقلة .

ولا نزاع فى أن الجرانيت السيينى التى ذكره "بلينى" نسبة إلى قطعة من "سيينى" (أى أسوان) هو الحجر الجرانيتى الأحمر ، غير أن لفظة "سيينى" الآن تستعمل للدلالة على الصخور الجرانيتية ذات اللون الرمادى القاتم .

ويوجد الجرانيت منتشراً فى أماكن عدة فى جهات القطر ، ولكنه يكثر فى أسوان ، وفى الصحراء الشرقية، وفى سيناء ، وبكميات قليلة فى الصحراء الغربية . وأهم محاجره فى أسوان اثنان أحدهما على مسافة كيلو متر جنوبى المدينة والثانى يقع على الجانب الشرقى من الهضبة . على أنه توجد محاجر صغيرة فى جزيرتى الفنتين وسهيل ، وكذلك فى أماكن أخرى قليلة، وقد ذكرت محاجر أسوان والفنتين والمحاجر التى عند الشلال الأول فى الوثائق القديمة منذ الأسرة السادسة ، يضاف إلى ذلك محجر فى مكان يدعى "إبهت" لم يعين مكانه بالضبط بعد ، غير أنه من المحقق أنه يوجد بجوار الفنتين .

ولا نعرف محاجر للجرانيت استغلها قدماء المصريين خلافا لمحاجر أسوان وما جاورها ، إلا محجر الجرانيت الأحمر فى وادى الفواخير ، وهو جزء من وادى حمامات بين قنا والقصير . ولا نعرف تاريخ بداية العمل فيه ولكن من المحتمل أنه فتح فى عهد الرومان .

وقد كان الجرانيت يستعمل بقلة منذ عهد ما قبل الأسرات لأغراض أخرى غير البناء ، وبخاصة فى صنع الأوانى ، والأطباق ؛ وفى بداية عصر الأسرات كثر استعماله ، وذلك لكثرة استعمال الآلات النحاسية . وكان كذلك يستعمل لعمل التوابيت ثم لنحت التماثيل والمسلات ، واللوحات ، وأشياء أخرى .

حجر المرمر : يعرف اسم المرمر عادة بكلسيوم السلفات (الجبس) . ولكن المرمر المصرى يختلف عنه تماماً إذ يتركب من كربونات الكلسيوم . والمرمر المصرى هو حجر مكون من كربونات الكلسيوم المتبلور والمضغوط ، ويكون لونه أبيض ، أو أبيض مائلاً إلى الصفرة وقطاعاته الرقيقة تكون شفافة بعض الشئ ذات عروق فى غالب الأحيان ، وقد كان المرمر يستعمل فى رصف الممرات وكسوة الحجر ، وفى عمل المحاريب ، وبدئ استعماله منذ الأسرات الأولى إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة ؛ فمثلاً استعمل فى حجرة فى هرم سقارة المدرج (الأسرة الثالثة) وفى حجرة فى معبد الوادى للملك "خفرع" ، وفى هرم "أوناس" بسقارة (الأسرة الخامسة). وكذلك فى عهد ملوك الأسرة السادسة فى رصف الجزء الأوسط من معبد هرم "تيتى" وفى الأسرة الثانية عشرة فى محراب معبد الملك "سنوسرت الأول" فى الكرنك الخ.

ويوجد المرمر فى سيناء ، وفى أماكن أخرى مختلفة فى الصحراء على الشاطئ الشرقى للنيل. فنجد منه محاجر فى وادى جراوى بالقرب من حلوان يرجع عهدها إلى الدولة القديمة ، وفى الصحراء الواقعة بين القاهرة والسويس ، وفى مغاغة ، حيث قطعت منه الأحجار فى عهد محمد على وفى الأقليم الواقع ما بين المنيا وجنوبى أسيوط ، وفى هذا الأقليم تقع أهم المحاجر القديمة لهذا الحجر ، وأهمها محجر "حتنوب" الواقع على بعد ١٥ ميلاً شرقى العمارنة ، وفيه نقوش يرجع عهدها إلى الأسرة الثالثة ، حتى الأسرة العشرين وهناك محجر آخر فى الجنوب واقع فى وادى أسيوط استعمل فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، ثم استعمل ثانية فى عهد محمد على وقد ذكره الكتاب الأغريق منذ القرن الرابع قبل الميلاد .

والواقع أن هذا النوع من الحجر كان محبباً لدى المصريين القدماء وذلك لأنه كان جميل المنظر بعد الصقل هذا بالإضافة إلى أنه كان ليناً يسهل العمل فيه. وفوق استعماله للبناء فإنه كان يتخذ لأغراض أخرى فقد عثر على أدوات منه فى عهد ما قبل الأسرات إلى أواخر العهد الفرعونى وما بعده ؛ فكانت تصنع منه الأوانى العدة ، ورءوس الدبابيس الجميلة الأشكال وتنحت منه التوابيت منذ الأسرتين الثالثة والرابعة كتابوت الملكة "حتب حرس" وتابوت الفرعون "سيتى الأول" ؛ يضاف إلى ذلك أن الأوانى التى كانت توضع فيها أحشاء المتوفى وموائد القربان ، والأطباق والجرار، والتماثيل كانت تصنع منه أحياناً ، وبخاصة فى عصر الدولة القديمة إذ وجدت كميات ضخمة من الأوانى فى هرم "زوسر" مصنوعة من هذا الحجر .

حجر البازلت : هذا الحجر لونه أسود ثقيل الوزن متماسك الذرات تظهر حباته فى أغلب الأحيان بريقاً ، وهو على نوعين ، النوع الأول حباته دقيقة جداً لا

يمكن تمييزها إلا بآلة الميكروسكوب وهو البازلت الحقيقى أما النوع الثانى فيمكن تمييز حباته بالعين العادية ، وهو ما يسمى "الديوريت" ، ونوع البازلت الذى يستعمل فى مصر هو فى الواقع ديوريت ذو حبات دقيقة ، وكان يستعمل فى عهد الدولة القديمة لرصف بعض أجزاء من المعابد كما يشاهد ذلك فى رقعة هرم "خوفو" التى لا يزال جزء منها باقياً إلى الآن؛ ومن هذا الحجر كذلك رصفت بعض أجزاء من معابد ملوك الأسرة الخامسة فى سقارة كالردهات والطرق الجنائزية، وبعض الحجرات وكذلك بعض أجزاء معابد الشمس فى "أبوصير" الواقعة بين الجيزة وسقارة .

ويوجد حجر البازلت فى جهات عدة من القطر كمحاجر "أبو زعبل" والمحاجر الواقعة فى الشمال الغربى من أهرام الجيزة فى منطقة أبو رواش وفى الصحراء الواقعة بين القاهرة والسويس ، وفى الفيوم، وعلى مسافة قريبة من الجنوب الشرقى من سمالوط ، وفى أسوان ، وفى واحة البحرية ، وفى الصحراء الشرقية وسيناء.

والظاهر أن البازلت الذى كان يستعمل فى عهد الدولة القديمة فى الجبانة الممتدة من الجيزة إلى سقارة قد جلب من الفيوم . إذ ليس هناك أى دليل على أن البازلت الذى كان يستعمل فى هذه الجبانة قد جلب من "أبو زعبل" ، وبخاصة إذا علمنا أن نوع البازلت الذى استعمل فيها يقرب من النوع الذى فى الفيوم .

وقبل أن يستعمل حجر البازلت فى البناء كان يستعمل رغم صلابته فى عمل الأوانى التى يرجع بعضها إلى العصر الحجرى الحديث ، وعصر البدارى وعصر ما قبل الأسرات . يضاف إلى ذلك أنه عثر على روءس بلطات منه من العصر الحجرى الحديث ، وقد استعمل البازلت أحياناً فى عمل التوابيت ، ومن المحتمل أن تابوت الملك "منكاورع" الذى غرق فى البحر كان من هذا الحجر ، غير أن هناك عدة توابيت ظن أنها من البازلت ؛ ولكنها فى الواقع من الشيست الرمادى الأزرق الخفيف .

وكان البازلت يستعمل كذلك فى عمل التماثيل ، والناس أحياناً يخلطون بين الجرانيت الرمادى ، والجرانيت الأسود ، والشيست ، وبين البازلت . ومن أجل ذلك كانت تعرف أشياء بأنها بازلت ، والواقع أنها ليست بازلت.

حجر الكوارتسيت : وهو أحد أنواع الحجر الرملى المتماسك الحبات وقد تكون من الحجر الرملى العادى متماسك بالسليكا المتداخلة باختلاط كوارتس متبلور بين حبات الرمل ، وتختلف ألوانه ونسجه فيكون أبيض أو مائلاً إلى الصفرة أو أحمر كما تكون حباته دقيقة أو غليظة ، ويوجد فى الجبل الأحمر القريب من القاهرة، وفى الصحراء الواقعة بين القاهرة والسويس ، وفى مغارة على طريق بير حمام وفى منخفض وادى النطرون وكذلك على قمم تلال الأحجار الرملية فى النوبة فى شرق النيل حتى شمال أسوان ، وفى سيناء.

ولم يستعمل فى المبانى بكثرة ، ومعظم ما نعرفه أنه صنع منه بعض أعتاب أبواب لهرم الملك "تيتى" فى سقارة وفى كسوة حجرة الدفن فى هرم هوارة . (الأسرة الثانية عشرة). وكذلك فى الهرم الشمالى والهرم الجنوبى فى مزغونة (الأسرة الثانية عشرة). ومحاجر الجبل الأحمر لا تزال مستعملة وقد كان على صخورها نقوش، ولكنها اختفت الآن ، وهذا المحجر والأحجار التى كانت تقطع منه قد جاء ذكرها مرات عدة فى الوثائق القديمة .

وكان يستعمل هذا النوع من الحجر خلافاً للمبانى فى عمل التوابيت والتماثيل كالتابوت الذى فى هرم هوارة من (الأسرة الثانيه عشرة) ، وتابوت "تحوتمس الثالث"، و "حتشبسوت" ، و "توت عنخ آمون". وكلها من الأسرة الثامنة عشرة ، وكرأس الملك "ددف رع" من الأسرة الرابعة ، وتمثال الملك "سنوسرت الثالث" من الأسرة الثانية عشرة ، و "تحوتمس الرابع" ، و "سنموت" (الأسرة ١٨) وتمثال الإله "بتاح" (الأسرة ١٩). وهناك شك فى أن تمثالى "ممنون" (امنحوتب الثالث) مصنوعان من هذا النوع من الحجر .

٢-الأحجار التى استعملها المصرى فى غير البناء:

وهناك أحجار أخرى استعملها المصرى غير ما ذكرنا فى صنع التوابيت والتماثيل ، والأشياء الصغيرة كالكئوس والأوانى ، والآلات والأسلحة . وأقدم شئ بقى لنا فى مصر إلى الآن هو ما صنع من حجر الظران.

والواقع أن أنواع الأحجار التى استعملت فى مصر

وتمييز بعضها عن بعض من أعقد الأشياء التى تعترض عالم الآثار فى بحوثه ؛ وسنكتفى هنا بذكر هذه الأحجار واستعمالها على أبسط وجه ، غير متدخلين فى التفاصيل الفنية.

حجر البرشيا : هو حجر مركب من قطع ذات زوايا حادة ، وتوجد منه أنواع مختلفة فى مصر فمنها الأحمر المائل إلى البياض ، والنوع الأخضر وهو صخر مختلط بأم من مادة أخرى ، أما البرشيا الحمراء والبيضاء فتتألف من قطع بيضاء مختلطة بأم حمراء ويوجد بكثرة على الشاطئ الغربى للنيل فى مواطن عدة. فيوجد فى شمال المنيا ، وبالقرب من أسيوط . وفى طيبة ، وبالقرب من أسنا ، وكذلك فى الصحراء الشرقية ، وهذا الحجر كان يستعمل على وجه خاص فى عهد الأسرات الأولى فى صناعة الأوانى ، ثم اختفى بعد ذلك حتى العهد الرومانى إذ كان يصدر وقتئذ إلى إيطاليا .

أما البرشيا الخضراء فتحتوى على قطع من صخور ذات أوصاف مختلفة جداً مدفونة فى أم مختلفة اللون . واللون الأخضر هو السائد غير أنه ليس بالبرشيا الأصلية .

وتوجد البرشيا الخضراء فى مواطن عدة ، وأحسن المعروف منها فى وادى حمامات ، غير أن هذا المكان لم يستعمل إلا فى العصور المتأخرة وتوجد البرشيا كذلك عند فم وادى دب ، وفى المنطقة الواقعة غربى جبل دارا ، وجبل منفول ؛ فى سلسلة العرف ، وفى جبل حمادة . وكل هذه الأماكن واقعة فى الصحراء الشرقية ، وكذلك يوجد فى سيناء .

حجر الديوريت ، أو حجر جبل النار : ويطلق على فصيلة من الحجر المتبلور ذى الحبوب ، ويتألف من الفلسبار الأبيض والهرنبلند الأسود وتكون حباته دقيقة أو غليظة ؛ ويوجد فى مصر بكثرة فى مواطن عدة وبخاصة فى أسوان وفى الصحراء الشرقية والغربية وفى سيناء ، ويرجع استعمال الديوريت إلى العصر الحجرى الحديث . إذ عثر منه على قطع من لوحات وعلى رأس بلطة والديوريت الذى كان مستعملاً فى مصر قديماً على أنواع عدة مختلفة ؛ فواحد منها حباته غليظة ، ولونه أسود أبيض ، وكان يستعمل فى عصر ما قبل الأسرات ، وفى الأسرات الأولى لعمل رءوس الدبابيس والكئوس والأوانى ، وأحياناً لعمل اللوحات الصغيرة . وهذا النوع الخاص كان يجلب من أسوان ، وكذلك كان يجلب نوع مشابه لذلك من الصحراء الشرقية من التلال الواقعة بين قنا والقصير فى وادى سمنه . وقد استغل الأخير فى العهد الرومانى، وهناك نوع آخر سماه علماء الآثار ديوريت ، وهو الذى نحت منه تمثال الملك "خفرع" المشهور بالمتحف المصرى ، وقد استعمل هذا النوع فى عهد الدولة القديمة ، وهو ذو بقع بيضاء وسوداء ، ويختلف كثيراً فى ظاهره حتى فى القطعة الواحدة ، ولكن فى معظم الأحيان يكون رمادياً قاتما . أو رمادياً فاتحا ، أو أبيض معرقاً بالأسود والنوع الأخير كان يستعمل كثيراً فى صناعة الأوانى والكئوس . أما الأنواع الأخرى فكانت تستعمل فى عمل التماثيل وبخاصة فى عهد الأسرة الرابعة

وقد عثر حديثاً على المكان الذى كان يستخرج منه هذا النوع من الحجر فى الصحراء الغربية على مسافة ٤٠ ميلاً فى الشمال الغربى من أبو سنبل ببلاد النوبة.

وهناك نوع آخر من الديوريت البروفيرى ، يتركب من أم لونها أسود فيه بلورات كاملة التكوين كبيرة فى وسط أم سوداء فيها قطع بيضاء ناصعة .

حجر الديوريت : وهو نوع من البازلت الخشن ، وليس بينهما فوارق محدودة ؛ ويوجد فى الصحراء الشرقية بالقرب من القصير ، وبالقرب من جبل الدخان وفى سيناء . ومن أهم استعماله صنع المدقات التى كانت تستعمل فى صناعة الأحجار الصلبة ، ويمكن رؤية كرات كبيرة منه ملقاة فى محاجر الجرانيت القديمة فى أسوان ، وفى محاجر الكوارتسيت بالجبل الأحمر القريبة من القاهرة . وقد بقيت هذه الآلات منذ عهد قدماء المصريين دليلاً قاطعاً على إستعمالهم آلات صالحة لصناعة هذه الأحجار .

حجر الدولميت : وهو كما عرفه "فلندرزبترى" حجر صلب غير شفاف لونه أبيض يتخلله عروق تكون أحياناً ناصعة البياض ، ولكن فى معظم الأحيان تكون رمادية، وأحياناً تكون سوداء ويقول الكيميائى "لوكاس" أن كل الأنواع التى فحصها بيضاء يتخللها عروق أو بقع رمادية قاتمة ، ويوجد فى الصحراء الشرقية فى

عدة أماكن ؛ وكان يستعمل فى عصور الأسرات الأولى لعمل الكئوس والأوانى ؛ ثم أستعمل فيما بعد فى أشياء أخرى وقد ذكر "بترى" أنه عثر على أربعة وأربعين إناء مما يسميه هو بالمرمر الدولميتى من عهد الأسرة الأولى.

حجر الظران أو الصوان : وهو أول حجر استعمل فى مصر وفى باقى أمم العالم قبل معرفة النحاس. وقد صنع إنسان العصر الحجرى أسلحته وأدواته من هذا الحجر حتى بعد كشف النحاس ، ولكن بكميات قليلة ، وقد استمر استعماله فى عمل أدوات الزينة التى كانت لمجرد أتباع التقاليد المحضة ؛ ويشتمل الظران على نوع متماسك جداً من السليكا وهو رمادى قاتم؛ أو أسود اللون ، وينكسر على شكل شظايا ؛ ويكون حده قاطعاً ، ويوجد بكثرة فى أماكن مختلفة فى مصر على هيئة عقد صغيرة وطبقات فى صخور الحجر الجيرى وكذلك يوجد مبعثراً على سطح الصحراء، وذلك بعد أن تخلص من الصخور الجيرية بفعل التعرية.

الجبس : هو المادة التى كان يستعملها قدماء المصريين بدلاً من الجير لبياض الجدران حتى عرف استعمال الجير فى عهد البطالمة ؛ وهو مادة طبيعية تختلف كثيراً فى اللون والتركيب ، فقد يكون لونها أبيض أو رمادياً متنوع الألوان ، أو أسمر خفيف السمرة وأحياناً يكون وردياً خفيفاً وهو يوجد فى الطبيعة على شكل قطع بلورية مبعثرة غير صالحة للحفر عليها كما يوجد على هيئة صخور متماسكة التركيب . كالتى توجد فى منطقة مريوط غربى الإسكندرية ، وبين الإسماعيلية والسويس ، وفى الفيوم كما توجد بكثرة زائدة قرب ساحل البحر الأحمر.

ويشبه الجبس فى شكله المرمر ، ولذلك يسمى أحيانا مرمرا. وفضلا عن استعماله ملاطا فإنه كان يستعمل بقلة فى مصر القديمة فى عمل الأوانى والأطباق ، كما أشارت إلى ذلك "مس كيتن تومسن" فى عهد الأسرة الثالثة ، وكذلك عثر الأستاذ بترى على أوان عدة من عهد الأسرتين الثانية والثالثة من مصنع الفيوم وكذلك عثر على أشياء من محتويات قبر "توت عنخ آمون" مصنوعة من هذه المادة . وعثر بترى على طبق من عصر ما قبل التاريخ من الجبس .

ويمتاز الجبس عن المرمر بأنه أكثر نعومة ، ويمكن التأثير فيه بالظفر فى حين أن المرمر لا يمكن التأثير فيه بأى شئ أقل متانة من الصلب .

الأبسديان وهو حجر السج أو حجر البحيرة : وهو مادة زجاجية الشكل (الزجاج الأسود) وعندما تكسر تكون قطعها غير منتظمة كالزجاج ، وهو فى الواقع زجاج طبيعى بركانى الأصل لونه فى العادة أسود ، ولكن قد يكون أسمر قاتما ، أو رماديا قاتما ، أو أخضر داكنا ، وعندما يكسر على شكل قطع يكون شفافا بعض الشئ ، وإلى الآن لم يوجد طبيعيا فى مصر ، ولكنه يوجد فى بلاد العرب والحبشة فى الوديان ، وفى شبه جزيرة عدن وفى أماكن أخرى فى بلاد العرب ، وفى أرمينيا ، وفى جهات مختلفة من جزر البحر الأبيض المتوسط .

وكان يستعمل بقلة منذ عصر ما قبل الأسوات آلات وأسلحة مثل رءوس الحراب ، ثم استعمل تعاويذ وجعارين وأوانى صغيرة وأعينا للتماثيل . ومن أهم الأمثلة التى بين أيدينا رأس "أمنمحات الثالث" (الأسرة الثانية عشرة) إلخ.

وقد فحص موضوع مصدر الأبسديان فقال أحد علماء الآثار إنه يجلب إلى مصر من أرمينيا . ولكن المرجح أنه كان يجلب إليها من الحبشة وبلاد العرب لقربهما .

الصخر البورفيرى : ولفظة بورفير معناها فى الأصل أرجوانى وكان يطلق فى الأصل على نوع من الصخر له هذا اللون (البورفير الإمبراطوري). ولكن اسم بورفير فى الجيولوجيا يطلق على أى صخر بركانى فيه بلورات ظاهرة منتشرة فى أجزائه فى أم من مادة منسجمة اللون . والصخور البورفيرية تختلف كثيرا من حيث طبيعة بلوراتها الظاهرة وحجمها ، وكذلك فى لونها ؛ ويوجد منتشرا فى أنحاء القطر بالقرب من أسوان وفى الصحراء الشرقية وفى سيناء.

وكان يستعمل البورفير فى عصر ما قبل الأسرات، وفى عهد الأسرات الأولى لصنع الأوانى ، وكان اللون المختار لذلك هو الأسود والأبيض أى بلورات بيضاء فى أم سوداء. وليست لدينا معلومات تنبئنا عن المصدر الذى كان يأخذ منه قدماء المصريين ما يلزم لهم من هذا الحجر وكل ما يمكن الإشارة إليه فى هذا الصدد أن الدكتور "هيوم" يقول

إن صخورا من هذا الحجر تشبه التى صنع منها المصريون أوانيهم توجد فى الصحراء الشرقية.

وأحسن نوع من الصخر البورفيرى قطع فى الأزمان القديمة هو بلا شك البورفير ذو الحبات الدقيقة الأرجوانى اللون الذى يطلق عليه عادة البورفير الإمبراطوري ، وهو الذى يستخرجه الرومان ويستعملونه بكثرة فى إيطاليا أحجاراً للزينة، وهذا النوع من الحجر يوجد فى ثلاثة أماكن فى الصحراء الشرقية ، وهى جبل الدخان ، وجبل عش وبالقرب من ساحل البحر الأحمر عند العرف بالقرب من وادى ديب. وقد كان الرومان يأخذون ما يحتاجون إليه من هذا الحجر من جبل الدخان .

حجر الشيست أو الأردواز : الشيست نوع من الصخر مركب فى طبقات ، وهو قابل للتشقق ، وليس لأسمه علاقة بتركيبه الصخرى ، والشيست الخاص الذى استعمل فى مصر القديمة هو صخر حباته دقيقة متماسكة صلبة متبلورة ، يشبه كثيراً الإردواز فى الشكل، وتختلف ألوانه من الرمادى الخفيف إلى الرمادى القاتم تعلوه أحياناً خضرة . ويوجد الشيست ، والإردواز فى مواطن عدة فى الصحراء الشرقية. وكان الشيست يستخرج فقط من وادى حمامات حيث وجد أكثر من ٢٥٠ نقشاً من الأسرة الأولى إلى الأسرة الثلاثين ؛ وهذه المحاجر قد ذكرت كثيراً فى الوثائق القديمة. وقد اعتقد علماء الآثار إلى عهد قريب أن الشيست الرمادى المستخرج من وادى حمامات هو حجر "بخن" القديم كما ذكر على ناووس الملك "نقطانبو الثانى" المتخذ من هذا الحجر ، أنه من حجر "بخن". ولكن البحوث العلمية أظهرت أن لفظة "بخن" تطلق على أحجار أخرى مثل ناووس الملك "أحمس الثانى" المصنوع من حجر الجرانيت الرمادى الدقيق الحبات إلخ. وكان الشيست يستعمل فى عصر ما قبل الأسرات، وعصر الأسرات الأولى فى صناعى الكئوس ، والأوانى، والألواح ؛ ثم فيما بعد فى التوابيت والمحاريب ، والتماثيل.

أما الإردواز فهو من فصيلة الشيست فى التركيب ، ويكون فى العادة صلبا ، وكان يستعمل فى العصور الأولى لعمل الألواح الإردوازية.

حجر الثعبان ، وحجر استايتيت (الطلق) : وهما يتشابهان فى معظم التركيب غير أنهما ليسا من نوع واحد. ويوجدان مع بعضهما فى الصخور. وحجر الثعبان صخر قاتم ليس بشفاف ، وهو فى لون جلد الثعبان ببقعه ويكون غالباً أخضر قاتماً إلى حد السواد، وهو لين بعض الشئ إلا أنه أصلب من حجر استايتيت؛ ويمكن قطعه أو خدشه بسهولة. ويوجد فى الصحراء الشرقية ، وأهم مراكز له هى منطقة براميا ودونجلش فى وادى شايت ، وبالقرب من جبل درارا ، وفى التلال الواقعة شمال سكيت ، وجبل سكيت ، وفى منطقة مقسم، وفى أقاصى الصحراء الشرقية حيث تشغل مساحة نحو ٤٠٠ ميل من رأس بتارس جنوباً إلى رأس علبة.

ويوجد نوع من حجر الثعبان أخضر فى وادى أم ديسى الواقعة بين قنا والبحر الأحمر ، وعند سفح جبل الريشى ، ونوع أسود فى وادى "صدمن" ، وهما فى الشمال الغربى من القصير ؛ وكان حجر الثعبان يستعمل فى عمل الأوانى ، وأشياء أخرى منذ عصر ما قبل الأسرات وقد عثر "لأمنمحات الثالث" على رأس من هذا الحجر.

أما حجر استايتيت فهو نوع من الطلق ، وهو أبيض اللون عادة أو رمادى وأحياناً يكون أسود دخانياً، وهذا النوع الأخير طبيعى لا صناعى كما يظن البعض ، وملمسه كالصابون ، وكان يستعمل منذ عصر ما قبل الأسرات وما بعده لعمل الخرز ، والأشياء الأخرى الصغيرة التى كانت تطلى بطبقة زجاجية ، والجزء الأعظم من الجعارين المعروفة فى العالم هى من الأستايتيت المطلى ، ويوجد هذا الحجر بالقرب من أسوان فى همر ، وفى جبل القطيرة التى على خط عرض طحطا بالقرب من النيل وفى وادى غولان شمال رأس بناوس .

٣- قطع الأحجار :

كان من الطبيعى ألا تنتشر صناعة قطع الأحجار إلا بعد معرفة المعادن وصناعة الآلات ، التى بواسطتها يسهل قطع الأحجار الصلبة.

ومن أجل ذلك لم يستعمل المصرى فى بادئ الأمر الأحجار للمبانى بل كان يستعمل اللبن . أما الأحجار

التى كانت تستعمل فى عصر ما قبل الأسرات لعمل الأوانى ؛ فإنها كانت قطع من الصخور التى فصلتها الطبيعة بمؤثرات العوامل الجوية ، وبفعل تآكل المياه ، ولا تزال قطع من الجرانيت فى أسوان مفصولة عن الصخرة الأصلية تشهد بذلك. أما طريقة قطع الأحجار بالآلات التى كان يستعملها الإنسان فيمكن استنباطها من أماكن التحجير القديمة التى لا تزال باقية إلى الآن فى منطقة أسوان.

كان قطع الأحجار السهلة اللينة كالمرمر والحجر الجيرى ، والحجر الرملى يتم بفصل الكتلة المرغوب فى قطعها من جهاتها الأربع عن الصخر الأصلى ، وذلك بخوابير من الخشب ، وعروق مبللة بالماء . والآلات التى كانت تستعمل فى ذلك من المعدن هى أزاميل أو مناقير من النحاس حتى الدولة الوسطى ؛ إذ حلت محلها وقتئذ آلات من البرونز ؛ ومن ثم كان الاثنان يستعملان جنبا لجنب ، وكذلك كانت تستعمل مدقات من الخشب ومطارق من الحجر.

أما قطع الأحجار الصلبة فلم يبدأ فيه إلا فى عهد الدولة الوسطى عندما أخذ المصريون فى قطع الكتل الضخمة الطويلة لصنع المسلات والتماثيل الهائلة. أما قبل ذلك فإنهم كانوا يسدون حاجاتهم من القطع التى فصلتها الطبيعة لهم ، وهى التى لا تزال باقية إلى الآن فى منطقة أسوان ، وقد أخذ منها بعض الأحجار اللازمة لبناء خزان أسوان . وقد درس بعض المهندسين المعماريين طريقة تقطيع الجرانيت والكوارتسيت ، ويقال أن الجرانيت كان يفصل بالدق بكرات من الديوريت ، وباستعمال الخوابير التى كانت تجهز بواسطة آلات من المعدن ، وكذلك كان يستعمل الدق ، والخوابير فى قطع الكوارتسيت مع استعمال آلة أخرى ربما كانت معولا .

٤- كيفية صناعة الأحجار :

يمكن استنباط طريقة صناعة الأحجار بعد قطعها من المحاجر من الآثار التى تركتها الآلات على القطعة المصنوعة ؛ وبخاصة التماثيل التى وجد منها عدد عظيم لم يتم صنعه بعد ، ومن الإيضاحات التى وجدت مرسومة على بعض المقابر،وقد درس هذا الموضوع طائفة من علماء الآثار نخص بالذكر منهم "بترى" و "ريزنر".

والواقع أن التماثيل المصنوعة من الحجر ، وبخاصة المنحوت منها فى الأحجار الصلبة كالديوريت والجرانيت، والكوارتسيت ، والشيست . كانت مثار إعجاب الكل لدقة صنعها . ولا يزال العالم متأثراً بجمال تلك القطع الفنية ، غارقاً فى عالم التخيلات والظنون فى كنه الآلات التى استعملت لإبرازها فى ذلك الثوب البهيج حتى أن بعضهم ذهب به الخيال إلى أن معدن الصلب كان يستعمل فى صنعها ، وأعجب من ذلك أن بعضهم ظن أن آلات النحاس أو البرونز التى كانت تستعمل فى صنعها كان يركب فيها قطع من الماس أو غيره من الأحجار الصلبة لصناعتها ؛ ولكن ثبت أن الأمر أسهل من كل ذلك إذ لخص لنا الأستاذ "ريزنز" العمليات الهامة التى كانت تتخذ لإبراز التمثال أو غيره من القطع الفنية حتى مرحلته الأخيرة .

أولاً : الدق بالحجر ، ومن المحتمل أن ذلك وجد ممثلاً فى مقبرة "تى" فى سقارة.

ثانياً : الحك بواسطة حجر فى اليد ومعه مسحوق مفتت . وقد كان يظن احتمال وجود المسحوق المفتت؛ غير أنه قد وجدت صورة ناطقة تثبت وجود هذا المسحوق ، وهو الرمل فى حفائر الجامعة بمنطقة الأهرام فى مقبرة صهر الملك ومدير قصره "وب إم نفرت" إذ نشاهد فى مناظر الحرف والصناعات صانعين يصقلان تابوتا وفى يد واحد منهما حجر يحك به غطاء التابوت ، وفوق الصورة كتب ما يأتى : صقل التابوت، ثم كتب بعد ذلك. "صب الماء فوق الرمل". ونشاهد بعد ذلك الصانع يحك سطح غطاء التابوت بوساطة هاتين المادتين الماء والرمل . وإذا علمنا أن الرمل يحتوى على ١٥% من مادة السنفرة سهل علينا فهم النقوش. وهناك منظر آخر من هذا القبيل عثر عليه فى حفائر سقارة فى طريق هرم الملك "أوناس".

ثالثاً : النشر بواسطة سلاح من النحاس ومعه مفتت، ولم يعثر على صور لذلك.

رابعاً : الثقب بمثقب أنبوبى الشكل ، ومعه مسحوق مفتت ، وهذا المثقب أنبوبة جوفاء من النحاس تستعمل بإدارتها بين اليدين أو بوتر ، أو قبضة متحركة ؛ وهناك أنواع أخرى من المثاقب تدار بطرق خاصة عثر عليها فى سقارة من الأسرة الخامسة ، ومن عهد

الأسرة الثانية عشرة فى دير الجبراوى ، وكان المثقب يستعمل فى تفريغ الأوانى المصنوعة من الحجر ، وبخاصة الأوانى الأسطوانية الشكل التى كانت تتخذ من الأحجار الصلبة كالبازلت والديوريت .

خامساً : الثقب بالنحاس ، أو بحجر مدبب معه مسحوق مفتت ، وقد شوهد فى ثلاثة مقابر من عصر الأسرة الثامنة عشرة فى طيبة مثاقيب تدار بواسطة أوتار لثقب خرز ، وفى مقبرة رابعة لثقب شئ مجهول.

سادساً : الحك بآلة نحاسية معها مسحوق مفتت ، ولكن ذلك مشكوك فيه .

غير أن الذين يعتقدون باستعمال آلات من الصلب لهذه الأغراض يمكن أن يحتج عليهم بأن الصلب مهما طرق لتزيد متانته فإنه لا يمكن أن يقطع به أحجار صلبة مثل الديوريت والجرانيت ، والشيست . هذا فضلاً عن أنه لا يمكن استعمال مثل هذه الآلات ، ومعها مسحوق مفتت كالسنفرة ، وهذا الرأى لا غبار عليه . يضاف إلى ذلك أن القواديم المصنوعة من النحاس كانت لا تستعمل إلا فى الأحجار اللينة فحسب ؛ أما من جهة استعمال المناشير والمثاقب بما فيها ما كان على شكل أنبوبى ، فإن هناك براهين واضحة على الأحجار المشغولة تدل على أنها استعملت لهذا الغرض فمثلاً نجد علامات للمناشير فى رقعة معبد "خوفو" المصنوعة من البازلت ، وعلى تابوته المصنوع من الجرانيت الوردى، وكذلك على تابوت "خفرع".

أما آثار المثقب الأنبوبى الشكل فنشاهدها على تمثالين للملك "منكاورع" أحدهما من المرمر كامل النحت والثانى لم يتم نحته بعد ، وكذلك نشاهد أثر المنشار فى تمثال الملك "خفرع" المشهور المصنوع من الديوريت.

٥- الأحجار الكريمة وشبه الكريمة :

كان قدماء المصريين كغيرهم من أمم العالم مغرمين بالزينة ، ولذلك كانوا يبحثون وراء الحقول على الأدوات التى يتبرجون بها منذ ما قبل التاريخ ، وقد عثرنا فى مقابرهم على أنواع شتى من الأحجار الكريمة ونصف الكريمة مما لم تسبقهم إليها أمه فى العالم حسب معلوماتنا إلى الآن. وهذه الأحجار لا يزال بعضها إلى الآن يعتبر فى نظرنا كريما ، والبعض الآخر لا يعتبر إلا حجرا عاديا لا قيمة له من الوجهة المادية ؛ وكان يستعملها المصرى لعمل التعاويذ ، والخرز ، والمجوهرات، والجعارين ؛ وكذلك فى تطعيم وترصيع صناديقه ، وتوابيته ، وأثاثه بما يشعر بحسن الذوق والأناقة. وأهم هذه الأحجار ما يأتى :-

العقيق ، والجمشت ، والزمرد المصرى وحجر الدم، والخلكيدونى أو العقيق الأبيض ، والمرجان ، العقيق أو حجر سيلان ، ، وحجر الدم ، واليشم ، والعقيق الأحمر واللازورد ، والدهنج ، وحجر الزبرجد، والجزع (حجر الظفر) ، واللؤلؤ ، والبلورات الصخرية، وجزع عقيق ، ثم الفيروز .

ويلاحظ أن المصرى لم يكن يعرف الماس أو حجر الأوبال أو الياقوت الأحمر أو الأزرق . وقد جاء ذكر الأحجار التى ذكرناها فى الوثائق القديمة المصرية بأنها كانت تستعمل لأغراض خاصة للحلى والزينة ، أو أنها وردت للبلاد جزية ، أو أخذت ضمن الغنائم الحربية .

ورغم أن هذه الأحجار قد سميت بأسمائها فى النقوش المصرية كل على حدة ، إلا أن ترجمة بعضها لا يزال مشكوكاً فيه ، وقد ذكر لنا "بلينى" نحو ثلاثين اسماً من الأحجار الكريمة التى كانت ترد من مصر وبلاد الحبشة ، إلا أنه لم يحقق إلا عدداً قليلاً منها. وسنتكلم على كل من هذه الأحجار وماهيته فى الحلى المصرية وفى الصناعة بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا.

العقيق ، والجزع ، وجزع العقيق ، وكلها أنواع من الخلكيدونى المجزع أو المعرق . وكل هذه الأحجار منسوب بعضها إلى بعض ، ويطلق عليها غالباً اسم عقيق فحسب ، وكلها تحتوى على السليكا ، وليس بينها فرق غير لون العروق أو التجزيع . ففى العقيق نجد أن هذه العروق غير منتظمة ، وفى العادة تكون بيضاء وسمراء يخالطها بعض الزرقة ، أما فى الجزع وجزع العقيق فنجد أن العروق مستقيمة ، ومنتظمة على وجه التقريب ، ويكون لون الجزع لبنياً متبادلاً مع الأسود ؛ وفى جزع العقيق يكون الأبيض متبادلاً مع الأسمر المائل إلى الحمرة . ويوجد العقيق بكثرة فى مصر ؛ وبخاصة فى شكل حصوات ، وكذلك وجد بكميات صغيرة مختلطاً باليشب ، والخلكيدونى فى وادى أبوجريدة فى الصحراء الشرقية . ومن المحتمل

أن الجزع وجزع العقيق موجودان فى مصر طبيعيا.

وقد وجدت حصوات العقيق وخرزه فى قبور ما قبل الأسرات ، وكذلك وجدت فى هذا العصر خرزات من الجزع ، وأقدم تاريخ معروف لاستعمال جزع العقيق هو عهد الأسرة الثانية والعشرين ، ويجوز من الأسرة التاسعة عشرة . وقد عثر على آنية من العقيق ربما يرجع عهدها إلى العصر الرومانى فى قفط ، ستة منها فى المتحف المصرى ، وإناءان عظيمان.

حجر الجمشت (أمتست) : ويتركب من الكوارتس الشفاف الملون بآثار من مركب الماغنزيوم . وكان يستعمل قديماً على وجه خاص لعمل القلائد ، وكذلك للأساور ، وأحياناً تعمل منه الجعارين ، ويرجع تاريخ استعماله إلى عهد ما قبل الأسرات وقد وجد منذ عصر الأسرة الثانية عشرة وفى عهد الدولة الحديثة . فمثلاً وجد فى مقبرة "توت عنخ آمون" جعرانان من هذا الحجر ، وكان يستخرج قديماً من جبل أبو دياب ومنطقة سفاجة فى الصحراء الشرقية ، وكذلك عثر على مناجم له فى الجنوب الشرقى من أسوان ، وأخرى من عهد الدولة القديمة على مسافة ٤٠ كيلو متراً من الشمال الغربى لأبو سنبل.

الزمرد المصرى : هذا الحجر الكريم يكون لونه أخضر أو أزرق باهتا أو أصفر أو أبيض . غير أننا لا نعرف منه إلا الأخضر الذى كان يستعمل فى مصر قديماً، ويوجد الزمرد فى منطقة سقاية زبارة فى تلال البحر الأحمر حيث توجد مناجم عظيمة له ربما كانت من عهد الأغريق الرومانى. ومن المحتمل أن أنواعاً جميلة من هذا الحجر قد وجدت قديماً ولم يمكن العثور عليها الآن. والزمرد يكون دائماً شفافاً ، ولا يكون قط مظلماً ، وكان المصرى يستعمله دائماً فى قطعه الطبيعية السداسية الشكل ، وذلك لأنه أصلب من حجر الكوارتس فكان يصعب عليه قطعه بطريقة منظمة .

والظاهر أن الزمرد المصرى لم يستعمل قط فى مصر القديمة قبل عصر البطالمة ولذلك فإن الأحجار الكريمة التى وجدت فى مجوهرات دهشور وكان يقال عنها أنها من الزمرد عندما فحصت لأول مرة كانت فى الواقع من الفلسبار الأخضر ، وكذلك كل الأحجار التى أطلق عليها اسم زمرد "أو زبرجد" قبل عصر البطالمة فإنها ليست منهما بل من أحجار أخرى ، وذلك بعد أن فحصها العالم الكيميائى "لوكاس" فحصاً فنياً .

حجر الدم ، والعقيق الأحمر : حجر الدم هو خلكيدونى أحمر شفاف بعض الشئ ، وترجع حمرته إلى وجود مقدار قليل من أوكسيد الحديد فيه ، وهو يوجد بكثرة على شكل حصوات فى الصحراء الشرقية ، وقد استعمل كثيراً منذ عصر ما قبل الأسرات .

أولاً : لعمل الخرز والتعاويذ ، وثانياً لتطعيم الأثاث والمجوهرات والتوابيت ، وقد قلد فى عهد الدولة الحديثة، كما يشاهد ذلك فى تابوتين من أثاث "يويا" ، وفى تابوت "سمنخ كارع" ، وكذلك فى كثير من الأشياء التى وجدت فى مقبرة "توت عنخ آمون" .

أما حجر السرد فهو نوع من حجر الدم غامق اللون، وبعض أنواعه تقرب فى لونها إلى السواد وكان يستعمل قليلاً منذ عصر ما قبل الأسرات وما بعده ؛ ويقول "بلينى" أن السرد كان يوجد فى مصر .

الخلكيدونى أو العقيق الأبيض : وهو نوع من السليكا الشفاف بعض الشئ شمعى اللون ، وعندما يوجد نقياً يكون لونه أبيض ، أو أبيض رمادياً فيه بعض الزرقة. على أن هذا الحجر قد يكون بألوان متعددة ولكل لون اسم خاص. ويوجد فى مصر فى وادى صاغه ، وفى وادى أبو حريدة فى الصحراء الشرقية ؛ وفى الواحة البحرية فى الصحراء الغربية . وكذلك على مسافة ٤٠ ميلاً من الشمال الغربى من أبو سنبل ، وفى الفيوم . وكان يستعمل أحيانا فى مصر القديمة لعمل الخرز والجعارين ، والدلايات ؛ ويرجع تاريخ استعماله إلى عصر ما قبل الأسرات.

المرجان : وهو عبارة عن هياكل صلبة لمخلوقات بحرية ولونه يكون أبيض أو أحمر فى ألوان شتى ، أو أسود ، والمشهور منها هو الأبيض والأحمر. ولم يعثر على المرجان الأبيض فى الآثار المصرية إلا مرة واحدة فى أدفينا ، ويرجع تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد. وقد عثر "بترى" على كمية كبيرة منه فى شكل فروع طبيعية. والمرجان الثمين يستخرج من الجهة الغربية للبحر الأبيض المتوسط ، وكل ما عثر عليه فى مصر من المرجان يرجع عهده إلى عصر البطالمة ، وما بعده. أما المرجان الأنبوبى الشكل فقد عثر عليه منذ عصر البدارى ، وعصر ما قبل الأسرات. وكذلك عثر على هذا النوع فى مقابر بلاد النوبة ، التى يرجع عهدها إلى عصر الدولة القديمة .

حجر الأمزون أو الفلسبار الأخضر : هو حجر غير شفاف أخضر باهت ، وليس منسجماً فى لونه ؛ وقد وجد بكميات قليلة فى جبل مجيبف فى الصحراء الشرقية، وكان يستعمل لعمل الخرز منذ العصر الحجرى الحديث، وكان يستعمل كثيراً فى عهد الأسرة الثانية عشرة . كما يشاهد ذلك فى مصوغات دهشور واللاهون. وقد كان يظن أنه هو الزمرد فى هذه المجوهرات ، وكثيرا ما يختلط هذا الحجر بأنواع الأحجار الأخرى الخضراء، حتى أنه يسمى أحيانا أم الزمرد.

حجر سيلان : والنوع الذى استعمل فى مصر منه لونه أحمر قاتم أو أسمر مائل إلى الحمرة شفاف بعض الشئ ، ويوجد بكثرة فى جهة أسوان فى الصحراء الشرقية ، وفى سيناء ، وأحجاره صغيرة جدا للاستعمال؛ وبخاصة ما عثر منها فى أسوان . أما الكبيرة فوجدت فى غرب سيناء ، وقد استعمل حجر السيلان لعمل الخرز منذ عصر ما قبل الأسرات.

حجر الهمتيت (حجر الدم) : وهو أكسيد الحديد ، ويوجد فى الطبيعة بألوان مختلفة. فيكون أسود ، وأحمر، وأسمر ، أو ذا صفائح رقيقة تكون طبقات لامعة بعضها فوق بعض ، والنوع الخاص الذى يستعمل فى مصر من الهمتيت لصنع الخرز ، والتعاويذ، والمكاحل وأدوات الزينة الصغيرة ، هو الأسود القاتم ذو اللمعة المعدنية . وقد استعمل منذ عصر ما قبل الأسرات . ورغم أن الهمتيت يوجد بكثرة فى مصر فى الصحراء الشرقية لاستخراج الحديد منه إلا أننا لا نعرف من أين جلب المقدار الذى استعمل فى صنع تلك الأشياء .

اليشم أو حجر الجاد : ويطلق هذا الاسم على نوعين متميزين من المعدن ، أحدهما اسمه "نفريت" ، أو اليشم الحقيقى . والثانى شبه اليشم ، وهو فى مظهره مثل اليشم الحقيقى ؛ ولا يمكن تمييزه عنه إلا بالتحليل الكيميائى ، وكلاهما لونه أبيض ، أو رمادى ، أو أخضر على ألوان شتى. وهو شفاف شمعى اللمعة. وقد عثر منه على رأس بلطتين يرجع عهدها إلى ما قبل الأسرات ، واحدة منهما فى المتحف المصرى ، والأخرى فى متحف لندن . وقد عثر الأستاذ "ينكر" فى مرمدة بنى سلامة على رأس بلطة يرجع عهدها إلى العصر الحجرى الحديث وكذلك وجد فى مقبرة "توت عنخ آمون" خاتم من هذا الحجر.

حجر اليشب : وهو نوع من السليكا الكثيفة غير النقية ، ويكون لونه أحمر أو أخضر ، أو لبنيا ، أو أسود، واللون الأحمر هو الذى كان يستعمل فى مصر قديما لصناعة الخرز والتعاويذ ، وأحيانا لتطعيم المصنوعات وعمل الجعارين . وقد عثر على قطعتين من إناء مفرطح من اليشب الأحمر يرجع عهدها إلى الأسرة الأولى. أما اليشب الأسمر ، والأسود فقد عثر على أشياء مصنوعة منهما من عهد الدولة الوسطى ، وقد عثر على جعارين كذلك من ذلك العهد. أما اليشب الأخضر فعثر منه على أشياء ترجع إلى عهد الأسرة الرابعة.

ويوجد اليشب الأحمر فى بعض الصخور ، على شكل عروق فى الصحراء الشرقية. مثال ذلك تلال الحضرية ، بالقرب من وادى صاغة وفى وادى أبو حريدة. أما اليشب الأخضر المبقع بالأحمر فقد عثر عليه فى طريق قنا والقصير.

اللازورد : وهو مظلم ذو لون أزرق قاتم يتخلله أحيانا بقع أو عروق بيضاء ، وأحيانا تكون فيه نقط صفراء دقيقة ، وتظهر كأنها ذرات من الذهب ، والظاهر أن هذا الحجر لم يعثر عليه فى مصر. غير أن الأدريسى قد ذكر انه يوجد منه منجم فى الواحة الخارجة. وأهم منبع له هى بلاد الأفغانستان فى بلدة بدخشان ، والظاهر أن هذا المنبع الأصلى لهذا المعدن. وكان يستعمل اللازورد فى مصر منذ عصر ما قبل الأسرات ، وما بعده لصنع الخرز والتعاويذ ، والجعارين ،والأشياء الأخرى الصغيرة. وكذلك لتطعيم المجوهرات ، وبخاصة فى عهد الدولة الوسطى والدولة الحديثة ، وقد ذكر هذا الحجر فى النقوش المصرية منذ الأسرة الثانية عشرة وما بعدها فى عدة جهات مختلفة.

حجر الدهنج(التوتية) : وهو النحاس الغفل ولونه أخضر جميل ولم نعثر عليه فى المقابر المصرية ، إلا على هيئة مسحوق يستعمل للتكحل به ، وقد عثر عليه منذ عهد البدارى وعهد ما قبل الأسرات حتى الأسرة التاسعة عشرة. وقد كان يستعمل أحيانا لصنع الخرز منذ عصر ما قبل الأسرات ، وفى عهد الأسرة الأولى ،

وقد اتخذ منه تعاويذ ، وجعارين من عصر الأسرة التاسعة عشرة. وقد فات على بعض العلماء التمييز بين هذا الحجر ، وحجر الزبرجد ، والزمرد الأخضر ، وحجر الفلسبار الأخضر ، والثانى من الفيروز ، ويوجد الدهنج فى سيناء وفى الصحراء الشرقية ، وقد استعملت مناجمه فى العصور القديمة لاستخراج التوتية أولا ، وثانيا لاستخراج النحاس .

وقد كان النحاس يستخرج من وادى مغارة ، وسرابيط الخادم ، ومن هذين المكانين كان يستخرج الفيروز قديما. ومن هنا جاءت الصعوبة فى التمييز بين الدهنج والفيروز ؛ وبخاصة أنهما كانا يستخرجان من مكان واحد ، ولا يتميزان عن بعضهما فى اللون. ومن هنا جاء أيضا الخطأ فى أن بعض العلماء ترجم كلمة "مفكات" ، وهى اسم الفيروز باللغة المصرية القديمة بلفظة دهنج.

اللؤلؤ: ويستخرج من شواطئ البحر الأحمر ، وكذلك الخليج الفارسى ، وعلى مسافة من سواحل سيلان ، وأماكن أخرى.

ورغم أن الأصداف قد استعملت فى مصر منذ عصر ما قبل التاريخ فإن اللؤلؤ نفسه لم يستعمل حتى البطالمة ؛ إلا أزرار قلادة الملكة "أعح حتب" أم الملك "احمس الأول". وهى ليست بلؤلؤ حقيقى.

حجر الكوارتس والبللور الصخرى : والكوارتس نوع من السليكا البلورية ، ولا لون له عند ما يكون نقيا، وقد يكون شفافا بعض الشئ أو مظلما ، ويطلق على النوع الأول اسم البللور الصخرى ، وعلى الثانى الكوارتس اللبنى. وأحيانا يكون لون الكوارتس أسمر حتى السواد ، وفى هذه الحالة يسمى الكوارتس الدخانى اللون ، وهذا النوع يوجد فى منجم ذهب قديم فى "روميت" فى الصحراء الشرقية. ويوجد الكوارتس بكثرة على هيئة عروق فى الصخور البركانية فى الصحراء الشرقية ، وبالقرب من أسوان. وكان يستعمل بكمية قليلة فى عهد ما قبل الأسرات ، وما بعده ، إذ كان يصنع منه الخرز وأشياء أخرى، كالأوانى الصغيرة، وقرنات العيون التى كانت تصنع للتماثيل وكذلك كانت توضع فى أعين التوابيت ، التى كانت على شكل آدمى؛ وكل أنواع الكوارتس أصلب من الزجاج ، وكذلك أكثر مقاومة من الصلب ، ولذلك لا يمكن أن يؤثر فيها هذا المعدن.

الفيروز أو الفيروزج : ولونه أزرق سماوى ، وبعضه يكون أزرق مائلا إلى الخضرة ، وبعضه أخضر، وهو يوجد على هيئة عروق فى أم الصخر. ومناجم الفيروز هى وادى مغارة وسرابيط الخادم فى شبه جزيرة سيناء. ويوجد على هيئة طبقات فى صخور الحجر الرملى. وقد استعمل فى مصر منذ عهد البدارى، وما قبل التاريخ ،وكان يستعمل فى صياغة الأساور منذ الأسرة الأولى،وكذلك للحجال فى الأسرة الرابعة، إذ عثر على أحجار منه فى مقبرة الملكة "حتب حرس" من عهد الأسرة الرابعة فى الجيزة، وقد ظن البعض أولا أنه دهنج. ووجد بكثرة فى عهد الأسرة الثانية عشرة فى مجوهرات دهشور. وقد ظن البعض أنه فيروز صناعى، وذلك لجمال لونه. وكذلك وجدت بعض قطع منه فى مقبرة "توت عنخ أمون" منها جعران لونه أزرق جميل، وقطع زرقاء مائله للخضرة رصت فى صدريتين.

أحمس الأول :

ثالث أبطال التحرير وعلى يديه تم طرد الهكسوس من مصر بعد حصار عاصمتهم أواريس مدة ثلاث سنوات ثم حصار مدينة شاروهين (جنوبى مدينة غزة) آخر معقل أحتمى به الأعداء. ولم يكتف بتطهير البلاد منهم بل طاردهم على فلسطين وشتت شملهم تماما ، وبعد ذلك اتجه إلى الجنوب ليقضى على نفوذ بعض القبائل الزنجية التى كانت قد أستقرت فى بلاد النوبة وتجمعت قواها فى كرما وتحالفت مع ملوك الهكسوس. ونجح أحمس فى إعادة الأمن والطمأنينة هناك. حكم مصر مدة تقرب من خمسة وعشرين عاما ، أمضاها فى إزاله كل الرواسب التى تركها الحكم الأجنبى لمصر زهاء أكثر من قرن من الزمان ، فوطد النظام وأصلح الأمور وعمر ما تخرب من المعابد ، وشجع الناس على الدخول فى سلك الجندية وأقام حكمه على النظم العسكرية ، فوجد بين المصريين إقبالا على الانخراط فى سلك الجندية التى رأى الناس فيها متنفسا للترقى والتقدم بالجهد الشخصى وليس بحسبهم ونسبهم ، فوضع بذلك الأسس الأولى لجيش اقتحم الحدود وسارع إلى البلاد المتاخمة ينتقل من نصر إلى نصر

ويقضى على كل محاولة لاستعمار أجنبى آخر للوطن. وتدل مومياءه المحفوظة فى المتحف المصرى على أنه مات فى الأربعين.

وعلى الرغم من أنه كان آخر ملوك الأسرة ١٧ إلا أن "مانيتون" وضعه على رأس الأسرة ١٨ باعتبار عهده بداية مرحلة جديدة بعد طرد الهكسوس.

إهتم أحمس بالوراثة الشرعية للسلالة الملكية ، فظهر فى عهده للمرة الأولى - لقب "الزوجة الألهية لأمون" وكان يطلق على زوجة الملك وأم أولاده التى تقوم بدور دينى مقدس فى المعبد. وعلى هذا أصبح من المفروض أن يكون ولى العهد ابن أميرة ، هى فى نفس الوقت بنت ملك وزوجة ملك وإبنه الزوجة الألهية لأمون ، و أول من أتخذت هذا اللقب هى الملكة أحمس نفرتارى أخت وزوجة الملك أحمس وأم الملك أمنحوتب الأول.

وقد أستغل أحمس محجرا جديداً من محاجر طرة لاستخراج الحجر الجيرى لتشييد المعابد والمقاصير المختلفة للآلهة فى كل من هليوبوليس وأبيدوس والأقصر ، اذ عثر هناك على نص يذكر العام الثانى من حكمه ، ومن هنا نرى إهتمام أحمس بتشيد المعابد لإرضاء الآلهة والقائمين على خدمتها.

لم يعثر للآن على قبره ، على أن الاعتقاد السائد أنه شيد مقبرته فى منطقة دراع أبو النجا فى البر الغربى بطيبة بالقرب من أجداده ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وقد ظلت ذكراه طيبة بعد موت ، بل ألهه المصريون وكان لعبادته شأن كبير فى أبيدوس.

أحمس الثانى (أمازيس) :

خامس ملوك الأسرة السادسة والعشرين اختاره سلفه الملك أبريس قائدا للجيش ولم يلبث أن بايعه الجيش ملكا على مصر مشتركا مع "أبريس". وصادفته صعاب كثيرة فى مستهل حكمه سببها وجود فرق الجند المرتزقة من الأغريق والليبيين ، والعداء المستشرى بينهم وبين الشعب المصرى. حاول جهده أن يوفق بين هذه العناصر كلها واستطاع بلباقته أن ينجح فى جهوده ، ولكنه إضطر إلى ابقاء فرق الجند المرتزقة من الاغريق ليحمى عرشه من الأخطار الخارجية التى سببها ظهور دولة فارس القوية وامتداد أطماعها إلى مصر ، واضطراره إلى محالفة جميع أعداء فارس. وقد أرضى الجالية اليونانية فاقطعها مدينة "نوكراتيس" التى تحولت بسرعة إلى مدينة يونانية بحته اشتهرت بثرائها وازدهارها. استطاع أثناء حكمه الطويل لمصر (٤٣عاما) أن يؤمن حدودها من الشرق والغرب وأن يقضى على عوامل الثورة فى البلاد. عرف عنه حبه للشراب ومجالس المجون ولكن التاريخ شهد بدهائه السياسى ، فقد استطاع ، والخطر يحيط بمصر من كل جانب أن يجعل البلاد تنعم بعصر مزدهر وأن تنال حظا وفيرا من الثراء والاستقرار.

أحمس بن ابانا :

يرجع منبته إلى مدينة الكاب ، وهو ابن المدعو "بب" أحد جنود سقننرع. وترجع شهرة أحمس عند المصريين إلى مفاخر أعماله ، وسيرته الذاتية المكتوبة بتفصيل دقيق للغاية بالنسبة لعلماء المصريات. وما كاد "أحمس بن ابانا" أن يتزوج ويكون لنفسه أسرة ، حتى أنخرط فى البحرية كجندى فى حرب التحرير ضد الهكسوس التى قادها الملك أحمس. وقد أظهر تفوقا ومقدرة خلال حصار مدينة افاريس ثم مدينة شاروهن "آخر قلاع الهكسوس الحصينة فى فلسطين. ثم تبع الفرعون فى حملاته بالنوبة.

وعندما اضطر الملك "أمنحوتب الأول" خليفة الملك "أحمس" إلى شن حملات عسكرية على النوبة ، صاحبة "أحمس بن ابانا" فى سفينته الحربية تقديراً لشجاعته وإقدامه ، وعند العودة خلع عليه لقب "محارب الملك".

وقد أثبت "أحمس بن ابانا" تفوقا وشجاعة كذلك عندما اصطحبه معه الملك "تحتمس الأول" فى حملة أخرى بالنوبة ، رقى إلى مرتبة "زعيم الحملة".

وعندما اشتعلت الحرب مجددا فى سوريا ضد إمبراطورية ميتانى ، تجلت عظمه "أحمس بن ابانا" مرة أخرى ، وكان على رأس الجيش المصرى واستحوذ على عربة حربية.

ولما أصبح "أحمس بن ابانا" متقدما فى السن كان مفعما بمظاهر العظمة والتبجيل والشرف وكوفئ ست مرات بذهب الشجاعة ، كما استطاع بحد سيفه أن يستحوذ على أراض وعبيد ، وعدد ذلك كله بدقة متناهية فى ختام سيرته الذاتية على جدران مقبرته التى سمحت له رغده العيش ، واليسر الذى تمتع به من أن يحفرها ويزخرفها بالنقوش. وبوجه عام فإن "أحمس بن ابانا" ، أنما يمثل نمطا اجتماعيا تميزت به الدولة الحديثة ألا وهو: الرجل العسكرى المتميز.

أحمس نفرتارى (ملكة) :

إحدى ملكات مصر التى لعبت دوراً هاماً فى الثورة ضد الهكسوس. زوجة الملك أحمس والتى ذكرت إسمها و رسمت ونقشت صورتها فى أكثر من مكان: فى سيناء، فى طرة وفى النوبة ، وعلى أكثر من لوحة ، منها ما وجد فى أبيدوس ومنها ما وجد فى الكرنك.

ولا نعلم الأسباب التى جعلتها تصل إلى مصاف الآلهات هى وإبنها الملك أمنحوتب الأول. إذ بدأ المصريون منذ أواخر الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الدولة الحديثة ينظرون إليها نظرة تعبد وتقديس. وقد أشاد الملك أمنحوتب الأول بها وعظمها وذكرها فى نقوشه وأقيم لها معبداً فى البر الغربى فى طيبة وأعتبرت هى وإبنها أمنحوتب الأول إلهين حاميين للجبانه. كما إعتبرت حامية للفنانين فى العصور المتأخرة وأقيمت لها طقوس خاصة بمدينتهم دير المدينة فى البر الغربى بطيبة.

احى :

يمثل الابن للمعبودة "حتحور" ربة دندرة التى انجبته من المعبود حورس رب أدفو. ويصور عادة طفلا يافعا (صبيا) يقبض على شخشيخه يهزها مشتركا كموسيقى فى الطقوس الدينية التى تؤدى لأمه.

وتعتبر دندرة المقر الرئيسى لعبادته ولايزال فيها أطلال معبد شيده له الملك نختنبو الأول من الأسرة الثلاثين ، وهو معبد المولد "ماميسى" حيث أعتاد المصريون تمثيل مولد الابن المقدس وتربيته على يد مجموعة من المعبودات حتى يشب عن طوقه.

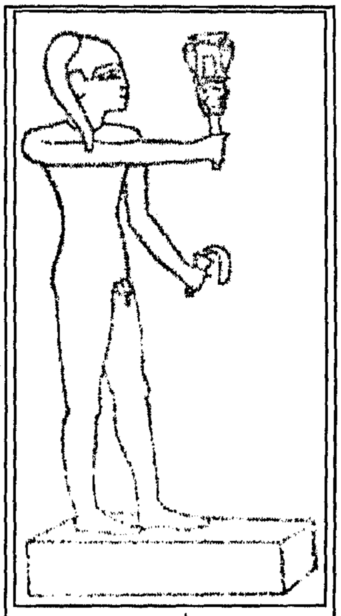

احى

آخت أتون :

(إنظر تل العمارنه)

أخميم :

مدينة كبيرة بمحافظة سوهاج على الضفة الغربية للنيل أمام سوهاج. كانت عاصمة للإقليم التاسع من أقاليم الوجه القبلى. إسمها فى العصور الفرعونية "أبو" وكان المعبود الرئيسى للمدينة هو الاله "مين" ولهذا كانت تسمى أيضا "خنت - مين" وهو أصل إسمها فى القبطية "شمين". وسماها اليونانيون "بانوبوليس". وكان يعبد بها مع الاله "مين" معبودات أخرى أهمها حورس وايزيس.

وعلى مقربة من مدينة أخميم الحديثة وهى مشيدة فوق المدينة القديمة ، عدة جبانات على حافة الهضبة وفيها مقابر منحوتة فى الصخر ، وعلى جدرانها

نقوش وبعضها به رسوم ملونه فوق طبقة من الملاط مثل مقابر "الحواويش" وتسمى أحيانا مقابر "أخميم" وهى من الدولتين القديمة والوسطى ، ومقابر السلامونى وهى من العصر البطلمى والعصر الرومانى وعلى سفح الهضبة جبانات من العصر الرومانى والقبطى كانت مصدراً لكميات هائلة من الأقمشة القبطية المطرزة بالزخارف المختلفة.

وبأخميم (فى أعلى مقابر السلامونى) معبد منحوت فى الصخر ، ويرجع تاريخ انشائه إلى أيام الملك "تحتمس الثالث" على الأقل ، ثم قام الملك آى فى أواخر الأسرة ١٨ بترميمه ولهذا السبب يخطئ الكثيرون فينسبونه إليه ، كما قام أحد كبار كهنة الاله "مين" بترميمه فى العصر البطلمى.

وبأخميم كثير من الاديرة القديمة والكنائس اذ كانت من أكبر مدن مصر وأهمها فى العصر القبطى.

الأدارة :

نشأت مصر من أعرق بلاد الأرض نظاماً وحكماً وإدارة. فالحكومة ضرورة فرضتها ظروف الحياة فى وادى النيل ، وجعلتها ظاهرة إجتماعية تميزت بها الأمة المصرية منذ أول عصورها التاريخية. لقد كانت الفترات الطويلة التى مر بها المصرى إبان عصور ماقبل التاريخ ، مليئة بالأحداث الشتى التى صقلت حضارته ، وجعلته يصل إلى درجة من النضوج أهلته إلى أن يصل إلى التوحيد الكامل ، بين شمال الوادى وجنوبه تحت رئاسة زعيم واحد.

كان الملك بصفته إلها هو الدولة ، وهو النقطة المركزية التى تتجمع فيها كل الخيوط التى تهيمن على شئون الحكم فى البلاد. لقد كانت كلمته هى القانون ولكن هذا القانون كان خاضعاً لرضاء الآلهة ، ثم لتلك الفكرة التى عبروا عنها بكلمة "ماعت" وهم يعنون بها الصفة الطيبة للحكم الصالح أو الإدارة الصالحة ، هى "الحق" و"العدل" و "النظام". وهى ذلك الشئ الذى نبع من عالم الآلهة وأصبح بمثابة المنظم للظواهر التى خلقها على سطح الأرض.

إن الملك الإله يتمسك بأهدابها ويقدمها كل يوم للآلهة التى تسكن السماء كبرهان ملموس على أنه ينوب عنهم فى وظيفته الإلهية فى حدود "الماعت".

لقد تكونت الحكومة فى عصر الدولة القديمة من مجموعة كبيرة من الموظفين يقومون على تنفيذ أوامر الملك. هو الذى يعينهم وهم مسئولون أمامه وحده ، وبقاؤهم فى وظائفهم مرهون برضائه الإلهى. لقد كان القانون الذى تسير عليه البلاد هو كلمة الملك. وكان القضاة يحكمون طبقاً للإرادة الملكية متخذين من السوابق ومن العادات والتجارب المحلية أساساً لأحكامهم، متمسكين بأهداب "الماعت" أى "الحق الإلهى" و"العدل الإلهى" الذى لا يستطيع تفسيره حدود إلا الملك الإله.

إن هذه المركزية المطلقة جعلت الأداة الحكومية وبخاصة فى عصر الدولة القديمة أداة رخوة غير متماسكة ، بمعنى أنه كلما كان الملك قوى البأس شديد البطش ، كان كبار رجالات الدولة المشرفون على شئون الحكم ليسوا إلا موظفين إداريين يعملون بوحى من الملك الإله ، فإذا ضعفت هذه السلطة المركزية أو تراخت سرعان ما يشعر هؤلاء بأنهم بعيدون عن سلطة الملك فيأخذون فى إعتبار أنفسهم مستقلين عن العاصمة.

لقد كان الملك الإله راس الدولة ، الحاكم بأمره فيها المهيمن على كل شئونها ، وكان يليه فى السلطان شخصية تعتبر الممثلة له ، ونعنى بها شخصية "الوزير". كانت هذه الوظيفة الكبرى تسند فى أول الأمر إلى أحد أبناء الملك ، ولكن بعض الهزات الاجتماعية التى أصابت الملكية فى مصر جعلت هذه الوظيفة من حق بعض الرجال الذين لم تربطهم روابط القرابة مع الملك. كان الوزير رئيسا لعظماء الوجهين القبلى والبحرى "وكبيرا للقضاء" ومشرفا على "إدارتى الخزانتين" (بيت المال) وعلى "مخزنى الغلال" ومشرفا على جميع "أشغال الملك". كما أنه كان مشرفا على السجلات الملكية التى كانت تحفظ فيها الأوراق الهامة كالمراسيم الملكية والعقود والوصايا. ويبدو أن الوزراء أنفسهم كانوا يتباهون بسلطاتهم وكان الزهو بوظيفتهم هذه يملأ صدورهم.

لقد اعتقد المصرى القديم أن الوزير يجب أن يتساوى فى الحكمة مع رب الحكمة "تحوت" ولذلك اعتبر الوزير كاهنا لهذا الإله. ومن أجل هذا تناقل

الناس الكثير من الحكم والأقوال المأثورة التى اعتقدوا أنها وردت على ألسنة الوزراء الذين أوتوا الحكمة فى الزمن القديم. ولعل أشهر هؤلاء وأكثرهم حكمة كان "بتاح حوتب" وزير "أوناس" و "كاجمنى" أحد وزراء الأسرة السادسة.

لقد قلنا فيما سبق إن مصر بقيت طوال العصر الفرعونى منقسمة إلى قطرين، هما الدلتا و الوجه القبلى ، وغير هذا ، فقد انقسمت البلاد إلى ٤٢ منطقة إدارية أو إقليما ، خص الدلتا منها ٢٢ والوجه القبلى ٢٠. وفى الوقت الذى كان فيه الوزير هو بمثابة الرجل الثانى فى البلاد المهيمن على كل شئ فيها ، نجد أن كل قطر من القطرين قد أختلف عن الآخر فى طريقة حكمه، بمعنى أن كلا منهما قد احتفظ بنظامه التقليدى المتوارث.

وإذا حاولنا أن نستعرض النظم التى كان الحكم يسير عليها ، فأننا نلجأ إلى النصوص التى خلفها لنا ذلك العصر ، وكذلك طائفة الألقاب التى حملها الموظفون والتى خلدوها على جدران مقابرهم محددة وظائفهم واختصاصاتهم ، وهذه تعطينا فكرة واضحة عن نظم الحكم والإدارة. فالوزير كما سبق أن أشرنا ، كان هو المهيمن على أعمال الحكومة كلها كما يتضح لنا ذلك من سلسلة ألقاب الوزراء الطويلة التى حددت إشرافهم على جميع إدارات الدولة. وكان المركز الرئيسى الذى يباشر منه الوزير فى عصر الدولة القديمة والوسطى إشرافه هذا ، هو العاصمة حيث يكون قريباً من الملك.

وفى هذا المكان كانت توجد المراكز الرئيسية للإدارات المختلفة مثل إدارة بيت المال التى يمكن لنا أن نشبهها بوزارة المالية الآن. إذ أنها هى التى كانت تتولى أمور الضرائب التى تجمع من أنحاء البلاد وتوضع إما فى المخازن الرئيسية بالعاصمة ، وإما بالمخازن الفرعية فى الأقاليم. وكان تقدير الضرائب يستلزم إجراء تعداد للأملاك كالأموال والأراضى والمواشى وغيرها. وتدلنا النصوص أن هذا التعداد كان يجرى فى أول الأمر مرة كل عامين. ولكن بازدياد الثروة بالتدريج وتطور النظام الإدارى ، ومحاولته تتبع هذا الازدياد أو انتقال الثروة ، أصبح التعداد يجرى كل عام. كما أن ارتفاع النيل فى مواسم الفيضان كان يسجل كل مرة وذلك لارتباط هذا بتقدير الضرائب المفروضة. وكانت هذه الضرائب إما عينية كالتى تفرض على المحاصيل والماشية وبقية المنتجات ، وإما من الذهب والمعادن وكانت هذه الأخيرة تحفظ فى بيت المال ، أما المحاصيل فكانت تجمع فى فروع إدارة الشونة.

ومن الواجب هنا أن نذكر أن موظفى الملك لم يكونوا يكافأون بالمال بل بالطعام والشراب والكساء والعطايا. ولنا أن نتصور العبء الواضح على هذه الإدارات مما كان يستلزم حسن الإدارة والتنظيم الدقيق وحصر وتسجيل ما يرد وما ينصرف ساعة بساعة ، ويوماً بيوم، وقد حفظت لنا من هذه السجلات بعض أوراق البردى المتناثرة التى سجلت فيها أشتات مختلفة متباينة من المنتجات والمحاصيل والأقمشة وغيرها .

إدارة الهيئات الملكية :

لم يكن الملك يتكفل بمكافأة الموظفين واطعامهم فى حياتهم فقط ، بل إن هباته كانت تشملهم أيضاً بعد وفاتهم. إذ بالإضافة إلى تكليف العمال والورش الملكية باعداد وتهيئة مقابر الموظفين الذين يتمتعون برضاء الملك ، إلا أنه كان هناك أيضاً إحدى الإدارات الرسمية المهمة التى يطلق عليها (برحرى وجب) والتى يمكن تسميتها "إدارة هبات الملك". وكان من مهمتها أن تقوم بتقديم القرابين والتقدمات فى مقابر عدد كبير من الموظفين ، الذين يتمتعون بهذا الأمتياز فى المواعيد المختلفة المحددة لتقديم القرابين. وكان لهذه الإدارة أفرعها المتعددة وموظفوها وعمالها.

إدارة الأشغال :

وهناك نواح أخرى كان ينصرف إليها النشاط الحكومى ، مثل إدارة الأشغال (كات) ، تلك الإدارة التى تحملت عبء إنشاء المعابد المختلفة وأهرامات الملوك وبعض مقابر كبار الموظفين ، وكذلك ما يتعلق بالأعمال العامة المطلوبة مثل بناء السدود والترع والقلاع والإدارات الحكومية. ونظرة واحدة إلى ما بقى من أهرامات الملوك أو مقابر الموظفين ، لتكفى للدلالة على مدى النشاط الذى كانت تقوم به هذه الإدارة ، ومدى الجهد الذى تحمله المهندسون والموظفون والعمال التابعون لها.

البعثات والحملات وإدارة السلاح :

وكانت البعثات والحملات ناحية مهمة من نواحى النشاط الحكومى ، فلقد كانت مصر دائماً وهى الوادى الأخضر الخصيب مطمع أنظار البدو وغيرهم من الغزاة الذين تحينوا الفرص للإغارة عليها ، وعلى ذلك كانت الحملات تجهز لمواجهة هذه الحالات وترسل لكبح جماحهم وطردهم من البلاد. وكذلك فإن البعثات التى كان بيت المال يرسلها لأستخراج الذهب وغيره من المعادن، فى حاجة دائمة لحماية ، فكانت ترسل معها جماعات من الجند لتأمين الطرق المؤدية إلى المناجم البعيدة عن الوادى ، وعلى صخور سيناء مثلا نجد كثيراً من النصوص التى خلفتها هذه البعثات ذاكرة أسماء رؤسائها وقوادها.

كما أن ما رواة لنا الموظف المشهور "أونى" أو الرحاله "حر خوف" فى عصر الأسرة السادسة يعطينا فكرة عن هذه الحملات والبعثات وما قامت به، والنظام السائد بين أفرادها.

ولن ننسى هنا أيضاً البوليس أو رجال الشرطة المكلفين بحفظ الأمن فى المناطق المختلفة أو الإدارات المتفرعة ، ومن المناسب أن نذكر أن عدداً منهم كان من قبائل النوبة الذين خدموا فى هذه الفرق أو جندوا مع الحملات التى أرسلت لصد الغارات على الحدود. ومن بين ألقاب الموظفين نستطيع أن نعرف وجود إدارات خاصة بالأسلحة يشرف عليها أمير الجيش "إمى -را-مشع" الذى كان من أكبر موظفى الدولة.

إدارات التسجيل والتوثيق :

أما عن إدارات التسجيل والتوثيق ، فكان النظام يحتم تسجيل الوثائق الخاصة بالأملاك وبيعها وشرائها والوصايا فى إدارات خاصة تحتفظ بهذه الأصول الموضح فيها مختلف الظروف والملابسات المحيطة بعمليات الشراء والبيع وشروط الوصايا والشهود الموقعين على هذه الوثائق للرجوع إليها عند الخلاف على ملكية شئ ما. وفى بلد زراعى كمصر ذات الرقعة المحدودة من الأراضى الصالحة للزراعة ، تكثر المنازعات حول ملكية الحقول والأراضى ، ويتطلب الأمر كثرة الرجوع إلى الوثائق الأصلية التى تحدد مساحات الأملاك وحدودها ، حتى يمكن الفصل على ضوئها فى المشاحنات والاختلافات.

إدارة الوثائق الملكية :

على أن هناك إدارة أخرى هى إدارة الوثائق الملكية وعملها على جانب كبير من الأهمية ، إذ كان المعتاد أن يصدر الملك مراسيمه وأوامره بتعيين الوزراء وكبار الموظفين وتحديد مختلف أوجه النشاط الحكومى وفرض الضرائب أو أعفاء أشخاص أو هيئات من أى التزامات أو ضرائب. وهذه الأوامر كلها كانت تسجل ثم تنسخ وترسل إلى جميع أنحاء الدولة لتذاع حتى يسير الموظفون على هديها. ولدينا عدة مراسيم من عصر الدولة القديمة مثلا يحرم فيها الملك على أى موظف حكومى أن يتعرض لأملاك معابد معينة ، مثل معبد الإله "مين" فى قفط ، أو الأملاك الموقوفه على هرم الملك "سنفرو" من الأسرة الرابعة ، أو فرض أية ضرائب أو توقيع أى جزاء أو تجنيد أحد من كهنة أو موظفى أو عمال هذه الأملاك ، بل يبقون دائماً بعيدين عن أى التزام حكومى. وفى هذه المراسيم يحرص الملك على أن يأمر وزيره بأن يتولى الإشراف على إذاعة هذه المراسيم ووضع نسخ منها على أبواب المعابد لكى تكون ظاهرة أمام كل موظف حكومى. وكان المشرفون على هذه الإدارة من أكبر موظفى الإدارة الحكومية.

موظفو الإدارات وتنظيماتهم :

وفى هذه الإدارات جميعاً التى كانت تخضع لإشراف الوزير يقوم بالعمل طوائف متعددة من الموظفين الذين يتفاوتون فى الرتبة ونطاق العمل والاختصاصات والمسئوليات ، ولكن يجمع بينهم نظام وظيفى محدد يتضح منه التسلسل المنظم ، وكان عماد الوظائف الحكومية هو الكاتب "سش" تلك الوظيفة المرموقة من عامة الشعب لأنها فى نظرهم وظيفة حكومية تضمن لشاغلها دخلا ثابتاً مضموناً ، وتسمح له أنه يخالط كبار الموظفين وأن يتسلط على عدد كبير من العمال ، كما أنه بالنسبة للعامة كان هو ممثل الحكومة. ومن الطبيعى أن ينتشر هؤلاء الكتبة فى كل المصالح الحكومية وفى مختلف أنحاء البلاد يصرفون الأعمال ويراقبون أملاك الدولة ويحددون استخدامها ، ويقدرون الضرائب ويسجلونها ويجمعونها ، ثم يباشرون تنظيمها وتحديد أوجه صرفها كما أن المجال كان مفتوحاً أمام هؤلاء الكتبة لاثبات جدارتهم

ونشاطهم حتى يمكن لهم أن يترقوا ليصلوا إلى الوظائف الكبيرة. ولذلك كان هناك رؤساء الكتبة ثم المشرفون على الكتبه فى كل المصالح، ثم رؤساء الأقسام المتعددة فيها ويمكن القول بأن كل هؤلاء الموظفين الكبار بدأوا حياتهم بوظيفة "سش" ، ثم انتقلوا منها حتى استطاعوا أن يرأسوا الإدارات أو يحكموا مدنا أو مقاطعات.

الكاتب القضائى :

فى حالة وجود نزاع أو مشكلة كان بعض الموظفين يجتمعون على شكل دائرة قضائية "جلجات" للنظر فى هذا النزاع وفى هذه الحالة ينبغى وجود موظف قضائى "ساب سش" معهم . ويمكن لهذا الموظف أن يسجل القضية المنظورة ووجهة نظر الطرفين وما يقرره القضاة، كما أن هؤلاء الموظفين القضائيين هم الذين يعرفون القوانين وطريقة تطبيقها وطريقة متابعة القضايا فى المحاكم أو أمام القضاة ويستطيعون متابعتها وتنفيذ الأحكام ثم تسجيل كل هذا. ومن هؤلاء الكتبة القضائيين كانت تتكون الإدارات القضائية التى تنظم هذه الناحية وظروفها وملابساتها. ولما كان تنفيذ الأحكام يحتاج إلى بعض الشرطة الذين يمكنهم استعمال القوة فى هذا الأمر، فإن من بين اختصاصات المشرفين على الإدارات القضائية ، الإشراف أيضا على بعض تنظيمات الشرطة حتى يضمن تنسيق التعاون بين إصدار الأحكام وتنفيذها. وذلك ما يتضح من دراسة ألقاب بعض كبار الموظفين فى عصر الدولة القديمة.

نظام الأقاليم وحكامها واختصاصاتهم :

كانت هذه الإدارات التى تكلمنا عنها إدارات مركزية فى العاصمة ، تشرف على العمل فى الدولة ، ولها أفرع فى مختلف أنحاء البلاد ، ولكننا سبق أن أشرنا إلى التقسيم الإدارى للبلاد ووجود ٤٢ إقليما. ولما كانت هذه الأقاليم البعيدة عن العاصمة تحتاج إلى رئيس مقيم فيها لتصريف الأمور فى مدنها والأراضى التى تجاورها فإن الملك كان يعين عليها حكاما من قبله ، يكونون مسئولين أمامه. وكانت هذه الوظيفة المهمة مطمع أنظار الموظفين. ويخبرنا "متن" فى الأسرة الرابعة كيف أنه بدأ حياته موظفا بسيطا ، ثم تدرج حتى استطاع أن يصبح محافظا لأكبر من ١٢ مدينة كبيرة ، ويدل هذا فى حد ذاته على إمكان وصول الموظفين للمناصب الرئيسية برغم أنهم ليسوا من طبقة الأشراف ، أى أن الوراثة لم تكن تلعب دورها فى ذلك.

وكان حكام الأقاليم يرأسون مختلف نواحى النشاط الحكومى الإدارى فى أقاليمهم ، فعليهم الإشراف على جمع الضرائب كاملة ، والعمل على زيادة الدخل ، وتأدية التزامات بيت المال ، وكان عليهم ايضا العناية بتحسين أحوال الزراعة فى المقاطعة من حفر الترع ، وإقامة الجسور ومباشرة تيسير وسائل الرى. وكانت تحت إشرافهم أيضا ؛ الناحية القضائية ؛ فهم رؤساء المحاكم وما يتصل بها من إدارات قضائية محلية، ولذلك يتقلدون لقب "كهنة ماعت" وماعت كانت إلهة الحق والعدالة ، ولذلك يعتبر القضاء بمثابة كهنة لها. كما كان حاكم الإقليم أيضا ، يرأس بقية أفرع الإدارات الحكومية المحلية ؛ أى الموجودة فى إقليمه ويشرف أيضا على الناحية الدينية فيها ، وينظم جمع الأفراد لتجنيدهم وإرسالهم فى حملات لصد ما يهدد الحدود. وكان يتلقى أوامر الملك ومراسيمه ؛ ويتولى إذاعتها فى مقاطعته والعمل على تنفيذها. ويساعده فى هذا بطبيعة الحال عدد كبير من الموظفين فى الإدارات على طريقة أشبه بما كان يجرى فى العاصمة فى الإدارات الرئيسية.

طريقة حكم الأقاليم :

ولعل من الطريف أن نسمع أحد حكام الأقاليم وهو "امينى" فى عصر الملك "سنوسرت الأول" يصف لنا على جدران مقبرته فى بنى حسن الأسلوب الذى اتبعه فى الحكم إذ يقول: "أنى لم أستعمل القوة مع أى ابنه من بنات الأهالى ولم اظلم أيه أرملة ، ولم اقبض على عامل ما ، ولم أطرد راعيا ما ولم يكن هناك رئيس..... أخذت منه عماله أثناء العمل. ولم يكن هناك فقير...... ولا جائع فى عصرى. وعندما حلت سنة المجاعة حرثت جميع أراضى الإقليم من الحد الجنوبى حتى الشمالى ، وابقيت الاهالى أحياء وأعطيتهم طعاما حتى لم يوجد بينهم جائع واحد ، وقد أعطيت الأرملة كما أعطيت المتزوجة وآثرت العظيم على الصغير". وليس من الممكن أن يعرف هل كان امينى هذا قد سار حقا بالطريقة التى يحددها أم لا؟ إلا أن الأمر المهم هنا أن هذه هى الفكرة التى كانت

المصرى القديم يعتنقها فى ذلك الوقت عن الحاكم العادل للإقليم وأسلوب حكمه ، وأنه لا يسرق أو يأخذ لنفسه شيئاً ، بل يسلم الضرائب والإيرادات كلها للبلاط.

الأدب :

يعد الأدب المصرى القديم من أقدم أنواع الأدب فى العالم وهو يتميز بأصالته ، حيث نشأ فى أرض مصر، وخلقه شعبها ، وانه جاء وليدا لظروف هذا الشعب وعبر عن مشاعره. وهذا الأدب المصرى ، بحكم توغله فى القدم الأساس الذى اهتدى به الأدب فى بعض الأمم القديمة ، وسوف نرى كيف غذى الأدب المصرى الأدبين العبرى والأغريقي وأعانهما على أن يلعبا دوريهما فى الحياة الأدبية فى الزمن القديم.

ونحن لا نستطيع أن ندرس الأدب المصرى القديم ونتذوق ما فيه من جمال إلا اذا تعرضنا لأنواع هذا الأدب وأساليبه وقد اوردنا أمثلة لهذه الأنواع مترجمة ومنقولة إلى اللغة العربية ، وان كانت الترجمة فى كثير من الأحيان تفقد الأصل بعض جماله وروعته.

وسوف يتبين القارئ من سياق هذه الأمثلة كيف كان المصرى القديم يعنى بالأسلوب القوى الجميل ، الذى يجد فيه القارئ أو المستمع غذاء لروحه واشباعا لنفسه، وسوف يجد القارئ أن هذا الأسلوب القوى الجميل أنما يستمد عذوبته وجماله من بساطته التى لا تكلف فيها ، تلك البساطة التى تجعله ينساب إلى النفوس فيستهويها ، والى الأسماع فيستولى عليها . وسوف نجد أن هذا الأسلوب يشتد ويقوى فيما جل من الأمور ، ويرق ويلين فى التعبير عن مختلف الأحاسيس والعواطف ، وما تجيش به النفس من مشاعر.

ولقد كان الأسلوب الجميل مطلوبا فى جميع العصور، يبتغيه الكاتب ويعمل على تحقيقه فى جميع ما يكتبه ، فقد ورد فى ديباجه أقوال الحكيم "بتاح حتب" المشهورة وصف لها يقول: "أنها الأقوال التى صيغت فى أسلوب جميل ووردت على لسان الوزير ، لكى يكون فيها ثقافة ومعرفة وتعليم لأصول الحديث الممتع".

وتنقسم أنواع الأدب المصرى القديم إلى ثلاثة أنواع:

١- أدب القصص.

٢- أدب الأناشيد والأغانى.

٣- أدب الحكم والأمثال والنصائح.

١ - أدب القصص :

لدينا عدد غير قليل من القصص ، ولكن وقبل أن الخص بعضها أو أتحدث عن أسلوبها أحب أن أذكر حقيقة هامة ، وهى : أن مصر هى أول بلد نشأت فيه القصة القصيرة التى كتبت أو كانت تقص على سامعيها للتمتع بها دون أي هدف آخر ، أى أنها كانت قصة لغرض القصة ، ولم تكن تفسيرا لبعض المظاهر الكونية، أو كانت تشير إلى أمر يختص بأحد الآلهة كتوضيح نشأته أو صلته بغيره.

وبالرغم من أن الكتابة قد عرفت فى مصر فى بداية الأسرة الأولى ، وترك لنا المصريون القدماء ثروة كبيرة من النقوش والنصوص من أيام الدولة القديمة، إلا أننا لا نجد من بينها قصصا ، وربما كان هناك شئ منها وضاع إلى الأبد ، أو ما زال باقيا وستظهره الأيام. أما القصص التى وصلت إلينا فإنما يرجع تاريخها إلى ما بعد أيام الدولة القديمة ، بعد أن شبت فيها الثورة الاجتماعية فى أواخر أيام الأسرة السادسة ، ومرت بالبلاد أحداث كثيرة ازدهر بعدها الأدب بوجه عام ، وارتقت أساليبه ووجد من تشجيع حكام الأسرتين التاسعة والعاشرة ما رفع من شأنه. فلما جاءت الأسرة الثانية عشرة ، وزادت صلة مصر بغيرها من الشعوب المجاورة ، زاد شأن القصة أيضا ، وقد حفظت لنا الأيام من ذلك العصر عددا منها ، هى أروع ما كتبه المصريون القدماء فى هذا الباب من أبواب الأدب ، وقد استمر حب المصريين للقصة إلى ما بعد أيام الدولة الوسطى ، وكتبوا الكثير منها فى عهد الدولة الحديثة ، وفيما تلاها من عصور.

ولن نستطيع أن نتحدث عن القصص كلها ، أو ننقل بعضا منها برمته ، لأن ذلك يتطلب مجلدا خاصا به ، ولكنى سألخص الأهم منها ، مبتدئا بأقدمها.

قصة سنوهى :

كانت قصة سنوهى من أحب القصص إلى قلوب المصريين القدماء ، لا فى الأسرة الثانية عشرة وحسب، بل فى جميع أيام الدولتين الوسطى والحديثة ، حتى أواخر أيام الأسرة العشرين ، وقد وصل إلى أيدينا كثير من أجزائها مكتوبا على البردى أو على اللخاف (الأوستراكا) مما يدل على إقبال الناس عليها ، وبخاصة المدرسين الذين كانوا يملونها على تلاميذهم. وهناك إجماع بين علماء الدراسات المصرية على أن قصة سنوهى هى خير ما ورد فى القصص المصرى ، وأنها تتفوق على ما عداها بأسلوبها وتركيبها ولغتها ، وما اجتمع لها من العناصر اللازمة للقصة الناجحة ، ولم يقتصر الأمر على علماء الدراسات المصرية ، بل أن غيرهم من رجال الأدب فى العالم يشاركونهم فى الإعجاب بها ، ويذهب بعضهم إلى اعتبارها جديرة بأن توضع بين روائع الآداب العالمية.

ولا شك أن صاحب هذه البردية وهو سنوهى كان شخصية حقيقية ، عاش فى أيام الملكين امنمحات الأول وسنوسرت الأول (الأسرة ١٢) ، وكانت مغامراته موضع إعجاب معاصريه ومن جاءوا بعده ، وربما كانت نواتها الأولى هى تاريخ حياة هذا الشخص نفسه الذى سطره ليكتب على أحد جدران قبره ، أو على لوحة تقام فى ذلك القبر كما كانت عادة المصريين فى ذلك الوقت.

القصة :

يبدأ نص القصة كالآتى :

الحاكم ، الأمير ، مدير أملاك الملك فى بلاد الأسيويين ، صديق الملك بحق ، ومحبوبه ، الرفيق سنوهى يقول:

كنت رفيقا يتبع مولاه ، وخادما للحريم الملكى للسيدة العظمى ، التى يكثر (الناس) من مدحها ، الزوجة الملكية لسنوسرت فى "خنم - سوت" والأبنة الملكية لأمنمحات فى "كانفرو" (الملكة) نفرو المبجلة.

العام الثلاثون ، الشهر الثالث من (شهور) الفيضان، اليوم السابع ، دخل الإله فى أفقه ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سحتپ - اب - رع (اسم التتويج لأمنمحات الأول) طار إلى السماء (أى مات) ، واتحد مع الشمس ، وامتزج جسم الإله بمن خلقه. وسكن القصر وامتلأت القلوب بالحزن ، وأغلق بابا البوابة الكبيرة ، وجلس رجال البلاط وقد وضعوا رؤوسهم فوق ركبهم ، وحزن الناس.

وكان الملك قد أرسل جيشا إلى بلاد التحنو (ليبيا) وكان على رأسه الإله الطيب "سنوسرت" الذى أرسل ليضرب البلاد الأجنبية ، ويؤدب أولئك الذين كانوا يعيشون بين التحنو ، وكان إذ ذاك عائد يحمل أسرى التحنو وجميع أنواع الحيوانات التى لا حصر لعددها.

وأرسل رجال القصر (رسلا) إلى الحدود الغربية ليخطروا ابن الملك بما حدث فى القصر ، وقد قابله الرسل فى الطريق ، ووصلوا إليه عند حلول المساء. لم يتلكأ لحظة واحدة، طار الصقر ومعه أتباعه ، ولم يذع ذلك بين جيشه ، ومع ذلك فقد وصلت رسالة إلى أبناء الملك الذين كانوا معه فى ذلك الجيش ، واستدعى أحدهم ونظرا لأنى كنت قريبا فقد سمعت صوته عندما تكلم بعيدا (عن الجميع) ، فهلع قلبى وتدلى منى الذراعان وأصابت القشعريرة كل أعضاء جسمى ، فاخذت أعدوا لأجد مخبأ ، ووضعت نفسى بين شجرتين حتى أبعد نفسى عمن يكون سائرا فى الطريق.

ويصف سنوهى طريقة هربه من مصر فيقول:

"واتجهت جنوبا ، ولكن لم يكن فى نيتى الوصول إلى القصر ، لأنى ظننت أن النزاع سيبدأ ، ولم أكن أعتقد فى أنى قادر على الحياة بعد كل هذا. وعبرت "ماتى"[١]. على مقربة من الجميزة ووقفت عند جزيرة سنفرو"[٢] وقضيت اليوم هناك عند حافة الأرض المزروعة واستأنفت سيرى عندما أصبح الصباح. وقابلت رجلا كان فى طريقى فحيانى وهو خائف بينما كنت أنا الخائف منه ، وعندما حل موعد العشاء اقتربت من "مدينة نجاو" [٣] وعبرت النيل فى قارب لا دفة له بفضل الريح الذى كان يهب من الغرب ، ثم مررت إلى الشرق من محجر سيدة الجبل الأحمر [٤] ،

---

[١] مكان غير معروف على وجه التحقيق ، ويظن ليففر أنه ربما كان عند بحيرة مريوط.

[٢] اسم مكان يرجح انه كان فى شمال الدلتا. وسنفرو هو مؤسس الأسرة الرابعة.

[٣] هذه المدينة غير معروفة أيضا ، ولكن من سياق القصة يجب أن تكون عند رأس الدلتا.

[٤] مازال اسم هذا المحجر مستعملا حتى الآن ، وهو على مقربة من العباسية فى القاهرة ، أما سيدة الجبل الأحمر فكانت الالهة حتحور.

ثم اتجهت نحو الشمال ووصلت إلى "جدار الامير"[١] الذى شيد لصد البدو وسحق ساكنى الرمال. وكورت نفسى بين الحشائش خوفا من أن يرانى الحارس الذى كانت عليه المراقبة فى ذلك اليوم إذا نظر (فى اتجاهى). واستأنفت السير عندما جاء الليل. وفى فجر اليوم التالى وصلت إلى "بتنى" وعندما وقفت فى جزيرة "كم ور" [٢] وقعت فريسة العطش فاكتويت (بناره) وجف حلقى وقلت لنفسى : "هذا هو طعم الموت" ولكن قلبى انتعش وجمعت أعضاء جسمى عندما سمعت خوار الماشية ، ورأيت بعض البدو. وعرفنى شيخ من بينهم كان قد زار مصر، فأعطانى ماء وطبخ لى لبنا ، وذهبت معه إلى قبيلته فأحسنوا معاملتى".

ويستمر سنوهى فى قص مغامرته ، فيذكر لنا أن بلدا أسلمه إلى آخر حتى وصل إلى جبيل[٣] ثم غادرها إلى بلد آخر اسمه "كومى" حيث أمضى ستة شهور ، ثم اتصل به بعد ذلك أمير "رتنو العليا"[٤] وأخذه معه ، وأغراه بأنه سيجد لديه كل راحة وسيستمع إلى لغة مصر ؛ لأن كثيرين من المصريين يقيمون معه ، وكان أولئك المصريون قد أعلموه بمكانة سنوهى. كان هذا الأمير يسمى "عامونننشى" وقد سأل سنوهى عن سبب مجيئه إلى تلك البلاد ، فأخذ يعيد عليه قصته ذاكرا أنه عندما سمع بموت الملك أمنمحات إرتعدت فرائصه ، ولم يعد لقلبه وجود فى جسمه ، ولكنه يستدرك فيقول "ومع ذلك فلم يتحدث عنى أحد بسوء ، ولم يبصق فى وجهى أحد ، ولم أسمع كلمة سباب" وسأله الأمير عن حالة مصر بعد وفاة مليكها ، فطمأنه سنوهى بأن ابنه أخذ مكانه ، وأنه خير من يحمل الأمانة بعد أبيه وليس هناك من يماثله. وأخذ يطنب فى مدحه ويعد ذلك المديح المستفيض تبدأ بعض الأوصاف الشعرية فى مدح ذلك الملك ، وهذه هى بعضها:

"ان بلده يحبه أكثر مما يحب نفسه ، ويبتهج به الناس أكثر من ابتهاجهم بإلههم ، يمر به الرجال والنساء ويسعدون به .

انه ملك وقد غزا منذ أن كان فى البيضة (قبل أن يولد) ، ومنذ ولادته أصبح ذلك (أى الغزو) هدفه ، أنه هو الذى يضاعف عدد الذين يولدون فى أيامه ، انه لا نظير له ، وهو هبة الآلهة.

ما أسعد البلاد التى يحكمها ، أنه هو الذى يمد حدودها ، وسيهزم البلاد الجنوبية ، ولن يضنيه التفكير فى البلاد الشمالية ، لأنه ولد فى هذه الدنيا ليهزم البدو، ويقضى على من يسكنون فوق الرمال".

وفى آخر هذه القصيدة ينصح الأمير بان يكتب إلى سنوسرت ، ويؤكد له ولاءه فإنه "لن يتوانى عن عمل الخير لبلد يكون مواليا له".

ودعاه الأمير للإقامة معه ، ورفع قدره فوق قدر أبنائه وزوجه من كبرى بناته ، وأعطاه جزءا من مملكته على الحدود ، ويقول سنوهى عن تلك المنطقة "أنها كانت إقليما طيبا اسمه (يا) كانت فيه أشجار التين، وفيه الأعناب ، وكان النبيذ فيه أكثر من الماء. كان عسله وفيرا وزيته كثيرا ، وكانت كل الفواكه تحملها أشجاره. كان فيه الشعير والقمح ، وماشيته من جميع الأنواع لا يحصرها العد" ، وجعله أيضا زعيما لإحدى القبائل ، فكان يتمتع بكل الخيرات التى يقدمها له أتباعه.

وقضى هناك سنوات كثيرة ، وكبر بنوه ، وأصبح كل واحد منهم زعيما لقومه ، وكان من عادة سنوهى أن يستضيف جميع الرسل الذين كانوا يسافرون من و إلى مصر ، وكان يجد لذة كبرى فى استضافتهم ، وتقديم الطعام والعون لكل من كان فى حاجة إلية من أهل البلاد. ونفهم من سياق قصته أن القلاقل بدأت تنتشر فى البلاد ، وأخذ بعض زعماء القبائل[٥] يهاجمون الناس ، فعينه أمير رتنو العليا قائدا لجنوده ، وظل فى ذلك المنصب فى كل حملة يذهب اليها ، فرفع ذلك من مكانته لدى الأمير وزاد من شهرته فى جميع البلاد.

---

[١] جدار الأمير إسم لحصن اقامة أمنمحات الأول على حدود مصر الشرقية عند مدخل وادى الطميلات.

[٢] اسم احدى البحيرات فى منطقة برزخ السويس.

[٣] جبيل أوبيبلوس شمال بيروت على الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط.

(٤) بلاد "رتنو" كانت الاسم الذى يطلق على فلسطين وسوريا فى ذلك الوقت ، وربما كان المكان الذى استقر فيه سنوهى إلى الشرق من جبيل، وعلى الإرجح فى البقاع على الطريق الرئيسى بين الشاطئ ودمشق.

[٥] "حقاوو – خاسوت" وترجمتها الحرفية حكام البلاد الأجنبية ، وهو التعبير نفسه الذى اشتقت منه كلمة ال "هكسوس" الذين غزوا مصر بعد ذلك بما يقرب من قرنين من الزمان ، وربما كانت اشارة سنوهى إلى هؤلاء ال "حقاوو – خاسوت" والقلاقل التى اخذت تسود منطقة سوريا هى بدء ذلك الاضطراب فى تلك المنطقة عقب هجرات قبائل من وسط آسيا ، أخذت منذ ذلك العهد تهاجر فى موجات لتستقر فى مختلف بلاد الشرق الأدنى ، وفى غيرها ، وهى المسماة الشعوب الهندو – أوروبية التى كان لها أثر كبير فيما بعد .

وفى يوم من الأيام تحداه بطل من "رتنو" عرف بقوته وخضع له الناس ، وقد اقسم ذلك البطل أن ينازل سنوهى ويقتله ويستولى على ما يملكه ، واستدعى الأمير وأبلغه ذلك فرد سنوهى قائلا "أنني فى الحقيقة لا أعرفه ، ولست من ذويه ، ولم أذهب أبدا إلى مضرب خيامه. هل فتحت يوما بابه؟ هلى هدمت سوره؟ كلا ! انه الحسد ؛ لأنه يرانى أنفذ ما تطلبه". ويستمر سنوهى فيشبه نفسه بثور غريب فى قطيع يتعرض لهجوم الثيران عليه ، ولا ينسى فى هذا الموقف أن يتذكر انه أجنبى عن البلاد ، ولكنه يقبل التحدى ، ويقول انه لا يخشاه. وأمضى الليل يعد قوسه ويجرب سهامه ، ويشحذ خنجره وأسلحته الأخرى ، فلما أصبح الصباح تجمع الناس من كافة الأنحاء ، وكان شعور الناس مع سنوهى : "كان كل قلب يحترق من أجلى ، وكانت النساء وكذلك الرجال يثرثرون ، وكان كل قلب حزينا على ، وكانوا يقولون : "أليس هناك رجل شجاع آخر يستطيع أن ينازله"(١).

وجاءت ساعة النزال ، فبدأ البطل الآسيوى فى اطلاق سهامه ، فتفاداها سنوهى ، ثم اقترابا من بعضهما، وهجم عليه عدوه مرة أخرى ، ويقول سنوهى فى وصف ذلك " "وعندما اقترب كل منا من الآخر هجم على فأصبته ، واستقر سهمى فى عنقه ، فصرخ وارتمى على أنفه ، فأجهزت عليه بفأس قتالة، وصرخت صرخة النصر ، وقد وقفت فوق ظهره" وفرح القوم لذلك وعانقه "عاموننشى" أمير رتنو ، ثم استولى سنوهى على كل ما كان لدى ذلك البطل وزدات ثروته، ويختم وصف هذا الحادث بالأشعار الآتية :

فى يوم من الأيام فر أحد الهاربين.

ولكن صيتى الآن قد وصل القصر.

فى يوم من الأيام كان متلكئ يتلكأ بسبب الجوع ،

والآن أعطى الخبز لجارى.

فى يوم من الأيام ترك شخص بلده بسبب العرى ،

والآن أتلألأ فى بيض الثياب وفى (ملابس) الكتان.

فى يوم من الأيام كنت أسرع فى السير لأنه لم يكن لدى من أرسله ،

والآن لدى عدد كبير من الأرقاء.

أن بيتى جميل ، ومسكنى رحب ،

ويذكرنى الناس فى القصر.

ثم يتمنى بعد ذلك من أن يرأف به ويعيده إلى القصر، ويسأل الله ملحاً أن يسبغ عليه رحمته ورأفته، وأنه يجعل ملك مصر وزوجته يعطفان عليه : "ليت جسمى يعود إلى شبابه لأن الشيخوخة قد وأتت وحل بى الضعف. لقد ثقلت عيناى وضعف ذراعاى وأصبح الموت قريبا منى". وأرسل سنوهى إلى سنوسرت وزوجته يستعطفهما ، ويستأذنهما فى المجئ إلى مصر ليمتع ناظريه برؤية أطفالهما ، فجاءه الرد من الملك كما كتب إليه الأمراء الصغار ، وبعث إليه سنوسرت بهدايا كثيرة أدخلت السرور على قلبه ، وقد كان خطاب الملك أو بعبارة أدق مرسومه الملكى بردا وسلاما على نفسه ، فكتب نصه كاملا فى قصته ، كما كتب أيضا النص الكامل لرده عليه.

كتب له الملك فى مرسومه مذكرا اياه بأنه ترك مصر ، واستقر فى البلاد الأجنبية دون أن يأتى بأى ذنب فينفى نفسه بنفسه. ويلوح انه كانت هناك صلة قرابة تجمع بين سنوهى والملكة نفرو ، فأكد له الملك أن الملكة بخير، وأن أبناءها لهم مراكزهم فى إدارة البلاد، وأنه سينال خير كثير من الملكة ومنهم إذا ما قرر العودة إلى البلد الذى نشأ فيه ، ويعود مرة ثانية إلى القصر "حتى يقبل الثرى أمام البابين الكبيرين ، ويعيش بين امناء القصر". ويذكره سنوسرت بشيخوخته واقتراب يوم وفاته ، ويعده بأن يفعلوا له كل ما يليق به ويحنطون جثته كما يجب "سيكون لك موكب جنازة فى يوم دفنك ، وسيكون تابوتك من الذهب ، ورأسه من اللازورد. ستكون السماء فوقك وستوضع فوق زحارفة. ستجرك الثيران ويسير المغنون أمامك ، وستؤدى رقصة ال"موو" عند باب قبرك. وسيقرءون لك ما تتطلبه مائدة قرابينك ، وستذبح لك الذبائح أمام مذبحك. وستكون أعمدتك (أى أعمدة قبرك) من الحجر الأبيض بين (مقابر) الأبناء الملكيين ، وهكذا لن تموت فى الخارج ، ولن يدفنك الآسيويون ، ولن يضعوك داخل جلد شاة .. ففكر فيما يحدث لجثتك وعد (إلى مصر)".

(١) كانوا يعطفون على سنوهى لأنه كان متقدما فى السن، ومحبوبا منهم، وكانوا يتمنون لو كان هناك شخص آخر ينازل ذلك البطل السورى.

ويقول سنوهى أن هذا المرسوم قد وصله وهو بين رجال قبيلته وقرئ عليه ، فاشتدت فرحته ونسى في تلك اللحظة فضل تلك البلاد عليه كل هذه السنين الطويلة :

"فارتميت على بطنى وأمسكت التراب وعفرت به شعرى ، وأخذت أجرى بين المساكن فرحا وأنا أقول: "كيف تحدث كل هذه الأشياء لخادم أضله فؤاده فأتى به إلى بلاد متوحشة !" .

وفى رد سنوهى على الملك سنوسرت يذكر مرة أخرى هربه من مصر ، ويؤكد له أنه لم يدبره أو يفكر فيه: "لست أعرف ما الذى جعلنى أفارق مكانى. كان ذلك أشبه بالحلم كما يحدث لشخص من أهل الدلتا عندما يرى نفسه فجأة فى الفنتين (جزيرة أسوان) أو أن شخصا من المستنقعات (فى الدلتا) يرى نفسه فى النوبة. لم يكن هناك ما أخافه ، ولم يضطهدنى أحد ولم أسمع قولا جارحا". وفى نفس الخطاب نقرا أيضا شيئا آخر. لقد هاجر سنوهى إلى بلاد فلسطين - سوريا وكون لنفسه هناك مركزا ممتازا ، وأصبح كل ولد من أولاده زعيما لقومه. كما ارتبط برباط المودة مع زعماء كثيرين. وفى خطابه هذا يعتبر نفسه كأنما كان يحكم فى تلك البلاد باسم ملك مصر ويستأذن سنوسرت فى العودة إلى مصر ويقول له انه ترك عمله هناك تنفيذا لرغبته ، ويوصيه خيرا ببعض أمراء البلاد الذين كانوا موالين لملك مصر ، ويسأله أن يدعوهم إليه .

ويعود سنوهى إلى سرد قصته مرة أخرى فيقول أنه بعد أن تلقى المرسوم الملكى وكتب رده عليه لم يمكث إلا يوما واحدا فى "يا" حيث سلم ثروته إلى أبنائه ، وأقام أكبر أبنائه فى مكانه كزعيم للقبيلة. وعندما وصل إلى الحدود المصرية عند مدينة "طريق حورس"[1] أرسل ضابط الحدود كتابا إلى السراى ، فبعث إليه الملك سنوسرت ببضع سفن ملأى بالهدايا أعطاها للبدو الذين صحبوه بعد أن قدمهم فردا فردا إلى الموظفين المصريين الذين جاءوا من القصر ، ثم ودعهم وعاد مع رجال القصر إلى العاصمة. وفى الصباح المبكر جاءوا ليدعوه لمقابلة الملك "جاء عشرة من الرجال ، وذهب عشرة من الرجال وقادونى إلى السراى" كان أبناء الملك ينتظرونه عند الباب الخارجى، فلما دخلوا به إلى قاعة العرش : "وجدت جلالته فوق عرشه العظيم فى البوابة الذهبية. وعندما ارتميت على بطنى تولى عنى ذكائى فى حضرته بالرغم من أن ذلك الإله (أى الملك) قد خاطبنى برفق. كنت كرجل خطفوه فى الظلام. فرت روحى ، وارتعش جسدى ، ولم يعد لقلبى وجود فى جسمى ، ولم أعد أعرف أكنت حيا أم ميتا" وأمر الملك أحد أمنائه بأن يرفع سنوهى من الأرض ،وأخذ يكرر على مسمعه بعض ما ذكره فى مرسومه فرد عليه سنوهى قائلا : "ما الذى يقوله لى سيدى ، ليتنى أستطيع الاجابة فلنى لا أقدر" وأخيرا أمر الملك بإدخال الأطفال الملكين وقال للملكة :"انظرى ، هذا هو سنوهى الذى عاد إلينا آسيويا ، ابنا حقيقيا من أبناء البدو" فصرخت صرخة عالية وصرخ الأطفال الملكيون جميعا، وقالوا لجلالته : "أنه ليس هو حقا يا سيدى الملك" فرد الملك "أنه هو حقا". وكانوا قد أحضروا معهم قلائدهم وشخاشيخهم كهديه منه ، وأخذوا يستعطفون الملك ، وغنوا له أغنية طويلة طلبوا منه فى نهايتها أن يمنحهم كهدية منه "ذلك الشيخ ابن آلهة الشمال ، ذلك الهمجى الذى ولد فى مصر. أنه فر خوفا منك وترك البلاد رهبة منك، ولكن الوجه الذى يرى جلالتك لن يجزع بعد ذلك، والعين التى تقع عليك لن تخاف".

ورد الملك على أبنائه بأنه لن يخاف ولن يجزع ، وأمر بتعيينه أمينا من أمناء القصر ، وجعل مكانه بين كبار الموظفين فى البلاط . ويصف سنوهى بعد ذلك ما حدث له ، وكيف أخذوه إلى منزل أحد الأمراء ، وأعدوا له حماما ، وكيف عطروه وألبسوه فاخر الثياب، وكان الخدم يلبون كل إشارة له : "وجعلوا السنين تغادر جسمى وانسلخت عنى ، وسرحوا شعرى وألقوا إلى الصحراء بحمل من القاذورات وألقوا بملابسى إلى ساكنى الصحراء وألبسونى أفخر الثياب ، وعطرونى بأحسن أنواع العطور. ونمت على سرير وتركت الرمال لمن هم فيها وزيت الخشب لمن يلطخ نفسه به".

ويطيل سنوهى فيما أغدقه عليه الملك ، إذ أعطاه بيتا يليق بأحد أمناء القصر وزينه له ورتب له طعامه من القصر "يأتون به ثلاث مرات وأربع مرات فى اليوم الواحد" وأصدر الملك أمره إلى كبير مهندسيه لاقامة

[1] كانت هذه المدينة على الفرع البلوزى ، أحد فروع النيل فى ذلك الوقت.

قبر له ، وعينوا له أمهر الصناع ، وانتقوا له أحسن الأثاث الجنائزي ، وعينوا له الكهنة اللازمين ، وأوقفوا له الحقول اللازمة ، ووضعوا له في القبر تمثالا مغطى بالذهب ، وكانت نقبة ذلك التمثال مصنوعة من الذهب الخالص. ويختم قصته قائلا : "كان الملك هو الذى أمر بعمل ذلك. ولم يحدث أن عملت مثل هذه الأشياء لرجل بسيط (مثلى). وهآنذا أعيش يغمرنى فضل الملك حتى يحين يوم وفاتى".

قصة الملاح والجزيرة النائية :

والقصة الثانية التى سأتحدث عنها هى قصة من العصر نفسه ، أى عصر الدولة الوسطى الذى أغرم فيه الناس بحب المغامرة ، وتسمى قصة الملاح والجزيرة النائية أو قصة الملاح الغريق ، وفيها يقص أحد المصريين ما صادفه من حوادث عندما نزل فى البحر الأحمر وتحطمت به سفينته ووصل إلى جزيرة من الجزر ، ربما كانت جزيرة الزبرجد ، وربما كانت إلى الجنوب منها عند مدخل البحر الأحمر.

ولا يمكنا أن نقارن هذه القصة بقصة سنوهى من ناحية الفن القصصى أو التكوين ، ولكنها تمتاز بمتانة الأسلوب اللغوى وانتقاء الألفاظ. ومن المرجح أنها كانت جزءا من مجموعة قصص عن مغامرات البحار ، وكان يقص كل واحد أغرب ما صادفه فى حياته ليسروا بذلك عن رئيس حملتهم الذى لم يظفر بتحقيق ما أرسله الملك إليه فى رحلة فى النيل فى جنوبى مصر. وكان ذلك الأمير يخشى ما سيحل به والقصة الحالية هى قصة شخص آخر كان معه قصها عليه ليسرى عنه كما ذكرنا ويعيد الثقة إلى نفسه حتى يقابل الملك وهو مطمئن النفس.

وقد وصلت إلينا هذه القصة كاملة فى بردية اشتراها العالم الروسى فلاديمير جولينشف من مصر ، وهى الآن فى متحف لينينجراد فى روسيا .

ومسرح حوادث هذه القصة هو البحر الأحمر ، وكان المصريون منذ أيام الأسرة الخامسة على الأقل يرسلون الحملات إلى بلاد بونت ، التى كانت تشمل الشاطئين الأفريقى والآسيوى حول باب المندب ، ويحضرون من هناك خيرات تلك البلاد وعلى الأخص البخور وأنواع العطور المختلفة وكل ما كانوا يجدونه فى تلك البلاد ، سواء مما كانت تنتجه أو مما كان يأتى إليها كسلع تجارية.

ويميل أكثر الباحثين فى تاريخ آداب الأمم إلى اعتبار هذه القصة الأصل الذى نقلت عنه بعض المغامرات المماثلة ، مثلما نقرؤه عن يوليس فى الأوديسة أو قصة السندباد فى ألف ليلة وليلة.

وتدور حوادث القصة فى جزيرة نائية فى البحر، جزيرة مسحوره يسكنها ويحكمها كائن غير عادى، ثعبان هائل الحجم يستطيع أن يتحدث ويتنبئ عن الغيب، ولكنه غير شرير بل يساعد الذين فى حاجة إلى المعونة، ويغدق عليهم عطاياه ، وقد رأى البعض أن ذلك أيضا هو المصدر الذى ظهر أثره فى قصة الأمير زين الزمان، وملك الجن فى كتاب ألف ليلة وليلة أيضا.

والقصة كاملة وهذه هى بدايتها المفاجئة:

قال التابع الوفى : "ليطمئن قلبك أيها الأمير. أنظر لقد وصلنا إلى الوطن. لقد أمسكوا بالمطرقة ودقوا الوتد ، ومدوا حبل المقدمة (مقدمة السفينة) على الأرض ، واقيمت الصلوات وعانق كل رجل أخاه. لقد عاد بحارتنا سالمين ولم ينقص من حملتنا أحد. لقد وصلنا إلى آخر (بلاد) "واوات"[1] ومررنا بـ "سنمت"[2]. انظر ! لقد عدنا بسلام ووصلنا أرضنا".

واخذ هذا التابع يقص على الأمير قصته الغريبة ، وعندما نزل فى البحر الأحمر قاصدا إلى مناجم الملك فى سفينة ، طولها أكثر من ستين مترا ، وعرضها يزيد على عشرين مترا ، وكان عدد بحارتها مائة وعشرين رجلا "ممن كانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود ، وكان فى استطاعتهم التنبؤ بالزوبعة قبل وصولها ، والعاصفة قبل حدوثها".

وهبت عليهم عاصفة وهم فى عرض البحر فطارت سفينتهم أمام الريح ، وكان ارتفاع الموجة أربعة أمتار، وتحطمت السفينة ، وتعلق هو بقطعة من الخشب ولم ينج أحد غيره. ورماه الموج فوق جزيرة من الجزر قضى فيها أياما ثلاثة ، لم يكن له من مؤنس غير قلبه، فلما استطاع الحركة وجد أن الجزيرة ملأى

(١) واوات هى المنطقة الممتدة بين أسوان وكورسكو ، ولم تطلق فى الأسرة الثانية عشرة على البلاد الواقعة على شاطئ النيل فقط ، بل عليها وعلى المنطقة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر.
(٢) "سنمت" اسم جزيرة أمام جزيرة فيلة جنوبى أسوان.

بالفواكه والخضروات ، وفيها السمك والطيور فنال منها كفايته ثم أوقد نارا وقدم قربانا للآلهة.

وسمع عند ذلك صوتا يشبه الرعد فظنه أمواج البحر ، وأخذت فروع الأشجار تتقصف والأرض تتزلزل فغطى وجهه من الخوف ، فلما رفع يديه عن عينيه رأى أمامه ثعبانا يقترب منه "كان ثلاثين ذراعا (١٥,٦ مترا) فى الطول ، وكان طول ذقنه أكثر من ذراعين ، وكان جسمه مغطي بالذهب وحاجباه من اللازورد الحقيقى".

وسأله الثعبان عمن أحضره إلى تلك الجزيرة ، وهدده إذا لم يخبره بالحقيقة بأن يحيله إلى رماد ، فأجابه "انك تخاطبنى ولكنى لا أسمعك ، وأنا أمامك ولكنى لا أحس بشئ" فحمله الثعبان فى فمه حتى وصل به إلى مسكنه ، وأعاد سؤاله مرة أخرى فقص عليه قصته ، حتى إذا ما انتهى منها قال له الثعبان : "لا تخف ، لا تخف ، أيها الصغير ، ولا تعبس طالما أنك جئت إلىّ. لقد شاء الله حقا أن تعيش عندما أوصلك إلى "جزيرة الروح" هذه، وأخذ الثعبان يصف الجزيرة وخيراتها ، وأكد له أنه سيقضى فيها أربعة شهور ، ثم تمر سفينة أخرى آتية من مصر يعرف بحارتها وسيعود معهم ولن يموت إلا فى بلده.

وأخذ الثعبان بدوره يقص عليه ، كيف كان معه أقاربه من الثعابين ، وكان عددهم جميعا خمسة وسبعين، وذلك عدا امرأة ربما كانت من الأنس ، ولكن إحدى الشهب قتلتهم جميعا إلا هو ؛ لأنه كان فى مكان بعيد ، وأخذ البحار يقدم شكره للثعبان ، ويعده بأنه سيقص قصته على الملك ، وسيقدم له جميع أنواع القرابين ، وسيرسل له من مصر سفنا محملة بكل ثمين فى أرض مصر ، ولكن الثعبان ضحك من قوله ، وسخر منه وقال له بأنه هو أمير بلاد بونت ، ولديه العطور والبخور ، وزاد على ذلك بأن أخبره بأنه بعد مغادرته للجزيرة لن يعد لها وجود ، إذ ستتحول إلى ماء. ويستمر الملاح فى قصته : "ثم جاءت السفينة كما تنبأ تماما ، فذهبت وتسلقت شجرة عالية ، وناديت من كانوا فيها. وذهبت لأخبره ، قال لى : "مع السلامة، مع السلامة إلى منزلك لترى أولادك ، واذكرنى بخير فى بلدك فان هذا هو كل ما أطلبه منك".

فارتمى البحار أمامه على الأرض شكرا له ، وأعطاه الثعبان مقادير كثيرة من جميع أنواع البخور والعطور وكحل العينين وذيول الزراف وسن الفيل وكلاب الصيد والقردة والنسانيس فنقلها إلى السفينة. وعندما ارتمى على الأرض مرة أخرى ليقدم له شكره، قال له الثعبان "انظر ! ستصل العاصمة بعد شهرين ، وستحتضن أطفالك وسيرد إليك شبابك فى القصر وستدفن (فى بلدك)". ويقول الملاح بأن كل ما قاله الثعبان قد تحقق وعاد بكل تلك الخيرات ، وأن الملك شكره أمام جميع كبار الموظفين وعينه تابعا له ، وأخذ الملاح ينبه الأمير إلى ما ناله ويوصيه بأن يستمع إلى نصيحته، ولكن الأمير يجيبه: "لا تكن مختالا" يا صديقى. فمن ذا الذى يعطى الماء فى الصباح لطائر سيذبح أثناء النهار!"[١] .

قصة القروى الفصيح :

وهذه قصة أخرى نعرف تاريخها ، فقد قيل أن حوادثها كانت فى عصر الملك "نب - كاوو - رع" أحد ملوك اهناسيا فى الأسرة العاشرة ، ولكنها كتبت على الأرجح بعد ذلك بقليل ، وقد لاقت إقبالا كبيرا فى أيام الدولة الوسطى ، إذ عثر على أربع نسخ لها عدا المقتطفات الأخرى ، وأهمها فى متحف برلين. وتختلف هذه القصة عن القصتين السابقتين ، بأن الهدف من كتابتها لم يكن كتابة القصة نفسها ، وإنما وضعت القصة كتمهيد لما يأتى بعدها من تسع مقالات أدبية، عنى الكاتب بانتقاء معانيها وتعبيراتها و ألفاظها كل العناية.

كتبت هذه القصة فى عصر الفترة الأولى ، أى بعد الثورة الاجتماعية التى غيرت كثيرا من الأوضاع ، وأعلت من قيمة الفرد ، وكانت تدعو إلى محو الظلم والقضاء على الظالمين ، وأن كل أنسان مهما علا قدره سيحاسب على ما جنته يداه ، وأن الحاكم ليس إلا راعيا مسئولا عمن هو مكلف بالسهر على راحتهم ، فإذا أهمل فى ذلك فان حسابه عسير أمام الله.

تبدأ هذه القصة فتذكر انه كان هناك شخص يسمى "خو - أن - انوب" كان من سكان وادى النطرون

(١) ربما كانت هذه الجملة من بين الأمثال السائرة لدى المصريين فى ذلك العهد ، وهى تمثل يأس رئيس الحملة وإيمانة بان الملك سينزل عليه جام غضبه لفشله فى مهمته وتنتهى قصة الملاح والجزيرة النائية عند هذه الجملة الاخيرة ولكن البردية لم تنته عند ذلك الحد بل نرى أن الكاتب الذى نسخها يذكر انه نقلها من بدايتها إلى نهايتها كما وجدها فى نسخة كتبها الكاتب ذو الاصابع الماهرة "أمون عا بن امينى" له الحياة والسعادة والصحة.

وكانت له زوجة تسمى "مرية". أراد هذا الشخص أن يسافر إلى وادى النيل ليحصل على طعام وغلة لأولاده، فأعدت له زوجتة ما يكفيه من زاد للطريق ، وترك لها ولأولادها الشئ القليل حتى يعود ، وحمل حميره بكل ما كان فى وادى النطرون من ملح ونطرون وأعشاب مختلفة الأنواع ، وكان الناس فى مصر يقبلون على شرائها ، كما حمل أيضا معه بعض عصى من واحة الفرافرة وجلود الفهد والذئب وغيرها.

وساق حميره قاصدا مدينة اهناسيا (فى مديرية بنى سويف) التى كانت عاصمة لمصر فى ذلك الوقت. فلما وصل إلى منطقة يقال لها "بر - ففى" وجد هناك رجلا واقفا على حافة النهر يسمى "تحوتى - نخت" من أتباع "رنسى بن مرو" الذى كان فى ذلك الوقت رئيس حجاب القصر ، وكان من أكبر الموظفين المقربين من الملك ، وطمع تحوتى نخت فى سلب شئ مما كان مع ذلك القروى ، فلجأ إلى الحيلة ، وطلب من خادمه أن يحضر له قطعة من القماش وفرشها فوق الطريق ، فكانت إحدى حافتيها تتدلى فى ماء النهر والحافة الأخرى فوق الشعير الذى كان مزروعا على الجانب الآخر من الطريق ، فلما وصل إليه القروى حذره رنسو من أن يمر فوق القماش، فأجابه القروى بأنه سيفعل ما يريد ، وساق حميره إلى الحقل فصرخ فيه سائلا عما إذا كان يريد أن يجعل من شعيره طريقا ، فأجابه "إنى لا أقصد إلا سبيل الخير. الجسر مرتفع والطريق الوحيد هو (السير) فى الشعير؛ لأنك سددت طريقنا بثيابك. ألست تسمح لنا بالسير؟".

وأثناء مناقشتهما مال أحد الحمير على الشعير فقضم منه فقال تحوتى - نخت بأنه سيأخذ ذلك الحمار جزاء على أكله لشعيره ، فصاح القروى المسكين معترضا ، وهدده بأنه لن يسكت على ذلك ، فأنه يعرف أن صاحب هذه الأرض هو رئيس حجاب القصر رنسى ابن مرو الذى يحارب السرقة فى جميع أنحاء البلاد ، ومع ذلك فهو يسرق فى أرضه.

ورد عليه تحوتى - نخت مغلظا ، ثم أخذ عصا وانهال عليه ضربا وأخذ حميره كلها. وبكى القروى بكاء مرا مما حل به ، ولكن تحوتى - نخت نهره وأمره بالصمت ؛ لأنه على مقربة من معبد لأوزيريس الذى كان من بين صفاته أنه رب الصمت ، فرد عليه القروى "أنك تسرق متاعى ، والأن تريد أن تأخذ الشكوى من فمى. يا رب الصمت رد على متاعى حتى لا أصرخ".

وظل القروى عشرة أيام يستعطف "تحوتى - نخت" دون جدوى ، فلما يئس ذهب إلى إهناسيا ليشكو إلى رنسى ، وقد قابله عندما كان يهم بالنزول إلى سفينة كانت تستخدم كمحكمة ، فخاطبه القروى سائلا أن يرسل إليه خادما يثق فيه ليقص عليه ما حدث له ، ففعل ذلك وعلم بما جرى له ، فرفع شكوى إلى من كانوا معه من القضاة ضد "تحوتى - نخت" ولكنهم ردوا عليه بأنه ربما كان ذلك القروى أحد فلاحى "تحوتى - نخت"، وأنه ربما أراد تركه والذهاب للعمل عند غيره ، وعز عليهم أن يحاكموا تحوتى - نخت لأجل كمية تافهة من النطرون والقليل من الملح ، وطلبوا منه أن يطلب إلى تحوتى - نخت أن يعوضه عنها ، ولن يتأخر عن فعل ذلك.

وجاء القروى إلى رنسى شاكيا ، وذكره بأنه المسئول عن تنفيذ العدل ، وأنه أب لليتيم وحامى المظلوم ، وذكره بأنه يجب أن يقيم العدل بين الناس ، وينتصر له لأنه ذو أعباء وفقير وضعيف ولا ناصر له.

وذهب رنسى إلى الملك وقص عليه قصته ، وقال له بأن واحدا من أولئك القرويين الفصحاء الذين يجيدون الحديث ، ظلمه أحد الرجال ، فقصد إليه شاكيا فطلب إليه الملك ألا ينصفه حتى يزيد من قوله ، وأن يسجل هذا كله كتابة ، وفى الوقت ذاته أمره بأن يرتب مؤونة من الطعام ، وأن يرتب أيضا ما يكفيه دون أن يعلم أنه هو الذى فعل ذلك.

وأخذ القروى يتردد يوما بعد آخر ، وأتبع شكواه الأولى بثانية ثم بثالثة حتى بلغت تسعا ، وفى كل واحدة منها يتفنن فى المطالبة بحقه ، ويذكره بمسئوليته عما حدث له ويحذره من غضب الله عليه لمناصرته للظلم.

وفى نهاية شكواه التاسعة ظهر عليه اليأس فاختتمها بقوله: "انظر ! أنى أقدم شكواى إليك ولكنك لا تصغى لها. وسأذهب الآن وسأرفع شكواى ضدك إلى الآله أنوبيس". وبدأ القروى يسير بعيدا عنه معتزما تنفيذ ما هدد به ، وهو أنه ذاهب إلى اله الموتى ، فأرسل خلفه اثنين من أعوانه عادا به وكان

خائفا لئلا يعاقبه رنسو على ما بدر منه فى شكواه ولم يصدق فى بادئ الأمر أذنيه عندما طمأنه رئيس الحجاب ، وأخيرا أمر بإحضار البردية التى سجلوا فيها كل ما قاله. وتستمر القصة فتقول بأن الملك "نب كاوو – رع" أعجب بأقوال ذلك القروى إعجابا شديدا ، عندما قرأها وأنه طلب من رنسو أن يتولى الحكم بنفسه. ونفهم من الأجزاء المهشمة فى نهايتها أن العدل قد أخذ مجراه ، وأنهم لم يردوا للقروى ما سرق منه فحسب ، بل أعطوه كل ما كان يمتلكه "تحوتى – نخت" تعويضا عما أصابه.

قصة الملك خوفو والسحرة :

وهذه قصة أخرى. وأن شئنا الدقة فى التعبير فهى عدة قصص تنتظمها قصة واحدة ، تصور لنا ما كان منتشرا بين الناس فى عهد الدولة الوسطى من أقاصيص نسبوها إلى القدماء ليضفوا عليها هالة من التعظيم ، إذ اختاروا نسبة حوادثها إلى عصور ملوك اشتهروا فى التاريخ ، وكانت أعمالهم ماثلة أمام عيون من جاءوا بعدهم ، وكانوا ينظرون إلى أيامهم نظرة إعجاب واعتزاز.

وهذه القصة أو المجموعة من الحكايات محفوظة فى بردية فى متحف برلين ، مذكورة فى كثير من كتب الدراسات المصرية باسم بردية وستكار. وموضوع البردية هو أن أبناء الملك خوفو بانى الهرم الأكبر أخذوا يقصون عليه واحدا بعد الآخر أحاديث عجيبة ، عن أعمال السحرة وما يمكنهم أن يأتوا به من معجزات ، وما يستطيعون الأنباء به من أخبار الغيب وما سيحدث فى المستقبل.

وأولها مكسور ؛ ولهذا لا نعرف كيف كانت بدايتها أو محتوياتها ما غاب منها أو من كان ابن خوفو الذى كان يقص عليه قصة حدثت فى عهد الملك زوسر صاحب الهرم المدرج،من ملوك الأسرة الثالثة، فإن الجزء المحفوظ من البردية لا يزيد شيئا على ترحم الملك خوفو على جده زوسر، وتقديم القرابين له وإلى ذلك الساحر الذى عاش فى عهدة و(واسمه مكسور أيضا).

قصة الزوجة الخائنة :

ثم ينتقل الحديث إلى قصة أخرى ، حدثت فى عهد الملك "نب – كا" من ملوك الأسرة الثالثة عندما ذهب إلى معبد بتاح فى منف وكان "اوبا انر" كبيرا للكهنه المرتلين فى ذلك المعبد. ويستطرد "خفرع" الذى أصبح فيما بعد ملكا على مصر ، وشيد الهرم الثانى فى الجيزة فيذكر لوالده قصة عن ذلك الكاهن تتلخص فى أنه كان متزوجا من امرأة أحبت أحد سكان المدينة ، وأخذت تراسله عن طريق إحدى خادماتها ، وتبعث إليه بالهدايا حتى قبل أخيرا الاتصال بها والحضور اليها.

وفى أحد الأيام قال ذلك المدنى لزوجة "أوبا انر" أن لزوجها منزلا خلويا على حافة بحيرة يملكها ، فلماذا لا يذهبان إليه ويتمتعان فيه ، فأرسلت الزوجة إلى حارس تلك البحيرة تأمره بإعداد المنزل ، وذهبت الزوجة مع صديقها فقضيا فيه يوما يعاقران الشراب حتى حل المساء ، ثم نزل المدنى ليستحم فى البحيرة ، وقامت الخادمة على العناية به . ورأى الحارس كل ذلك فلما أصبح الصباح ذهب إلى سيده وأخبره بما حدث. فقال أوبا انر : "جئنى بالصندوق المصنوع من الأبنوس والذهب ، وأستطاع بما فى داخله أن يصنع تمساحا من الشمع طوله سبعة أكف ، وتلا عليه عزيمة سحرية ثم قال : من يأتى ليستحم فى بحيرتى أقبض عليه".

وسلم هذا التمساح المصنوع من الشمع إلى الحارس، وطلب منه أن يرميه فى البحيرة إذا حضر المدنى مرة أخرى. وأرسلت زوجة كبير الكهنة كعادتها إلى الحارس لأعداد المنزل ، ثم ذهبت هى وخادمتها ومعهما المدنى، وقضوا اليوم كله فى مرح وشراب ، وعندما حل المساء نزل إلى البحيرة ليستحم ، فألقى الحارس التمساح فى الماء فتحول إلى تمساح حقيقى طوله سبعة أذرع ، وانقض على المدنى وأمسك به وغاص فى الماء.

وكان "اوبا انر" مع الملك فى ذلك الوقت وغاب عن بيته سبعة أيام ، فلما عادا قال كبير المرتلين للملك : "هل لجلالتك أن تأتى وتشاهد عجيبة حدثت فى عهدك؟" فصحبه الملك ونادى اوبا انر على التمساح ، وأمره أن يحضر المدنى فظهر على سطح الماء. وارتاع الملك منه فتقدم كبير المرتلين وأمسك بالتمساح ، فأصبح فى يده تمساحا من الشمع مرة أخرى. وقص على الملك ما حدث بين زوجته وبين ذلك المدنى، فأمر الملك التمساح أن يأخذ المدنى فهو ملك له ، كما أمر بأن

تؤخذ الزوجة الخائنة إلى الحقول التى فى شمال القصر وتحرق هناك، وبعد أن انتهى خفرع من قصته أمر الملك خوفو أن يقدموا قربانا للملك "تب - كا" ألف رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة وثورا وكيلين من البخور ، وأن يقدموا قربانا لكبير الكهنة المرتلين "اوبا انر" رغيفا وإناء من الجعة وقطعة كبيرة من اللحم وكيلا من البخور.

قصة سنفرو وفتيات القصر :

وتقدم من خوفو بعد ذلك ابنه الأمير "باون رع" وقال أنه سيقص عليه قصة حدثت فى عهد أبيه الملك سنفرو، وكان بطلها كبير الكهنة المرتلين "زازا - ام - عنخ".

أحس سنفرو فى يوم من الأيام بأنه ضيق الصدر حزين النفس ، فاستدعى إلية رجال القصر وطلب منهم أن يبحثوا عن شئ يشرح صدره ، ولكنه ظل على حالته، وأخيرا أمر بأن يستدعوا كبير الكهنة المرتلين "زازا - ام - عنخ" فجاء فى الحال وطلب منه الملك أن يقترح عليه شيئا يزيل ما فى نفسه من ضيق. واقترح "زازا - ام - عنخ" أن ينزل الملك فى أحد القوارب إلى بحيرة قصره ، وأن يختار بحارته من فتيات القصر الجميلات ، ويتجول فى البحيرة ويتمتع بمناظر الطبيعة وأعشاش الطيور ، وسيسر قلبه ولا شك عندما يرى الفتيات وهن يحركن أعضاءهن الجميلة عند التجديف. وأحضروا عشرين مجدفا من الأبنوس المطعم بالذهب ، وأحضروا عشرين فتاة من أجمل فتيات القصر ، وغطت كل منهن جسدها بشبكة من شباك الصيد بدلا من ملابسها ، ونزل الملك فى القارب ، ولم يمض إلا وقت قصير حتى حدث ما قاله كبير المرتلين وبدأ الانشراح يجد طريقه إلى صدر الملك.

وحدث بعد ذلك أن توقفت زعيمة احد جنبي التجديف عن الغناء وعن التجديف ، فتوقف كل من كان فى صفها؛ وذلك لأن حلية فى صورة سمكة صغيرة من الفيروز كانت معلقة فى شعرها سقطت إلى الماء. وتساءل سنفرو عن السبب ، فلما علم به قال لتلك الفتاة أن تستمر وسيعطيها بدلا منها ، ولكنها ردت قائلة بأنها تفضل حليتها على أى بديل عنها.

وأمر الملك أن يحضروا "زازا - ام - عنخ" فلما وصل ذكر ما حدث وعند ذلك ألقى كبير المرتلين شيئا من السحر جعل نصف ماء البحيرة يعلو فوق النصف الآخر ، فأصبح ارتفاع ماء البحيرة أربعة وعشرين ذراعا فى أحد الجانبين بعد أن كان اثنى عشر فقط. ورأوا فى قاع البحيرة تلك الحلية وقد استقرت فوق قطعة مكسورة من الفخار ، فأشار اليها فارتفعت وسلمها إلى صاحبتها. وكافأ "زازا - أم - عنخ" مكافأة سخية. وبعد أن انتهى ذلك الأمير من قصته أمر خوفو بتقديم القرابين لكل من الملك و كبير المرتلين بمقادير متساوية مع ما قدمه لمن جاء ذكرهم قبله.

الساحر ددى يعيد الحياة :

وجاء دور أمير آخر هو "حور - ددف" وقال لأبيه : "سمعت حتى الآن أمثلة مما قالوا بأنه حدث قبل أيامنا، ولا يعرف الإنسان إذا كان ذلك صحيحا أم غير صحيح، ولكن يوجد ساحر يعيش فى عهدك". واستمر حور ددف فى حديثه ، فقال انه مواطن يسمى "ددى" يعيش فى بلدة "دد - سنفرو" ويبلغ من العمر مائة سنة وعشرا، وأن هذا الساحر العجوز يأكل يوميا خمسمائة رغيف من الخبز وفخذ ثور من اللحم ، ويشرب مائة إناء من الجعة حتى هذا اليوم "انه يعرف كيف يعيد رأسا مقطوعا إلى مكانه ، ويعرف كيف يجعل الأسد يسير خلفه ومقوده يجر على الأرض ، كما يعرف سر مغاليق هيكل (الإله) تحوت".

وكان الملك خوفو يريد دائما معرفة سر مغاليق هيكل تحوت ليفعل شيئا يماثلها فى هرمه ، فطلب من ابنه أن يسافر بنفسه ليحضر له ذلك الساحر ، فأخذ السفن ونزل فى النيل حتى وصل أمام القرية التى يعيش فيها ، ثم حملوا الأمير بعد ذلك فى محفة من الأبنوس عوارضها من خشب السسنم ومغلفة بالذهب.

وعندما وصل حور ددف إلى الساحر وجده متمددا فوق حصير أمام عتبة بيته ، وقد أمسك أحد خدمه برأسه يربت عليه ، وكان هناك خادم آخر يدلك قدميه فنهض لاستقبال الأمير الذى حياه أحسن تحية ، وهنأه على تمتعه بصحته ، وأعلمه بأنه موفد من أبيه الملك ليدعوه إليه ليتمتع بأطيب المآكل التى يتمتع بها من حوله ؛ ولكى تعمه بركة الملك بعد وفاته. فأجاب ددى : "فى أمان ، فى أمان يا حور ددف يا ابن الملك الذى

يحبه أبوه" وأراد السير فساعده حور ددف وذهب معه إلى شاطئ النهر حيث كانت السفن راسية هناك. وطلب ددى أن يخصصوا له سفينة لأجل عائلته وكتبه ، فخصص له الأمير سفينتين.

فلما وصل حور ددف وددى إلى القصر استقبله خوفو فى قاعة القصر الكبرى ذات الأعمدة وبادر ددى بقوله : "ما هو السبب فى أنى لم أرك قبل الآن؟" فأجاب "يأتى الإنسان عندما يدعى" : وقال جلالته : "هل صحيح ما قيل بأنك تستطيع أن تعيد رأسا مقطوعا إلى مكانه؟" فأجاب ددى : "نعم أستطيع ذلك ، يا مولاى الملك" وأمر خوفو بأن يحضروا إليه أحد المسجونين لينفذوا فيه العقوبة ، ولكن ددى طلب ألا تكون التجربة على إنسان ، بل الأفضل أن تكون على أحد الحيوانات، فأحضروا أوزة وقطعوا رأسها ووضعوا جسم الأوزة فى الناحية الغربية من القاعة ورأسها فى الناحية الشرقية منها ، وتلا ددى شيئا من السحر فوجدوا الأوزة قد تحركت كما تحرك أيضا رأسها ، فلما تلاقيا ركب الرأس فى مكانه فوق الجسد وعادت الأوزة للحياة ، وأخذت تصيح ، وأعادوا التجربة مرة ثانية على بطة ثم فى ثور فنجح فى ذلك كله. ثم سأله خوفو عما إذا كان يعرف سر مغاليق هيكل تحوت ، فأجاب ددى بأنه لا يعرف سرها ولكنه يعرف مكانها ، فلما سأله عنه قال أنها فى صندوق من حجر الظران فى إحدى قاعات معبد هليوبوليس ، وانه لا يستطيع إحضارها بل الذى يستطيع أن يحضرها هو اكبر أطفال ثلاثة تحمل بهن "رد - ددت" وتساءل خوفو عن هذه المرأة فقال ددى أنها زوجة كاهن رع فى بلدة تسمى سخبو [1] ، وقد حملت بثلاثة أطفال من الإله رع ، سيد مدينة "سخبو" وقد بشرها الإله رع بأن أبناءها سيحكمون البلاد وأن أكبرهم سيكون كبيرا لكهنة رع فى هليوبوليس. فحزن قلب خوفو ، ولكن ددى أسرع وسأله عن سبب تجهمه وهل هو من أجل أولئك الأطفال الثلاثة؟ ثم طمأنه بأن ابنه سيحكم ثم يحكم ابنه بعده ثم يأتى واحد منهم[2].

وتستمر القصة بعد ذلك فتحدثنا عن رغبة خوفو فى زيارة معبد رع فى سخبو ، وأن ددى سهل بسحره الزيارة ، إذ كانت مياه القناة الموصلة إلى ذلك المكان وتسمى "قناة السمكتين" غير كافية العمق فجعل الساحر عمق مياهها أربعة أذرع ، ثم أمر بعد ذلك أن ينزل الساحر فى ضيافة الأمير حور ددف ، ورتب له يوميا ألف رغيف ومائة إناء من الجعة وثورا واحدا ومائة حزمة من الكرات.

ولا تقف قصة خوفو والسحرة عند ذلك الحد ، بل تستمر فتحدثنا بالتطويل عن قصة ولادة "رد - ددت" للأطفال الثلاثة فتقول : انه فى يوم من الأيام أحست رد- ددت بآلام الولادة فقال الإله رع سيد مدينة "سخبو" للآلهات إيزيس ونفتيس وسخنت وحقت وخنوم : "هيا اذهبوا وخلصوا "رد - ددت" من الأطفال الثلاثة الذين فى رحمها ، والذين سيتولون تلك الوظيفة العظيمة فى البلاد كلها. أنهم سيبنون معابدكم ويمدون مذابحكم بالمآكل ويجعلون موائدكم عامرة ويكثرون من قرابينكم". فذهب أولئك الآلهات فى هيئة أربع راقصات، وكان الإله خنوم يحمل أمتعتهن ويحمل أيضا كرسى الولادة.

فلما وصلوا إلى بيت زوجها الكاهن "رع - وسر" وجدوه واقفا وقد تهدلت ملابسه ، فأخذوا يغنون فقال لهم انه توجد هنا سيدة تعانى آلام الوضع ، فأجابوه : دعنا نراها فنحن نفهم فى مهنة التوليد ، ودخلوا وأغلقوا وراءهم الباب وأخذوا يساعدونها ، فلما ولدت الطفل الأول سموه "وسر - رف" وكان طفلا قوى العظام وطوله ذراع ، وقد نزل من بطنها وهو يحمل كل شارات الملك الذهبية ، ولباس رأسه من اللازورد فغسلوه وقطعوا حبل السرة ثم وضعوه فوق قماش على الأرض. واقتربت منه الألهة سخنت وقالت له : "ملك وسيتولى وظيفة الملك فى البلاد كلها" وأعطى الإله خنوم لجسمة الصحة . وتكررت ولادة الثانى فسموه "ساحورع" أما الثالث فسموه "ككو". وقد ولدا أيضا كأولهم بجميع شارات الملك.

وبعد أن أنتهى الآلهة من مهمتهم بشروا "رع وسر" بمولد أبنائه فأعطاهم أجرا عن عملهم كيلا من الشعير حمله خنوم ، ثم أخذوا طريق العودة ، ولكن

---

[1] كانت احدى البلاد الصغيرة القريبة من موقع العاصمة بين منف وهليوبوليس.

[2] تمثل هذه القصة الناحية الشعبية من قصة استيلاء كهنة الشمس على الملك فى نهاية الأسرة الرابعة ، وتأسيسهم للأسرة الخامسة. ونحن نعلم تمام العلم أن ما ورد فى بردية وستكار عن أن ابن خوفو سيتولى الملك ثم يليه ابنه ثم أحد أولئك الأطفال لا يطابق الحقيقة ، اذ استمر حكم عائلة خوفو اكثر من ذلك بكثير ، كما نعرف أن تاسيس الأسرة الخامسة قد اقترن بعوامل كثيرة لا تطابق ما فى هذه البردية مطابقة تامة وأن اتفقت معها بوجه عام فى انتقال الملك إلى بيت آخر ، وأن هذا البيت المالك الجديد كان من كهنة فى هليوبوليس.

إيزيس قالت للآلهة الأخرى بأنهم لم يفعلوا معجزة من المعجزات لأجل أولئك الأطفال ، حتى يذكروا ذلك لأبيهم رع الذى أوفدهم لمساعدة رد - ددت ولهذا صنعوا ثلاثة تيجان ملكية ووضعوها فى الشعير ثم جعلوا عاصفة تتجمع فى السماء ومطرا ينهمر ، وعادوا إلى منزل الكاهن متذرعين برداءة الجو ، وسألوه أن يضع الشعير فى حجرة مغلقة ليأخذوه فى فرصة أخرى.

ونقرأ بعد ذلك أن رد - ددت طهرت نفسها بعد الأربعة عشر يوما ، وأرادت أن تعد وليمة فسألت خادمتها إذا كان كل شئ معدا لذلك ، فقالت لها انه ينقصنا الشعير ولا يوجد منه إلا ذلك الشعير الذى يخص المغنيات فى الغرفة المختومة بختمهن ، فأمرتها سيدتها أن تفتح الغرفة وتأخذ الشعير وسيعطيهم زوجها "رع وسر" بديلا عنه عند عودته.

فلما نزلت الخادمة وفتحت الغرفة سمعت أغانى وموسيقى ورقصا وسرورا وكل ما يفعله الناس لتكريم الملك. فعادت وأخبرت سيدتها بما سمعت فنزلت رد - ددت وطافت بالحجرة ولكنها لم تعثر على المكان الذى كانت تأتى منه الموسيقى والأغانى ، حتى ألصقت رأسها بصومعة الغلال. فأخذت الشعير ووضعته فى صندوق وأغلقته وربطته ، ثم وضعته داخل صندوق آخر فى مكان أغلقته. وعندما عاد زوجها من حقله أخبرته بما حدث وفرح كلاهما بذلك. ومضت أيام قليلة ثم حدث بعدها أن غضبت رد - ددت من خادمتها وعاقبتها بضربها ، فقالت الخادمة لمن فى المنزل أنها تعرف أن سيدتها ولدت ثلاثة ملوك ، وستذهب لتخبر الملك خوفو. وغادرت الخادمة منزل سيدتها قاصدة قصر الملك فمرت فى طريقها بمنزل أمها فرأت أخاها هناك فسألها قائلا : "إلى أين أنت ذاهبة أيتها الفتاة الصغيرة؟" فأخبرته بالأمر فقال لها أخوها : "وها أنت قد جئت إلى لأشترك معك فى هذه المؤامرة" ثم أخذ عصا من أعواد نبات الكتان وأوسعها ضربا ، وذهبت الفتاة بعد ذلك لتملأ جرة ماء من النهر فانقض عليها تمساح واختطفها.

وذهب أخوها إلى رد - ددت فوجدها جالسة "وقد وضعت رأسها فوق ركبتيها" وامتلأت نفسها بالحزن فقال لها : "لماذا أنت مشغولة القلب ؟" فأجابته : "بسبب تلك الفتاة التى شبت فى المنزل. انظر ! لقد وصل بها الأمر أن ذهبت قائلة سأذهب لأفشى ذلك" فاطرق برأسه وأخبرها بما حدث من أخته وما قالته له وكيف ضربها، ثم ذكر لها انقضاض التمساح عليها ... وعند هذه الجملة الأخيرة ينتهى الجزء المحفوظ من البردية ، فلا نعرف ماذا حدث بعد ذلك وان كنا نفهم من سياق القصة أنها كادت تقارب نهايتها.

رحلة الكاهن "ونأمون" إلى لبنان :

لدينا عدد غير قليل من القصص التى كتبت فى الدولة الحديثة ، بل وفيما تلاها من عصور ، وها هى واحدة منها كتبت فى أيام الأسرة الحادية والعشرين ، أى بعد أن انتهت الدولة الحديثة ودخلت بعد الأسرة العشرين فيما إصطلح المؤرخون على تسميته باسم العصر المتأخر ، وسنرى فيها أن فن القصة المصرية لم يفقد طلاوته القديمة ، وظلت للقصة تلك السلاسة والاستطراد السهل الممتع لحوادثها. وإذا كانت قصة ونامون لم تبلغ مستوى سنوهى مثلا ، فإن أسلوبها يذكرنا بها بل ونرى فيها روح الدعابة التى امتاز بها مؤلفها ، بل وامتاز بها الأدب المصرى بوجه عام ، وينعكس فيها تلك الروح الأصيلة فى المصريين منذ أقدم العصور ، وهى روح الفكاهة بل والالتجاء إلى النكتة ولو كانت على حساب قائلها وفى أدق المواقف وأحرجها.

نقرأ فى هذه البردية قصة أو تقريرا عن رحلة قام بها أحد كهنة أمون فى طيبة ، وكان يسمى "ونامون" للحصول على خشب الأرز اللازم من لبنان لعمل سفينة للاله أمون.

كانت جميع غابات الأرز بل وأرض لبنان كلها ملكا لأمون عندما كانت تلك البلاد جزءا من الإمبراطورية المصرية ، وكان الإله أمون رع سيد طيبة هو المعبود الأول فى الإمبراطورية ، ولكن الأيام قد تغيرت وتقلص نفوذ مصر السياسى فى تلك البلاد وان بقى لها شئ غير قليل من نفوذها الثقافى والدينى. ونرى فى هذه القصة مدى تدهور نفوذ مصر وما لاقاه رسول أمون من مشقة بل ومن إذلال فى بعض الأحيان ، فقد كانت مصر فى أيام حوادث القصة ، أى فى الأسرة الحادية والعشرين غير مصر فى الأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة بل وكانت أيضا غير مصر فى عهد رمسيس الثالث فى الأسرة العشرين أي قبل سبعين

عاما فقط ، عندما كانت جنود مصر تسير منتصرة فى ربوع آسيا ، ويتبارى أمراء تلك البلاد فى التقرب من فرعون مصر بطاعته وتقديم الهدايا والجزية. لقد أصبحت مصر منقسمة على نفسها وضاعت إمبراطوريتها الآسيوسية ، وأخذت تسودها فترة من فترات الضعف تصورها لنا هذه البردية خير تصوير.

كانت حوادث رحلة ونامون إلى لبنان حوالى عام ١٠٩٥ قبل الميلاد ، وكانت طيبة والصعيد فى ذلك الوقت تحت سيطرة حريحور الذى كان رئيسا للكهنة ، أما الشمال فقد كان تحت نفوذ سمندس و "تانت - أمون" وكانا يقيمان فى مدينة تانيس (صان الحجر) فى شمال شرقى الدلتا ، أما رحلة الكاهن ونامون فقد كانت لأجل إحضار خشب الأرز اللازمة لسفينة آمون رع التى كانت تسير فى النهر وكانت تسمى "وسرحات آمون" لم يستطع ونامون أن يأخذ معه من طيبة شيئا كثيرا من المال، ولكنه أخذ معه خطابات من الكهنة إلى سمندس فاستجاب لرجائهم وأرسل الكاهن فى سفينة سورية ، فلما وصل إلى ميناء "دير" أكرمه أميرها، ولكن واحدا ممن كانوا فى السفينة سرق منه ما قيمته خمسة دبن (الدبن = ٩١ جراما) من الذهب وواحد وثلاثين دبنا من الفضة ، وكانت أوانى وقطعا معدنية ليدفعها ثمنا للخشب الذى كان يريد الحصول عليه ، ثم فر هربا.

وذهب الكاهن فى الصباح إلى أمير المدينة ، وشكا له بأنه سرق فى مينائه وطالبه بإعادتها وقال له "فى الحقيقة أن هذه النقود تخص آمون رع ملك الآلهة وسيد الأمم وتخص سمندس وتخص حريحور سيدى وغيره من عظماء مصر. وتخصك أنت وتخص "ورت" وتخص "مكمر" وتخص "تكر بعل" أمير بيبلوس (جبيل)"(١).

ولكن أمير دير رفض تحمل أى مسئولية عن هذا الحادث ، وقال له لو أن لصا من بلده ذهب إلى السفينة لكان على استعداد لدفع قيمة المسروقات من خزائنه ، ولكن اللص من رجال السفينة نفسها ، وقال له أن كل ما يستطيع أن يفعله هو البحث عن السارق وطلب منه أن يبقى بضعة أيام أخرى.

وظل الكاهن تسعة أيام ، وأخيرا ذهب إلى الأمير وكانت بينهما مناقشة حادة ، وانتهى الأمر بتركه ميناء "دير" غاضبا ، واستأنف رحلته إلى صور، ثم إتخذت السفينة بعد ذلك طريقها إلى بيبلوس.

وشاء حظه أن يكون فى السفينة قوم من الثكر الذين سرق أحدهم ما معه ، ورأى أمامه فرصة سانحة للانتقام لنفسه عندما رأى معهم غرارة فيها ثلاثون دبنا من الفضة، فسرقها منهم ولم ينكر أنها معه ، ولم ينكر أنهم أصحابها، ولكنه قال أنه سيحتفظ بها حتى يجد ماله.

وعندما وصل إلى ميناء بيبلوس وجد مكانا أمينا على مقربة من الشاطئ ، خبأ فيها التمثال الذى حمله معه من مصر ليكون عونه فى رحلته واسمه "آمون الطريق" وخبأ معه متاعه الشخصى والفضة التى أخذها من الثكر ، ولكن أمير بيبلوس الذى عرف بما حدث لم يشأ أن يدخل فى أى نزاع مع أقوام الثكر فأرسل إلى ونامون قائلا : "غادر مينائى" ولم يجد ونامون وسيلة أمامه غير قوله انه سيبقى حتى يبحث له عن سفينة يعود بها إلى مصر ، وبقى تسعة عشر يوما كان يرسل إليه صباح كل يوم منها من يأمره بمغادرة الميناء.

ولا شك أن ما ألم بالكاهن السئ الحظ كان حديث الناس، ولا شك أيضا أن كثيرين منهم ، وبخاصة ممن كانوا يؤمنون بديانة آمون رع تأثروا مما كان يلقاه رسول أمون من سوء المعاملة ، وفى أحد الأيام عندما كان الأمير "تكر بعل" أمير بيبلوس يقدم القرابين للآلهة أصابت شابا من النبلاء نوبة جعلته يصيح "أحضروا الألة هنا ، أحضروا الرسول الذى جاء به. أن آمون هو الذى أرسله ، انه هو الذى جعله يأتى" ويستمر ونامون فى سرد قصته : "وظل الشاب المتشنج فى حالته حتى أتى الليل ، وذلك فى الوقت الذى وجدت فيه سفينة متجهة إلى مصر ، وضعت عليها أمتعتى، وكنت منتظرا حلول الظلام حتى اذا ما جاء أحضر الإله حتى لا تقع عليه عين شخص آخر. وجاء حاكم الميناء قائلا: " ابق حتى الصباح تحت تصرف الأمير" فقلت له: "الست أنت نفسك الذى كان يأتى إلى كل يوم قائلا: غادر مينائى؟ والآن سيتسبب الأمير فى أن تسافر السفينة التى عثرت عليها ، وتأتى إلى قائلا : اذهب" فذهب حاكم الميناء وقص على الأمير ما حدث بينهما، فأمر ربان السفينة أن يبقى حتى الصباح تحت تصرف الأمير. وترك ونامون الإله فى مخبئه ، وذهب إلى

---

(١) الأخيرون أمراء فينيقيون ، وكانوا سيحصلون على بعض هذا المال ثمنا للأخشاب.

الأمير فى الصباح ذهب إلى قصره الذى كان قريبا من شاطئ البحر. ويصور دخوله عليه هذا التصوير البليغ اللاذع" وجدته جالسا فى غرفته العليا ، وقد اتكأ ظهره على شباك ، بينما كانت أمواج البحر السورى الكبير تتلاطم وراء قفاه".

ودارت مناقشة طويلة بين الأثنين ، قص فيها الكاهن قصته ، وكان الأمير يحاوره ويحاول الكاهن أن يقلل من قيمة مهمته ويتشكك فى جديتها ، وذلك لأن سمندس أرسله على سفينة سورية فاعتدى عليه الناس ، بينما توجد له سفن كثيرة تسير فى مختلف الموانئ السورية. وينتقل النقاش بعد ذلك إلى المهمة التى جاء من أجلها سفينة آمون. وان أباه ومن قبله جده كانا يقدمانه وانه سيفعل ما كانا يفعلانه ، وأجابه الأمير : "لقد فعلت ذلك حقيقة ، وإذا أعطيتنى شيئا مقابل ذلك فسأفعله. لقد كان قومى يفعلون هذا الشئ حقا ، ولكن فرعون كان يرسل ست سفن إلى هنا محملة ببضائع مصر ، وكانوا يفرغونها فى خزائنهم فأحضروا شيئا مماثلا لى أيضا. وارسل الأمير فأحضروا السجلات"، ويقول وناموون أن قيمة ما كانت تحمله السفن كان ألف دبن من الفضة.

وعقب الأمير على ذلك أن فرعون مصر لو كان هو المتحكم فى أملاكهم ، وأنهم خدمه لما كان أرسل كل هذه الهدايا من الذهب والفضة ، ثم أردف قائلا : "وأنا أيضا. فلست خادما لك ولست خادما لمن أرسلك". وأخذ وناموون يتسمح فى قوة آمون، وأنه المتحكم فى كل شئ والخالق لكل شئ ، وأن آمون هو الذى بعث به فى تلك المهمة، وأخيرا بعد أن ينس بعث وناموون بخطاب إلى سمندس وتنت أمون مع رسول خاص، فعاد الرسول ومعه خمس أوان من الذهب ، وخمس أوان من الفضة، وعشر لفات من الكتان الملكى، وعشر لفات من الكتان الصعيدى الجيد، وخمسمائة ملف من البردى ، وخمسمائة جلد ثور ، وخمسمائة لفة حبال ، وعشرون زكيبة عدس ، وثلاثون سلة من السمك المجفف ، كما أرسلا إلى وناموون كهدية شخصية عشر قطع من الأقمشة وزكيبة عدس وخمس سلال من السمك.

وطابت نفس الأمير بذلك فارسل رجاله ومعهم الثيران والحبال اللازمة لقطع الأشجار وجرها إلى الشاطئ ، فلما تم ذلك وحملوها على السفن جاءه الأمير وطلب منه أن يسافر ، وشدد فى هذا الطلب ، وذهب وناموون إلى الشاطئ فوجد احدى عشر سفينة من سفن شعب الـ "ثكر" واقفة فى مكان قريب فى عرض البحر ، كانوا يريدون أخذه اسيرا هو وما معه ؛ ولهذا أراد الأمير أن يتخلص منه ومن مشاكله ، فلما رأى وناموون المأزق الذى أصبح فيه جلس فى مكانه وأخذ يبكى. وجاءه كاتب الأمير يسأل عما به ، فذكر له مركزه الحرج وتخوفه من العودة فذهب الكاتب وأعلم الأمير بحالته ، فحزن الأمير ورق له ، "وأرسل إلى كاتبه الذى جاء إلىّ ومعه اناءان من النبيذ وكبش ، وزيادة على ذلك أحضر إلىّ "تنت - نوت" وهى مغنية مصرية كانت عنده وقال لها : "غن له ولا تجعلى قلبه يمتلئ بالهموم" وأرسل إلىّ يقول : "كل واشرب ولا تملأ قلبك بالهموم ! وستسمع ما سأقوله غدا". ويقول وناموون أن الأمير ذهب فى الصباح إلى سفن الثكر ، وسأله عن سبب قدومهم فقالوا له بأنهم يريدون الاستيلاء على السفن الذاهبة إلى مصر فقال لهم الأمير : " لا يمكننى أن آخذ رسول أمون أسير فى بلادى. دعونى أرسله بعيدا ، وعندئذ يمكنكم أن تتبعوه لتأخذوه أسيرا".

واستطاع الأمير ، بحيلة لم يذكرها وناموون فى قصته ، أن يهرب بسفنه من أعدائه ، وضللهم ووصل إلى جزيرة آرسا (قبرص) ، ولكن أهل الجزيرة أرادوا الفتك به فهرب منهم ، والتجأ إلى مسكن ملكتهم ورآها عندما كانت فى طريقها من بيت إلى بيت آخر فحياها ، وسأل من كان حولها أن كان هناك من بينهم من يعرف المصرية ، فوجد من يترجم له فقال له "قل لسيدتك : هناك ، بعيدا فى طيبة ، مقر آمون سمعتهم يقولون أن الظلم يرتكب فى كل مدينة ، ولكن فى بلاد آرسا لا يسود الا العدل ، وها أنا أرى الظلم يرتكب كل يوم". فسألته الملكة عما يعنيه ، فقال لها أن البحر قد هاجوالقت به الرياح إلى بلادها ، وها هم قومها يريدون أن يقبضوا عليه ويقتلوه ، وأكد لها أن وراءه من سيبحث عنه ، وكذلك بحارة أمير بيبلوس فانهم اذا قتلوا بحارته فسيقتل بحارتها عندما يذهبون إلى بلده.

ومن المؤسف أن البردية قد انتهت ، ولا نعرف كيف خرج من مأزقه ، وآخر ما ورد في قصته أن الملكة أمرت باستدعاء الناس فحضروا اليها ، ثم قالت لي : "اضطجع ونم ..". وعلى أي حال فقد وصل ونأمون سالما إلى طيبة ، وكتب قصته التي رأينا فيها صورا لما كانت عليه حالة مصر في ذلك العهد ، ورأينا فيها ما بقي لمصر من نفوذ ديني وثقافي بالرغم من زوال نفوذها السياسي. ونحن نقرأ القصة الآن لا يسعنا الا العطف والإعجاب بروح الفكاهة التي تشع بين سطور قصته التي قصها في وضوح وبساطة جديرين بالإعجاب.

قصة الأمير المسحور :

وهناك أيضا قصة الأمير المسحور الذى كتب عليه منذ يوم ولادته أن يموت ضحية تمساح أو ثعبان أو كلب ، فبنى له أبوه الملك قصرا في الصحراء ليكون بعيدا عن أعدائه. ورأى الأمير يوما من الأيام كلبا يسير وراء رجل ، وطلب أن يأتوا له بواحد مثله ، وظل حزينا حتى سمح له أبوه بأن يحضروا إليه كلبا صغيرا. ومن الأسف أن البردية غير كاملة ، ولكنا نقرأ في الجزء المحفوظ منها أن الطفل كبر وتضايق من بقائه عاطلا سجينا في القصر ، فطلب من أبيه أن يكون حرا، وأن يتركه يسير في الأرض ولينفذ قضاء الله عندما يشاء. وينتهي من النص عند خروجه إلى الصحراء ليصطاد ومعه كلبه .

ونرى شبيها لهذه القصة في الادب الشعبي لكثير من الأمم ، سواء القديمة أو المعاصرة في الشرق وفي الغرب ، وأكثرهم ينتهي دائما بنهاية سعيدة ، اذ تتدخل قوة سحرية أخرى فتعطف على الأمير أو الأميرة ، وتغير قضاءه المحتوم ، ويعيش بعدها سعيدا كباقي الناس ، ولكن القصة المصرية لم تحفظ لنا الا البداية فقط ؛ لأننا نتوقع أن ينقذه كلبه الذى رباه من الحية ومن التمساح ، ثم يأتي بعد ذلك دوره مع الكلب نفسه.

قصة الأخوين :

اذا أردنا تحليل القصة لوجدنا أنها قصة ضعيفة في بعض أجزائها ، وبخاصة في النصف الثاني منها ، وقد حشرت فيه حشرا أشياء وقصص كثيرة ، يناقض بعضها بعضا ويثب كاتبها من خرافة إلى أخرى ، ولكنها في مجموعها تعالج موضوعا هاما في الحياة الأنسانية وهو موضوع المرأة الخائنة ، التي تحاول ايقاع شاب طاهر عفيف ، فاذا أبى ورفض اتهمته وحاولت القضاء عليه انتقاما منه ، أو المرأة التي تحاول التخلص من زوجها بقتله.

كان هناك أخوان يعيشان معا ، أصغرهما اسمه باتا، وكان شابا لم يتزوج بعد ، وأكبرهما يسمى أنوبيس وكان قد أتخذ له زوجة. كان باتا يساعد أخاه في العمل في الحقل ، ويقوم بكل عمل شاق ؛ لأنه كان يحب أخاه ويحترمه لأنه رباه ورعاه. وحاولت زوجة الأخ أن تغرى الشاب الصغير ، فدعته اليها فأبى فاتهمته كذبا ، وحرضت عليه أخاه الذى انتظره ليقتله، ولكن باتا استطاع الهرب فجرى وراءه أخوه حتى تدخل اله الشمس فأنقذه منه ، بأن جعل بين الأثنين بحيرة ملآى بالتماسيح ، ووقف الأخوان أمام بعضهما، وقال باتا لأخيه كل شئ ، وأعلمه بجريمة زوجته وأراد أن يثبت له براءته وعزوفه عن النساء ، فمثل بنفسه وقطع جزءا من جسمه وقال له بأنه ذاهب إلى وادى الأرز ، وسيضع قلبه فوق شجرة أرز فاذا ما عرف أنوبيس بوفاة أخيه ، وذلك بظهور علامة خاصة فليذهب وليبحث عن قلبه ويضعه في الماء فيعود إلى الحياة لينتقم لنفسه.

ويعود أنوبيس إلى منزله ويقتل زوجته الخائنه ، ويتجه باتا إلى وادى الأرز ويعيش هناك وحيدا. ولكن الآلهة تأخذهم الشفقة به ، ويخلقون له زوجة يأنس اليها. وفي أحد الأيام يستطيع اله البحر أن يحصل على خصلة من شعر تلك الزوجة ، وتحملها مياهه إلى مصر فتثير رائحتها الجميلة التي تعلقت بملابس فرعون فضوله ، فيبعث في طلب صاحبتها ، ويجدونها في وادى الأرز ، ويعودون بها اليه فتصبح محظية الملك ، ثم تغريه بعد ذلك ليرسل من يذهب ليقطع الشجرة التي استقر فوقها قلب باتا ، واذ ذاك سقط قلبه وتوقف عن الحياة. وحدثت عند ذلك العلامة التي قال باتا انها ستحدث ، وذلك أن قدح الجعة التي أخذ أنوبيس يشربه فار في يده ، فذهب انوبيس من توه إلى غابة الأرز وأخذ يبحث عنه حتى وجده بعد عناء وقد تحول إلى زهرة فأعاده إلى الحياة ويتحول باتا إلى

ثور ويحمل أخاه على ظهره ويعود إلى مصر ويظهر نفسه لزوجته الخائنة ، ولكن الزوجة تغرى الملك مرة أخرى فيذبح الثور ، ولكن شجرتين تنبتان من نقطتين من الدم تطايرتا عند ذبح الثور. ويعيش باتا فى هاتين الشجرتين ، ومرة ثالثة تغرى الزوجة الخائنة فرعون فيقطع الشجرتين لتصنع من أخشابهما بعض الأثاث ، ولكن أثناء قطعهما تتطاير شظية صغيرة من الخشب فتستقر فى فمها فتحمل ، ويولد لها ولد يصبح وليا للعهد. وعندما يموت الملك يتولى الأمير – وهو باتا نفسه– عرش البلاد ، فيحاكم المرأة الخائنة بما تستحقه ، ويستدعى أخاه الأكبر فيعينه وليا للعهد. ويحكم باتا ثلاثين عاما ، ثم يموت فيجلس أخوه أنوبيس على عرش مصر.

وقد أراد بعض الباحثين فى الآداب المقارنة أن يوضحوا نقط التشابه بين هذه القصة وقصة سيدنا يوسف مع زوجة سيده ، ولكن سواء أكان ذلك التشابه صحيحا أو عارضا فانى أنقل جزءا من القسم الأول من هذه القصة نقلا حرفيا ؛ لأنه من أمتع ما ورد فى القصص المصرية فى سرده وجمال تصويره وأسلوبه الشيق ، وهو يكاد يكون صورة لأسلوب قص "الحواديت" فى القرية المصرية حتى اليوم.

".. والآن عندما أصبح الصباح وأشرق يوم جديد ذهبا إلى الحقل مع (ثيرانهما) وحرثا بنشاط ، وكان قلباهما مفعمين بالسرور من مجهودهما فى أول عملهما (فى زراعة السنة) وبعد ذلك ببضعة ايام كانا فى الحقل ونقصت منهما البذور فأرسل أخاه الأصغر وقال له اذهب واحضر لنا بذورا من القرية. ورأى الأخ الأصغر زوجة أخيه جالسة تصفف شعرها فقال لها : قومى واعطنى بذورا لأعود إلى الحقل ، لأن أخى الأكبر ينتظرنى. لا تتأخرى. فقالت له : اذهب وافتح مخزن الغلال وخذ لنفسك ما تريد ، لا تجعلنى أترك تصفيف شعرى قبل أن يتم. وذهب الشاب إلى حجرته فأحضر وعاء كبيرا ؛ وذلك لأنه كان يريد أن يأخذ بذورا كثيرة ، ثم حمل معه شعيرا وقمحا وخرج بهما ، فقالت له ما مقدار الذى تحمله فوق كتفك؟ فقال لها : ثلاث كيلات من القمح وكيلتان من الشعير ومجموعها خمس هى التى فوق كتفى. هذا ما قاله لها. فتحدثت إليه قائلة : حقا أن لك قوة كبيرة ، فانى الاحظ قوتك كل يوم. ذلك لأن رغبتها كانت أن تعرفه كما تعرف المرأة الشباب. فقامت وأمسكت به ، وقالت هيا نقضى ساعة غرام وسأرضيك لأنى سأصنع لك ثوبا جميلا. ولكن الشاب ثار وأصبح فى غضبه كالفهد من ذلك الشئ السيئ الذى قالته له فخافت جدا. وقال لها : انظرى ! انك قد اصبحت لى بمثابة أم ، وزوجك لى بمثابة أب ؛ لأنه أكبر منى سنا وقد ربانى ، ما هذه الخطيئة التى قلتيها؟ لا تقوليها لى مرة ثانية. لن أذكرها لأحد ، ولن تخرج من فمى لانسان. ثم أخذ حمله وذهب إلى الحقل ووصل إلى أخيه وانصرفا إلى عملهما.

وعند حلول المساء توقف الأخ الأكبر عن العمل ، وعاد إلى منزله ، وأخذ أخوه الأصغر يعنى بماشيته ، وحمل معه جميع أنواع المنتجات فى الحقل ، ثم ساق ماشيته أمامه لتنام فى حظيرتها فى القرية.

ولكن زوجة أخيه الاكبر كانت خائفة بسبب الذى قالته فشربت دهنا وشحما وتصنعت أنها ضربت لتقول لزوجها أن أخاك الأصغر هو الذى ضربنى. وعاد الزوج إلى منزله فى المساء كعادته. جاء إلى منزله فوجد زوجته وقد افترشت الثرى ، مدعية أنها مريضة فلم تصب ماء على يديه كعادتها ، ولم تشعل المصباح عند عودته فوجد بيته فى ظلام وكانت مستلقية تتقيأ. وقال لها زوجها: من الذى أساءك؟ (فى الأصل من الذى كلمك) فقالت له لم يسئ إلى أحد غير أخيك الصغير ، فأنه عندما أتى ليأخذ البذور ووجدنى جالسه وحدى قال لى تعالى لنقضى ساعة غرام. وغطى شعرك وهذا ما قاله لى ، ولكننى لم أوافق ، قلت له: اسمع! الست أمك وأليس أخوك الأكبر بمثابة الأب لك؟ فخاف وضربنى حتى لا أذكر ذلك لك. فإذا جعلته يعيش فانى سأموت بسبب ذلك، إنظر عندما يعود إلى البيت فى المساء (يجب أن تقتله) لأنى أمقت ذلك الشئ السئ الذى أراد أن يأتيه البارحة".

وعند ذلك صار أخوه الأكبر مثل الفهد ، فسن حربته وأخذها فى يده. ووقف الأخ الأكبر خلف باب الحظيرة ليقتل أخاه الأصغر عند مجيئه فى المساء ليدخل الماشية إلى الحظيرة.

وعندما غربت الشمس حمل معه جميع أنواع حشائش الحقل كعادته فى كل يوم ، وعاد إلى المنزل. وعندما دخلت البقرة الأولى إلى الحظيرة قالت لراعيها.

إنتبه! ان أخاك يقف متربصا لك ومعه حربته ليقتلك. أهرب منه. وفهم ماقالته بقرتة الأولى ، وعندما دخلت البقرة الثانية قالت الشئ نفسه فنظر إلى بلب الحظيرة ورأى قدمى أخيه الأكبر اذ كان واقفا خلف الباب وحربته فى يده. فوضع حمله على الارض وفر هارباً " ويكفينا هذا القدر من قصة الاخوين بل ومن أدب القصص.

٢- أدب الأناشيد والأغانى واشعار الغزل :

- الأناشيد :

نشيد النيل :

كان النيل "حعبى" إلها معبودا من المصريين ، ولكنه كان يختلف عن غيره من الألهة بأنه لم يكون له معابد خاصة ، أو كهنة يقومون على خدمته وخدمة معبدة كباقى الآلهة ، ولهذا لم يكن هذا النشيد يرتل فى مناسبات خاصة كغيره من أناشيد الألهة ، وأنما هو تعداد لافضاله على مصر وتمجيد له ويرجع تاريخ تاليفه إلى تلك الأيام التى لم يكن فيها أمراء طيبة قد نزعوا عن كواهلهم حكم الهكسوس ، وقد وضع لينشد فى أحد الاحتفالات بالفيضان.

وها هى بعض مقتطفات منه.

"الحمد لك يا نيل ، يا من تخرج من الأرض وتأتى لتغذى مصر ، يا ذا الطبيعة المخفية ، ظلام فى وضح النهار....".

أنه هو الذى يروى المراعى ، وهو المخلوق من رع ليغذى كل الماشية ، وهو الذى يسقى البلاد الصحراوية البعيدة عن الماء ، فإن ماءه هو الذى يسقط من السماء ، هو المحبوب من جب ، ومدبر شئون اله القمح ، وهو الذى ينعش كل مصنع من مصانع بتاح.

رب الأسماك ، وهو الذى يجعل طيور الماء تطير نحو الجنوب....

أنه هو الذى يصنع الشعير ويخلق القمح ، وبذلك تتمكن المعابد من أقامة احتفالاتها.

اذا ماتباطأ تنسد الخياشيم[١] ، ويفتقر كل الناس وتنقص أقوات الآلهة ويهلك ملايين الناس.

واذا ما قسا تصبح البلاد كلها فى فزع ، ويندب الكبار والصغار.... أن (الاله) خنوم هو الذى صنعه.

وعندما يفيض تصبح البلاد فى فرحة ، وكل انسان فى سرور. ويبدأ كل فم يضحك (فى الأصل - كل فك) ويظهر كل سن.

أنه هو الذى يأتى بالقوت ، وهو الذى يكثر الطعام ، وهو الذى يخلق كل شئ طيب ، ويمدحه الناس وذو الرائحة الطيبة....

هو الذى يخلق العشب للماشية ، ويمد كل اله بقرابينه سواء أكان فى العالم الأسفل أم فى السماء أم على الأرض...

هو الذى يملأ المخازن ، ويزيد من حجم أهراء الغلال ، وهو الذى يعطى للفقراء.

هو الذى يجعل الأشجار تنمو كما يشتهى الجميع ، فلا ينقص للناس شئ من ذلك ، فتبنى السفن بسبب قوته، ولأنه لا سفر بواسطه الحجر[٢].

ومن كان حزينا يصبح مسروراً ويبتهج كل قلب. ويضحك سوبك بن نيت[٣] وكذلك يبتهج تاسوع الآلهة الذى فيك.

أنت تطفح فتسقى الحقول وتمد الناس بالقوة وهو الذى يسعد الانسان ويجعله يحب أخاه ، ولا يفرق بين شخص وآخر وليست له حدود يقف عندها.

أنت النور الذى يأتى من الظلام ، أنت هو الشخص لماشيته. أنه شخص قوى ذلك الذى يخلق....

---

(١) تنسد الخياشيم: أى لاتتنفس ولاتستطيع الاستمرار فى الحياة ، اذا ما تباطا فلم يأت فيضانه فى موعده.

(٢) يشير النشيد فى هذه الفقرة إلى حاجة مصر ، بل وافتقارها إلى الخشب الجيد ، فلولا النيل مانمت الأشجار التى تصنع منها السفن، أما الحجر الذى يكثر وجوده على شاطئيه وفى كل مكان فى الصحراء ، فلا يصلح لعمل السفن التى يتوقف عليها سفر الناس فوق صفحة الماء ونقل حاصلاتهم.

(٣) "سوبك": إله فى صورة تمساح يعيش فى مياه النيل ، أما الألهة نيت فهى أحدى الآلهات الشهيرة فى مصر ، وكان مقر عبادتها فى مدينة صا الحجر فى غرب الدلتا.

.... الذهب وقطع الفضة ، لا فائدة منها ، لايأكل الناس اللازورد فالشعير أفضل.

يبدأ الناس فى العزف لك على العود ويغنون بأيديهم، ويفرح شبابك وأطفالك بمقدمك ويرسلون الوفود إليك.

أنه هو الذى يأتى بأشياء فخمة وتزدان به الأرض. وهو الذى يجعل السفن تكثر قبل أن يكثر الناس ، وهو الذى يحنن قلوب من لهم أطفال.

ويقول فى مكان آخر:

"عندما تفيض يقدمون لك القرابين ، وتذبح لك الماشية ، ويقام لك احتفال كبير".

تسمن لك الطيور ويصيدون لك الغزلان من الصحراء ، ويكافئك الناس بكل ما هو طيب.وتقدم القرابين أيضا لكل إله آخر كما يقدمونها للنيل ، بخور وثيران وماشية وطيور مشوية على النار.

لقد نقل النيل مغارته إلى طيبة[٤] ، ولن يعرف أحد اسمه بعد ذلك فى العالم الأسفل....

أيها الناس جميعا ، عظموا تاسوع الآلهة وقفوا خشعا أمام القوة التى أظهرها أبنه "سيد الجميع" فهو الذى يغطى جانبى النهر بالخضرة.

أنت مزدهر ، أيها النيل ، أنت مزدهر ، فالنيل هو الذى يجعل الأنسان يحيا من خير ماشيته على المراعى، أنت مزدهر ، أنت مزدهر ، أيها النيل ، أنت مزدهر".

من أناشيد الأله أمون رع :

لآمون أناشيد كثيرة ، أقتصر هنا على أولى مقطوعات واحد منها وهو النشيد الكبير لأمون. ويرجع تاريخة إلى عصر الملك "أمنحوتب الثانى" من ملوك الأسرة الثامنه عشرة.

كان آمون رع فى ذلك الوقت اله الامبراطورية وقد أتخذ لنفسه كثيرا من صفات الآلهة الأخرى ، ويطول بنا الحديث اذا شرحنا أصل آمون ، وذكرنا الآلهة الذين نسب إلى نفسه - أو بعبارة أدق نسب كهنته - صفاتهم إليه. كان هذا النشيد وغيره من الأناشيد مما

(٤) كان المظنون أن النيل ينبع من مغارة بين الصخور ، وأن مياهه تأتى من باطن الأرض وهذا ما يشير إليه النشيد.

يرتله الكهنة فى معابده ، وعنوان النشيد كله هو: "تحية آمون رع، ثور هليوبوليس ، سيد جميع الآلهة ، الاله الطيب المحبوب ، الذى يعطى الحياة لكل من تدب فيه ، ولكل كائن صالح".

أما المقطوعة الأولى فهذا هو نصها الكامل:

الحمد لك ، يا آمون رع ، يارب الكرنك ، المسيطر فى طيبة ، ثور أمه[٥] ، وأهم من فى حقله.

واسع الخطى ، سيد كل من فى الصعيد ، ورب أرض الماتوى وأمير بونت[٦].

أعظم من فى السماء ، وأكبر من فى الأرض ، رب كل ما هو كائن ، الذى يستقر فى كل شئ.

لاشبيه له فى طبيعته.... بين الآلهة ، ثور تاسوع الآلهة[٧] ، ورئيس كل المعبودات.

رب الحق ، أب الألهة ، الذى برأ الانسان وخلق الحيوانات.

رب كل ما هو كائن، الذى يخلق شجر الفاكهة ، والذى ينشئ الأعشاب الخضراء ويمون الماشية.

الصورة البهية التى صنعها بتاح ، جميل الصورة ، الولد المحبوب ، وهو الذى يمدحه الآلهة.

هو الذى صنع ما على الارض (الانسان) ومافى فى السماء(أى النجوم) وهو الذى يضئ القطرين.

هو الذى يخترق السماء فى سلام ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، رع ، المبجل.

زعيم الأرضين ، عظيم القوة ، ر ب المقدرة ، صاحب الأمر الذى خلق الأرض كلها.

أقوى فى طبيعته من كل اله آخر ، الذى يبتهج الآلهة الآخرون بجماله.

(٥) "ثورة أمه" لقب من القاب أمون والاشارة هنا إلى نوت الهه الشمس الذى تذكرها الأساطير فى بعض الأحايين على أنها أمه وفى نصوص أخرى أنها زوجته وكما يكون الثور هو المسيطر على كل ما فى حقل المرعى من ماشية فكذلك أمون هو المسيطر على حقل السماء.

(٦) بدأ النشيد يذكر صعيد مصر ، ثم أردف ذلك بأرض الماتوى فى النوبة ، وأخيرا ذكر بلاد بونت التى كانت فى جنوبى البحر فى الشاطئين الافريقى والآسيوى حول بوغاز باب المندب ، كما سبق القول.

(٧) اى حاميها وبطلها.

ذلك الذى يقدم له الحمد فى "البيت العظيم" ، المتوهج فى "بيت النار"[٨].

من يحب الآلهة رائحته الطيبة عندما يأتى من بونت.

وتتضوع رائحته عندما يأتى من أرض الماتوى ، جميل المحيا عندما يأتى من أرض الأله[٩].

يتزلف الآلهة عندما يعلمون أن جلالته هو سيدهم ، الرهيب ، المخيف.

ذو الإرادة القوية ، وصاحب الطلعة العظيمة ، من كثرت لديه الأقوات ويخلق مايعيش عليه الناس.

الإبتهال لك يا من خلقت الآلهة ، ورفعت السماء وبسطت الأرض.

نشيد إخناتون :

كان أمون رع هو أعظم آلهة مصر نفوذا فى أيام الأمبراطورية ، كما اسلفنا ، ولكن حدث فى النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة أن أراد أحد الملوك وكان يسمى "أمنحتب الرابع" أن يزيد من شأن عبادة "أتون" القوة الكامنة فى قرص الشمس ، وسرعان ما اصطدم بكهنة أمون فاعلنها حرباً عليهم ، وعلى أمون وعلى جميع الآلهة الأخرى ما عدا آلهة الشمس. ورأى أن ينقل عاصمة البلاد من طيبة ويشيدها فى مكان طاهر لم تنجسه عبادة اله آخر من قبل ، فأختار عاصمته فى المكان المعروف باسم تل العمارنة فى مديرية أسيوط وسمى مدينته الجديدة "أخت أتون" أى أفق أتون ، كما غير أسمه نفسه قبل ذلك فأصبح "أخناتون" ومعناه "المفيدلأتون".

وانصرف اخناتون إلى دينه الجديد ، وكتب له بعض الأناشيد الجميلة ، وأهمها كلها النشيد الكبير الذى نحس فيه بتلك الآراء الجديدة ، اذ كانت ديانة أتون أول دعوة إلى شئ قريب من التوحيد ، كما عرفنا فى الديانات السماوية ، كما نعرف أيضا أنه الأصل الذى نقل عنه جزء من المزمور رقم ١٠٤ من مزامير داوود فى التوراة ، وها هى ذى الترجمة الحرفية للنشيد بأكمله:

أنت تطلع ببهاء فى افق السماء ،

يا أتون الحى ، (يا) بداية الحياة

عندما تبزغ فى الافق الشرقى

تملأ البلاد بجمالك ،

أنت جميل ، عظيم ، متلألئ ، عال فوق كل بلد ،

وتحيط أشعتك بالأراضى كلها التى خلقتها ،

لأنك أنت "رع" فأنك تصل إلى نهايتها ،

وتخضعها لابنك المحبوب ،

وبالرغم من أنك بعيد فإن أشعتك على الأرض ،

وبالرغم من أنك أمام أعينهم فلا يعرف أحد خطوات سيرك.

وعندما تغرب فى الأفق الغربى ،

تسود الأرض كما لو كان قد حل بها الموت.

ينام (الناس) داخل حجرة وقد لفوا رؤوسهم ،

فلا ترى عين عينا أخرى ،

ويمكن أن تسرق أمتعتهم التى يضعونها تحت رؤوسهم ،

فلا يحسون بذلك.

يخرج كل أسد من عرينه ،

وجميع الزواحف (تخرج) لتلدغ ،

ويلف الظلام كل شئ ويعم الأرض السكون ،

لأن الذى خلقهم يرتاح فى أفقه.

وعندما يصبح الصباح ، وتطلع من الأفق ،

وعندما تضئ كأتون أثناء النهار ،

تطرد الظلمة وتمنح أشعتك.

فالأرضان فى عيد كل يوم ،

ويستيقظ (الناس) ويقفون على الاقدام ،

لأنك أنت الذى ايقظتهم.

يغسلون أجسامهم ويلبسون ملابسهم ،

ويرفعون أذرعهم ابتهالا عند ظهورك ،

---

(٨) البيت العظيم وبيت النار اسما هيكلى نخن (الكوم الأحمر) فى الوجه القبلى ، وبوتو (تل ابطو) فى الوجه البحرى.

(٩) شرقى مصر بوجه عام وتشمل بونت وبلاد العرب.

والناس جميعا يؤدون أعمالهم.
وتقتنع كل الحيوانات بمراعيها ،
وتزدهر الاشجار والنباتات.
والطيور التى تطير من أعشاشها ،
تنشر أجنحتها لتمدح قوتك ،
وتقف الحيوانات على أرجلها ،
وكل ما يطير أو يحط ،
أنهم يعيشون لأنك أشرقت من أجلهم.
وتسير السفن نحو الشمال ونحو الجنوب ،
لأن الطرق كلها مفتوحة عندما تظهر ،
وتمرق الأسماك فى النهر أمامك ،
لأن أشعتك تتغلغل فى المحيط.
أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء ،
أنك أنت الذى يجعل من البذرة السائلة انسانا.
أنك أنت الذى يعنى بالطفل فى بطن أمه ،
وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكاءه ،
لأنك تعنى به وهو فى الرحم.
أنت الذى يعطى النفس ليحفظ حياة كل من يخلقهم،
عندما ينزل (الطفل) من بطن أمه ليتنفس ،
فى اليوم الذى يولد فيه ،
تفتح فمه تماما ، تمده بكل ما يحتاج إليه.
وعندما يصرخ الفرخ (الكتكوت) وهو داخل البيضة،
فأنت الذى يمده بالنفس فى داخلها ليعيش ،
وعندما تتم خلقه داخل البيضة ، تجعله يكسرها ،
ويخرج من البيضة وهو يوصوص عندما يحين موعده ،
ويمشى على رجليه عندما يخرج منها.
ما أعظم (أعمالك) التى عملتها!
أنها خافية على الناس ،
أيها الأله الأوحد الذى لاشبيه له.
لقد خلقت الدنيا كما شئت ،
عندما كنت وحدك ،
الناس والماشية والوحوش الضارية ،
وكل ما يسعى على قدميه فوق الأرض ،
وكل ما يرتفع (فى السماء) ويطير بجناحيه.
فى بلاد سوريا والنوبة وأرض مصر ،
تضع كل شئ فى مكانه ،
أنك أنت الذى يمدهم بما يحتاجونه ،
يحصل كل شخص على طعامه ، وسنوات حياته مقدرة له.
يختلف الناس فى لغاتهم ،
كما يختلفون أيضا فى طبائعهم ،
يمتاز لون جلودهم عن بعضهم البعض ،
لأنك أنت الذى يميز أهل الأمم الأجنبية ،
أنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر ،
وأنت الذى يأتى به عندما يشاء، ليبقى على الناس،
وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك.
وأنت سيدهم جمعيا (سيدهم) الذى يشغل نفسه من أجلهم ،
سيد كل أرض ، الذى يشرق لأجلهم ، أنت أتون (شمس) النهار ، عظيم البهاء.
أنت الذى يعطى الحياة (أيضا) لكل البلاد الأجنبية البعيدة ،
لأنك خلقت نيلا فى السماء ، لينزل ويحدث أمواجا فوق الجبال ،
مثل (أمواج) البحر ،
لتروى حقولهم فى قراهم.
ما أجمل أعمالك يارب الأبدية!
فالنيل الذى فى السماء (خلقته) للأجانب ،
ولكل حيوانات الصحراء التى تسعى على الأقدام ،

أما النيل (الحقيقى) فأنه ينبع من العالم الآخر لأجل مصر.

تغذى أشعتك كل مرعى ،

وعندما تشرق ، تحيا وتنمو لأجلك ،

وجعلت فصول السنة لتغذى كل ما خلقت.

فالشتاء يبرد أجسامهم ،

والحرارة تجعلهم يحسون بك.

لقد خلقت السماء بعيدة لتشرق منها ،

وحتى ترى كل ما صنعت ،

وذلك عندما كنت وحيدا.

تشرق فى صورتك كاتون الحى ،

لامعا ، مضيئا ، فى جيئتك ورواحك.

(سواء أكانت) مدنا أم بلادا أم حقولا، طريقا أو نهر،

فإن كل عين تراك فوقها مشرقا ،

لأنك أتون (شمس) النهار على الأرض.

أنت فى قلبى ، وليس هناك من يعرفك ،

غير ابنك "نفر - خبرو - رع ، واع - ان - رع".

لأنك أنت الذى خلقته عالما بمقاصدك(مدركا) لقوتك.

أنت الذى صنعت الدنيا بيديك ،

وخلقت (الناس) كما شئت أن تصورهم.

فهم يحيون عندما تشرق ،

ويموتون عندما تغرب ،

أنك أنت الحياة بعينها ،

ويعيش الأنسان (فقط) إذ أردت.

تتعلق العيون بالجمال حتى تغيب ،

ويترك الناس أعمالهم عندما تغرب فى الغرب ،

ولكن عندما (تشرق) ثانية ،

يزدهر كل شئ لأجل الملك ..

لأنك أنت الذى خلقت الأرض ،

وأنت الذى خلقتهم (أى الناس) لأجل ابنك ،

الذى ولد من صلبك ،

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، .... أخناتون ،

وزوجة الملك العظيمة .... نفرتيتى ،

عاشت متمتعة بالشباب دائما والى الأبد.

الأغانى والشعر :

لا نعرف عن الأغانى والشعر فى أيام الدولتين القديمة والوسطى شيئا ، اللهم إلا القليل الذى نستطيع أن نستخلصه من نصوص الأهرام وغيرها. ولكن هذه المقطوعات التى نعثر عليها فى نصوص الأهرام يمكن اعتبارها أناشيد للآلهة ، وليست أغانى شعبية يترنم بها الناس ويغنونها فى حفلاتهم الخاصة. أما ما يمكننا أن نطلق عليه اسم الأغانى فهو أيضا قليل نادر ، ولانعرف منه الا الجملة أو الجملتين الأوليين تكتبان فوق رسم الشخص أو الأشخاص الذين يتغنون بها ولهذا لانستطيع أن نقول عنها الا أنها كانت بداية الأغانى فقط ، مثل أغنية الصيادين التى لا تزيد كلماتها المكتوبة فوق شبكة الصيد عن قوله:"تأتى وتجيئنا بمحصول كبير" ، أو مثل أغنية الرعاة الذين يغنونها وهم يسوقون ثيرانهم وأغنامهم لتحرث الأرض بأرجلها بعد الفيضان:

"ها هو الراعى بين السمك فى الماء ،

أنه يتحدث إلى سمكة الصبوغة ويحيى سكمة .. ،

الغرب! من أين أتى الراعى! أنه راع من رعاة الغرب".

أو الأغانى التى كان يتغنى بها حملة المحفة وهم يحملون سيدهم فوق أكتافهم يسيرون به من مكان إلى مكان. كانوا يغنون له ، ولأنفسهم أيضا ، كما يفعل العمال وبخاصة أبناء الصعيد الآن عندما يعملون فى الحفر عن الآثار أو فى شق الترع أو فى أعمال البناء، وهما أغنيتان من أغانى حملة المحفة.

ما أسعد الذين يحملون المحفة ،

أنها وهى مملوءة خير منها وهى خالية.

وها هى ذى الأغنية الثانية كما ورد فى قبر شخص يسمى "أبى" من الدولة القديمة:

انزل إلى أولئك الذين ستكافئهم ، يا مرحبا بك ،

انزل إلى أولئك الذين ستكافئهم ، متعت بالصحة ،

هدية "أبى" ، فاجعلها عظيمة مثلما أريد ،

أنها وهى مملوءة خير منها وهى خالية.

وإلى جانب أغانى العمال ، وكانت كلها من الشعر أو على الأقل من النثر المقفى المقسم إلى مقاطع ، نعرف أنه كانت توجد أيضا أشعار أخرى غير دينية أو قصائد فى مدح الملوك مثل القصيدة القصيرة التى نراها بين سطور تاريخ حياه "ونى" أحد كبار الموظفين المصريين فى الأسرة السادسة بعد أن عاد ظافرا من حملته على فلسطين:

عاد هذا الجيش بسلام ،

بعد أن حطم بلاد القاطنين فى الرمال.

عاد هذا الجيش بسلام ،

بعد أن داس بأقدامه بلاد القاطنين فى الرمال.

عاد هذا الجيش بسلام ،

بعد أن قضى على حصونهم.

عاد هذا الجيش بسلام ،

بعد أن قطع أشجار تينهم وأعنابهم.

عاد هذا الجيش بسلام ،

بعد أن قتل من جنودهم هناك مئات الألوف.

عاد هذا الجيش بسلام ،

(بعد أن أحضر) من هناك (جنودا) كثيرين أسرى ،

وليس حظنا فى الدولة الوسطى ، من ناحية الأغانى والشعر ، أفضل بكثير من حظنا منها فى الدولة القديمة فلدينا منها أيضا الكثير ولكنه يدخل فى باب الأناشيد الدينية ومدح الملوك ، وقد ازدهرت الأخيرة منها إزدهارا كبيراً ولدينا أناشيد جميلة حقا فى مدح ملوك الأسرة الثانية عشرة وبخاصة من عهد الملك سنوسرت الثالث ، وهى تفيض بأجمل المعانى وألطفها. وسأكتفى بأعطاء ترجمة حرفية كاملة لأغنية من أجمل الأغانى وهى أغنية "الضارب على العود" التى كتبت دون شك فى أيام الدولة الوسطى وكانت من الأغانى المحبوبة من المصريين إلى آخر أيام الدولة الحديثة وكثيراً ما دونوها فى مقابرهم ، كانوا يكتبونها فوق رأس عازف على العود ويتغنون فيها بالدعوة إلى التمتع بما فى الحياة من بهجة وسرور وكثيرا ما كانت تغنى فى الولائم التى يقيمها أهل الميت عند قبره :

هذا خير للأمير النبيل ، فقد مر بالنهاية السعيدة.

تمر الأجيال وتأتى فى مكانها (أجيال) أخرى منذ أيام الذين عاشوا فى سالف الزمن.

يوقظه الأله "رع" عند الصباح ، ويغيب (الأله) أتوم فى الغرب.

يتناسل الناس ، وتحمل النساء ، وتستنشق كل أنف من الهواء.

وعندما يشرق الصباح ترى أولادهم فى أماكنهم.

أن الآلهة الذين عاشوا فى الماضى قد استقروا فى أهرامهم ، وكذلك النبلاء والمبجلون من الناس دفنوا فى أهرامهم.

أن الذين بنوا لأنفسهم قصورا ، لم يبق شئ من بيوتهم فما الذى حدث لهم؟

لقد سمعت حكم "إيمحتب" و "حور ددف" اللذين يتحدث الناس بأقوالهم فى كل مكان ،

أين أماكنهم الآن ؟ لقد تهدمت جدرانهم وتحطمت مساكنهم وأصبحت كأن لم تكن ولم يأت أحد من هناك فيقص علينا ما أصبحوا عليه ويخبرنا عن مصيرهم ،

فتطمئن قلوبنا وترتاح ، حتى نسرع أيضا إلى المكان الذى ذهبوا إليه.

فتمتع وأجعل قلبك ينسى اليوم الذى سيدفنونك فيه (حرفيا – يضعونك – لترتاح).

ارم بكل الأحزان وراء ظهرك ، وفكر فى السرور حتى يأتى ذلك اليوم الذى تصل فيه إلى ميناء تلك الأرض التى تحب الهدوء.

سر وراء رغبات قلبك طالما كنت حيا ، دع العطر فوق رأسك ،

وألبس نفسك خير أنواع ملابس الكتان.

دع الغناء والموسيقى أمام ناظريك.

وأكثر مما لديك من ملذات ، ولا تجعل قلبك ينقبض، ولا تحمل نفسك الهم حتى يأتى يوم الندب عليك.

اقض يوما سعيدا ولا تشغل نفسك بشئ استمع إلى! لا يستطيع أحد أن يأخذ أمواله معه ، ولن يعود ثانية من يموت (فى الأصل من يذهب).

ولكن هذه النغمة التى نراها فى هذه الأغنية وهى الدعوة إلى الأستمتاع بالدنيا ونبذ الهموم ، بل التشكيك فيما ينتظر الناس فى العالم الآخر ، لم يتركها بعض المتزمتين من المصريين فى الدولة الحديثة دون رد عليها ، فنرى أغنية أخرى كتبت على الحائط المقابل فى المقبرة نفسها ، وكانت تغنى ايضا فى الولائم:

يا جميع النبلاء العظماء ويا آلهة سيدة الحياة (أى الجبانة) ،

استمعوا كيف يقدم المديح إلى هذا الكاهن ، وتقدم التحية إلى الروح العظيمة لهذا النبيل ، إذ أصبح الآن إلها يعيش إلى الأبد معظما فى أرض الغرب ،

فلتبق هذه (المدائح) ذكرى له فى الأيام المقبلة ولكل من يزور هذا (القبر).

لقد استمعت إلى الأغانى التى كانت فى مقابر الذين عاشوا قبلنا ،

وما قالوا عندما مجدوا الحياة الدنيا وقللوا من شأن دنيا الموتى ،

فما الذى جعلهم يفعلون ذلك نحو أرض الأبدية ،

المكان الحق ، والأمر الصواب ، حيث لايوجد هناك خوف؟.

ان المشاحنة أمر تمقته (دنيا الموتى) ، ولا يتخوف فيها أحد من زميله ،

انها الأرض التى لايوجد فيها عدو ،

ان أهلنا يرتاحون فيها منذ أقدم أيام الزمن ،

وسيظلون فيها ملايين وملايين السنين ويذهب اليها كل الناس.

وليس هناك من لايذهب إلى العالم الآخر ، ولن يبقى خالدا أحد فى أرض مصر ،

ان مدة البقاء على الأرض شبيهة بالحلم ،

وسيقال لكل من يصل إلى الغرب:

"مرحبا ، فأنت آمن ممتع بالسلامة".

وكلا الأغنيتين شعر جيد ولا شك ، ولكن هناك قصائد أخرى كثيرة ربما كان من أهمها وأجملها تلك القصيدة التى قيلت فى مدح تحوتمس الثالث ونقشوها على لوح من الجرانيت أقاموه فى معبد الكرنك ومحفوظ الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة ، وقد قيلت على لسان الأله أمون رع مخاطبا فرعون الذى دوخ جميع أعدائه وملأ خزائن مصر وآلهتها ، وها هو ذا جزء منها:

ها قد أتيت ،

لأجعلك تطأ زعماء فينيقيا ،

ولأبعثرهم تحت قدميك فى جميع البلاد ، حتى أجعلهم يرون جلالتك كرب الضياء ،

عندما تسطع فى عيونهم كصورة منى.

ها قد أتيت ،

لأجعلك تطأ أولئك الذين فى آسيا ،

وتضرب رؤوس الـ "عامو" الذين فى رتنو (سوريا)،

حتى أجعلهم يرون جلالتك وقد تحليت بشاراتك ،

عندما تقبض على أسلحة الحرب فى العربة.

ها قد أتيت ،

لأجعلك تطأ أرض الشرق ،

وتدوس فوق أولئك الذين فى "أرض الأله"[1].

حتى أجعلهم يرون جلالتك مثل "سشد"[2].

الذى ، يرمى بالنار عندما يقذف شرره.

ها قد أتيت ،

لأجعلك تطأ ارض الغرب ،

كفتيو[3] واسى[4] تحت سلطانك ،

حتى أجعلهم يرون جلالتك كثور فى شبابه ،

قوى القلب ، حاد القرن ، لايمكن مهاجمته.

ها قد أتيت ،

---

(١) أرض الأله تشمل بعض البلاد الواقعة فى الشرق من مصر ومنها بلاد بونت وبلاد العرب.
(٢) إحدى مجموعات النجوم.
(٣) "كفتيو": تطلق على كريت ، ويرى بعض العلماء أنها كانت تطلق أيضا على جزء من ساحل آسيا الصغرى.
(٤) "آسى": المنطقة الساحلية الشمالية من سوريا.

لأجعلك تطأ أولئك الذين فى مستنقعاتهم ،

بينما ترتعد بلاد متن[1] تحت وطأة الخوف منك ،

حتى أجعلهم يرون جلالتك كتمساح ،

باعث الخوف فى الماء ، لايمكن الاقتراب منه.

ها قد أتيت ،

لأجعلك تطأ أولئك الذين فى الجزر ،

الذين فى وسط المحيط ، خوفاً من صيحة حربك ،

حتى أجعلهم يرون جلالتك كمنتقم ،

يظهر منتصر وقد اعتلى ظهر خصمه.

ها قد أتيت ،

لأجعلك تطأ أرض التحنو ، (ليبيا) ،

واليوتنيو[2] بفضل قوة سلطانك حتى أجعلهم يرون جلالتك كاسد مفترس ،

عندما تجعلهم أكواما من الجثث فى وديانهم.

والقصيدة طويلة ولكن يكفينا منها هذا القدر. وقبل أن أنتقل إلى لون آخر من الشعرأذكر أغنية أخرى قيلت فى تهنئة أحد الملوك ، وهو الملك رمسيس الرابع فهى تمتاز بطابع خاص ، وفيها شئ كثير من الرقة وجمال التصوير:

يا له من يوم سعيد فالأرض والسماء مبتهجان لأنك أنت سيد مصر العظيم.

لقد رجع الفارون إلى مدنهم ، وظهر ثانية أولئك الذين كانوا مختبئين.

وأصبح الجائعون سعداء وقد شبعت بطونهم ، وأصبح الظامئون مرتوين.

ومن كان عاريا أصبح يرفل فى الكتان الجميل ومن كان فى أسمال أصبح يرتدى جميل الثياب.

وأطلق سراح من فى السجن ، ومن كان ... أصبح يملؤه السرور.

ومن كانوا ثائرين فى هذه البلاد أصبحوا فى سلام،

[1] بلاد غير معروفة على وجه التحديد ومن المرجح أنها كانت إحدى مناطق البحر الأبيض المتوسط.

[2] سكان ليبيا القدماء.

وجاء الفيضان العالى من كهوفه ليسر قلوب الناس.

أما الأرامل ، فقد تركن أبواب بيوتهن مفتوحه ، وصار يدخلها الزائرون[3].

وابتهجت الأوانس وأخذن يغنين أغانى السرور.

وابتهجت السفن وهى فوق المحيط لان البحر أختفى موجه وأخذت السفن تصل إلى الشاطئ وهى تسير بالريح والمجاديف.

ويمتلئ الناس بالسرور عندما نقول: إن الملك "حقا-مى - رع المختار من أمون" يلبس التاج الأبيض. إبن رع "رمسيس"، قد تولى وظيفة أبية

أغانى الغزل :

وربما كانت أرق الاشعار الغزلية التى وصلتنا من عهد قدماء المصريين فى أيام الدولة الحديثة ، تلك المجموعة من الأغانى التى تفيض رقة ، والتى نلمس فيها حبا تشع فيه العفه والحنان ، وأكثره حوار بين فتى وفتاة ، وأغلب الظن أنها أغنيات رجل وهو يضرب على إحدى الآلات الموسيقية ثم ترد عليه حبيبته وقد أخذوا يتناجيان وهى تقول له يا أخى وهو يناديها ياأختى.. ، ويبث كل منهما الآخر ما يعتمل فى نفسه من شوق ومايلاقيه من لوعة حتى يحين موعد يوم الزواج. ولدينا من هذا النوع من الأغانى ثلاث مجموعات هامة، أحداها فى بردية فى متحف تورين ، أما المجموعتان الثانيتان ففى المتحف البريطانى ، ولكنى أبدأ هنا ببعض تلك الأغانى التى وصلت الينا على أوستراكا وتوجد الآن فى متحف القاهرة ، وكتابتها غير واضحة أو مهمشة فى بعض أجزائها:

(تقول الفتاة) :

.. إلهى . يا أخى ، أنه لجميل أن أذهب إلى البحيرة لأغتسل أمامك ، وأجعلك ترى جمالى وقد ارتديت ثوبى (المصنوع) من أجمل الكتان عندما يبتل.

.. أنى أغطس فى الماء معك ، ثم أعود إليك بسمكة حمراء وقد أستقرت جميلة بين أصابعى.. تعال وأنظر إلى.

[3] أى أن الأرملة التى تعيش بمفردها أصبحت آمنه مطمئنة ، فلم تعد تغلق بابها عليها من الخوف ، بل وصل بها الأمر أنها أخذت تستقبل الناس ، لأن كل البلاد أصبحت فى أمن وطمأنينة.

(ويجب الفتى) :

أن حب أختى على الشاطئ الآخر ، ويفصل بيننا مجرى ماء ينتظر تمساح على رمل شاطئه ، وكان عندما أنزل إلى الماء أخوض فى ماء الفيضان .. أن قلبى جرئ فى الماء ، كأنما الماء أرض تحت قدمى. أن حبها هو الذى يجعلنى فى مثل هذه القوة ، نعم أنه تعويذتى السحرية فى الماء.

عندما أرى أختى آتية يبتهج قلبى وأفتح ذراعى لأعانقها فيبتهج قلبى مكانه مثل .. إلى الأبد عندما تاتى إلى سيدتى.

اذا عانقتها وفتحت لى ذراعيها أحس كأنما أصبحت مثل شخص من بلاد بونت.. بالعطر[1].

فاذا قبلتها وفتحت شفتيها ، أحس بأنى قد أنتشيت دون أن أتذوق الجعة.. (ثم يخاطب الفتى خادمتها قائلا):

أنى أقول لك. ضعى أجمل الكتان على جسدها ، ولا تضعى الكتان فوق فراشها وتجنبى الكتان الأبيض[2]. زينى فراشها بـــ... وانثرى فوقه عطر الـــ "تيشيس"[3].

ليتنى كنت جاريتها التى تقوم على خدمتها حتى أرى لون جسدها كله.

ليتنى كنت غاسل ثيابها.. ولو مدة شهر واحد.. لأغسل العطر الذى فى ثيابها.. ليتنى كنت الخاتم الذى..

***

ونرى هذه النوع من أغانى الحب وهو المناجاة بين الحبيبين فى بردية هاريس ٥٠٠ فى المتحف البريطانى[4] ، وفيها أجزاء كثيرة أو غامضة المعنى ، وها هى بعض مقتطفات منها:

(تقول الفتاة) :

إذا أردت أن تلمس فخذى فان صدرى سوف.. أتريد أن تذهب لأنك فكرت فى الطعام ، فهل أنت شخص نهم؟ أتريد أن تذهب لتلبس ملابسك ؟ ولكن لدى ثوب أتريد أن تذهب لأنك (تحس بالظما)؟ فهاك ثديى فان ما فيه يرويك. ما أجمل اليوم الذى..

أن حبك يخترق جسمى مثل.. وقد أمتزج بالماء. مثل تفاح الحب عندما.. يمتزج بها ، أو مثل خميرة وقد امتزجت بـــ..

أسرع لترى أختك ، كما لو كنت فوق جواد..

(ويقول الفتى) :

..الحبيبة مثل حقل (تملؤه) أزهار اللوتس ، وصدرها مثل تفاح الحب. إن ذراعيها مثل.. أن حاجبها فخ لصيد الطيور مصنوع من خشب الـ "مرو" وأنا البطة التى أوقعتها الدودة فى الفخ.

جمال الحقول :

وهذه بعض الأغانى الشعرية تتحدث فيها الفتاة عن جمال الطبيعة فى الريف ، وكيف يسعد فيه الانسان ، ويمضى وقتا سعيدا فى صيد الطيور ، وهذا هو عنوانها: الأغانى الجميلة التى تسر القلب (التى تغنيها) أختك التى يحبها قلبك عندما تعود من الحقول.

يا أخى المحبوب أن قلبى يشتاق لحبك وها أنا أقول لك: "أنظر إلى ما أفعل. لقد أتيت لأصطاد بفخى الذى أمسكه فى يدى..".

أن جميع أنواع طيور بلاد بونت تحط فى مصر وقد تضوعت بالمر ، وستلتقط أول واحدة منها دودتى ، أن رائحتها قد أتت من بونت وقد تعلقت رائحة العطر برجليها.

أن ما أطلبه منك هو أن نذهب معا لنطلقها (أى الطيور) ، أنا وأنت فقط حتى تسمع صياح طيرى المعطر بالمر.

كم يكون جميلا ، لو كنت معى عندما أنصب الفخ ، وأجمل من ذلك أن يذهب الإنسان إلى الحقل ليرى الحبيب.

أن صوت الأوزة التى وقعت فى الفخ على الدودة قد أصبح مسموعا ، ولكن حبى لك يجعلنى أتسمر فى مكانى فلا أطلقها سالم شباكى ، فما الذى سأقوله لأمى

[1] بلاد بونت حول بوغاز باب المندب وهى الأرض التى كانوا يجلبوا منها العطور والبخور.
[2] ربما كان هذان النوعان من ثياب الكتان فى نظر حبيبها لايليقان بها.
[3] أحد أنواع العطور الفاخرة التى كان يجلبها المصريون من بلاد بونت منذ أقدم العصور.
[4] من عصر الملك سيتى الأول فى الأسرة التاسعة عشرة.

التى أعود إليها مساء كل يوم محملة بالطيور؟ (وستسألنى).

"ألم تنصبى فخا اليوم؟" أن حبك قد أنسانى ذلك.

تطير الأوزة ثم تحط.. وتذهب الطيور كما يحلو لها فلا أهتم بها ؛ لأن كل مايشغلنى هو حبى ، حبى فقط. أن قلبى متفق مع قلبك ولن أذهب بعيداً عن جمالك.

..أنى أنظر إلى الفطير الحلو ولكن مذاقه مثل الملح. ونبيذ الشدح الذى كان له طعم حلو فى فمى قبل الآن أصبح مثل مرارة الطيور. أن أنفاسك وحدها هى التى تجعل قلبى يعيش ، ووجدت بذلك أن الأله "أمون" قد أعطى لى إلى الابد.

ياأجمل إنسان ، أن كل ما أريده هو أن أحبك كزوجتك فى بيتك ، وأن تمسك ذراعى بذراعك.. اذا لم يكن أخى الأكبر معى الليلة فسأكون كمن فى القبر، ألست أنت الصحة والحياة ؟..

أن صوت العصفور يغرد قائلا: لقد نارت الأرض فأين طريقك؟ لا أيها الطير أنك تسقمنى. فانى وجدت أخى فى فراشة وسر لذلك قلبى.. أنه يقول لى: "لن أبتعد عنك ، وستبقى يدى فى يدك ، وأمشى معك جيئة ورواحا فى كل مكان لطيف" سيجعلنى أعظم من كل العذارى ولن يجعل قلبى يحزن.

أنى أظل متطلعة إلى الباب الخارجى. لقد أتى أخى إلى. أن عينى تتجهان دائما نحو الطريق ، وتستمع أذناى إلى.. أن حب أخى هو كل مايشغلنى وذلك لأن قلبى لا يهدأ بسببه.

***

وفى المجموعة التالية من تلك الأغانى نرى الفتاة فى حديقتها تشغل نفسها بعمل باقة من الزهور وها هى بعض مقتطفات منها:

فيها من زهور الـ "سامو" ، ويشعر الإنسان أنه قد كبر شأنه وهو معك. أنى أختك الاولى. وأنى لك بمثابة الحديقة التى زرعتها بالزهور وجميع أنواع الأعشاب العطرة. وفى هذه الحديقة بركة ماء حفرتها يداك وهى مكان جميل أتنزه عندما يهب على نسيم الشمال العليل ويدى فى يدك ، وجسمى مطمئن وقلبى مسرور من نزهتنا معا. أن سماع صوتك (يسكرنى) كالخمر ، ويحيينى سماعه. أن رؤيتك وحدها خير لى من الأكل والشرب.

وفيها من زهور الـ "زايت" ، سآخذ أكاليل زهورك عندما تأتى ثملا إلى وتنام فى فراشك سأدلك قدميك.

***

الأشجار تتحدث :

ولنترك الآن أغانى بردية هاريس وننقل بعض ما جاء فى مجموعة أخرى من أغانى الحب المسطرة فى فى أحدى البرديات فى متحف تورين فى ايطاليا ، ونرى فيها أشجار الحديقة تتحدث إلى بعضها وتدعو العذراء وحبيبها للجلوس فى ظلها.

***

قالت (الشجرة): أن أحجارى شهبية بأسنانها ، وشكل ثمارى مثل ثدييها. أنى خير ما فى البستان لأنى أبقى خضراء فى جميع فصول السنة لكى تأتى لدى الأخت مع أخيها وقد سكرا بالجعة والنبيذ وتعطرا بعطر "كمى"، أما (الأشجار) الأخرى فى البستان فإنها تذبل جميعا ما عداى ، إذ أظل أثنى عشر شهرا فى مكانى ، وبالرغم من أن الزهور قد سقطت فأن زهور العام الماضى مازالت باقية فى.. أننى فى المرتبة الأولى ، أما الأشجار الأخرى فتقول: أنظر! لسنا الا فى المرتبة الثانية.

ولكن اذا تكرر حدوث ذلك فلن أتستر مرة ثانية ، بل سأتحدث لكل الناس عن خطيئتها ليعاقبوا المحبوبة حتى لا يمكنها أن تتوج أعضائها باللوتس وبالزهور.. والبراعم. العطر.. وجميع أنواع الجعة. ليتها تجعلك تقضى اليوم فى مرح. أن خيمة من الأغصان مكان آمن. انظرى! لقد أتى حقا. تعالى لنداعبه ، فعله يمضى اليوم كله..

وترفع شجرة التين صوتها وتنطق أوراقها قائلة: سأكون خادمة للسيدة فهل هناك من هو أنبل منى؟ فإذا لم يكن لك جارية فانى خادمتك التى (أحضروها) من سوريا غنيمة للمحبوبة. لقد أمرت بغرسى فى البستان ، وبالرغم من أنها لم ترونى بالماء فإنى أمضى اليوم كله فى الشراب.. فبحق حياة روحى أيتها المحبوبة ، ليتك تجعلينهم يأتون بى إلى مكانك.

وها هى شجرة الجميز الصغيرة التى غرستها بيديها. أنها تخرج صوتها للتكلم حقا أن.. حقا مثل رغاوى العسل. ما أجمل أغصانها ، أنها خضراء..

ومحملة بعناقيد فاكهتها التى هى أشد حمرة من اليشب الأحمر وأوراقها مثل الفيروز وتلمـــع كالزجـاج ، أن خشبها فى لون حجر "تشمت" وبذورها (؟) مثل شـجرة الـــ "بسبس" أنها تدعو إلى نفسها من ينشدون الظـل ، لأن ظلها طيب.

ها هى تدس خطابا فى يد فتاة صغيرة أنـــها ابنـه البستانى. أنها تأمرها أن تذهب سريعا إلـــى حبيبـها. تعال لنقضى لحظة فى.. وقد اقيم خص وخيمة لتــاوى إليها. أن بستانى (حديقتى) تبتهج وتفرح عند رؤيتـك. أرسل عبيدك قبل حضورك ومعهم معداتهم. انى أحـس بأنى سكرى عندما أجرى للقائك قبل أن أذوق الخمـر. لقد جاء خدمك يحملون أدواتهم ، لقد احضروا الجعـة من جميع الأنواع وكل أنواع الخبز المختلفة ، وفواكـه كثيرة من فواكه الأمس والفواكة (التى جمعوها) فـــى هذا اليوم ، وكل فاكهة لذيذة الطعم. تعال لنقضى اليـوم فى حبور ، وتقضى يوما بعد آخر تقضى ثلاثة أيام فـى ظلى. يجلس حبيبها على يمينها. أنها سقته حتى سـكر وخضع لرغبتها. لقد أختل نظام الوليمـــة مــن كـثرة الشراب ولكنها مـــازالت مــع أخيـها. أن... مـازالت متناثرة تحتى بينما الأخت سادرة فى نشوتها. ولكنى لست ممن يبوحون بالسر ولن أخبر أحدا بما رأيت ، ولن أتلفـــظ بكلمة واحدة.

* * *

ومهما أردنا الإختصار فإننا لا يمكن أن ننتهى دون ذكر أشعار الغزل التـــى حوتــها بردية شـستربيتى، فالبرغم من أنها من النوع ذاته الا أنها تمتاز بكثير من التعبيرات الرفيعة ، وكنـــت أتمنـــى أن أنقلــها كلــها ليستمتع القارئ بها ولكنى أكتفى مضطرا بنقل بعــض فقرات منها:

انظر أنها كنجمة الزهراء عندما تشرق ، فـــى أول سنة سعيدة الطالع ،

ضياؤها ساطع وجلدها منير ،

جميلة العينين عندما تنظر.

حلوة الشفتين عندما تفتحهما لتتحدث ،

لا تنبس بكلمة لا حاجة لها ،

طويلة العنق ، جميلة الثدى ،

وشعرها أسود يلمع.

ذراعها يفوق الذهب فى طلاوته ،

اما أصابعها فمثل براعم اللوتس ،

ثقيلة الأرداف نحيلة الخصر ،

ينبئ ساقاها عن جمالها.

وما أرشق قدها عندما تسير ،

لقد سلبت قلبى مع قبلتها ،

أنها تجعل أعناق الرجال تنثنى ،

مستديرة نحوها إعجابا بها عند رؤيتها ،

ما أسعد الذى يلثم فمها ،

فانه يصبح أقوى من أى شاب آخر

* * *

ولنترك الآن وصف الشاب لحبيبته ، ولنستمع إليـه وهو يتحدث عن أثر حبها فى نفسه:

لقد أتممت أمس أياما سبعة منذ أن رأيت أختى ،

وقد ألم بى المرض ،

وأصبحت أعضاء جسمى ثقيلة ،

ولا أحس بجسدى.

فإذا ما عادنى الأطباء.

فان قلبى لا يطمئنى إلى علاجهم ،

وليس للسحرة حيلة معى ،

لأن دائى لا يتضح لهم.

ولكن من ذكرتها هى وحدها التى تستطيع أن تعيـد إلى الحياة ،

أن إسمها هو الذى يستطيع أن يشفينى ،

ومجئ وذهاب رسلها ،

هو الذى يستطيع أن ينعش قلبى.

أن أختى لى خير من أى دواء ،

وهى لى أهم من جميع كتب العلاج ،

أن صحتى تتوقف على مجيئها إلى.

وعندما أراها ستلبسنى العافية.

فإذا ما نظرت إلىّ بعينيها تستعيد أعضائى قوتها ،

وإذا ما تحدثت إلىّ أستعيد عافيتى ،

وإذا ما قبلتها يبتعد عنى كل شر ،

ولكنى ها هى قد غابت عنى أياما سبعة.

٣- أدب الحكم والنصائح :

كانت كتب الحكم والنصائح ، وما زالت حتى اليوم ، من أحب الأشياء إلى قلوب جميع الشعوب ، وتحتل مكانة عظيمة بين كتب القدماء ؛ لأنها تقدم للناس خلاصة تجارب الحياة وترسم لهم طريق السعادة ، وتضع بين أيديهم المثل العليا لكل من يريد النجاح فى الدنيا والآخرة ، وتنظم صلة الناس ببعضهم .

وإذا تصفحنا أمثال هذه الكتب نقبل عليها بنفوس راضية ، سواء أكانت مما أتت به الأديان أم وردت فى غيرها من الكتب ؛ وذلك لأنها تكشف لنا عما فى قرارة النفس البشرية ، نقرؤها ثم نقف قليلاً لنتأكد من صداها فى نفوسنا، وكثيراً ما نجد مهما بعدت الشقة بيننا وبين زمن كتابتها أننا ما زلنا فى حاجة إليها ، ونتعلم منها الشئ الكثير.

كانت كتب الحكم والنصائح من أحب الأشياء إلى قلوب المصريين فى جميع أدوار تاريخهم ، يكتبها الحكماء فى أغلب الحالات على لسان أب ينصح ابنه ، ويرشده إلى حسن السلوك كى يصل إلى أعلى المراتب، ولدينا من هذا النوع عدة برديات ربما كان أشهرها جميعاً البردية المسماة "نصائح بتاح – حتب" الذى كان وزيراً للملك "جد كارع – اسيسى" من ملوك الأسرة الخامسة ، الذى عاش حوالى عام ٢٣٨٠ قبل مولد المسيح ، وله قبر معروف فى جبانة سقارة. وسنتحدث عن بعض تلك البرديات مبتدئين بأقدمها عهداً لنرى تطور المثل العليا فى مصر على مر العصور.

نصائح بتاح حتب :

وقد وصل إلى ايدينا أكثر من نص واحد من هذه البردية ، أقدمها من الأسرة الثانية عشرة ، أى بعد موت مؤلفها بأكثر من ستمائة سنة ، ونرى فيها كثيراً من الكلمات والتعبيرات التى لم تكن معروفة فى الدولة القديمة ؛ ولهذا يرجح الأثريون أنه قد دخل على البردية الأصلية اصلاحات واضافات كثيرة ، ولكنهم ظلوا ينسبونها إلى الوزير بتاح حتب. ونقرأ فى مقدمة هذه البردية أن سبب كتابتها هو احساس الوزير باقتراب الشيخوخة اذ بدأت الآلام تجد طريقها إلى أعضاء جسده: "والفم ساكت لا يتكلم ، وضاقت العينان وأصاب الصمم الأذنين والقلب كثير النسيان ولا يذكر (ما حدث) بالأمس. ان العظام ينتابها الألم فى الشيخوخة ، وينسد الأنف ولا يستنشق الهواء. القيام والقعود يستويان فكلاهما يؤلم ، واستحال الحسن إلى قبيح ولم يعد لشئ مذاق ، ان ما تجلبه الشيخوخة على الإنسان هو أن تجعله يخطئ فى جميع الأمور". ويطلب الوزير من سيده أن يأمر بأن تكون له "عصا للشيخوخة" وذلك بتعيين ابنه فى وظيفته فأجاب الملك سؤاله وأمره بأن يعلمه حتى يكون مثالا لأبناء العظماء.

وتبدأ الحكم بعد ذلك واحدة بعد الأخرى ، ولكننا نلاحظ أنها غير مبوبة تبويبا صحيحا ، وكثيرا ما نراه يذكر أمرا من الأمور ، وينتقل منه إلى ثان وثالث ثم يعود من جديد إلى الموضوع الأول ، مما ينقص من قيمة هذه النصائح كعمل أدبى ، إذ أن محتوياتها كما قال أحد العلماء الذين عنوا بدراسة هذه البردية ، أقرب إلى مقالة خطيب يتحدث مرتجلا ما يرد على خاطره منتقلا فجأة من موضوع إلى آخر. وهناك نقطة أخرى. هل كان من المفروض أن مثل تلك النصائح مكتوبة فقط للخاصة من الناس ، أى الذين يعدون لتولى الوظائف الكبرى أم أنها كانت للشعب عامة ؟ يرجح الأستاذ "بيت" أنها كانت للخاصة من الناس ولكن الاقبال الكبير عليها سواء فى الدولة الوسطى أو الدولة الحديثة ، واملاؤها على تلاميذ الكاتب كمحفوظات يتمرنون على كتابتها ، وتتناول البردية المواضيع العامة التى يتعرض لها كل انسان من كل طبقة يرجح انها كانت حكمة عامة لجميع الناس وربما كان الابقاء على اسم الوزير بتاح حتب ، والابقاء على فكرة كتابتها ليسترشد بها ابنه الذى سيحتل أهم وظيفة فى البلاد ليست الا للإعلاء من شأنها ، أمام النشئ المهذب فيصل إلى أعلى وظائف الدولة ، وها هى ذى بعض مقتطفات منها ، يبدؤها بتحذير أولئك الذين يداخلهم الغرور إذ أصابوا شيئا من العلم.

التحذير من غرور العلم :

"لا يداخلنك الغرور بسبب علمك ، ولا تتعال (وتنتفخ أوداجك) لأنك رجل عالم. استشر الجاهل كما تستشير العالم لأنه ما من أحد يستطيع الوصول إلى آخر حدود الفن ، ولا يوجد الفنان الذى يبلغ الكمال فى اجادته ، ان الحديث الممتع أشد ندرة من الحجر الأخضر اللون ، ومع ذلك فربما تجده لدى الاماء اللاتى يجلسن إلى الرحى (أى أقل طبقات الخدم)".

ضرورة اتباع الحق :

"إذا كنت زعيماً يحكم الناس فلا تسع الا وراء كل ما اكتملت محاسنه حتى تظل صفاتك الخلقية دون ثغرة فيها . ما أعظم الحق فان قيمته خالدة ولم ينل منها أحد منذ أيام (الاله) أوزيريس. ولكن الذى يعتلى على ما يأمر به يحل به العقاب. انه (أى الحق) مثل الطريق السوى أمام الضال ، ولم يحدث أبداً أن (عرف عن) عمل السوء انه أوصل صاحبه سالماً إلى مأمنه".

فى المآدب :

"اذا كنت مدعوا إلى مائدة من هو أعظم منك فخذ ما عسى أن يعطيه لك عندما يوضع أمامك. لا تنظر الا إلى ما هو أمامك. ولا تسدد نظرات كثيرة إليه ؛ لأن اجباره على الالتفات اليك أمر تكرهه النفس.

غض من طرفك حتى يحييك ولا تتكلم حتى يخاطبك. اضحك عندما يضحك فإن ذلك يدخل السرور على قلبه وسيقبل منك كل ما تفعله ، ان الانسان لا يعلم ما فى القلب".

مهمة الرسول :

"اذا كنت مما يوثق فيهم ويرسلهم أحد العظماء إلى عظيم آخر ، فكن أميناً جدا عندما يرسلك. بلغ الرسالة كما قالها. لاتخف شيئاً مما قاله واحذر من النسيان. تمسك بأهداب الصديق ولا تتخطاه حتى ولو كان ما تقوله قد خلا مما يرضى. واحذر من أن تشوه فى الحديث لئلا يحقد العظيم على العظيم بسبب الطريقة التى نقل بها الكلام .. ولا تتشاجر مع أى شخص عظيما كان أو بسيطا ، فإن ذلك أمر كريه".

احترم رئيسك مهما كان أصله :

"اذا كنت شخصا فقيرا تعمل تابعا لأحد الرجال المعروفين الذين يشملهم رضاء الاله (أى الملك) فلا تحاول معرفة شئ عن ماضيه عندما كان مغمورا. لا تجعل قلبك يتعالى عليه بسبب ما تعرفه عنه فى ماضى أيامه . احترمه بنسبة ما صار إليه لأن الثروة لا تأتى من تلقاء ذاتها .. والله هو الذى يخلق الشهرة ..".

شكاية المظلوم :

" اذا كنت ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكاواهم فكن رحيماً عندما تستمع إلى الشاكى . لا تعامله الا بالحسنى حتى يفرغ مما فى نفسه ، وينتهى من قول ما أتى ليقوله لك. ان الشاكى يعطى أهمية لإراحة ذهنه باسماع شكواه أكثر من تحقيق ما أتى لأجله. أما ذلك الذى ينهر صاحب الشكوى فان الناس يقولون عنه :"لماذا تجاهلها وايم الحق؟ ان ما يرجوه الناس منه لا يتحقق منه شئ". ان رفقك بالناس عند اصغائك للشكوى يفرح قلوبهم".

الصلة بالنساء :

"اذا أردت أن تطيل صداقتك فى بيت تزوره سيدا كنت أو أخا أو صديقا فاحذر من الاقتراب من النساء فى أى مكان تدخله ، فهو مكان غير لائق لمثل هذا العمل. وليس من الحكمة أن تفرط فى الملذات فقد انحرف ألف رجل عن جادة الصواب بسبب ذلك. انها لحظة قصيرة كالحلم والموت جزاء الاستمتاع بها" [1].

فى الطمع :

"اذا أردت أن يحسن خلقك وتصون نفسك من كل سوء فاحذر من الطمع ، فهو مرض عضال لا دواء له، ولا يمكن لانسان أن يطمئن إلى وجوده معه ، فهو يحيل الصديق حلو المودة إلى عدو مرير يبعد الخادم الموثوق به عن سيده ، ويفصل ما بين الآباء والأمهات وبين الاخوة الذين ولدتهم أم واحدة ، ويفرق بين الزوجة وزوجها. أنه حزمة جمعت كل أنواع الشرور وجعبة ملئت بكل شئ مقيت. ما أطول حياة الانسان وما أسعده اذا كان خلقه متحليا بالاستقامة ، فان من يلتزم جادتها يكون لنفسه ثروة أما الشخص الجشع فلن يكون له قبر" [2].

---

[1] يشير بذلك إلى من يخضع لشهوته وتغريه لذته فيكون جزاؤه الموت. وهو عقوبة الزنا.

[2] أى يصبح مساويا لأفقر الناس الذين لا يهتم أقاربهم بدفنهم وتشييد مقبرة لهم.

الحث على الزواج :

"إذا كنت شخصا عاقلا ناجحا فأحبب زوجتك التى تعيش فى منزلك بصدق وأمانة. أشبع جوفها وأكس جسدها. (وأعلم) أن العطور خير علاج لأعضاء جسدها. أدخل السرور على قلبها طيلة أيام حياتها فهى حقل يدر الخير لسيده".

تغيير الحالة :

"اذا عظم شأنك بعد أن كنت قليل القدر ، وأصبحت غنياً بعد أن كنت فقيراً فى بلدك الذى يعرفك (أهله) فلا تنس كيف كان حالك فيما مضى. ولا تغتر بثروتك التى جاءتك كهبة من الله ، ولكن لا تحسبن أنك أقل من أى شخص آخر مثلك أصبح فيما أصبحت فيه".

احترام الرؤساء :

"احن ظهرك لمن هو أعلى منك ، لرئيسك فى العمل وسيعمر بيتك بخيراته وتنال مكافأتك فى موعدها المقدر لها. ما أتعس الذى يناصب رئيسه العداء ، فلن المرء يحيا فقط طالما كان (الرئيس) راضياً".

ان مجموع فقرات حكم بتاح - حتب سبعة وثلاثون، اخترت منها هذه الفقرات العشر كأمثلة منها، ولكن البردية لا تنتهى عند انتهاء النصائح ، بل اختتمها كاتبها بتعليق طويل عالج فيه أكثر من موضوع واحد، ولكن الجزء الأكبر من ذلك التعليق يدور حول الطاعة.

وسنرى فيه مقدرة الكاتب فى فن الكتابة:

"ما أجمل أن يصغى الابن عندما يتكلم أبوه ، فسيطول عمره من جراء ذلك. أن من يسمع يظل محبوباً من الله ولكن الذى لا يسمع مكروه من الآلهة، والقلب هو الذى يرشد صاحبه فيجعل منه شخصا يسمع أو شخصاً لا يسمع ، فقلب الانسان هو حياته وسعادته وصحته. ما أجمل أن يستمع الابن إلى أبيه".

"أما الغبى الذى لا يسمع فلن يلقى نجاحاً. فهو ينظر إلى العلم كما لو كان جهلا والى الخير كما لو كان شراً ، ويجلب على نفسه اللوم فى كل يوم لأنه يفعل كل ما هو مكروه من الناس. ويعيش على ما يسبب الموت للناس. أن قالة السوء هى الطعام الذى فى فمه ولهذا سيعرف الحكام (حقيقة) خلقه وسيموت، وهو حى ، فى كل يوم ، وسيتجنبه الناس لكثرة مساوئه التى تتكدس فوقه من يوم إلى يوم"

***

ولنترك الآن بردية بتاح -حتب لنتحدث عن البرديات الأخرى ، اذ لدينا برديتان أخريان تنسبان إلى الدولة القديمة ، أولهما البردية المسماة "نصائح موجهة إلى كاجمنى وهى من انشاء الدولة الوسطى (الأسرة الثانية عشرة) ولكن كاتبها نسبها إلى أيام الدولة القديمة، وربط بينها وبين اسم الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة والذى اشتهر امره شهرة كبيرة فى أيام الأسرة الثانية عشرة ، وألهه الناس وعبدوه ونسبوا إلى أيامه كثيراً من قصصهم.

ولم يعثر الا على الجزء الذى يحتوى نهاية البردية ، ونعرف منها أن مؤلفها كان حاكما للعاصمة ووزيراً للملك حونى آخر ملوك الأسرة الثالثة ، وقد أدركته الشيخوخة فكتب هذه النصائح ليسير عليها أبناؤه وبخاصة "كاجمنى" الذى تولى وظائف أبيه فى عهد الملك سنفرو.

ولكنا لم نعثر مطلقا على اسم أى موظف فى عهد سنفرو يحمل هذا الاسم ، وربما اختلط الأمر على كاتبها فى الأسرة الثانية عشرة ، فأعتقد أن الوزير الشهير كاجمنى الذى عاش فى أيام الأسرة السادسة وصاحب القبر المعروف فى سقارة عاش فى عهد الملك سنفرو.

وربما كانت هناك نصائح كتبها ذلك الوزير أعادوا كتابتها ، وأضافوا اليها فى الأسرة الثانية عشرة كما حدث لنصائح بتاح - حتب ، ولكن سواء أصح ذلك الاحتمال أو لم يصح فان النص الذى بين أيدينا مكتوب بلغة الدولة الوسطى.

ويجمع الجزء المحفوظ من هذه البردية بين بعض النصائح الأخلاقية وبين آداب السلوك فمثلا نقرأ فيها :

على المائدة :

"إذا جلست (للأكل) مع أشخاص كثيرين ، فلا تقبل كثيرا على الطعام حتى ولو كنت تشتهيه ، ولن تحتاج الا إلى لحظة قصيرة لتسيطر على نفسك فأنه من المخجل أن يكون الانسان شرها.

أن كأسا من الماء يروى الظمأ واذا ملأ الانسان فمه من .. فان ذلك يقوى القلب. وكما يقوم الشئ الجيد مقام شئ جيد آخر فان القليل يقوم مقام الكثير. ما أتعس الرجل الذى يكون نهما من أجل بطنه".

"اذا جلست (للأكل) مع شخص نهم فلا تأكل الا بعد أن يفرغ من طعامه. واذا جالست سكيرا فلا تشوب الا بعد أن يشبع رغبته . لا تتكالب على اللحم فى حضرة... خذ عندما يعطيك ولا ترفضه ، واذكر أن ذلك يرضيه".

احذر من التفاخر :

"لا تتفاخر بقوتك بين أقرانك فى السن ، وكن على حذر من كل انسان حتى من نفسك إن الأنسان لا يدرى ماذا سيحدث أو ما الذى سيفعله الله عندما ينزل عقابه".

* * *

ولننتقل الآن إلى ثالث البرديات وهى بردية "دواوُف" التى يرجع تاريخها هى الأخرى إلى عصر يقع بين أواخر أيام الدولة القديمة والأسرة الثانية عشرة ، وكانت من أحب القطع الأدبية إلى قلوب مدرسى الدولة الحديثة، وبخاصة فى الأسرة التاسعة عشرة ، حيث كانوا يملونها على التلاميذ ليتمرنوا على الكتابة ، ولهذا وصلت الينا نصوصها ملأى بالأخطاء. ولا عجب اذا أقبل عليها المدرسون وتلاميذهم فان موضوعها الأساسى هو الحث على التعليم والاعلاء من وظيفة الـ "كاتب" والسخرية من الحرف الأخرى وتمتاز هذه البردية بأن كاتبها لم يكن وزيرا ينصح ابنه الذى سيتولى أمور وظيفة أبيه ، بل كان رجلا عاديا من عامة الناس اسمه "دواوُف بن ختى" كتبها لينصح بها ابنه المسمى "ببى" عندما عزم على ارساله إلى العاصمة ليدخل "بيت الكتب" أى المدرسة ليتلقى العلم مع أبناء الموظفين.

ينصح دواوُف ابنه ليقبل على العلم ويحب الكتب ، بل ويركز حب قلبه فيها حتى يصبح كاتبا فتنفتح أمامه كل فرص الثروة والترقى بين الموظفين ، ويذكره بأنه عندما يتم تعليمه فأن الناس يقدمون له احترامهم حتى ولو كان طفلا حديث السن ، ويكلفه الحكام بالقيام ببعض المهمات :

"ولكنى لم أر أبدا مثالاً يرسل فى مهمة أو يبعثوا بصائغ ، ولكنى رأيت الحداد يؤدى عمله عند فوهة الفرن ، وقد أصبحت أصابعه كما لو كانت من جلد التماسيح وقد فاحت منه رائحة أكره من قذارة السمك".

ويعدد بعد ذلك الحرف والصناعات المختلفة ، فيتكلم عن النحات الذى يعمل فى نحت الأحجار الصلبة فاذا ما فرغ من عمله يكون التعب قد شل ذراعيه واصبح منهوك القوى "وعندما يستريح (من عمله) عند الغروب يكون ظهره وفخذاه قد صارت حطاما". ويعرج على الحلاق الذى يعمل فى حلق رووس الناس ولحاهم حتى يحل المساء ، يسير من شارع إلى شارع بحثا عمن يحلق له. أنه يسبب لذراعيه الانهاك لكى يملأ بطنه ، وما أشبهه بالنحلة التى لا تصيب الطعام الا بعملها".

ولا ينسى البناء و البستانى وكيف يشقيان فى عملهما، أما الفلاح فهو فى شقائه يتحمل فوق ما يطيق، كما يذكر النساج والاسكافى وحامل الماء ، والسماك الذى يذكر عن شقائه أنه يكفيه عمله على حافة النهر واختلاطه بالتماسيح. فاذا ما قال أحد يوجد تمساح هناك أعماه الخوف . "انظر أنه لا يوجد من يعمل دون أن يكون هناك رئيس آمر له ما عدا الكاتب فأنه هو نفسه الرئيس".

وبعد أن يفرغ من تعداد متاعب كل تلك الحرف يعود ثانية للاعلاء من شأن العلم والكتب ، ويقدم لابنه بعض النصائح التى تساعده على اكتساب محبة الناس، وأهمها طبعا القناعة وطاعة الرؤساء ، ويحذره من احداث الضجيج عند عودته من المدرسة.

كان هذا النوع من الادب شيئا محببا إلى قلوب تلاميذ الدولة الحديثة ، وقد نسجوا على منواله ، فكتبوا برديات أخرى كثيرة وكان المعلمون يتبارون فى املائها على تلاميذهم. وها هو واحد منهم يقول لتلميذه:

" لا تقض يوما واحدا دون عمل والا فسيكون الضرب نصيبك" أن أذن الطفل موضوعة فوق ظهره وهو يحسن السمع عندما يضرب. ركز قلبك فى الاصغاء لكلماتى لتستفيد منها.

أن الحيوان المسمى كايرى [١]. يعلمونه الرقص ، ويروضون الجياد ويمرنون الطير على البقاء فى العش، ويقيدون جناحى الصقر[٢] .

---

(١) حيوان يعيش فى اثيوبيا ، ومن المرجح أنه نوع من القردة التى يسهل تدريبها.

(٢) أى أنه اذا كان ميسورا تعليم الحيوانات والطيور ، فمن الميسور أيضا تدريب الانسان وتعليمه

كن دؤوبا على طلب النصيحة ولا تهملها ، ولا تمل من الكتابة".

وها هو معلم آخر يزجر تلميذه، لقد سمعت بأنك تسير وراء ملذاتك ، وتذهب من شارع إلى شارع حيث تفوح رائحة الجعة التى تودى بك. أن الجعة تنفر الناس منك وتودى بك إلى الهلاك. تصبح كدفة مكسورة فى سفينة لا تفيد فى التوجيه نحو اليمين أو نحو اليسار أو شبيها بهيكل خلا من آلهة ، أو بيتا لا خبز فيه.

لقد رأوك وأنت تتسلق جدارا وتدخل إلى ... وكان الناس يجرون منك لأنك كنت تصيبهم بالجراح. ليتك تعلم أن الخمر شئ مكروه ، وليتك تقسم على تجنب شراب "الشدح" وليتك لا تتجه بقلبك نحو اناء الخمر وتنسى شراب الـ "تلك" (٣). لقد علموك الغناء على نغمات الناى ، ومصاحبة ..والمزمار، وأن تخاطب آلة الـ "كنور" وأنت تتأرجح وأن تتغنى على نغمات الـ "تزح (٤)".

وفى البردية نفسها يقول المدرس لتلميذه : "اذا نظرت إلىّ ، أنا نفسى عندما كنت فى مثل سنك فقد قضيت وقتا والقيود فى يدى ، وربطوا جسمى ، وظللت على ذلك ثلاثة شهور وأنا سجين فى المعبد ، بينما كان أبى وأمى واخوتى فى القرية. وعندما فكوا القيد .وأصبحت يدى حرة عوضت ما فاتنى وكنت الأول بين اقرانى وفقتهم فى العلم. أفعل ما أقول وسيصح بدنك وتصبح وليس هناك من هو أحسن منك".

وفى عدة برديات أخرى وعلى كثير من قطع الاوستراكا تقرأ مقتطفات عدة عن الحرف المختلفة ، وتفضيل مهنة الكاتب عليها جميعا فنراه يسخر من الفلاح ونراه يسخر من الخباز ، حتى كاهن المعبد لا يسلم من سخريته :"ويقف الكاهن هناك كما يقف فلاح الأرض ويعمل الكاهن الذى فى مرتبة الـ "واعب" فى القناة ... وتبلله مياه النهر ، يستوى فى ذلك لديه الشتاء والصيف ، أو كان الجو مطيرا أو مشحونا بالزوابع" .

وها هو بعض ما يذكره عن الجندى :

"تعال أحدثك عما يلاقيه الجندى ، فما أكثر عدد رؤسائه ، قائد اللواء ، وقائد المتطوعين والـ "سكت" الذى يتزعمهم ، وحامل العلم والملازم والكاتب وقائد الخمسين وقائد الجماعة ، انهم يدخلون مكاتبهم فى القصر ويخرجون منها وهم يقولون (احضروا الرجل الذى يستطيع العمل).

انهم يوقظونه (أى الجندى) ولم تكن قد مضت عليه ساعة ، ويسوقونه كما يسوقون الحمار ، ويعمل حتى يحين مغيب الشمس ويحل ظلام الليل. أنه جائع منهوك القوى أنه حى ولكنه شبيه بالميت".

وفى مكان آخر من البردية نفسها :

"ما الذى تعنيه بقولك "يظن الناس أن الجندى أحسن حالة من الكاتب"؟ ... تعال أحدثك عنه عندما يطلبونه للسفر إلى سوريا . أنه لن يعرف الراحة ولا يجد ملبسا ولا حذاء لأن جميع المهمات الحربية مكدسة فى حصن ثارو (٥). أنه يصعد الجبال ولا يشرب الماء الا مرة كل ثلاثة أيام ، وحتى (هذه الجرعة) ماؤها عكر وفيها ملوحة فى الطعم أن آلام المعدة تحطم جسده ، ثم يأتى بعد ذلك العدو ويطلق عليه السهام من جميع الجهات ، وقد بعد ما بينه وبين مأمنه ، انهم يقولون له : "تقدم أيها الجندى الشجاع واكتسب لنفسك اسما عاطرا، ولكنه يكاد لا يعى ما يدور حوله فقد تفككت ركبتاه وتصدع رأسه.

فاذا ما جاء يوم النصر يتسلم من فرعون بعض الأسرى ليأتى بهم إلى مصر . وها هى احدى السوريات قد أغمى عليها من وطأة السير فيضعونها فوق منكب الجندى. ان مخلاته تقع منه فيلتقطها آخرون ، بينما انحنى جسمه من ثقل وزن المرأة السورية. وفى قريته تنتظره زوجته وأطفاله ولكن المنية توافيه قبل أن يصل اليهم".

ولكن هذه الصورة القاتمة لحياة الجندى ليست الا

(٣) شراب الشدح نوع من الخمور المصرية كان يصنع من بعض الفاكهة ، وكان حلو المذاق ، أما التلك فكان احدى الخمور التى كانت تجلب من سوريا.

(٤) الكنور هو الاسم السامى لآلة موسيقية من نوع القيثارة وكذلك النزح ، ونرى فى نصوص هذا العصر كثيرا من الكلمات السامية التى انتشرت بين المصريين فى ذلك العهد على اثر حروب مصر فى آسيا فى أيام الامبراطورية ، واحضار مئات الألوف من الرجال والنساء كأسرى حرب ، وكان عدد كبير من الفتيات الآسيويات يحترفن الغناء والرقص والعزف على آلات الموسيقى التى كانت شائعة الاستعمال فى فلسطين وفى سوريا وغيرها من بلاد غرب آسيا فى ذلك العهد .

(٥) حصن ثارو كان مركز تجمع الجيش المصرى فى الدولة الحديثة عند القيام بأى حملات حربية على آسيا ومكانه على مقربة من بلدة القنطرة الحالية.

جزءا ولدينا فى النصوص المصرية الشئ الكثير عن الاعلاء من شأن الجندى والجندية وحث الشباب على التخلق بخلقها، ولكن حسبنا هذا القدر ولنتكلم الآن بايجاز عن نوع آخر من النصائح كتبها اثنان من الملوك يحدث كل منهما ابنه عن تجاربه ويبثه نصائحه ويرشده إلى ما يعتقد أنه خير وسيلة لحكم البلاد.

نصائح الملك ختى لابنه الملك مريكارع :

فى أواخر ايام الدولة القديمة ، تعرضت مصر لفترة ضعف وانحلال ، هى ما نسميه فى التاريخ المصرى باسم "عصر الفترة الأولى" التى تقطعت فيها أوصال البلاد ، وتفرقت كلمتها والتى بدأت منذ آخر الأسرة السادسة حوالى عام ٢٢٨٠ق.م. واستمرت حتى بدأت مصر الدولة الوسطى فى عام ٢٠٥٢ق.م. ومن أهم أحداث تلك الفترة أن ملوك اهناسيا الذين حكموا فى الشمال ، وكانت منهم الأسرتان التاسعة والعاشرة اصطدموا فى أواخر أيامهم بأمراء طيبة ، ودارت حرب طاحنة بين البيتين حتى انتهى الأمر بانتصار الطيبيين، ولم يستقلوا باقليمهم أو بالصعيد فحسب ، بل قضوا على بيت اهناسيا وأخضعوا الدلتا لحكمهم ووحدوا مصر كلها مرة أخرى.

ولم يزدهر الأدب فى أى عصر من عصور التاريخ المصرى، كما ازدهر فى هذه الفترة التى نسميها العصر الاهناسى ، فقد كتبت فيه الكثير من البرديات التى وصل فيها فن الكتابة إلى قمة عنفوانه، مثل برديات النصائح التى أشرنا إلى بعضها، وبردية الفلاح الفصيح وبردية تنبؤات "ايبوور" التى نرى فيها وصفا صادقا لما حل بمصر من رذايا وما أصابها من انحلال وفوضى، ومثل بردية اليائس من الحياة التى تعكس لنا صورة تلك الفترة القاتمة فى حياة المصريين، الذين عز عليهم أن يروا بلادهم تتردى فيما ترددت فيه.

ولكن رب ضارة نافعة. فقد كانت هذه الفترة بالذات سببا فى إزدهار الأدب كما رأينا ، وكان لها فضل آخر وهو الإعلاء من شأن الفرد واعتزازه بنفسه ، وتحطيم تلك الهالة التى كانت تجعل الشعب يذوب كله فى شخصية الملك - الأله ، والتى كانت تجعل المجد فى الدنيا والسعادة فى الآخرة لمن يرضى عنه الملك ، وتكون لديه الثروة التى تمكنه من انشاء قبر كبير يعين له من الكهنة من يقومون بالصلاة على روحه فى الأعياد ، ويقدمون لها القرابين فى كل يوم ويوقف من أرضه ما يكفى للانفاق على ذلك كله.

فلما قام الشعب بثورته الاجتماعية فى آخر الأسرة السادسة ، لم يحطم دواوين الحكومة وقصور الأغنياء ومقابر الملوك وأصفيائهم فحسب ، بل حطم أيضا كثيرا من الآراء ، وأصبح المصريون يؤمنون بالمساواة الإجتماعية ، ولم يصبح تقدم الفرد فى حياته الإجتماعية رهينا برضاء الملك أو بنسبه أو ثرائه ، ولكنه أصبح متوقفا على جده وإستقامته ؛ كما أصبحت الجنة من نصيب الذين أحسنوا فى الدنيا وجانبوا المعاصى وصلحت سريرتهم ، ولم تعد وقفا على الملك ومن أحاطوا به ، واشتروا بما لهم استمرار تقديم القرابين لأرواحهم بعد موت.

نرى الشئ الكثير من هذه الروح الجديدة فى أدب ذلك العصر ، وبخاصة فى بردية النصائح الموجهة إلى الملك مريكارع ، التى لا يتسع المقام إلا باعطاء فقرات قليلة منها. وبالرغم من أنها نصائح سياسية الا أن أسلوبها الأدبى لا يقل جمالا وجودة عن أى قطعة أدبية أخرى. وها هو يحض ابنه على عمل الخير:

"هدئ من روع الباكى ولا تظلم الأرملة ، ولاتحرم إنسانا من ثروة أبيه ، ولا تطرد موظفا من عمله. وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم. لا تقتل فإن ذلك لن يكون ذا فائدة لك ، بل عاقب بالضرب والحبس فإن ذلك يقيم دعائم هذه البلاد اللهم الا من يثور عليك وتتضح لك مقاصدة ، فإن الله يعلم خائنة القلب والله هو الذى يعاقب أخطاءه بدمه. لا تقتل رجلا إذا كنت تعرف جميل مزاياه ، رجلا كنت تتلو معه الكتابات (أى زميلك فى الدراسة)".

ويوصى ابنه بتقريب ذوى المواهب ويحضه على تقوية بلاده:

"لا تميز بين ابن شخص (ذى حيثية) على شخص فقير ، بل قرب إليك أى إنسان بسبب عمل يديه.. احم الحدود وشيد الحصون لأن الجيوش تنفع سيدها" .. ويحضه على تحصين مدنه ويقول له أنه إذا ضعفت قوته فى الجنوب ، ولم يحصن حدوده كان ذلك أيذانا بغزو الأجانب للدلتا ، ويحذره من الاعتداء على آثار السابقين:

" لا تحدث ضررا لمبنى أقامة غيرك ، واقطع أحجارك من (محاجر) طرة ، ولا تبن قبرك من أحجار الخرائب وأن تدخل ما أقامة غيرك فيما تريد أن تقيمه. انه لا يمكنك أن تتقاعس وتنام مطمئنا إلى قوتك ، وتفعل ما يرغب فيه قلبك اعتمادا على ما فعلته انا قبلك ، فتظن انه لا يوجد أعداء لك داخل حدودك".

نصائح الملك أمنمحات الأول إلى ابنه الملك سنوسرت :(١)

انتهت أيام الفترة الأولى بالقضاء على أهناسيا وتاسيس الأسرة الحادية عشرة فى الجنوب ، ولكن احد وزراء ملوك طيبة وكان يسمى أمنمحات أسس بيتا مالكا جديدا وهو الأسرة الثانية عشرة ، ونقل عاصمة الملك من طيبة إلى الشمال فى مكان على مقربة من العاصمة القديمة منف ، وكان ملكا من أعظم الملوك الذين جلسوا على عرش مصر فأصلح أمورها وحارب كل من قاومه، ولكن حياته انتهت بمأساة ، اذ ذهب ضحية مؤامرة على حياته واغتاله فى قصره وفى حجرة نومه بعض من وثق فيهم. وهناك رأى بأن أمنمحات لم يقل هذه النصائح وهو فى مرضه الأخير بعد حادث الاعتداء عليه ، وانما هى عمل أدبى قيل عن لسانه ، وكأنه أتى يسدى النصيحة لابنه من العالم الآخر. ولكن هناك رأيا آخر بأنه عاش وأشرك بعد ذلك ابنه معه فى الحكم ، ولسنا نتوقع أن يكون فى هذه البردية غير الشعور بالمرارة والتحذير ممن يخونون العهد ، ويقابلون الإحسان بالأساءة ، ويكفينا أن نقتبس بعض فقرات من الجزء الأول منها :(٢)

"ولا تقرب مرؤسيك اليك كثيرا لئلا يحدث من الاذى مالم تعمل له حسابا لا تقربهم وأنت بمفردك. لا تملأ قلبك بأخ ولا تثق فى صديق. لا تكون لنفسك أصفياء فلن يكون من وراء ذلك تحقيق أمر. وحتى عندما تنام اجعل من نفسك حارسا على نفسك لأنه لا أتباع لأحد فى يوم الأسى. لقد أعطيت الفقير وربيت اليتيم وجعلت من كان لا شئ يصل (إلى غرضه) مثل ذلك الذى كان شيئا مذكورا.

أن الذى أكل طعامى هو الذى حرض الجنود (ضدى) وذلك الذى مددت له يدى هو نفسه الذى إستهان بهما فى احداث الفزع".

ويستمر امنمحات فى حديثه إلى أن يأتى إلى وصف ما حدث له فى أسلوب أدبى ممتاز:

"كان ذلك بعد طعام العشاء عندما حل المساء، وكنت قد خلوت إلى ساعة راحة مستلقيا على فراشى لأنى كنت متعبا ، وكان قلبى قد أخذ يشتاق إلى النوم. ولكن الأسلحة التى كان يتحتم عليها أن تقف إلى جانبى ، شرعوها ضدى وأصبحت كمن تهدم وأصبح ترابا أو كحية من حيات الصحراء (٣). واستيقظت على صوت القتال ، ولما أفقت لنفسى وجدت انه كان اشتباكا بين الحراس ولو كنت أسرعت وسلاحى فى يدى لجعلت الجبناء يتفرقون فى ضلام الليل ، ولا يمكن للانسان أن يحارب وهو وحيد ولا يمكن أن يحدث النجاح لانسان دون أن يكون هناك من يحميه".

نصائح آنى :

انتقل الآن إلى عصر آخر وهو عصر الدولة الحديثة، وأقتبس بعض فقرات من نصائح آنى إلى ولدة(٤)، وأحب قبل عرض هذه الفقرة أن أنبه القارئ إلى حقيقة هامة وهى أنها كتبت فى عصر كانت مصر قد فقدت فيه كثيرا مما كان لها من قوة فى الدولتين القديمة والوسطى أو فى أيام الدولة الحديثة ، وبدأت عصرا من عصور إضمحلالها علت فيه كلمة الدين ، وطغت فيه فلسفة الامتثال لحكم القضاء والقدر والدعوة إلى التدين والقيام بشعائر الدين ، ولكن بالرغم من ذلك فاننا نعرف منها الشئ الكثير عن آداب السلوك ، وما كان يراه المصريون فى ذلك العهد فى تكوين المجتمع وصلة الناس بعضهم ببعض:

---

(١) كانت هذه النصائح من أحب القطع الأدبية إلى قلوب المصريين، وتوجد منها أربع نسخ فيها النص الكامل ، كما عثر على عشرات من أجزاء منها يرجع تاريخها إلى عصور مختلفة تبدأ فى الأسرة الثانية عشر وتنتهى فى الأسرة العشرين اى خلال فترة لا تقل عن أربعمائة سنة.

(٢) يتحدث أمنمحات فى الجزء الثانى عما قام به لاعادة الطمأنينة إلى البلاد ، وتأمين حدودها وما أقامه من معابد وما شيده من حصون وما أخمده من فتن فى الشمال والجنوب.

(٣) كان أمنمحات اذ ذاك شيخا طاعنا فى السن ، وربما كان بعض رجال حرسه الخاص من بين المشتركين فى المؤامرة عليه.

(٤) بردية آنى فى المتحف المصرى بالقاهرة (بولاق ٤) وهى من الأسرة الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين

الحث على الزواج :

"اتخذ لك زوجة وأنت فى شبابك حتى تلد لك ابنا وأنت شاب. علمه ليصبح رجلا فما أسعد الشخص الذى يكثر أهله ويحييه الناس باحترام بسبب أولاده".

التحذير من الإتصال بالنساء :

"كن على حذر من امرأة تأتى من مكان بعيد ، وليست معروفة فى بلدها. ولا تطل النظر إليها عندما تمر بك ، ولا تتصل بها اتصالا جسديا. انها ماء عميق الغور لا يعرف الانسان حناياه. أن المرأة التى غاب عنها زوجها تقول لك كل يوم "انى حسناء" وليس هناك من يشهدها وهى تحاول ايقاعك فى فخها ، انها جريمة يستحق صاحبها الموت عندما يعرف الناس أمرها" .

القناعة والتوجه إلى الله :

"لا تكثر من الكلام. والزم الصمت فتسعد ، ولا تكن ممن يحبون الخوض فى الحديث عن الناس ، أن شر ما يحدث فى بيت الله هو احداث الضجة ، فصل بقلب يملؤه الحب ، ولا ترفع صوتك بكلماتك وسيجيب الله سؤالك ، سيستمع إلى ما تقوله ويتقبل قربانك" .

الزجر عن الخمر :

"لا تؤذ نفسك بشرب الجعة. انك إذا أردت الكلام فان ألفاظ أخرى تخرج من فمك. واذا سقطت وكسر أحد أعضائك فلن يمد احد يدا اليك ويصرخ أعز أصدقائك قائلا: "احمونى من هذا الرجل عندما يشرب". واذا ما حضر اليك شخص ليبحث عنك ويوجه اليك سؤالا يجدونك ملقى على الأرض كطفل صغير" .

محبة الأم :

"ضاعف الخبز الذى تعطيه لأمك واحملها كما حملتك. لقد كنت عبئا ثقيلا عليها ولكنها لم تتركه لى. لقد ولدت لها بعد شهور تسعة ، ولكنها ظلت مغلولة بك وكان ثديها فى فمك مدى ثلاث سنوات كاملة. بالرغم من أن قاذوراتك شئ تتقزز منه النفس فان قلبها لم يتقزز ولم تقل "ماذا أفعل؟" انها أدخلتك المدرسة عندما ذهبت لتتعلم الكتابة ، وظلت تذهب من أجلك كل يوم تحمل اليك الخبز والجعة من منزلها.

وعندما تصبح شابا وتتخذ لك زوجه وتستقر فى منزلك فضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك وكل ما فعلته من أشياء لأجل تربيتك لا تجعلها توجه اللوم اليك ولا تجعلها ترفع يديها إلى الله لئلا يستمع إلى شكواها" .

عامل زوجتك بالحسنى :

"لاتكثر من إصدار الأوامر إلى زوجتك فى منزلها اذا كنت تعلم أنها سيدة صالحة ، لاتقل لها: "أين هو احضرية لنا" اذا كانت قد وضعته فى مكانه المعهود لاحظ بعينيك والزم الصمت حتى تدرك جميل مزاياها. يالها من سعادة عندما تضم يدك إلى يدها وكثير من الناس هنا لايعرفون كيف حال الانسان دون حدوث الشقاق فى منزله.. أن كل رجل يستقر فى منزل (بؤسسه) يجب أن يجعل قلبة ثابت غير متقلب، فلا تجر وراء امرأة (أخرى) ولا تجعلها تسرق قلبك..".

نصائح أمنمؤوبى :

لاشك فى أن هذه البردية هى أهم بردية للنصائح كتبت شعرا فى أسلوب ممتع (كل أربعة سطور وحدة) وقسمها إلى ثلاثين فصلا. وهناك شئ من الخلاف فى تاريخ تأليفها ، فيفضل بعض العلماء القرن التاسع أو القرن العاشر قبل الميلاد، ويفضل البعض الآخر القرن السابع ، أما عن تاريخ انتقالها إلى العبرانيين فربما كان بعد فترة قليلة من كتابتها ، أو ربما تكون قد وصلت اليهم فيما بعد لأن أقدم أجزاء التوراة لم تكتب إلا فى القرن التاسع على الأكثر ، وأكثر كتب التوراة وفصولها كتبت بعد ذلك بعدة قرون.

لم يكن أمنمؤوبى من الموظفين الكبار ، ولكنه كان أحد موظفى الادارة الخاصة بمخازن الحبوب ، وكان يشغل وظيفة الناظر على شون الحبوب فى إقليم أبيدوس، وكان أبوه يسمى كا – نخت ، أما إبنه الذى كتب هذه الوصايا والنصائح لتعليمة "كيف يجيب على سؤال من يسأله وتريه كيف يكتب تقريرا لمن ارسله ، ولكى ترشده إلى سبل الحياة وتجعله يسعد على الأرض" فكان أحد كهنة الأله مين فى بلدهم الاصلى فى أخميم وكان يسمى "حور – أم – ماع خرو".

وأنى أكتفى هنا بالأقتباس من فصلين من الفصول الثلاثين.

الفصل التاسع (لا تصاحب الأحمق واحذر من الاندفاع) :

لا تتخذ الرجل السريع الغضب لك صاحبا.

ولا تزره لتحادثه

وامنع لسانك من مقاطعة من هو أرفع منك.

وخذ الحيطة لنفسك خوفا من أن تذمه

ولا تجعله يرمى بكلامه فيوقعك فى أحبولة.

ولا تسرف فى أعطاء الحرية لنفسك عند الأجابة.

ويجب ألا تناقش فى أجابتك الا مع من يماثلك قدراً،

واحتط لنفسك لئلا تندفع فى ذلك.

أن الكلام يتدفق فى سرعته عندما يحس القلب بالأذى،

وهو أسرع من الريح عند مخارج المياه..

فلا تثب لتمسك بمثل هذا الشئ ،

لئلا يحملك الفزع ويرميك بعيدا.

الفصل الثامن عشر - (لا تكثر من الهم والقلق) :

لا ترقد أثناء الليل خائفا مما يأتى به الغد ، (متسائلا) عما سيكون عليه الغد عندما يشرق النهار ،

فالإنسان يجهل ما عسى أن يكون عليه الغد ،

والله يحقق دائما ما يريده ، ولكن الانسان يفشل ،

والكلمات التى يقولها الناس شئ ،

والأفعال التى يفعلها الله شئ آخر.

لا تقل "ليست لى خطيئة" ،

ومع ذلك تشغل نفسك بالتفكير فى خصام ،

فالخطيئة شئ يختص بالله ،

وقد ختم عليها بأصبعة [1].

أن الله لا يهتم بارتفاع شأن إنسان

ولا قيمة للخيبة عنده

وإذا دفع (الانسان) نفسه بحثا عن النجاح ،

فهو يحطم (ذلك) فى لحظة.

لا تكن مترددا واحزم رأيك ،

[1] المعنى المقصود هو أن الله وحده هو الذى يحكم ، ويعرف الخير والشر وهو الذى قدر كل شئ.

ولا تقتصر فقط على ما تحرك به لسانك ،

وإذا كان لسان الإنسان مثل دفه السفينة ،

فإله الكون كله هو ربانها.

المتعبون من الحياة والمتنبئون:

ويبقى بعد ذلك كله نوع آخر من أنواع الحكم والنصائح ، سبق أن أشرت اليها ، ولكنها تستحق تنويها خاصا ؛ لأنها من أجمل ما وصل الينا من آداب المصريين ، كتبها أصحابها كأعمال أدبية ولدينا منها ثلاث برديات ، أولها بردية اليائس من الحياة والثانية بردية أيبو - ور والثالثة بردية نفر روهو.

بردية اليائس من الحياة : [2]

وموضوعها نقاش فلسفى بين رجل قد يئس من حياته ، وأراد أن يتخلص منها بحرق نفسه ولكن روحه تعارضه وتهدده بأنها ستهجرة ، ولكن الرجل كان حريصا على بقاء روحه معه فأخذ يغريها ويناقشها ، وأخيراً قبلت الروح بأنها ستأتى اليه ثانية بعد أن يستقر فى الغرب بعد موته. والبردية مكونة من مقدمة طويلة بليغة ، فيها حوار بديع تتلوها أربع قصائد شعرية ، يذكر فى أول منها كيف قل تقدير الناس للرجل الفقير ، ويخاطب روحه قائلا:

انظرى! لقد أصبح اسمى (مقيتا) كريه الرائحة

أكثر عفونه من قاذورات الطير

فى أيام الصيف عند اشتداد حرارة الجو

انظرى! لقد أصبح اسمى (مقيتا) كريه الرائحة

أكثر من رائحة الصيادين

ومن رائحة شواطئ البحيرات التى يصطادون عندها

انظرى! لقد أصبح اسمى (مقيتا) كريه الرائحة

[2] وتسمى أحيانا "نزاع بين الرجل وروحه" أو "المتعب من الحيلة" أو "الأنتحار" - الاصل محفوظ فى برلين ويرجع تاريخ النسخة التى فى أيدينا إلى أيام الأسرة الثانية عشرة ، ولكن الأرجح أنها منقوله عن نص أقدم كتب فى تلك الفترة التى تردت فيها البلاد فى هاوية الفوضى. وتعرضت لمساوئ حكم الغوغاء فى آخر أيام الأسرة السادسة.

أكثر (عفونه) من اسم امرأة (متزوجة) أذاعوا عنها الأكاذيب بسبب صلتها برجل (آخر).

وفى القصيدة الثانية يذكر لنا رأيه فى الناس ، وهو رأى ملئ بالتشاؤم ، جدير بشخص يئس من حياته وصمم على الأنتحار ، وها هى بعض ابيات منها:

لمن سأتحدث اليوم ؟

فقد أصبح الرفاق شرا ،

وأصدقاء اليوم لا يحبون (أصدقاؤهم).

لمن سأتحدث اليوم ؟

فالقلوب ملأى بالجشع ،

ويسرق كل شخص ما عند صديقه.

لمن سأتحدث اليوم ؟

فلم يعد هناك شخص لطيف المعشر ،

ووجد الرجل الميال إلى الشر طريقة إلى كل الناس.

لمن سأتحدث اليوم ؟

فقد استحال الرجل الطيب إلى رجل شرير ،

ويرفض الناس عمل الخير فى كل مكان.

أما قصيدته الثالثة ، فهى أجمل ما فى البردية ، وإليك أبياتها كاملة:

ان الموت أمام ناظرى اليوم ،

مثل شفاء رجل مريض ،

مثل الخروج إلى الهواء الطلق بعد سجن طويل.

مثل رائحة العطر ،

مثل الجلوس تحت ظل الشراع فى يوم عليل الهواء.

مثل رائحة زهور السوسن ،

مثل الجلوس على شاطئ السكر (أو الإنشراح).

ان الموت أمام ناظرى اليوم ،

مثل السماء عندما تصفو ،

مثل حصول الإنسان على مالم يكن يتوقعه.

مثل إشتياق الرجل لرؤية بيته ،

بعد ان قضى سنوات طويلة فى الأسر.

أما قصيدته الرابعة فلا تعدو ثلاث أبيات ، ثم تستمر القصة بعدها وتأخذ الروح فى تخفيف آلام صاحبها ، فتطلب منه أن يترك الحزن والأسى ، وتؤكد له أنهما سيكونان معا "سيهدأ حالى بعد أن يستقر أمرك (فى الموت) وسنعيش معا".

بردية ايبو – ور:

وهذه بردية أخرى كتبها صاحبها يصور فيها أحداث ذلك الوقت العاصف ، ويصف لنا فيها ما أحاق بالبلاد ، ويقدم نصحه للملك الجالس على العرش طالبا منه الا يستمع إلى ملق وخداع من حوله ، وأن يفعل شيئا لإنتشال البلاد من محنتها.

وبالرغم من أنها خير مصدر لنا لدراسة تلك الثورة الإجتماعية التى غيرت الاوضاع فى ذلك العهد ، وتعتبر من بين النصوص التاريخية الهامة فانها أيضا قطعة أدبية ممتازة وأسلوبها – برغم ما فيه من تشاؤم – أسلوب قوى ممتاز بين نثر ونظم ، وهاك بعض مقتطفات منها:

انظر الآن ، لقد أرتفعت ألسنة اللهب ،

وأمتدت نارها وستكون حربا على أعداء البلاد.

انظر الآن، لقد حدث شئ لم يحدث منذ وقت طويل،

لقد سرق عامة الناس الملك وأخذوه [1].

انظر الآن ، أن الذى دفن كما يدفن الصقر حورس أصبح ملقى فوق نعش ،

وأصبح الهرم خاليا مما كان فيه.

انظر الآن ، لقد وصل الأمر إلى (أسوأ) الحدود ،

وحرمت البلاد من الملكية على يد فئة لا تعرف كيف تسير الأمور.

انظر ، لقد أصبحت النبيلات يعملن بأيديهن ويعمل النبلاء فى حوانيت الحرف ،

وأصبح كل من كان ينام على حصير مالكا لسرير.

---

(1) يشير بذلك إلى مهاجمة أهرام الملوك السابقين وسرقة مومياتهم وما كان معها.

انظر ، أن من كان يرفل فى الحلل أصبح يرتدى الأسمال ،

ومن لم ينسج شيئا لنفسه أصبح الآن مالكا لأغلى ملابس الكتان.

انظر ، أن النبيلات أصبحن يتضورن جوعا ،

ولكن رجال الملك راضوان عما فعلوه [١].

انظر ، إنه لم يعد هناك وجود للدواوين ،

وصار الناس أشبة بقطيع لا راعى له.

ويرد الملك على ايبو - ور فيدافع عن نفسه ويعلل حدوث تلك المآسى بمهاجمة البدو الاسويين للآمنين من السكان وأحداث الفزع والفوضى بينهم ، وانه فعل ما يستطيع للمحافظة على حياة الناس وتنتهى البردية برد "ايبو - ور" على الملك مؤنبا ومتهكما ومتهما بأن سكوته على هذه الحالة هو الذى أطمعهم:"أن جهل الإنسان لذلك أمر يريح النفس. وقد فعلت ما يرضى أفئدتهم ، لأنك حافظت على حياة الناس ، ولكن الناس مع ذلك يغطون وجوههم خوفا مما سيأتى به الغد".

برديه (نفر - روهو) :

والبردية الثانية التى تصف لنا مآسى تلك الفترة هى بردية "نفر روهو" التى كتبت فى عهد الملك أمنمحات الأول ، ولكن كاتبها نسب تاليفها إلى عصر قديم ، ينسبها إلى أيام الملك سنفرو ، مؤسس الأسرة الرابعة الذى كان ينشد شيئا من التسلية ، فطلب من رجاله أن يحدثه أحدهم بأمر أو يقص عليه قصة تشرح صدره ، فذكروا له أسم كاهن فى معبد الألهة باستت (الزقازيق)، فلما مثل بين يديه سأل الملك عما اذا كان يريد أن يحدثه عما مضى أو يذكر له شيئا يأتى به الغد ، فأجابه سنفرو بأن يترك ما مضى وأن يحدثه عن المستقبل ، فأخذ الكاهن يصف له ما ستتعرض له مصر ، ويطيل فى وصف المآسى التى قرأنا شيئا عنها فى بردية "ايبو - ور" وينتهى بقوله بأنه سيظهر ملك يسمى "امينى" (أمنمحات الأول) فينقذ البلاد من ويلاتها، ويعيد كل شئ إلى ما كان عليه.

[١] اى أن المحيطين بالملك يرون كل تلك المآسى ولايحركون ساكنا.

ولاشك فى أن الباعث على كتابتها هو الدعوة إلى تمجيد أعمال مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وأفهام الناس أن توليه العرش أمر أرادته الآلهة منذ الأزل ، وتنبأ به الحكماء وسمعته أذنا الملك سنفرو الذى ألهة المصريون فى الأسرة الثانية عشرة ، وكان له بين الناس مكان مرموق لم يكن لغيره من الملوك السابقين. وها هى ترجمة فقرات قليلة منها لتوضح أسلوبها ، وها هو "نفر روهو" يخاطب الملك:

"سأريك البلاد وقد أصبحت رأسا على عقب. وحدث فيها ما لم يحدث من قبل. سيمسك الناس بأسلحة القتال، وتعيش البلاد فى فزع. سيصنع الناس سهاما من النحاس وسيسعى الناس للحصول على الخبز باراقه الدماء.

يضحك الناس ضحكه الألم ، ولن يكون هناك من يبكى على ميت ، أو يقضى الليل صائما حزنا على من توافيه منيته ، ولن يهتم رجل الا بنفسه.

لن يعنى أحد بترجيل شعره ، ويجلس الإنسان فى مكانه لا يحرك ساكنا ، بينما يرى الناس يقتلون بعضهم البعض. سأريك (حالة البلاد) وقد أصبح الابن ضد أبيه ، وصار الأخ عدوا (لأخيه) وصار الرجل يقتل أباه.

لقد انتهى كل شئ جميل. وصار الناس يفعلون ما لم يفعلوه من قبل. أنهم يأخذون أملاك الرجل ويعطونها للغريب. سأريك الملك ، وأصبح فى عوز وحاجة والغريب ، وقد أثرى وشبع.

وأصبح للكلام فى قلوب الناس وقع مثل وقع النار، ولم يعد أحد يصبر على سماع النصيحة. لقد قلت مساحة الأراضى ، ولكن عدد ملاكها تضاعف. ومن كان يمتلك الكثير أصبح لا يملك شيئا. ما أقل كمية القمح ولكن الكيل قد زاد ومع ذلك فهم يطففونه[٢].حتى الاله رع (آله الشمس) قد ابتعد عن الناس ، واذا طلع فلا يبقى الا ساعة واحدة ، ولا يعرف إنسان متى تحل ساعة الظهيرة لأن ظل الشمس قد توارى. لم تعد الأبصار تبهر عند التطلع اليه ، ولم تعد العيون تتبلل بالماء ، إذ اصبحت الشمس فى السماء شبيهة بالقمر.

[٢] هجر الناس زراعة الأرض بسبب الفوضى ، واستولى الأفراد على أملاك الأثرياء.ولكن جباه الضرائب كانوا يغالون فى الحصول عليها ، ولاتأخذهم بالناس شفقة أو رحمة.

سأريك البلاد وقد أصبحت شذر مذر ، وصار من كان لا حول له صاحب سلطة ويملك السلاح ، وصار الناس يقدمون إحترامهم لمن كان يقدم احترامه. سأريك البلاد وقد أصبح فى القمه من كان فى الدرك الأسفل.. وسيعيش الناس فى الجبانة وسيتمكن الفقير من الأثراء.. والمتسولون هم الذين سيأكلون خبز القرابين ، بينما يبتهج الخدم (بما حدث)".

وأخيراً يصل الكاتب إلى هدفه

"وعندئذ سيأتى ملك من أهل الجنوب ، أسمه "أمينى" له المجد ، أبن إمرأة من ارض النوبة ويولد فى الوجه القبلى. سيلبس التاج الأبيض ، ويلبس التاج الأحمر[1] ويمد القطرين بما يشتهيانه".

ولقد حفظت لنا الآثار المصرية كثيراً من هذا التراث الأدبى ، ويعجب به العالم أجمع ويعرفون قيمته وأثره فى آداب الأمم الاخرى. لم يقتصر هذا الأدب على ناحية دون أخرى ، بل نراه قد تناول كل النواحى الهامة شأن كل أمه ناضجة ، نقرأ بين سطورة الشئ الكثير عن عادات المصريين القدماء ومثلهم العليا ، وتتكشف لنا بعض جوانب الحياة الإجتماعية فى مصر منذ أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة عام ، وتتمتع بأسلوب أدبى رفيع فى كل باب من أبوبه.

وسواء أحب القارئ الأساطير الدينية وتمتع بما قدمته العقلية المصرية من تفسير لبعض مظاهر الكون وصلة الآلهة ببعضها ، أو مال إلى القصص ورأى فيها صورة صادقة من مغامرات أجداده وانعكاس أمانيهم ، أو أنه أقبل بنفس راضية على الشعر والأغانى ، أو عطف على الفتاة العاشقة والشاب الذى برح به الوجد أو أعجب بالشاعر القديم الذى قدم لنا تلك الاناشيد الجميلة التى تفيض بالجمال وأرق المعانى ، أو ارتاحت نفسه إلى كتب الحكم والنصائح وأخذ يقرؤها مرة بعد مرة ويقارن بين الأمس واليوم ، فارجو الا ينسى هؤلاء جميعا أنها كلها أغصان فى دوحة واحدة ، فى دوحة وارفة الظل ناضرة الغصن ، ناضجة الثمر ، دوحة تاصلت جذورها فى ثرى هذا الوادى وتغذت من ارضه ومياه نيله المباركة ، وتعكس لنا صورة حية نابضة من حياة أجدادنا الأقدمين.

[1] يشير إلى تاجى الصعيد والوجه البحرى.

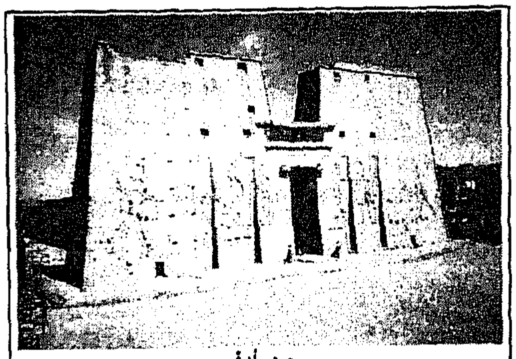
معبد أدفو

ادفو:

مدينة هامة بمحافظة أسوان على الضفة الغربية للنيل. كان أسمها فى أيام الفراعنة "جبع" وفى القبطية "أتبو" وهو أصل اسمها الحالى. كانت عاصمة للاقليم الثانى من أقاليم الصعيد وكان الهها الرئيسى الصقر"حورس" الذى ساواه الأغريق بمعبودهم "أبوللو" فسموا المدينة "أبو للونوبوليس ماجنا" أى مدينة أبوللو الكبيرة تميزا لها من مدينة أخرى سموها مدينة أبوللو الصغيرة وهى مدينة قوص.

اعتبر المصريون هذه المدينة عرشا للاله حورس ولهذا سموها أيضا "بحدت" وكانوا يلقبونه بلقب "بحدتى" أى المنتمى إلى بحدت.

كانت ادفو مدينة ذات شأن فى جميع عصور التاريخ المصرى ابتداء من الدولة القديمة حتى العصر المسيحى، وعثر فى جباناتها واطلالها على كثير من الآثار الهامة من جميع العصور، ويرجع بعض الفضل فى أهميتها فى العصور القديمة إلى موقعها على رأس كثير من دروب القوافل الموصلة إلى عدد من مناجم الذهب وغيره من المعادن التى تكثر فى صحرائها وإلى الأعياد الكبيرة التى كانت تقام فيها للاله حورس.

ونرى حول المعبد كثيراً من أطلال المدينة القديمة كما يقوم جزء من المدينة الحالية فوق القديمة أيضا ، وتحيط بها جبانات قديمة متعددة ولكن أهم مافى ادفو فى الوقت الحاضر معبدها الفخم الكبير الذى لايضارعه معبد آخر فى مصر فى الاحتفاظ بمظهرة العام وطوله ١٣٧م وعرضه ٧٩م وارتفاع الصرح ٣٦م والى جانب أهميتة المعمارية فأن النقوش التى تغطى جدرانه كلها فى الداخل والخارج على أكبر جانب من الأهمية لدراسة ديانه المصريين القدماء والإلمام بتفاصيل كثيرة من طقوسهم الدينية وأعيادهم.

أدوات الزينة :

انحدرت الينا منذ فجر التاريخ آثار تدل على حرص المصرى والمصرية على الجمال والزينة، كما تدل على كفاءة الصانع وقدرته على إمداد المصرية بما تحب من الحلى وادوات الزينة. وكان المصرى فى ذلك التاريخ البعيد قد كشف المعادن الثمنية، والأحجار نصف الكريمة، وتمكن من تطويعها لما يريد. وكان المصريون منذ فجر التاريخ يتحلون بالمغرة ويكتحلون بالدهنج لوقاية العين من وهج الشمس، ويصحنونها على صلايات، تفننوا فى تشكيلها من حجر الأردواز. وكان أجدادنا كذلك يبتغون الزينة بالكحل الأسود ويعجبون بالعين المكحولة، التى جعلوها فى الكتابة رمزا للزينة والجمال، ولذلك كان لأدوات الزينة شأنها فى متاع المرأة ، فقد كانت تحتفظ بصندوق يشتمل على المرآة والأمواس وأوعية العطور والأصباغ والمكاحل. وكان الصانع يتفنن فى تشكيل تلك الأدوات وتجميل زخرفها، فكانت المرآه وهى على طول المدى من أهم أمتعة المرأة، تصنع من أقراص ذات مقابض مختلفة الاشكال من البرونز، وكان الاثرياء يصنعونها من الفضة حيث تشكل مقابضها أحيانا فى هيئة الألهة "حتحور" أو فى هيئة أمراة تحمل القرص فوق رأسها، أو نخله من فضة تستند اليها شخوص الآلهة: ومن المكاحل ماكان فى هيئة النخلة المزخرفة بزهور السوسن أو مناظر الموسيقيين العازفين، أما أوعية العطور فقد أتخذت هيئة اشكال وتماثيل مختلفة، فمنها ماهو فى شكل فتاة تسبح من وراء بطة ومنها ماهو على شكل جرة يحملها على الكتف رجل أو امرأة، أو على شكل غزال مقيد أو نخلة. وكانت الادهان عند الاستعمال تصب فى أطباق جميلة من اردواز، فى شكل

حسناء تطلى شفتيها بأحمر الشفاه وتتأمل زينتها فى المرآة

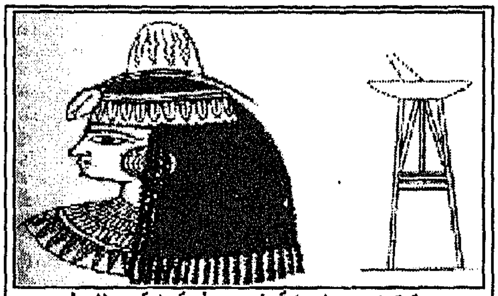
سيدة ترتدى باروكة شعر وفوقها قمع للعطور

أوراق الشجر فيغترفون منها بملاعق آية فى الجمال، منا ماهو على شكل شجرة رمان مثمرة أو زهرة من البردى أو السوسن أو باقة منها. ومن اروع أوعية الادهنة وأجملها صندوق توت عنخ أمون، وهو من الالبستر (المرمر) المزخرف بمناظر حيوان الصحراء وله غطاء يعلوه أسد وديع، يقوم على أربعة من روس أعداء مصر، ووعاء آخر فى هيئة الغزال الجاثم. ومن الأمواس ماكان مستطيلاً محددا ضلعه الضيق مقوسا حتى يمكن، بحركة عمودية، إزالة شعر الجسد فى المواضيع البعيدة كالأبطين.

أرمنت :

مدينة على الضفة الغربية للنيل جنوبى الاقصر، وتبعد ٧٤٧ كم عن القاهرة. كانت فى أيام الفراعنة عاصمة للاقليم الرابع من أقاليم الوجة القبلى. عثر فيها على عدد من المعابد التى شيدت فى العصور المختلفة للمعبود "مونتو" ابتداء من أيام الدولة الوسطى.

أصبحت منذ الأسرة ٢٩ أى القرن الخامس ق.م. تحوى جبانة العجل المقدس "بوخيمس" الذى كانوا يعبدونه حيا فى تلك المدينة ويعيش فى مكان خاص ملحق بالمعبد.

تعرضت معابد أرمنت فى أوائل القرن ١٩ للتخريب عندما انشئت بها مصانع للسكر اذ أخذوا كثيراً من أحجار المعابد لاستخدامها فيها، وفى المساكن الأخرى التى بنيت فى هذه المدينة بعد ذلك.

الأزدواجية :

كانت الملكية فى مصر القديمة تعد بكافة مظاهرها

مؤسسة مزدوجة يتوحد من خلالها الشمال والجنوب. وكان الفرعون يرتدى - على التوالى - التاج الأبيض الخاص بمصر العليا، والتاج الأحمر الخاص بمصر السفلى، أو يرتدى التاجين معاً، وكان يلقب "سيد القطرين" و "ملك الشمال والجنوب" الذى تحميه "الربتان" أى "الإلهة نخبيت" أنثى النسر ربة "الكاب" بالنسبة لمصر العليا، و "واجيت" الألهة الكوبرا ربة"بوتو" بالنسبة لمصر السفلى. وكان الملك يعمل فى نفس الوقت على إرضاء الاله "حورس" رب مصر السفلى، والإله "ست" رب مصر العليا. ولن ننتهة هنا من سرد قائمة التعبيرات والتصويرات الثنائية التى توصف من خلالها عقيدة الملكية، والتى تبلغ أوجها فى الطقوس الخاصة مثل طقوس تتويج الملك، أو أعياد "الحب سد" (وهى نوع من اليوبيل الملكى).

لا ريب أن هذه الازدواجية والثنائية التى ذكرت مراراً ماتزال تثير دهشة علماء المصريات حتى أنها جعلت أحدهم وهو العالم الألمانى"كورت زيته" يضع نظرية معقدة: بأن هذه الازدواجية ربما تعكس الأحداث السياسية التى ميزت فترة ما قبل التاريخ وليست فقط مجرد انعكاس لغزو مملكة الشمال الذى كان فاتحة لتاريخ الاسرات المصرية، ولكن ايضا لبعض الأحداث السابقة، عندما قامت ممالك مصر العليا، ومصر السفلى على التوالى بغرض سيطرتها مؤقتاً على كافة الاراضى المصرية.

أما علم الآثار المصرية الحديث فقد ابتعد عن تلك النظرية إلى حد ما، والتى تفترض بشكل آلى وجود حدث سياسى وراء كل مظهر مزدوج للإيديولوجية الفرعونية. وفى الواقع أن من مميزات الحضارة المصرية عندما تعبر عن حقيقة ما أنها تذكرها فى صورة وحدة بين وضعين أو حالتين متعارضتين، فمثلا تعبر عن "التصرف" بكلمتى "الجلوس والقيام" وتعبر عن "المجموع" بكلمتى "الموجود وغير الموجود". ولاشك أن هذا النمط من التفكير قد أستخدام فى مجال أزدواجية العقيدة الملكية. ونجد أن الدولة المصرية - باعتبارها وحدة سياسية تتخذ من الفرعون رمزاً وكفيلاً - تبدو فى هيئة وحدة بين مصر العليا ومصر السفلى. ويرجع ذلك أولا إلى أن التعارض الجغرافى بين هاتين المنطقتين قد أوضح الأمثلة لهذا الفكر القائم على التضادات. وهذا مع عدم المساس بالتعارضات الثقافية التى قد تكون واكبت تقريبا التعارض الجغرافى فى فترة نشوء الدولة الفرعونية. ومع الاحتفاظ أيضا بأن ما نتج عن فترة النشوء هذه يعتبر امتدادا فى الشمال للمجتمع الذى كان قد ترسخ فى الجنوب، أكثر منه فتح مملكه مصر السفلى على يد مملكة مصر العليا.

وبوجه عام، لا نستطيع إنكار أن الازدواج الذى استخدم فى الإديولوجية الملكيه يفصح عن حقائق موثوق بها فعلى كل حال نجد أن مملكة صغيرة تقع فى جنوب الدلتا حول مدينة بوتو "فى وقت ما من خلال عصر ماقبل الأسرات، ومن ناحية أخرى ، فقد كانت "الكاب" مدينة الالهه "نخبت" بالصعيد كانت ذات مكانه مرموقة فى عصر ما قبل التاريخ. ولكن يتجلى تشكيل الفكر المنهجى لمصر القديمة عبر صهر هذه الحقائق داخل نوع من التماثل والتناظر المصطنع الذى يرتكز على مماثلة صورية وشكلية ، لا تاريخية أو سياسية.

أساطير مصرية :

الأسطورة هى القصة التى يسرد فيها الانسان ما يتخيله عن معبوداته ، كيف تعيش وكيف تتعامل، ويجب الا ننسى أن ما يتخيله الانسان عن معبوداته انما يستمده من واقع حياته ومن عناصر بيئته، ولذلك تمتاز الاساطير المصرية بخلوها من العنف الشديد والميل إلى سفك الدماء، ولا غرابة فى ذلك فقد قضت طبيعة مصر وبيئتها الخيرة أن تكون حياة أهلها سهلة هينة ، تسير فى هدوء وأمان داخل حدوده .

لقد عومل الاله فى مصر القديمة معاملة الحاكم القوى الذى يسعى الجميع إلى تأكيد مظاهر احترامه، يقدمون له المأكل والمشرب والزهور والملابس والحلى ويشيدون له سكنا يحرصون على نظافته، ثم يتصورونه على هيئة آدمية يتزوج وينجب أطفالاً، يحب ويكره، يحمى ويعاقب، ويعطى ويأخذ. واذا كانت الديانة المصرية سهلة فى أصولها وبسيطة فى طقوسها، فان الكهنه لم يرضوا بهذه السهولة وتلك البساطة، فقد كانوا هم الذين انتفعوا من الاله وحرصوا على الابقاء على إنتفاعهم هذا بشتى الطرق وكان أقربها انهم نسجوا الأساطير المختلفة على آلهتهم وطبيعتها وقوتها وتاثيرها على بنى الانسان وجعلوا

من أنفسهم الوسطاء الوحيدين بين تلك المعبودات وبين الشعب.

ويبدو أن تكوين الأساطير العامة عن الآلهة سار جنبا إلى جنب مع التطور الدينى فى مصر، وهو التطور الذى إنتهى بادماج الكثير من العبادات المحلية فى ديانة شعبية عامة، وبذلك تكونت الاساطير العامة التى أصبحت ملكا مشاعا للشعب وحده.

أن أساطير الألهة بين الشعوب المختلفة تتأثر كثيرا بطبيعة البلاد، فهى تكثر وتتعدد ألوانها فى البلاد التى تتعرض كثيرا لهجرات الشعوب الأخرى ، وتقوم بها الحروب بين السكان الجدد والسكان القدامى ، ففى خلال تلك الحروب يظهر الأبطال الذين تحاك حولهم الأساطير، وينظر اليهم الناس فيما بعد نظرة احترام وتقديس، ثم يرفعونهم أخيرا إلى مرتبة الألوهية أو ما يدانيها. كما تكثر أيضا فى البلاد الجبلية أو بين الأقوام الذين يتعرضون من آن لآخر إلى المخاطر. أما فى مصر التى لم يعكر صفو أمنها فى بدء حياتها أى معكر، وكانت آمنه داخل حدودها، وقضت طبيعة بيئتها أن تكون حياة أهلها سهلة هينة فلم يكن للأساطير شأن كبير فيها، بل أن القصص بوجه عام لم يعظم شأنه والأهتمام به الا بعد أن خرجت مصر من عزلتها النسبية، وبدات تتصل بغيرها من الشعوب منذ أواخر أيام الدولة القديمة.

وأنى اقتصر هنا على ذكر ثلاثة أساطير، أولها: أسطورة نجاة البشر، والثانية: أسطورة حيلة إيزيس مع الأله رع، والثالثة: أسطورة النزاع بين حورس وست.

اسطورة نجاة البشر :

أو اسطورة انقاذ البشرية من الفناء :

كان المصريين القدماء ، كما لغيرهم من الشعوب القديمة أساطير عن كيفية خلق العالم ونشأة الحياة فيها ، وكان لهم مثل الشعوب الأخرى قصة تحدثنا عن خلق الاله الأعظم للناس ، ثم عصيان هؤلاء الناس وعدم طاعتهم لمن خلقهم ، فيرسل عليهم مايكاد يهلكهم ، ثم تأخذه الشفقة بهم فينجى بعضهم لتستمر حياة الناس على الأرض ، ويكون ماحدث لمن قبلهم عبرة لهم وتذكيرا بقوة الخالق على الدوام. ونقرأ فى الأساطير السومرية أن الخالق أرسل طوفانا جارفا ، ولم ينج من الناس الا أحد الكهنة الذى لجأ هو وأهله إلى سفينة كبيرة ، جمع فيها كل أنواع الحيوان والطيور وكل بذور الحياة ، ولم ينج هذا الكاهن ومن معه من الهلاك الا بعد أن بذل الآلهة الآخرون مابذلوا من استعطاف وأسترضاء ، حتى قبل الاله الأعظم أن يستمر البشر على الأرض.

ولكن الأسطورة المصرية عن نجاة البشر أختلفت كثيرا عن أسطورة بلاد الرافدين ، ونحن نعرفها منذ وقت طويل وقد نقشت فى مقبرتين من مقابر الدولة الحديثة ، أحداهما مقبرة سيتى الأول فى وادى الملوك فى طيبة ، وأقدم نسخة معروفة لها هى النسخة التى وردت على أحد نواويس الملك توت عنخ آمون من ملوك الأسرة الثامنة عشرة وها هى ذى بدايتها:

"عندما كان رع ، الاله الذى خلق نفسه ، ملكا على الناس والآلهة على السواء دبر البشر شرا. لقد أصبح جلالته كبير السن ، وتحولت عظامة إلى فضة ، ولحمه إلى ذهب ، وشعره إلى لازورد. وعرف جلالته بما كان يدبره البشر ضده فقال جلالته لمن كان يمشى وراءه: أرجو أن تدعو إلىّ عينى (أى الألهة حاتحور) (وتدعو إلىّ) "شو" و "تفنوت" و "جب" و "نوت" [1] ومعهم الآباء والأمهات الذين كانوا معى عندما كنت فى الـ "نون" وكذلك الهى "نون" ذاته ودعوه يحضر معه حاشيته. أحضرهم سرا حتى لايراهم البشر فترتعد قلوبهم. احضرهم إلى فى القصر الكبير ليقدموا لى نصائحهم".

"وهكذا جئ بهؤلاء الآلهة ، واقترب هؤلاء الآلهة منه ، ولمسوا الأرض بجباهم أمام جلالته حتى يقول مايريد قوله أمام أب الآلهة العظام ، ذلك الذى خلق البشر ، المتوج ملكا على الناس. وقال الآلهة لجلالته: "تكلم الينا حتى نسمع (ماتريده)" وقال رع مخاطبا "نون" [2]: "يا أيها الاله الأكبر الذى جئت منه إلى الوجود ، ويأيها الآلهة الكبار: انظروا أولئك البشر الذين خلقوا من عينى [3] انهم يدبرون شيئا ضدى.

(1) الآلهة الأربعة الأول: ويرمز بالاله شو للهواء وتفنوت للندى أو الرطوبة وجب للأرض ونوت السماء.
(2) البحر الأزلى الذى ظهرت منه الشمس عند خلقها.
(3) اشارة إلى ماورد فى اسطورة من اساطير خلق العالم أن الاله رع بكى فخلق البشر من دموعه.

قولوا ما الذى ترونه فى ذلك" وقال جلاله "تـون": يـا ابنى "رع" أيها الاله الذى أصبح أقوى ممن خلقه وأكبر ممن كوّنه ، لاتفعل (شيئا) أكثر من أن تجلـس علـى عرشك ، فانك عظيم الرهبة ، ويكفى أن توجه عينـك على أولئك الذين يجدفون فى حقك" وقـال جلالـه رع: "أنظر ! لقد هربوا إلى الصحراء اذا، إرتعدت قلوبـهم ممـا قالوه". وقالوا (أى الآلهة) لجلالته: ارسـل عليـهم عينـك لتقتلهم لك. دعها تنزل اليهم فى (صورة) حاتحور".

"وذهبت هذه الألهة وقتلت البشر فـى الصحـراء ، وقال جلالة الاله: "مرحى ياحاتحور. لقـد فعلـت مـا أرسلتك لتفعليه"وقالت هذه الألهة: "وحق حياتك اننـى انتصرت على الناس وهذا شئ يحبه قلبى" وقال جلالـة رع: "سأنتصر عليهم فى هليوبوليس وسأبيدهم".

وتستمر القصة ونفهم منها أن الالـه رع أخذتـه الشفقة على الناس ، وخشى من أستمرار ابادة حاتحور لهم فدبر شيئا آخر لينجى من بقى من البشر.

"وقال رع: تعالوا أحضروا لى عدائين سـريعين ، يجرون كما يجرى ظل الجسم ، فاحضروا إليـه وقـال لهم جلاله الاله: اسرعوا إلى الفنتين [1] وأحضروا لـى كثيرا من المغرة الحمراء ، فـأحضروا إليـه المغـرة الحمراء ، فاعطاها جلاله الاله العظيم إلى ذلـك الـذى تتدلى خصلة الشعر على جانب رأسه ، الذى يعيش فى هليوبوليس. وعجنت الخادمات الشعير لأجل (عمل) الجعة ، واضافوا المغرة إلى العجين فـأصبح لونـها شـبيها بـدم الانسان، وجهزوا منه سبعة آلاف أناء من الجعة.

وجاء جلالة الاله رع ملك الوجه القبلـى والوجـه البحرى مع أولئك الآلهة ليروا الجعة. وأشرق صبـاح اليوم الذى اعتزمت فيـه الآلهـة قتـل البشـر عنـد استيقاظهم ، وقال جلاله الاله: "ما أحسنها (أى الجعـة) اننى سأنقذ بها البشـر" ، وقـال رع: "أحملوهـا (أى الأوانى) إلى المكان الذى قالت أنها ستهلك البشر فيه".

وبكر جلاله ملك الوجه القبلى وملك الوجـه البحـرى للعمل. وقام فى جوف الليل وأمر بسكب الشراب ، فـامتلأت الحقول به إلى ارتفاع أربع أصابع ، وذلك بقوة جلاله الاله.

وجاءت الألهة فى الصباح ، ورأت ماغمر الحقول ، ونظرت إلى وجهها الجميل فيه وشـربته ، ولـذ لـها طعمه فسكرت ونسيت أمر البشر".

أسطورة حيلة إيزيس :
أو أسطورة رع وإسمه الخفى :

وها هى ذى أسطورة أخرى من أساطير الآلهـة ، ترى فيها ما لجأت إليه ايزيس لتعرف الاسم الأعظـم للاله رع الذى كان يحرص على أخفائه:

"كانت ايزيس امرأة حكيمة فى قولها ، وكان قلبـها فى حيلته أكثر من ملايين من الرجال ، وكانت أعقـل من ملايين من الرجال ، وتساوى ملايين مـن الأرواح. كانت تعلم كل مافى السماء ومافى الارض ، مثـل رع الذى كان يلبى رغبات (أهل) الأرض ، ودبـرت هـذه الالهة فى نفسها أن تعلم أسم الاله الأعظم.

وكان رع يدخل إلى السماء كـل يـوم علـى رأس رجال سفينته[2] ، وكان يجلس على عرش الأفقيـن ، ولكن الشيخوخة الالهية جعلت اللعاب يسيل من فمـه ، فبصق على الارض ، ونزل لعابه فوق التراب ، فـاخذته ايزيس فى يدها هو والتراب الذى سقط فوقـه ، وصـورت ثعبانا عظيما ووضعته فى الطريق الذى اعتاد الاله العظيم أن يسير فيه كسيرة فى طريق الأرضين كما يشاء.

وجاء الاله الأعظم فى بهائة ، وكان آلهـة قصـره يسيرون خلفه ، ومشى كعادته فى كـل يـوم فعضـه الثعبان العظيم ، عضته النار الحية التى خرجت منـه هو. وعلا صوت رع ووصـل إلـى السـماء فصـاح التاسوع: ماهذا ! ماهذا ! وصاح آلهته ماذا! مـاذا! ، ولكن صوته لم يتمكن من الاجابة. وارتعشـت شـفتاه وأهتزت أعضاء جسمه لأن السم تمكن من جسده".

وتستمر الأسطورة فتقـول بـأن رع اسـتطاع ان يسيطر على حواسه ، وأخذ يقص على الآلهـة الذيـن أجتمعوا حوله ماحدث ، وقال لهم بأن شيئا لم يخلقـة ولم يعرفه قد لدغه ، وأنه يحس بآلام لم يعـرف لـها مثيلاً ، وأخذ يقص عليهم قوته وسلطانة وكل ماخلقه ، ويصف أثر اللدغة بقولة: "أنها ليست نارا ، أنها ليست ماء ، ومع ذلك فقلبـى يحـترق وأعضـائى ترتجـف وتسرى البرودة فى جسمى". وجاء إليه الالهة الصغـار يندبون ويبكون ، وتقدمت ايزيس تسأله عـما حـدث

[1] جزيرة الفنتين امام أسوان.

[2] اشارة إلى رحلة الشمس فى سفينة عبر السماء.

وقالت له: "ماذا جرى! أيها الأب الألهى ، ما الذى حدث اذا كان ثعبان قد أصابك بسوء ، أو أن شيئا من مخلوقاتك قد عصاك فانى سأسحقه بقوة سحرى ، وسأمنعه من أن يجتلى بهاء أشعتك" وأخذ رع يعيد قصته ، ويصف مرة ثانية أثر السم فى جسمه: "لقد لدغنى ثعبان لم أره ، أنها ليست نارا! أنها ليست ماء! ومع ذلك فانى أشد برودة من الماء وأشد حرارة من النار. أن جسمى كله يتصبب بالعرق وارتجف. ان عينى أصبحت غير ثابتة، ولا أرى ؛ لأن العرق يتساقط على وجهى كالمطر ، كما لو كنت فى قيظ الصيف". وسألته ايزيس عن اسمه لأنه لو رقى به أى انسان من لدغة الثعبان فأنه يعيش ، فأخذ رع يعدد مناقبه وأعماله: " أننى أنا الذى خلق السماء والأرض ، وسوى الجبال ، وأنشأ ما عليها. اننى الذى خلقت الماء ، وجعلت الالهة "مح -ورت" تأتى إلى الوجود ، أننى الذى خلقت الثور لأجل البقرة وجعلت التناسل فى العالم. أننى الذى أنشأت السماء ، وأنشأت أسرار الأفقين ، وأحللت فيهما أرواح الآلهة. أننى الذى فتح عينيه فكان الضوء وأغمض عينيه فكان الظلام. أننى الذى يأمر النيل فيفيض ، أننى من لايعرف الآلهة اسمه. اننى خالق الساعات ومنشئ الأيام ، اننى الذى امرت بالأعياد وخلقت مجارى الماء، أننى خالق نار الحياة لأنشئ أعمال الكون.أننى "خبرى" فى الصباح و "رع" فى الظهيرة و"أتوم" فى المساء.

ولكن السم لم يغادر جسده ، فتقدمت منه أيزيس وقالت له بأن اسمه الحقيقى لم يكن بين تلك الأسماء ، فصمت رع ، واشتدت به الآلام ، وأصبحت أكثر ايلاما من النار ، ومع ذلك ظل يحتفظ باسمه ، وأخيرا طلب منها أن تقرب منه ، وتضع أذنها على فمه ليهمس به، وابتعد عن الآلهة الأخرين ورقته به ، فعوفى وأصبح قسمها هى الرقية التى كان يتلوها السحرة ليشفوا بها لدغه الثعبان.

أن هاتين الأسطورتين تعطينا صورة من الأساطير المصرية القديمة ، وترينا الآلهة وهم فى ضعفهم يحيون حياة شبيهة بحياة البشر ، وها هى ذى أسطورة ثالثة وهى أسطورة النزاع بين الهين من أعظم الآلهة المصرية.

اسطورة النزاع بين حورس وست :

ونرى فى هذه البردية بوضوح أنهم لم ينظروا إلى آلهتهم الا كبشر مثلهم ، ونقرأ فيها الشئ الكثير عن ضعف أولئك الآلهة ، والسخرية منهم ، وهذا مالا نراه فى آداب الأمم أو أساطيرها ، فبالرغم من أن كل شعب كان ينسج أساطيره من وحى تفكيره ، ويصور أعمال آلهته بقدر ما يحسه وما يدركه ، فأننا نحس دائما أنهم كانوا يعاملون أولئك الآلهة كما لو كانوا أعظم وأقوى منهم ، ويأتون بأعمال لا يستطيع أن يأتيها البشر ، ولكنا نرى فى هذه البردية شيئا آخر ، نرى فيها أحيانا أدبا من النوع الذى يطلقون عليه الآن اسم الأدب المكشوف نقرأ فيها مايحدث بين الآلهة من أمور لاتقرها الأخلاق ، بل ونعرف عن المصريين أنهم كانوا يمقتونها ، ويعتبرونها جرما يؤدى بصاحبها إلى الجحيم ، ويلجأون إلى الكذب وإلى الحيلة ، ويحاولون الظلم دون خجل أو حياء، وحتى الاله الأكبر نفسه يخاف من غيره ويحابيه، لأنه يعرف مدى قوته.

تدور حوادث هذه الأسطورة حول النزاع الذى قام بين الاله حورس بن أوزيريس وبين عمه "ست". لقد اغتصب "ست" الملك بعد أن قتل أخاه أوزيريس ، وأصبح بعد ذلك ملكا فى العالم الآخر ، ولكن الألهة ايزيس التى كانت قد حملت بحورس من روح أوزيريس، عنيت بتربية الطفل حتى بلغ أشدة ، وأخذ يطالب بحقه فى الجلوس على عرش أبيه ، تساعده فى ذلك أمه. وقامت الحرب بين الأثنين ، وأخيرا رأى الآلهة وضع حد لذلك ، وعقدوا محكمة للفصل بينهما. وأنقسم الآلهة فيما بينهم ، يؤيد بعضهم حق الطفل ، ويرى آخرون أنه قد تجاوز الحد فى الاجتراء على عمه وأنه عمه أحق منه بالملك وأجدر به.

وظل هذا النزاع أمام محكمة الآلهة ثمانين عاما ، حتى ضاقوا ذرعا به ، وأرسلت الالهه "نيت" خطابا إلى التاسوع قائلة:

"أعطوا وظيفة أوزيريس إلى ابنه حورس ، ولاتقترفوا هذه الأعمال الظالمة الكبيرة ، فهى فى غير موضعها ، والا فانى أغضب وتخر السماء على الأرض، قولوا لرب العالمين (رع حور آختى اله الشمس) ، الثور الذى (يعيش) فى هليوبوليس ضاعف

ممتلكات ست ، واعطه ابنتيك "عنــت" و "عشــتر" [١] اجلس حورس مكان أبيه أوزيريس".

وقرأ الاله تحوت كتابها أمــام التاســوع ، وقــالوا جميعا أنها محقة ، ولكن رب العالمين غضب من ذلــك وقال لحورس: "أنك ضعيف الجسم ، وهــذه الوظيفــة أكبر من أن يقوم بأعبائها طفل مثلك ، تفوح الرائحــة الكريهة من فمه ، وغضب أونوريس مليــون مــرة ، وغضب التاسوع كله كما غضب القضــاة الثلاثــون ، وقفز الاله "بابا" وقال لرع - حور آختى "لقــد أصبــح معبدك خاويا" وأحس رع - حور آختى بالاهانة من هذا الكلام الذى وجه إليه ، فاستلقى على ظهره وحزن قلبه فخرج التاسوع ، وصرخوا بشدة فى وجه الاله "بابـا" ، وقالوا له "اخرج من هنا فإن جرمك الذى اقترفته عظيم الخطورة" وذهبوا بعد ذلك إلى مساكنهم".

وتستمر الاسطورة فتحدثنا بأن رب العالمين ظــل حزينا فى حجرته ، حتى دخلت إليه الالهة حــاتحور ورفعت ملابسها ، وأظهرت له عورتها ، فضحك من ذلك ، وذهب غضبه وتــرك مضجعــه وعــاد إلــى المحكمة، ووجه الكلام إلى كل من حــورس وســت ليدلى كل منهما بأقواله، وأخذ كل منهما يتكلم وأخــذ الآلهة يتدخلون ، وأخذت إيزيس تهدد برفع الأمــر إلى الاله "أتوم" والى غيره ، وأخذ ست بدورة يــهدد الآلهة بأنه سيقتل بســيفه الــذى يــزن أربعمائــة وخمسين نمسا [٢] فى كل يوم واحدا منهم ، وأقســم أنه لن يقف أمام تلك المحكمة طالما كــانت تحضــر اليها ايزيس وأراد "رع - حور آختى" أن يرضيــه، فقرر أن يكون عقد المحكمة فى جزيرة فــى وســط النيل ، وأصدر أمره إلى الاله الذى أوكلوا إليه نقلهم فى قاربه ألا يجعل أيزيس تستخدم قاربه.

ولكن ايزيس حولت نفسها إلــى امــرأة عجــوز ، وقالت له فى الجزيرة طفلا صغيرا يحرس الماشــية ، وقد مضى عليه خمسه أيام دون طعام ، وقد جاءت لــه بشئ منه ، ولكن الاله "عنتى" حارس القــارب رفــض ذلك ، فقالت له بأن ما لديه من أمر ينصب فقط علــى ايزيس ، فأجابها سائلا عما ستقدمه لــه مــن هديــة لينقلها بقاربه إلى الجزيرة، فقدمت له رغيفا مما معــها فرفض ذلك لضآلته، وعندئذ قالت له سأعطيك الخــاتم الذهبى الذى فى أصبعى، فقبل وأخذه منها قبل أن تنزل فى قاربه. فلما وصلت إلى الجزيرة أخذت تبحث حتــى رأت آلهة المحكمة يجلسون للأكل تحــت الأشــجار ، واتجه نظر "ست" إلى مكانها فغيرت نفســها إلــى عذراء جميلة "لامثيل لها فى الأرض كلــها فــهام بحبها". وقام "ست" من مكانه وغازلها، فقالت لــه "انظر يا سيدى العظيم اننى كنت زوجة لأحد رعــاة الماشية ، وأنجبت له ابنا ذكرا ، ومــات زوجــى وتولى الصغير أمر الماشية التى كانت ملكا لأبيه ، ولكن شخصا غريبا جاء واستولى علــى الحظــيرة وقال لابنــى: "ســاضربك وســآخذ ماشــية أبيــك وسارمى بك إلى الخارج. وهــذا مــا قالتــه لــه، ورغبتى هى أن تكون حاميا له". فأجابــها ســت: وهل من الجائز أن يستولى غريب على الماشــية ، بينما أن ابن رب العائلة موجــود؟" وعنــد ذلــك غيرت ايزيس نفسها إلى حدأة وطارت وحطت على قمه أحد الأشجار ونادت ست قائلة له: "ابــك علــى نفسك. أن فمك هو الذى قالها ، وان مهارتك هى التى حكمت عليك فماذا تريده بعد ذلك؟".

وتستمر الأسطوة فتقول أن ست رجع باكيــا إلــى رع- حور آختى ، وقص عليه القصة كلــها ، ولكنــه انحى باللوم على "عنتى" وطلب معاقبته فنفذوا له مــا أراده ، ثم أخذوا يتناقشون ويتجادلون ويتراشق كل من حورس وست بالحجج ، وأخيرا اقترح ست أن يتقمص كل منهما صورة فرس البحر ويغطسان فــى المــاء ، ومن يطفو منهما على سطح الماء من قبل مضى ثلاثة شهور تصبح الوظيفة من حق الشخص الآخر. وغطس الاثنان فى الماء ، واعتقدت ايزيس أن ست يريد قتــل ابنها تحت الماء ، فصنعت شصا وألقتــه فاشــتبك الشص فى حورس، فصاح بها أن تتركه فتركتــه ، ورمته مرة أخــرى فأصــاب ســت ، ولكنــه اخــذ يستعطفها ويذكرها بأنها أخته فتركته أيضا ، وهنــا ثار حورس على أمه ثار ثورة عاتية عليها، وأخــذ سكينة فقطع رأسها وتقص الأسطوة أن ســت انتقــم لأخته فقلع عينى حورس ، ولكنه الالهة حاتحور أعــادت له عينيه ، كما عادت لايزيس رأسها ورجــع حــورس وست إلى المحكمة وقال الاله رع حور آختى لهما:

---

[١] الهتان سوريتان الأصل: دخلت عبادتهما فى مصر منذ الدولة الحديثة.

[٢] النمس وزنه لانعرف مقدارها على وجه التحقيق.

"اذهبا وأستمعا إلى ما أقوله لكما: كلا واشربا وسنفعل مايجعل السلام يسود ولا تتشاحنا معا كل يوم". وقال ست لحورس "تعال نقضى يوماً سعيداً فى منزلى" فاجابه حورس "بكل سرور. نعم بكل سرور" وتحدثنا الأسطورة بعد ذلك عن نوم الاثنين فى فراش واحد، ومضاجعة ست لحورس، ثم ذهاب حورس بعد ذلك شاكيا لأمه، وتستخدم ايزيس سحرها فتجعل ست يحمل من نطفته نفسها، وتبدأ المخاصمات والمشاحنات، ونرى ألوانا كثيرة من السحر، وضاق الآلهة ذراعا بكل ذلك، وأرادوا أن يعطوا لحورس حقه، ولكن الاله الأكبر يريد التملص مرة أخرى، فيقترح كتابة خطاب إلى أوزيريس يسألونه عما يجب أن يفعلوه، فجاء رد أوزيريس مطالبا باعطاء ابنه حقه، ويذكر الآلهة فضله عليهم ؛ لأنه هو الذى أوجد القمح والشعير، وأطعم الآلهة وكل المخلوقات الحية ولكن رع حور آختى يأمر بكتابة الرد وقال له "لو أنك لم تخلق وحتى لم تولد فأن القمح والشعير كانا سيوجدان على كل حال" ويرد أوزيريس مهددا هو الآخر بأنه سيرسل عليهم من العالم الثانى من لايخاف الها أو آلهة، يحضرون له قلب كل من يحيد عن الحق. وخاف الآلهة من تهديد أوزيريس، وأخيراً ينتهى الأمر باعتراف ست بأن حورس على حق، وأرسل الاله أتوم فجاءوا بست مكبلا بالأغلال، فاعترف أمامه مرة أخرى بان حورس أحق بوظيفة أبية أوزيريس فتوجوا حورس. ولكن رع حور آختى عاد مرة أخرى مظهرا عطفة على ست، فطلب من الاله بتاح أن يسمح له بأن يقيم معه، وأن يسمح له أيضا بأن يسمع الناس صوته عندما ترعد السماء فيخاف الناس منه. وتنتهى الأسطورة بالفقرة الآتية:

"وقالت ايزيس: لقد توج حورس ملكا، وأصبح التاسوع فى عيد، وأصبحت السماء فى سرور، ويمسك (الآلهة) بأكاليل الزهور عندما يرون حورس بن أيزيس الذى توج ملكا عظيما على مصر. لقد أمتلات قلوب التاسوع بالفرح، وأصبحت البلاد كلها فى سرور عندما رأوا حورس بن ايزيس وقد أعيدت إليه وظيفة أوزيريس سيد أبو صير".

ومهما كان رأى القارئ فى القيمة الأدبية لهذه الأسطورة، ومهما كان حكمه عليها كقصة، فأن موضوعها كان من أحب المواضيع إلى قلوب المصريين، لأنها قصة النزاع بين الخير والشر، التى تنتهى بانتصار الخير، ونيل صاحب الحق لحقه.لقد لعبت هذه الأسطورة دورا كبيرا فى الحياة المصرية فى جميع العصور، وكان المصريون يمثلون حوادثها كل عام فى عيد أوزيريس فى أبيدوس، وكان الكهنة يقومون بأدوار الآلهة ويشترك الناس فى تمثيل المعارك، وكان يحج إلى أبيدوس فى كل عام آلاف من الناس ليشهدوا تلك المواكب والتمثيليات التى تستغرق عدة أيام. ونحن نعرف أن تمثيل تلك الأسطورة كان من الأمور المألوفة منذ أيام الأسرة الثانية عشرة على الأقل، وربما كانت تمثل أيضا قبل ذلك، وقد حفظ لنا الزمن بعض برديات فيها نصوص حوار الممثلين، وفيها توجيهات خاصة مثل قول المؤلف أنه عند ذلك تسمع ضجة أو ياتى صوت من بعيد ليقول كذا، وهذا ماجعل الباحثين فى تاريخ المسرح يؤمنون بأن هذه الأسطورة التى كانت تمثل حوادثها قبل أربعة آلاف عام هى أقدم مانعرفه عن التمثيليات فى العالم كله، اذ كان المصريون يمثلونها قبل ظهور المسرح اليونانى إلى عالم الوجود بما يقرب من ألف وخمسمائة سنة.

إسرائيل :

وردت كلمة "مصر" ٦٨٠ مرة فى التوراه. أما كلمة "إسرائيل" فلا توجد فى النصوص المصرية إلا مرة واحدة ليس غير، على لوحة تذكارية لانتصار مرنبتاح، خليفة رمسيس الثانى (حوالى سنة ١٢٣٠ ق.م.)، فى السنة الخامسة من حكمه. وتقع هذه الكلمة فى السطر السابع والعشرين: "دمرت إسرائيل ولم يعد لبذرتها وجود".

(انظر مرنبتاح)

الأسرات :

قسم الكاهن "مانيتون" التاريخ المصرى القديم إلى ثلاثين أسرة حاكمة تبدأ بحكم الملك "مينا" وتنتهى بغزو الأسكندر الأكبر مصر عام ٣٣٢ ق.م، ثم قام علماء المصريات بتقسيم الأسرات إلى عصور وهى ماتعرف بأقسام التاريخ المصرى القديم.

– العصر العتيق، أو عصر بداية الأسرات: ويشمل الأسرتين ١ – ٢.

– عصر الدولة القديمة: ويشمل الأسرات من ٣–٦.

- عصر الانتقال أو الانهيار الأول: ويشمل الأسرات من ٧-١٠.

- عصر الدولة الوسطى: ويشمل الاسرتين١١-١٢.

- عصر الانتقال أو الانهيار الثانى: ويشمل الأسرات من ١٣-١٧.

وبه عصر الهكسوس فى الأسرات ١٥-١٦.

- عصر الدولة الحديثة ، أو عصر الأمبراطورية: ويشمل الأسرات من ١٨-٢٠.

العصر المتأخر: ويشمل الأسرات من ٢١ - ٣٠.

عرض موجز لتاريخ مصر القديم :

عصر الأسرتين الأولى والثانية أو العصر العتيق ٣٢٠٠ - ٢٧٨٠ ق . م :

لقد كانت مصر فى عصر فجر تاريخها يتشابه فنها مع فنون الأمم المجاورة لها ، ثم بدأت تميز نفسها عن هذه الأمم وتكون فنا ذا طابع خاص وأسلوب معين منذ عصر الأسرة الاولى ، ولم يتغير هذا الطابع الا بقدر يسير على مر السنين طوال التاريخ المصرى ، كما أن اللغة المصرية القديمة بدأت تتكون وتتطور وتتخذ طابعها المعروف الذى استمر دون تغييرات شاملة ، ويمكننا أن نؤكد نفس الشئ بالنسبة إلى الديانة المصرية، فإن كل ما وصل الينا عن هذه الديانة قد وجدت أصوله فى عصر الأسرات الأولى.

يتميز عصر الأسرتين الأولى والثانية ويسمى "العصر العتيق" بأنه كان العصر الذى اشتد فيه النزاع بين الوجهين القبلى والبحرى ، وذلك أن التوحيد الثانى لم يتم الابعد حروب طويلة رأينا آثارها على كل ماعثرنا عليه من وثائق مكتوبة من هذا العصر. وكانت "ثينة" هى العاصمة والمقر الرسمى لملوك هاتين الاسرتين ، وهى تقع عند ابيدوس (العرابه المدفونه) بالقرب من البلينا. الا أن الكفاح المستمر الذى استمر بين ملوك هاتين الأسرتين وأهل الدلتا تطلب منهم تشييد عاصمة جديدة بالقرب من رأس الدلتا ، هى "الجدار الأبيض أو القلعة البيضاء" التى سماها المصريون ابتداء من الأسرة السادسة "منف". ويعتبر هذا الموقع المكان الطبيعى لعاصمة مصر التى يجب أن تكون على مقربة من نقطة التقاء الدلتا بوادى النيل.

الدولة القديمة من الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة ٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ ق.م :

تبدأ الدولة القديمة بالأسرة الثالثة وعنوان هذه الدولة الأهرام التى شيدها ملوك مصر لتكون مقابر لهم ، وهى تمتد من ميدوم فى الجنوب إلى دهشور ،إلى سقارة، ثم إلى أبو صير ، وإلى الجيزة وتنتهى فى أبو رواش شمالا. واذا كان العصر الذى سبق الأسرة الثالثة عصر الانتقال من التفكك إلى الاتحاد ، فأن عصر هذه الأسرة هو عصر الاتحاد الكامل ، يحكم مصر ملك واحد يدير دفتها وحده ويهيمن على كل كبيرة وصغيرة من أمورها، وهو الاله ابن الاله رع.

واذا وصفنا عصر الدولة القديمة بأنه عصر ذهبى، فيجب أن نميزه عن العصور الذهبية الأخرى التى تلته والتى كانت ولاشك نتيجة لعوامل خارجية مثل الفتوح والغزوات وتدفق الأموال من الجزية المفروضة على الشعوب المستعمرة ، أو كثرة الأسرى الذين استخدموا لتقوية شأن مصر ، فى حين كان ازدهار عصر الدولة القديمة نتيجة لاتحاد مصر ونهوضها أمة واحدة استكملت مقومات مدنيتها لاتمييز فيها بين مصرى الشمال ومصرى الجنوب.

بدأت الأسرة الثالثة بالملك "زوسر" " نتر ارى خت" وهو ولاشك أهم ملوك هذه الأسرة ، خلد لنفسه اسما براقا فى التاريخ ولو اننا لا نعرف الكثير من أعماله الحربية ، ولكننا عثرنا على لوح تذكارى فى منطقة شبه جزيرة سيناء ، نرى عليه الملك يعاقب قبائل البدو التى تسكن الصحراء الشرقية ، وهناك فى جزيرة "سهيل" (جنوبى أسوان) لوح تذكارى آخر كتب فى عصر البطالمة يحدثنا عن مجاعة أصابت مصر فى عصر هذا الملك ، وعن الجزية التى فرضها على بلاد النوبة الشمالية (التى خضعت وقتئذ لحكم مصر).

لم تظهر حضارة هذا العصر جلية لنا الا بعد ازالة الرمال عن منطقة مجموعة هرم زوسر المدرج بسقارة، وهى تتكون من الهرم المدرج ومعبده الجنازى إلى الشمال منه ثم المقبرتين الشمالية والجنوبية ويتلوهما معبد "الحب سد" (الأحتفال بالعيد الثلاثينى) ثم المدخل العام بمقاصيرة المتعددة على يمين ويسار الداخل ، وفى نهاية الأمر المقبرة

الجنوبية الضخمة ، يحيط بهذا كله سور يمتد فى طوله ٥٤٤ متر وفى عرضه ٢٧٧ متر. بنيت هذه العناصر كلها من الحجر الجيرى الأبيض واعتقد بعض الناس أن هذا التقدم فى فن العمارة فى عصر الأسرة الثالثة قد كان نتيجة لتقدم مستمر متسلسل ظهرت آثاره فى عصر الاسرتين الأولى والثانية ، فاستعمل الملك "اوديمو" (من الأسرة الأولى) والملك "خع سخموى" (من الأسرة الثانية) الحجر فى بناء بعض أجزاء من مقبرتيهما ، ولو أن زوسر بدأ عصره ببناء هرمه المدرج لصحت هذه الفكرة ، غير أنه عندما اعتلى عرش مصر نحا نحو أجداده ، وبنى مقبرة كبيرة من اللبن فى "بيت خلاف" (جنوبى قنا) على شكل مصطبة كبيرة يبلغ طولها ٩٥مترا وعرضها ٥٠ مترا وارتفاعها ١٠ أمتار. وهذه الخطوة الجريئة التى خطاها زوسر انما كانت نتيجة لعبقرية فنان كبير ، هو "ايمحوتب" وزير زوسر ومهندسه وكبير اطبائه والمشرف على كل كبيرة وصغيرة فى شئون الدولة.

عرف زوسر قدر مهندسه هذا الفنان العبقرى فكرمه أكبر تكريم وذلك بأن سمح له بأن يكتب اسمه على قواعد تماثيله فيشاركه الخلود ، اشتهر هذا الرجل حتى تحدث بنبوغه من عاشوا فى مصر فى الأجيال المتأخرة، وبلغ تقدير المصريين له فى العصر المتأخر أن جعلوا منه الها للطب والفن والصناعة.

كانت فترة حكم زوسر لمصر فترة ازدهار ولكن منذ وفاته حتى آخر أيام الأسرة لم يعتل عرش مصر من نستطيع أن نقارنه به.

جاء بعد "زوسر" ابنه "سخم خت" صاحب الهرم المدرج غير الكامل الذى كشفت عنه مصلحه الاثار عام ١٩٥٤ ، وجاء بناؤه مماثلا لأبنية أبيه ولكنه مات دون أن يتمه ولا غرابة فى ذلك فان مدة حكمه كانت قصيرة لم تزد على بضع سنوات.

وآخر ملوك هذه الأسرة هو الملك حونى الذى حكم ٢٤ عاما ، ولعله صاحب هرم ميدوم ولكنه لسبب ما لم يستطع أتمامه فاتمه الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة والذى تولى العرش من بعده بعد أن تزوج من أبنته "حتب حرس".

تولت الأسرة الرابعة الحكم فى مصر على اساس مصاهرة أول ملوكها "سنفرو" لآخر ملوك الأسرة الثالثة "حونى" ، واستمرت هذه الأسرة تواصل الرسالة التى بدأها أول ملوك الأسرة الثالثة ، فاستقروا هم أيضا فى منف العاصمة الشمالية وأخذوا يشيدون عمائرهم الضخمة كما تشهد بذلك حتى اليوم أهراماتهم العظيمة التى أصبحت علما على مصر من ناحية ، وشاهدا على قوة الحكومة المركزية فى هذا العصر من ناحية اخرى، وعدم اشتغالها بأية حروب أو فتوح كبيرة. ويمكننا التحدث عن عصر هذه الأسرة بأنه كان عصر هدوء تام لم تحدث فيه أحداث خارجيه تستحق الذكر ، اللهم الا تلك الحملة التى أرسلها "سنفرو" إلى بلاد النوبة الشمالية ليعيد الأمن اليها ويكسر شوكة الثائرين فيها ، وقد عاد جيشه ، بعد انتصار كبير ، بسبعة آلاف من الأسرى ومائتى ألف رأس من الثيران والأغنام.

ولعل أشهر ملوك هذه الأسرة الذين جاءوا بعد "سنفرو" هم "خوفو" و"خفرع" و"منكاورع" وترجع شرتهم ولا شك إلى الأهرامات الثلاثة المشهورة فى صحراء الجيزة.

ثم تولى "شبسسكاف" الحكم بعد أبيه "منكاورع*" ولم يدم حكمه الا بضع سنوات لا تزيد على الأربع ويتسم حكمه القصير بأحداث كان لها أكبر الأثر على الأجيال التى تلته. اذ فسح الطريق أمام كهنة الاله "رع" ليتولوا هم الحكم. لقد اخذ نفوذ كهنة الشمس يظهرمنذ عصر الأسرة الثانية ، كما أخذ يزداد ويعظم منذ قيام الأسرة الرابعة ، وازدادت خطورته بالنسبة إلى الأسرة الحاكمة فى عصر "خفرع" الذى تسمى باسم "رع" فى تركيبة كما أطلق على نفسه لقبا جديدا هو "ابن الاله رع" ، ويبدو أن "شبسسكاف" أراد أن يضع حدا لهذا النفوذ ، فرجع بأسلوب بناء المقبرة إلى ذلك الذى كان مستعملا فى أقدم العصور وبنى مصطبة ، تاركا بناء قبره على شكل هرم لصلة ذلك بعبادة الشمس. شيد مصطبته على شكل تابوت كبير فى سقارة القبلية بالقرب من منطقة دهشور، ولكن المنية وافته بسرعة فلم يستطع اتمام سياسته ضد كهنة "رع" ، بل على العكس مهد الطريق لهم اذ أنهم اسرعوا بعد موته واستولوا على العرش خشية أن ينتهى تباطؤهم بظهور ملك آخر يقف موقف العداء منهم.

ويظهر لنا تاريخ الأسرة الخامسة مدى التطور

الفكرى والاجتماعى الذى وصلت إليه مصر ، بعد تلك الخطوات السريعة التى قطعتها فى مضمار الحضارة منذ الأسرة الأولى حتى آخر الأسرة الرابعة ، وهو تطور طبيعى نراه ممثلا فى كل الأمم المتحضرة ، واقتضته فى مصر تلك النظم الاقتصادية التى اتبعتها السلطة المركزية التى تجمعت خيوطها فى يد واحدة هى يد الملك ، وكان من الصعب أن لم يكن من المستحيل أن تستمر هذه السلطة قائمة بكل الالتزامات المطلوبة منها دون أن تواجه المعضلة الاقتصادية التى تتلخص فى نقص موارد الدولة ، وأستنفاذ كل مجهود الأمة لتحقيق فكرة أو هدف واحد.

اشتهر عصر الأسرتين الثالثة والرابعة بسيطرة الملوك على جميع موارد الأمة ، ولكن ملوك الأسرة الخامسة اضطروا إلى التنازل عن بعض حقوقهم ، فوزعوا الوظائف الكبيرة على افراد من الشعب ، بعد أن كانت وقفاً على أعضاء البيت المالك ، ثم أعطوا حكام الأقاليم شيئا من النفوذ والسلطة المحلية مع بقائهم متصلين بالسلطة الرئيسية فى العاصمة.

وظهرت سياسية جديدة فى عصر هذه الأسرة ، اذ بدأت الحكومة تبدى عنايتها بالبلاد الواقعة وراء حدودها، فارسلت البعثات التجارية إلى سوريا ، وبلاد بونت (الصومال) ثم إلى السودان فيما وراء الشلال الثانى. أما من الناحية الدينية فقد أصبح الاله رع هو اله الدولة المهيمن على جميع الآلهة الأخرى ، وذلك بدلا من حورس الذى انتشرت عبادته كاله للدولة فى العصور السابقة.

سارت الأمور فى عصر الأسرة الخامسة هادئة رتيبة الا أن السماء بدأت تتلبد بالغيوم فى اواخر عصرها ، وبدأت حركة تنكر للأله رع ولكهنته ، ويبدو أن "أوناس" آخر ملوك الأسرة الخامسة هو الوحيد بين أفراد الأسرة الذى لم يحو اسم رع ، وكان الاتجاه ولا ريب نحو اعلاء كلمة بتاح* اله مدينة منف.

لسنا ندرى الأسباب الحقيقية التى أدت إلى انقراض الأسرة الخامسة ، هل كانت هذه الأسباب تتعلق بانصراف الناس عن رع وكهنته ، أم كانت هناك أسباب أخرى ، كما أننا لا ندرى هل تزوج أول ملوك الأسرة السادسة "تتى" من بيت الأسرة الخامسة أم أغتصب الحكم لنفسه بالقوة. وكل ما نعرفه على وجه التحقيق أن الأسرة الجديدة بقيت فى منف.

كان عصر الأسرة السادسة حافلا بأحداث خطيرة كادت تهدم كيان الأمة المصرية ، لولا يقظة الحكومة ووجود قواد بارعين فى أساليب الحرب. حدث هذا فى عصر ثالث ملوك هذه الأسرة "بيبى الأول" الذى عين "ونى" قائدا أعلى للجيش الذى صد الغزاة عن مصر وسجل هذا القائد وصفا لمراحل تنفيذ هذه المهمة الصعبة على جدران مقبرته. حيث يقص علينا فى بادى الأمر كيف أسند إليه الملك مهمة تاليف جيش عدد رجاله "عشرات الآلاف" ، جمعهم من كل بقعة من بقاع مصر، من الفنتين في الجنوب حتى اطفيح فى الشمال ، وكذلك من قبائل بلاد النوبة الشمالية. ويبدو أن المعركة حدثت فى فلسطين ضد أولئك الذين يسكنون فوق الرمال، أى البدو الساميين. وانتصر "ونى" انتصارا كبيرا ورجع جيشه سالما دون أن يصاب بخسائر تذكر. ومن الطريف أن نعلم أن "ونى" جهز حملة ثانية ضد هؤلاء الأعداء وقسم حملته الثانية قسمين ، أرسل قسما منها بطريق البر وسار هو مع القسم الثانى بطريق البحر ، ولعل هذه هى أول مرة مدونة فى التاريخ استعان فيها قائد جيش بأسطولة لنقل جنده وعتاده بطريق البحر.

غير هذا فقد زادت فى عصر هذه الأسرة رحلات المصريين نحو الجنوب ، فذهب نفر منهم على رأس بعثات لأستكشاف مناطق السودان فيما وراء الشلال الثانى وليفتحوا طرقاتها للتجارة.

عصر الإضمحلال الأول ٢٢٨١-٢١٣٤- ق.م:

تحدثنا عن ضعف السلطة المركزية فى عصر الأسرة الخامسة ، وبينا كيف أن ملوك هذه الأسرة أغفلوا قليلا شئون السياسة الداخلية وجعلوها تفلت من ايديهم ، وتتجمع فى ايدى كبار الموظفين ورؤساء الأقاليم، وهؤلاء انتهزوا فرصة اشتباك الأسرة السادسة فى حروبها ، وأخذوا يعملون على جمع السلطة فى ايديهم ، ومما ساعدهم على ذلك أن "بيبى الثانى" عاش قرنا كاملا وحكم البلاد ٩٤ سنة ، فكانت شيخوخته الطويلة حافزا لهم على التمادى فى الاستقلال بشئون ولاياتهم ، بل جعلوا مناصبهم فيها وراثية ، سموا أنفسهم "أمراء الاقاليم العظام" بدلاً من

حكام الاقاليم واحاطوا أنفسهم بحرس خاص وموظفين.

وبعد موت "بيبى الثانى" اعتلى عرش مصر ملوك ضعاف لا نعرف عنهم شيئاً الا اسماءهم فورد ذكر "مرنرع*" و "نيتوكريس" ، ثم ذكر "مانيتون" سبعين ملكا كل منهم حكم يوما واحدا ، وأطلق عليهم ملوك "الأسرة السابعة" واذا صح هذا فان ملوك هذه الأسرة لم يكونوا إلا كبار رجال الأمة المصرية ، أقاموا من أنفسهم مجلسا ، حكم كل منهم يوما واحدا حتى تستتب الأمور وينتخب الملك على مصر- وذكر "مانيتون" أيضا ملوك "الأسرة الثامنة" ، وقال أن عددهم كان ٢٧ ملكا حكموا ١٤٦ سنة ، ولكن بردية "تورين" ذكرت سبعة أسماء لملوك حكم كل منهم سنة واحدة. أما قائمة "ابيدوس*" فقد أتبعت ملوك الأسرة بسبعة عشر اسما لملوك نرى تشابها كبيرا بين اسمائهم وأسماء ملوك الأسرة السادسة.

كانت البلاد تسير بخطوات واسعة نحو التفكك والاضمحلال ، وساءت الأحوال خاصة فى مناطق الدلتا التى تعرضت لعبث قبائل البدو التى نشرت بين الناس الخوف والذعر. أما مناطق الصعيد فقد كانت مقسمة إلى ولايات ، وكان لكل أمير ولاية يحاول جهده أن ينقض على الولاية المجاورة ليضمها إليه ، هكذا سادت مصر حالة من الاضطراب والفزع ، نجح "إيبوور" نجاحا كبيرا فى وصفها فى برديته.

فى عصر الأسرة الثامنة وجد حكام أهناسيا (إلى الغرب من مدينة بنى سويف الحالية) أن الفرصة سانحة لبسط نفوذهم على ما جاورهم من المقاطعات ، آملين اسقاط ملوك الأسرة الثامنة ، علهم يتقلدون شئون الحكم فى البلاد ، وتمكنوا فى واقع الأمر من أن يحكموا النصف الجنوبى من مصر فى نفس الوقت الذى كان فيه بعض ملوك الأسرة الثامنة يتقلدون مهام الحكم الوهمى فى منف.

وكان ملوك "الأسرات التاسعة والعاشرة" من بين بيت حكام "أهناسيا" ، - وتثبت الأبحاث الحديثة أن ملوك الأسرة التاسعة بلغ عددهم ثلاثة عشر شخصا أما ملوك الأسرة العاشرة فقد كانوا خمسة فقط ، وعلى كل حال فالآثار التى خلفها ملوك هاتين الاسرتين قليلة ولا يمكن التعرف منها الا على ثلاثة ملوك يحملون أسم "أختوى" أو "خيتى" ورابع يحمل اسم "مرى كارع".

ومنذ الوقت الذى جلس فيه ملوك الأسرة العاشرة على العرش ظهر فى طيبة بيت قوى هيمن أفراده على المقاطعات المجاورة لاقليمهم ، مناوئين حكم أسرة "أهناسيا" واستطاعوا حكم الجنوب بأجمعه وكونوا الأسرة الحادية عشرة.

ولذلك يمكننا أن نقول: أنه كما كانت الأسرتان الثامنة والتاسعة تشتركان فى الحكم اشتركت ايضا الأسرتان العاشرة والحادية عشرة فى الحكم.

الدولة الوسطى الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة ٢١٣٤-١٧٧٨- ق.م :

قدر لمصر مرة ثانية أن تستعيد مجدها ، وأن ترى عصرا ذهبيا خلال هذا العصر. ولقد سبق الحديث عن حكام طيبة ومناوأتهم لحكام أهناسيا ، ونزيد الآن أن النصر كان بجانبهم ، وعندما تم لهم توحيد الدلتا والصعيد ، اضطروا إلى اتخاذ سياسة شديدة قاسية فبطشوا بحكام الاقاليم الذين وقفوا فى طريقهم ولم يسارعوا إلى الانضمام اليهم ، ولكنه هذه السياسة قامت على أساس ممالأه بعض الحكام الآخرين الذين تقدموا بمساعدة الأسرة الطيبية فى كفاحها ، وهكذا نرى أن سياسة الدولة قد قامت فى مستهل عصر الدولة الوسطى على أساس الاستعانة ببعض الحكام ضد البعض الآخر. واذا كان لملوك الأسرة الثانية عشرة أن يتغنوا بنصرهم الكامل واعادة الاتحاد بين أقاليم مصر ، فانهم اضطروا فى نفس الوقت إلى ترك بعض السلطة للحكام الذين ساعدوهم على تحقيق هذا النصر ، وعلى ذلك فالسلطة المطلقة التى تمتع بها ملوك الدولة القديمة لم تكن لملوك الدولة الوسطى. ولكن هذا لا يمنع أن يكون العصر الذهبى فى الدولة الوسطى قد بلغ فى أهميته وتقدمه مابلغه عصر الدولة القديمة الذهبى. فالحرب الأهلية الطويلة والاضطرابات التى عمت مصر طوال عصر الاضمحلال الأول ، والمحنة التى شعر بها كل مصرى ساعدت على نضج العقل المصرى بوجه عام. وبينما كانت العاصمة والملك فى عصر الدولة القديمة هما موضع السلطة ، ومنهما وحدهما تستمد مصر بأجمعها قوتها ونشاطها وتقدمها فى مضمار الحضارة ، نجد أن الحالة تغيرت فى عصر الدولة الوسطى ، اذ قامت إلى جانب العاصمة مراكز أخرى تهتم بمظاهر الحضارة وتعمل

هى الأخرى على ترقيتها وتنميتها - هذه المراكز هى عواصم حكام الاقاليم.

الأسرة الحادية عشرة :

نشات هذه الأسرة فى طيبة ، وتعاقبت الحكم فيها أفراد سموا تارة باسم "أنتف" وتارة أخرى باسم "منتوحوتب". وكانت مصر فى أوائل عصر هذه الأسوة منقسمة إلى ثلاثة أقسام:

١- الدلتا وكان يحكمها بعض الحكام المحليين ومن بينهم - كما يعتقد بعض الأثريين - أجانب جاءوا إلى مصر من غربى أسيا.

٢- مصر الوسطى حتى أسيوط ويحكمها ملوك الأسرة العاشرة الأهناسية.

٣- مصر العليا من أسيوط إلى أسوان ويحكمها افراد أسرة انتف.

وخلدت لنا بعض الآثار الكفاح الطويل الذى قام بين حكام "طيبة" وحكام "أهناسيا" ودلت هذه الآثار على أن الحرب ظلت سجالا بين الطرفين طوال حكم أربعة من حكام "طيبة" إسمهم "انتف" وواحد اسمه "منتوحوتب"، واستطاع "منتوحوتب الثانى" اخضاع الشمال وأرجع إلى مصر وحدتها وجعل منها أمه واحدة.

الأسرة الثانية عشرة :

حدثت بعض الاضطرابات فى أواخر عصر الأسرة الحادية عشرة ، اذ أراد نفر من المصريين أن يجلسوا على عرش مصر دون أن يكون لهم الحق الشرعى فى ذلك. حدث هذا مباشرة بعد موت الملك منتوحوتب الثالث ، استمرت هذه الاضطرابات خمس سنوات حكم مصر خلالها عدة أشخاص ، وبعد هذه السنين الخمسة المضطربة نرى على العرش الملك "منتوحوتب الرابع" الا أن فترة حكمه لم تزد عن عامين فقط ، سمعنا أبانهما عن رحلة الوزير "أمنمحات" إلى وادى الحمامات لقطع الأحجار. وماكانت هذه الرحلة لتثير انتباهنا ، لولا أن "أمنمحات" هذا قد اصطحب معه عددا عفيرا من الجند بلغ عشرة آلاف رجل ، ولقد اعتدنا أن نقرأ أخبار مثل هذه البعثات طوال التاريخ المصرى ، ولكننا لم نسمع أن عدد رجال الفرقة المسلحة التى تصاحبها يزيد عن الثلاثمائة عادة ، وأكبر رقم عرفناه كان ثلاثة آلاف ، ومن أجل ذلك يبدو واضحا أن "أمنمحات" الوزير جمع هذا الجيش الكبير توطئة لعمل أخر هو الاستيلاء على العرش لنفسه ووضع حد لعدم الاستقرار الذى أخذ ينتشر فى البلاد.

هكذا انتقل العرش إلى الأسرة الجديدة وتولا أول ملوكها "أمنمحات الأول" الحكم وسط عاصفة من التذمر والتنافس الشديد على العرش ، بل أكثر من هذا صادفت هذا الملك عقبات كثيرة أقامها أمراء الأقاليم الذين ودوا أستعادة استقلالهم الداخلى وانفرادهم بالحكم فى اقطاعاتهم. واضطر امنمحات أن يقابل عنادهم بقسوة كبيرة فشن عليهم حربا لا هوادة فيها ، وعندما استتبت الأمور له اعترف بحكم من والاه منهم وتركهم فى مناصبهم بعد أن عين الحدود بينهم وبين جيرانهم ، وبعد ذلك أسس عاصمة جديدة لأسرته فى نقطة تتوسط مصر وتقع عند مدخل منطقة الفيوم وسماها "أثت تاوى*" أى "القابضة على القطرين" مشيرا بذلك إلى الشمال والجنوب ومكانها الآن عند بلده اللشت. وما كادت الأحوال تهدأ ويشعر بأن حكام الاقاليم قد هادنوه ، حتى وجه "أمنمحات الأول" عنايته نحو الجنوب فحارب أهل النوبة وأخضعهم وتوغل فى بلادهم إلى منطقة دنقلة وأقام الحصون على شاطئ النيل لتأمين حدود مصر الجنوبية ومن أهم هذه الحصون حصن سمنة جنوبى الشلال الثانى ، ومن المرجح أن تأسيس مدينة كرما ، التى لعبت دوراً كبيراً فى عصر هذه الأسرة والتى تقع بالقرب من الشلال الثالث ، قد حدث فى عصره.

استن هذا الملك سنة جديدة فى حكم البلاد ، إذ أشرك ابنه الأكبر فى ادارة شئون الدولة مدة حياته ، وذلك ليتدرب على مواجهة الصعاب وليطلع على خبايا الأمور، وهذه السنة الجديدة سار عليها كل ملوك الأسرة الثانية عشرة تقريبا. ومن الغريب أن هذا الملك الفذ القدير قد قوبل فى أواخر حياته بنكران الجميل فدبر بعض أفراد حاشيته مؤامرة لاغتياله.

وتقلد "سنوسرت الأول" الحكم بعد موت أبيه ، فذهب فى أول حكمه بجيوشه إلى بلاد "كوش" فيما وراء الشلال الثانى ، وكانت هذه أول مرة يرافق فيها ملك مصرى حمله حربية ، وبعد انتصاراته التى حققها هناك ترك حاكما لها وجعل مقره قلعة "كمة" ، ثم اتجهت انظاره بعد ذلك إلى الواحات فنظمها وبدأ فى استغلالها وعين حاكما عليها ليرقب عن كثب تحركات البدو وليهب للدفاع عن حدود مصر الغربية اذا

دعت الحاجة إلى ذلك. وشملت عناية سنوسرت الأول كذلك منطقة الفيوم.

وقد تمتعت مصر طوال حكم "أمنمحات الثانى وسنوسرت الثانى" بالرخاء والرفاهية وتوثقت العلاقات التجارية مع بلاد "بونت*" حتى ألف أهلها رؤية المصريين وأخذ هؤلاء يذكرون تلك البلاد فى قصصهم، ومن اطرافها قصة "الملاح الغريق" التى تصف ما لاقاه ملاح مصرى من مشاق وأهوال فى سبيل وصوله إلى بلاد "بونت".

ويبدو أن الملك "سنوسرت الثالث" هو الوحيد الذى لم تسنح له الفرصة للتدرب على شئون الحكم فى عصر أبيه. ومع ذلك تمكن من أن يحكم مصر حكما عادلا ، ومظهرا من الحكمة والقدرة ما لم يظهره أى ملك من ملوك هذه الأسرة فوجه عنايته الكبرى نحو بلاد السودان مقررا ضمها نهائيا إلى مصر فحفر ترعة توصل إلى ما بعد الشلال الأول ، ليسهل عليه نقل الجيوش اللازمة لفتح هذه المنطقة ، وبعد أن تم له هذا النصر ، أقام لوحا حجريا عند أقصى الحدود الجنوبية فيما وراء الشلال الثالث ، مبينا حد الدولة المصرية ، مهددا كل انسان يريد أن يتعداه إلى الشمال بالقتل اذا لم يكن قد حصل على أذن بذلك سواء أكان مسافرا على الأرض أو على النهر ، بمفرده أو مع قطعانه مستثنيا كل رجل ينوى التجارة فى أرض مصر أو يحمل رسالة اليها ، وأمر حرس الحدود أن يعاملوه بالحسنى.

واعتاد "سنوسرت الثالث" أن يقود حملاته التى قام بها فى بلاد السودان بنفسه ويعد فى نظر ملوك الأسرة الثامنة عشرة الفاتح الحقيقى لهذه المنطقة ، فجعلوا منه الها محليا لها وعبد هناك. وأهتم كذلك ببلاد سوريا فارسل إليها بعض الحملات ولم تعق حملاته الحربية الكثيرة التى أرسلها إلى السودان وسوريا جهوده فى داخل البلاد ، اذ استطاع أن يتغلب على حكام الاقاليم وان يقضى قضاء تاما على ما كان لهم من نفوذ.

ويعتبر عصر امنمحات الثالث عصر سلام ورخاء ، فقد أهتم بموارد مصر الطبيعية وحاول جهده أن ينميها ويوسعها. وكان من الطبيعى أن يوجه كل عنايته إلى شئون الرى ، واشتهر اسمه بعمله العظيم فى منطقة الفيوم اذ حسر المياه عن منطقة تبلغ مساحتها مايقرب من عشرين الف فدان ببناء سد ضخم بلغ طوله أربعين كيلو مترا.

اقام أمنمحات الثالث هرمه عند بلده هوارة ، وبنى إلى الشرق منه معبده الشهير الذى شاهده استرابون حوالى عام ٢٤ق.م. ورأى فيه أعجوبة من أعاجيب مصر واستحق اسم "اللابيرانت" أى قصر التيه ، لأن الزائرين كانوا اذا ما دخلوا صعب عليهم الخروج منه (وتاهوا) فى ردهاته التى قيل أنها بلغت أثنتى عشرة ردهة ، وحجراته التى بلغت ثلاثة آلاف حجرة. ومما يؤسف له أن هذا المعبد قد أختفى تماما ولم يبق منه الا بضع أحجار متناثرة هناك.

ورث "أمنمحات الرابع" أمة غنية وكنوزا لا عدد لها وشعبا يحب السلام ، فلم يقابله من الصعاب ما يشحذ عزيمته ، كما لم تتوفر فيه مزايا أسلافه ، فتهاون وترك الأمور تجرى فى أعنتها ، فضعف شأنه. ولما مات هذا الملك دون أن يترك وليا للعهد تولت العرش أخته "سوبك نفرورع" فضعفت الملكية ضعفا أدى إلى انتهاء هذه الأسرة التى بلغ فيها العصر الذهبى للدولة الوسطى أعلى مرتبة له.

عصر الإضمحلال الثانى وقيام دولة الهكسوس ١٧٧٨-١٥٧٠ ق.م :

الأسرة الثالثة عشرة :

تختلف الأسباب التى دعت إلى اضمحلال الدولة الوسطى عن تلك التى أدت إلى سقوط الدولة القديمة. لقد عرفنا كيف انتزع حكام الاقاليم فى عصر الأسرة السادسة ، السلطة من ملوك مصر واستقلوا تدريجيا بالسلطة المحلية ، وأصبحوا يتصلون بالملك فى عاصمته بخيوط واهية لا تتعدى العلاقات الرسمية بين مليك البلاد وملوك آخرين أستقل كل منهم بمقاطعته.

لم يظهر هذا الخطر فى عصر الدولة الوسطى وخاصة بعد أن تمكن الملك "سنوسرت الثالث" من القضاء على هذه الفئة قضاء تاما ، وانما أتى الخطر من ناحية أخرى ، اذ أعتمد ملوك الأسرة الثانية عشرة على الموظفين الذين عينوا فى الأقاليم لمنافسة حكامها فى سلطتهم ونجحت هذه السياسة وقضى هؤلاء الموظفون على كل ما كان من سلطة لحكام الأقاليم.

ومن ناحية أخرى اعتمد الملوك فى حكمهم على الجيوش القائمة ، وكانت هذه الجيوش غير معروفة من قبل اذ أعتاد ملوك الدولة القديمة استدعاء الرجال فى ساعات الخطر ، وتدريبهم بسرعة على النظام ، وتكوين فرق منهم يرسلونها للحرب ثم لا تلبث هذه الفرق أن تسرح اذا ما انتهت المهمة التى جندت من أجلها.

فعصر الدولة الوسطى إذن هو أول عصر بقيت فيه فرق الجيش قائمة فى أيام السلم ، والسبب الذى حدا بالملوك إلى اتباع هذه السياسة كان النزاع الدائم بينهم وبين حكام الأقاليم ، واعتماد هؤلاء على فرقهم الخاصة، وتفننهم فى تدريبهم والعناية بهم ، ومعنى هذا اضطرار الملوك إلى محاربة حكام الأقاليم بنفس سلاحهم. وبذلك تكون فى مصر فى أواخر عصر الدولة الوسطى حزبان كبيران لهما خطرهما: حزب الموظفين وحزب الجيش اذا كان لنا أن نستعمل هذا التعبير المستعار من الحياة السياسية فى العصر الحديث.

وعندما إعتلى عرش مصر "أمنمحات الرابع" و "سوبك نفرو رع" وكان كلاهما ضعيفاً لم يعرف كيف يسيطر على كلا الحزبين أو قل الفئتين ، أو يمنع تصادمهما سقطت الأسرة الثانية عشرة.

ويبدو أن ملوك الأسرة الثالثة عشرة كانوا من هاتين الفئتين. كل فئة تناضل قدر جهدها ليكون ملك مصر من بينها ، حتى اذا نجحت تصدت لها الفئة الأخرى وناوأت الملك حتى تسقطه وتعين ملكا آخر من بينها. وهذا هو السبب فى تعدد ملوك الأسرة الثالثة عشرة وفى اختلاف أسمائهم ، بل وفى ظهور لقب جديد هو "قائد الجيش" الذى اضافه بعض ملوك هذه الأسرة إلى ألقابه الملكية.

ومن العبث حقا سرد اسماء ملوك هذه الأسرة ، فهم على كثرتهم لم يخلدوا فى تاريخ مصر أى اثر ، ولم يسهموا مطلقا فى تقدمها ، بل أنهم على العكس أسدلوا ستارا كثيفا من الظلام والغموض على عصرهم، وسهلوا للأعداء أن يجدوا فى مصر لقمة سائغة ، فدخلها الهكسوس ، وأقاموا دولة عمرت فيها أكثر من قرن ونصف.

الهكسوس :

كان العالم القديم منذ القرن العشرين قبل الميلاد يغلى كالمرجل ، إذ سادت الثورات والقلاقل مناطق الشرق القديم ، وتعددت الغزوات ، وظهرت دول فتية جديدة أخذت تناضل وتسعى جاهدة لتقبض على علم القيادة ، ولكنها فشلت وما لبثت أن اختفت وحلت محلها قوى جديدة ، وهذه الفترة كانت فترة هجرات الشعوب الجبلية الشمالية "الهندية الأوروبية" من أوطانها الممتدة فى أواسط أسيا وحول بحر قزوين: منها القبائل الكاشية التى نزلت من فوق الجبال الشاهقة التى تحد بابل من الشرق، وهاجمت المدينة بعد موت "حامورابى" بثمانى سنوات ، وحكمت هناك فترة من الزمن ، ومنها أيضا تلك القبائل التى استمرت فى هجرتها نحو الغرب ، ووصلت إلى أسيا الصغرى واستقرت فيها ، وظهرت على مسرح التاريخ باسم "الحيثيين" وكذلك منها القبائل التى عرفت فى التاريخ باسم "الحوريين" التى استقرت فى المناطق الممتدة من اعالى الفرات إلى الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط ، كونت "دولة الميتانى" ومنها أخيراً تلك الفلول التى استمرت فى هجرتها البطيئة متجهة نحو الجنوب مخترقة سوريا وفلسطين ، ووصلت إلى مصر حوالى عام ١٧٠٠ ق.م وعرفت فى التاريخ باسم "الهكسوس".

هاجمت جحافل الهكسوس أرض مصر فى أواخر عصر الدولة الوسطى ، وكانت قد أخذت للمرة الثانية تضمحل تحت حكم ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، ويقول المؤرخ المصرى "مانيتون" السمنودى فى كتابه عن تاريخ مصر: "أن الرعاه (الهكسوس) استولوا على مصر فى سهولة ، واجتاحوها بدون حرب لأن المصريين كانوا يومئذ فى ثورة واضراب".

أما النصوص المصرية فتقول أن الهكسوس استطاعوا غزو مصر "لأن وباء كان بها ، ولم يكن هناك من سيد بين المصريين يقوم ملكا عليهم". أما نحن فلدينا بعض الأدلة التى تثبت أن الهكسوس وجدوا مقاومة من أهل الدلتا ، ومن ذلك تلك الجبانة الواسعة التى عثرت عليها مصلحة الآثار بالقرب من "كوم الحصن" بغربى الدلتا وترجع إلى عصر الهكسوس ، وتتميز بأن أصحابها ماتوا فى موقعة حربية ، وأن كلا منهم اصطحب معه إلى الدنيا الأخرى أدواته

الحربية الكثيرة التى فضلها على أى متاع أخر من الدنيا.

وهكذا نستطيع أن نقول أنه ماكادت الأسرة الثالثة عشرة تختفى بأحزابها المتنازعة حتى انقسمت مصر إلى ثلاثة أقسام:

أ - قسم حكمه ملوك اصطلحنا على تسميتهم "ملوك الأسرة الرابعة عشرة" استقلوا بغرب الدلتا مع جزء من وسطها وذكرت لهم بردية تورين مايقرب من واحد وعشرين أسما.

ب - هاجم الهكسوس مصر فى عصرهم وأقاموا دولتهم التى امتدت فشملت شرق الدلتا ثم مصر الوسطى حتى أسيوط.

جـ - مصر العليا من أسيوط جنوبا ، وبقيت متمتعه باستقلال ذاتى تحت أمرة حكام مدينة طيبة ، ولكنهم فى الوقت ذاته يؤدون الجزية لملك الهكسوس ، ولهؤلاء الأمراء يرجع الفضل فى تحرير مصر وتأسيس الدولة الحديثة ، كما سنرى فيما بعد.

ودولة الهكسوس تشمل الأسرات: الخامسة عشرة، والسادسة عشر ثم السابعة عشرة فى الشمال. أما فى الجنوب فتكونت أسرة من حكام طيبة يطلق عليها أيضا الأسرة السابعة عشرة.

ولا نزاع فى أن الهكسوس لم يكونوا من جنس واحد وأن غلب عليهم الجنس السامى الذى اختلط بأجناس أخرى من أصل هندى أوروبى ، ولكن الآراء اختلفت فى تاريخ الهكسوس ومدة حكمهم لمصر ، ويحدثنا "مانيتون" عن عصرهم محددا له ٩٢٩ سنة ، وليس من شك فى أنه غالى فى تقدير مدة هذا العصر كل المغالاة واتفق العلماء أخيراً على أن الهكسوس دخلوا مصر عام ١٧١٠ ق.م. وأسسوا عاصمتهم "أواريس" (صان الحجر) وأقاموا فيها معبد للاله "سوتخ" (ست) عام ١٦٨٠ ق.م.، ثم طردوا نهائيا من مصر عام ١٥٧٠ ق.م. ، وبذلك يكونون قد مكثوا فى مصر مايقرب من قرن ونصف.

بلغت الأسماء التى وردت على الآثار التى خلفها لنا ملوك الهكسوس فى مصر ٢٣ اسما ، وما يؤسف له أن هذه الأسماء وردت متفرقة ، بحيث يصعب ترتيبها ترتيبا تاريخيا ، وكيف يمكننا ذلك وأهم هذه الآثار ليست الا "جعارين". وأهم الملوك الذين تركوا لنا آثارا من هذه العصر ، هو الملك "خيان" ، ولم نعثر عليها فى مصر وحدها ، بل فى كل البلاد المجاورة مثل فلسطين ، وسوريا والعراق وجزيرة كريت ، واراد البعض أن يتخذ من هذا الانتشار دليلا على دولة أسسها الهكسوس، تمتد من بلاد مابين النهرين شمالا إلى جزيرة كريت فى الغرب وتضم سوريا وفلسطين ومصر ، ولكن ظهور هذه الآثار فى فلسطين وسوريا لا يدل الا على العلاقة التى تربط بين الهكسوس فى مصر وموطنهم الأصلى ، أما ظهورها فى بلاد مابين النهرين فكان عن طريق التجارة ليس غير ، وخاصة لأن كل ما عثرنا عليه هناك لم يتعد تمثالا لأسد صغير رابض حفر عليه أسم الملك "خيان" ويغلب على الظن أنه وصل إلى هناك عن طريق أحد تجار الآثار ، ثم اشتراه المتحف البريطانى. واذا دققنا النظر وجدنا أن كل الآثار التى خلفها لنا الهكسوس فى مصر وغيرها ، مصرية الصنع والطابع ، مع أنه لو صحت النظرية القائلة بوجود دولة مترامية الأطراف للهكسوس ، لتوقعنا أن نرى فى مصر فنا آخر تاثر بالفنون الأجنبية للبلاد المتاخمة لمصر ، مثل الفن الأشورى أو البابلى مثلا ، أو لتوقعنا أن نرى الفن المصرى قد أثر فى فنون هذه البلاد ، ولتوقعنا أيضا أن نعثر على آثار أعظم قيمة وأكبر حجما مما وجدنا فى مصر. والآثار التى وجدناها تدلنا دلالة واضحة على ضعف ملوك الهكسوس ضعفا أنساهم موطنهم وعاداتهم الأولى فاندمجوا فى الحضارة المصرية وحذوا حذو المصريين فى كل شئ ، فلقبوا أنفسهم بألقاب مصرية ، وعبدوا إلها مصريا وأقاموا له معبدا على الطريقة المصرية.

دخل الهكسوس أرض مصر غازين متعسفين ، ولاندهش اذا كانوا قد هدموا معابدها ، وأذا قوا المصريين الهوان ، فذلك هو شأن العدو المنتصر ، ولكن ما لبث هؤلاء أن حطموا قيود التعسف ، وثاروا فى وجه الطغاة ثورة موفقة ، وكان حكم الهكسوس لمصر هو العامل القوى الذى جعل الشعب المصرى ، شعبا محاربا، طلب الحرية فنالها ثم عرف طعم الحرب، وتذوق معنى الانتصار ، فخرج من مصر يطلب الغزو والحرب ، وما لبثت كل البلاد المجاورة له أن خضعت لسطانه ، فنشأت الأمبراطورية المصرية ، واتسعت أطرافها شمالا وجنوبا. وهناك شئ آخر جنته مصر من

حكم الهكسوس هو تعرفهم على العربة والحصان ففى خلال أيام حكمهم لمصر عرفت مصر أستخدامهما واستعان بهما الهكسوس على حكم المصريين الذين مالبثوا أن تعلموا منهم هذه الحرفة الجديدة وأجادوها ثم استغلوها فى تحرير بلادهم وفى بسط سلطانهم على الأمم المجاورة.

طرد الهكسوس من مصر :

تحدثنا فيما سبق عن أمارة طيبة التى حكمت الجنوب تارة تحت نفوذ الهكسوس وتارة أخرى مستقلة ، وقلنا أيضا أن افرادا من هذه الأمارة هم الذين بدأوا النضال فى حرب لم تعرف هوادة ، ويستدل على ذلك مما كتب فى ورقة من البردى ترجع إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة وتقول هذه البردية أن ملك الهكسوس المدعو "أبيبى" أرسل رسولا إلى "سقنن رع" أمير طيبة يحذره من عاقبة صياح أفراس البحر التى تقطن مياه طيبة ، والتى تزعج ملك الهكسوس فى عاصمته "أواريس" وتمنعه من النوم ليلا ونهاراً.

ونعتبر هذه الرسالة بمثابة الاستفزاز الرسمى الذى تلته الحرب ، ونكاد نعتقد أن الحرب بدات فى عصر "سقننرع" هذا ، اذ عثرنا على جثته المحنطة ويتضح منها أن هذا الأمير قد لقى حتفه فى الحرب ، وتولى أمارة طيبة بعدة أبنه "كامس" الذى حاول جهده اضرام نار الثورة بين مواطنيه ورجال بلاطه الذين رغبوا فى أول الأمرعن الحرب قانعين بما هم فيه ، ولكنهم اضطروا إلى مواجهة الهكسوس واتمام الرسالة الكبرى التى بداها "سقنن رع" .

ووصلت الينا منذ أعوام طويلة وثيقة (هى لوحة كارنارفون) وهى نص طويل نسخة صبى يتعلم الكتابة فى احد المكاتب ، وهذا النص ناقص ولكنه يصل بنا إلى بدء الحرب بين الهكسوس "وكامس" ويحدثنا أن أول معركة خاضتها جيوش طيبة كانت فى مدينة "نفروسى" فى اقليم الاشمونين (ملوى حاليا) حيث كانت هناك حامية للهكسوس وأن المصريين انتصوا انتصارا كبيرا. وفى عام ١٩٥٤ عثر رجال مصلحة الاثار على لوحة حجرية كبيرة فى أعماق الأرض بين احجار الأساس التى وضعوا فوقها تمثالا ضخما للملك "بلنجم" أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين . وقد كتب فوقها نص طويل من ٣٨ سطرا و كان لحسن الحظ تكملة لقصة كفاح كامس ضد الهكسوس ومن هذا النص نعرف الكثير من اخبار هذا الكفاح ولكن الاستيلاء على الوجه البحرى كله وعلى أواريس عاصمة الأعداء لم يتم على يدى "كامس" بل تم على يدى أخيه احمس الذى نجح تماما فى طرد الهكسوس وطاردهم إلى فلسطين.

يود البعض أن يجعل "أحمس" آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة الطيبية لأنه واصل الرسالة التى بدأها أبوه "سقنن رع" واتمها ولكن المصريين القدماء وجميع المؤلفات الحديثة الجادة تجعل منه مؤسس الأسرة الثامنة عشرة اذ أنه بدأ عصرا جديدا ، ووضع الحجر الأول فى بناء الإمبراطورية المصرية .

الدولة الحديثة الأسرات من الثامنة عشرة إلى آخر العشرين ١٥٧٠ - ١٠٨٠ ق.م :

الأسرة الثامنة عشرة :

تابع أحمس الأول محاربة الهكسوس حتى أجلاهم عن مصر وخلصها من تعسفهم ، ولم تصل الينا نصوص تبين كيف استأنف الحرب ، ولكننا نعرف كيف انتهت. حدثنا بذلك قائده الكبير "أحمس بن ابانا" اذ سجل على جدران مقبرته أحداث المعارك النهائية لهذه الحرب، واصفا لنا كيف طرد " أحمس الأول " الهكسوس من عاصمتهم "أواريس" ، ثم تتبعهم متخطيا حدود مصر الشمالية الشرقية إلى " شاروهين " فى جنوبى غزة وفلسطين ، وحاصرهم هناك ثلاث سنوات متتالية. وبعد إنتصارة هذا رجع إلى مصر واضطر إلى أن يوجه همة إلى بلاد النوبة فأسرع اليها واستطاع بعد مدة وجيزة أن يسترجع كل المناطق التى حكمتها مصر فى عصر الدولة الوسطى.

اختلفت مهمة أحمس الأول فى تنظيم الحكومة المصرية وادارتها الداخلية عن مهمة أمنمحات الأول (أول ملوك الأسرة الثانية عشر) ، فبينما تولى الأخير عرش مصر ، واضطر لكى يحتفظ بهذا العرش أن يواجه حكاما اقوياء يتنازعون السلطة لم يجد أحمس الأول بدا من تكوين حكومة من حكام عاشوا قرنا ونصف قرن تحت النير الأجنبى ، فصبغ حكمه من أجل ذلك بالصبغة العسكرية ، وجعل للجدية المقام الأسمى فى البلاد ، وتجاوب الشعب معه وخاصة بعد أن تعلم طرق الكفاح المختلفة وتدرب على الحروب اثناء الغزوات الكثيرة التى قام بها هذا الملك.

ونحا أمنحوتب الأول "ابن أحمس الأول" نحو أبيه فى توطيد أركان مملكته ، ويبدو أن الجيوش المصرية وصلت وقتئذ إلى نهر الفرات حيث نستدل على ذلك بما قاله خليفته تحوتمس الأول من أنه استطاع فى سنته الثانية من حكمه أن يمد حدود مملكته إلى نهر الفرات، مع أنه لم يكن قد قام فيها بعد بأى حركة حربية. أما تحوتمس الأول هذا فقد جلس على العرش دون أن يجرى فى عروقه الدم الملكى ولعله توصل إلى هذا بزواجه من ارملة "أمنحوتب الأول". ولم يكن النصف الجنوبى من السودان حين تولى هادئا ، فأرسل حملة قوية توغلت إلى الشلال الرابع ، ووصلت إلى "تباتا" وأصبحت هذه المنطقة هى الحدود الجنوبية للبلاد فترة طويلة بلغت خمسة قرون. وعين تحوتمس الأول ، حاكما عاما أشبه بمندوب سام ، كان لقبه "ابن الملك المعين على كوش" مع أن هذا الحاكم لم يمت فى الحقيقة للبيت المالك بصلة القرابة ، ونستدل على حروبه التى قام بها فى آسيا من نص لضابط يدعى "أحمس بن نخبت" قال أنه وصل مع الملك إلى منحنى الفرات وان الملك أقام هناك لوحا حجريا سجل عليه أن ذلك المكان سيبقى الحد الأقصى لممتلكات مصر فى آسيا.

ولما شعر تحوتمس الأول بضعفه وعدم قدرته على تحمل أعباء الحكم ، نزل لابنه "تحوتمس الثانى" عن العرش ، وزوجه من ابنته "حتشبسوت" ولكن "تحوتمس الثانى" كان شابا مريضا ضعيفا ، مات بعد سنوات قليلة. هنا انقسم المصريون إلى حزبين:

حزب يرى فى "حتشبسوت" الابنة الشرعية ، صاحبة الحق الأول والأخير فى العرش ، والحزب الآخر يرى أن تقاليد الفراعنة تحتم جلوس رجل على العرش وبذلك يجب أن يتولى الحكم "تحوتمس الثالث" بن "تحوتمس الثانى" من أحدى زوجاته الثانويات ، وكانت تسمى "ايزيس". وكان الملك يميل إلى أن يخلفه رجل على العرش ، فساعده كهنة أمون ، وأصبح تحوتمس الثالث هو ملك مصر ، ولكن لم تمض الا سنوات اربع حتى انتهز حزب "حتشبسوت" الفرصة وجعلها تنفرد بالحكم بعد أن أخرج كهنة أمون قصة تقول بأنها أبنه الاله أمون من جسده ، وأنه أختارها لتحكم مصر بمفردها ، وظل "تحوتمس الثالث" منزويا حتى وفاة "حتشبسوت" وعندئذ انفرد بالحكم ، فكان اقدر من تولى حكم مصر فى عصر الدولة الحديثة.

أرادت الملكة حتشبسوت أن تمثل دور الفرعون الحقيقى ، فتخلت عن ألقاب الملكات وأخذت كل ألقاب الملك المصرى ، وتزينت بزى الرجال ، ومن آثارها الخالدة معبدها الذى شيدته بمنطقة الدير البحرى على الشاطئ الغربى للنيل عند مدينة الأقصر ، ويمتاز عصرها باستتباب الأمن والسلام فى الداخل والخارج. وماتت حتشبسوت بعد أن حكمت ٢٠ سنة ، وتعد من أعظم الملكات اللواتى يعرفهن التاريخ ، ومما يؤسف له أن رجال تحوتمس الثالث خربوا أكثر آثارها انتقاما منها.

ولم يكد تحوتمس الثالث ينفرد بالحكم حتى قام بتنفيذ مشروعاته الضخمة التى انتهت بتدعيم أسس الأمبراطورية المصرية ، التى امتدت من الفرات شمالا إلى الشلال الرابع جنوباً ، وقام بسلسلة من الغزوات بلغت سبع عشرة غزوة إلى بلاد آسيا الغربية.ولم يكن تحوتمس الثالث بطلا حربيا فحسب بل كان أيضا اداريا حازما ، ومنظما عظيما ، ومشيدا لافخم الأبنية ، وكان عهده من أزهى عهود التاريخ المصرى ، بل قل أن تمتعت أمة من أمم المشرق القديم كله بعصر مزدهر ، كما تمتعت مصر فى عصره. وكان تحوتمس الثالث أول فرعون تطاحنت معه الممالك العظيمة المختلفة التى كان يتألف منها العالم القديم اذ ذاك ، وهى ممالك كانت لها مطامع سياسية كثيرة ، ولكنه وقف أمامها صامداً وتغلب عليها كلها ، وفاز لمصر بنصيب الأسد من المناطق الأسيوية ، ويعرف عنه أنه استن سنة جديدة فى استمالة الشعوب التى دانت له بأن أخذ أولاد امرائها وحكامها وادخلهم مدارس خاصة فى طيبة ، ليتعلموا الحضارة المصرية مع زملائهم من الأمراء المصريين وكبار رجال الدولة ، حتى اذا شبوا خلفوا آباءهم فى حكم هذه الشعوب ، كما ساعد بذلك على نشر لواء الحضارة المصرية فى ربوع تلك البلاد.

ويمكننا أن نفهم مما سبق مقدار سلطان تحوتمس الثالث وبطشه فى البلاد التى سيطر عليها فى خارج مصر. فلما توفى انبعث فى قلوب الأمراء الأجانب شئ من الراحة والأمل ، وتطلعوا إلى التخلص من الحكم المصرى ، ولكن أمنحوتب الثانى برهن أمام هؤلاء على أنه ابن تحوتمس الثالث. فلم تمض على توليه عرش مصر بضعة أشهر ، حتى ظهر بجيوشه فى آسيا. وثبت السيادة المصرية هناك ، ويظهر أن الدرس الأول الذى لقنة لهؤلاء الأمراء كان حاسما إلى درجة

أنه لم يعد بجيوشه إلى آسيا الا مرة ثانية ، وأصبح فى مقدورة أن يخصص مابقى من حكمه فى تنظيم أحوال بلاده الداخلية والعناية بشئون السودان.

ومن المحتمل أن تحوتمس الرابع لم يكن الوارث الحقيقى للعرش ، ولو أنه أحد أبناء الملك أمنحوتب الثانى ، وقد بدأ فى تنفيذ سياسة جديدة استهدفت اعادة نفوذ "رع" إلى ما كان عليه فى الأزمنة السابقة والاقلال من نفوذ "أمون" وكهنته. ونجحت هذه السياسة ، وبدأ نضال بين الفريقين أخذ يشتد ويحتدم حتى عصر "أخناتون" الذى ضرب ضربته القاصمة وأعلن الحرب جهارا على "أمون" وعبادته. وكان تحوتمس الرابع أول فرعون اتبع سياسة المعاهدات والتحالف فعقد معاهد صداقة مع بلاد "الميتانى" ضد دولة "الحيثيين" التى كانت تزداد قوة.. وأخذت مطامعها السياسية تقترب من حدود الامبراطورية المصرية. ويمتاز عصر هذا الملك أيضا ببدء التزاوج بين ملوك مصر والأميرات الأجنبيات ، فتزوج هو من الأميرة "موت أم أويا" ابنه "ارتاتاما" ملك الميتانى وانجب منها ابنه أمنحوتب الثالث الذى خلفه على العرش. وبعد أن وطد علاقاته مع ملك الميتانى شرع فى الاتفاق مع ملك بابل وافلح فى ذلك أيضا.

وقامت سياسة أمنحوتب الثالث على السلم والعناية بالشئون الاقتصادية وآثر التجارة ، ولكى ينظم التبادل التجارى بين مصر والأمم الأخرى كون فرقا خاصة تحافظ على الطرق التجارية وتحرسها. وفى عهده تسابقت الامم إلى اكتساب عطف مصر ومحبتها ، ويعتبر هذا أول مظهر سياسى دولى عام فى تاريخ الممالك القديمة ، وصار قصر فرعون مركزا للتخاطب مع كبار حكام هذا العصر ، والدليل على ذلك "رسائل تل العمارنة" التى تبودلت بين حكام الأمم المجاورة وفرعون مصر.

وساعد استتباب الأمن فى مصر والبلاد الخاضعة لها على تكديس الثروات فى خزائن الدولة ، واستغل الملك كل هذا فى تشجيع الفنون المختلفة وبخاصة العمارة والزخرفة. ومبانيه التى خلفها لنا فى معبد الأقصر لأكبر دليل على ذلك. الا أن الملك أخذ يسلك مسلك الأستهتار بالشئون الخارجية فى أواخر حياته ، وانغمس فى الملذات واللهو وكان هذا دافعا لدولة الحيثيين أن تبذر بذور الثورة والاضرابات بين حكام الأقاليم الأسيوية ومات أمنحوتب الثالث وكانت نيران الثورة قد علا لهيبها فى المستعمرات المصرية بآسيا وكان حقا على أمنحوتب الرابع عند توليه العرش أن يسارع إلى الضرب على أيدى هؤلاء الثوار لاعادة الهيبة المصرية إلى قلوبهم ، ولكنه كان شابا مغرما بالمناقشات الفلسفية الدينية أكثر من الأمور الحربية السياسية.

لم يرق فى نظر "أمنحوتب الرابع" تعدد الآلهة فى الديانة المصرية ، ورأى أنها قوى مختلفة لاله واحد هو الأله "أتون" الذى رمز له بقرص الشمس تنبعث منه الأشعة منتهية بايد بشرية. فكان هذا الملك أول من نادى فى مصر بفكرة توحيد الآلهة. ويرى بعض العلماء فى ثورة هذا الملك الدينية ، وكان قد أطلق على نفسه اسم "أخناتون" ، سياسة حكيمة ، سار عليها للتخفيف من تدخل رجال "أمون" فى الشئون الادارية والسياسية ، وهو التدخل الذى زاد واستشرى منذ عصر جده "تحوتمس الرابع" ونجحت سياسته فترة قضى فيها على نفوذ هؤلاء الكهنة.

وبعد أن قام الملك بتوحيد الآلهة فى اله واحد ، وبعد أن غير اسمه إلى "أخناتون" نقل عاصمته إلى مدينة جديدة أسسها بالقرب من تل العمارنة وأطلق عليها أسم "أخت-اتون" وذلك لكى يهيئ بيئة جديدة يمكن أن تنمو فيها بذور دينة الجديد، وأن يتخلص نهائيا من المؤامرات التى ما فتئ كهنة أمون يحيكونها ضده.

وصحبت ثورة أخناتون الدينية ثورة أخرى فى الفن، فأصبح الفنان يرى الأشياء ويصورها كما هى ، لا كما يرغب رجال الدين.

لم يخلف أختانون ابنا يتولى العرش من بعده ، فخلفه "سمنخ كارع" زوج ابنته الكبرى وأخوه من أبيه، وقد قضى مدة حكمه القصيرة فى تل العمارنة ، ولم يعثر له على آثار مهمة ، ثم خلفه صهر ثان لأخناتون، هو "توت عنخ آتون" وكان لايتعدى التاسعة من عمرة، وفى أوائل أيام حكمه غير سياسة البيت المالك ، وبدأت العودة إلى عبادة "أتون" حتى يستميل إليه الشعب ، ورجع إلى طيبة ، وأعاد ترميم معابد أمون وأطلق على نفسه اسم "توت عنخ آتون" ، وقد عثر على مقبرة هذا الملك عام ١٩٢٢ حيث وجدها مكتشفها حاوية لأثاث الملك كاملا ، وهو يمثل التقدم

الحضارى لهذه الأسرة فى أمور المعيشة والفنون.

لم يجلس "توت عنخ أمون" على العرش الا فترة قصيرة لاتزيد على العشر سنوات ، وخلفه زوج مربية أخناتون المدعو "آى" الذى كان من كبار رجال الدين ومن أصهار البيت المالك ، وكان سندا وشريكا فى العرش للملك "توت عنخ أمون" ، وبعد وفاته اعتلى العرش لفترة قصيرة.

لاشك أن فترة الاختلافات الدينية التى حدثت عند دعوة اخناتون للمصريين إلى ترك دينهم القديم ودخولهم فى دينة الجديد ، ثم رجوع "توت عنخ أمون" إلى الديانة القديمة قد جعل مصر ترزخ تحت عوامل الفوضى والأضطراب ، بل أن اعلان "توت عنخ أمون" العودة إلى الدين القديم كان فرصة انتهزها بعض المصريين للقيام بأعمال الانتقام والتخريب. وفى عهد الملك "آى" أخذ اختلال النظام فى البلاد يعظم خطره ، حتى أنتهى إلى فوضى شاملة، كادت تؤدى إلى ظهور عصر اضمحلال ثالث لولا ظهور "حور محب" الذى أفلح فى إعادة النظام إلى البلاد بعد أن زلزلت أسسه منذ موت "أمنحوتب الثالث".

كان "حور محب" هذا قائدا للجيش لا يمت بأية صلة إلى البيت المالك ، فلما خلا العرش ، توجه من منف (مقر قيادة الجيش منذ أول الأسرة الثامنة عشرة) إلى طيبة ونصب نفسه ملكا على مصر، وتزوج من الأميرة "موت – نزم" من أميرات البيت المالك القديم.

ولم يكن "حور محب" قائداً عظيماً فحسب ، بل كان رجلا حصيفا صقلته تجارب الحياة فعرف أن الاستقرار الداخلى أجدى بكثير من افناء موارد البلاد فى حروب طاحنة لايعرف نتيجتها. بدأ حكمه بأن أعاد إلى آلهة طيبة كل ممتلكاتها. وأرسل خيرة رجال الفن لاصلاح ماتهدم من معابد أمون وإعادة اسم الاله على آثارة. ثم أخذ يعيد النظام إلى المرافق المصرية المختلفة ولم تكن هذه الخطوة سهلة لشدة الانحطاط الذى وقعت فيه الإدارة المحلية بسبب ضعف ملوك مصر وتغيير ديانتها، فرأى بثاقب فكره البدء باصلاح الشئون المالية ورفع الظلم الذى حاق بالأهالى على أيدى كبار الموظفين، ثم رأى جمع الضرائب من كل أفراد الشعب المصرى ، أيا كان مركزهم ، بطريقة عادلة توافق الجميع ، والقضاء على الرشوة المتفشية بين جامعى الضرائب ، فأصدر مرسوم قوانينه الذى أبقى عليه الزمن حتى الآن.

أما السياسة الخارجية فقد أضطر إلى تركها وعدم العناية بها ، وكانت نفسه تطمح بلا نزاع إلى الفتح ولكنه فقد الرجاء فى اصلاح تلك المستعمرات الخارجية، مادامت شئون مصر الخارجية سيئة كما اسلفنا. وأما فى الجنوب فقد ارسل حملة تأديبية لقمع ثورة قامت بها بعض القبائل المناوئة. ثم أرسل بعثة إلى بلاد الصومال لجلب حاصلاتها النفيسة.

وحكم "حور محب" ثلاثين عاما ، ومات بعد أن نجح فى سياسته ، اذ أعاد إلى مصر ثقتها فى نفسها.

الأسرة التاسعة عشرة :

وخلفه رمسيس الأول ، وكان رجلا مسنا عندما تولى العرش، ويغلب على الظن أنه كان صديقا لحور محب ، اختاره لأنه رجل عسكرى فى إستطاعته أن يتم رسالته ، وفى السنة الثانية من حكمه اشرك معه ابنه "سيتى" فى حكم البلاد ، ومات بعد ذلك بمدة وجيزة.

بدأ سيتى الأول عصره بحمله سريعة فى آسيا ، أسفرت عن بسط سلطانه على كل فلسطين الجنوبية ، ثم خرج مرة ثانية إلى شمال فلسطين ، وتلاقت جيوشه للمرة الأولى مع الجيوش المتحالفه ضده فى وادى نهر العاصى ، ويظهر أن الحرب كانت سجالا بينهما ، اذ أضطر "سيتى" إلى عقد محالفة مع ملك الحيثيين. وبعد أن حصن حدود الدلتا من غارات الليبيين ، خصص "سيتى" مابقى من سنى حكمه لاصلاح معابد أمون والآلهة الأخرى التى خربتها ثورة "اخناتون" الدينية.

مات سيتى الأول بعد أن حكم البلاد نيفا وعشرين عاما ، فخلفه اصغر أولادة رمسيس الثانى ، الذى لم يبلغ ملك من ملوك الفراعنة مابلغه هذا الرجل من شهرة فى التاريخ. فقد استطاع أبان حكمة الطويل الذى بلغ ٦٧ عاما أن يفرض اسمه وشخصيته على عصره وعلى العصور التالية وأن يملأ البلاد كلها بآثاره.

ويعتبر المؤرخون عصر "رمسيس الثانى" بداية لعصر "الأمبراطورية المصرية الثانية" خرج فى السنة الرابعة من حكمه فى رحلة ليزور أطراف مملكته فى أسيا وليتعرف على أحوال الناس هناك بنفسه ، ويبدو أن الأحوال هناك لم تكن مطمئنة ، إذ نرى رمسيس فى السنة التالية يخرج على

رأس جيش كبير ليهاجم عدوه اللدود ملك الحيثيين الذى كان قد أستولى على قلعة "قادش" ، حانثا بذلك بعهده الذى كان قد أبرمه مع سيتى الأول.

أعد "موتالى" ملك الحيثيين جيشا جرارا ، وكان يريد ولا شك أن يسحق قوة المصريين وأن يزيل نفوذهم وسيادتهم من أسيا وخلد رمسيس الثانى اشتباكه مع هذه الجيوش فى قصيدة تسمى باسم كاتبها "بنتاؤر" عدد فيها ماقام به من أنواع الفروسية والبطولة ، وكيف أنه كاد يقضى عليه لولا ما أوتيه من رباطة الجأش وقوة العزيمة ، ولولا ما قام به الاله أمون من مساعدات كبيرة له فى محنته. ولم تكن هذه المعركة فاصلة بين البلدين ، أذ اضطر رمسيس الثانى إلى أن يشتبك مرات اخرى مع ملك الحيثيين ، ولعل المعركة التى قادها فى العام الثامن من حكمه كانت أهمها ، إذ أعطى درسا قاسيا لدولة الحيثيين ، فاجبرها على أحترام مصر وعدم التدخل فى أمر ولايتها. بعد ذلك ساءت الأحوال فى دولة الحيثيين بعد موت ملكها "موتالى" وقيام منازعات بين أفراد الأسرة المالكه ونجح آخر الأمر "خاتو سيلى" فى إعتلاء العرش ، بدأ حكمه بالتودد إلى مصر طالبا ابرام معاهدة صداقة بينهما. ورحب رمسيس الثانى بهذا العرض وأبرمت المعاهدة فى العام الحادى والعشرين من حكمه وكان من أهم شروطها:

أولا: أن يمتنع كل من الطرفين إمتناعا تاما عن القيام بأى عمل حربى يقصد منه الفتح.

ثانيا: الموافقة على المعاهدات التى أبرمت بين البلدين فيما سبق واعتبارها سارية المفعول.

ثالثا: الموافقة على معاهدة دفاعية لصد كل عدو يعتدى على أحدى الدولتين.

رابعا: تسليم الهاربين والمجرمين والمهاجرين من أحدى الدولتين إلى الأخرى.

ووطدت أركان هذه الصداقة عندما تزوج رمسيس الثانى من كبرى بنات ملك الحيثيين ، وذلك بعد مضى ثلاث عشرة سنة من إبرام هذه المعاهدة. وكان من نتائج هذا أن أنتهت أعمال مصر الحربية فى آسيا الغربية ، وهى الأعمال التى أدت إلى نقل العاصمة فى عصر رمسيس الثانى من طيبة إلى الدلتا ، فقامت مدينة كبيرة أطلق عليها أسم "بر - رعمسو" أى دار رمسيس. ما لبثت أن ازدهرت فيها الحياة وأصبحت مركزا للحضارة والفنون ، تعادل فى ذلك أكبر مراكز مصر العليا.

وعلى الرغم من المميزات الكثيرة التى أتصف بها رمسيس الثانى ، فأنه لم يخل من نقائص، منها إعجابه الشديد بنفسه ، وإطلاق العنان لشهواته ، وإستيلاؤه على كثير مما شيده أجداده من معابد وتماثيل فنقش عليها أسمه ونسبها إلى نفسه ، وكان مزواجا أقترن بعدد كبير من النساء ، أنجب منهن أكثر من مائة وخمسين بين ذكور وأناث ، مات أكثر الأوائل منهم فى حياته ، ولهذا خلفه أبنه الثالث عشر "مرنبتاح".

كان مرنبتاح رجلا قد قارب الستين من عمره عندما آل إليه الملك ، كما كانت منطقة الشرق الأدنى مسرحا لتحركات ضخمة قامت بها شعوب "هندية أوروبية" ، هاجرت من موطنها الأصلى فى وسط آسيا واتهجت نحو الغرب وعاثت فسادا فى كل منطقة حطت فيها ، ونزلت هذه الشعوب فى أسيا الصغرى وجزر بحر الأرخبيل ، وفى بلاد اليونان وشمال افريقيا ، وكان بعضهم يصل عن طريق البر والبعض الآخر عن طريق البحر ، وما لبثت دولة الحيثيين أن هوت أمام هذه الهجرات ، ومن الواضح أيضا أن خطر هذه الشعوب أخذ يقترب من دلتا مصر ، وخاصة من الغرب حيث تحالف الليبيون مع هذه الشعوب وهاجموا مصر فى السنة الخامسة من حكم "مرنبتاح" فقابلهم عند مكان يسمى "برير" فى غربى الدلتا ، وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للمهاجمين ، وهناك لوح حجرى محفوظ بالمتحف المصرى يعرف باسم "لوح إسرائيل" ذكر عليه لأول مرة فى التاريخ أسم "إسرائيل": "ينوعام أصبحت كأن لم تكن ، وإسرائيل أبيدت ولن تكون لها بذرة ، وأصبحت "خارو" (أى فلسطين) أرملة لمصر" ، ويبدو واضحا أن الملك كان يسرد انتصاراته فى آسيا ، لذلك يرى الكثيرون أنه يحتمل أن يكون هو فرعون مصر الذى طرد اليهود منها مع موسى عليه السلام ، غير أن هذا الأمر يشك فيه اذا ما علمنا أن جثته وجدت فى طيبة ، كما أن نتائج التنقيبات الأثرية فى فلسطين جعل خروج بنى اسرائيل فى عهده بالذات غير مؤكد ، وظهرت عدة نظريات بعضها يحدد "الخروج" فى عصر الأسرة الثامنة عشرة والبعض الآخر يحدده فى عصر الهكسوس أو حوالى عهد مرنبتاح ولكن

مازالت كفه خروج بنى اسرائيل من مصر فى القرن الثالث عشر ق.م. هى الراجحة ، ولكن هذه النظريات تقوم على قرائن تحتاج إلى اثباتات علمية قاطعة وستظل هذه المعضلة مفتوحة للمناقشة حتى تظهر أدلة جديدة.

وبعد موت "مرنبتاح" حدث نزاع داخلى على العرش دام عدة سنوات توالى فيها على مصر ملوك ضعاف لم يذكر التاريخ إلا أسماءهم وهم:

"أمون مس" ، "مرنبتاح سابتاح" ، "وسيتى الثانى". وقد بلغت الحالة حدا من الاضطراب سهل على أحد السوريين فى القصر أن يتولى العرش.

الأسرة العشرون :

وفى هذه الآونه ظهر بين المصريين رجل قوى الشكيمة يدعى "ست نخت" ، ربما كان من نسل رمسيس الثانى أعاد إلى البلاد وحدتها وقضى على المطالبين بالعرش وأصبح المؤسس للأسرة العشرين، ولكن لم تدم مدة حكمه أكثر من بضعة أشهر استطاع فى خلالها أن يعد ابنه رمسيس الثالث ليتولى العرش من بعده.

وبدأ رمسيس الثالث (ثانى ملوك هذه الأسرة) حكمه وهو فى شرخ شبابه ممتلئا نشاطا وقوة ، وأحرز نصرا مبينا فى أول أيام حكمه على قبائل الليبيين وشعوب البحر المتوسط ثم ما لبث أن اسرع ليقابل جموعهم التى أخذت تقترب من حدود مصر الشرقية ، فأعد لنفسه العدة برا وبحرا وأجهز عليهم واسترد اكثر مستعمرات مصر فى أسيا. لقد تتابعت حملات هذا الملك نحو الغرب والشرق ، وعمل جاهدا لكى يدفع الخطر عن مصر ، ونجح فى ذلك نجاحا باهرا ، وتمكن من أن يهزم شعوب البحر وأن يرد أذاهم عن البلاد ، وإذا كانت هذه الشعوب قد فشلت فى الأستقرار بمصر فانها نجحت فى أمكنه أخرى واستقرت فيها ، وأصبحت أسماء بعض هذه الشعوب علما على البلاد حتى الآن. فمنهم الـ "بلست" الذين أصبح إسمهم يطلق على فلسطين منذ ذلك العهد ، ومنهم "الشردانا" الذين أعطوا اسمهم لجزيرة "سردينيا" ثم منهم أيضا "الثكر" الذين أعطوا اسمهم إلى جزيرة "صقلية".

لم يكن عهد "رمسيس الثالث" مكللا بالفخار فى خارج البلاد فحسب ، بل لقد نعمت مصر فيه برخاء لابأس به ، وأخذ الملك يشيد المبانى الشاهقة للآلهة المصرية، ويغدق على المعابد والكهنة من الخيرات مالم نسمع بمثله من قبل. ولدينا أكبر وثيقة تاريخية (ورقة هاريس البردية) عدد فيها الملك "رمسيس الرابع" أعمال أبيه وهباته التى قدمها للآلهة المصرية. ونعرف من هذه الوثيقة أن الأراضى المملوكة للمعابد المصرية كانت تقرب من خمس اراضى البلاد كلها، وهكذا كانت خزائن الدولة تحرم من نسبة ضخمة من دخل البلاد لأن أملاك المعابد كانت معفاه من جميع الضرائب ، ولم ينتفع فرعون مصر من هذه الأموال الا بما كان ينفقه على جيوشه وهى عدته الوحيدة التى كان يعتمد عليها ، وكان الجند المرتزقة هم العنصر الهام فى الجيش المصرى وكانت مطالبهم مجحفه ، ويصعب على الملك أن يقودهم ويلزمهم الطاعة إلا ببذل الأموال لهم. ومن أجل هذا انتشرت المؤامرات فى قصور الملك ، ومن الغريب أن كل مؤامرة دبرت لاغتيال الملك (ونعرف الكثير عن أحدى هذه المؤامرات من بردية هاريس) اندس فيها عنصر أجنبى ، ويظهر أن رمسيس الثالث لقى حتفه فى أحدى هذه المؤامرات.

جاء بعد "رمسيس الثالث" ثمانية ملوك بهذا الأسم ، حكموا ما يقرب من ثلاثة أرباع قرن ، ولم تظهر أسماء هؤلاء الفراعنة من الرعامسة الا على أوراق البردى أو على نقوش ليست لها أهمية تذكر ، وحفر ستة منهم مقابر لأنفسهم فى وادى الملوك ، اتسم بعضها بالفخامة، وكان أهم فرعون بينهم "رمسيس التاسع" الذى أقيمت فى عهده قضية كبيرة ضد اشخاص اتهموا بتخريب وسرقة مقبرتى سيتى الأول ورمسيس الثانى فى وادى الملوك.

ومن دلائل ضعف سلطة ملوك هذه الفترة ازدياد نفوذ الكهنة ، زيادة جعلتهم خطرا على العرش ، والدليل على ذلك أن أحدهم صور نفسه فى أحدى المناسبات بحجم كبير مساو لحجم الملك، ويعتبر هذا أول تصوير من نوعه فى التاريخ المصرى اذ لم يسبق لأحد أن تجرأ وصور نفسه بحجم مساو لحجم الملك.

العصر المتأخر من الأسرة الحادية والعشرين إلى نهاية عصر الاسرات ١٠٨٥- ٣٣٢ ق.م :

فى عهد رمسيس الحادى عشر قام أحد زعماء مدينة تانيس (صان الحجر) فى شرقى الدلتا ، واغتصب الملك لنفسه وارتقى عرش مصر تحت أسم "تيسو بانب دد" وهو المعروف باسم سمندس وأصبحت له الكلمة العليا على الدلتا ومصر الوسطى حتى أسيوط.

وهرب رمسيس الحادى عشر إلى العاصمة الجنوبية فى طيبة ولكنه ضعف أمام سلطان الكهنة ، واستطاع كبيرهم "حريحور" أن يعلن نفسه هو الآخر ملكا واستقر فى طيبة ، وبذلك زالت دولة الرعامسة ، وبدأت الأسرة الحادية والعشرون من التاريخ المصرى، ولما كان "حريحور" طاعنا فى السن عندما أعلن نفسه ملكا فان لم يعيش طويلا وخلفه فى الحكم أبنه "باى عنخ" وهذا أيضا كان مسنا ، فلم يستطع التغلب على سلطة سمندس فى الشمال ، وعندما مات خلفه أبنه "بانجم" الذى تمكن بسياسة حكيمة من ضم الشمال إلى الجنوب وذلك بأن تزوج من أبنه "بسوسنس الأول" بن "سمندس" ، وانتقل "بانجم" إلى تنيس حيث أرسل ابنه إلى طيبة كبيرا لكهنة أمون. وعادت الوحدة إلى قطرى مصر وامتد حكم الأسرة الحادية والعشرين نحو مائة وأربعين سنة أى حتى عام ٩٥٠ ق.م. وهذا يجعلنا نعتقد أن ملوكها عاصروا شاءول وداود وسليمان.

وفى عصر هذه الأسرة ظهرت بوادر ثورة جديدة كان قوامها الجند المرتزقة ، الذين ظهروا فى الجيش المصرى وأصبحوا قوة يعتمد عليها فى الأسرة التاسعة عشرة ، ثم هيمنوا على كل شئون الجيش فى عصر الأسرتين العشرين والحادية والعشرين.

وكان العنصر الليبى هو العنصر المهم بين هؤلاء الجند ، اذ كونوا من أنفسهم فرقا يقود كلامنها رجل من بينهم ، وقوى شأن هؤلاء القواد وظهرت فى أواخر أيام الأسرة الحادية والعشرين أسرة تنتمى إلى رجل ليبى اسمه "يويوواوا" واستقرت الأسرة فى مدينة أهناسيا فى محافظة بنى سويف ، وأصبح أميرها يتقلد منصب رئيس كهنة الاله "حريشف" رب هذه المدينة. وفى أواخر عصر الأسرة الحادية والعشرين كان زعيم هذه الأسرة الليبية رجلا اسمه "شاشانق" ، تمكن من تدريب جيش كبير يذود به عن نفسه وعن مقاطعته ، وحفيد هذا الرجل ، وكان أسمه على أسم جده ، هو الذى أسس الأسرة الثانية والعشرين التى حكمت مصر مايقرب من قرن ونصف قرن وكان مقرها "تل بسطه" (الزقازيق). وفى أواخر أيام هذه الأسرة انحلت السلطة المركزية انحلالا كبيراً وانقسمت مصر على نفسها ، وفى هذه الظروف القاسية يذكر التاريخ أسماء حفنة من ملوك ضعاف حكم بعضهم على أنهم من الأسرة الثالثة والعشرين والبعض الآخر من الأسرة الرابعة والعشرين، وفى هذه الظروف بعينها كانت بلاد السودان مسرحا لنهضة كبيرة وحضارة مزدهرة قامت على أكتاف عدد كبير من كهنة أمون الذين هربوا إلى السودان.

وفى النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد تمكن رجل اسمه "كاشتا" من أن يقيم صرح دولة قوية فى بلاد السودان تعرف فى التاريخ باسم "دولة نباتا" ثم انتهز ابنه فرصة ضعف السلطة فى مصر فتقدم "بعنخى" حوالى عام ٧٢٥ ق.م على رأس قوة كبيرة اشتبكت فى حروب عدة مع "تف نخت" (أحد ملوك الأسرة الرابعة والعشرين) وانتهت هذه المعارك بسقوط منف ثم الدلتا ، وبعد أن عاد "بعنخى" إلى بلاده ثار عليه "تف نخت" مرة أخرى فاسرع ولى العهد "شباكا" وهزم المصريين وقتل تف نخت وأحرق ابنه "بوخوريس" حيا ، وبذلك أنتهت الأسرة الرابعة والعشرون وتكونت الأسرة الخامسة والعشرون من ملوك نوبيين حكموا مصر لمدة نصف قرن ، هم: شباكا ، وشباتاكا ، وطهارقة وتانوت أمون وقضى الاشوريون على حكم هذه الأسرة فى مصر.

أسس الأسرة السادسة والعشرين "بسماتيك الأول" حفيد المجاهد "تف نخت" الذى قاوم "بعنخى" مقاومة عنيفة فى الدلتا كما سبق ذكره ، وعندما استقر "تانوت أمون" فى نباتا تاركا مصر تحت رحمة الأشوريين أخذ أمراء صا الحجر من سلاله "تف نخت" العظيم ، على عاتقهم تخليص مصر من المستعمرين الجدد ، وقاوم "بسماتيك" هذا بعقد محالفة مع "جيجس" ملك ليديا ، الذى كان هو الآخر مهددا من الأشوريين ، وكان يرنو إلى تحطيم قوتهم فى مصر وفى غرب أسيا ، فارسل إلى "بسماتيك" قوة كبيرة من الجند المرتزقة المدربين على القتال بكامل عدتهم ، واستعان بهم على طرد الأشوريين من مصر ، وما لبثت مصر أن دانت كلها له وأصبح الملك المتوج عليها.

وإضطر ملوك هذه الأسرة إلى أن يعيدوا لمصر ممتلكاتها فى فلسطين وسوريا ، ليقيموا جدارا قويا أمام أطماع البابليين الذين أخذوا يمدون سلطانهم على غرب أسيا. ونجح المصريون فى صد الخطر عنهم، ولو إلى حين.

كان أهم ملوك هذه الأسرة هم "بسماتيك الاول ، نيخاو ، بسماتيك الثانى ، أبريس ، أحمس ، بسماتيك الثالث" ، وكان هؤلاء الملوك يشجعون هجرة الاغريق إلى مصر ، ولكنهم من ناحية أخرى عملوا جاهدين على أحياء القديم وارجاع ما كانت تتمتع به مصر من مظاهر حضارية. وجعلوا من الدولتين القديمة والوسطى نموذجا ينسجون على منواله سواء فى ألقاب البلاط الملكى ، أو فى اللغة ، أو فى طريقة كتابة النقوش ، وانبعث فى الفن روح الحياة من جديد. وهكذا نعتبر عصر هذه الأسرة عصر بعث للقديم ، حاول الناس فيه أن ينفثوا الحياة فى حضارة مضى عهدها ودرست آثارها منذ زمن طويل ، ولكن هذا الحلم الجميل لم يدم أكثر من قرن واحد ثم أغار بعده قمبيز عام ٥٢٥ ق.م. على مصر وهزم ملكها بسامتيك الثالث وأسرة وسجنه فى عاصمة الفرس، وأصبحت مصر بذلك ولاية فارسية ، وظلت مايقرب من قرنين تئن تحت هذا الحكم القاسى. ولقد تمكنت البلاد من أن تقوم بثورات مختلفة حيث نجح بعض ملوك الاسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين فى تخليص مصر من نير الفرس الذين يذكر التاريخ أنهم أسسوا الأسرتين السابعة والعشرين والثامنة والعشرين. ولكن ذلك النجاح كان وقتيا فلم يلبث أن تهاوى أمام بطش ملوك الفرس. واستمرت أحوال مصر فى ثورات متلاحقة واضطرابات لاحد لها وحركات قومية تناوئ بقاء الفرس فى مصر ، حتى أخذ نجم الإسكندر يتلألأ فى أفق العالم ، وأخذت معاركة ضد الأمبراطورية الفارسية تنتهى بانتصارات باهرة واتجه إلى مصر بعد أن عرف الكثير عن تذمر أهلها من الفرس فدخلها عام ٣٣٢ ق.م. وأظهر أحترامه الكامل لديانه المصريين وعاداتهم فقدم القرابين لآلهتهم كما حرص على أن يتم تتويجه ملكا على مصر وفق التقاليد القديمة فى مدينة منف فى هليوبوليس وقضى الإسكندر الأكبر على الأحتلال الفارسى وانتقلت مصر بذلك إلى عصر جديد هو العصر البطلمى.

قائمة بأسماء حكام مصر:

الأسرة الأولى :

- نعرمر
- عحا
- جر
- جت
- دن
- مريت نيت
- عج أيب
- سمر خت
- قاعا

الأسرة الثانية :

- نى نثرو
- ونج
- سند
- بر إيب سن
- خع سخموى

الدولة القديمة :

الأسرة الثالثة :

- سانخت (نب كا)
- جسر (إرى خت نثر)
- سخم خت
- خع با
- حونى

الأسرة الرابعة :

- سنفرو
- خوفو
- جدف رع

- خفرع
- منكاورع
- شبسسكاف
- خنتكاوس

الأسرة الخامسة :

- وسركاف
- ساحورع
- نفر أير كارع
- شبسسكارع
- نفر أف رع
- نى وسر رع
- منكاور حور
- جد كاورع
- ونيس "أوناس"

الأسرة السادسة :

- تتى
- وسر كارع
- ببى الأول
- مرنرع
- ببى الثانى
- نيت اقرت

عصر الإنتقال الأول :

الأسرتان السابعة والثامنة :

الأسرتان التاسعة والعاشرة :

- خيتى
- خيتى واح كارع
- مرى كارع
- إتى
- حكام طيبة

- منتوحتب الاول نب عا
- انتف سهر تاوى
- أنتف نخت نب تب نفر

الدولة الوسطى

الأسرة الحادية عشر

- منتوحتب نب حبت رع
- منتوحتب سعنخ كارع
- منتوحتب نب تاوى رع

الأسرة الثانية عشرة :

- أمنمحات الأول
- سنوسرت الأول
- أمنمحات الثانى
- سنوسرت الثانى
- سنوسرت الثالث
- أمنمحات الثالث
- أمنمحات الرابع
- سوبك نفرو

الأسرة الثالثة عشرة :

- حور خنجر
- سوبك حوتب الأول
- سوبك حوتب الثانى

الأسرة الرابعة عشرة :

- مجموعة من حكام الشمال تزامن حكمهم مع ملوك الأسرة الثالثة عشر

عصر الإنتقال الثانى :

الأسرة الخامسة عشرة (هكسوس) :

- سالاتيس
- خيان
- عاوسر رع أبو فيس

الأسرة السادسة عشرة (هكسوس) :

- مجموعة من الحكام الموالين للهكسوس وتزامن حكمهم مع حكم ملوك الأسرة ١٥

الأسرة السابعة عشرة :

- حكم وطنى فى طيبة
- إنتف
- تاعا الأول
- تاعا الثانى سقنن رع
- كامس

الدولة الحديثة :

الأسرة الثامنة عشرة :

- أحمس
- أمنحتب الأول
- تحتمس الأول
- تحتمس الثانى
- حاتشبسوت
- تحتمس الثالث
- أمنحتب الثانى
- تحتمس الرابع
- أمنحتب الثالث
- أمنحتب الرابع (إخناتون)
- سمنخ كارع
- توت عنخ آمون
- آى
- حور محب

الأسرة التاسعة عشرة :

- رمسيس الأول
- سيتى الاول
- رمسيس الثانى
- مرنبتاح
- أمون مس
- سيتى الثانى
- سابتاح
- تاوسرت

الأسرة العشرون :

- ست نخت
- رمسيس الثالث
- رمسيس الرابع
- رمسيس الخامس
- رمسيس السادس
- رمسيس السابع
- رمسيس الثامن
- رمسيس التاسع
- رمسيس العاشرة
- رمسيس الحادى عشر

العصور المتأخرة :

الأسرة الحادية والعشرون :

- سمندس
- أمون مس
- بسوسنس الأول
- أمون إم أوبت
- وسركون الكبير
- سيا أمون
- بسوسنس الثانى

الأسرة الثانية والعشرون :

- شاشنق الأول
- وسركون الأول
- شاشنق الثانى
- تكلوت الأول
- وسركون الثانى
- تكلوت الثانى
- شاشنق الثالث

- باماى
- شاشنق الخامس
- وسركون الرابع

الأسرة الثالثة والعشرون :

- بادى باست
- شاشنق الرابع
- وسركون الثالث

الأسرة الرابعة والعشرون :

- بك إن رنف

الأسرة الخامسة والعشرون :

- بعنخى
- شابكا
- شبتكا
- طاهرقا
- تنت أمون

الأسرة السادسة والعشرون :

- نكاو الأول
- بسماتيك الأول
- نكاو الثانى
- بسماتيك الثانى
- واح أيب رع (إبريس)
- أحمس الثانى
- بسماتيك الثالث

الأسرة السابعة والعشرون (العصر الفارسى الأول) :

- قمبيز
- دارا الأول
- إكسركسيس الأول
- إرتكسر كسيس الأول
- دارا الثانى
- إرتكسر كسيس الثانى

الأسرة الثامنة والعشرون :

- أمون رديس (أمير تايوس)

الأسرة التاسعة والعشرون :

- نايف عاو رود الأول (نفريتس)
- هجر
- نايف عاو رود الثانى

الأسرة الثلاثون :

- نختنبو (نخت نب إف) الأول
- تاخوس جدحر
- نختنبو (نحت حرحب) الثانى

العصر الفارسى الثانى :

- إرتكر كسيس الثالث
- أرسيس
- دارا الثالث
- الإسكندر الأكبر

الأسرة المصريه :

عندما أراد حكيم الدولة القديمة "بتاح حتب" الذى عاش منذ نحو ٤٥٠٠ سنة أن ينصح ابنه ، كان من بين ما أوصاه به أن قال "إذا كنت رجلا حكيما فكون لنفسك أسرة".

ذلك بأن المصرى القديم ، كأخلافه من المصريين الحاليين ، كان قد أعتاد منذ أزمان طويلة على التبكير فى الزواج ، واعتبار الزواج من أهم العوامل التى يقوم عليها المجتمع المصرى الصالح . فتكوين الأسرة عند المصريين القدماء كان أمراً بالغ الأهمية ، يوصى به الرجل أولاده ليل نهار ، فإذا ما كبر الابن واشتد عوده، فإن أول ما يفكر فيه والداه أن يبحثا له عن زوجة صالحة ، يرزق منها بخلف صالح من بنين وبنات يفرح بهم قلبه وينشرح لمرآهم صدره ، ويخلد بهم ذكراه ، ويجد فيهم عوناً على أمور حياته وشئون معيشته.

وهذا المعنى يبرزه دائما أهل الحكمة والموعظة الحسنة، ويؤكده الحكماء دائماً فى أقوالهم التى تجرى على ألسنتهم مجرى الأمثال خلال عصور التاريخ المصرى القديم كله.

فمن بعد حكيم الدولة القديمة "بتاح حتب" بقرون عدة أتى حكيم آخر فى الدولة الحديثة ، عاش منذ نحو ٣٣٠٠ سنة ، وقال هو أيضاً ينصح ابنه ويوصيه : "بأن من كان حكيما يتخذ له فى شبابه زوجه تلد له أبناء ، فإن أحسن شئ فى الوجود هو بيت الإنسان الخاص به".

فهذا الحكيم "آنى" يرى أن خير ما يرتجى هو أن يكون للانسان بيت ، وأن يكون للمرء أسرة ، حتى يشعر بالاستقلال والراحة فى بيت يختص هو به دون غيره ، يشمله الهدوء ويسوده الاستقرار.

ولم يكن هذا هو الهدف الوحيد من الزواج ، فإنشاء بيت يختص به الإنسان كان من ضمن الأغراض ، ولكنه لم يكن على أى حال هو الغرض الأكبر من الزواج.

وشيخنا حكيم الدولة الحديثة "آنى" يزيد هذا الأمر وضوحاً ويجليه تجلية جميلة حين يعقب على ما سبق أن قال من "أن يتخذ المرء لنفسه زوجة وهو صغير" ، إذ يستمر فيسبب ذلك بسبب هام هو:

"حتى تعطيك إبنا تقوم على تربيته وأنت فى شبابك، وتعيش حتى تراه وقد اشتد وأصبح رجلا إن السعيد من كثرت ناسه وعياله ، فالكل يوقرونه من أجل أبنائه".

فالإكثار من الأولاد والنسل كان هدفا... يبتغونه ويسعون إليه ، ويعملون على تحقيقه ، ذلك بأن الأولاد فى هذه الأزمنة القديمة لم يكونوا عبئا على آبائهم وذويهم ، وإنما كانوا عونا لهم. فالحياة القديمة كانت سهلة ميسرة ، وبخاصة فى بلاد كمصر تعيش على الزراعة وفلاحة الأرض والزراعة فى حاجة دائما إلى أيد عاملة ، وكلما كثر الأولاد كلما زدات الأيدى العاملة فى الحقل فيساعد الأولاد آباءهم فى شئون الزراعة وفلاحة الأرض ، ويكون له منهم أداة نافعة نشيطة تساعدة وتعاونه ، ويجد فيهم كسبا اقتصاديا ، لا خسارة، وإنما كسب من ورائها ، وبذلك يصبح أمر الزواج وإنجاب الأولاد كشركة تدر ربحا ، او طريقة تجعل الرجل والمرأة وأولادهما إذا ما تعاونوا فى العمل كانوا أنجح فى الحياة وأقدر مما إذا عمل الرجل والمرأة وحدهما.

ولقد عمل المجتمع المصرى القديم دائما على رفع شأن الأسرة وتمجيد من يعمل على إرساء أسسها القويمة. فالأب الذى يقوم على رأس الأسرة كان يتمتع بمركز تحوطه المهابة ، وكان الناس يحترمونه ويوقرونه من أجل أبنائه كما يقول الحكيم . ولا نزال حتى اليوم فى مصر الحديثة نفخر بذلك فنكتفى بلقب "أبو فلان" ليكون علما وتعريفا بالشخص ، بدلا من ذكر اسمه.

ولم يكن مركز الأم بأقل من ذلك شأنا ، إذ أن هذا المجتمع المصرى القديم لم ينس أبدا فضل الأم على أولادها ، ولا حق الأم على من ولدتهم وحملتهم فى بطنها ، وهنا يحدثنا "آنى" شيخ الدولة الحديثة وحكيمها ، موجها النصح لابنه فى عبارة بليغة ، هى وإن كانت بسيطة إلا أنها مليئة بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيقول:

"أطع والدتك واحترمها ، فإن الإله هو أعطاها لك ، لقد حملتك فى بطنها حملا ثقيلا ناءت بعبئه وحدها ، دون أن أستطيع لها عونا ، وعندما ولدت قامت على خدمتك أمة رقيقة لك ، ثم أخذت تتعهدك بالإرضاع ثلاث سنوات طوال ، وعندما اشتد عودك لم يسمح لها قلبها أن تقول: "لماذا أفعل هذا" وكانت ترافقك فى كل يوم إلى المدرسة ، لتدرس وتتعلم وتتهذب ، ثم تغدق على معلمك خبزا وشرابا من وفير خيرات بيتها ، والآن وقد ترعرعت واتخذت لك زوجة وبيتا فتذكر أمك التى ولدتك وأنشأتك تنشئة صالحة ، لا تدعها تلومك وترفع أكفها إلى الله فيستمع شكواها".

وفى قصة يرجع عهدها إلى نحو أربعة آلاف سنة ، وضعت فى الدولة الوسطى وتعرف الآن فى الأدب المصرى القديم بقصة "الملاح الغريق" وصف لرحلة قام بها بحار فى سفينة كبيرة ضمت أحسن ملاحى مصر الشجعان ، وفى خلال الرحلة هبت عاصفة شديدة هوجاء قلبت السفينة ومات كل من كان فيها ، ولم ينج منها إلا هو ، إذ أن موجة من البحر ألقته على جزيرة وجد فيها كل ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، من زاد وفير وشراب نمير ، أكل منه وشرب حتى قنع وارتوى وبينما هو يحمد ربه على ما قدر وأعطى وإذا بصوت رعد يدوى تحطمت لشدته الأشجار ، وزلزلت الأرض ، ثم وجد حية ضخمة تتلوى زاحفة إلى الأمام ، وتقتربمنه وتسأله من أين أتى ؟ فيخبرها بأمر رحلته وما حدث له ، فيرق قلبها له وتطمئنه وتتنبأ له بأنه سيعود إلى وطنه بعد أربعة شهور وتقص عليه قصة حادث حدث لها فى الجزيرة فقدت فيه أولادها وإخوتها ، وتقول له تعزيه وتشجعه : " لكنك إذا ثابرت واصطنعت الصبر فإنك ستحضن أولادك ، وتقبل زوجتك وترى بيتك مرة ثانية ، وهذا أطيب وأفضل من كل شئ آخر" ، ففى هذه القصة القديمة ، والقصص القديمة كلها فى الأغلب الأعم تعكس أخيلة مما يدور فى أذهان الناس وعقولهم وتعطى صورا من حياتهم ومبلغ تفكيرهم ، ينظر إلى العودة إلى البيت بعد غيبة ، ورؤية الأولاد بعد شوق ، وتقبيل الزوجة بعد فراق ، كأمر من أعلى وأروع ما يشتهيه المرء ويحرص على بلوغه.

والصورة التى ترسمها لنا هذه القصة لا شك رائعة، فهى تعبر تعبيراً حياً عن قوة الرابطة التى تربط بين أفراد الأسرة الواحدة ، أنظر إلى الحية وهى تقول إنها كانت تعيش فى الجزيرة مع إخوتها وأولادها وكانوا جميعاً ٧٥ حيه وأن نجماً هوى استحال به هؤلاء (أى أقاربها) إلى لهب ، فاحترقوا وكانت هى بعيدة عنهم ، وعندما جاءتهم فوجدتهم على هذه الحال كادت تموت من الحزن عليهم عندما وجدتهم كوماً واحداً من الجثث ، وهى تريد بذلك أن تهون على صاحبنا الملاح من أمر ما لاقاه من أهوال ، وتقول له أن الله سيعوضه عن ذلك بشئ رائع جميل هو الرجوع إلى بيته الحبيب ، وأولاده الأعزاء ، وزوجته الأثيرة عنده.

انظر الأدب (أدب القصص)

ونحن إذا عدنا مرة ثانية إلى شيخنا حكيم الدولة القديمة "بتاح حتب" نجده يقول بعد أن مجد الرجل الذى يكون لنفسه أسرة ووصف عمله بالحكمة وسماه حكيما ، نقول نجد حكيم الدولة القديمة هذا يضع دستوراً قويما لمعاملة الزوجة ، يرسم فيه السياسة المثلى التى تكفل حسن المعاشرة ودوام المودة والتآلف ، واستمرار روح التعاطف بين الزوجين. أنظر إليه وهو يقول :

" أحبب زوجك فى البيت كما يليق بها

املأ بطنها واكس ظهرها

واعلم أن الضموخ علاج لأعضائها

أسعد قلبها ما دامت حية

لأنها حقل طيب لمولاها "

فالوصية الأولى فى هذا الدستور هى أن يحب الزوج زوجته ، فجعل الحكيم الحب أساس العشرة الزوجية. ونحن نستطيع أن نشاهد هذا الحب وهذه المودة والألفة وروح التعاطف التى كانت تسود بين الزوجين ، نستطيع أن نشاهدها ونراها رأى العين فى كل الرسوم التى وردت على جدران المقابر ، أو فى التماثيل التى خلفها المصريون القدامى ، فنحن نجد فى هذه الصور الشريف إذا خرج لرياضة الصيد واعتلى متن قاربه وأخذ ينساب به ويتهادى فوق صفحة الماء الرقراق الذى يملأ المناقع ، نراه دائماً وقد اصطحب زوجته ، تقف معه فى القارب تساعده وهو يمسك بعصا الرماية يصيد بها الطيور ، كما نرى إحدى بناته معه تعاونه أيضاً. إن هذه لصورة من اجمل صور الحياة العائلية جميعاً.

وثمة صورة أخرى نراها على ظهر كرسى عرش الملك "توت عنخ أمون" نرى فيها منظراً خلاباً تتجلى فيه الحياة المنزلية على حقيقتها ، فالملك جالس فى غير تكلف ، والملكة ماثلة أمامه وفى إحدى يديها إناء صغير للعطر تأخذ منه باليد الأخرى عطراً وتلمس به كتف زوجها برقة ولطف وتعطره به.

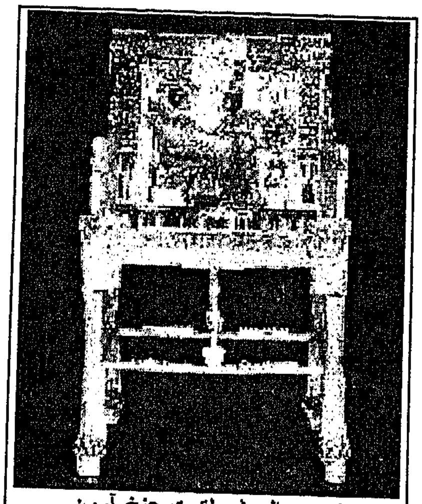

كرسى العرش لتوت عنخ آمون

وفى صورة أخرى للملك نفسه نجد الزوجة وقد انطرحت عند أقدام زوجها تشير بإحدى يديها إلى بطة فى المستنقع من أمامه وتعطيه باليد الأخرى سهماً لكى يسدده نحوها .

أو فى صورة أخرى وهى تقف إلى جانبه وتسند ذراعه ، كناية عن معاونتها له ومساندتها إياه فى جميع الأعباء التى تحمل عنه نصيبها فيها.

وفى لوح مربع بالمتحف المصرى من عهد الملك "أخناتون" نرى الملك والملكة جالسين متقابلين تحت

أخناتون وعائلته

أشعة قرص الشمس "آتون" يدللان بناتهما ويعد هذا المنظر من أروع المناظر العائلية التى وصلت إلينا من عهدى "أخناتون" و "توت عنخ أمون".

ونحن نستطيع أن نورد من الأمثلة ما يملأ صفحات، وإن كان لابد لنا أن نشير إلى التماثيل التى تمثل الزوج وزوجته وتمتلئ بها متاحفنا فى العصر الحاضر فإننا نرى فيها عادة الزوجة وهى تلف ذراعها حول الجزء الأعلى من جسم زوجها ، فى رقة ولطف كناية عن إنعاطفها إليه وإخلاصها له.

فالمصرى القديم لم يكن فى حاجة إلى حكيم يوصيه بحب زوجته ، إذ كان هذا الحب فى طبعه وسليقته ، وكان الإخلاص قبلته والعطف شريعته . ألم يكتب رجل فقد زوجته بعد غيبة عنها اقتضتها ظروف وظيفته فحزن حزناً شديداً على موتها حتى أصابه المرض ، وقيل له أن مرضه قد تسببت فيه زوجته المتوفاة لغيبته عنها أثناء مرضها ، فكتب هذا الخطاب إلى روح زوجته ووضعه فى مقبرتها ، وفيه يقول يستعطفها ويسترضيها:

"ماذا فعلت بك من سوء حتى أجد نفسى فى هذه الحالة السيئة التى أنا فيها الآن؟

لقد كنت زوجتى عندما كنت فى سن الشباب وكنت عندك ولم أتخل عنك ، ولم أدخل على قلبك أى هم . وعندما كنت أرأس ضباط جيش فرعون وجنود العربات جعلتهم يحضرون ليخروا سجداً بين يديك ، وقد جلبوا أنواعاً وأشكالا من الأشياء الجميلة يضعوها أمامك ، ولم أخف شيئا عنك طول حياتك ، ولم أفعل بك سوءاً ولم أخنك ، وعندما مرضت بهذا المرض الذى اعتراك ، استحضرت كبير الأطباء ، فصنع لك دواء ، وأجاب كل طلب لك ، وعندما وجب على أن أرحل إلى الجنوب فى رفقة فرعون ، كنت بأفكارى عندك ، وقضيت الشهور الثمانية دون أن آكل أو أشرب كما يفعل الناس ، وعندما عدت إلى منف استأذنت فرعون وحضرت إليك وبكيتك كثيراً مع أهلى أمام منزلى ، واستحضرت ملابس وأقمشة لكى يلفوك فيها ، ولم أدع شيئاً حسناً إلا فعلته لك ".

والوصية الثانية فى دستور "بتاح حتب" التى يوصى بها الزوج هى أن : "يملأ بطنها ويكسو ظهرها ، ويعلم أن الدهون المعطرة علاج لأعضائها".

لاشك فى أن "بتاح حتب" كان خبيراً بخلجات الروح وطبائع النفوس ، وأنه قد سبر أغوارها واستكنه خباياها وغاص فى بحور خفاياها ثم خرج لنا بدروس تمثل أدق تفاصيل الحياة فى واقعها العملى .

فاشباع غريزة الجوع كان ولا يزال منذ أقدم عصور التاريخ أولى حاجات الإنسان الأول. فمطلب الإنسان الأساسى هو أن يسد رمقه ويشبع جوعه ، ويسد عوزه، وهى حاجة طبيعية أزلية قديمة قدم الإنسانية نفسها . فالزوج مكلف بأن يطعم زوجته ، أو على حد تعبير حكيمنا "أن يملأ بطنها" فهذا هو المطلب الأول من مطالب الحياة الذى لا غنى عنه، وهو أساسى جوهرى كما رأينا.

ويشفع حكيمنا سد هذا المطلب بمطلب آخر، له هو أيضاً أهميته "يكسو ظهرها" أى يأتى لها بالملابس التى تكسو بدنها. فحكيمنا كان يعلم تماماً ، كما نعلم نحن الآن، كيف كانت تزهو المرأة بملبسها وتتيه به فخراً إن كان جميلا ، ونحن نستطيع إدراك ذلك ومبلغ ما كانت تعلقه النساء فى مصر القديمة على أناقة ثيابهن - من مجرد النظر إلى الثوب الذى ترتديه "تفرت" ، وهو ثوب ضيق يبلغ فى ضيقه ثياب النساء الحالية ، وهو ينسكب على جسدها ويلتصق به التصاقاً شديداً فيبرز محاسن هذا الجسد الغض ومفاتنه فى تناسق جميل وحسن خلاب.

فالملابس الهفافة ، الجميلة الشفافه ، التى تتشبة فى بعض أجزائها الثنايا (البيلسيه) ، والتى تبين منها مفاتن الجسد وحسنه الوضاء كانت تغرى المرأة

المصرية القديمة بقوة الإغراء نفسها التى تثيرها عند المرأة الحديثة . ولذلك فقد أوصى حكيمنا الزوج بالاهتمام بهذا الأمر الذى كان يقدر أهميته وخطره عند المرأة وقوة تأثيره عليها . ولم يكتف حكيمنا بذلك بل أضاف إليه شيئا آخر ، هو أقصى ما وصل إليه فن تجميل المرأة من عبقرية ، ألا وهو إبراز هذه المفاتن فى إطار جذاب رقيق يفوح بالعطر الذى يبعث فى النفوس النشوة والافتتان ، فيقول للزوج " عليك أيضاً أن تضمخ جسمها بالدهون والضموخ والعطور ، فهذا علاج لأعضائها ، أى فيه تطرية لحسن وجمال.

إن هذا لعمرى لأسلوب جميل فى فن المعاشرة ، إن دل على شئ فإنما يدل على رقة الشعور والحساسية والتفكير السليم فى الأمور بما يريح النفس ويرضى الخاطر.

ثم يختتم حكيمنا وصيته للزوج بأن "يسعد قلبها ما دامت حية لأنها حقل طيب لمولاها".

وهنا يكون حكيم الدولة القديمة قد بلغ الذروة فى فلسفة الحياة، وأنه لعليم بأن ما سبق أن أوصى به من آيات عطف الزوج على زوجته كفيلة بأن تسعد قلب الزوجة ، وسعادة القلب لا تعد لها سعادة ، ورضا النفس هو أساس السعادة لها، بيد أن ما يطرب ويعجب فى كلام حكيمنا هو تشبيهه البليغ للمرأة بالحقل الطيب الذى يؤتى ثماره ويعود بالخير الوفير على صاحبه ، وهو تشبيه قريب بما ورد فى أجل كتاب سماوى ألا وهو القرآن فى بلاغته وأعجازه[1].

ثم أن حكيمنا هذا يستمر فيوصى الزوج بقوله: " لا تكن فظاً ولا غليظ القلب ، لأن اللين يفلح معها أكثر من القوة ".

انتبه إلى ما ترغب فيه وإلى ما تتجه نحوه عينها واجلبه لها ، فبهذا تستتبقيها فى منزلك وتجعلها تقيم فى دراك".

ولم يكن حكيم الدولة القديمة فذاً فى سن هذا الدستور ووضع هذه القواعد لمعاملة الزوجة . فهناك حكيم الدولة الحديثة وقد سبق ذكره ، واسمه "آنى" ، كان له هو أيضاً وصيته التى يوصى بها لمعاملة الزوجة . إذ نراه يقول:

" لا تمثل دور الرئيس مع زوجتك فى بيتها (أى لا تقس عليها) إذا كنت تعرف أنها ماهرة فى عملها ، ولا تسألها عن شئ أين موضعه إذا كانت قد وضعته فى مكانه الملائم.

واجعل عينيك تلاحظ فى صمت حتى يمكنك أن تعرف أعمالها الحسنة.

وإنها لسعيدة إذا كانت يدك معها تعاونها . تعلم كيف يمنع الإنسان أسباب النزاع فى داره ، إذ لا مبرر لخلق النزاع.

وكل إنسان يستطيع أن يتجنب إثارة النزاع فى بيته إذا تحكم فى نزاعات نفسه".

فهذا الحكيم قد ساق أحكاماً تكفل لمن يتبعها دوام الاستقرار فى بيته ، فهو ينصح ابنه بعد أن أصبح رب بيت أن يكون حكيما فى سلوكه مع زوجته ، وأن لها يد المعونة ، وأن يحسن سياستها حتى يبتعد عن كل خلاف أو نزاع.

قلنا أن الزواج كان أمنية المصرى القديم وقبلته ، وان المصريين القدماء كانوا يبكرون فى الزواج كما يبكر فيه الفلاحون لدينا الآن ، ومرد ذلك كله إلى رغبة المصرى فى أن يصون ولده ويبتعد به عن مواطن الزلل. وفى ذلك يقول حكيمنا "آنى" فى التحذير من النساء اللاتى تحوطهن الشبهة:

" احذر المرأة الغريبة المجهولة فى بلدتها ، لا توجه إليها لحاظك... ولا تتعرف إليها ، إنها لجة شاسعة عميقة لا يعرف تيارها . أن المرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم : "إنى جميلة " عندما لا يكون لديها شهود ، وهى تقف وتلقى الشباك... ما أشدها خطيئة تستحق الموت إذا استمع الإنسان إليها.

ولذلك فمن كان حكيماً يتجنبها ، ويتخذ له فى شبابه زوجة ، تلد له أبناء ، فإن أحسن شئ فى الوجود هو بيت الإنسان الخاص به ".

والمصرى القديم حين يتزوج كان يكتفى عادة بزوجة واحدة هى زوجته الشرعية التى يطلق عليه " نبت بر" أى سيدة البيت . ومفهوم هذا اللقب أنها هى التى تقوم على رعاية المنزل وتدبير أمره ، وتوفير سبل الراحة فيه.

---

[1] هذا التشبيه ورد فى القرآن فى قوله : "نساؤكم حرث لكم" (سورة البقرة).

لقد كانت المرأة المصرية العادية تعتبر بحق حجر الزاوية فى جميع الشئون المتعلقة بالمنزل وإدارته . فهى تستيقظ فى الصباح الباكر ، فتوقد النار ، وتعد طعام الإفطار ، فيفطر زوجها وأولادها ، وينصرف الرجل وأكبر الأبناء إلى أعمالهم ، ويذهب الصغار مع الماشية والأوز لترعى . فإذا تم لها هذا خرجت هى إلى الترعة المجاورة لتملأ جرتها ، أو لتغسل ملابسها، ثم تعود إلى منزلها مزودة بما يكفيها من الماء بقية اليوم. ثم يأتى دور إعداد الخبز فتضع الحبوب على قطعة من الحجر مستطيلة الشكل وتجرشها بقطع أخرى من الحجر أصغر حجماً ، فإذا قضت فى هذا العمل الشاق ساعة أو بعض الساعة حصلت على نوع خشن من الدقيق تضعه فى هون وتدقه مرة أخرى لتحيله إلى دقيق أنعم ، ثم تعجنه بعد ذلك وتخبزه .

ولا تنتهى واجبات المرأة عند هذا الحد ، إذ كان عليها أن تطبخ وتغزل وتنسج وتحيك الملابس وترتقها لزوجها وأولادها ، كما كانت تختلف إلى الأسواق لتبيع طيورها وزبدها وما نسجته من أقمشة ، كل ذلك دون أن تغفل عن أطفالها الذين يضجون ويصخبون من حولها ، أو رضيعها الذى تتعهده بالعناية والإرضاع.

ولما كانت المرأة فى مصر القديمة تتزوج فى سن مبكرة ، فقد كانت ترزق بالاولاد فى سن الخامسة عشرة، وتصبح جدة فى سن الثلاثين. وكان المنزل يمتلئ عادة بالأولاد الذين يزدادون عدداً فى كل عام ويتكاثرون.

وكان المصريون القدماء ، كما قدمنا ، يعتبرون الأولاد نعمة من نعم الله ، ويرحبون بالذرية لأنها تعلى شانهم وتعينهم على أداء الأعمال وتخلد ذكرهم.

وكان الطفل إذا كبر كلفته أمه بالمهام الصغيرة فكان يجمع لها الأحطاب وروث البهائم وغيرها مما تستعمله فى الوقود ، أو ترسله ليرعى الأوز فى الخارج ، أو تعهد إليه بأخذ الماشية لترعى وتسقى من الترعة المجاورة. فإذا اشتد عوده أرسلته إلى مكتب ليتعلم ، أو عهدت به إلى صانع أو تاجر ليتدرب.

وغنى عن البيان أن هذه الأعمال المتنوعة الشاقة التى كانت تقوم بها المرأة كان لها أثرها على صحتها وعلى نضارتها وشبابها. فكانت المرأة المصرية من الطبقتين العادية والمتوسطة يذوى عودها وتشيخ قبل الأوان ، ولكنها كانت تظل بالرغم من كل ذلك "سيدة البيت" التى يحبها زوجها والتى يحترمها ويوقرها أولادها.

وبهذا فقد كانت للمرأة المصرية مكانتها الممتازة فى الأسرة والمجتمع ، تستمتع فيهما بنصيبها الكامل من الاحترام والتقدير ، بل إن احترامها واستقلالها فى مصر كانا أشد ظهوراً منهما فى أية جهة أخرى من جهات العالم القديم ، فهى كابنة كانت ترث من والديها نصيباً يساوى نصيب الابن تماماً ، وكزوجة كانت تعتبر سيدة البيت "تبت بر" بحق ، فهى تروح وتغدو كما تريد، تحدث من تشاء ، وتفعل ما تشاء ، دون أن تجد نفسها مضطرة إلى تقديم حساب عن تصرفاتها لأحد ، وكانت تختلط بالرجال دون حجاب ، وتلقى قسطها الموفور دائماً من الإجلال والإكبار .

أما العلاقة بين الزوج وزوجته فقد كانت تصور فى جميع العصور بطريقة تنم عن الإخلاص والوفاء. وهما إذا جلسا الواحد منهما إلى جانب الآخر فإننا نرى الزوجة ، كما سبق أن قلنا ، تلف ذراعها حوله دليلاً على حبها له وانعطافها نحوه ، وإذا ما ذهب لصيد الطيور البرية فى المستنقعات فإنها ترافقه فى قارب الصيد هى وابنته الصغيرة وقطته المدللة.

وفى مختلف مناظر الحياة اليومية تمثل المرأة تصحب زوجها حين يقوم بجولاته فى ضياعه ، وتراقب الصناع أثناء عملهم ، وتشهد عملية تعداد الماشية ، وتشرف على عمال الحصاد فى الحقول.

وفى عصر الدولة الحديثة شاعت المناظر التى تبين اختلاط الرجال والنساء ، فكان الضيوف إذا وفدوا على وليمة يجلسون على مقاعد بعد ان يغسلوا أيديهم ، وتقوم على خدمتهم فتيات صغيرات يقدمن لهم المشروبات المنعشة ويضعن عقود الأزاهير ذات الرائحة الزكية حول أعناقهم ويضمخنهم بالدهون المعطرة. أما حين يكون الحفل للسيدات فهو أقل تكلفاً، إذ تجلس السيدات على الأرض ، ويتحدثن فى لطف مع الخادمات.

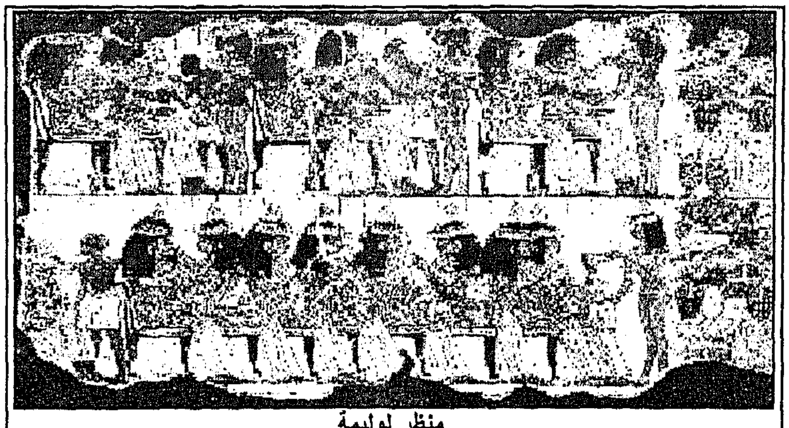

منظر لوليمة

رأينا الحكام دائما يوصون الشباب بالتبكر فى الزواج، بيد أن الآثار وما عليها من نقوش وكتابات لا تدلنا على السن التى كان يتزوج فيها المصريون ، على أن الأمر فى العصور الفرعونية لا يمكن أن يكون مخالفا لما كان عليه فى عصر السيادة الرومانية ، عندما كان الشبان يتزوجون فى سن الخامسة عشرة ببنات فى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. وهذا التبكير فى الزواج مشاهد أيضا بين المصريين الحاليين، وبخاصة من طبقة الفلاحين.

ونحن لا نعلم شيئا كثيرا عن المراسم والطقوس التى كانت تلزم لعقد زواج قانونى ، أو إذا استعملنا التعبير المصرى "لكى يؤسس المرء لنفسه بيتا" ، ومن المحقق أن الزواج ، شأنه فى ذلك شأنه فى العصور المتأخرة ، كان يقوم على عقد كتابى ثابت ، ولكن لم يصل إلينا من العصور القديمة أى عقد من هذا النوع. ويرجع تاريخ أقدم عقد زواج مصرى وصل إلينا إلى القرن الرابع قبل الميلاد. ويوجد بالمتحف المصرى عقد زواج يرجع تاريخه إلى عام ٢٣١ق.م أبرم بين "امحوتب" و "تاحاتر" هذه ترجمته :

يقول "امحوتب" لـ "تاحاتر" : " لقد اتخذتك زوجة ، وللأطفال الذين تلديهم لى كل ما أملك وما سأحصل عليه . الأطفال الذين تلديهم لى يكونون أطفالى ، ولن يكون فى مقدورى أن أسلب منهم أى شئ مطلقا لأعطيه إلى آخر من أبنائى ، أو إلى أى شخص فى الدنيا. سأعطيك من النبيذ والفضة والزيت ما يكفى لطعامك وشرابك كل عام. ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهريا وسنويا ، وسأعطيه إليك أينما أردت ، وإذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة ، وإذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة" ، ويقول أبى : "تناولى عقد الزواج من يد ابنى كى يعمل بكل كلمة فيه ، إنى موافق على ذلك".

ونحن وإن كنا لا نعلم شيئا كثيرا عن المراسم والطقوس التى كانت تسبق عقد الزواج ، إلا أننا نستطيع من خلال القصص الذى خلفه لنا المصريون القدماء أن نستشف بعض الوقائع.

ففى قصة "ستناخعمواس" ورد ذكر لقصة ترويها "أهورا" عن نفسها وعن أخيها الكبير ووالدهما الملك الطاعن فى السن. وكان الملك تواقا إلى الذرية الكثيرة والأحفاد فأراد تزويجهما واختار لابنه ابنة أحد الضباط لتكون زوجة له ، كما اختار لابنته ابن ضابط آخر ، وذلك "كى تكثر ذريتى وتكبر عائلتى" على حد قول الملك.

ولكن الملك وإن كان قد أراد أمرا إلا أن الابنة وأمها كانتا تريدان أمرا آخر فالابنة كانت تحب أخاها وتريد أن تتزوجه ، والأم كانت تشجعها على ذلك بحجة أن ابنها الأكبر هو ولى العهد ، وأنه يجب أن يتزوج أخته كما يفعل أولياء العهد ، وأنها هى الأصلح له.

وأخيرا وافق الملك على ذلك ، وأمر كبير أمنائه بأن يرسل "أهورا" إلى بيت أخيها فى الليل وأن ترسل معها الهدايا الثمينة ، ومن ثم فقد ذهبت إلى بيت أخيها كزوجة ومعها هدايا ثمينة من الفضة والذهب ، وأقيم حفل مدت فيه الموائد الزاخرة بأشهى الأطعمة.

فالعبرة التى نستخلصها من هذه القصة هى أن الزواج كان يتم بناء على رغبة متبادلة بين الشاب والشابة يباركها الوالدان ويتوجانها بموافقتهما ومن ثم يصير الاتفاق بين الطرفين وينعقد الزواج ، ويقام حفل فى المساء تذهب بعده العروس إلى بيت عريسها ومعها الهدايا الثمينة ، فإذا ما مرت شهور حملت

خلالها الزوجة ، وإذا ما اكتملت الشهور وآن أوان الوضع ، فإن هذه البشرى تزف إلى والدى العروسين، وهنا (كما تقول القصة) ينتشون بخمرة الفرح ويرسلون إلى ابنتهم فى الحال جميع لوازم الوضع ، ويهدونها كذلك هدايا ثمينة من الذهب والفضة ، فضلاً عن الثياب الجميلة الغالية.

ومع أن العلاقة بين الزوج وزوجه كان يسودها الود والإخلاص ، إلا أن الحال لم تكن تخلو من بعض النزوات التى تبدو من بعض النساء من حين إلى حين.

وهناك قصة تروى ، أرجعها راويها إلى الدولة القديمة تتحدث عن زوجة كاهن رأت غلاماً جميل الشكل فصبا قلبها إليه وأرسلت خادمها يستدعيه ، فحضر الغلام وقابلها واقترح عليها أن يختليا فى جوسق (كشك) بحديقة قصرها ، فوافقته الزوجة على ما أراد ، وأرسلت خادمها إلى البستانى يقول له أن يعد الجوسق الذى فى الحديقة ويهيئه بكل ما يوفر فيه أسباب الراحة. ثم وافاها الغلام فيه ، وظلت معه حتى مالت الشمس إلى المغيب. وحينما أرخى الليل سدوله قام الغلام ليستحم فى البحيرة التى تتوسط الحديقة وكان البستانى يراقبهما ، ففكر فى الأمر إلى أن استقر عزمه على أن يخبر سيده بما حدث ، فلما كان اليوم التالى ذهب البستانى إلى الزوج وأخبره بكل ما يعلمه ، فأمر الزوج بأن يحضروا إليه صندوقاً من الأبنوس والذهب ، ثم شكل تمساحاً من الشمع وجعله مسحوراً وأعطاه للبستانى ، وقال له : عندما يحضر الغلام ليستحم فى بحيرتى كما هى عادته فى كل يوم ، عليك أن تطلق هذا التمساح وراءه ، فأخذ البستانى التمساح وذهب.

وفى اليوم التالى أرسلت الزوجة إلى البستانى تأمره بأن يهيئ لها الجوسق لكى تمضى فيه وقتاً ، فأعد الجوسق وزودة بكل ما هو حسن وجميل ، وحضرت الزوجة وأمضت فيه مع غلامها وقتاً ، وحينما أقبل المساء ذهب الغلام ليستحم على مألوف عادته ، فألقى البستانى فى الماء تمساح الشمع فانقلب تمساحاً كبيراً وأمسك بالغلام.

وعندما حضر الزوج ومعه الملك ورأيا هذه العجيبة تتكرر ، أمر الملك التمساح بأن يذهب ويأخذ فريسته ، وعندئذ قفز التمساح إلى البحيرة ومعه الغلام واختفى به إلى الأبد ، أما الزوجة فقد أمر الملك بإحضارها وحرقها بالنار وألقى برمادها فى النهر.

فهنا فى هذه القصة عوقبت خيانة الزوجة بحرق جسدها وذر رمادها فى الماء. وعوقب الغلام الزانى بأن يفتك به التمساح وينزل به إلى الماء ليغوص ويغرق فيه.

وفى قصة أخرى يرجع عهدها إلى الدولة الحديثة نرى أخوين ، كان للأكبر منهما ويدعى "انوبيس" بيت وكانت له زوجة ، أما أخوه الأصغر ويدعى "باتا" فكان يعيش معه فى بيته كابن له ، يساعده فى أعمال الحقل ويرعى الماشية ويعود بها إلى المنزل كل مساء ليأكل وينام معها فى الحظيرة ، ساهراً على حراستها.

وحدث ان كان الأخوان يوماً فى الحقل يعملان واحتاجا إلى بذور ، فأرسل الأخ الأكبر أخاه الأصغر وقال له :"اذهب واحضر لنا بذوراً من القرية" فذهب الأخ الأصغر ووجد زوجة أخية الأكبر جالسة تمشط شعرها، فقال لها: قومى وأعطنى بذوراً لآخذها إلى الحقل ، لأن أخى الأكبر ينتظرنى فلا تبطئى فأجابته:

"أذهب أنت وافتح المخزن وخذ منه ما تشاء حتى لا اترك تصفيف شعرى قبل أن يتم".

فذهب الغلام إلى حظيرته وأخذ وعاء كبيراً ليأخذ فيه كمية كبيرة ، وحمل الشعير والقمح وخرج به ، فقالت له زوجة أخيه: مامقدار ما تحمله على كتفك؟ فأجابها: أحمل ثلاثة أكياس من القمح وكيسين من الشعير ، فيكون مجموع ما أحمله على كتفى خمسة أكياس. هكذا قال لها ، فقالت له: إذن فأنت شديد القوة ، وإنى أراك تشتد وتقوى كل يوم. وتاقت نفسها إليه وإشتهتة ، فقامت وأمسكت به وقالت: تعال نلهو ونعبث ونضطجع ، وسيكون فى ذلك فائدة لك ، لأنى سأصنع لك ملابس جميلة.

عندئذ ثار الغلام كما يثور الفهد لذلك الأمر البذئ الذى عرضته عليه ، واستولى عليها الخوف حين قال لها: "انظرى أنك بالنسبة لى فى مقام والدتى وزوجك فى مقام أبى ، لأنه كأخ أكبر قد ربانى وأعالنى ، فما هذا الإثم المنكر الذى تتحدثين عنه؟ لا تعيدى هذا القول مرة أخرى وأنى من جانبى سوف لا أخبر أحد به ، ولن تخرج كلمه عنه من فمى لأى أنسان" ورفع حمله وذهب إلى الحقل حيث عمل مع أخيه الأكبر بصدق وعزيمة.

وعندما أقبل المساء انصرف الأخ الأكبر قاصداً منزله ، وأخذ الأخ الأصغر يرعى ماشيته ويحمل سائر أعشاب الحقل ويسوق ماشيته أمامه لكى يدعها تنام فى حظيرتها فى القرية.

أما زوجة أخية الأكبر فقد أستولى عليها الخوف والهلع لما قالت ، فأخذت دهنا وتظاهرت بأنها ضربت ضربا شديدا وأهينت ، وقد عقدت العزم على أن تقول لزوجها أن أخاه الأصغر قد ضربها وأهانها. فلما حضر زوجها فى المساء إلى منزله كمألوف عادته وجد زوجته راقدة كما لو كانت مريضه ، فلم تصب ماء على يديه كعادتها ، ووجد منزله غارقا فى الظلام لم تضئ فيه نورا عند عودته بل كانت ترقد وتتقيأ. فقال لها زوجها هل كلمك أحد؟ فقالت له: لم يكلمنى أحد سوى أخيك الأصغر ، فهو عندما حضر ليأخذ البذور وجدنى أجلس وحدى فقال لى تعالى نلهو ونعبث ونضطجع. وهكذا قال لى ولكننى لم أطاوعه ولم أهتم بأمره بل قلت له: ياللعار، ألست فى مقام أمك ، وأليس أخوك الأكبر فى مقام أبيك ، وعندئذ أعتراه الخوف فضربنى حتى لا أخبرك بما حدث ، فإذا أنت تركته يعيش بعد ذلك فإنى سوف أنتحر ، لأنه عندما يعود فى المساء ويسمعنى أفضى إليك بهذه القصة السيئة سيحاول تبرئة نفسه.

عندئذ ثار الأخ الأكبر كما يثور الفهد ، وأخذ يشحذ مديته وحملها فى يده ووقف خلف باب الحظيرة ليقتل أخاه الأصغر عندما يعود فى المساء ليدخل ماشيته فى الحظيرة.

وعند الغروب حمل الأخ الأصغر سائر أعشاب الحقل فى كل يوم وحضر ودخلت البقرة الأولى إلى الحظيرة ولكنها لم تلبث أن قالت لراعيها: احذر فإن أخاك الأكبر يرابط لك وبيده مدية لكى يقتلك فاهرب من أمامه. وقد فهم ما قالته البقرة الأولى. فلما دخلت البقرة الثانية قالت ما قالته الأولى ، فنظر من تحت باب الحظيرة فرأى قدمىأخيه الأكبر الذى كان يقف خلف الباب وبيده السكين. فأنزل حمله على الأرض وأخذ يعدو مسرعا يتبعه أخوه الأكبر شاهرا مديته.

عندئذ دعا الأخ الأصغر الإله "رع حور أختى" قائلا: "يا إلهى الطيب إنك أنت الذى تحكم بين صاحب الحق والمسئ". واستمع رع لدعائه ففجر بينهما نهرا يموج بالتماسيح ، وبذلك وقف أحدهما على شاطئ ، والآخر على الشاطئ الثانى ، وضرب الأخ الأكبر يدا على يد مرتين لأنه لم يقتل أخاه.

بيد أن الأخ الأصغر نادى عليه من الشاطئ الآخر قائلا: "أبق حتى الصباح حين تبزغ الشمس فنحتكم إليها، فهى ستنصف صاحب الحق من المسئ ، لأنى سوف لا أبقى معك ، ولا أحل فى مكان تحل أنت فيه. وسأذهب إلى وادى الأرز".

وعندما لاح نور الفجر وأعلن قدوم يوم جديد ، اشرق "رع حور أختى" ورأى كل واحد من الأخوين أخاه الآخر ، قال الغلام لأخيه الأكبر: ما معنى مطاردتك لى بغية قتلى بالبغى والعدوان قبل أن تستمع أولا لما أود قوله؟ ألست أخاك الأصغر وألست بالنسبة لى فى منزلة أبى ، وزوجك فى منزلة أمى ، أليس الأمر كذلك؟ إنك عندما أرسلتنى لأحضر البذور قالت لى زوجتك: تعال نلهو ونعبث وننام ، ولكن الكلام نقل إليك على العكس وقلبت الحقيقة ، وأفصح له عن كل ما حدث بينه وبين زوجه ، وأقسم بـ "رع حور أختى" قائلا: ولكن وأسفاه؟ إنك تريد قتلى غدراً ، وشهرت مديتك بسبب كلمة من امرأة قذرة دنيئة.

ثم استل سكين بوص وقطع عضوه التناسلى ورماه فى الماء فابتلعه السمك وأغمى عليه وأصبح فى حالة سيئة ، فحزن لذلك الأخ الأكبر حزناً شديداً ووقف يبكى بكاء مراً عليه ، غير أنه لم يستطع عبور النهر ليصل إلى الشاطئ الآخر حيث يقف أخوه بسبب التماسيح.

ثم ذهب الأخ الأصغر إلى وادى الأرز ، وعاد الأخ الأكبر إلى منزله ويده فوق رأسه ، (علامة على الحزن والأسى) وغطى نفسه بالطين وعندما بلغ منزلة قتل زوجته وألقى بجثتها إلى الكلاب وجلس ينتحب على أخيه الأصغر.

فهنا كان نصيب خيانة الزوجة لزوجها أن قتلها وألقى بجثتها إلى الكلاب جزاء لها على ما ارتكبته من إثم.

فقواعد الأخلاق وآداب السلوك التى تواضع عليها الناس فى مصر القديمة كانت تقضى بالابتعاد عن الإثم والفجور وإنزال العقاب الشديد على كل من ينحرف عن هذه القواعد. وفى هذا يقول شيخنا حكيم الدولة القديمة "بتاح حتب".

"إذا كنت تريد أن تكون موفور الكرامة فى أى منزل تدخله ، سواء أكان منزل عظيم أم اخ أم صديق أم أى منزل تدخله فلا تقرب النساء ، فما من مكان دخله التعلق بهوى النساء إلا فسد. ومن الحكمة أن تجنب نفسك مواطن الزلل ولا توردها موارد الهلاك ، فإن آلافا من الرجال أهلكوا أنفسهم وعملوا على حتفهم فى سبيل تمتعهم بلذة عارضة تذهب كحلم فى لمح البصر".

فهنا لا يكتفى الحكيم بالتحذير من النساء أو التورط معهن فى الإثم والخطيئة ، انما يدعو أيضاً إلى إحترام بيوت الغير بالإبقاء على كرامة من فيها ، حتى ولو كانوا من غير ذوى القربى.

فنراه يقول :

"لاتذهبن وراء امرأة حتى لاتتمكن من سلب لبك".

فهو هنا يذكر ابنه بالحذر من النساء ، كما أنه يدعوه فى مكان آخر من نصائحه إلى المحافظة على كرامة الأسرات وأسرار البيوت فيقول:

"لا تدخلن بيت غيرك.... ولا تمعنن فى النظر إلى الشئ المنتقد فى بيته ، إذ يمكن لعينك أن تراه ، ولكن إلزم الصمت ولا تتحدثن عنه لآخر فى الخارج ، حتى لا تصبح جريمة كبرى تستحق الإعدام عندما تسمع".

ويؤكد هذا المعنى فى فقرة أخرى يقول فيها:

"لا تذهبن إلى بيت إنسان بحرية ، بل ادخله فقط عندما يؤذن لك ، وحينما يقول هو (أى "رب البيت" لك أهلا بك بفمه).

وفى مكان آخر يتعرض إلى الزنا فيقول عنه:

"وإن ذلك (أى الزنا) لجرم عظيم يستحق الإعدام عندما يرتكبه الإنسان. ثم يعلم بذلك الملأ ، لأن الإنسان يسهل عليه بعد إرتكاب تلك الخطيئة أن يرتكب كل ذنب".

(أنظر الأدب)

اسطبل عنتر :

علم على عدد من الأماكن فى مصر أشهرها محجر قديم جنوبى القاهرة فى مصر القديمة ومقبرة من الأسرة١٢ فى مدينة اسيوط. ومعبد منحوت فى الصخر جنوبى مقابر "بنى حسن" على الضفة الشرقية للنيل بمحافظة المنيا وهو اهمها ويرجع تاريخه إلى أيام الملكة حتشبسوت من الأسرة ١٨ وقام بترميمه الملك سيتى الأول ، من ملوك الأسرة ١٩ لاصلاح ما تخرب وتحطم من نقوشه فى أيام ثورة اخناتون الدينية. به نقوش وكتابات كثيرة أهمها النص ، الذى فوق واجهة المعبد وتشير فيه حتشبسوت إلى الهكسوس وتخريبهم للبلاد. وفى داخله مناظر متعددة لتقديم القرابين للمعبودات المختلفة وأهمها الألهة "باخت" أهم معبودات هذه المنطقة ولها رأس لبؤة ومعنى اسمها "الممزقة" ولهذا ساواها اليونانيون بالمعبودة "أرتيمس" وسموا هذا المعبد "سبيوس أرتميدوس" أى "كهف أرتيمس".

انظر كهف أرتيمس.

الأسطول :

شهد متن النيل من نشاط العسكريين المصريين ما شهده البر، وقد تمرس المصريون على ركوبه منذ فجر تاريخهم القديم، ونقلوا عليه الجنود والعتاد، ومع ذلك فالنصوص التاريخية جد مختصرة، لا تقدم لنا تفصيلات كثيرة فيما يتصل بالمعارك التى دارت رحاها على صفحة الماء فى النيل أو البحرين، الأحمر والأبيض، وأما النقش على الجدران فأمره اشد عسراً، ورغم ذلك فإننا نلتقى منذ عهد الدولة القديمة برجال يحملون لقب "رئيس السفينة" و "قائد المركب"، ولعلهم كانوا يعملون على سفن كانت تقوم بنقل الأحجار فى النيل من طره إلى منطقة الأهرامات، ويحدثنا حجر بالرمو بأن "سنفرو" مؤسس الأسرة الرابعة قد أرسل أسطولا بحرياً مكوناً من أربعين سفينة لإحضار كتل من أخشاب الأرز من لبنان : وأن كثيراً من هذه الكتل الخشبية قد عثر عليها فى هرمة القبلى فى دهشور، وأنها ما زالت فى حالة جيدة تؤدى المهمة التى أقيمت من أجلها مثل تثبيت بعض الأحجار أو سندها فى أماكنها رغم مضى اكثر من أربعة آلاف وستمائة سنة، وهناك فى المعبد الجنائزى للملك "ساحورع" ثانى ملوك الأسرة الخامسة ، منظر رائع للسفن العائدة من سورية، والآسيويون على ظهورها وأسلحتهم مرفوعة ولاء لفرعون. وربما كان ذلك بمناسبة حملة إلى لبنان للبحث عن الخشب فى غاباتها.

ولعل أول إشارة نلتقى بها للخروج إلى البحر فى معارك حربية إنما كانت فى الأسرة السادسة ، وهى فى الوقت نفسه ربما كانت أول إشارة فى التاريخ للخروج إلى البحر فى سفن أعدت للنقل ، كما أنها المرة الأولى فى التاريخ المصرى التى يشترك فيها الجيش والأسطول معا فى حملة إلى غربى آسيا ، حصر فيها عدوه بين فكى كماشته ، وقد كتب له فيها نجاحا بعيد المدى فى تأديب العصاة من سكان الرمال ، ذلك أن "ونى" يحدثنا فى لوحته المشهورة ، أنه ذهب إلى آسيا على رأس جيش كبير للقضاء على تمرد عند إقليم يظن انه جبل الكرمل ، وانه عبر البحر بجيشه الضخم ، ونزل إلى الشاطئ فى منطقة التلال فى شمال أرض سكان الرمال، بينما كان هناك جزء آخر كبير من الجيش يقترب على الطريق الصحراوى ، وانه قد

حصر العدو بين هذين الجيشين ثم قضى عليه ، ومن عهد الأسرة السادسة كذلك يحدثنا "ببى نخت" أو "حقا ايب" ، كما كان يكنى بأن ملكه قد أرسله إلى بلاد الآسيويين ، وربما كانت تقع فى مكان على شاطئ البحر الأحمر ، لإرجاع جسد موظف كان يحمل لقب "رئيس البحارة وقائد القوافل " وقد ذبح مع كل رفاقه بواسطة البدو وهو يبنى سفينة لرحلة إلى بونت.

وهنا لعل سائلاً يتساءل : كيف وصلت الأوانى السورية التى عثر عليها "بترى" فى مقابر الأسرة الأولى، وكذا الأخشاب الفينيقية التى استعملت فى هوم زوسر المدرج بسقارة ، وهرم سنفرو القبلى بدهشور. ثم أخشاب مركب خوفو التى كشف عنها عام ١٩٥٤م، فضلاً عن الأدوات التى جاءت بها بعثة ساحورع ؟ والإجابة واضحة ، لقد استوردها المصريون ونقلوها على سفنهم التى كانت تتجول فى البحر الأبيض المتوسط منذ أوائل العصور الفرعونية ، ويبدو واضحاً من السفن التى أرسلها سنفرو أو ساحورع إنها إنما تمثل رسوم مراكب مصرية تماماً ، وتشبه تلك المراكب التى صنعت للنقل على النيل ، ولئن لم تكن مراكب النقل النيلية قد ذودت بمجاديف أو شراع ، واعتمد القوم على سحبها بالحبال التى يجرها البحارة سيراً على الشاطئ ، كما اعتمدوا على قوارب صغيرة مزودة بمجاديف لسحبها ، فلقد استخدموا نفس الطراز فى المراكب البحرية مع تزويدها بالشراع والمجاديف للتجول فى البحر ، وهكذا سبق المصرى الشعوب القديمة فى بناء مراكب كبيرة للتجول فى البحرين الأحمر والأبيض ، واختاروا شكلا لهذه المراكب يطابق تماما مراكب الشحن فى النيل ، وهى مراكب كانت خلوا من العوارض الداخلية التى تربط جوانب السفينة بعضها إلى بعض ، وتغلب المصرى على هذه المعضلة بأن مد حبلا سميكا من مقدمة السفينة إلى مؤخرتها ، وجعله يرتكز فى امتداده على قوائم خشبية تشبه الشوكة فى طرفها الأعلى ، ثم لف هذا الحبل بقطعة من الخشب فكان كلما زاد اللف قصر الحبل وتماسكت أطراف السفينة ، وقويت على تحمل ارتطام مقدمتها بأمواج البحر ، كما أعتاد القوم طوال عهد الدولة القديمة أن يمدوا حبالا قوية سميكة حول الطرف العلوى لجوانب السفينة فيساعد بذلك على تماسكها وترابطها ، ويقوى من إحتمالها لأمواج البحر.

وأما رحلات المصريين البحرية إلى "بونت" فقد بدأت منذ الأسرة الخامسة ، وطفقت تتعدد بشكل واضح فى عصر الأسرة السادسة ، حيث سجل أحد رجالها أنه سافر إلى بونت إحدى عشرة مرة ، ومن المعووف أن المصريين كانوا ينقلون سفنهم مفككة من مدينة "قفط" بطريق البر إلى شاطئ البحر الأحمر ، ثم يشيدونها هناك فى ميناء يقع على مقربة من القصير الحالية ، وكانت الرحلة تستغرق أياما عديدة ، وكانت السفن لا تسير إلا نهاراً ، فإذا قدرنا أن الملاحة فى البحر الأحمر لا تزال حتى عصرنا هذا من أشق الرحلات لتكاثر شعاب المرجان على مقربة من الشواطئ ، والعواصف الشديدة التى تهب عليه من حين لآخر ، فإن ارتياد المصريين لهذا البحر منذ عصر الدولة القديمة بمراكبهم إنما يعتبر عملا يستحق منا كل إعجاب وتقدير.

ولعل أول المعارك الحربية التى خاض المصريون غمارها على صفحة الماء إنما كانت أبان الحرب الأهلية بين أهنآسيا وطيبة فى عهد الانتقال الأول ، ويحدثنا "تف أيب" أمير أسيوط من قبل الأهناسيين أنه أضطر لمنازلة الطيبيين عدة مرات. يصف واحدة منها بأنها دارت فى عرض النهر حيث يقول: "وصلت إلى الضفة الشرقية مبحرا إلى الجنوب ، وجاء العدو مع جيش آخر من حلفائه فخرجت لملاقاته ولم أتوقف عن القتال حتى النهاية ، وإستخدمت الريح الجنوبية ، وكذا ريح الشرق والغرب ، وسقط العدو فى الماء وغرقت سفن أسطوله وكان جيشه كثيراً" ، وهكذا كانت هذه الموقعة، فيما نعلم، هى الأولى من نوعها فى التاريخ المصرى، فلم يحدثنا المؤرخون من قبل عن معارك دارت رحى الحرب فيها على صفحة الماء.

ومن الجانب الآخر ، يحدثنا "زارا" أحد موظفى "عنخ واح" أمير طيبة أن أميرة قد منحه سفينة لحماية الأقاليم الجنوبية من الفنتين حتى افروديتوبوليس (كوم أشقاو) ، ومن عهد "مرى كارع" ، والذى كان قد اعتلى العرش بعد أبيه "خيتى" الذى ترك له تعاليمه المشهورة، يحدثنا "خيتى الثانى" الذى تولى أماره

أسيوط بعد وفاة أبيه "تف أيب" بأنه أدب مصر الوسطى وأخضع الثوار وأعاد النظام. وصفى سماء مصر من الغيوم ، "ولم يكن هناك شئ أمام الأسطول الذى وصلت مقدمته إلى شاس حوتب (الشطب الحالية جنوبى أسيوط) ، بينما كانت مؤخرتة فى "حو" (ربما كانت جبل أبو عودة على مبعدة ٣٠ ميلا إلى الجنوب)، ولقد عادوا عن طريق المياه ، ورسوا بأرض أهناسيا، وجاءت المدينة فرحة بسيدها وأبن سيدها ، واختلط الرجال بالنساء والشيوخ بالأطفال".

وهناك من عهد "سعنخ كارع منتوحتب" من الأسرة الحادية عشرة ، ما يشير إلى صراع مع "الحاونبو" ، وهم الكريتيون ، أو على الأقل سكان بعض جزر البحر الأبيض المتوسط ، والى غلبته عليهم ، ولكنه لا يشير إلى طبيعة هذا الصراع أو أسبابه ، وقد دارت رحاه فى البحر أو فى الجزر نفسها عن طريقة حملة بحرية أرسلت إلى هناك ، يبدو أن "حنو" كان هو القائد الذى نيطت به هذه المهمة ، كما كلف بغيرها من المهام فى السنة الثامنة من حكم نفس الملك ، حيث يشير بعد ذلك إلى خروجه إلى البحر الأحمر ، وإلى تجهيزه سفينة ضخمة ذودها بكل ما يلزمه ، توجه بها إلى أرض الإله وعاد عن طريق البحر الأحمر فوادى الحمامات إلى العاصمة، وعلى أى حال فهناك الكثير من الدلائل التى تشير إلى الجهود البحرية على أيام الدولة الوسطى ، فهناك مثلا "خنوم حوتب" أمير بنى حسن ، على أيام أمنمحات الأول ، الذى يحدثنا أنه صاحب الملك فى حملة قوامها عشرون سفينة مصنوعة من خشب الأرز ، أستهدفت طرد عدو معين من مصر ، غير أن أكبر المعارك التى دارت على النيل إنما كانت على أيام حرب التحرير ضد الهكسوس فى أوائل القرن السادس عشر ق.م. ، حيث يحدثنا "كامس" قائلاً: "أبحرت شمالا فى عزم وقوة لأغلب الآسيويين بأمر أمون أعدل الناصحين ، وكان جيشى القوى أمامى كلفحة اللهب ، وكان جند المجاى يقفون عاليا فوق قمراتنا ليرقبوا الستيو ويدمروا مواقعهم" وهكذا خرج كامس حاملا لواء الجهاد ، متمما رسالة أبيه "سقتن رع" ويستمر بطلنا الشجاع فى تقديمه نحو الشمال ، ويكتب له نجاحا بعيد المدى فى طرد الهكسوس من مصر الوسطى ، ثم الاستيلاء على منف، وبعض مدن الدلتا ، ومن هنا نستطيع أن نقدر أن الهكسوس قد ارتدوا إلى الشمال، واعتصموا بعاصمتهم أفاريس ومن حولها كانت خواتيم حرب التحرير. أذن لقد وصل الأسطول المصرى إلى مقاطعة أفاريس، وسرعان ما يعمل كامس على قطع الإمدادت التى كانت تصل إلى الهكسوس عن طريق فروع النيل، وبعد أن يشتبك مع الهكسوس ثم يتحدث بعد ذلك عن حرب خاض غمارها على صفحة الماء، فيذكر انتصاره على عدو ويعد الغنائم التى استولى عليها، ومن بينها ثلاثمائة سفينة مصنوعة من خشب الأرز.

وفى الدولة الحديثة أرسلت الملكة "حتشبسوت" بعثتها المشهورة إلى "بونت" ، والتى دونت على جدران معبد الدير البحرى ، طبقا لنظام يتفق إلى حد كبير مع الموقع الجغرافى لبلاد بونت ومع اتجاه السفن فى سفرها إليها والعودة منها ، فقد صورت بيئة بونت على الجدار الجنوبى من البهو ، فى أربعة صفوف. صورت السفن فى رحلة الذهاب والعودة على النهاية الجنوبية للجدار الغربى للبهو ، وفى رحلة الذهاب ظهرت السفن وقد اتجهت مقدمتها إلى الجنوب (فى اتجاه بونت) ، وفى رحلة العودة اتجهت مقدمتها إلى الشمال ، أى فى اتجاه مصر ، وعلى أى حال ، فربما أخذت الرحلة إلى بونت طريقها من النيل عند مدينة قفط ، وانتقلت برا إلى وادى جاسوس: وبنيت السفن على شاطئ البحر الأحمر ، ومع ذلك فليست هناك إشارات فى النقوش إلى نقل الحمولة ، وما دامت السفن التى يشار إليها بأنها شقت طريقها فى البحر الأحمر ، تظهرها مرة أخرى على النيل ، فربما اتخذت طريقها فى قناة خلال وادى طليمات الذى كان يربط النيل بالبحر الأحمر ، وربما كانت هذه القناة قائمة منذ الأسرة الثانية عشرة ، وتشير النصوص إلى أن عملية بناء السفن تمت بواسطة قطع الأشجار الجميز من كل البلاد ، كما يشار فى مناظر أخرى فى نفس المعبد إلى قطع مسلتين ونقلهما من أسوان إلى الأقصر وقد تمت العملية بوضعها على سفن نقل مربوطة فى ثلاث صفوف من سفن التجديف بكل صف منها بـه تسع سفن، على رأسها سفينة القيادة ، وتصحب سفينة النقل حاشية من ثلاث سفن.

وليس هناك من شك فى أن جبار الحروب تحتمس الثالث هو الذى أدرك ما للقوات البحرية من أهمية خاصة فى تذليل المواصلات عندما خرج الجيش من

مصر ، إذ لا يمكن السيطرة على شرقى البحر الأبيض المتوسط ، دون وجود قوة بحرية تسيطر على تلك المنطقة ، ومن ثم فقد وجه عنايته خاصة إلى الموانى الفينيقية عندما اتجه نحو الشمال ، فأمدها بحاجياتها من الخبز وزيت الزيتون والبخور والنبيذ والعسل والفواكه، كما استولى على كثير من السفن لكى يسهل المواصلات فى مصر وإليها ، هذا إلى جانب الأهتمام بمدينة منف التى اتخذها مركزا للأسطول المصرى ، ومن ثم فقد أنشأ بها ميناء بحريا (الميناء الجميل) أو ترسانة ملكية تجهز فيها السفن الذاهبة إلى آسيا ، كما تصنع بها جميع أنواع السفن ، النهرية والبحرية ، وتشير النصوص إلى أنها غدت مقر ولى العهد (أمنحتب الثانى) بوصفه المشرف على مؤونة الأخشاب للسفن ، فضلا عن تدريبه عسكريا وإعدادة لقيادة الجيش ، ومن ثم فقد كانت المدينة تقوم بدور عسكرى هام ، ومنها كانت تخرج السفن للقيام بالعمليات الحربية فى غربى آسيا ، وهناك بردية فى المتحف البريطانى تسجل نشاط بناء السفن أيام تحتمس الثالث، وقد سجل فيها أنواع الخشب التى صرفت لرئيس بنائى السفن لمدة ثمانية أشهر ، وعين فيها أنواع السفن والقوارب التى كانوا يقومون ببنائها.

هذا وقد ظلت البحرية المصرية تسيطر على الشاطئ السورى سيطرة تامة خلال عصر تحتمس الثالث وولده أمنحتب ، بل أن رسائل العمارنة توحى بأن مصر كانت ما تزال فى عهد خليفتها تمر دون عائق إلى خلفائها ، وكان الاستيلاء على مدن الشاطئ السورى مما مكن لمصر أن تظل بغير منافس فى البحر المتوسط فترة طويلة ، على أن أهم المعارك البحرية التى دارت رحاها على صفحة الماء فى البحر المتوسط، أو الأخضر العظيم كما كانوا يسمونه ، إنما كانت على أيام رمسيس الثالث ضد شعوب بحرية كثيفة فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وتقدم لنا نقوش مدينة هابو بطيبة الغربية منظرا لخمسه سفن من سفن شعوب البحر ، تطاردها بشدة أربعة سفن مصرية. ويرى "تلسون" أن المناظر تبين لنا أن سفن العدو تبدو ، وكأنها لم تستعد للقيام بمناورة ، إذ كانت أشرعتها مطوية ، بينما تبدو السفن المصرية تهاجم بطريقة منظمة بمقدماتها المتجهة جميعا نحو العدو ، بينما لا يوجد لدى السفن الأخرى مثل هذا التشكيل، وربما كان هدف الفنان من ذلك أن يظهر لنا مدى اضطراب أسطول العدو. حين يقارن ذلك بالتقدم المنتظم للأسطول المصرى ، والذى يبدو واضحا أنه قد قبض على عدوة بمهارة. ومن ثم فإن الفنان حين رسم هذا المنظر إنما قد أقر فى ذهنه ما كان يفكر فيه الكاتب المصرى حين كتب يقول "شبكة كانت معدة لهم لاصطيادهم ، أما الذين دخلوا فى مصبات النيل فقد كانوا كالطيور التى وقعت فى أحبولة" ، وحين كتب يقول: "أما الذين أتوا بجموعهم معا عن طريق البحر، فإن اللهب الشامل كان أمامهم عند مصبات النيل ، فى حين أن سياجا من الحراب قد أحاط بهم على الشاطئ"، وبمعنى أخر فان الأسطول المصرى قد قطع نسجهم عن طريق البحر ، كما منع الجيش فرارهم عن طريق البر، وهكذا كانت الخطة كاملة لدرجة أن العدو قد وقع فى المصيدة التى أعدت له. ومن هنا فقد دمروا تماما عندما التقى المصريون بهم فى أماكنهم كما يقول النص.

وأما مكان المعركة البحرية ، فإن النصوص مضطربة فى ذلك ، ذلك لأنها تحدثنا عن تجمع العدو فى بلاد الأموريين ، وأن رمسيس الثالث قد سار على رأس جيشه حتى زاهى ، حيث أوقع بشعوب البحر هزيمة منكرة ، ومن ناحية أخرى ، فإن صور المعركة البحرية إنما تشير إلى أنها وقعت عند مصبات النهر أو النيل ، وربما نستطيع أن نفسر ذلك التضارب بأن الفرعون قد حصن حدودة عند زاهى، فى حين أنه قد حصن مصبات النيل كذلك وأن العدو الذى كان معظم أسطوله البحرى يرافق جيشه البرى قد فصل بعض قطعة البحرية حتى تقوم بهجوم مفاجئ على مصبات النيل ، وبذلك تستطيع أن تحدث الذعر فى صفوف الجيش البرى الذى كان يتقدم فى آسيا متجها نحو زاهى، وفى الوقت نفسه ، حتى إذا إستطاع المصريون الإنتصار عليهم فى زاهى ، فإنهم ، على الأقل ، سيفرون من هزيمتهم بالاستيلاء على جزء من أرض الكنانة عن طريق مصبات النيل ، ويبدو أن رمسيس الثالث قد فطن لهذه الخطة ، ومن ثم فقد أعد خطته الحربية على أساسها. ويرى "تلسون" أن موقع المعركة البحرية على الأقل ، بقدر ما أراد الفنان أن يصوره ، ربما يتفق كذلك مع تقرير النقش ، قد حدث عند مصب نهر ، ربما كان واحدا من فروع النيل

بالدلتا ، وان كنت أفضل أنها قد حدثت فى مكان ما إلى الشرق من بورسعيد قريبا من مخرج الفرع البيلوزى للنيل. وأن السفن المصرية التى اشتركت فى المعركة خرجت من منف إلى الفرع البيلوزى ومنه إلى البحر الأبيض حيث اشتركت فى المعركة مباشرة.

وهناك ما يشير إلى معارك بحرية دارت على صفحات النيل بين قوات "تف نخت" و"بعنخى" ، الواحدة حدثت عند هرموبوليس حيث نجح النوبيون فى هزيمة أسطول الدلتا والاستيلاء على الكثير من سفنه ، والثانية حول العاصمة القديمة منف ، والتى كانت تقع على النيل الذى كان يجرى فى الناحية الشرقية من أسوارها ، وقد أدرك بعنخى وجود نقطة ضعف فى تحصينات المدينة تصلح مركزا للهجوم ، فقد كان النيل مرتفعا ، وكانت السفن الراسية فى النيل أمام الجانب الشرقى من المدينة مربوطة فى المساكن المشرفة على النيل بسبب ارتفاع مستوى المياه ، وهكذا فكر بعنخى فى أن يأتى المدينة من مأمنها ، ومن ثم أمر بالاستيلاء على تلك السفن ليلا وضمها إلى أسطوله ، وبذا أمكنه من أن يتسلق حوائط المدينة غير المحصنة من الشرق وأخذ قواتها المدافعة على غرة ، فلم يسعها سوى التسليم ، وهكذا دخل بعنخى منف وأعلن نفسه ملكا.

وهناك أشارات كثيرة إلى الأسطول المصرى فى عصر النهضة ، ومن ثم فقد نجح "نخاو" فى أن يخضع المدن الساحلية مثل عسقلون وأشدود وغزة ، وهناك نص بالهيروغليفية عثر عليه فى صيدا يشير إلى سيطرة نخاو على الساحل الفينيقى ، وقد يسر له ذلك امتلاكه لأسطول فى البحر الأبيض المتوسط الأمر الذى يفسرة لنا كثرة ألقاب "قباطنة الأساطيل الملكية فى البحر الأخضرالكبير" فى نصوص عهده. هذا فضلا عن قيامه بمحاولة جريئة لربط النيل بالبحر الأحمر عن طريق قناة تجرى فى الفرع البوباستى القديم حتى البحر قرب ميناء الإسماعيلية ، وهى قناة أنشئت على أيام الدولة الحديثة على الأرجح ، إلا أن يد الإهمال كثيرا ما امتدت إليها ، حتى عفت آثارها آخر الأمر ، ثم جاء نخاو وأعاد تنفيذ المشروع ، ونقرأ فى هيرودوت أن المشروع قد أوقف فجاة ، بعد أن نفذ الجزء الأكبر منه، وبعد أن هلك فيه مائة وعشرون ألفا من المصريين. لأن نبوءة بوتو جاءت بأن الآلهة تأمره بترك المشروع ، لأن القناة ليست فى صالح مصر. ولن يستفيد منها سوى الأجانب، وان نفذ المشروع دارا الفارسى بعد ذلك. ولكن نخاو نفذ مشروعا آخر هو القيام بدوره ملاحية حول أفريقيا ، فلقد أرسل أسطولا صغيرا فى البحر الأحمر لكشف سواحل أفريقيا ، قديما وبعد ثلاث سنوات عن طريق جبل طارق محملا بجميع خيرات أفريقيا من الموانئ التى مر بها ، وكان مما ذكره الملاحون أنهم ساروا دائما على مقربة من الشاطئ ، وأن الشمس كانت تشرق عن يسارهم ، ولكنهم وصلوا إلى نقطة أشرقت الشمس فيها عن يمينهم، وقد رفض هيرودوت تصديق ذلك، ورغم أن هذه النقطة بالذات هى دليل صدق أنباء الرحلة، لأن ذلك حدث عندما دارت السفن حول رأس الرجاء الصالح، وجاء بسماتيك الثانى ونجح فى أن ينشئ أسطولا كبيرا فى البحر ثم تحرك إلى قبرص حيث دمر المحطات الفينيقية هناك ، وطرد الأهلين منها.

وفى عهد الأسرة التاسعة والعشرين كان الأسطول المصرى قوة يحسب حسابها. فاشترك فى النزاع بين الإغريق وفارس ، ومد الفرعون نفرتيس الأول الملك الإسبرطي "أحسيلاوس" بأسطول من مائة سفينة من ذوات الثلاث صفوف من المجاديف ، عليها ما يقرب من ٨٠٠ ألف مكيال من الحبوب وان استولى الأعداء عليها ، وعندما عقد الصلح بين فارس واسبرطه عقد أخوريس حلفا مع ايفاجوراس ملك سلاميس فى قبرص. وأمده بخمسين سفينة حربية وبمدد من قمح ومال ، ثم بدأ فرعون فى إعادة تنظيم الجيش والأسطول المصرى من جديد ، وبدأ البحارة المصريون يظهرون تفوقا منقطع النظير ، وسيطرت مصر على فلسطين وفينيقيا، وترك أخوريس نقوشا فى معبد أشمون شمال صيدا ومذبحا فى عسقلون من جرانيت أسوان الرمادى.

ولعل من الجدير بالإشارة هنا إلى أن طاقم السفينة المقاتلة إنما كان يتكون من بحارة خنيت يبلغ عددهم فى السفينة الكبيرة حوالى مائتى جنديا ومدربا ، على رأسهم حامل علم وضابط من رتبة قائد بحارة (حرى خنيت) وكان أسلوب الترقى فى البحرية أن ينقل من يراد ترقيته إلى سفينة أكثر شهرة من التى يعمل فيها. فهناك من عهد أمنحتب الثالث اسم أحد حملة الإعلام عمل فى السفن الأربعة التالية على التوالي "تجمة منف" و "واضح فى العدل" و"الحاكم القوى" و "أتون" ،

والسفينة الأخيرة هى بارجة الملك ، هذا ويشير نورى من عهد سيتى الأول إلى أن مرتبة "وعو" بمعنى "تفو" أو"فرد" الآن ، يمثل أدنى المراتب فى سلم الجندية ، ثم يليه "حامل اللواء" الذى يشرف على تدريب البحارة ، ويحمل عادة لقب "حامل لواء تدريب فرقة المجدفين" كما ينسب النفر أو "وعو" إلى السفينة التى يعمل بها ، فيقال "وعو السفينة كذا" مضافا إليها اسم السفينة ، أو بغير ذكر لاسمها ، وكان يشرف على الفرقة أحيانا رجلان ، وليس من شك فى أن حامل اللواء لسفينة هامة كان له مركزة الإجتماعى الممتاز ، وبخاصة فى عصر الرعامسة ، حتى لنجد حامل اللواء لفرقة المجدفين "يسبق فى ترتيب قائمة الموظفين عمدة طيبة نفسه ، وهناك اصطلاحان يعبر بهما عن قائد السفينة الحربية، أولهما هو "تفو" وثانيهما هو "مر" أو "حرى" الذى يضاف إلى كلمة "سفينة" ، وأحيانا لم يكن لقائد السفينة أحد اللقبين ، بل كان يكتفى بذكر اسم السفينة الذى يردف إليه أسم الشخص".

هذا وقد كان من ضباط البحرية "المشرفون على السفن" ويمثلون قسما من قواد الأسطول البحرى ، وأما اللقب الكبير فهو "المشرف على كل سفن الملك" ولعله مثل قائد الأسطول. هذا وقد كان الضباط يعملون فى القوات البحرية والبرية فى آن واحد ، ومثالنا على ذلك "سوامنوت" ، والذى كان يعمل حامل علم فى سرية من المشاة ورئيس اصطبل فرقة من مركبات الجيش فقد عينه "أمنحتب الثانى" قائدا للأسطول.

وأما مركز الأسطول الرئيسى فقد كان فى منف ، ثم سرعان ما تكونت مراكز أخرى فى هليوبوليس وفى قنتير وفى طيبة عندما اتسعت الإمبراطورية المصرية كثيرا ، وأخيرا فهناك نصوص من الدولة الحديثة تشير إلى عدة امتيازات لضياع المعابد التى كانت لها أساطيل خاصة ، فمرسوم نورى من عهد سيتى الأول ، ومرسوم اليفانتين من عهد رمسيس الثالث إنما تشير إلى أنه ليس من حق الموظفين الملكيين التدخل بأيه وسيلة فى شئون السفن الخاصة بالمعابد والتى تستطيع أن تمر حرة دونما أى قيد ، وأنه لا يجوز الأستيلاء على هذه السفن أو بحارتها وتكليفها بأداء أى عمل أخر.

الأسكندر الأكبر :

تولى الأسكندر عرش مقدونيا وكان أبوه قد أعده طويلاً لهذا الغرض فأحضر له "أرسطو" الفيلسوف ليعلمه ويشذب من شخصيته المقدونية العنيفة ، كما إصطحبه معه فى كثير من المعارك التى أبدى فيها الأسكندر شجاعة نادرة وأصبح له معجبون كثيرون من المقدونيون وبقية الجيش والفرسان والأسطول حتى كسب لقب "الأكبر" أو العظيم. لقد كان الأسكندر شديد الحب لأمه وقد ورث عنها الأنفعال الشديد والعنف الذى يصل فى بعض لحظاته إلى حد الجنون ، والخيال الحالم، والواقعية العلمية ، والتخطيط السليم ، والتصرف السريع الحاسم حتى لقبه مؤرخو العصر الحديث بنابليون العالم القديم.

صمم الأسكندر بعد قمع ثورات المدن الإغريقية على إكمال المشروع القديم وهو غزو أسيا الصغرى ولقد كان يحلم بأن تكون حملته عسكرية وحضارية وثقافية لنشر الحضارة الإغريقية فى الشرق عن طريق بناء مدن تقوم بدور المنارات المشعة للثقافة الإغريقية فى الشرق ، ولذا إصطحب معه مجموعة من العلماء والباحثين ليرصدوا مصادر الطبيعة فى بلدان الشرق وقد قلده "نابليون بونابرت" فى ذلك إبان حملته على مصر ، كما قصد من حملته فتح الشرق الذى كان مغلقا فى وجه الإغريق وليتدفقوا على بلدانه الثرية فى حركة إستيطان جديدة ، فبلاد اليونان كانت فقيرة وفى حاجة إلى حركات هجرة وإستيطان وبذلك يقدم للإغريق هدية.

تقدم فى عام ٣٣٢ق.م نحو غزه فإستسلمت ووجد الأسكندر نفسه يدق أبواب مصر ولم يجد أى مقاومة من المصريين ولا من الحامية الفارسية التى بها ففتحها فى سهولة وكأنه فى نزهة عسكرية. وكان الأسكندر ذكيا عارفا بأسباب تذمر المصريين من الفرس كما أعتبر مصر هى أرض أبيه "أمون رع" ولهذا حرص على معاملة المصريين معاملة طيبة للغاية بإعتباره وريث الفراعنة ، وأظهر إحترامه الكامل للديانة المصرية ولعادات المصريين ، ثم وصل إلى منف فإستقبلته كمحرر بطل وحرص على أن يتوج فرعونا فى معبد "بتاح الكبير" ووضع على رأسه تاج من قرنى الكبش رمز أمون ومن ثم عرف فى تاريخ الشرق بإسم "ذو القرنين" ، ثم أقام مهرجانا رياضيا

ثقافياً ترفيهياً على الطريقة الإغريقية إيذاناً بوصول الحضارة الإغريقية رسمياً إلى أرض النيل ، ثم زار آثار مصر وقبور ملوكها فى سقارة كما زار منطقة الأهرام وأبو الهول وكانت حفاوة كهنة منف به بالغة خاصة وأنه قدم الأضاحى للآلهة هناك فى خشوع الإبن التقى البار ، ولم يكتف الاسكندر بذلك بل ذهب إلى معبد "رع" فى هليوبوليس "المطرية" وتوج مرة أخرى هناك بين حفاوة الشعب ومباركة الكهنة ، وقد أكسبه هذا السلوك المهذب إعجاب المصريين وإعتراف الكهنة بحقه كفرعون مؤله، فمنحوه الألقاب التقليدية المؤلهة وصوروه بالطريقة التقليدية وهو يرتدى تاج الوجهين، ولا تزال صورة باقية ويمكن مشاهدتها فى مقصورته بمعابد الكرنك.

أما الإغريق المقيمين فى عواصم الأقاليم المصرية خاصة فى منف وفى مدينة نقراطيس الأغريقية فقد تحمسوا له أشد الحماس لأنه يمثل عنصرهم الذى كان ثانوياً وأصبح بمقدمة العنصر الحاكم صاحب السيادة. ومن الواضح أن فتح مصر كان عملاً سياسياً ناجحاً موجهاً للإغريق الذين أعلنوا تأييدهم وولائهم له ، ولسيادة مقدونيا عليهم ، كما كان ضرورة عسكرية فى صراعه مع الفرس.

سار بعد ذلك بقواته متجهاً إلى ساحل البحر المتوسط وراعه الأهمية الاستراتيجية للشريط الضيق الممتد من الشرق إلى الغرب والمحصور بين بحيرة مريوط وساحل البحر المتوسط ورأى أنه عن طريق تأسيس مدينة ساحلية فوق هذا الشريط فإن تجارة البحرين سوف تلتقى ، وهذا يعنى خلق طريق تجارى جديد بين الشرق والغرب ، ومن ثم كلف الأسكندر أحد مهندسيه لكى يشرف على إكمال المدينة التى إختير لها إسماً مشتقاً من إسم الأسكندر وهو "الأسكندرية". وبينما شهر المهندسون والعمال فى تنفيذ المشروع سار الأسكندر إلى مقصده الأساسى وهو ليبيا.

كان الأسكندر يريد أن يشبع إحساساً فى نفسه وهو أنه بالفعل إبن "أمون رع" وبالفعل وصل إلى الواحة الجميلة ، ويروى لنا "بلوتارخ" كيف أن الأسكندر راح يملأ عيناه بالرهبة المقدسة فى كل مكان من الواحة ودخل معبد أمون حيث كان الكهنة ينتظرونه بالترحيب، وسمح له كضيف خاص بالدخول إلى قدس الأقداس فى المعبد. وقد تركت هذه الزيارة أثراً كبيراً فى نفس الأسكندر وظلت ذكراها عالقة بذهنه حتى مات بل وقيل أنه أوصى بأن يدفن بعد موته فى هذه الواحة ليكون بجوار أبيه "أمون".

حرص الأسكندر على أن ينظم مصر تنظيماً علمياً دقيقاً وذكياً ينم عن دهائه فقد حرص على الإبقاء على النظم المصرية القديمة وتنويع الحكم بين المصريين والإغريق الذين وضع بين أيديهم السلطة العسكرية والمالية ، وأبقى للمصريين السلطة الإدارية وبذلك يضمن عدم قيام الثورة الوطنية ويضمن رضا المصريين ويمنع فى نفس الوقت إحتمال قيام أحد الإغريق أو المقدونيين بالاستقلال بمصر ولذا لم يعين حاكماً مقدونياً أو إغريقياً بل وزع السلطات بتوازن دقيق يمنع مثل ذلك الأحتمال.

أبقى على منف العاصمة المصرية كعاصمة على الولاية وأبقى التقسيم التقليدى والإدارى وهو الوجه القبلى والبحرى بل وعين على كل وجه حاكم مصرى وبذلك أرضى المصريين بإشراكهم فى الحكم.

أما السلطة العسكرية فقد جعلها فى أيدى المقدونيين فقد ترك حامية مقدونية عسكرية واحدة فى سقارة وأخرى فى الجنوب ، أما فى الشمال فقد ترك أسطولاً لحماية السواحل المصرية ، كما ترك حامية فى الشرق وأخرى فى الغرب.

لم يمس الأسكندر النظم الإدارية والمالية التى كان الفراعنة قد أوجدوها فى مصر والتى تقوم على نظام المقاطعات التى يحكمها محليون نيابة عن الفرعون ، ويجمعون بإسمه وله الضرائب والعوائد. وكل ما هناك أنه عزل السلطة الإدارية عن السلطة المالية بتعيين وزير مالية من أحد إغريق مصر ليشرف على المالية والخزانة وجمع الضرائب وعلى نفقات بناء مدينة الأسكندرية.

كما حرص الأسكندر على فتح أبواب مصر للمهاجرين الإغريق خاصة المقدونيين لأن مصر مستقبلاً كما تخيلها الأسكندر كانت ولاية مقدونية أو إغريقية حكماً وفكراً وثقافة ، وكان ذلك نقطة تحول فى تاريخ مصر إذ دخلت عهداً جديداً من حضاراتها المتنوعة الخاصة بعد تأسيس أسرة البطالمة التى حققت إلى حد كبير هذا الحلم.

وقبل أن يغادر الاسكندر مصر إلى ميدان القتال استعرض قواته للوداع وقدم القرابين مرة أخرى للآلهة المصرية لكى تشد أذره فى مهمته القادمة ، وأقام للشعب المصرى والإغريقى مهرجاناً رياضياً وثقافياً وترفيهياً كرمز للتعاون بين الحضارتين العريقتين تماماً مثلما خلق حكومة مصرية إغريقية لحكم البلاد.

كما أوصى موظفيه ونوابه فى مصر بالقيام ببعض الإصلاحات للمعابد المصرية وتجديد معبد الكرنك وإقامة مقصورة له بجوار مقصورة "تحتمس الثالث" ، ولا تزال هذه المقصورة موجودة فى المعبد.

لقد كانت الفترة التى قضاها الأسكندر فى مصر قصيرة لا تتعد ستة شهور ولكنها كانت عامرة بالأحداث والإصلاحات التى حولت مصر إلى فلك الحضارة الإغريقية فى البحر الأبيض ، وكان يتمنى أن يعود إليها مرة أخرى ليرى ثمار ما وضع ولكن القدر لم يحقق له هذا الرجاء إذ عاد إلى مصر محمولاً محنطاً فى تابوت ليكون هذا البلد العظيم مثواه الأخير.

كان موت الأسكندر المفاجئ بلا وريث يعنى صراعاً مريراً دام ما يقرب من أربعين عاماً تحطمت فى نهايتها الإمبراطورية المقدونية وتحولت إلى ممالك صغيرة حكمها الورثة ، وتم تعيين "بطليموس" على ولاية مصر ليؤسس حكم أسرته الذى استمر ما يقرب من ثلاثة قرون من الزمان إلى أن استولي الرومان على مصر.

وطبقاً للعادة والتقليد الملكى فى مقدونيا كان على الملك الجديد أن يبدأ حكمه بالإشراف على جنازة الملك الراحل ودفنه فى موكب كبير كرمز للولاء والتقوى ، وبالفعل استعد "برديكاس" الوصى على الإمبراطورية فى الإعداد لإقامة موكب جنازى لنقل جثمان الأسكندر من بابل إلى عاصمة مقدونيا القديمة "إيجه" لكى يدفن هناك ، ولكن بطليموس الأول إستطاع أن يحول الموكب إلى مصر وسار أمامه فى خشوع إلى منف ، ولقد أحدث دخول موكبا جنازة الأسكندر إلى منف تأثيراً عاطفياً عميقاً لدى المصريين والمستوطنين الإغريق خاصة وأنهم كانوا يشهدون لأول مرة منذ نهاية عصر الفراعنة العظام موكباً جنائزياً بهذه المهابة والفخامة.

فلقد كان جثمان الأسكندر مسجى فى تابوت موضوع على عربة كبيرة تجرها أربعة مجموعات من البغال كل مجموعة تتكون من ١٦ بغلاً وكان كل بغل مزيناً بإكليل من الأحجار الكريمة والنادرة ، وكان تابوت الأسكندر مصنوعاً من الذهب الخالص المطروق وملفوفاً فى حرير وخمائل ذات لون أرجوانى لامع ، وفوق التابوت وضع سيف الأسكندر الشهير وكذلك رمحه اللذان صاحباه فى حروبه ومغامراته ، وزينت العربة بأجراس من الذهب ، وعلى جوانبها من الخارج صورت جوانب من أشهر معارك الأسكندر ، وداخل العربة خلف التابوت وضع كرسى العرش الذهبى المزين.

لقد كان هذا الموكب بالنسبة للمصريين مؤثراً وذكرهم بجنازة فراعنتهم العظام وبعث فيهم حزناً قومياً خاصة أنهم تذكروا الأسكندر الذى كان من وقت قريب بينهم خاشعاً يقدم الطقوس والشعائر والقرابين لآلهتهم ، ولما دخل الموكب منف يتقدمه بطليموس أحسن المصريون إستقبال الجثمان وأثنوا على تقوى بطليموس الذى نجح فى تحقيق رغبة الأسكندر ووصيته بأن يدفن فى مصر ، وتم إعداد ضريح يليق بالقاهر الراحل فى قلب مدينة الأسكندرية التى لم يكن قد إنتهى بعد من بنائها.

لقد كان بطليموس على صواب فى ذلك لأن دفن الأسكندر أكسب الأسكندرية شهرة مقدسة بين أجزاء العالم حيث تدفق الزوار والحجاج فيما بعد للتبرك بالمقام الطاهر. ولا نعرف على وجه التحديد أين يقع الضريح ، إلا أن وصف الزوار القدماء يجعلنا نعتقد أنه يقع فى شارع النبى دانيال أقدم شارع طولى فى الأسكندرية القديمة وربما بالقرب من الكاتدرائية المرقسية الحالية ، ولقد حاول بعض علماء الآثار التنقيب عليه بجوار تمثال سعد زغلول دون جدوى ، وأغلب الظن أن رطوبة أرض الأسكندرية أدى إلى تحليل المومياء كما أن الأحداث والدمار التى حاقت بالإسكندرية بعد إنتصار المسيحية على الوثنية بعد إضطهاد مرير لا إنسانى لا تخلو من المسئولية فى تدمير هذا المقام العظيم حيث دمروا كل أثر للوثنية ومن بينها معبد السيرابيوم العظيم.

الإسكندرية :

ثغر على البحر المتوسط بناه الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ق.م. وكان مقر الحكومة منذ عهد "بطليموس الأول". وقد ازدهرت هذه المدينة ونمت طوال العصر الإغريقى الرومانى. وما إن جاء عصر "بطليموس الثانى والثالث" حتى صارت الإسكندرية مدينة تجارية غنية ، ومركز ثقافة بالغة الشهرة. ثم تدهورت هذه المدينة بعد الفتح العربى عندما احتلت رشيد مكانتها ، ولم تعد إليها الحياة كمدينة كبرى ، إلا فى حكم "محمد على". وهى الآن ثانى مدن مصر. وتقع على برزخ صخرى ضيق بين البحر المتوسط وبحيرة مريوط. والمدينة القديمة مدفونة تحت المدينة الحديثة ، ولا ترى النور إلا عند القيام بعمليات البناء.

وقد اختفى جزء كبير من المدينة "الهلينيستية" ، إذ يتآكل الشاطئ تدريجيا بفعل البحر. ولم يعد لفنارها ولا لمتحفها أو لمكتبتها وجود الآن. ومع ذلك ، فبوسع الزائر لها أن يذهب إلى "السيرابيوم" ويرى عمود بومبى (أو عمود السوارى) ، والممرات السفلية فى "كاتاكوم" كوم الشقافة ، وعددا من المبانى المبعثرة خلال المدينة الحديثة. وإذا ذهبنا إلى متحف الآثار بالإسكندرية ، أمكننا رؤية الآثار المصرية الصميمة والأوانى الهلينيستية وتماثيل التنجرا.

أسماء الملوك ومعانيها :

أسماء بعض ملوك الأسرة الأولى :

١- الملك نعرمر :

وهو الملك المعروف أيضا باسم "مينا" كتب أسمه بعلامتين هى "نعر" والتى تمثل سمكة "القرموط" وعلامة "مر" والتى تمثل "وتد". هذا ولا يزال المعنى الدقيق لهذا الإسم مثار جدل بين الباحثين فى علم المصريات. ويترجم باسم "يحفر أو يشق القناة".

٢- الملك عحا :

كتب إسم هذا الملك بعلامة "عحا" التى تعنى "يحارب" أو "المحارب" وتتكون من درع ومقمعة (دبوس القتال).

٣- الملك جر :

كتب إسم هذا الملك بعلامة تمثل حزمة من نبات الكتان. ويصعب تحديد معنى هذا الإسم.

٤- الملك جت :

كتب هذا الإسم بعلامة الثعبان وهى علامة ذات حرف واحد (ج) بينما سقط حرف التاء على أعتبار أنه من الحروف القابلة للسقوط فى نهاية الكلمة. وفى عهد هذا الملك ظهر أحد الألقاب الملكية الخمس وهو لقب "نبتى" أى "المنتمى للربتين" "نخبت" و "واجيت".

٥- الملك دن :

يصعب تحديد معنى أسم هذا الملك. وفى عهده ظهر لأول مرة لقب "نسوبيتى" أى "ملك مصر العليا والسفلى".

٦- الملك عج - أيب :

ويعنى إسم هذا الملك - فيما يبدو - "سليم القلب أو (العقل)".

٧- الملك سمرخت :

ويعنى أسمه "سمير أو رفيق الجسد" وهو أول ملك يحصل على لقبى "نسو-بيتى" و "نبتى" معا.

٨- الملك قا-عا :

يبدو من تركيب هذا الإسم أن علامة "قا" تمثل أختصار للصفة "قاى" والتى تعنى "عال" ولعل معنى الإسم "عال الهمة".

أسماء بعض ملوك الأسرة الثانية :

١- الملك حتب - سخموى :

وهو أسم يعنى "فلترض القوتان" إشارة إلى إلهى الشمال والجنوب حورس وست.

٢- الملك بر - إيب - سن :

حمل هذا الملك أول أسم ذى وحدات ثلاث ، كما أن الإله "ست" قد حل محل الإله "حورس" فوق "السرخ" ربما تعبيرا عن الإنحياز للإله "ست" على حساب الإله "حورس" ، ويمثل هذا الإسم مشكلة كبيرة ، فهل يعنى "الذى يخرج أو "ينزع" قلوبهم" إشارة إلى أعداء

الملك ، وهل يمكن أن تكون "بر" إختصاراً لكلمة "برى" التى تعنى "بطل" ليكون معنى الإسم "زعيم (بطل) قلوبهم أو عقولهم".

٣- خع - سخموى :

وهو أسم يعنى "اشراق القوتين" أو "فلتشرق القوتان". والواضح من وجود الإلهين "حورس" و "ست" فوق "السرخ" أن هذا الملك قد نجح فى تحقيق التوازن بين الإلهين وبالتالى بين الإقليمين.

أسماء بعض ملوك الأسرة الثالثة :

١- نب - كا :

وهو أسم يعنى "صاحب أو سيد القرين".

٢- الملك جسر :

يعرف هذا الملك بإسم "جسر" أى "المقدس" وهو الإسم الذى لم يعرف به قبل الأسرة الثانية عشرة. وقد تعددت قراءات هذا الإسم وبالتالى معانية ، فهو يمكن ان يقرأ: "تترى - خت" أى "إلهى الجسد" أو "مقدس الجسد" على إعتبار أنه يعتبر من حيث قواعد اللغة تمييز ومميز ، وكذلك "خت نترى" أى "الجسد المقدس" على إعتبار أنهما صفة وموصوف ، وأيضاً "خت نتر" أى "جسد الإله" على إعتبار أنهما مضاف ومضاف إليه. ويمكن أن يقرأ أيضاً "نترى - ر - خت" أى "إلهى أكثر من (كونه) جسد" على إعتبار أن "نترى" صفة وحرف الراء أداة مقارنة و "خت" مقارن به ولعل الأحتمال الأخير للقراءة هو: "إرى - خت - نترى". أى "المنتمى للجسد الإلهى" على أساس أن الراء حلت هنا محل "iry" النسبة من حرف الجر"r".

٣- الملك سخم خت :

وهو إسم يعنى "قوة الجسد".

أسماء بعض ملوك الأسرة الرابعة :

مع بداية هذه الأسرة أصبحت الأسماء الملكية توضع فى "خراطيش".

١- الملك سنفرو :

وهذا الإسم يجب أن ينطق "سنفر (إف) - وى" أى "هو يجملنى" والفاعل هنا هو الإله "بتاح" الذى لم يظهر فى الإسم.

٢- الملك خوفو :

يبدو هذا الإسم من حيث الشكل وكأنه وحدة واحدة، لكنه فى الواقع يتكون من الفعل hwf الذى يعنى "يحمى" والضمير المتصل (f.) والضمير المتعلق (Wi) بدون حرف الـ i كما فى الإسم السابق. وبذلك يكون معنى الإسم "هو يحمينى" و "هو" هنا تشير للإله "خنوم" الذى لا يرد صراحة فى "الخرطوش". إذن فالصورة الكاملة لإسم هذا الملك تعنى "الإله خنوم يحمينى".

٣- الملك خفرع :

يتكون هذا الإسم من ثلاث وحدات ، قدم فيها أسم الإله رع ، وبذلك تكون القراءة حسبما ذكرنا من قبل"خع - إف - رع" ويعنى "فليشرق ، أى الإله رع".

٤- الملك منكاورع :

تنطبق عليه نفس قاعدة قراءة الإسم السابق ويقرأ "من - كاو - رع" ويعنى الإسم "فلتبق قرائن رع".

٥- الملك شبسسكاف :

أسم مكون من ثلاث وحدات هى "شبسس - كا - إف" ويعنى "قرين رع نبيل" أو "نبيل قرين رع".

أسماء بعض ملوك الأسرة الخامسة :

١- الملك وسركاف :

ويعنى هذا الإسم "قرينة قوى أو قوى قرينه".

٢- الملك ساحورع :

وينطق "ساح - وى - رع" ويعنى "الإله رع وهبنى أو هبة رع".

٣- الملك نى وسررع :

هذا هو أسم التتويج لهذا الملك ويعنى "المنتمى لقوة رع". أما إسم الميلاد فينطق "آنى" ويصعب تحديد معناه.

٤- أوناس (ونيس) :

وهو اسم يصعب تحديد مكوناته ، ومن المحتمل أن يقرأ "ون - إيس" وقد يعنى "الموجود حقا".

أسماء بعض ملوك الأسرة السادسة :

١- تتى :

وهو أسم يصعب تحديد معناه ، ويبدو أن "تتى" هو الصورة المختصرة للإسم الكامل الذى لانعرفه.

٢- مرى - رع :

أى "محبوب رع" وهو أسم التتويج ، أما أسم الميلاد "ببى الأول" فيصعب تحديد معناه ويبدو أنه هو الآخر مثل "تتى" صورة مختصرة لإسم كامل.

٣- مرى - إن - رع :

أى "محبوب رع" وهو أسم التتويج ، أما أسم الميلاد فهو "عنتى-إم-سا-إف" ويعنى " الإله عنتى حامية".

٤- نفر - كا - رع :

أى "جميل قرين رع" وهو أسم التتويج ، أما أسم الميلاد فهو "ببى الثانى".

أسماء بعض ملوك الأسرة الحادية عشرة :

١- نب - حبت - رع :

أسم التتويج ويعنى "سيد مجداف رع" ، أما أسم الميلاد فهو "منتو-حتب" أى "الإله مونتو راض".

٢- سعنخ - كا - رع :

أسم التتويج ويعنى "الذى يُحيى قرين رع" أما أسم الميلاد فهو: "منتوحتب".

٣- نب - تاوى - رع :

أسم التتويج ويعنى "سيد أرضى رع" ، أما أسم الميلاد فهو "منتوحتب".

أسماء بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة :

١- سحتب - إيب - رع :

وهو أسم التتويج ويعنى "الذى يرضى قلب رع" ، أما أسم الميلاد فهو "أمون - أم - حات" الأول أى "أمون فى المقدمة".

٢- خبر - كا - رع :

أسم التتويج ويعنى: "خلق قرين رع" أما أسم الميلاد فهو: "سا - أن - وسرت" الأول أى "تابع الإلهة وسرت". والمعروف أن "وسرت" صفة من صفات الإلهة إيزيس.

٣- نوب - كاو - رع :

أسم التتويج ويعنى "ذهب قرائن رع" أما أسم الميلاد فهو: "أمنمحات" الثانى.

٤- خع - خبر - رع :

أسم التتويج ويعنى: "فلتشرق هيئة رع" أما أسم الميلاد فهو "سنوسرت" الثانى.

٥- خع - كاو - رع:

أسم التتويج ويعنى "فلتشرق قرائن رع". أما أسم الميلاد فهو "سنوسرت" الثالث.

٦- نى - ماعت - رع:

أسم التتويج ويعنى "المنتمى لعدالة رع". أما أسم الميلاد فهو "أمنمحات" الثالث.

٧- ماع - خرو - رع:

أسم التتويج ويعنى "صادق صوت رع". أما أسم الميلاد فهو "أمنمحات" الرابع.

أسماء بعض ملوك الأسرة الثالثة عشرة:

١- سخم - رع - سواج - تاوى:

أسم التتويج ويعنى: "قوة رع ، محيى (مجدد) الأرضين" أما أسم الميلاد فهو: سُبك - حتب ويعنى "سُبك راض".

٢- خع - سِشِشِت رع :

أسم التتويج ويعنى: "فلتشرق سستروم (صلاصل) رع" أما أسم الميلاد فهو: نفرحتب أى "سعيد وراض".

أسماء بعض ملوك الأسرة الخامسة عشرة:

١- سوسر - إن - رع :

أسم التتويج الذى يعلوه لقب "تشرنفر" أى "الإله الطيب" بدلا من "تسو-بيتى" ويعنى: "قواه الإله رع" وتشير هذه الترجمة إلى سقوط الضمير المتعلق(wi) حيث يجب أن يكون الأسم "سوسر-ان-(وى)-رع" أما إسم الميلاد فهو "خيان" وهو إسم سامى الأصل فيما يبدو.

٢- عا - وسر - رع :

إسم التتويج ويعنى "عظيمة قوة رع". أما إسم الميلاد فهو "اببى".

أسماء بعض ملوك الأسرة السابعة عشرة:

١- نوب - خبر - رع :

أسم التتويج ويعنى "ذهبية هيئة رع". أما أسم المولد فإن من الصعب تحديد مكوناته وأن جرى العرف على قراءته "أنتف" وهى القراءة التى قد تشير إلى احتمالين من حيث القواعد النحوية ، فهو إما المصدر"int" متبوعاً بالضمير المتصل كمفعول ، ليعنى الإسم "إحضارة" أو أن التركيب هو in.t(w).f أى تركيب فى صيغة المبنى للمجهول ليعنى "يُحضَر" وهى معان قد تبدو غير مقبولة. ويمكن قراءة هذا الإسم فى ضوء ما هو معروف عن التهجئة فى هذه المرحلة اللغوية in.(wi).it.(i) ويعنى "أحضرنى (أنجبنى) أبى" مع ملاحظة - سقوط الضمير المتعلق الشخصى الأول (wi) بعد in وكذلك سقوط الضمير المتصل الشخصى الأول (i) بعد كلمة it وليس ببعيد عن الأذهان الصور المختلفة التى ظهرت بها كلمة it (أب).

٢- سقنن -(وى)-رع:

أسم التتويج: ويعنى "فليقونى الإله رع" أما أسم الميلاد فينطق "تا-عا-قن" وهو أسم يصعب حتى الآن تحديد معناه بدقة.

٣- واج - خبر - رع:

أسم التتويج ويعنى "ناضرة هيئة رع". أما أسم الميلاد فهو: "كامس" ويعنى "الثور مولود" أو "ولد الثور".

أسماء بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة:

١- أسم التتويج: نب-بحتى-رع ، ويعنى "صاحب قوة رع".

أسم الميلاد: إعح - مس ويعنى "القمر مولود" أو "ولد القمر".

٢- أسم التتويج: جسر - كارع ، ويعنى "مقدس قرين رع".

أسم الميلاد: إمن - حتب (أمون-حتب) الأول ويعنى "أمون راض".

٣- أسم التتويج: عا-خبر-كا-رع ، ويعنى "عظيمة هيئة قرين رع".

أسم الميلاد: جحوتى - مس ، ويعنى "جحوتى مولود" أو "ولد جحوتى".

٤- أسم التتويج: عا-خبر-رع ، ويعنى "عظيمة هيئة رع".

أسم الميلاد: جحوتى - مس ،ويعنى "جحوتى مولود".

٥- أسم التتويج: ماعت-كا-رع ، ويعنى "عدالة (عادل) قرين رع".

أسم الميلاد: غنمت-إمن-حات-شبسوت ، ويعنى خليلة (رفيقة) أمون - المقدمة على الأميرات.

٦- أسم التتويج: من-خبر-رع ، ويعنى "فليبق خلق رع".

أسم الميلاد: جحوتى - مس ، ويعنى "عظيمة هيئة رع".

٧- أسم التتويج: عا-خبرو- رع ، ويعنى "عظيمة هيئة رع".

أسم الميلاد: إمن - حتب - نتر - حقا - واست ، يعنى "أمون راض ، الإله ، حاكم إقليم واست".

٨- أسم التتويج: من-خبرو- رع ، ويعنى "فلتبق هيئة رع".

أسم الميلاد: جحوتى - مس - خع - خعو، ويعنى "جحوتى مولود ، الذى يشرق إشراقا".

٩- أسم التتويج: نب - ماعت - رع ، ويعنى "صاحب عداله رع".

أسم الميلاد: إمن-حتب- حقا - واست،يعنى "أمون راض حاكم إقليم واست".

١٠- أسم التتويج: نفر-خبرو- رع -وع - إن - رع ويعنى "جميلة هيئة رع ، وحيد رع".

أسم الميلاد: آخ - إن - إتن ، ويعنى "المخلص لآتون".

١١- أسم التتويج: نب-خبرو-رع، ويعنى "صاحب هيئة رع"

أسم الميلاد: توت - عنخ - إمن - حقا - إيون - شمع ، ويعنى "الصورة الحية لأمون ، حاكم إيون الجنوبية (طيبة)".

١٢- أسم التتويج: جسر-خبرو-رع-ستب-إن-رع-ويعنى "مقدسة هيئة رع ، المختار من رع".

أسم الميلاد: مرى-إن-إمن-حور-إم-حب ، ويعنى "محبوب أمون -حورس فى عيد".

أسماء بعض ملوك الأسرة التاسعة عشرة :

١- أسم التتويج: من-بحتى-رع ، ويعنى "فلتبق قوة رع".

أسم الميلاد: رع-مس-سو ، ويعنى "الذى أنجبه رع".

٢- أسم التتويج: من - ماعت - رع ، ويعنى "فلتبق عدالة رع".

أسم الميلاد: ستى - مرى - إن - بتاح،ويعنى "المنتمى للإله ست، محبوب بتاح".

٣- أسم التتويج: وسر - ماعت - رع - ستب - إن - رع ، ويعنى "قوية عدالة رع ، المختار من رع".

أسم الميلاد: مرى- إمن-رع-مس-سو،ويعنى "محبوب أمون الذى أنجبه رع".

٤- أسم التتويج: مرى - رع - با - إن - أمون، ويعنى "محبوب رع ، كبش أمون".

أسم الميلاد: مرى-إن- بتاح-حتب-حر-ماعت ويعنى"محبوب بتاح - الراضى بالعدالة".

أسماء بعض ملوك الأسرة العشرون :

١- أسم التتويج: وسر-ماعت-رع-مرى-إمن ، ويعنى "قوية عدالة رع ، محبوب أمون".

أسم الميلاد: رع-مس-سو-حقا-إيون ، ويعنى "الذى أنجبه رع - حاكم إيون (هليوبوليس)".

٢- أسم التتويج: حقا-ماعت-رع-ستب-إن-إمن، ويعنى "حاكم عداله رع ، المختار من أمون".

أسم الميلاد: مرى-إمن-رع-مس-سو، ويعنى "محبوب أمون ، الذى أنجبه رع".

٣- أسم التتويج: نفر-كا-رع-ستب-إن-رع ، ويعنى "سعيد قرين رع ، المختار من رع".

أسم الميلاد: مرى-إمن-رع-مس-سو-خع-(إم) - واست ويعنى "محبوب أمون ، الذى أنجبه رع ، المشرق فى إقليم واست".

أسماء بعض ملوك الأسرة الحادية والعشرون :

١- أسم التتويج: حج-خبر-رع-ستب- ان-رع ، ويعنى "مضيئة هيئة رع ، المختار من رع".

أسم الميلاد: مرى-امن-نس-با-نب جدو ويعنى "محبوب أمون ، المنتمى للكبش سيد جدو (أبوصيربنا)".

٢- أسم التتويج: عا-خبر-رع-ستب-ان-إمن ، ويعنى "عظيمة هيئة رع ، المختار من أمون".

أسم الميلاد: مرى-إمن-باسبا-خع-ان-نيوت، ويعنى:"محبوب أمون ، النجم المشرق فى المدينة (طيبة)".

أسماء بعض ملوك الأسرة الثانية والعشرون :

١- أسم التتويج: حج-خبر-رع-ستب-إن-رع

أسم الميلاد: مرى-إمن-شاشنق ، ويعنى "محبوب أمون شاشنق".

٢- أسم التتويج: وسر-ماعت-رع-ستب-ان-إمن ويعنى "قوية عدالة رع ، المختار من أمون".

أسم الميلاد: مرى-إمن-وسركن ، ويعنى "محبوب أمون ، وسركون".

اسماء بعض ملوك الأسرة الخامسة والعشرون :

١- أسم التتويج: بى (با-عنخى)

أسم الميلاد: مرى-إمن-بى ، ويعنى "محبوب أمون - بى".

٢- أسم التتويج: نفر-كا-رع ، ويعنى "سعيد قرين رع".

أسم الميلاد: شباكا.

٣- أسم التتويج: نفر-تم-خو-(وى)- رع، ويعنى "نفرتم ، الإله رع يحمينى".

أسم الميلاد: تهلق (تهرق) :طهرقا.

اسماء بعض ملوك الأسرة السادسة والعشرون :

١- أسم التتويج: واح-إيب-رع ، ويعنى "فليدم قلب (فكر) رع".

أسم الميلاد:با-اس-مثك "ويصعب تحديد معناه".

٢- أسم التتويج: وحم-ايب-رع، ويعنى "فليتجدد قلب (فكر) رع أو إستمرار (تكرار) فكر رع".

أسم الميلاد: نى-كاو، ويعنى "المنتمى للقرائن".

٣- أسم التتويج: نفر-ايب-رع، ويعنى "سعيد قلب رع".

أسم الميلاد: با - اس - مثك.

٤- أسم التتويج: حعى - ايب - رع - ، ويعنى "فليهنأ قلب رع".

أسم الميلاد: واح - إيب - رع.

٥- أسم التتويج: غنم - إيب - رع ، ويعنى "المتحد مع قلب رع".

أسم الميلاد: إعح - مس - سا - نيت، ويعنى "القمر مولود ابن نيت".

٦- أسم التتويج: عنخ-كا-إن-رع ، ويعنى "فليحيا قرين رع".

أسم الميلاد: با - أس - مثك.

أسماء بعض ملوك الأسرة السابعة والعشرون:

١- أسم التتويج: رع-مسو،يعنى "الذى أنجبه رع".

أسم الميلاد: كمبيثت (قمبيز - أسم فارسى)

٢- أسم التتويج: ستوت - رع ،ويعنى "أشعة رع".

أسم الميلاد: تاريوش (داريوس -إسم فارسى).

٣- أسم التتويج: خشا يالش (أسم فارسى)

اكسركسيس.

أسم الميلاد: التخششس (أسم فارسى)=

اتاكسركيسكس.

أسماء بعض ملوك الأسرة التاسعة والعشرون :

١- أسم التتويج: غنم - ماعت - رع ويعنى "المتحد مع عدالة رع".

أسم الميلاد: هجل (هجر-هكر).

٢- أسم التتويج: خبر - كا - رع ، ويعنى "هيئة قرين رع".

أسم الميلاد: نخت-نبف ، وتعنى "قوى سيدة".

٣- أسم التتويج: سنجم-إيب-رع-ستب-ان-إمن، ويعنى "الذى يسعد قلب رع ، المختار من آمون".

أسم الميلاد: نخت-حر-حبت-مرى-حاتحور ، ويعنى "قوى حورس حبت ، محبوب حتحور".

اسماء الملوك بالهيروغليفيه : (الخراطيش)

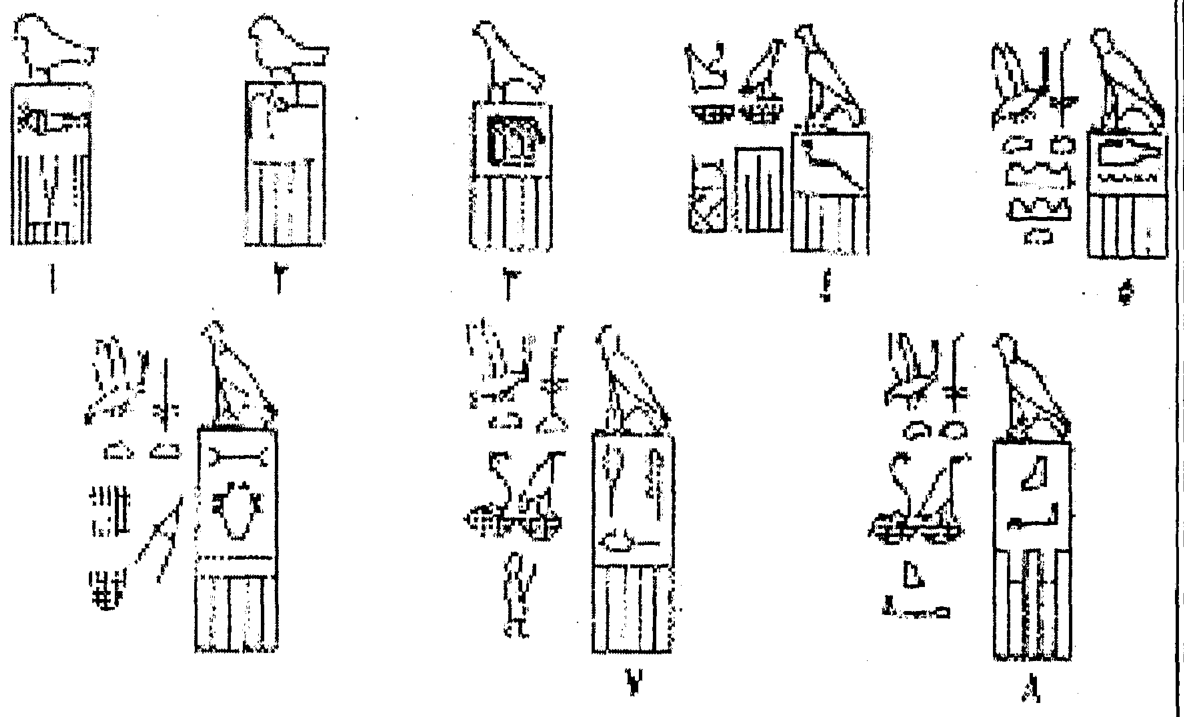

أسماء بعض ملوك الأسرة الأولى

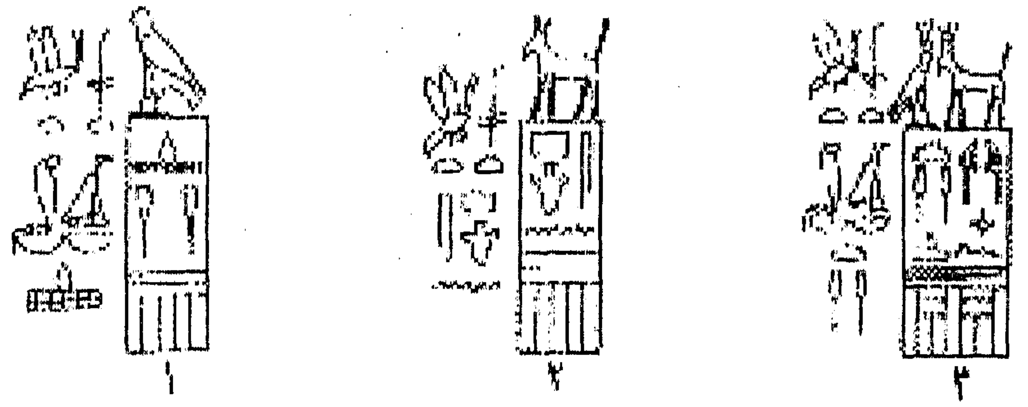

أسماء بعض ملوك الأسرة الثانية

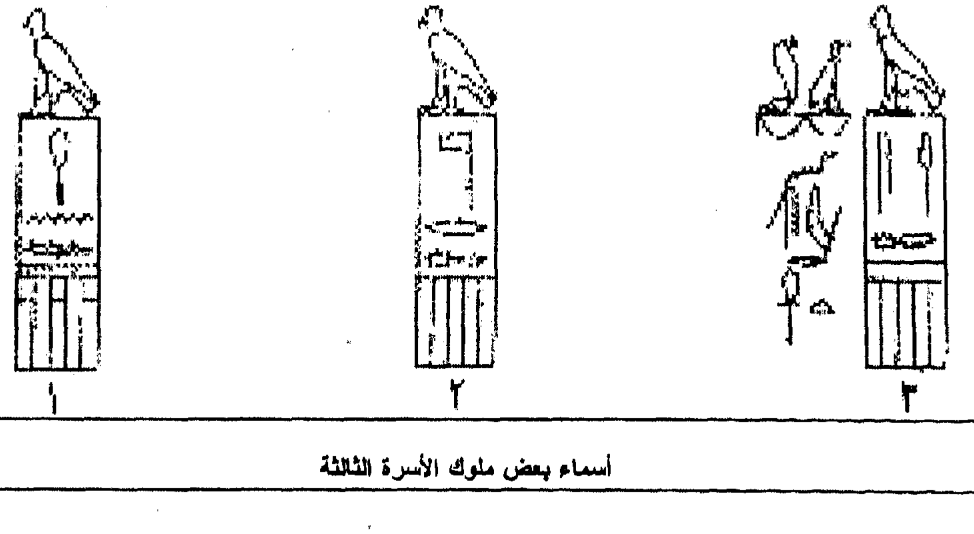

أسماء بعض ملوك الأسرة الثالثة

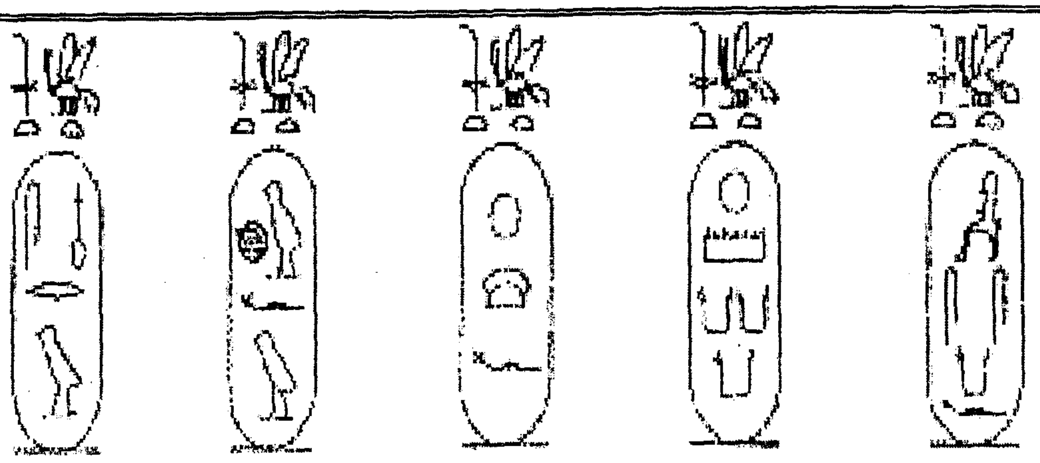

١ ٢ ٣ ٤ ٥

أسماء بعض ملوك الأسرة الرابعة

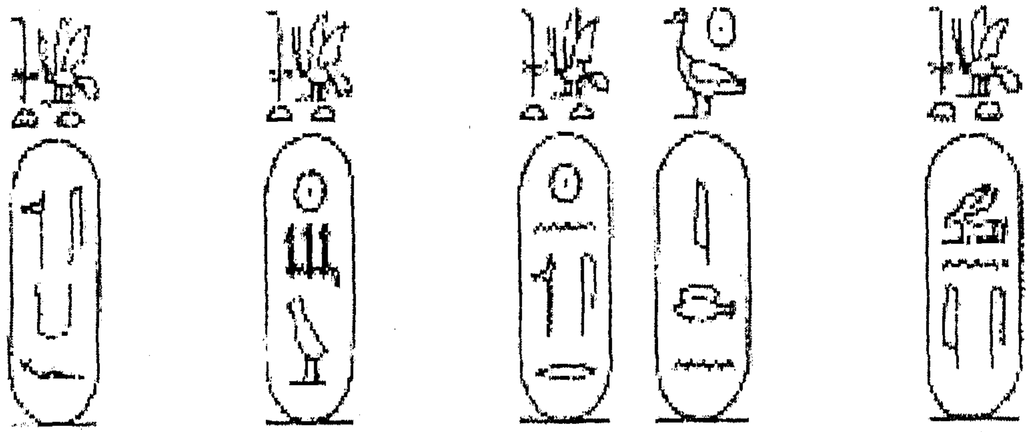

١ ٢ ٣ ٤

أسماء بعض ملوك الأسرة الخامسة

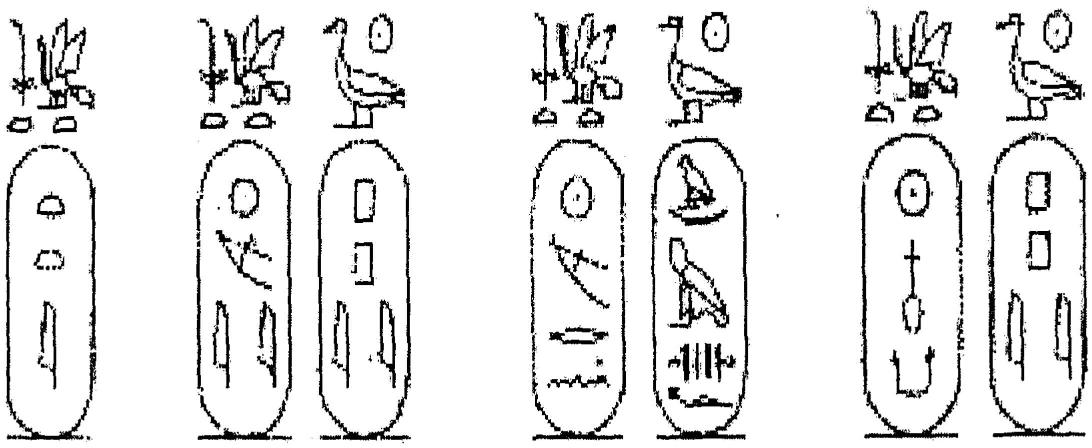

١ ٢ ٣ ٤

أسماء بعض ملوك الأسرة السادسة

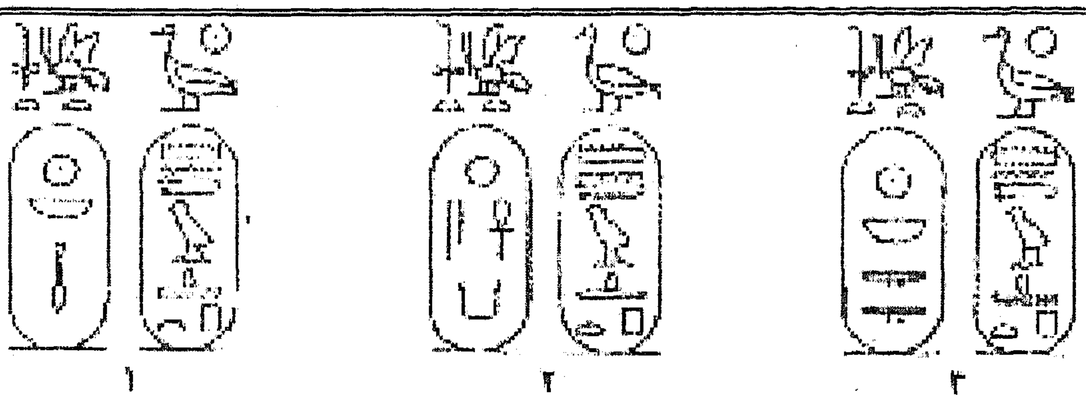

أسماء بعض ملوك الأسرة الحادية عشرة

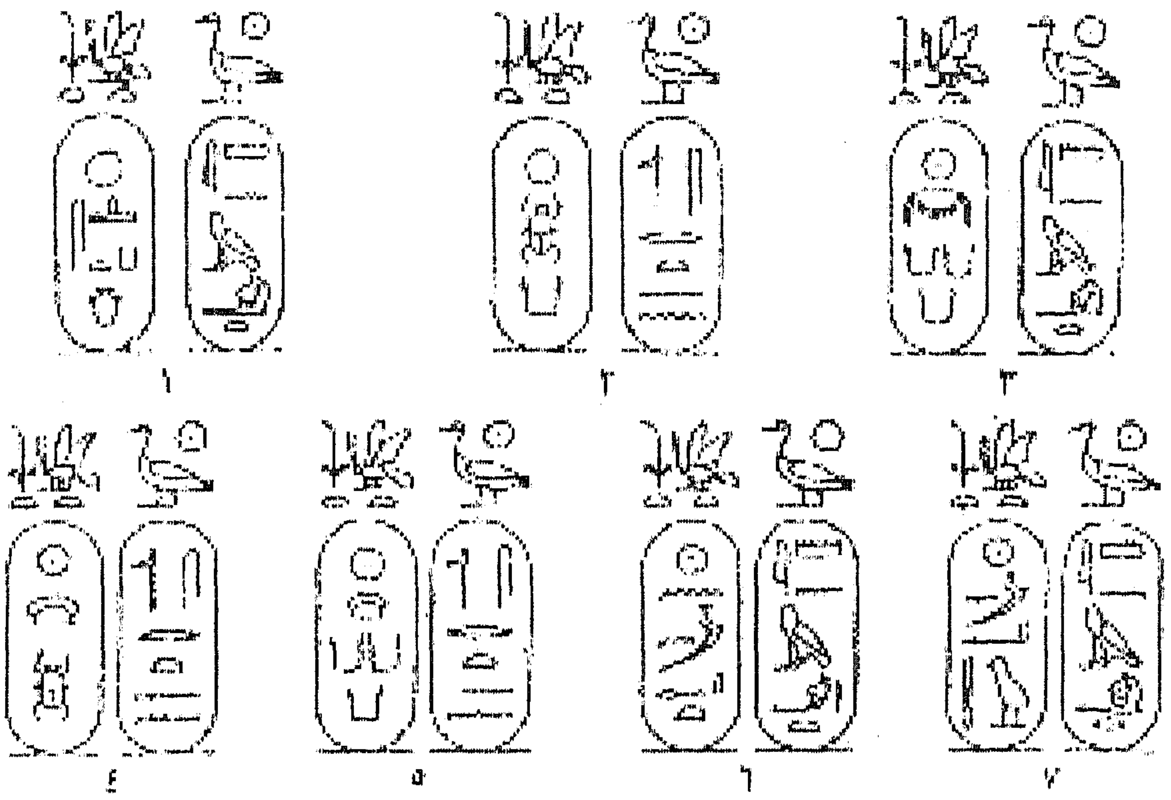

أسماء بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة

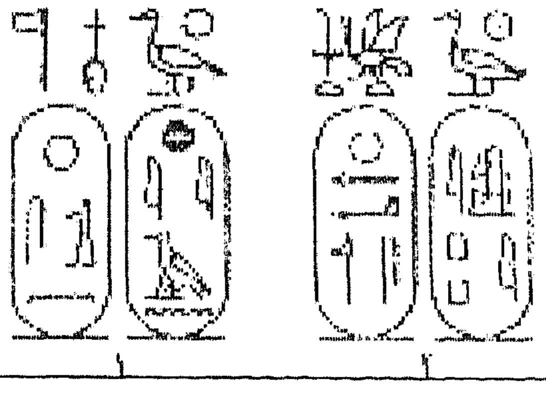

أسماء بعض ملوك الأسرة الخامسة عشرة

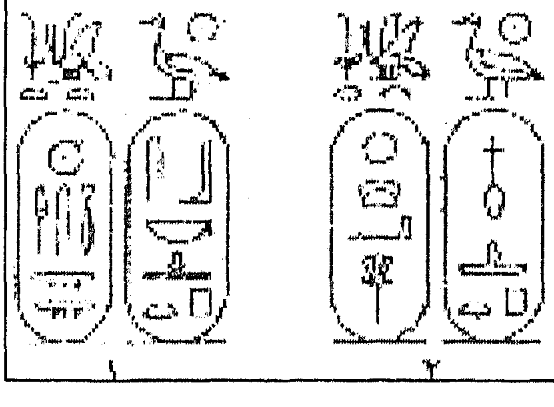

أسماء بعض ملوك الأسرة الثالثة عشرة

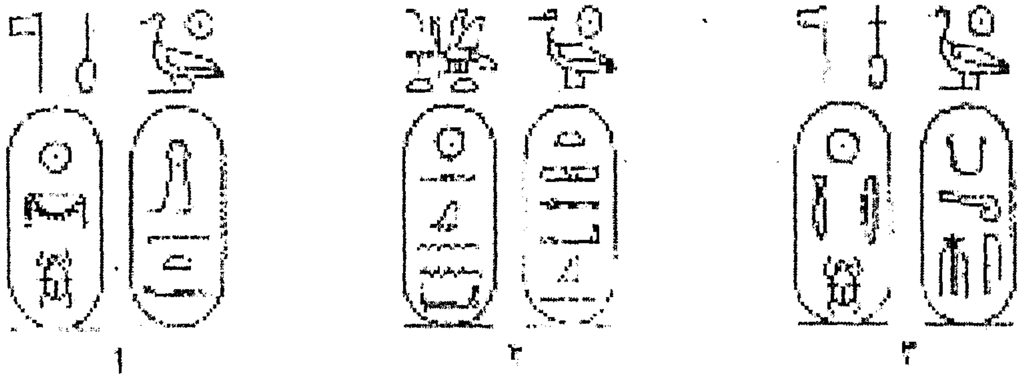

أسماء بعض ملوك الأسرة السابعة عشرة

أسماء بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة

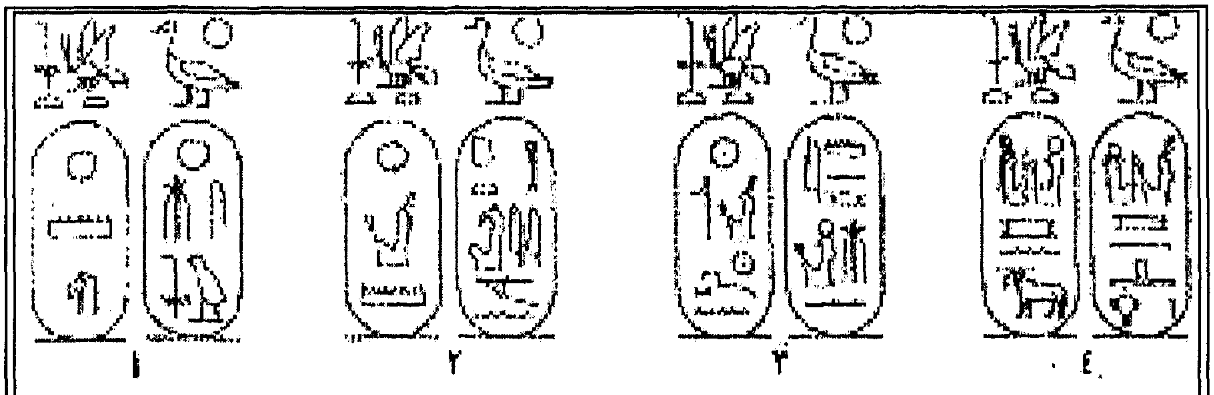

أسماء بعض ملوك الأسرة التاسعة عشرة

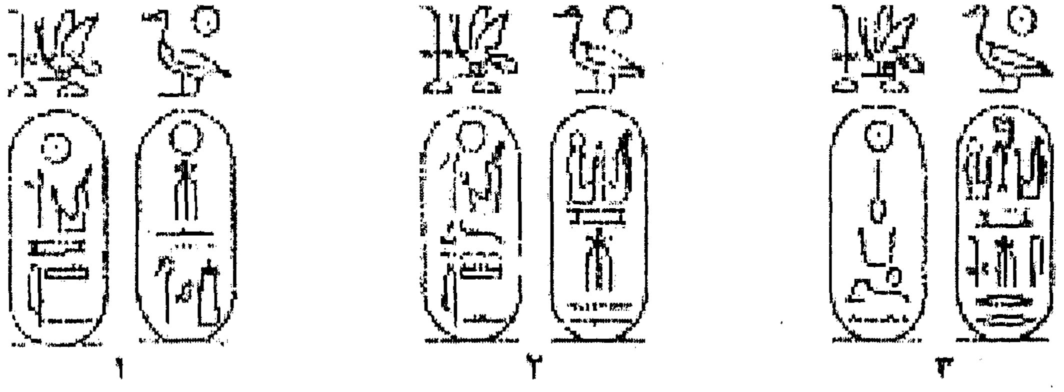

أسماء بعض ملوك الأسرة العشرون

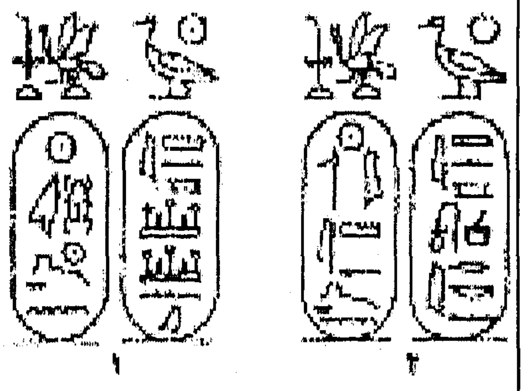

أسماء بعض ملوك الأسرة الثانية والعشرون

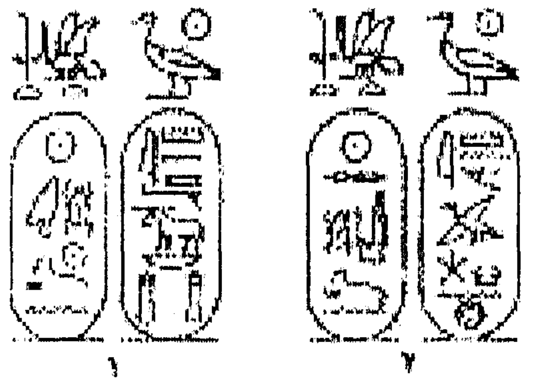

أسماء بعض ملوك الأسرة الحادية والعشرون

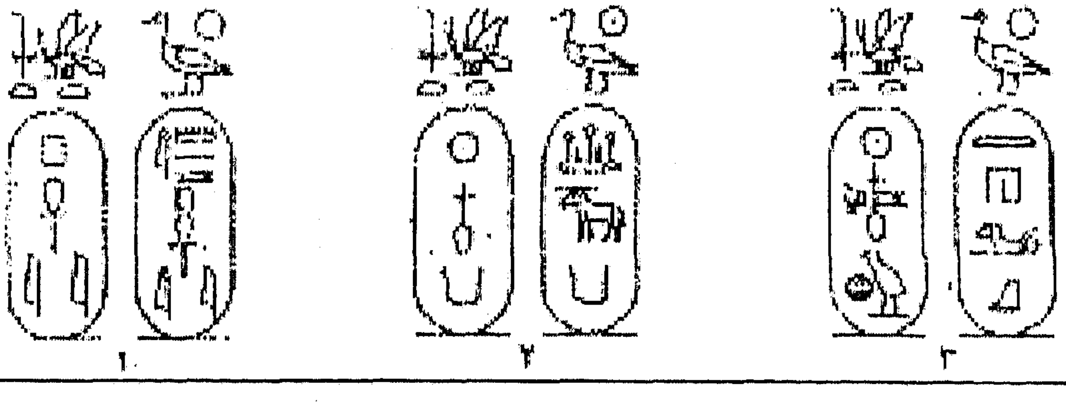

أسماء بعض ملوك الأسرة الخامسة والعشرون

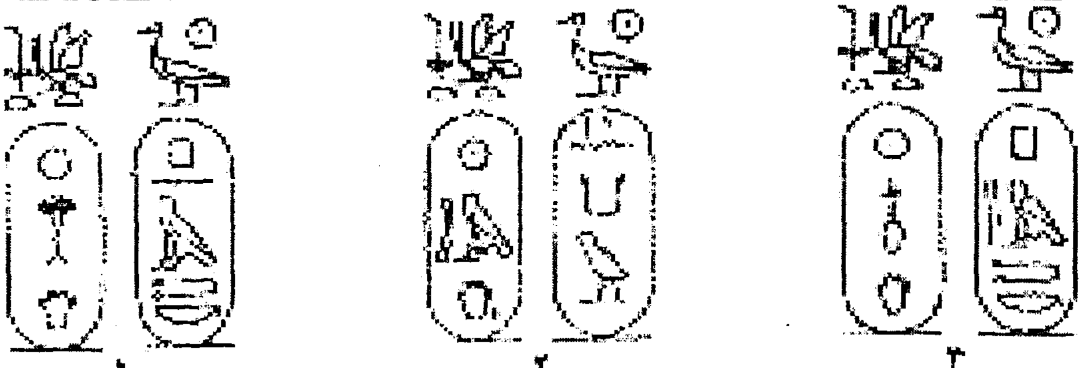

أسماء بعض ملوك الأسرة السادسة والعشرون

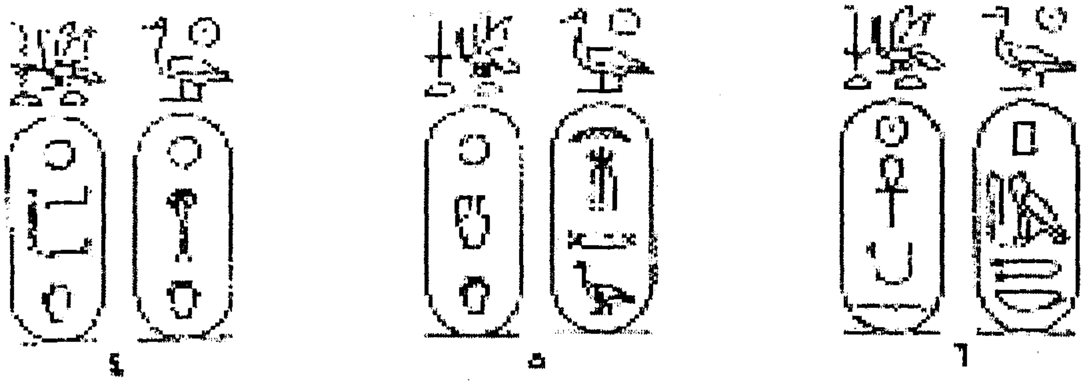

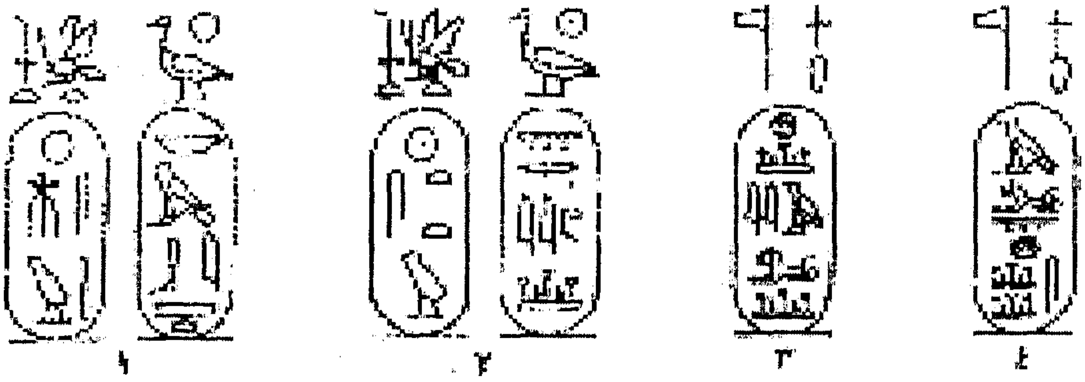

أسماء بعض ملوك الأسرة السابعة والعشرون

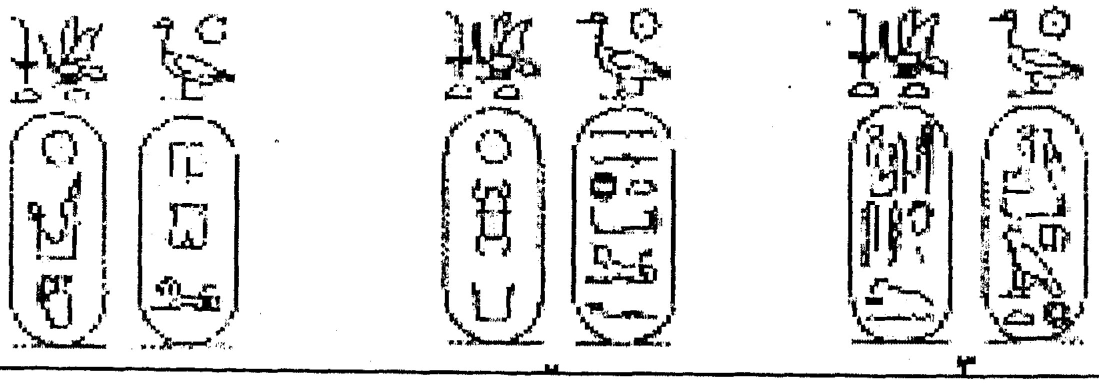

أسماء بعض ملوك الأسرة التاسعة والعشرون

الأسماك :

تعد الأسماك من أهم مصادر الثروة المائية منذ العصر الحجرى الحديث عندما إستوطن المصريون القدماء بالقرب من مياه النيل الذى كان يمدهم بالكثير منها وخاصة فى فصل الفيضان. وكانت مصر غنية بالأسماك التى تعيش فى مياهها ، ويستهلك المصريون كثيراً من أنواعها المختلفة كما هو واضح من نقوش المقابر وما ذكره المؤرخون.

وكانت الأسماك من الأطعمة الشهية عند المترفين من الناس ، بل كانت جزءاً من الطعام الرئيسى للعامة. ومما يلفت النظر ان معظم "قوائم الطعام" المصرية القديمة كانت تخلو من السمك ولم يظهر على موائد القربان إلا نادرا. ومن الغريب ان أحد الملوك كان يقف بعيداً عن الناس الذين يأكلون السمك. ونرى على جدران معبد الدير البحرى بطيبة رسوم الأسماك النيلية بطريقة تفيض بالحياة إلى درجة تثير الدهشه ومن هذه الأسماك ما يمكن تمييزه بسهولة مثل البياض.

وقد ظهرت الأسماك فى كثير من المناظر من العصر الإغريقى الرومانى. ويلاحظ ان تصوير السمك فى الفن القبطى ، يعد امتداد لمناظر الصيد فى مصر القديمة ، إذ ان هناك تشابها كبيراً بينهما فنرى السمك فى الماء والقارب والصياد منهمكا فى الصيد.

تقديسها :

وكان بعض المصريين يقدسون الأسماك ويعتقدون أنها روح طيبة من أرواح الماء بينما يعدها البعض الآخر غير طاهرة.

ومما تجدر ملاحظته ان المصريين كانوا لا يأكلون أى نوع من الأسماك فى مقاطعة البهنسا وغيرها من المقاطعات التى تحت حمايتها، وكان الكهنة محرما عليهم أكل السمك، ويعدون لحمه نجسا ويحرمونه أمام أبواب منازلهم فى اليوم التاسع من الشهر الأول من السنة (توت) – وهى السنة الزراعية القديمة المعروفة بالسنة القبطية– على حين ان كل مصرى كان يتحتم عليه – طبقا للعقيدة الدينية– ان يأكل سمكا مشويا أمام باب منزله.

وقد ذكر (هيرودوت) ان العمال كان يوزع عليهم كمية من السمك يبلغ وزنها نحو ٩١ جراما. وفى (متون الأهرام) كان القوم يتجنبون نقش العلامات التى تمثل السمك. وقد جاء فى فصل التعاويذ السحرية من (كتاب الموتى) أنه لا يحق ان يتلوه إلا رجل طاهر لم يكن قد أكل لحما أو سمكا. كما جاء فى بردية (ساليبه) أو نتيجة الأسرات ان أكل السمك كان محرما فى بعض أيام خاصة من السنة، ولعلهم أرادوا بذلك إفساح المجال ليتكاثر السمك فى النيل حيث تقل الأسماك فى وقت انخفاض الماء. وقد ورد فى أحد المتون نص يقول: "لا تأكل السمك فى هذا اليوم ن إذ فيه الكفرة يصيرون سمكا فى الماء" وذلك فى يوم ٢٢ توت و ٢٨ كيهك و ٢٥ برموده وفى ٢٩ كيهك ينصح بطرد العامة الذين أكلوا سمكا (من المعابد).

ومما هو جدير بالذكر ان منع أكل السمك –الذى حرمه الناس من أحد الأطعمة الرئيسية– لم يكن عاما يتحتم على الجميع إتباعه وأغلب الظن انه يشبه إلى حد كبير ما هو متبع عند المسيحيين الشرقيين فى الوقت الحاضر عندما يحرمون أكل السمك فى بعض الأعياد الدينية لأنهم يعدونه نوعا من أنواع اللحوم بينما يسمحون بأكله فى الأعياد الأخرى.

أنواعها :

وأهم أنواع الأسماك التى ظهرت رسومها على جدران المقابر هى قشر البياض وفتيل البياض والبنى وثعبان الماء والقنوم والبلطى والبورى والقرموط والشال والشلبة واللبيس والفهقة والبسارية

١ – قشر البياض: وقد أطلق المصريون القدماء على هذا النوع اسم "عحا" و كانوا يقدسونه فى اسنا (لاتوبوليس) ومعناها بالأغريقية مدينة السمك– ويحرمون أكله فيها وقد عثر على رسومه فى المقابر وخاصة فى ميدوم بالفيوم.

٢ – فتيل البياض: وكان هذا النوع يقدس فى اسنا و الشلال ويحرم أكله فيها.

٣ – البنى: وقد قدس فى البهنسا، ويرى مرسوما على أحد جدران مقبرة "مرروكا" بسقارة من الأسرة الخامسة وعلى آثار الملك سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة.

٤ – ثعبان الماء: وكان هذا النوع مقدسا فى اسنا والشلال، وقد وجد مرسوما على أحد جدران مقابر سقارة من عصر الدولة القديمة مع أنواع مختلفة من

الأسماك كما رسم على أحد جدران مقابر بنى حسن من عصر الدولة الوسطى، ويحتمل ان المصريين حرموا أكله لصفاته غير الصحية.

٥ - القنوم: وتمثل هذه السمكة إحدى العلامات فى الكتابة الهيروغليفيه وتنطق "خا" وقد ذكر (هيرودوت) أنها تمتاز بطولها وزعانفها اللينة وأنفها المدبب الصغير. وكان القوم يقدسونها ويعتقدون بأنها هى التى ابتلعت عضو التذكير للإله "أوزيريس" عندما قتله أخوه "ست" إله الشر وألقى هذا العضو فى النيل.

ونرى هذه السمكة مرسومة على أحد جدران مقبرة "تى" بسقارة من الأسرة الخامسة ومقبرة "كاجمنى" من الأسرة السادسة وفى أحد المعابد بالواحات مصحوبا باسم الإلهة يظن أنه رمزها. وكثيراً ما رسمت هذه السمكة على جدران مقابر طيبة وبنى حسن ومنف ضمن الأسماك التى كانوا يصطادونها من غير قصد وفى هذه الحالة يعنى الصيادون بها عناية تامة. وكانت هذه السمكة موضع تكريم خاص وحرم أكلها فى البهنسا ويظن أنها أقل نفعا من أنواع السمك الأخرى وأن طعمها غير لذيذ.

والفكرة السائدة الآن أن السمك الناعم الجسم أقل نفعا فى الطعام من السمك ذى القشرة.

٦ - البلطى: وكان القوم يفضلون هذا النوع من السمك ويمتاز بزعانفه الطويله على الظهر. وقد عثر على رسمه على أحد جدران مقبرة "بتاح حتب" بسقارة من الأسرة الخامسة وعلى جدران مقابر ميدوم ويمثل أحد العلامات فى الكتابة الهيروغليفية وينطق "إين".

٧ - البورى: وقد أطلق عليه المصريون القدماء بالهيروغليفية "برى" وبالقبطية "بورى". ويتميز هذا النوع بزعانفه الأربعة كل اثنتين على أحد الجانبين، وعثر على رسمه على جدران مقابر ميدوم ووجد بكثرة فى مناظر صيد الأسماك، ويعد البورى المشوى من أفخر الأطعمة.

٨ - القرموط: وكان يطلق عليه بالهيروغليفية اسم "تعر" ويظن أنه قدس فى الفنتين بأسوان ولا يوجد دليل على أنه كان يؤكل فى طيبة وربما يكون ذلك دليلا على عدم نفعه، وكان يصاد فى مصر السفلى ويقدم أحيانا طعاما للمائدة.

٩ - الشال: ويمتاز هذا النوع بزعانفه الصلبة ويحتوى على نسبة كبيرة من الدهن ويؤكل مشويا وكثيرا ما يوصف للناقهين. وقد عثر على رسومه فى كثير من المقابر وخاصة فى مقبرتى "تى" و "كاجمنى" بسقارة.

١٠ - الشلبة: وكان يطلق عليها بالهيروغليفية اسم "بوت" وذكرت فى (معجم الحيوان) باسم شلبة وعثر على رسمها فى مقبرة "كاجمنى" بسقارة.

١١ - الفهقة: ويمتاز هذا النوع بوجود أربعة أسنان كبيرة فى فكيه وهو مغطى بالأشواك وينتفخ بمجرد خروجه من الماء، ويطلق عليه بالهيرغليفية اسم "شبت"، ويسمى عند الصيادين "الفكاكا"، وقد عثر على رسمه ضمن أنواع مختلفة من أسماك النيل فى إحدى مقابر سقارة من عصر الدولة القديمة.

١٢ - البسارية: ويمتاز هذا النوع بصغره، ويطلق عليه بالهيروغليفية اسم "بسارى" وقد عثر على كمية منه مجففة فى أحدى مقابر طيبة من العصر الرومانى.

ومن الطريف أن نذكر ان السمك الأحمر ذكر فى بعض النقوش فقد عثر على رسم يمثل فتاة بين زهور اللوتس وتناجى حبيبها قائلة:

"يا إلهى .. يا إلهى .. أنه لجميل أن أذهب إلى البحيرة لأغتسل أمامك .. وأجعلك ترى جمالى وقد أرتديت ثوبى المصنوع من أجمل الكتان الملكى عندما يبتل .. إنى أغطس فى الماء معك ثم أعود إليك بسمكة حمراء وقد استقرت جميلة بين أصابعى .. تعال وانظر إلى".

حفظ الأسماك وتجفيفها :

وقد برع المصريون القدماء فى حفظ الأسماك وتجفيفها واستخراج البطارخ من بعض أنواعها كما يرى ذلك فى أحد رسوم مقبرة "تب كاو - حر" بسقارة. وكان للسمك المجفف أهمية كبيرة فى تموين المصريين ويتالف منه الطعام الرئيسى للفقراء.

وذكر (هيرودوت) ان المصريين كانوا يرسلون الأسماك بعد صيدها إلى الأسواق، ويأكلون الأنواع المفضلة عندهم طازجة مثل قشر البياض والبلطى. أما الأنواع الأخرى فكانوا يشقون بعضها من منتصفها ويملحونها ويعلقونها على حبال فى الشمس أو يتركونها فى تيار الهواء الجارى لتجف تماما. وفى بعض الأحيان يشقون السمكة بالسكين شقا طوليا من

الرأس إلى الذيل بحيث يفصل الجانبان عن عظمة الظهر ، بينما يقنع الكثيرون بإخراج أمعاء السمكة ونزع قشورها وإزالة الرأس ونهاية الذنب وتمليحها وتركها فى الشمس لتجف، كما ذكر المؤرخ أن الأسماك المملحة كانت تؤكل بكثرة وأغلب الظن أنه يعنى بذلك (الملوحة) أو (الفسيخ) الذى كانوا يرون ان أكله مفيد فى وقت معين من السنة، ولا يزال المصريون يأكلونه الآن وخاصة فى عيد شم النسيم.

وكانت الأسماك تحنط وتحفظ فى المقابر مع غيرها من أنواع الطعام والشراب، وقد عثر على أسماك كثيرة محنطة ومجففة من عصور مختلفة ليس من السهل تمييز أنواعها وجدير بنا ان نعرف كيفية تحنيط هذه الأسماك. فقد وجد بعضها خاليا من آثار القار الذى استعمل فى التحنيط. وظهر من التحليل الكيميائى أنها نقعت مدة فى محلول من الماء المالح ثم أحيطت بطبقة من الطين المحمل بمواد ملحية تعلوها لفائف محكمة بمهارة. وبفضل جفاف الهواء وحماية الرمال الجافة أمكن حفظ هذه الموميات آلاف السنين بدرجة ان بعضها لا يزال يحتوى على مواد حيوانية.

وقد عثر فى المقابر على تماثيل صغيرة لأسماك مصنوعة من البرنز بعضها متوج بقرص الشمس وقرنى البقرة "حتحور" وبعضها الآخر على شكل سيدة يعلو رأسها سمكة تمثل الإلهة "حات . محيت" إلهة السمك. أما الأسماك المصنوعة من الاردواز فكانت تستعمل لصحن الكحل.

صيد الأسماك :

من الواضح ان صيد الأسماك كان هو المتعة الرئيسية للمترفين من المصريين القدماء على اختلاف طبقاتهم على مر العصور ، وهم لم يكتفوا بما يمدهم به نهر النيل من أسماك وفيرة وخاصة فى فصل الفيضان بل أنشأوا (بركا للسمك) فى أراضيهم الواسعة وتعد الأسماك مصدرا طبيعيا فى البلاد التى ليس بها مراع طبيعية أو قطعانا للماشيه وكثيراً ما نقشت صور العظماء والنبلاء على جدران المقابر وهم يصطادون السمك بالشص أو بالحربة فى قوارب مصنوعة من الخشب أو عيدان البردى. وكان القوم يعتقدون ان القوارب المصنوعة من البردى تحمى راكب اليم من الأذى وترد عنه فتك التماسيح والأرواح الشريرة. وتسير هذه القوارب بخفة وبلا ضوضاء فى القنوات أو البحيرات حتى لا يزعج السمك. وكانوا يصطحبون معهم عادة أحد أصدقائهم أو بعض أبنائهم وأحد أتباعهم لمساعدتهم فى الصيد ، فالبعض يحمل مزيدا من الحراب على أهبة الاستعداد والبعض الآخر يحمل السمك لحفظه.

طرق صيد الأسماك :

وكان الصياد يكسب قوته من صيد الأسماك ويستعمل لذلك طرقا مختلفة. ففى عصر الدولة القديمة استعمل الشص فكان يفرش حصيرة على الأرض ويجلس عليها فى مكان ظليل على حافة القناة ثم يلقى الحبل فى الماء ن بينما كان عظماء القوم يجلسون على مقعد أثناء الصيد.

وكانت العصا قصيرة ومكونة من قطعة واحدة بها عادة خيط واحد أو خيطان مثبت فى كل منهما شص مصنوع من البرنز. ولا تزال الطبقات الفقيرة فى الوقت الحاضر تستعمل هذا النوع وتعتمد فى ذلك على المهارة والحظ.

وكان الصيد بالحربة أو "طعن " الأسماك على حسب التعبير المصرى القديم- شائعا فى ذلك الوقت وظل رياضة يمارسها النبلاء والعظماء ولا يزال كثير من سكان شواطئ البحار يمارسونها. وتتميز الحربة

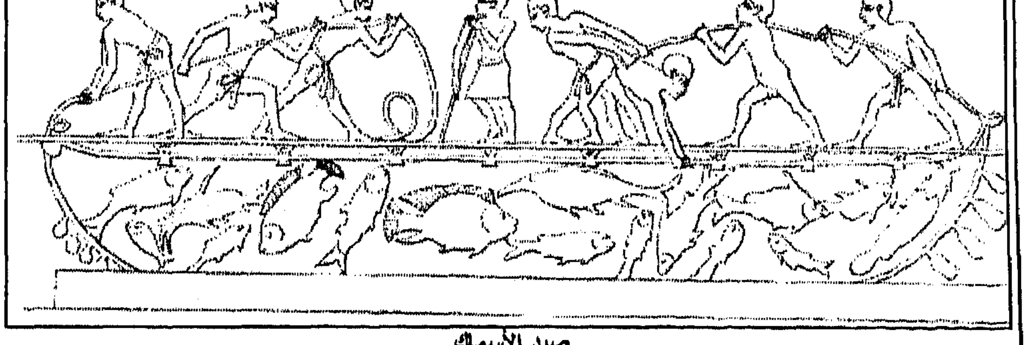

صيد الأسماك

بطولها ورقتها ولها طرفان مدببان. وقد عثر على رسوم أحد العظماء وهو يطعن بالحربة سمكتين فى آن واحد كل سمكة فى أحد الطرفين المدببين.

وفى معظم الأحيان كان الصياد يفضل استعمال الشبكة. ويحدث أحيانا ان يستعمل نوعا صغيراً من شباك الأيدى فى الماء الضحل فى قائم من الخشب على كلا الجانبين ، ثم يمسك الصياد فى يده بأحد القائمين ويدفعها تحت الماء وينظر اللحظة التى تمر فيها أفواج الأسماك.

أما الشباك العادية فقد ظهرت رسومها على جدران كثير من المقابر وخاصة مقابر عصر الدولة القديمة. وقد وجدت الشبكة التى تلقى قائمة فى الماء فى جميع العصور بالطريقة نفسها التى تستعمل الآن وكان لها قطع من العوامات كالفلين فى أعلاها وأثقال فى أدناها كما وجدت الشبكة الكبيرة المتسعة الفتحات التى تسحب من قارب واحد أو بين قاربين بحيث تسمح بصيد الأسماك الكبيرة وترك المجال لنمو الأسماك الصغيرة وتكاثرها حفظا للثروة السمكية. ونرى على أحد جدران مقبرة "مكت رع" بالدير البحرى بطيبة من الأسرة الحادية عشرة قاربين يجران شبكة كبيرة مليئه بالأسماك. ويلاحظ رجلان يجدفان فى كل قارب ويقف فى الوسط صيادو السمك وهم يجرون الشبكة ومعهم مساعد يأتى بالسمك إلى القارب . وكان الصيادون يغنون أثناء سحب الشبكة وهم فى نشوة من الفرح والسرور. وقد وجدت كلمات هذه الأغنية مكتوبة فوق شبكة الصيد من احدى مقابر عصر الدولة القديمة: "أنها تأتى وتحضر لنا محصولا كبيرا" ثم يقومون بعد ذلك بسحب الشبكة الثقيلة المليئة بالسمك الوفير من الماء إلى الشاطئ بواسطة حبلين طويلين. ويرى السمك ومعظمه من النوع الكبير وهو يقفز، بينما يقوم الصيادون بإدخال حبل فى خياشيم البعض الآخر ويكون فى انتظار هذا الصيد الثمين أحيانا أحد القوارب لوضع السمك فيه بمجرد صيده.

وعقب الانتهاء من الصيد ، يضعون السمك الصغير فى سلال بينما يعلقون الأنواع الكبيرة فى قائم من الخشب أو عصا يحملها رجل أو أكثر على أكتافهم أو يحملونها فرادى بأيديهم أو تحت أذرعهم ، ولا تزال هذه الطرق متبعة الآن فى مصر وخاصة فى الشلال قرب أسوان.

ومما يلفت النظر ذلك المنظر الذى نراه على أحد جدران مقبرة "تى" بسقارة ويمثل اثنين وعشرين صيادا يسحبون شبكة كبيرة من الماء بعد ان امتلأت بالسمك وقد وقف رئيسهم يراقبهم ويحثهم على العمل.

وقد ذكر "هيرودوت" ان الصيادين كانوا يصطادون كميات وفيرة من الأسماك سنويا من بحيرة موريس "قارون" وتمد أسواق الفيوم بأجود الأنواع. ومما يجدر ذكره ان هذه الأسماك لها نكهة تفوق مثيلتها من الأسماك الأخرى ثم يؤخذ السمك كما كان الحال فى العصور القديمة- طازجا إلى السوق أو يجفف ويملح.

وقد عرف من بقايا بحيرة موريس ان الفرعون أوقف دخلها من حقوق الصيد على زينة الملكة وحليها وملابسها.

ويوجد بقسم الزراعة المصرية القديمة بالمتحف الزراعى بعض أنواع الشص المصنوع من البرنز والحديد من العصر الرومانى ، وشباك من الكتان عثر عليها فى اللشت وتبتنيس بالفيوم من العصر القبطى ، ومجموعة ثمينة من الأسماك المختلفة الأنواع المحنطة والمكفنة فى لفائف من الكتان وعيدان البردى بعضها محكم التكفين على شكل زخارف تثير الإعجاب.

إسـنـا :

مدينة بمحافظة قنا تبعد ٥٥ كم جنوبى الأقصر على الضفة الغربى للنيل. اسمها الحالى مشتق من اسمها المصرى القديم "تا - سنى" ، وسميت فى العصر اليونانى "لاتونبوليس" أى مدينة اللاتوس وهو نوع من السمك كان يرمز به للالهة "نين" التى كانت تعبد فى هذه المدينة ، وكان ذلك السمك مقدساً فيها. كانت أحدى مدن الصعيد الهامة فى الدولة الحديثة ، وأهم معبوداتها "خنوم" وزوجتاه "نب-ووت" و "منحيت".

شيد بها ملوك الدولة الحديثة معبدا تهدم مع الزمن وقام بترميمة ملوك الأسرة ٢٦ ، ثم أعيد تشييده فى أيام بطليموس السادس ، وأصبحت فى ذلك العصر أى العصر البطلمى عاصمة للأقليم الثالث من أقاليم الوجه القبلى بدلا من مدينة الكاب. وما زال هذا المعبد قائما

وقد أضيف إليه فى العصر الرومانى بهو الأعمدة الفخم وهو من أيام الأباطرة "كلوديوس" و "فسبازيان". وعلى جدران هذا المعبد نقوش دينية هامة جعلت لهذا الأثر مكانة خاصة بين الآثار المصرية ، وآخر ما نقشوه على جدرانه بالهيروغليفية يرجع إلى عهد الإمبراطور "ديكيوس" فى عام ٢٥٠م. لم يتم حفر جميع أجزاء المعبد حتى الآن ، ومازال جزء كبير من المدينة القديمة تحت منازل المدينة الحالية.

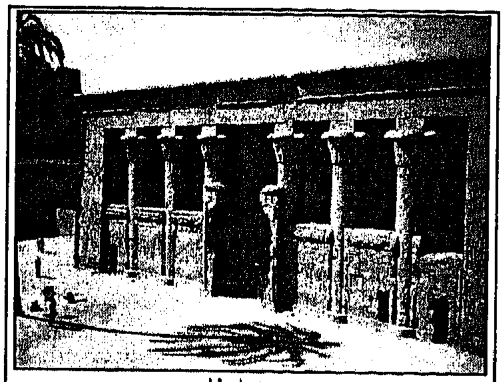

معبد إسنا

أسوان :

عاصمة محافظة أسوان وآخر مدن مصر الهامة فى الجنوب. أسمها القديم "سوونت". ومعناها السوق ، وكتبها اليونانيون "سيينى" كانت عاصمة هذا الإقليم فى العصر الفرعونى فى جزيرة الفنتين ، وكانت قوافل التجارة تصل إلى الشاطئ الشرقى أمامها فأصبح المكان سوقاً تجارياً. نجد أهم آثار أسوان فى جزيرة الفنتين وفى الجبل الغربى أمام المدينة وهى "مقابر أسوان" أما فى مدينة أسوان نفسها فلا نجد الآن الا معبدا صغيرا لم يكمل بناؤه وهو من عصر البطالمة، شيدوه تكريما للمعبودة "إيزيس". وعلى مقربة منه جبانات عثر فيها على مقابر من الدولة الحديثة ومن أيام البطالمة والرومان. وفى أسوان نقوش وكتابات على الصخور الجرانيتية بعضها فى المدينة نفسها والبعض الآخر على الصخور التى فى وسط النيل أو فى المحاجر التى خلف المدينة ، لأن أسوان كانت منذ أقدم عصور التاريخ أهم مصدر للجرانيت الذى كان يحتاج إليه القدماء فى تشييد معابدهم ومسلاتهم وأجزاء من أهرامهم وبعض توابيتهم وتماثيلهم وغير ذلك ، وقد سجل الكثيرون من رؤساء البعثات أسماءهم هناك ، وكثيرا ما يذكر النص تاريخ العمل واسم الملك الذى من أجله أتوا لأخذ الجرانيت.

ويستطيع زائر المحاجر رؤية طريقة العمل وأن يرى المسلة الضخمة التى لم يتم العمل فى استخراجها من مكانها فى الصخر.

ومنذ أواخر القرن ١٩ أخذت هذه المدينة فى الازدهار بسبب تشييد خزان أسوان عند صخور الشلال الأول ، كما زاد أزدهارها بعد أن أصبحت مركزا هاما لبعض الصناعات وبعد استغلال ما فى المنطقة من معادن واستخدام مياه الشلال فى الحصول على القوى الكهربائية ، وأخيراً بعد تشييد السد العالى الذى زاد كثيرا من أهميتها.

وفى محافظة أسوان يعيشون النوبيون والبشارية ، فأما البشارية فهم من القبائل الحامية ولهم لغتهم وتقاليدهم الخاصة ويعيشون بين النيل والبحر الأحمر حتى حدود السودان. وأما النوبيون فهم فريقان: الكنوز والفيادكة ويتكلم كل منهما لغة خاصة به. وهم يعيشون على مجرى النيل ابتداء من شمالى مدينة أسوان بقليل وفى بلاد النوبة السفلى كما يعيشون أيضا فى الجزء الشمالى من السودان. وقد غمرت مياه السد العالى جميع قراهم وأنتقل من كان.يعيش منهم جنوبى موقع السد العالى إلى الشمال منه وأستقر أكثرهم فى القرى التى أنشأتها الحكومة لهم فى منطقة كوم أمبو.

أسوان : (مقابر)

مقابر منحوتة فى صخر الجبل الغربى أمام المدينة مباشرة ، وهى لحكام مدينة أبو (الفنتين) وكبار كهنتها وبعض من وصل إلى مناصب كبيرة من أهلها ، وهى من الدولتين القديمة والوسطى والقليل منها من الدولة الحديثة. يصل الزائرون إليها بصعود سلم قديم منحوت فى الصخر ويبدأون زيارتهم عادة بالمقبرة ٢٥ وهى مقبرة "مخو" الذى كان حاكما للمنطقة أيام الأسرة السادسة وكان يقوم على رأس حملات ملكية لمعرفة الجنوب وارتياد طرقة ، وقد هاجمه الأهالى فى النوبة عند عودته وقتلوه ، فلما علم بذلك ابنه "سابنى" صاحب المقبرة ٢٦ المجاورة لها قام فى الحال على رأس حملة أخرى فاحضر جثة أبيه وأنتقم له ، وقد سر الملك من عمله وأغدق عليه الهدايا وعينه بدلا من أبيه فى وظيفته، ونرى فى مقبرة "مخو" مناظر قليلة مرسومة على جدرانها أكثرها لتقديم القرابين لصاحب

القبر ومناظر الحرث والحصاد. أما مقبرة الابن "سابنى" فأمام بابها مسلتان صغيرتان من الحجر وأحواض حجرية للقرابين ، وعلى جدرانها الداخلية مناظر تمثل "سابنى" وبناته يصطادون فى قارب، نراه مرة وهو يستخدم عصا الرماية لصيد الطيور ، ومرة أخرى يصطاد السمك بالحربة.

ومن أهم المقابر مقبرة "سارنبوت" أبن "ستت - حوتب" (رقم ٣١) وكان حاكما للمدينة فى عهد "أمنمحات الثانى" من الأسرة ١٢ وهى فخمة فى هندستها ، وفيها مناظر هامة ملونة فوق طبقة من الجبس وبخاصة فى الطاقة التى فى نهاية المقبرة.

وفى مقبرة خونس (لا رقم لها) مناظر تمثل بعض أصحاب الحرف وهم يعملون ، مثل الخبازين وصانعى أدوات الفخار وصانعى البيرة والجلود وبعض الأدوات المعدنية وهى من الدولة الوسطى. ومن أهم المقابر مقبرة "حقا-إيب" وهى من الأسرة السادسة وتم الكشف عنها منذ سنوات غير بعيدة وفيها مناظر ملونة هامة ، وكان صاحبها حاكما لألفنتين وكرم الناس ذكراه وقدسوه بعد وفاته.

ومن أشهر مقابر أسوان ، نظرا لما فيها من كتابات، مقبرة "حرخوف" (لا رقم لها) وهى من الأسرة السادسة، وعلى واجهتها ، على جانبى الباب نرى النص الهيروغليفى الشهير الذى يسجل فيه "حرخوف" حاكم الفنتين ورئيس الحملات أنباء حملاته المتعددة التى قام بها لاكتشاف طرق الجنوب ويذكر تفاصيلها وخصوصاً الرحلة الرابعة التى قام بها على "درب الواحات" (درب الأربعين) ووصل على الأرجح إلى بلاد دارفور فى غربى السودان وعاد ومعه قزم صغير فرح به الملك "ببى الثانى" وكان طفلا صغيرا فى ذلك الوقت، وكتب إلى الرحالة عندما علم بذلك كتابا بخط يده اعتز به "حرخرف" اعتزازا كبيرا ونقشه كاملا على الجانب الأخر من واجهة مقبرته. أما المقبرة ذاتها فهى صغيرة الحجم ولا يوجد بها الا بعض أبواب وهمية مع المناظر المعتادة لتقديم القرابين.

وبعد بضع مقابر أخرى يصل الزائر إلى مقبرة "سارنبوت" أبن "سات ثنى" (رقم ٣٦) وكان كبيرا لكهنة الألهة "ساتت" فى عهد الملك "سنوسرت الأول" من الأسرة ١٢. وواجهتها تمتاز بجمالها واحتفاظها بما عليها من كتابات ونقوش ، وعليها رسوم تمثل صاحب القبر وخلفه كلاب الصيد والخدم ، وتمثله وهو يصطاد أو يشرف على قطعانه أو وهو يجلس تحت سقف محمول على أعمدة وحوله بعض أهل بيته من النساء والأتباع.

وهناك مقبرة أخرى من الدولة الحديثة (الأسرة ١٨- أمنحوتب الثالث) منحوتة فى صخر تل يبعد قليلا إلى الشمال من المقابر وفيها رسوم ملونة جميلة فوق طبقة من الجبس وبخاصة فى سقف المقبرة وكان صاحبها يسمى "كا - كم - كاوو" ويعرفها الأهالى باسم مقبرة ليدى سيسل التى كشفت عنها عام ١٩٠٢.

وفى البر الغربى من أسوان ، عدا المقابر محاجر لاستخراج الحجر الرملى وفيها تمثال ومسلة لم يتم العمل فيهما ، كما نجد دير "الأنبا سمعان" (ويسمى أحيانا دير الأنبا هدرا) ويبعد عن النيل مسيرة ٢٥ دقيقة وهو من أهم الآثار المسيحية فى مصر ، ويعطى فكرة كاملة عن الأديرة القبطية فى أوج أزدهارها إذ ما زال هذا الدير محتفظا بجميع أجزائه الهامة مثل الكنيسة ومساكن الرهبان والأماكن الأخرى التى كانوا يعدون فيها الطعام أو يعقدون فيها الاجتماعات.. إلخ ويرجع تاريخ تشييده ، إلى القرن السابع وتخرب فى القرن الثالث عشر.

أسيوط :

وتنطق أحيانا "سيوط" على الضفة الغربية للنيل وتبعد ٤٠٧ كم جنوبى القاهرة ، وهى كبرى مدن الوجه القبلى وعاصمة محافظة أسيوط. كان أسمها فى أيام الفراعنة "ساووت" ومعناها "الحارسة" ، وسماها اليونانيون "ليكونبوليس" أى مدينة الذئب الذى كان الحيوان المقدس الذى كان يرمز به لالهها الرئيسى ، وكانت منذ أقدم العصور عاصمة للإقليم ١٣ من أقاليم الوجه القبلى.

نشأت هذه المدينة على رأس درب القوافل الذى يربط النيل بالواحات الخارجة ثم بدار فور فى غربى السودان ، وكان الشريان التجارى الرئيسى لتجارة أفريقيا مع وادى النيل. وهى فى الوقت ذاته فى مكان استراتيجى هام ، ومن المحتمل جدا أنه كان فى مكانها حصن فى فجر التاريخ. وازدهرت أسيوط فى العصر المعروف باسم عصر الفترة الأولى من تاريخ مصر ولعبت دوراً هاما فى الحروب التى قامت بين ملوك

أهناسيا وامراء طيبة ، وتوجد مقابر أمراء أسيوط في ذلك العهد منحوته في صخر الجبل خلف المدينة أهمها مقبرتا "خيتى" و "تف - اب" وكذلك بعض المقابر الأخرى من أيام الأسرة ١٢ أهمها مقبرة "رفا-حابى" وفى سفح الجبل وسطح الهضبة جبانات من العصور المختلفة عثر فيها على الكثير من الآثار وبخاصة من التوابيت الخشبية المزينة بالرسوم وكتابات من فصول "نصوص التوابيت".

كان معبودها الرئيسى هو الإله "وبواوات" أى (فاتح الطريق) ويرمز له فى الأصل بابن آوى ولكنهم كانوا يقدسون الفصيلة كلها وبخاصة الذئاب ، كما كانت لعبادة "أوزيريس" مكانة كبرى ، وكانت فى المدينة عدة معابد عثر على أطلال بعضها فى وسط بيوت المدينة ، ومنها بقايا معبد من عهد الملك "إخناتون" وعلى أحجار باسم "رمسيس الثانى".

ومنذ الأسرة ١٨ أخذ الكهنة يدفنون موميات حيوانها المقدس فى أحدى مقابر الدولة الوسطى وهى المقبرة المعروفة الآن باسم السلخانة وعند اكتشافها عثر فى داخلها على كثير من الموميات ومعها قراطيس بردى وآثار أخرى ، وكانت فى ردهتها الخارجية عدة مئات من اللوحات الجنازية وهى تبدأ من الأسرة ١٨ حتى الفترة التى تلى العصر الصاوى. وظلت لأسيوط أهميتها فى أيام البطالمة والرومان بل وفى القرون الوسطى أيضاً وذلك لوجودها على رأس درب الأربعين وتوسطها منطقة من أهم المناطق الزراعية فى الصعيد.

الأشمونين :

منطقة أثرية هامة بمصر الوسطى على مقربة من ملوى (٣٠٠كم جنوبى القاهرة) بمحافظة المنيا. كان إسمها فى أيام الفراعنة "خمن" أى مدينة "الثمانية" - إشارة إلى ثامون الإله وهو أصل إسمها الحالى. كانت عاصمة للإقليم الخامس عشر من أقاليم الوجه القبلى ، وكان معبودها الرئيسى هو الإله "تحوت" اله العلم والكتابة الذى ساواه اليونانيون بإلههم "هرمس" وأطلقوا على المدينة اسم "هرموبوليس ماجنا" اى مدينة هرمس الكبيرة.

كانت مركزا دينيا هاما منذ فجر التاريخ المصرى ، ونجد اسمها مذكورا فى الأساطير والنصوص الدينية المبكرة ، خصوصا وأنها كانت مركز عبادة القمر. وفى عصر الفترة الأولي من تاريخ مصر كانت مقر عائلة قوية حكمت المنطقة وناصرت ملوك اهناسيا فى حروبهم مع الطيبيين ، ونجد مقابر أولئك الأمراء فى البرشا وعلى الضفة الشرقية للنيل. كشفت الحفائر فى أطلال الأشمونين عن كثير من الآثار الهامة من العصور المختلفة ، وبخاصة أوراق البردى اليونانية وبعض الآثار البطلمية والرومانية فيها أطلال عدة معابد من عصور مختلفة ، وقد عثر فيها على أحجار تدل على وجود معبد فيها فى أيام الأسرة ١٢ (أمنمحات الثانى) كما عثر ايضا على المعبد الذى شيده رمسيس الثانى واستخدم فى بنائه كثير من أحجار أقدم عهدا ومن بينها أحجار كثيرة عليها نقوش وكتابات من أيام إخناتون وقد أتوا بها من معبده بتل العمارنة ، وهى أمامها بالضفة الشرقية للنيل.

وأصبح لهذه المدينة أهمية خاصة فى الدولة الحديثة، وخصوصا فى أيام الرعامسة ، عندما كانت احدى عائلاتها أقوى عائلات مصر الوسطى ، وظهر من بينهم بعض كبار كهنة آمون فى طيبة فجعلوا من مدينتهم الأصلية "الأشمونين" مدينة دينية مقدسة. واستمرت على أهميتها فى العصور التالية وخصوصا عندما جاء الكوشيون إلى مصر ، اذ لعبت دورا كبيرا فى تلك الحروب وقاومت غزو الملك "بيعنخى" وكان لأميرها "نمرود" مواقف ذات أهمية خاصة فى ذلك الوقت الحاسم من تاريخ مصر ، ومنذ العصر المتأخر أصبحت منطقة "تونا الجبل" جبانة لها.

والى جانب أطلال المعابد الفرعونية توجد أطلال المدينة فى أيام البطالمة والرومان، وخصوصا المعبد الذى شيده "فيليب اريديوس" أخو الاسكندر الأكبر غير الشقيق، وأجزاء من المدينة القديمة وخصوصا الـ"اجق" (سوق المدينة) التى مازالت بعض أعمدتها الضخمة فى أماكنها.

الأشوريون :

تأسست دولة أشور فى شمال العراق فى القرن ١٢ق.م ، ولكنها لم تبدأ فى مد سلطانها السياسى والحربى على البلاد السورية ، وعلى الأخص البلاد

الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، الا فى القرن التاسع ق.م. وكان من الطبيعى أن يصطدم الأشوريون بسياسة مصر التى كانت ترى فى ولاء وصداقة أمراء المدن فى فلسطين وفينيقيا ضمانا ضروريا لأطمئنانها على سلامه حدودها الشرقية.

لم تكن مصر قوية الجانب فى ذلك العهد بل كانت تمر بفترة من فترات الضعف وكانت فى أثناء أعظم فترات التوسع الأشورى تحت حكم ملوك كوش "الإثيوبيين" الذين أتوا من شمالى السودان لمساعدة كهنة أمون فى طيبة وتمكنوا من أخضاع البلاد كلها لسلطانهم وأصبحوا يسمون أنفسهم ملوك مصر وكوش.

وعندما تولى "سنحريب" الملك بعد أبيه عام ٧٠٥ ق.م. قرر غزو فلسطين لإخماد ما قام فيها من ثورات فأرسلت مصر تؤازر الفلسطينيين ووعدت بمساعدتهم والوقوف إلى جانبهم. وأرسل الملك "شبتكو" جيشا إلى الحدود تحت إمرة أخيه "طهرقا" فاشتدت مقاومة مدن فلسطين وأجتمعت فى حلف كبير لصد الأشوريين وفشل القائد الأشورى فى الاستيلاء على مدينة "أورشليم" التى كانت على صلة وثيقة بمصر فقرر "سنحريب" مهاجمة مصر نفسها ليعاقبها ويكون فى ذلك الدرس الرادع لغيرها ، وبدأ فى تنفيذ خطته وسار إليها بجيشه ، ولكن تفشى وباء الطاعون الذى أنتشر بين جنود الجيش الأشورى وإضطر "سنحريب" للفرار بفلول جيشه عائدا إلى "نينوى" ولم يحاول غزوها مرة أخرى.

وفى عام ٦٨١ ق.م. مات "سنحريب" مقتولا بيد أبنائه وخلفه أبنه "أسرحدون" على عرش نينوى ومات أيضا "شبتكو" فخلفه "طهرقا" على عرش مصر. وكان طهرقا مدركا تمام الإدراك للخطر الذى يتهدد البلاد طالما كان نفوذ أشور قويا على حدودها الشرقية ، ولهذا جعل أقامته فى مدينة "تانيس" (صان الحجر) فى شرقى الدلتا وأخذ يدبر المؤامرات ويشجع الفلسطينيين على القيام بالثورات مؤملا من وضع العراقيل وإثاره الفتن أن يتم أنسحاب الأشوريين من تلك البلاد. وكان طهرقا هو المحرض على قيام ثورة كبيرة فى مدينة "صور" سببت للجيش الاشورى كثير من الخسائر ، فوجد "أسرحدون" نفسه مضطرا للمجئ على رأس جيش آخر لمحاصرتها والإستيلاء عليها ، ولكنه فشل فى حملها على الاستسلام لمناعتها فقرر تأديب مصر نفسها وترك جزءا من جيوشه يحاصر "صور" وتقدم عبر صحراء سيناء على رأس جيش آخر ، فساعده البدو وأمدوه بآلاف الجمال لنقل المياه والمؤونة اللازمة للجيش.

ووصل إلى وادى الطميلات ،وبعد مناوشات صغيرة وصل إلى منف بعد خمسة عشر يوما فحاصرها واستولى عليها ونهب ثروتها (عام ٦٧١ق.م.) ووقعت فى يده عائلة الملك "طهرقا" نفسه وفيها زوجته وأولاده، أما هو نفسه فلم يقع فى الأسر وفر هاربا نحو الجنوب. وظن "أسر حدون" - وذكر ذلك على آثاره - أنه قضى على الكوشيين وأصبح ملك أشور ومصر وكوش ، ولكن الحقيقة كانت تختلف عن ذلك إذ أن حكم الأشوريين المباشر لم يتعد حدود الدلتا ، وظل للكثيرين من إمراء البلاد وحكامها الوطنيين قسط كبير من استقلالهم بعد أعلانهم الخضوع والولاء ودفع الجزية لملك أشور ، فظن أنه أصبح ملك الدلتا والصعيد وبلاد كوش وسيد كل غربى أسيا.

وبعد بضع سنوات رجع "طهرقا" من الجنوب لاسترداد ما فقد فهزم الحامية الأشورية وأستولى على "منف" ولكن عندما علم "أسرحدون" بذلك أسرع بتجهيز جيش ضخم قاده بنفسه لاعادة أخضاع مصر ولكنه مات وهو فى الطريق وعاد الجيش إلى أشور. وصمم "أشور بانيبال" على تنفيذ رغبة أبيه قبل موته ، فأمر بجمع جيش كبير من جنود أشور ومن الجنود المرتزقة من مختلف البلاد السورية وأرسله إلى مصر ، فاستولى الجيش على "منف" وهرب "طهرقا" إلى طيبة. وأستقر رأى أمراء الدلتا على المقاومة حيث أخذوا يهاجمون جيش أشور وكادوا ينجحون فى طرد الأشورين من البلاد لولا مسارعة "أشور بانيبال" إلى تعزيز قواته فى مصر وأرسل جيشا آخر استطاع أخماد الثورة فى الشمال وأندفع نحو الصعيد محدثا الدمار والتخريب أينما حل حتى وصل إلى طيبة فاحتلها ونهب كنوز معابدها وأطلق يد الأنتقام فحرقت وحطمت ولكن "طهرقا" لم يقع فى يد الجيش إذا كان قد فر إلى نباتا عاصمة مملكته فى كوش.

وقدم "منتومحات" حاكم طيبة خضوعه وولاءه للغزاة، وبعد جلائهم عن بلده ، طهر المعابد مما أصابها من رجس بسبب دخول غير المتطهرين إلى

الأماكن المقدسة، ثم أخذ فى إصلاح ما تهدم وما تخرب من معابدها ومبانيها العامه. وتمكن الأشوريون من القبض على أمراء الدلتا الذين تزعموا الثورة ضدهم وأرسلوهم إلى "نينوى" وكان من بينهم (نكاو) أمير "صا الحجر" (سايس)، فلما قدموهم إلى "أشور بانيبال" أعجب كثيرا بشخصية "نكاو" فأعاده مكرما إلى مصر وغمره بالهدايا ولم يكتف بإعادته أميرا لبلده بل منح إمارة مدينة"أتريب" إلى أبنه "بسمتك".

وبقى الجيش الأشورى فى مصر، وكان مركز الحامية فى منف، وأنقسمت البلاد إلى إمارات متعددة يقدم كل منها جزيته وطاعته لممثل ملك أشور. ومرت الأيام ومات "نكاو" وأصبح أبنه "بسمتك" أميرا لمدينة "صا الحجر" وكان أقوى أمراء الدلتا وأعظمهم نفوذا وأعلاهم همة وطموحاً فوضع نصب عينيه أن يوحد البلاد ويتولى عرشها، ولكن كان يحول دون ذلك عقبتان أولاهما الأمراء الآخرون والثانية الجيش الأشورى فى البلاد ومن وراءه دولته. وأخيراً أستطاع أن يحقق أطماعه بمساعدة جنود مرتزقة أمده بهم صديقة "جيجس" الذى كان قد أغتصب عرش ليديا (فى أسيا الصغرى). ويقص المؤرخ اليونانى "هيرودوت" الذى زار مصر حوالى عام ٤٥٠ ق.م. قصة هذا الحادث بأسلوب فيه كثير من الخيال اليونانى، فيقول أن الدلتا كانت مقسمة بين أثنى عشر أميرا كانوا يخشون أن يسعى واحد منهم ليصبح ملكا عليهم فاتفقوا فيما بينهم وتعاهدوا على الا يعتدى واحد منهم على الآخرين. وكانت هناك نبوءة بأن أميرا منهم سيصبح ملكا عليهم وأن هذا الأمير هو الذى سيصب ماء قربانه فى هيكل الإله "بتاح" من أناء من البرونز، ولهذا اتفقوا فيما بينهم على ألا يذهب واحد منهم منفردا إلى هيكل "بتاح" وأن يذهبوا دائما مجتمعين. وفى يوم من الأيام ذهبوا جميعا لتقديم قرابينهم وأرادوا أن يصبوا الماء على القرابين فوقفوا صفا واحدا وأحضر الكاهن كؤوسا من الذهب وقدم لكل منهم كأسا ولكن حدث خطأ فلم يحضر إلا أحد عشر كأسا فقط بدلا من أثنى عشر. وكان الأمير "بسمتك" فى آخر الصف فأنقذ الموقف بسرعة بديهته وخلع خوذته البرونزية وأمسكها فى يده فصب فيها الكاهن ماء القربان. ولم يلتفت أحد فى تلك اللحظة إلى مغزى ذلك ولكن أتضح لهم فيما بعد أن النبوءه تحققت وأن "بسمتك" سيصبح ملكا عليهم، ولكنهم لم يقتلوه لأنهم لم يشكوا فى حسن نيته وأكتفوا بنفيه إلى مستنقعات الدلتا.

ويقول: هيرودوت: أن "بسمتك" ذهب فى يوم من الأيام إلى هيكل "بوتو" (تل الفراعين) يسأل نبوءتها عما يخبئه له القدر فجاءه الرد بأنه سيتمكن من الإنتقام لنفسه عندما يأتى من البحر رجال من البرونز، ولم يمضى زمن طويل حتى نزل إلى شاطئ الدلتا جنود من قراصنة اليونانيين يلبسون دروعا وخوذات من البرونز عرف فيهم "بسمتك" أنهم الرجال الذين تحدثت عنهم النبوءة فأغراهم بالمال والوعود، فحالفوه وأستطاع بمساعدتهم التغلب على الأمراء الآخرين وطرد الأشوريين.

ولكن حقيقة الأمر أن أولئك الجنود ليسوا إلا جنود "جيجس" الذين أرسلهم لمساعدته فحقق ما كان يطمع فيه وأصبح مؤسس الأسرة السادسة والعشرين، وأصبح "بسمتك" ملكا على مصر عام ٦٦٣ ق.م. أى أن فترة حكم الأشوريين لمصر كانت ثمان سنوات تخللتها الثورات الداخلية والحروب، ثم بدأت مصر عصرا مزدهرا فى تاريخها عمت فيه البلاد نهضة شاملة فى جميع مرافقها، وهذا هو العصر الصاوى نسبة إلى "صا الحجر" التى أصبحت عاصمة لمصر كلها فى تلك الفترة.

أطفيح :

بلده على الضفة الشرقية للنيل جنوبى بلده الصف وتبعد نحو ٤ كم من شاطئ النهر. كانت عاصمة للإقليم الثانى والعشرين من أقاليم الوجه القبلى ومركزا هاما لعبادة الألهة "حتحور"، ولهذا سميت فى العصر اليونانى- الرومانى "افروديتوبوليس" أى مدينة أفروديت التى ساواها اليونانيون بالإلهة المصرية حتحور. كان أسمها فى أيام المصريين القدماء "تب - أحى" وفى العصر القبطى كانوا ينطقون اسمها "تبح" وهو أصل اسمها الحالى.

أعح حوتب : (ملكة)

زوجة الملك سقننرع تاعا الثانى وأم الملك أحمس الأول، قامت بعد وفاة الملكة تتى شرى بالدورالنسائىالأول فى الأسرة وذلك قبل أن يتزوج أحمس الملكة نفرتارى.

وتذكر لوحه أحمس الأول التى عثر عليها أمام الصرح الثامن بالكرنك والتى ترجع إلى بداية حكمة، فقرة كبيرة يمجد فيها الملك أمه ويعظمها بل يأمر الجميع بتقديسها ،فقد كانت "سيدة المصريين وسيدة جزر البحر المتوسط.. وزوجة ملك وأخت ملك وأم ملك.. العظيمة التى تهتم بشئون المصريين.. وهى التى جمعت شمل الجيش وحمت الناس وأعادت الهاربين وجمعت المهاجرين ، هى التى هدأت ثورة المصريين فى الصعيد وهى التى قضت على العصاه فى مصر.. الزوجة الملكية إعح حوتب لها الحياة".

من النص السابق يتضح لنا الدور الهام التى قامت به الملكة إعح حوتب لحماية مصر وذلك - أغلب الظن- عندما فلت الزمام من أيدى الحكام بعد موت الملك سقننرع الثانى أو بعد موت إبنه الملك كامس. وهناك أحتمال بأن إعح حوتب كانت موجهة لابنها الملك أحمس فى بداية حكمة على جميع أنحاء مصر ، بدليل أننا وجدنا نقشا يحمل إسمها بجانب إسمه فى بوهين عند الجندل الثانى.

الأعمدة :

استعمل قدماء المصريين الأعمدة الدائرية ؛ كمجرد دعامات دون أية أهمية رمزية. وكانت هذه الأعمدة المصرية ، فى معظم الأحوال ، نماذج حجرية للدعامات المصنوعة من النباتات - إما جذوعها وإما أعوادها - التى استعملت قديماً كدعامات للسقوف الخشبية أو المبانى الطينية. وفى العصور المبكرة ، غالباً ما كانت الأعمدة قطعة واحدة من الجرانيت ، حتى ولو كانت للمبانى الشاهقة الأرتفاعات. ومع ذلك ، فقد صنعت الأعمدة ، عموماً ، من قطاعات، فيعلو ساق العمود تاج فوق خمسة أحزمة أفقية تربط ، نظرياً ، حزمة الأعواد التى يتكون منها العمود. وفوق هذا التاج طبلية العمود التى تحمل الكمرة التى تعلوه.

سميت طرز الأعمدة بحسب النبات المختار نموذجاً للعمود ، ويعطى ساقه صفته الخاصة ، وتاجه شكله المحدد. فهناك أسماء لعدة طرز مختلفة ، منها : النخيلى الشكل (وهو عبارة عن ساق مستديرة ذات تاج بشكل سعف النخل) ، واللوتسى الشكل (عبارة عن ساق مضلعة تتكون من أعواد مستديرة ، فوقها تاج بشكل برعم اللوتس ، إما مقفلاً أو متفتحاً) ، والبردى الشكل (وهو أكثر ضيقاً عند نقطة اتصاله بالقاعدة ، وبدنه المستدير ينقسم إلى تضليعات بارزة ، أما تاجه فمقفول).

يتفرع من هذا الطراز الأخير طرازان آخران ، أحدهما ذو تاج بشكل زهرة متفتحة (ناقوسية الشكل)، وانعدمت فيه ضلوع البدن وحافاتها. وأما الطراز الثانى فهو البردىّ الوحيد النمط ، وتنعدم فيه الضلوع من البدن ومن التاج.

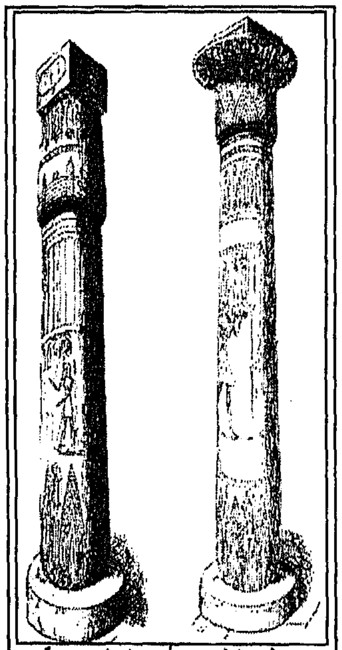

نماذج لطرز الأعمدة المصرية

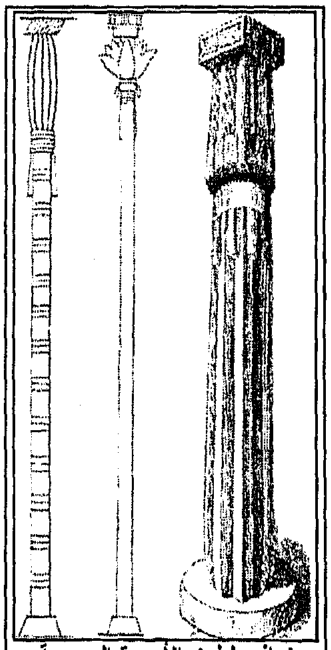

نماذج لطرز الأعمدة المصرية

أما الطراز المركب ، الذى عم استعماله فى العصرين البطلمى والرومانى ، فربما اشتق من الطراز الناقوسى الشكل ، مع حذف الكأس المحيطة بالقاعدة ، وحذف كل أثر للأصل النباتى من التاج الذى يعلو الساق. ويتكون هذا التاج من مجموعة كاملة من الزخارف الزهرية المستعارة من عدة نباتات أو المبتكرة أحياناً. وهناك أنواع كثيرة من هذا الطراز المركب ، يمكن أن نسمى منها ٢٧ نوعاً. وهناك طرز أخرى من الأعمدة – ما هو فى صورة المصلصلة (الشخشيخة) كما فى دندرة تكريماً لحتحور – ويتضمن تاجاً وطبْلية العمود ، تعلوها مصلصلة (كما فى فيلة) منحوتة ، أو الإله بس (كما فى دندرة) ، أو أجراس مقلوبة (كما فى قاعة احتفالات تحوتمس الثالث ، بالكرنك).

لم يخش المصريون استعمال الأعمدة بكثرة بالغة فهناك أكثر من ١٠٠ عمود فى صالات الأعمدة بمعبد فيلة. وفى بهو الأعمدة ، بالكرنك ، وحده مالا يقل عن ١٣٤ عموداً (منها ما يبلغ ارتفاعه ٢٤ متراً).

ويجب ألا يفوتنا أن هذه الأعمدة والتيجان طليت بألوان زاهية : الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر.

الأعـــــــيـــــاد :

كانت السنة المصرية القديمة تحتوى على عدد من أيام الأعياد ترتبط بالتقويم (يوم رأس السنة وأعياد كل شهرين وبدايات الفصول) ، وكذلك الأحداث الريفية (البذر والحصاد والفيضان) ، والمناسبات الملكية (التتويج واليوبيل) ، وفوق كل شئ ، الاحتفالات الدينية.

كانت أعياد الموتى ، التى تذهب فيها العائلات إلى الجبانات لتأخذ الطعام إلى موتاها ، شائعة فى جميع أنحاء الدولة ، غير أنها ، بطبيعة الحال ، كانت ذات صفة خاصة ؛ فلم تتضمن احتفالات على نطاق قومى. وزيادة على ذلك ، كانت هناك الاحتفالات السنوية لتكريم الآلهة العظام ، التى يمكن أن تستمر لعدة أسابيع فتوقف نشاط البلاد ، وتسبب حركة تدفق كبيرة بين الحجاج والعرافين ، ورخاء مؤقتا للنقل بالسفن وللتجارة وللفنادق. ويخبرنا هيرودوت عن أعياد بوباسطة التى كانت تجذب إليها ٧٠٠٠٠٠ حاج من الرجال والنساء ، وكلهم على استعداد للضحك واحتساء الخمر بكثرة والتمتع بالملذات. ونعرف بعض هذه الأعياد. فمثلاً ، فى طيبة ، كان عيد أوبت وعيد الوادى ، يشغلان السكان. فيستغرق الأول حوالى شهر فى الأسرة العشرين ؛ وكان يتألف من زيارة أمون الكرنك "لحريمه فى الجنوب" (الأقصر). أما الثانى فكان عيداً فى جبانة طيبة. وهناك عيد شهير آخر ، عندما كانت حتحور ربة دندرة تذهب أثناءه ، فى كل عام ، لتقضى أسبوعين فى إدفو مع زوجها حورس. فكان بقاؤها هناك فرح طويل الأمد ، كما كانت رحلتها بالسفينة من معبدها البعيد، سبب احتفالات فى كل مدينة تقف عندها على طول ذلك الطريق.

وزيادة على هذه الأعياد الإقليمية ، كان لكل مدينة هامة تقويمها الاحتفالى الخاص المكون من مواكب ، وظهور للإله ، وأسرار دينية. فمثلاً ، كانت سايس وأبيدوس تحتفلان فى كل عام بأهم مظاهر أسطورة أوزيريس ، وهى : نضال ذلك الإله ، وموته ، ثم بعثه حياً ؛ بمواكب عديدة ومناظر تمثيلية ، وأناشيد. كذلك كانت تقام أمثال هذه الاحتفالات فى بوتو ، وتتضمن ، أحياناً ، بعض المعارك التمثيلية والطقوس الدينية.

كانت المملكة كلها تترقب بعث أوزيريس فى شهر كيهك ، وهو الشهر الرابع من التقويم المصرى القديم (التقويم القبطى). فتقام أهم الطقوس الدينية سراً داخل أبهاء المعبد المقفلة ، غير أنه من المؤكد أن إعلان ميلاد ذلك الإله من جديد ، كان فرصة لإقامة أفراح عامة عظيمة.

أنظر التسليه والترفيه وكذلك عيد وأعياد.

الأعياد المصرية وصلتها بالأعياد الحالية :

الأحتفال بأعياد القديسين والمشايخ :

وكان المصريون القدماء يقدسون آلهة عليا وهى عامة لجميع الشعب كالشمس بينما يقدسون آلهة أخرى فى الأقاليم فلكل إقليم معبودة الخاص يتضرعون إليه ويقدمون له القربان ويسألونه الحماية والمعونة إذا دهمهم خطر ويعتقدون أن بين يديه سعادتهم أو شقاءهم فكان هو رمز المقاطعة ورب المدينة رضاه رحمة للناس وغضبه نقمة عليهم.

والتاريخ يعيد نفسه فسكان مصر – مسيحيون أو مسلمون – يبجلون القديسين والمشايخ لدرجة

التقديس. فالمسيحيون يكرمون العذراء مريم ومار جرجس وغيرهما ويقيمون الأعياد التذكارية تمجيدا لهما ويعتقدون أن فى قدرة القديسين إذا آمن الناس بهم شفاء المرضى وقضاء الحاجات. والمسلمون يكرمون سيدى أبو الحجاج بالأقصر وسيدى عبدالرحيم القنائى فى قنا والسيد البدوى فى طنطا وغيرهم ، ويقيمون لهم الأعياد والمواسم فيحتشد الناس من كل حدب وصوب وهم يتلون الصلوات والتضرعات ويقدمون النذور والضحايا ويعتقدون أنهم حماة كل بلدة يعنون بها ويرعونها ومثل هذه العقيدة لا تختلف كثيرا عن عقيدة المصريين القدماء.

إكليل الزواج عند الأقباط المسيحيين :

كان الفرعون إذا اعتلى العرش له لباسا خاصا ويلبس التاج فى حفل تتويجه حيث تتلى فيه الصلوات وتؤدى الشعائر الدينية بين مظاهر الغبطة والسرور.

ويذكرنا هذا الحفل التقليدى بما يجرى الآن من طقوس فى زواج الأقباط المسيحيين فيمنح العروسان حياة جديدة أساسها الصلوات والأدعية والطقوس الدينية التى يقوم بها الكاهن ومن ضمنها وضع تاج ملكى على راس كل من العروسين وهما بملابس الزفاف وقد انتقل هذا الحفل من الملوك إلى الخاصة ثم إلى العامة.

رأس السنة المصرية القديمة وعيد "أبو الحجاج" :

كان المصريون القدماء يحتفلوا بعيد (إبت) - وهو رأس السنة المصرية القديمة - احتفالا رائعا وينتظر أهالى طيبة (الأقصر) الشهر الثانى من فصل الفيضان بفارغ الصبر. وكان الملك - أبن الإله "أمون" - يخرج فى رحلة من معبد الكرنك ليزور معبد الأقصر فتزين له السفينة المقدسة الخاصة بالإله "أمون" وتوضع فى مقصورتها الخاصة التى تشبه الطاووس وتتبعها سفينة الألهة "موت" زوجة آمون وسفينة الإله "خنسو" أبنهما ويكون هؤلاء الثلاثة ثالوث طيبة ويفتتح الملك العيد بتقديم القرابين وتحمل السفن على أكتاف الكهان من المعبد إلى النيل وتنقل إلى أماكن معدة لها فى السفن المقدسة الكبيرة بمراسية أمام ميناء المعبد ويسير قارب آمون المطلى بالذهب فى المقدمة فينعكس بريقه على الماء ويتبعه بقية القوارب ، والملك والملكة والكهان والجنود وحمله البخور والموسيقيون والراقصات فى موكب آخر على الشاطئ يغنون ويرقصون ويقومون بألعاب بهلوانية فى موكب تحف به الروعة والجلال ويستقبل الشعب هذا الموكب فى المعبد وتنحر الذبائح وتقدم القرابين إلى الإله وتنقل السفن المقدسة إلى الأماكن المخصصة لها فى المعبد ، ويقدم الملك القرابين مرة أخرى ويستمر الشعب نحو أسبوعين فى فرح وسرور ، فقد بدأت السنة المقدسة مع الفيضان وحين ينقضى العيد يعود الركب إلى معبد الكرنك مرة أخرى.

وقد توارث أهالى الأقصر هذا العيد بعد أن مضى عليه نحو خمسة آلاف سنة ، فهم يحتفلون به الآن فى مولد سيدى أو الحجاج وقد أقيم مسجد على ركن عال من معبد الإله آمون بالأقصر - ويعيدون إلى الذاكرة موكب آمون الفخم والأحتفال به فى سفينته المقدسة. ويقع هذا العيد فى ١٤ من شعبان. لكن الأهالى يستعدون له قبل ذلك بإقامة حلقات (الذكر) والأستعراضات ويشترك فيها الفرسان وهم يمتطون الجياد المطهمة التى ترقص على أنغام الموسيقى ويتبارون فى ألعاب الفروسية ، فإذا حل موعد الموكب يظهر قارب "أبو الحجاج" متألقا فى زينته ويوضع على محفة بأربع عجلات ويغطى بقماش ملون جديد هو سترة مقام صاحب المولد. ولما كانت هناك خمسة قبور أخرى لأقارب "أبو الحجاج" فأنهم يعدون لها سترا أخرى توضع فوق خمسة جمال يركبها أعضاء أسرة صاحب المولد الأقربون وتعلق فى رقابها الأجراس الصغيرة ، ويكتمل الجمع عند المسلة أمام معبد الأقصر، ويتقدم الموكب فى نظام بديع بعض ضباط وجنود السوارى والمشاة ومشايخ الطرق وأعضاء الأسرة الحجاجية يحمل كل فريق منهم بيرقا ذا ألوان متعددة وتعزف الموسيقى فيتحرك الركب ويرتفع صوت مؤذن المسجد يدعو الناس إلى الصلاة بينما ينشد الشعب وسط هذا الموكب الحاشد الأغنية الشعبية (أمان أمان).

مناظر العودة من الحج :

وقد كانت أبيدوس (العرابة المدفونة بمحافظة سوهاج) من أكبر عواصم الدين فى مصر. تخيل القوم فيها قبر الإله "أوزيريس" يحجون إليه ويطوفون من حوله التماسا للبركة ويحملون موتاهم إلى تلك الكعبة المقدسة إذ غدا بعد مصرعة سيد أهل الجنة وسلطانها الخالد. وكان الناس يتركون وراءهم أثرا فى تلك البقعة الطاهرة ويبنون لهم قبورا وهمية ويتركون حولها

شواهد يضمنونها دعاءهم وتضرعاتهم. من أجل ذلك كثرت آثار الضحايا من طعام وشراب حول القبر المقدس حتى يشفع لهم "أوزيريس" فى الآخرة.

ولايزال الحجاج العرب من مسيحيين ومسلمين يحجون إلى الأراضى المقدسة. فالمسيحى يحج إلى القدس فى رحاب قبر السيد المسيح والمسلم يحج إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة التماسا للبركة ويقدمون المنح والعطايا ملتمسين التوبة من الله.

وعند عودتهم يلقب المسيحى (بالمقدس) والمسلم (بالحاج) ويصبح هذا لقب علما عليهم ، ويرسم المسيحى على أجزاء مختلفة من جسمه علامات مميزة له تشبه الوشم كالصليب مثلا ، كما أعتاد الحجاج المسلمون أن يرسموا على جدران منازلهم رحلة السفن التى أقلتهم إلى الأرض المقدسة تيمنا بها ويطوف الحجاج فى موكب مهيب بين الأهل والأصدقاء وهم ينشدون ويرقصون على أنغام الطبل والمزمار وقد أعتقد كل منهم بأن آثامه ومعاصيه قد غفرت وأن دعاءه قد أستجيب.

كل هذا يعيد إلى أذهاننا ذكرى الصورة القديمة عن الحجاج إلى أبيدوس ، بأعتبارها مقر رأس "أوزيريس" إلة الموتى والأستشهاد وحاكم الأبدية والعالم الآخر ليستمطروا شآبيب الرحمة لهم فى رحابه.

الهودج :

وكانت الأسر المالكة فى مصر القديمة تستعمل الهودج فى تنقلاتها. وتحمل الملكة فى هودج - وهو يشبه العربة بدون عجل - عند خروجها للنزهة والتريض وتجلس فوقه مادة رجليها إذا شاءت ويحمله أتباعها وخدمها فوق أكتافهم. ويشبه هذا الهودج ما نشاهده اليوم مستعملا فى تنقلات (الحريم) فى كثير من قصور الشرق.

عيد وفاء النيل :

وكانوا يقيمون للنيل أعيادا شعبية يسودها المرح والسرور. ومن هذه الأعياد ما يسمى (ليلة الدموع) التى تقع فى شهر يونيو من كل يوم. وكان المصريون القدماء ينسبون حدوث الفيضان إلى بكاء الألهة إيزيس حزنا على مصرع زوجها الإله أوزيريس فاستبدت بها الأحزان وبكته بالدموع المدرار ، وكلما هطلت الدموع من عينيها غزيرة تساقطت فى النهر وأمتزجت بمياهه فيحدث الفيضان.

وقد ظلت هذه العقيدة سائدة فى مصر حتى عهد قريب ، إذ كان يقام فى ١١ بؤونة - يوافق ١٧ يونيو أحيانا و ١٨ يونيو أحيانا أخرى - حفل شعبى يسمى (ليلة النقطة) ، وتميل مياه النيل إلى الخضرة فى هذا الوقت فيكون بشيرا ببدء الفيضان الذى يكتمل فى شهر أغسطس فيقام له عيد آخر عندما تفتح السدود والقنوات ويغمر الفيضان الأراضى فيتراءى كأن المياه تحتضن الأرض أو كأن النيل يتزوج مصر تلك العروس الجميلة التى تقدم نفسها ليغمرها هذا الرجل المخصب بفيضانه.

وكان المصريون القدماء يعتقدون أنه إذا لم تقم الحفلات الرائعة بوفاء النيل فى حينها فإن ألنيل يمتنع عن الزيارة ولا يغمر الماء الأراضي ، وكانت هذه العقيدة المتأصلة تحملهم على أقامة الحفلات فى كل عام. وقد أعتاد كهان جبل السلسلة (قرب كوم أمبو) الأحتفال بعيد (حابى) فى حفل باهر فيلقون فى الماء قرطاسا مختوما من البردى ينص فيه على إطلاق الحرية لزيادة الماء.

وكان الفرعون أو نائبه يحضر هذا الحفل ، وقد وجد على صخور الجبل نص بمثابة تذكار باشتراك الفرعون بعيد هذا الإله يصحبه رجال الدين والعظماء وغيرهم من جموع الشعب الذين يقبلون من كل حدب وصوب مستبشرين. وكان الكهان يحملون تمثالا من الخشب لإله النيل يزفونه على الشاطئ فإذا رأت الجموع الحاشدة هذا التمثال انحنوا فى خشوع وأرتفعت أصواتهم بالدعاء التماسا لبركته ويقوم الكهان بعد ذلك بتلاوة الطقوس الدينية واطلاق البخور بينما القوم يرقصون وينشدون الأناشيد الدينية على أنغام الموسيقى. ومن المرجح أن جزء من هذا الحفل كان يقام فى مراكب على صفحة النيل. وبلغ من تقديسهم لهذا العيد أن قدم رمسيس الثالث تمثالا للنيل على هيئة امرأة جميلة لتكون زوجته وإذا حل الخريف وأنحسرت مياه النهر أعيدت التماثيل إلى مكانها.

ولا تزال الحكومة تنهج على منوال أسلافنا فى الأحتفال بعيد وفاء النيل إذ تحتفل رسميا فى النصف الثانى من شهر أغسطس من كل عام جريا على عادتها منذ آلاف السنين.

عروس النيل :

وقد تضاربت الآراء فى أصل فكرة (عروس النيل) فزعم بعض المؤرخين العرب أن المصريين القدماء كانوا يقدمون فى كل عام عروسا من أجمل النساء إلى النيل فى يوم وفائه ، فيزفونها فى مهرجان قومى فتركب العروس سفينة مزينة بالزهور والأعلام تسير على صفحة النيل ويدفعون لأهلها تعويضا اعتقادا منهم بأن هذا القربان يرضى النيل فلا يحرمهم من خيره وبركاته ، ولم يقلعوا عن ذلك إلا فى عهد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب.

ومما قاله المؤرخ العربى (ابن الحكم) فى ذلك أن عمرو بن العاص حينما فتح مصر جاء إليه أهلها فى شهر بؤونه وقالوا أن للنيل سنة لا يجرى إلا بها وهى أن تقدم إليه فى منتصف ذلك الشهر فتاة بكر مزدانة بالحلى والثياب.

فقال لهم عمر: أن ذلك لا يكون فى الإسلام. وصادف أن ظل النيل لا يجرى قليلا ولا كثيرا مدة أشهر بؤونة وأبيب ومسرى حتى هم المصريون بالجلاء عن البلاد. فكتب عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب فبعث إليه ببطاقة أمره أن يلقيها فى النيل قبل يوم الصليب (ويوافق ١٧ توت عند الأقباط المسحيين ويعتبر أنسب الأوقات لزراعة البرسيم المبكر).

ولما فتح عمرو بن العاص البطاقة وجد فيها (بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر المبارك. أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر. وأن الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك). فألقى عمرو بن العاص البطاقة فى مجرى النيل دفعه واحدة فى ١٦ توت وارتفع الماء فيه ستة عشر ذراعا وأعرض المصريون عن الجلاء بعد أن تهيئوا له.

ويقول فريق آخر من المؤرخين: أن الأصل فى فكرة عروس النيل هو أن المصريين القدماء كانوا يقدسون النيل ويقيمون له التماثيل المختلفة ، وكان يوجد فى جزيرة فيله بأسوان هيكل لا تزال آثاره باقية يحتفل القوم فيه كل عام بهذا العيد وذلك بالقاء الحلى والقطع الذهبية التى يصوغونها على هيئة خواتم تكريما لهذا النهر الإله، بينما يقول البعض الآخر أن المصريون كانوا يلقون فى كل عام عروسا من الذهب أو البرنز أو الفخار وقت الفيضان حتى تكثر خيراته.

وقد ذاعت أسطورة إلقاء عروس النيل جلبا لخيره وخشية أن يحجب عنهم الفيضان. والواقع أن تلك الأسطورة ليس لها نصيب من الصحة فقد كان المصريون القدماء يقصدون بهذا العروس "أرض مصر" أى أن النيل متى فاض دخل على أرض مصر تشبها بالرجل عندما يلتقى بعروسة يوم الزفاف. ولا يبعد أن يكون هذا المعنى المجازى هو الذى أدى مع الزمن إلى توهم بعض الناس أن هناك عروسا آدمية تلقى فى النيل، وكل ما قيل غير ذلك لا يستسيغه العقل. فكيف يبقى للحياة أثر فى مصر إذا جف ماء النيل طوال ثلاث أشهر كما قال (ابن الحكم)؟ ثم مصر كانت تدين بالمسيحية وكانت مسيحيتها قبل الفتح الإسلامى بستة قرون ، والمسيحية تحرم الضحايا البشرية ، كما أنه لم يحدث فى مصر أن ضحى بنفس آدمية لأن الحياة الإنسانية أثمن فى الوجود.

وإذا نظرنا إلى ما خلفه المصريون القدماء من آثار لوجدنا أنهم أقاموا مقاييس للنيل فى عدة مواضع يسجلون بها درجات إرتفاعه وإنخفاضه ، ولا زالت بعض هذه الدرجات مسجلة على أعمدة معابد الكرنك وادفو وصخور أسوان والنوبة ، فلو أنهم كانوا يلقون عروسا فى النيل ليفيض لأشاروا إليها فى سجلاتهم ضمن ما نقشوا على آثارهم من أحداث السنين العجاف والمجاعات التى كانت تصيبهم بسبب أنخفاض النيل ، كما أن شعراءهم وكتابهم لم يشيروا فى قصائدهم وكتاباتهم إلى عروس النيل هذه وأوراق البردى التى دونوا عليها أنباء الفيضان ووصف الأحتفال به خالية من أيه إشارة إلى هذه التضحية.

ومجمل ما عرف فى هذا الصدد أنهم يقيمون حفلا دينيا كبيرا قرب أسوان لدعوة النيل إلى الفيضان. وقد وجدت ثلاث لوحات لفراعنة مصر رمسيس الثانى ومرنبتاح ورمسيس الثالث وفى كل منها وصف شامل لهذا الحفل الباهر. فكانوا يذبحون على سبيل القربان عجلا أبيض وأوزا وطيورا أخرى ثم يلقون فيه بقرطاس من البردى يدعى فيه النيل للفيضان ، وكان الكهان يعتقدون أن للكتابة التى فى القرطاس قوة سحرية.

وظاهر من هذه الوثائق أن القرابين التى كانت تقدم إلى النيل هى من الهدايا المألوفة ولم يكن بينها فتاه عذراء كما يزعم بعض المؤرخين.

شجرة عيد الميلاد (الكريسماس) :

كان "أوزيريس"إلها للخير ورمزا للخصب فى عقيدة المصريين القدماء ، وقد ورث ملك "رع" وأصبح إله كل شئ فى هذا العالم. وقد تزوج أخته إيزيس التى كانت خصبة وزواجها مثمرا ، بينما أختها "نفتيس" التى تزوجت "ست" اله الشر كانت عقيمة لا تلد فدبت الغيرة فى أوصالها وأرادت أن تكون خصبة كإيزيس وظنت أن سبب عقمها يرجع إلى "ست" الذى يمثل الأرض الجدباء. وكان "ست" يبغض أخاه "أوزيريس" وأراد أن يمكر به فدبر مكيدة لاغتياله ، فأقام له حفلا مع بعض الآلهة الأخرى وأعد تابوتا جميلا كسوته من الذهب بحجم الإله الشاب وحدة وأقبل "ست" وزعم أن هذا التابوت هبة منه لأى أله من الحاضرين يصلح لأن يكون مرقدا له. وهكذا أستلقى كل اله فى التابوت ليجرب حظه دون جدوى إلى أن جاء دور "أوزيريس" وما أن رقد فيه حتى أغلق الآلهة عليه الغطاء ثم ألقوا التابوت فى نهر النيل وطفا حتى بلغ البحر الأبيض المتوسط وهناك حملته الأمواج إلى الشاطئ الفينيقى (لبنان) فرسا عند مدينة (ببلوس) ونمت على الشاطئ شجرة ضخمة احتوت التابوت.

وكان فى تلك المدينة ملكة جميلة هى الألهة "عشتروت" خرجت إلى الشاطئ تتريض وحين أبصرت الشجرة أمرت بقطعها وإقامة عمود ضخم من جذعها فى وسط قصرها. ولما علمت "إيزيس" بمصير زوجها وهى فى مصر أخذت تبحث عنه فى كل مكان واستبدت بها الأحزان فبكته بالدمع الهتون وكانت كلما هطلت الدموع من عينيها غزيرة تتساقط فى النيل فتمتزج بمائه فيفيض ، فقد كان الفراعنة يعتقدون أن دموع "إيزيس" هى سبب فيضان النيل. وأخيراً استدلت "إيزيس" الألهة الجميلة على مكان زوجها ومضت إلى (ببلوس) وهناك دخلت القصر واتخذتها الملكة نديمة لها ومرضعة لوليدها. وكانت إيزيس فى تلك المدة قد أتخذت صورة النسر- رمز الحياة - وحومت حول العمود العظيم القائم وسط القصر وطافت بجثة زوجها وأخذت تناجى روحه فتحولت بقوتها السحرية إلى روح ترى من أمامها ولا يراها أحد ، ثم حدثت المعجزة فقد حملت إيزيس بالروح دون أن يمسها بشر. حملت فى أحشائها الطفل "حورس" وهربت به فى أحراش الدلتا إلى أن كبر فحارب الشر وانتقم لأبيه وخلص الإنسانية من شرور عمه "ست" فسماه المصريون حينذاك (الإله المخلص).

وأرادت الملكة أن تكافئ إيزيس فسألتها عن بغيتها فطلبت منها جذع الشجرة الذى يحوى زوجها فأعطته لها وأخرجت التابوت منه وحملته مسرورة ثم وضعته فى سفينة وأبحرت به إلى مصر. وهناك استلقت على جثة زوجها الهامدة ونفخت فيها من أنفاسها مستعينة ببعض الآلهة فردت إلى الميت الحياة ثم أرتفع أوزيريس بعد ذلك إلى السماء واعتلى العرش فى العالم الآخر.

من هذه الأسطورة نرى أن "أوزيريس" عاش ومات ثم ردت إليه الحياة ثانية وأصبح شجرة خضراء فكان هو الإله المهيمن على الزراعة وبذرة الحياة فى هذا الوادى ينشر فيه الخضرة كل عام. وقد رأى المصريون القدماء أن الحبة التى يبذرها الزارع تنبت وتخضر وتأتى بالثمار ومن تلك الثمار أخذ يزرع حبوبا أخرى ، فتكررت معجزة الحياة ، وفكر فى تلك الحياة المتجددة التى لا تموت فاعتقد أن هذا الشئ الحى الذى لا يموت هو أله وأن أوزيزيس هو روح هذه الحياة الخضراء الثابتة فى الأرض ، وعرف كيف أن هذه النباتات المخضرة تذوى كل عام وتتراءى لناظرها كأنها ماتت وفارقت الحياة ولكنها لا تلبث أن تعود مرة أخرى إلى حياتها ونضرتها.

وقد آمن المصريون القدماء بأن أوزيريس "هو القوة التى تمدهم بالحياة وتعطيهم القوت فى هذه الدنيا، وأنه هو الأرض السوداء التى تخرج منها الحياة المخضرة ورسموا سنابل الحب تنبت من جسده ورمزوا للحياة المتجددة بشجرة خضراء. وكانوا يقيمون فى كل عام حفل كبير ينصبون فيها شجرة يزرعونها ويزينونها بالحلى ويكسونها بالأوراق الخضراء كما يفعل الناس اليوم بشجرة عيد الميلاد.

وقد سمى البابليون هذه الشجرة بشجرة الحياة وكانوا يعتقدون أنها تحمل أوراق العمر فى رأس كل سنة ومن أخضرت ورقته كتبت له الحياة طوال العام ومن ذبلت ورقته وآذنت بالسقوط فهو ميت فى يوم من أيامها.

وقد سرت هذه العادة من الشرق إلى الغرب فأخذوا يحتفلون بالشجرة فى عيد الميلاد ويختارونها من الأشجار التى تحتفظ بخضرتها طوال السنة كالسرو والصنوبر.

عيد شم النسيم :

كان المصريون القدماء يحددون سنتهم الشمسية طبقا لظواهر فلكية رصدوها ، وكانت السنة عندهم تبدأ بعد أكتمال البدر الذى يلى الاعتدال الربيعى مباشرة - وهو الذى يتساوى فيه الليل والنهار - وقت حلول الشمس فى برج الحمل ويقع فى ٢٥ برمهات ، ويعتقدون أن ذلك اليوم هو بدء خلق العالم لذلك اعتبروه أول الزمان.

وعيد شم النسيم وثيق الصلة بعيد الفصح اليهودى، فإن بنى إسرائيل حين خرجوا من مصر فى عهد موسى عليه السلام وافق ذلك اليوم موعد أحتفال المصريون ببدء الخلق وأول الربيع واعتبروه رأسا لسنتهم الدينية وأطلقوا على يوم خروجهم (الفصح) - وهى كلمة عبرية من فصح أو فسخ بمعنى إجتاز أو عبر وأشتقت منها كلمة (بصخة) التى يستعملها المسيحيون فى الكنائس - إشارة إلى نجاتهم وتحريرهم عندما ذبحوا خروف الفصح ورشوا دمه على بيوتهم. وكان شم النسيم يوافق موعد أحتفالهم بأول فصل الربيع يحتفلون به فى فصل الحصاد وقد أطلقوا عليه بالهيروغليفية أسم (شمو) - وهو أحد فصول السنة المصرية ويشمل أربعة أشهر من منتصف فبراير حتى منتصف يونيو وحرف الأسم على مر العصور إلى (شم) وأضيفت إليه كلمة (النسيم) حتى تصبح علما عليه ، وهكذا أتفق عيد الفصح العبرى بعيد الخلق المصرى ثم أنتقل الفصح بعد ذلك إلى المسيحية لموافقته موعد قيامة السيد المسيح . ولما أنتشرت المسيحية فى مصر أصبح عيدهم يلازم عيد المصريين القدماء ويقع دائما فى يوم الأثنين وهو اليوم التالى لعيد القيامة.

وقد جاء فى كتاب مختصر الأمة القبطية "أما شم النسيم فهو عيد وطنى قديم أتخذه القبط فى أول فصول الربيع رأسا لسنتهم المدينة غير الزراعية. فلما جاءت المسيحية وجد القبط أن هذا اليوم يقع دائما وسط الصوم فجعلوا الأحتفال به ثانى يوم عيد الفصح (القيامة)"..

وكان المصريون القدماء يحتفلون بعيد الربيع كما نحتفل بعيد شم النسيم الآن ، ويشترك فيه الفرعون والوزراء والعظماء فهو العيد الذى تبعث فيه الحياة ويتجدد النبات وينشط الحيوان لتجديد النوع وهو بمثابة "الخلق الجديد" فى الطبيعة. وكانوا يفرحون لحلوله ويجعلون منه يوم راحة ففيه تزدهر الخضرة وتتفتح الزهور ويخرج الناس أفواجا وجماعات إلى الحدائق والحقول للتريض وهم فى نشوة من الفرح والسرور ويقضون يومهم فى أحضان الطبيعة الباسمة ويستنشقون أريج الزهور ويستمتعون بالورود تاركين وراءهم متاعب الحياة وهمومها.

وأعتاد المصريون القدماء أن يخرجوا مبكرين حفزا للهمم والنشاط ورمزا لأولئك الذين أطاعوا الألهة "حتحور" وخرجوا عند الفجر يحملون أوانى البيرة - وهى تشبه لون الدم المسفوك - ليسكبوها قبل فتكها وأهلاكها البشر.

كما أعتاود ا أن يحملوا معهم طعامهم وشرابهم ، وكانت الأسر تجد متعة فى ركوب القوارب الخفيفة وهى تسير بهم على ضفة اليم يجمعون الزهور ويصطادون الأسماك والطيور ويغنون ويرقصون على أنغام الناى والمزمار ويقضون يومهم فى لهو ومرح.

وكان أحب أنواع الطعام لديهم فى ذلك اليوم البيض والسمك المملح (الفسيخ) والبصل والخس و (الملانة) ولحم الأوز والبط المشوى.

فالبيض يرمز لخصب الطيور وموعد ظهور جيل جديد منه ، ولأن أكله بعد موعد فصل الربيع غير مقبول. والبيضة عند الفلاسفة أصل الخلق وأزدادت قداستها عند ظهور المسيحية فجعلوها رمزا للحياة وصبغوها باللون الأحمر رمزا لدم المسيح المسفوك على الصليب وأصبحت البيضه رمزا للشئ الصغير تخرج منه الحياة مجسمة فى شكل مخلوق وهكذا صارت البيضة تعبيرا عن البعث ورمزا له. وفى الصيام الكبير يصوم المسيحيون عن كل ما هو حيوانى وأكل البيض رمزا للحياة وفأل حسن فى عيد الربيع.

وكانوا يجففون السمك ويملحونه وقد ذكر (هيرودوت) المؤرخ اليونانى الذى زار مصر نحو القرن الخامس قبل الميلاد "أن المصريين كانوا يأكلون السمك ويجففون بعضه فى الشمس ويأكلونه نيئا ويحفظون البعض الآخر فى الملح" وقد يعنى بذلك (الملوحة) أو (الفسيخ) الذى كانوا يرون أن أكله مفيد أثناء تغيير الفصول.

وقد وجدت بعض النقوش الهيروغليفية تشير إلى

تقديس البصل. ومن العادات المألوفة لدى المصريين القدماء أن يعلقوا حزما منه حول أعناقهم في عيد (نتريت) – ويقع مع عيد الربيع في ٢٩ كيهك – فيطوفون حول الدار البيضاء (منف) تبركا به كما أعتاد بعض الناس أن يعلقوا حزم البصل على أبواب المنازل ويصبوا عصيره على عتب الباب ويضعونه تحت وسائدهم ويشمونه عند مطلع الفجر اعتقادا منهم أنه يطرد الأمراض ، كما أعتادوا أن يضعوه قرب أنف الطفل عند ولادته لما له من رائحة نفاذة من ثم أصبح البصل تقليدا يؤكل مع الفسيخ فى عيد شم النسيم.

أما الخضر وبخاصة (الملانه) والخس فأكلها لذيذ فى هذا الفصل من السنة. وقد أجمع العلماء على أن الخس البلدى يحتوى على مادة زيتية تجلب الخصب والقوة الحيوية وبه نسبة من فيتامين (هـ) الذى يستعمل الآن لعلاج الحالات التناسلية عند المرأة والرجل على السواء كما ثبت أن هناك علاقة كبيرة بين فيتامين (هـ) وهرمونات التناسل لذلك بلغ عندهم مرتبة التقديس وخصص للمعبود "مين" اله التناسل.

وكان العيد رمزا للخضرة المحببة إلى نفوسهم وعلامة بعث نبات جديد وموعد تفتح الزهور ، فحيثما ألقى المرء بنظرة على الآثار وجد الزهور فى كل مكان، وقد عشق المصريون القدماء الزهور وقدروا ما فيها من جمال الطبيعة وسحرها وقدموها على مذابح الآلهة قربانا. وكثيرا ما كان المنشد يغنى مهننا بالعيد فيقول "أحتفل بهذا اليوم السعيد واستنشق روائح العطر وزيوته وضع أكاليل من زهر اللوتس على ساقى أختك وصدرها تلك المقيمة فى قلبك الجالسة بجوارك ولتصدح الموسيقى بالعزف والمنشدون بالغناء ولا تهتم بشئ بل اغتنم فرص المرح والسرور قبل أن يجئ اليوم الذى تقترب فيه من الأرض التى تألف السكون".

وكانت الزهور والخضرة بشيرا ببدء موسم الحصاد ففيه يملئون مخازنهم بالغلال ويقيمون حفلا آخر بهذه المناسبة يقدمون فيه بواكير "الخلق الجديد" من سنابل القمح الخضراء ويضفرونها على شكل علامة (حتب) الهيروغليفية رمزا للخير والسلام ويهدونها إلى الإله الخالق الذى أنعم أنهم عليهم بهذا المحصول الوفير والخير العميم.

وبعد فقد ظل شم النسيم عيد للطبيعة والربيع قائما من عهد الفراعنة حتى اليوم ، ولم تقض عليه الأديان التى أعتنقها المصريون من مسيحية وإسلام بل أصبح عيدا قوميا يحتفل به المصريون على أختلاف أديانهم فيخرجوا – كما أعتاد أجدادهم المصريون القدماء – إلى الحقول والحدائق يلهون ويمرحون ويأكلون البيض والفسيخ والبصل والخس والملانة ويركبون القوارب على صفحة النيل.

أنه العيد الذى أوحت به طبيعة بلادنا الزراعية.
أنه عيد الزراعة.
عيد بعث الحياة..
عيد أول الزمان...

الأغانى :

تتضمن الموسيقى المصرية تراتيل طقسية وترانيم الأسرار الدينية ، وأناشيد جماعية تنشدها السيدات النبيلات المشتركات فى المواكب ، وأصوات القيثارات وأغانى الغرام ، والقصائد الدينية والدنيوية المصاحبة لحركات الرقص (مثل "أغنية الرياح الأربع") والمراثى الجنائزية (مثل "الرجل الراعى الطيب"). وهكذا كانت هناك أغان لا تحصى يصحبها التصفيق بالأيدى وعزف الموسيقى ، والرقص غالباً ، والحركات الصامتة أو الحركات الطقسية وقلما فرق قدماء المصريين بين فنون الموسيقى وفنون الغناء – تكريماً للآلهة أو متعة للأحياء أو حداداً على الموتى. أنشدت الأغاني فى المعابد بواسطة أعضاء الكورس أو الموظفين المكونين لكورس فرعون أو المغنين فى القصور ، ويمكن رؤية كل هؤلاء مصورين على حوائط المقابر ، متربعين أمام الفرقة الموسيقية للمحافظة على وحدة الإيقاع بحركات أيديهم. وكذلك كانت الطبقة المتواضعة من الشعب تعشق الأغانى. فكان عمال الحصاد يبدون ملاحظتهم: "أنه لجميل" عندما يسمعون أحد زملائهم ينشد أغنية قديمة بمصاحبة الناى الريفى ؛ وفى موسم البذور عندما تساق الأغنام فوق الأرض الرطبة المزروعة حديثاً ، يترنم كل شخص بنغمة على وقع قرقعة السياط تردد أصداء أسطورة شعبية قديمة.

أنظر التسلية والترفية وكذلك الأدب.

الأقـــــالـــــيـــــم :

أطلق المصريون على مصر. من بين مـــا أطلقـــوا عليها من أسماء كثيرة "تاوى" بمعنى الأرضين ، أرض الصعيد وأرض الدلتا (تاشمعو ، وتامحو)، وهو اســـم ابتدعه القوم منذ اخريات الألف الرابعة قبـــل الميـــلاد، على أقل تقدير ، متأثرين فى ذلك بالفوارق الإقليميـــة بين الصعيد والدلتا ، وباستقلال الواحـــد منـــهما عـــن الآخر. فيما قبل التوحيد، وكانوا يعنون بأرض الصعيد تلك المنطقة التى تمتد من أسوان جنوبا، وحتى شـــمال أطفيح شمالا ، ويعنون بأرض الدلتا (منف والدلتـــا) ، هذا وقد قسم القوم كذلك كلا من الصعيـــد أو مصـــر العليا. والدلتا أو مصر السفلى إلى أقاليم. عرفت فـــى المصرية القديمة باسم "سبات" ، وفى اليونانية Nomes وكان لكل إقليم شعاره الرسمى الذى كان عادة ما يعلـــو فوق سارى ، فضلا عن معبود يتعبدون إليه ، كمـــا أن هذه الأقاليم إنما كانت عرضة للتغيير ، وان ثبتت أقاليم الصعيد منذ الأسرة الرابعـــة وحتـــى نهايـــة العصـــور الفرعونية على اثنين وعشرين إقليما ، وان كان الأمـــو بالنسبة إلى الدلتا مختلفا ، وطبقا لما ذهب إليه "هلـــك" فقد كانت أقاليم الدلتا حتى الأسرة الرابعة ، أربعة عشر إقليما ، ثم أصبحت فى الأسرة الخامسة ســـبعة عشـــر إقليما ، وفى الأسرة الثانية عشرة ستة عشر إقليمـــا ، وفى عهد الدولة الحديثة زادت إلى ثمانية عشر إقليمـــا ، ثم أصبحت فى الأسرة الخامسة والعشـــرين أربعـــة عشر إقليما ، وزادت فى العصر الفارسى إلـــى ســـبعة عشر إقليما وهذا يعنى أن أقاليم الدلتا طوال العصـــور الفرعونية إنما كانت تترواح بيـــن ١٤ ، ١٨ إقليمـــا. بينما ظلت أقاليم الصعيد منذ الأسرة الرابعـــة وحتـــى نهاية العصور الفرعونية ثابتة عند اثنيـــن وعشـــرون إقليما ، كما أن هذا يتعارض مع ما ذهب إليه البعـــض من أن أقاليم الدلتا كانت ٢٠ إقليما. وأن بلغـــت فـــى العصر اليونانى أو البطلمى اثنين وعشـــرين إقليمـــا ، ولنحاول الآن أن نقدم فكرة واضحة إلى حد مـــا عـــن الأقاليم فى مصر الفرعونية فى كل من مصر العليـــا أو الصعيد ، ومصر الوسطى أو الدلتا.

أولا : أقاليم مصر العليا (الصعيد) : تتكون أقـــاليم الصعيد من ٢٢ إقليما يمكن ترتيبها من الجنوب إلـــى الشمال كالتالى :

(١) الإقليم الأول : وكان يسمى "تاســـتى" بمعنـــى أرض الإلهة ساتت ، إلهة جزيـــرة ســـهيل ، جنوبـــى أسوان. وكانت عاصمته "آبو" بمعنى جزيرة العاج. وقد أطلق الاغارقة عليه اسم "اليفانتين" بمعنى الفيلـــة ، أو لأن الفيلة كانت تستقر هناك قبـــل هجرتـــها النهائيـــة صوب الجنوب ، ومكان آبو الآن جزيرة أسوان ، فـــى مقابل مدينة أسوان الحالية عبر النهر ، هذا وقد انتقلت العاصمة منذ العصر الصاوى من آبو إلى أسوان والتى كانت تدعى "سونو" فـــى المصريـــة ، وســـوينى فـــى الأغريقية وسوان فى القبطية ثم أسوان فى العربيـــة ، وكان حورس أول من عبد فى الإقليم ، ثم بعـــد ذلـــك ثالوث مكون من خنوم وعنقت وساتت. وأما أهم مدنـــه غير آبو وأسوان فهى مدينة "نبيت" بمعنى الذهبيـــة أو مدينة الذهب. ثم عرفت فى القبطية باسم انبو أو امبـــو ، وفى الأغريقية امبوس. وهى كوم أمبو الحالية علـــى مبعدة ٤٥ كيلو شمالى أسوان.

(٢) الإقليم الثانى: كان يسمى "امنتـــى" أو "أمنتـــى حور " بمعنى إقليم حورس الغربى ، وعاصمته "جبا" أو "جبو" المصرية ، وثبو أو اتبو القبطية ، وقد ســـميت كذلك "بحدت" منذ الأســـرة الثانيـــة عشـــرة ، بمعنـــى العرش، أى عرش حـــورس الـــذى ســـاواه الأغريـــق بمعبودهم "ابوللو" فسموها "أبوللو نوبوليس ماجنـــا" اى مدينة أبوللو الكبيرة ، تمييزا لها عن "ابوللو الصغـــيرة" وهى مدينة قوص الحالية. وكان معبودهـــا الرئيســـى الإله حورس. وثالوثها مكون من حـــورس وحتحـــور وابنهما ايحى. وجبا هذه هى مدينـــة ادفـــو الحاليـــة ، وتشتهر الآن بمعبدها الفخم الكبير الـــذى لا يضارعـــه معبد آخر فى مصر ، فهو أكمل المعابد المصرية مـــن العصور المتأخرة من حيث بنيانه ونصوصه وقد استمر بناؤه قرابة قرنين من الزمان (٢٣٧ - ٥٧ ق.م).

(٣) الإقليم الثالث: وكانت عاصمتـــه "نخـــن" وقـــد ترجم "كورت زيتة" كلمـــة نخـــن بمعنـــى الحصـــن ، وترجمها "هرمان كيس" بمعنى طفولـــة الإلـــه ، وأمـــا إسمها الآخر "نخن" فقد عثر عليه "دارسى" فى لوحـــة من مندرة ترجع إلى العصر المتأخر ، وأطلق الإغريـــق على المدينة إسم "هيراقونبوليس" بمعنى مدينة الصقر، هذا ويعرف موقع "نخن" الحالى باسم الكوم الأحمـــر ، وهى تسمية يشاركها فيها كثير من المواقع الأثريـــة ، وللتفرقة بينها وبين هذه المواقع فأنني أفضل تسميتها باسم البلد الذى فيه ، والذى يطلق على المنطقة كلـــها بما فيها الكوم الأحمر وهو "البصيلية". وتقـــع أطـــلال

المدينة القديمة على حافة الصحراء غرب النيل على مبعدة ١٧ كيلو شمالى أدفو ، بمحافظة أسوان ، ويفصلها عن النيل قريتا المويسات والجمعاوية وترعة الرمادى. ويمتد إقليم نخن من مكاما إلى الشمال من أدفو من ناحية الجنوب ، وحتى بلده "المعلا" الحالية ، على مبعدة ١٨ كيلو شمالى اسنا ، وأما أهم مدن إقليم نخن هذا ، غير نخن نفسها ، ستة ، وهى الكاب فى مقابل نخن عبر النهر ، ثم "برخنس" (بيت خونسو) ، على مبعدة ٥ كيلو شمالى هرم الكولة فى البصيلية نفسها ، ثم "كوم مرة" وهى كومير الحالية ، على مبعدة ١١ كيلو جنوبى اسنا ، ثم مدينة "تاست أن حولو" ، وهى الحلة الحالية ، إلى الشمال قليلا فى مواجهة اسنا عبر النهر ، ثم مدينة اسنا نفسها ، والتى أصبحت عاصمة الإقليم على أيام البطالمة. ثم "جسفنت" أو "حاس فون" وهى أصفون المطاعنة الحالية ، على مبعدة ١٠ كيلو شمالى أسنا ، هذا فضلا عن مدينتى "المعلا" و "الجبلين" على مبعدة ١٨ كيلو شمالى أسنا.

(٤) الإقليم الرابع: وكانت عاصمته "واست" بمعنى الصولجان ، وهو رمز الحكم والسلطان عند آل فرعون، وأما إسم طيبة ، فربما بمعنى الحريم للمعبود آمون ، وربما كان اشتقاقا من إسم طيبة الأغريقية ، وربما كان الإسم مصرى الأصل ، وهذا فاكبر الظن أن يكون الإسم مرجعه إلى إسم أماكنها المقدسه "ابـه" ، وأن يكون مركبا من هذا اللفظ. ومن أداة التعريف "تى" بحيث يصبح الإسم كله "تيبه" (طيبه) ، وأما إسم الأقصر ، وهو جمع تكسير لكلمة قصر ، فقد أطلقه العرب على المدينة حين بهرتهم عمائرها الكبرى ، فعدوها قصورا. ومن هنا جاءت تسميتها الحالية "الأقصر". وعندما رأوا تلك النوافذ العالية التى ترسل الضوء إلى بهو الأعمدة الأكبر. قارنوا بينه وبين الخورنق (وهى كلمة فارسية بمعنى حصن منيع لقصو النعمان الأول ملك الحيرة) ومن ثم فقد سموا المعبد الخورنق ثم حرف فيما بعد إلى الكرنك ، وقد نسبت واست إلى معبودها آمون ، فسميت نوت آمون أو "تـه" بمعنى مدينته ، وتحور إسمها فى العبرية إلى "نوامون"، وفى الآشورية إلى "تباى" ، وفى القبطية إلى "ته" وترجمه الأغارقة إلى "ديوس بوليس ماجنا" بمعنى مدينة الرب الكبرى. ثم ذكروها باسمها الشائع طيبة منذ عصر هوميروس ، وأما الآلهة التى كانت تعبد فى الإقليم فهى "مونتو" إله الحرب. وسوبك ، فضلا عن ثالوثها المقدس آمون وموت وخونسو ، وأما أهم مدن الإقليم ، غير طيبة فهى ايون أرمنت على مبعدة ١٥ كيلو جنوبى الأقصر. وكانت عاصمة الإقليم قبل أن ينتقل مركز الثقل إلى طيبة ، كما كانت مركز عبادة مونتو ، وقد كتب إسمها فى الأغريقية هرمونش. ثم هناك مدينة طود على مبعدة ٢ كيلو شمالى محطة ارمنت ثم المداموود ، على مبعدة ٥ كيلو شمالى الأقصر.

(٥) الإقليم الخامس: كان يسمى فى المصرية "نتروى" بمعنى إقليم الإلهتين ، وكانت عاصمته "جبتو" أو "جبتيو". وفى القبطية قفط وقبط. وفى الأغريقية كوبتوس ، وفى العربية "قفط". وتقع على مبعدة ٢٢ كيلو جنوبى قنا ، وكانت ذات أهمية اقتصادية طوال العصور الفرعونية لوقوعها عند بداية الطرق الموصلة إلى محاجر الصحراء الشرقية وموانى البحر الأحمر ، ومن ثم فقد اشتهر معبودها "مين" كحام للقوافل والطرق الصحرواية ، كما كان إلها للأخصاب ، وكانت قفط آخر ثلاثة عواصم للإقليم ، وأولها "توبت" ربما بمعنى الذهبية لقربها من مصادر الذهب فى الصحراء الشرقية. ثم سماها الأغريق إمبوس ، وقامت على أطلالها ، وربما على مبعدة كيلو مترين إلى الجنوب منها بلدة طوخ الحالية فى منتصف المسافة تقريبا بين نقادة والبلاص غرب النيل ، أمام قرية الحراجية تقريبا، فيما بين قوص وقفط شرق النيل ، ثم تحولت العاصمة إلى "جسى" وفى القبطية كوسى ، وهى مدينة قوص الحالية، على مبعدة ٣٥ كيلو جنوبى قنا ، وأما معبود الإقليم فكان الإله ست إله أمبوس ، ثم حورس أبان زعامة قوص ، ثم قبل ذلك "مين" ، عندما كانت قفط هى العاصمة.

(٦) الإقليم السادس: ويسمى "جام" بمعنى إقليم التمساح ، وكانت عاصمته "ايونت" أو "أيون تانترى" بمعنى عمود الإلهة حتحور ، ثم أسماها الأغارقة "تنفيرس" وهى دندرة الحالية ، على مبعدة ٥ كيلو شمال غرب قنا عبر النهر ، ومعبودتها الرئيسية حتحور ، وأما ثالوثها فيتكون من حورس وحتحور وايحى ، وفى دندرة معبد فخم يضارع معبد أدفو فى

روعته واكتماله، وفى رجوعه إلى العصر البطلمى، وقد بناه بطليموس الثانى على أنقاض معبد حتحور القديم، وان لم يتم بناؤه إلا حوالى منتصف القرن الأول الميلادى.

(٧) الإقليم السابع: ويسمى "حوت سخم" بمعنى قصر الصاجات، وكانت عاصمته "حوت سخم نوت" أى مدينة قصر الصاجات، وهى فى الإغريقية "ديوسبوليس بارفا"، وهى "هو" الحالية، والتى ربما كانت تصحيفا للإسم القديم "حو" أو "حات"، وتقع على مبعدة ٥ كيلو جنوب نجع حمادى، وأما معبود الإقليم فاغلب الظن أنها المعبودة حتحور. هذا وقد سميت "هو" كذلك "كنمت" بمعنى الكروم، وهو إسم واحة الخارجة المعروفة بخمرها والتى كانت تتبع الإقليم السابع هذا من الناحية الإدارية.

(٨) الإقليم الثامن: ويسمى "تا ور" بمعنى الأرض العظيمة أو المكان الكبير أو الوطن العظيم، وكان مكان عاصمته "ثنى" موضع جدل طويل فهى اما أن تكون إلى الشمال من ابيدوس، والتى تقع عند حافة الصحراء الغربية، عند قرية العرابة المدفونة (عرابة ابيدوس) على مبعدة ١٠ كيلو غربى مدينة البلينا بمحافظة سوهاج، وفى مركز جرجا بالذات. ومن ثم فقد ذهب رأى إلى أن ثنى (ثنى = ثينس عند الأغارقة) إنما تقع بين مكان قرية البربا الحالية على مبعدة ٥ كيلو شمال غرب جرجا، غير أن هذا المكان لم يعثر فيه على أية آثار هامة تؤكد هذا الرأى، كما أنه يبعد نسبياً عن ابيدوس (جبانة ثنى)، بينما ذهب رأى ثان إلى أن ثنى إنما تقع فى مكان قرية الطينة الحالية، قريباً من برديس، وذهب رأى ثالث إلى أنها عند نجع الدير، شرق النهر، وعلى مبعدة ٤١ كيلو جنوبى سوهاج، ١٧ كيلو شمال دار السلام (أولاد طوق القديمة)، وذهب رأى رابع إلى أنها "نجع المشايخ" على مبعدة ٤ كيلو جنوب نجع الدير، ٤٥ كيلو جنوب سوهاج، ١٣ كيلو شمال دار السلام، ٣٣ كيلو شمال نجع حمادى، وذهب رأى خامس إلى أن ثنى إنما هى أبيدوس نفسها، وعلى أى حال، فان ثنى تقع فى مكان لا يبعد كثيراً عن جرجا، لأن معبودها انوريس غالباً ما يدخل فى إسماء اعلام الجهة المجاورة وهى نجع المشايخ ونجع الدير، واما الإلهة التى كانت تعبد فى إقليم "تاور" فطبقاً لقائمة سنوسرت فان أول معبوداتها إنما كان "خنتى امنتى" ثم أوزيريس وقد وحد الاثنان معا، ثم عبد انحور، وهو أنوريس عند الإغريق فى عهد الدولة الحديثة، ثم استضافت ابيدوس "حورس مين" بعد ذلك، كما عبدت المعبودة ماتيت أو ماحيت التى مثلت على هيئة لبؤة فى مدينة "بر حبت" (نجع المشايخ أو أولاد يحيى الحالية). كما عبد الإله "سبك" فى "تشيت"، وهى التى قامت على أطلالها أو فى مجاوراتها مدينة "بطوليميس" عقب الغزو المقدونى لمصر، ثم أصبحت عاصمة الإقليم بعد ثنى، على رأى، ومدينة أغريقية صرفه على رأى أخر، وتقع فى مكانها الآن مدينة "المنشاة"، على مبعده بضع كيلو مترات، جنوبى سوهاج.

(٩) الإقليم التاسع: كان يسمى إقليم "مين" وعاصمته أخميم الحالية، فى مقابل سوهاج عبر النهر، وكانت تدعى آبو أوايبو، ومعبودها الرئيسى الإله مين، ومن ثم فقد سميت "خنت مين"، وهو أصل إسمها فى القبطية "شمين" وسماها الأغريق "بانوبوليس"، ونسبة إلى معبودهم بانو و الذى يماثل الإله مين.

(١٠) الإقليم العاشر: كان يسمى إقليم "وادجيت" وهو إسم الأفعى المقدسة معبودة الإقليم التى ماثلها الأغريق بمعبودتهم أفروديت ومن ثم فقد سمى الإقليم "افروديتوبوليس"، وقد حملت عاصمة الإقليم إسمين، الواحد مدنى، وهو "جيبو"، والآخر دينى. وهو "بر – وادجيت"، وان زعم البعض أنهما مختلفان، وأن الأولى تقع فى مكان "كوم إشقاو"، على مبعدة ٥ كيلو شرقى مشطا، والثانية فى مكان أبوتيج الحالية، والواقع أن الآراء قد أختلفت حول مكان عاصمة هذا الإقليم، فهى أما أن تكون "أدفا" الحالية على مبعدة ٧ كيلو شمال غرب سوهاج، أو تكون "كوم أسفهت" الحالية، أو تكون "قاو الكبير"، وهو الهامية الحالية، شرق النيل إلى الجنوب من البدارى، أمام قاو الغوب، فيما بين طهطا وطما عبر النهر، أو أن تكون طهطا نفسها، أو أن تكون إلى الشمال قليلا من أبوتيج، وقد سادت عبادة حورس معبود قاو الكبير، الإقليم كله، وتبوأ فيه مكانه "وادجيت"، وهو فرض أن صح، فلن "وادجيت"، وهى كوم أشقاو، إنما كانت عاصمة الإقليم فى البدء، ثم تحولت العاصمة إلى قاو الكبير، كما حدث فى كثير من الأقاليم التى شهدت تعاقب أكثر من عاصمة فى فترات متعاقبة.

(١١) **الإقليم الحادى عشر**: يقع إقليم الإله ست هذا برمته على الضفة الغربية للنيل ، فيما بين الإقليم العاشر جنوبا ، والثالث عشر شمالا ، وكانت عاصمته "**شاس حوتب**" والتى إسماها الأغارقة "**هبسيليس**" ، وهى الشطب الحالية على مبعدة ٧ كيلو جنوبى أسيوط. وقد عبد فى الإقليم الإله ست وخنوم ، كما عبد منذ الدولة الحديثة إله القضاء والقدر "**شاى**" (شا) ، والذى ارتبط بعاصمة الإقليم "**شاس حوتب**". هذا وتشير أسطورة الصراع بين حورس ست إلى أن المصالحة قد تمت بين الإلهين فى هذا الأقليم.

(١٢) **الإقليم الثانى عشر**: يقع هذا الإقليم على الضفة الشرقية للنيل وكان يسمى فى المصرية "**جو اف**" أى جبله ، ويقصد بذلك جبل الإله "**إنبى**" "**ابن آوى**" ، أو "**جفات**" بمعنى الثعبان. وربما كانت هذه التسمية الأخيرة أرجح ، وأما عاصمته فهى "**برحورنبو**" بمعنى مقر حورس الذهبى ، وأن كان العلماء مختلفين على موقعها، ذلك لأن البعض إنما يفرق بين تسميه الأقليم "**جواف**" وبين تسمية العاصمة "**برحو نبو**". ويرى أن كلا منهما تخص مدينه تختلف عن الأخرى ، ومن ثم فقد رأى "**دارسى**" أن الأولى هى الكوم الأحمر بين البدارى ودير تاسا ، وأن الثانية هى عتاولة الخوالد ، وكلاهما بمركز البدارى ، على أن أحمد كمال باشا إنما يذهب إلى أنها العطاولة جنوب شرق أبنوب ، على أن هناك من يرى تطابق الإسمين على مدينة واحدة ، وأنها "**أبنوب**" الحالية، على مبعدة ٥ كيلو شمال شرق أسيوط عبر النهر.

(١٣) **الأقليم الثالث عشر**: ويقع على الضفة الغربية للنيل فيما بين الإقليمين الحادى عشر والرابع عشر ، وعاصمته أسيوط الحالية ، وهى "**ساوت**" المصرية ، و"**سيوت**" أو أسيوط القبطية ، بمعنى المحروسة أو المحمية أو مكان الحراسة أو المراقب ، ومعبودها الرئيسى الإله "**وب واوات**" ، (فاتح الطريق) فى صورة ابن آوى ، أو أنبو (أنوبيس) فى صورة كلب برى ، وهو ما ظن الأغارقة أنه ذئب ، فسموها "**ليكوبوليس**" أى مدينة الذئب أو مدينة ابن آوى.

(١٤) **الإقليم الرابع عشر**: ويقع على الضفة الغربية للنيل فيما بين الإقليمين الثالث عشر والخامس عشر وعاصمته القوصية الحالية ، وتقع على ترعة الإبراهيمية ، على مبعد ١٥ كيلو شمالى أسيوط ، وهى فى المصرية وفى الاغريقية "**كوساى**" ، ومنها جاء إسمها الحالى القوصية ، ومعبودتها الرئيسية حتحور ، وان أضافت قائمة سنوسرت إليها إله آخر عرف بلقب "**تب شبس**"، (الإله الفاخر) وربما كان أوزيريس وربما كان هذا الإقليم وإقليم أسيوط إقليما واحدا ثم انفصلا، على أساس أن شعارها كان شجرة البطم ، ثم عرف الواحد الشمالى أو العلوى. والأخر بالجنوبى والسفلى.

(١٥) **الإقليم الخامس عشر**: كان يسمى "**أونو**" أو "**ونو**" (إقليم الأرنب) ، ويمتد حوالى ٣٠ ميلا شرق وغرب النيل فيما بين طماى والشيخ عبادة (فيما بين البرشا وبنى حسن شرق النيل. وفيما بين ملوى وأبو قرقاص غرب النيل) شمالا وحتى قرية باويط الحالية على حافة الصحراء غربى ديروط ، جنوبا ، وكانت عاصمتة الاشمونين الحالية، على مبعدة ١٠ كيلو شمال غرب ملوى ، وهى فى المصرية "**خميو أو خمون**" بمعنى مدينة الثمانية (آلهة الأشمونين). كما سميت كذلك "**بر - جحوتى**" بمعنى مقر الإله جحوتى (تحوت) معبودها الرئيسى ، وفى القبطية "**شمو**" ، وقد إسماها الأغريق "**هرموبوليس ماجنا**" عندما ماثلوا بين تحوت إله الحكمة والكتابة والعلم ، ومعبودهم هرمس.

(١٦) **الإقليم السادس عشر**: كان يسمى "**ماحج**" (إقليم الوعل) وكانت عاصمته "**حبنو**" التى مازال موقعها موضع خلاف فى أن تكون المنيا الحالية أو تكون السوادة الحالية على سفح المنحدر الذى يضم مقابر زاوية الميتين أو تكون زاوية الميتين (زاوية الأموت) نفسها على أننى أرجح أن تكون على حافة الصحراء ، على مبعده ميل واحد جنوبى مقابر الكوم الأحمر ، إلى الجنوب مباشرة من زاوية الميتين ، وعلى مبعدة ٨ كيلو إلى الشمال الشرقى من مدينة المنيا عبر النهر ، وكان معبودها الرئيسى الإله حورس الذى نراه فى العصور المتأخرة جاثما فوق الوعل.

(١٧) **الإقليم السابع عشر**: كان يسمى إقليم "**إنبو**" (ابن آوى) وكانت عاصمته فى مكان القيس الحالية ، على مبعدة ٤ كيلو جنوبى بنى مزار بمحافظة المنيا ، وهى "**كاسا**" المصرية و "**تيتوبوليس**" الأغريقيه. وكان معبودها الرئيسى "**ابن آوى**".

(١٨) **الإقليم الثامن عشر**: وكانت عاصمتة فى مكان مدينة "الحيبة" على مبعدة ٥ كيلو جنوبى مدينة الفشن بمحافظة المنيا. وهى سبا المصرية و"**هيونوس**"

الاغريقية. وربما كانت هى نفسها بنو مقر طائر مالك الحزين) القديمة ، ومعبودها الرئيسى هو الإله حورس كما عبد كذلك الإله أنوبيس وسوكر.

(١٩) **الإقليم التاسع عشر:** ويسمى إقليم "**وابو**" (إقليم الصولجان) ويقع كله على الضفة الغربية للنيل ، فيما بين الإقليم الرابع عشر والعشرين. وكانت عاصمتة فى مكان "**البهنسا**" الحالية ، وتقع على بحر يوسف على مبعده ١٥ كيلو شمال غرب بنى مزار ، بمحافظة المنيا، وهى (وابوت) المصرية ، و"**اكسيرينخوس**" (الأغريقية) على أساس أن معبودها هو الإله "**وب**" ، وهو إله على صورة إنسان، وهى"**بر - مجد**" أو"**بر - مزد**" المصرية، وهى "**بمجى**" القبطية ، وهى "**اكسيرينخوس**" الأغريقية، فى رأى آخر ، على أساس أن معبودها هو ست ، وذلك لأن أحد إسماء العاصمة هو "**بر - رو - حوح**" مقر المذبحة أو (الكلمات السيئة) حيث قام الإله ست بصب اللعنات على عدوة الإله حورس الذى نجح فى قطع ساق ست وخصيتيه أبان الصراع بينهما ثم تمكن ست من دفن هذه الأعضاء فى هذه المدينة التى كانت تدعى "**بر - مجد**".

(٢٠) **الإقليم العشرون:** كان يسمى "**نعر خنتى**" (إقليم النخيل الأعلى) ، ويقع على الضفة الغربية للنيل متاخما الإقليم الحادى والعشرين الذى كان يكون معه إقليما واحدا ثم انفصلا. وكانت عاصمة "**أهناسيا المدينة**" ، أحدى مراكز محافظة بنى سويف ، وتقع على الضفة الشرقية لبحر يوسف مقابل بنى سويف ، وعلى مبعدة ١٦ كيلو إلى الغرب منها ، وقد أخذ إسمها فى العصور الفرعونية عدة أشكال ، ففى عصور ما قبل التاريخ كانت تدعى "**تن - نى - سوت**" ، ومنذ عصر الدولة القديمة دعيت "**تنو - سوت**" وفى عصر الثورة الإجتماعية "**تنن نسوت**" بمعنى مدينة الطفل الملكى. ثم أضيفت إليها فيما بعد كلمة "**حوت**" بمعنى قصر ، فأصبحت "**حونن نسوت**" "**حت حنن نسوت**" بمعنى قصر أبن الملك ، وهى فى القبطية "**حنيس**" ، وفى الآشورية "**هيننسى**" وفى الأغريقية "**هيراقليوبوليس**". وذلك عندما قرن الأغارقة معبودها الرئيسى "**حرشف**" بمعبودهم البطل هيرقل.

(٢١) **الإقليم الحادى والعشرون:** ويدعى "**نعربحو**" (إقليم النخيل الأسفل) ، وكانت عاصمتة "**سبك**" أو "**برسبك**" بمعنى مدينة التمساح ، والأكبر شيوعاً "**شدت**"، وتقع بقاياها الآن فى مجاورات مدينة الفيوم الشمالية ، حيث تقع كيمان فارس (حى الجامعة الآن) فى مكان بحيرة تقع فى أطراف واحه الفيوم جففت فى الأسرة الخامسة عن طريق عمل جسور ، وشيدت مكانها "**شدت**" بمعنى البحيرة ، ثم أطلق عليها فى العصور المتأخرة "**بايوم**" بمعنى اليم أو البحيرة ، ثم وردت فى القبطية "**فيوم**" ، وفى العربية "**الفيوم**". وأما اليونان فقد إسموها "**كركوديلوبوليس**" بمعنى مدينة التمساح نسبة إلى معبودها الرئيسى سبك أو سوبك ، كما أطلق عليها بطليموس الثانى إسم زوجته "**أرسينوى**" عندما أختار إقليم الفيوم لتنفيذ مشروعاته فى الرى ، وأقطع الكثير من أرضه لليونانيين الذين أقاموا هناك مدنا كثيرة.

(٢٢) **الإقليم الثانى والعشرون:** أختلف الباحثون فى إسم هذا الأقليم الذى يعتبر آخر أقاليم الصعيد من الشمال، فيما بين إسم "**معتنو**" بمعنى السكين ، وإسم السكين ، وإسم "**حنت**" بمعنى المفصل ، أى بين الصعيد والدلتا ، وأن ذهب أخرون إلى تسميته "**مجنيت**" أو "**مدنيت**" أو "**مدنوت**" وأما عاصمة فهى "**أطفيح**" الحالية ، على مبعدة ١٥ كيلو شمالى الوسطى ، ١٨ كيلو جنوبى مدينة الصف بمحافظة الجيزة ، إلى الجنوب الغربى قليلا من ميدوم على مبعدة ٢٥ كيلو من الواسطى ، عبر النهر ، وهى فى المصرية "**برنيت تب ايحو**" وفى القبطية "**تبيح**" بمعنى سيدة القطيع أو سيدة الأبقار ، نسبة إلى البقرة حتحور معبودة الإقليم ، وفى الإغريقية "**أفروديتوبوليس**" نسبة إلى معبودتهم "**أفروديت**" التى ماثلوها بالبقرة حتحور ، وقد عبد القوم الآلهة حتحور ونيت وسوبك.

ثانيا: أقاليم مصر السفلى (الدلتا): وتتكون من عشرين إقليما هى:

(١) **الإقليم الأول:** كان يسمى "**أنب حج**" ، وقد تعددت ترجمته ، فقد يعنى الجدار الأبيض أو الأسوار البيضاء، ولعل سبب وصف البياض هذا أن حصن المدينة أو سورها إنما كان مشيد من قوالب اللبن ، ثم كساه أصحابه بملاط أبيض ، أما تقليد للون تاج الصعيد الأبيض ، وتمجيدا لأصحابة الذين أتموا وحدة البلاد، ورغبة فى إظهار المدينة بلون واضح مشرق، وإنما كان هناك من يذهب إلى أن القوم ربما شادوه أولا من الرديم والدبش ، كما فعلوا فى تسوير قاعدة المعبد

الداخلى لمدينة نخن (البصيلية) ثم كسوه بعد ذلك بالحجر الجيرى الأبيض ، هذا وقد سميت "**أنب حج**" بإسم "**منف**" من عبارة "**من نفر**" بمعنى المقر الجميل ، والتى أخذوها من إسم هرم بيبى الأول ، والمدينة التى شادها الملك حوله، وكانا يسميان "**بيبى من نفر**" على حافة الصحراء فى مواجهة قرية سقارة الحالية ، وإلى الغرب منها بحوالى ٣ كيلو حيث أسس معبد بتاح وغيره من المعابد ، وقد ظهر إسم "**من نفر**" فى الأسرة السادسة أو الثامنة ، ثم حرفه الأغريق إلى "**ممفيس**" ثم كتبه العرب "**منف**" وتقع أطلال منف على الضفة الغربية للنيل ، وعلى مبعده ٣ كيلو منه ٢٢ كيلو من القاهرة ، تحت وبجوار قرية "**ميت رهينة**" بمركز البدرشين محافظة الجيزة ، هذا وقد عرفت منف بإسماء عدة ، منها "**تيوت**" ، بمعنى المدينة، و"**تيوت نحح**" بمعنى المدينة الأبدية ، و"**عنخ تاوى**" بمعنى حياة الأرضين ، و"**حت كابتاح**" أى معبد روح بتاح ، وذلك لأن بتاح كان رب المدينة ومعبودها وحاميها، هذا وقد شارك بتاح وعبادته فى منف كل من سوكر ونيت وحتحور ، وأما ثالوث منف فكان مكونا من بتاح وسخمت ونفرتم. ثم بتاح وسخمت وأيمحوتب.

(٢) **الإقليم الثانى**: ويقع غرب الدلتا ، وكانت عاصمته فى مكان "**أوسيم**" الحالية ، على مبعدة ١٣ كيلو شمال غرب القاهرة. وهى فى المصرية "**سخم**" أوسشم أو وخم ، ومعبوده الرئيسى هو "**حورس**" الذى صور فى شكل صقر جاثم محنط فى أعلى ظهره سوط، وقد سمى "**حرخنتى أرتى**" أى حورس الذى يشرف على العينين ، واللذين ربما أريد بهما الشمس والقمر. وهو عند الاغريق "**ليتوبوليس**" ، كما أن حدوده لم تكن ثابتة، فكثيرا ما كان يتجاوز فرع النيل ليقطع جزءا من الإقليم الرابع أو يمتد على الضفة اليسرى للنيل ليقتطع جزءا من الإقليم الثالث.

(٣) **الإقليم الثالث**: كان يسمى "**إيمنتى**" أى الإقليم الغربى ، وكانت عاصمته فى مكان كوم الحصن الحالية، وعلى مقربة من مدينة كوم حمادة بمحافظة البحيرة ، وهى فى المصرية "**برنبت إيمو**" بمعنى مقر سيدة النخيل ويذهب البعض إلى أنها "**مومفيس**" الأغريقية ، وان ذهب أخرون إلى أن "**مومفيس**" هى الطرانة الحالية ، وليست كوم الحصن ، وعلى أى حال، فلقد أمتد هذا الإقليم فى العصور الفرعونية فى مساحة شاسعة ، من حدود الإقليم الثانى وحتى البحر المتوسط على طول الضفة الغربية للفرع الكانوبى ، مما جعله عرضه لعدة تغيرات بسبب زيادة السكان والتطور الزراعى ، حتى أنتهى الأمر فى العصر اليونانى إلى تقسيمه إلى ثلاثة أقاليم (إقليم اندروبوليت وإقليم ماريوت والإقليم الليبى) ، كما أنه سمى فى العصر اليونانى بالإقليم الليبى ، لأن الصحراء الغربية (الليبية) تحده من الغرب ، هذا ويذهب "**كورت زيته**" إلى أن معبود الإقليم فى عصور ما قبل التاريخ إنما كان الإله حورس ثم عبدت فى العصر التاريخ "**حتحور**" تحت إسم "**سخات حور**" بمعنى التى تعيد ذكرى حورس وربما كان هذا هو السبب فيما ذهب إليه البعض من أن مدينة "**بحدتى**" وهى دمنهور الحالية (دمى أن حور) ربما كانت هى الموطن الأول لعبادة الإله حورس وأنها كانت عاصمة الإقليم قبل كوم الحصن.

(٤) **الإقليم الرابع**: كان يسمى "**نيت شمع**" بمعنى إقليم نيت الجنوبى ، كانت عاصمته "**بر – جفع**" فى المصرية ، و"**بروسويس**" فى اليونانية ، وأن أختلفت الآراء فى مكانها الآن ، فهى أما أن تكون "زوايه رزين" الحالية ، على مبعدة ١٥ كيلو جنوب غربى منوف ، بمحافظة المنوفية وأما أن تكون "كوم مانوس" قريبا من زواية رزين ، أما أن تكون "كوم بشير" على الضفة اليمنى لفرع رشيد ، وأما معبودتة الرئيسية فهى نيت ، ثم حل محلها سوبك ، ومن ثم فهناك الآن عدة قرى تحمل إسم سوبك. مثل سوبك الثلاث وسوبك الأحد.

(٥) **الإقليم الخامس**: كان يسمى " **نيت محيت**" بمعنى إقليم نيت الشمالى ، وكانت عاصمته "**صا الحجر**" على مبعدة ٧كيلو شمال بسيون بمحافظة الغربية ، وهى فى المصرية "**ساو**" وفى اليونانية "**سايس**" وقد سميت صا الحجر فى العصر الصاوى "**حات انب حج**" بمعنى قصر الحائط الأبيض ، وهو إسم المقر الملكى فى منف، وأما معبودة الإقليم الرئيسية هى الألهة نيت.

(٦) **الإقليم السادس**: كان يسمى "**خاست**" ربما بمعنى إقليم الصحراء أو ثور الصحراء أو الثور المتوحش، وكانت عاصمته فى مكان وبجوار قرية ابطو (تل الفراعين) على مبعدة ١٢ كيلو شمال شرق دسوق بمحافظة كفر الشيخ . إلى الشمال من العجوزين بحوالى ٣ كيلو. وهى فى المصرية "**جبعوت**" بمعنى دولة الأختام، ثم غيرت إلى "**بى**" (به) بمعنى المقر أو

العرش، ونسبت إلى حورس بدلا من معبود جبعـوت، وهو **"جبعوتى"** ثم سميت فى القبطية بوتو، وعبر عنـها الاغريق بنفس الإسم بوتو. ثم أصبحت فـى العربيـة ابطو، كما أطلق على الموقع الأثري **"تل الفراعين"**، هذا وقد انتقلت العاصمة فى فـترة مـا إلـى "سـخا" فـى مجاورات كفر الشيخ ، والتى كانت تسمى فى المصريـة **"خاسوت"** وفى اليونانية **"خويس أو اكسـويس"**. وأمـا معبود الأقليم غير حـورس فكـان رع حتـى الدولـة الوسطى، ثم أمون رع فى الدولة الحديثة ، كما عبـدت كذلك إيزيس منذ ما قبل الدولة الوسطى.

(٧) **الإقليم السابع:** كـان يسـمى **"واع امنتـى"** أو **"تفرامنتى"** بمعنى الإقليم الغربى الأول ، ويقع فى النهاية الغربية للدلتا. وقد إسماه الاغريق **"منليـت"** ، وكـانت عاصمته **"برجالب امنتى"** التى أطلق الاغارقـه عليـها مدينة الأجانب فيما يرى البعض. وموقعها الآن امـا أن يكون **"برنبال"** وتقع على بحيرة البرلس ، بجوار منيـة المرشد وعلى مبعدة ٦٥ كيلو شمال كفر الشيخ. وهـذه كانت تدعى فى القبطية **"مجيل"** أو **"مخيل"** ومـن هنـا جاءت تسمية **"كوم النجيل"**. أو يكون فـى مدينـة فـوة نفسها على مبعدة ٥٠ كيلو شمال غرب كفر الشيخ.

(٨) **الإقليم الثامن** : كان يسمى **"واع ايب"** أو **"تفـر ايب"** بمعنى الإقليم الشرقى الأول ، ويقع فى نهاية الدلتـا الشرقية بين وادى طميلات والبحر الأحمر ، وقد أسـماه اليونان **"هيرونبوليس"** بمعنى إقليم الإله حورس الـذى كان يمثل فى صورة صقر، وكان لعاصمتـه إسـمان، الواحد دينى **"براتوم"** (بيثوم)، وهى التى أطلـق عليـها هـيرودوت إسـم **"بـاتوموس"**، وأسـماها الاغارقـة هيرونبوليس، والآخر مدنى **"ثكو"**، كمـا ان البـاحثين يختلفون فـى موقعـها الحـالى فـى ان تكـون **"تـل المسخوطة"**، على مبعدة ١٥ كيلو شرقى الإسـماعيلية الحالية وبين ان تكون **"تل سليمان"** على مبعدة ٣ كيلـو من قرية أبو سعيد ، قريبا من مدينة القصاصين، وعلـى مبعدة ١٣ كيلو غربى تل المسخوطة، على ان هناك من يرى ان **"بيثوم"** و **"هيرونبوليس"** مدينتـان منفصلتـان تبتعد الواحدة عن الأخرى ٢٤ كيلو، وهى نفس المسـافة بين التل الكبير وتل المسخوطة، ومن ثم فأن التل الكبير وتقع على مبعدة ٤٩ كيلو غربى الإسماعيلية، ٣٠ كيلـو جنوب شرق الزقازيق، هى التى تقع فوق أطلال بيثـوم، وان تل المسخوطة إنما كانت **"تل اليهودية"** الحاليـة ، على مبعدة ٣ كيلو جنوب شرقى شـبين القنـاطر، ٣٢ كيلو شمال القاهرة ، وأما معبود الإقليم فهو الإله أتوم ، فضلا عن حورس.

(٩) **الإقليم التاسع:** كان يسمى **"عنجت"** أو **"عنجـة"** بمعنى إقليم الإله عنجتى أى الحامى ، وكانت عاصمتـه فى مكان "أبو صيربنا" على الضفة الغربية لفرع دمياط، وعلى مبعدة ٩ كيلو جنوب غربى سـمنود ، بمحافظـة الغربية ، وكانت العاصمة تسمى فى المصرية **"عنجة أو عنجت"** ، ثم سميت **"جدو"** ، عندما اتخـذ أهلـها مـن أوزيريس معبودا ، أطلقوا على مدينتـهم **"جـدو"** إسـم **"براوزير"** الذى حرفه الأغارقـة إلـى **"بوزيريـس"** أو **"بوسيريس"** ، هذا فضلا عن إسم آخر للعاصمـة هـو **"براوزير نب جدو"** أي مدينـة العمـود، نسـبة إلـى اوزيريس معبود الإقليم الرئيسى.

(١٠) **الإقليم العاشر:** كان يسمى **"كـم"** أو **"كـاكم"** بمعنى إقليم الثور، وكانت عاصمته فى مكان **"تل اتريب"** فى مجاورات بنها الحالية عاصمة محـافظ القليوبيـة، وهى فى المصرية **"حوت حرايب"** بمعنى القصر الأوسط وأسماها الأشوريون **"حت حريب"** (حتحريب) والاغريـق **"أتريبس"**. وفى القبطية**"أتريباى"** أو **"الأتريبى"**، ومعبودها الرئيسى **"امنتى"** الذى يرمز له بثور اسود، ومعـه معبودة أخرى لها صفات حتحور ، فضلا عن الإلـه **"حورامنتى"** وكان له معبـد فـى المدينـة يدعـى **"برحوراختى"** أو بيت حورس صاحب الأفق.

(١١) **الإقليم الحادى عشر:** ويسمى فى المصريـة **"حسب"** بمعنى إقليم الثـور حسـب. وفـى اليونانيـة **"كاباسيت"**، حيث عبد الإله ست كمعبود رئيسى مع الإله سوبك، وكانت عبادة ست فى هذا الإقليم سـببا فـى ان تغض الطرف عنه معظم القوائم اليونانية، وتضع مكانـه إسما آخـر للأقليـم هـو **"شـدن"** وإسـماها اليونـان **"فاربثيوس"**، مما أدى إلى تغيير مسمى العاصمة، فـهى أولا فى المصرية **"حسب"** وفى اليونانيـة **"كاسـبت"** أو **"كابسا"**. ومنها جاءت كلمة **"شاباس"** وهى قرية الحبـش الحالية على مبعدة ٤ كيلو غربى هربيط، وامـا الإسـم الثانى للعاصمة وهو **"شدن"** فقـد أطلـق المقريـزى، المؤرخ الاسلامى الكبير، إسم **"خربيط"** ثم صحف إلـى

"**هربيط**" وتقع على بحر موريس، على مبعدة ٥ كيلو شرقى كفر صقر بمحافظة الشرقية، ٣٥ كيلو شرقى الزقازيق، واما معبودها الرئيسى فهو "**حور مرتى**"، ولعل هذا الإسم يفسر أحد مسمياتها "**برحور مرتى**" أي مقر الإله حورس مرتى.

(١٢) **الإقليم الثانى عشر**: كان يسمى "**تب نتر**" بمعنى إقليم العجل المقدس، وكانت عاصمته فى مكان سمنود الحالية، بمحافظة الغربية، على مبعدة ٢٧ كيلو شمال شرق طنطا. وكانت فى المصرية "**تب نتر**" كإسم الإقليم نفسه، وفى الآشورية "**تبينيتو**" وفى اليونانية "**سينتيوس**". وقد اشتهرت بأن عظام الفخذ من رفات اوزيريس كان قد دفن فيها. كما كانت عاصمة مصر على أيام الأسرة الثلاثين. كما أنها المدينة التى انجبت مؤرخ مصر القديمة الكبير "**مانيتون**"، واما معبودها الرئيسى فهو الإله "**انحور شو**" (أنوريس) الذى كون مع زوجتيه محيت وتفنوت ثالوثها المقدس. واما أهم مدن الإقليم، بعد سمنود فقد كانت "**بهبيت الحجارة**" على مبعدة ٩ كيلو شمال غرب سمنود. وكانت تسمى فى المصرية "**حبت**" أو "**برحبت**" بمعنى بيت الأعياد، وفى اليونانية "**ايسيوم**" الذى جاء من إسم "**إيزيس**" التى كانت تعبد هناك مع ولدها حورس هذا وقد أصبحت بهبيت الحجارة عاصمة لإقليم منفصل فى العصر اليونانى يسمى "**حبا**".

(١٣) **الإقليم الثالث عشر**: كان يسمى "**حقا عنج**" بمعنى الصولجان العادل، وكانت تقع فى مكان عين شمس الحالية أو فيما بينها وبين المطرية شمالى القاهرة، وهى فى المصرية "**ايونو**"، وفى الآشورية "**أنو**" وفى التوراة "**أون**" أو بيت شمس، وفى اليونانية **هليوبوليس** بمعنى بيت رع، نسبة إلى معبودها الرئيسى رع، وقد سميت كذلك، كما سميت طيبة، سماء مصر.

(١٤) **الإقليم الرابع عشر**: كان يسمى "**خنت ابيت**" بمعنى إقليم الحد الشرقى، لوقوعه فى شمال الدلتا. وكانت عاصمته فى البداية فى مكان تل أبو صفية فى مجاورات مدينة القنطرة شرق الحالية، وهى "**ثارو**" المصرية، و "**زل اوسيلة**" اليونانية. ثم تحولت العاصمة بعد ذلك إلى "**صان الحجر**" بمركز فاقوس، وعلى مبعدة ٢٠ كيلو جنوبى المنزلة ١٤ كيلو شمال نبيشة (تل فرعون) وهى فى المصرية "**زعنت**" ثم أطلق عليها فى فترة متأخرة "**جعن**" أو "**زعنتى**". وهى "**صوعن**" فى التوراة، وفى القبطية "**جانى**"وفى الآشورية "**صانو**"، وربما منها جاءت التسمية الحديثة "**صان الحجر**"، وهى فى اليونانية "**تانيس**"، ومعبودها الرئيسى حورس.

(١٥) **الإقليم الخامس عشر**: كان يسمى "**جحوتى**" (تحوت) نسبة إلى معبود الإقليم تحوت الذى ماثله اليونان بمعبودهم هرمس، ومن ثم فقد سمى الإقليم فى العصر اليونانى "**هرموبوليس بارفا**"، وكان للعاصمة إسمان الواحد دينى هو "**برتحوت ابب رحوح**" بمعنى الإله تحوت الذى يفصل بين أسباب الخير والشر، والآخر مدنى وهو "**بعح**"، ومكانها الحالى اما ان يكون "**تل البقلية**"، على مقربة ٩ كيلو جنوب المنصورة، واما "**تل البهو**" على مبعدة ٦ كيلو غرب تل البقلية، ١٥ كيلو من المنصورة، وفى مجاورات مدينة اجا.

(١٦) **الإقليم السادس عشر**: كان يسمى "**عنج محييت**" (إقليم الدرفيل)، وكانت عاصمته "**جادو**" بمعنى العمود الأوزيرى، كما كان لها إسما دينيا هو "**بربانب جادو**"، بمعنى مقر الكبش سيد جادو، ثم أطلق عليها فى الآشورية "**بنديدى**"، وفى اليونانية "**منديس**"، وفى العربية "**منديد**"، وتقع الآن فى مكان تلين أثريين متجاورين، هما "**تل الربع**" وتقوم عليه قرية تل الربع الحالية، و "**تل تمى الامديد**" وتقوم عليه كفر الأمير، على مبعدة ٨ كيلو شمال غرب السنبلاوين ١٢ كيلو شرقى المنصورة عاصمة الدقهلية، وكان تل الربع يسمى فى المصرية "**ددت**". ويسمى "**تل تمى الامديد**" فى اليونانية "**تمويس**". كما أسماها العرب تل ابن سلام. هذا وقد عبد فى الإقليم إلى جانب الكبش الإله "**شو**" الذى أقيم له معبد سمى "**حات نثر شو**" بمعنى معبد الإله شو.

(١٧) **الإقليم السابع عشر**: كان يسمى "**سما بحدت**" بمعنى المنضم إلى العرش أو وحدة العرش، وهو نفس إسم العاصمة التى كان لها إسما آخر دينيا هو "**بامر ان أمون**" بمعنى جزيرة أمون. كما سميت كذلك "**برامون**"،

وتقع فى مكان "**تل البلامون**" على مبعدة ١٠ كيلو شمال غرب شربين ، الواقعة على الضفة اليسرى لفرع دمياط، على مبعدة ٢٤ كيلو شمال غرب المنصورة، ولعل مما تجدر الإشارة إليه ان هناك من يذهب إلى ان موطن عبادة حورس إنما كانت فى البلامون هذه، والتى قامت على أنقاض مدينة "**سما بحدت**".

(١٨) **الإقليم الثامن عشر**: ويسمى "**ايم خنت**" بمعنى إقليم الطفل الملكى الجنوبى، ويقع جنوب الإقليم التاسع عشر، وقد كان فى البدايه إقليما واحدا ثم انفصلا، وكانت عاصمته "**برباستت**" بمعنى مقر الألهة باستت (الألهة القطة)، وسميت فى العبرية "**بى باست**" وفى اليونانية "**بوباستس**"، وهى "**تل بسطة**" الحالية فى مجاورات مدينة الزقازيق ، وبدهى ان معبودها الرئيسى هى الألهة باستت.

(١٩) **الإقليم التاسع عشر**: كان يسمى "**ايم بحو**" بمعنى إقليم الطفل الملكى الشمالى، وكانت عاصمته "**ايمت**" وقد نالت شهرة فى العصور الفرعونية بسبب الاعتقاد الشائع ان شعر حاجبى الإله اوزيريس قد دفن فيها، وقد سميت عند اليونان "**ليونتوبوليس**"وتقع الآن اما فى مكان تل المقدام، المتاخم لقرية كفر المقدام على مبعدة ٢٠كيلو شرق ميت غمر بمحافظة الدقهليه واما فى مكان "**تبرشه**" (**تل فرعون**) على مبعده ٦ كيلو من قرية المناجى بمركز فاقوس على مبعدة ٣٥ كيلو من الزقازيق. ويبدو ان العاصمة قد انتقلت بعد ذلك إلى مكان يدعى "**حا سارع**"، مما يشير إلى عبادة رع فى هذا الإقليم.

(٢٠) **الإقليم العشرون** : كان يسمى "سبد" ، ويقع عند حدود الدلتا الشرقية ، وقد أسماها اليونان "أرابيا" (الإقليم العربى)، ثم أضيف إليها فى العصر القبطى "تاو" فأصبحت "تارابيا"، ثم صحفت إلى "طرابيته" ، وكانت عاصمة الإقليم فى مكان "صفط الحنة". وتقع على مبعدة ١٠ كيلو شرقى الزقازيق ، وكان إسمها فى المصرية "بر ايبت" ، والأكثر شيوعا "برسبد" بمعنى الإله سبد الشرق ، وهو اله فيما يبدو قد وفد إلى مصر من الشرق ، واستقر فى شرق الدلتا ، ثم انتشرت عبادته فى سيناء والصحراء الشرقية وعلى ساحل البحر الأحمر حتى الأقصر جنوبا، وقد إعتبر من آلهة الحرب، وحامى حدود مصر الشرقية.

أقاليم الوجة القبلى

الرقم	الأسم المصرى	الأسم اليونانى	العاصمة المصرية	الأسم الحالى	الآلهة
١	تا - سيتى-	الفنـــتين	آبو	أسوان	خنوم ، ساتت عنقت وحورس
٢	أوتسى حر	أبوللينوبوليس	جبع	أدفو	حورس البحدتى، حتحور وإيحى
٣	نخن	هيراكونيوليس	نخن	الكاب،الكوم الأحمر	نخبيت
٤	واست	طيبة	واست	الاقصر	أمون رع - موت - خنسو
٥	بيكوى أو نتروى	كوبتوس	جبتيو	قفط	مين
٦	ايتى	تـنـــتيرس	ايونت	دندرة	حتحور - حورس
٧	بات	ديوسبوليس برفا	باتيو (بات)	هو	حتحور - نفرحتب
٨	تاوور	أبيدوس	ثنى (طينة)	العرابة المدفونة	أوزير خنتى - امنتيو - أنوريس
٩	منو	بانوبوليس	منو	أخميم	مين ، حر - ور
١٠	واجت	أفروديتوبوليس	واجيت	كوم أشقاو	حورس - ماى حسا
١١	شاى	هيبسليس	مركر	شطب	حورس - ست
١٢	جو - فت	هيراكونبوليس	برعنتى	(البر الشرقى من اسيوط)	عنتى ، حورس
١٣	نجفت خنتت	ليكونبوليس	ساوت	أسيوط	وب واوات
١٤	نجفت بحتت	كوساى	قسى	القوصيه	حتحور
١٥	أونو	هرموبوليس	خمنو	الأشمونين	تحوت
١٦	محت	هيراكونبوليس	حبنو	(بالقرب من المنيا)	حورس
١٧	انبو	كينوبوليس	حنو	القيس	أنوبيس
١٨	عنتى	هيبونوليس	أون عنو	الحيبه	أنوبيس ، سكر
١٩	وابو	أوكسير ينوكس	سبت مرو	البهنسا	حريشف
٢٠	نعرت خنتت	هرقليوبوليس ماجنا	ننونسوت(حنن نسوت)	أهناسيا المدينة	حريشف ، خنوم
٢١	نعرت بحتت	نيلوبوليس	شنع خنوت	(البر الغربى، شرق ابو صير الملق)	خنوم ، حتحور
٢٢	متنوت	افروديتوبوليس	برايدت	أطفيح	حتحور

أقاليم الوجة البحرى

الرقم	الأسم المصرى	الأسم اليونانى	العاصمة المصرية	الأسم الحديث	الآلهة
١	اينب حج	ممفيس	أينب حج من – نفر	منف – ميت رهينة	بتاح ، سخمت ، نفرتوم
٢	ايوع	ليتوبوليس	خم	أوسيم	حورس
٣	أمنت	جينا يوكوبوليس	بربنت ايماو	كوم الحصن	أبيس ، حتحور.
٤	نيت رسى	بروسوبيس	جقع بر	زواية رزين	نيت ، أمون – رع
٥	نيت محت	سايس	ساو	صا الحجر	نيت
٦	جوخاسو	زويس	خاسو	سخا	أمون – رع
٧	رع أمنتي	متليس	رع	العطف	ايزيس ، حورس
٨	رع اياب	هيرونبوليس	تكو	تل المسخوطة	أتوم
٩	عنجتي	بوزيريس	جدو (ددو)	أبو صيربنا	أوزيريس
١٠	ايح كم (كاكم)	اتريبيس	حوت تاحرى ايب	تل أتريب	حورس
١١	ايح حسب كا–سب			بالقرب من هوربيط	أنوريس ، حورس
١٢	ثب نترت	سبنوتس		سمنود	رع ، اتوم ، تحوت
١٣	حقا عنج	هليوبوليس	ايو نو (أون)	المطرية.عين شمس	رع ، اتوم
١٤	خنت اياب	تانيس	بنو	صان الحجر	حورس، ست ، حابى
١٥	جحوتى	هرموبوليس برفا	برجحوتي أوب رحوى	دمهنور	حورس ، تحوت
١٦	حات محيت	مندس	جدت	تل الربع،تمى الأمديد	خنوم ، أوزيريس
١٧	بحدت سمابحدت	ديوسبوليس	بحدت	البلامون	سبد،حورس أمون رع
١٨	أمتي خنتي	بوباستيس	بستت	تل بسطا	بستت ، أمون رع
١٩	أمتي بحو		بوتو	كوم الفراعين	واجيت
٢٠	سبدو ثب نتر	أرابيا سبنيتوس	برسبدو	صفط الحنة سمنود	سبد رع – أتوم – تحوت

الأقزام :

جاء أول ذكر للأقزام فى الأسرة السادسة (حوالى سنة ٢٣٧٠ق.م). حيث أحضر الرحالة حرخوف قزماً معه عند عودته من رحلته إلى الجنوب ، وهو عمل لم يحدث له غير مثيل واحد قبل ذلك بقرن ، فى عهد الملك إسيسى. ذكر هذا القزم فى النصوص المصرية باسم "دنج" ويقابلها باللغة الحبشية كلمة بمعنى "قزم". ولا شك فى أن مجيئه إلى مصر كان حدثاً بارزاً ، كما يتضح من خطاب كتبه الملك الصغير بيبى الثانى إلى حرخوف، يقول فيه : "أسرع بالمجئ فوراً بالسفينة ، إلى البيت ، وأحضر معك القزم الذى جئت به من الأرض التى فى نهاية الدنيا ، حياً سعيداً وبصحة جيدة، ليقوم برقصات الإله ويُمتّع سيدك. وإذا ما ركب السفينة معك ، لاحظ أن يحيط بمقصورته أناس موثوق فيهم ، وراقبه عشر مرات أثناء الليل ، لأن جلالتى يريد أن يرى هذا القزم أكثر من جميع كنوز سيناء وأرض البخور".

لم يكن الأقزام فى عهد الدولة القديمة سوى راقصين يحيون إله الشمس بألعابهم وقفزاتهم البهلوانية.

وكان معروفاً عنهم أمانتهم لذلك أوكل إليهم الإشراف على مخازن الذهب ، والنسيج ، كما كانوا كهنة جنائزيون، وكهنة للروح.

الأقزام (تماثيل) :

كان تصوير القزم من الأشياء المحببة لدى الفنان المصرى القديم فى الأسرتين الخامسة والسادسة ، ولذلك نجد له أمثلة عديدة فى مقابر أشراف هذه الفترة، ولكنه نادراً ما يقوم بنحته ، ولعل من أجمل التماثيل الخاصة بالأقزام ، المجموعة الفريدة للقزم سنب وعائلته والتى تمثله جالساً متربعاً على مقعد بدون مسند ، وقد وقف طفليه (ولد وبنت) أمام المقعد وجلست زوجته بجانبه ، وبهذا الوضع استطاع الفنان أن يجد حلاً لمشكلة قصر رجلى القزم بل واكتمل التناسق والتوازن بين تمثالى الزوجين. وقد مثل الفنان القزم سنب بجسمه الثقيل وعنقه القصير ورجليه القصيرتين ووجهه المعبر، واضعاً يديه على صدره ، وعاقداً رجليه من تحته، وجلست الزوجة بجانبه ، بوجه ممتلئ وابتسامة خفيفة على شفتيها ، تطوقه بذراعها اليمنى ، وتلمس باليد اليسرى ذراعه القريبة منها. وقد تعمد الفنان أن ينحت رأس القزم بحجم كبير قد لا تتناسب مع الجسد حتى تكون بنفس المستوى الخاص بزوجته فلا ترتفع هى عنه.

التمثال منحوت من الحجر الجيرى بارتفاع ٣٣سم وملون وقد عثر عليه فى مقبرته بجبانة الجيزة ويرجع إلى أواخر الأسرة الخامسة وأوائل الأسرة السادسة.

تمثال القزم "سنب" وعائلته

ويرجع إلى أواخر الأسرة الخامسة أو أوائل الأسرة السادسة تمثال القزم خنوم حتب وهو منحوت من الحجر الجيرى بارتفاع ٤٦سم ، ومعروض بالمتحف المصرى وعثر عليه فى مقبرته فى جبانة سقارة، ويمثله واقفاً بخصائصه الجسمانية، برأس كبير، وساقان غليظان قصيران، وجسم لحيم وذراعان تناسبان الجسد ويلبس النقبة الطويلة.

وهناك أيضاً تمثال للكاهن كا ام قد وهو منحوت من الحجر الجيرى بارتفاع ٤٣سم ومعروض بالمتحف المصرى ، وقد عثر عليه مع بعض تماثيل للخدم فى سرداب مقبرة تخص أحد كبار الأفراد فى سقارة. وهو يمثل صاحبه راكعاً على ركبتيه ، ويداه فى حجره ، احدهما فوق الأخرى ويتميز بوجهه الجميل وعينيه المرصعتين وابتسامته الرقيقة وشعره الطويل المستعار والنقوش الجميلة المنفذة فى نقبته القصيرة. ويعد هذا التمثال بهذا الوضع النادر رغم صغر حجمه من أجمل تحف النحت فى الدولة القديمة.

الأقصر:

من أشهر المدن الأثرية فى العالم وتشمل المدينة المعروفة باسمها على الضفة الشرقية للنيل ومعابد الكرنك وكذلك آثار طيبة بالضفة الغربية.

كانت بلدة متوسطة فى أيام الدولة القديمة ثم زادت أهميتها منذ الأسرة ١١ بعد أن انتصر أمراؤها فى حروبهم ضد الطيبيين وأصبحت عاصمة للبلاد كلها فشيدوا فيها القصور والمعابد الكبيرة لإلهها "أمون". وعندما قام أمراؤها مرة ثانية بحربهم لتحرير البلاد من الهكسوس، وتم لهم ما أرادوا، أصبحت طيبة مرة ثانية عاصمة لمصر كلها ومقرا لملوك الأسرة ١٨ بل وعاصمة للإمبراطورية المصرية فى الدولة الحديثة حيث جملها الملوك وشيدوا المعابد الفخمة لالهها "أمون رع" وبعد أن انتقلت عاصمة الملك إلى الشمال ظلت طيبة "الأقصر" عاصمة دينية والمقر الرسمى للإله "أمون رع" ملك الآلهة حتى آخر أيام التاريخ المصرى، وكان لها دور هام فى المحافظة على الروح القومية إذ كانت تتزعم بين حين وآخر ثورات الصعيد ضد البطالمة وضد الرومان.

كان إسمها منذ اقدم العصور "الحريم الجنوبى" وذلك لأن بيت أمون الكبير كان فى الكرنك وكان معبد الأقصر يسمى بيته أو حريمه الجنوبى (بالنسبة إلى الكرنك) ولكنهم كانوا فى أيام الإمبراطورية يسمونها "مدينة أمون" أو "المدينة" فقط. وكانت معروفة فى أيام الرومان باسم "دوا كاسترون" أى "المعسكران" إذ شيد الرومان معسكرا فى كل من الجانبين الشرقى والغربى من المعبد، ما زالت أطلالهما باقية حتى الآن، وحولوا المنطقة كلها بما فى ذلك المعبد إلى حامية عسكرية وفى كتب العصور الوسطى كتبوا إسمها "الأقصرين" وهو مشتق من إسمها فى العصر الرومانى ثم أصبحت "الأقصر" فقط.

وما من شك فى أنه كان يوجد بها فى الدولة القديمة معبد أو أكثر حل محلها معابد أكبر منها فى الدولة الوسطى كان أهمها جميعا فى المكان الذى شيدوا فيه معابد أمون بالكرنك وقد عثر على هيكل أقامه سنوسرت الأول قريباً من المعبد. كان معبد الكرنك هو المقر الرئيسى لامون أما المعبد الآخر الذى يليه فى الأهمية فكان على مسافة كيلو مترات قليلة إلى الجنوب منه، وكان أيضا على شاطئ النيل وهو فى المكان الذى نجد فيه معبد الأقصر الآن وكانت المدينة حول معبد الأقصر وتشغل مساحة من الحقول التى بين المعبدين فى الوقت الحاضر.

لم يبق من منازل المدينة فى أيام الدولتين القديمة والوسطى شئ، ولكن بقيت مقابر بعض حكامها وكهنتها وكبار موظفيها وكلها بالبر الغربى.

ومرت الأقصر بأعظم فترات ازدهارها فى أيام الإمبراطورية، وأخذ الملوك يتنافسون فى تجميلها فشيدوا المعابد لأمون والقصور الفخمة وجعلوها جديرة بأن تكون عاصمة العالم القديم فى ذلك الوقت إذ كانت الكعبة التى يحج اليها وفود جميع بلاد الشرق القديم يحملون هداياهم أو الجزية المفروضة عليهم ويرجع تاريخ أهم آثار الأقصر إلى ذلك العهد، مثل معبد الأقصر الذى شيده امنحوتب الثالث فى المكان الذى كان يشغله معبد معبد الدولة الوسطى ثم شيد رمسيس الثانى أمامه البهو الكبير والصرح والتماثيل والمسلتين اللتين نقلت إحداهما إلى باريس (وهى الآن فى ميدان الكونكورد)، وكذلك أهم أجزاء معابد الكرنك التى لا تضارعها منطقة أثرية فى أهميتها، ووادى الملوك الذى دفن فيه فراعنة الدولة الحديثة (الأسرات ١٨، ١٩، ٢٠) ووادى الملكات ومئات المقابر الخاصة وعدد من المعابد الجنائزية المشيدة على حافة الزراعة فى الضفة الغربية للنيل وأشهرها معبد القرنة (سيتى الأول) والدير البحرى (الملكة حتشبسوت) والرمسيوم (رمسيس الثانى) ومعبد أمنحوتب الثالث (تمثالى ممنون) ومعبد مدينة هابو (رمسيس الثالث).

وفى الشهر الثانى من كل عام (شهر بابه فى السنة القبطية) كانت مدينة طيبة (وهو الاسم الذى كان يطلق بصفة عامة على الأقصر وتشمل الضفتين الشرقية والغربية أى المدينة وجبانتها) تحتفل احتفالا رسمياً وشعبياً بعيدها الكبير. فيحملون سفن أمون وزوجته موت وابنه خونسو إلى شاطئ النهر ويضعونها فوق سفن فى النيل من الكرنك إلى الأقصر ثم يحملون تلك السفن فى موكب عظيم إلى داخل معبد الأقصر لتقضى هناك فترة من الزمن ثم تعود ثانية إلى الكرنك، وكان هذا العيد أعظم أعياد العاصمة وأهم أسواقها التجارية.

وبعد انتهاء الإمبراطورية بقيت لطيبة أهميتها كعاصمة لدولة "أمون" الدينية. واستمر الملوك يشيدون

فيها المعابد والمباني الأخرى ويرممون ما تلف أو تحطم من المباني القديمة إلى أن انقضت أيام البطالمة والقرون الأولى من أيام الرومان.

وعندما انتشرت المسيحية حولت بعض المعابد إلى كنائس كما تعرضت نقوش المعابد للتشويه لأنها من آثار الوثنية ، وأخذت أهمية المدينة التي كانت عاصمة للعالم القديم كله تتضاءل حتى أصبحت في العصر العربي بلدة صغيرة لا شأن لها ، ولم تأخذ في الازدهار إلا في العصر الحديث عندما بدأ الاهتمام بآثارها القديمة وأصبحت اكبر مراكز السياحة في مصر بعد مدينة القاهرة.

الأقصر : (خبيئة)

لعل الكشف عن تلك التماثيل الرائعة بخبيئة معبد الأقصر في بداية عام ١٩٨٩ ، أعظم حدث في تاريخ الأكتشافات الأثرية في مصر بعد إكتشاف مقبرة توت عنخ أمون. فلقد أماط هذا الكشف اللثام عن أروع مجموعة من التماثيل في أكمل حالة من الحفظ بالإضافة إلى أنها من أجمل ما أخرجته يد الفنان في الدولة الحديثة.

وقد جاء هذا الكشف أثناء قيام العاملين بهيئة الآثار المصرية يوم الثاني والعشرين من شهر يناير بترميم الفناء الرئيسي لمعبد الأقصر الذي شيده الملك "أمنحتب الثالث". وكان أول ما كشف النقاب عنه هو حافة كتلة من الحجر الأسود المصقول على عمق ١,٨ متر أسفل سطح الأرض ، وتبين من الوهلة الأولى أن لهذا الكشف الفجائي دلالة خاصة ، الأمر الذي دعى إلى استمرار الحفر. والعمل الجاد الذي أسفر عن ظهور قاعدة تمثال كاملة كان بداية إلى الاكتشاف العظيم لبقية تماثيل هذه الخبيئة. وبعد التأكد من عدم خطورة أية حفائر مستقبلية على الأساطين المحيطة بالفناء ، أستؤنف العمل في اليوم التاسع من شهر فبراير ، مما أسفر عن ظهور خمسة تماثيل أخرى كاملة ذات حجم طبيعي تقريباً وفي حالة جيدة من الحفظ وجدت راقدة على عمق ٢,٥ متر أسفل سطح الأرض بجوار بعضها ، كما لو كان يساند الواحد منها الآخر ، يتوسطها تمثال للملك "أمنحتب الثالث" وعلى الجانب الشرقي منه تمثالان للالهتين "حتحور" و"أونيت". أما الجانب الغربي ففيه تمثالان للملك "حورمحب" والإله "أتوم". وقد وضح أن التماثيل وضعت في هذا المكان بعناية فائقة بيد الكهنه الذين قاموا غالباً بإخفائها بعد أن كانت مقامة بالمعبد لكي يتجنبوا تعريضها للتلف عندما تحول الجزء الداخلي من معبد الأقصر إلى مكان لإقامة طقوس عبادة الأباطرة الرومان في القرن الثالث الميلادي تقريباً.

وفي المستوى الذي يوجد أسفل التماثيل الخمسة مباشرة ، كشفت الحفائر بعد ذلك عن واحد وعشرين تمثالاً آخر ، وجدت مرصوصة داخل حفرة الخبيئة التي يبلغ طولها نحو ٣,٨ متر ، وعرضها نحو ثلاثة أمتار. ولم تكن هذه التماثيل في حالة سليمة مثل المجموعة الأولى، وان كانت تمثل أهمية أثرية وقيمة فنية عالية.

ومن أهم تماثيل هذه المجموعة تمثال يمثل الملك "تحتمس الثالث" أعظم فراعنة مصر ، وتمثال للملك "أمنحتب الثالث" مع الإله "حورس" ، وتمثال للملك "توت عنخ أمون" على هيئة أبو الهول ، وتمثال للملك "حور محب" أمام الإله "أمون" وتمثال للملك "رمسيس الثاني" أشهر ملوك مصر ، والأميرة "أمون إردس الأولى" ، وتمثال للإله "أمون" رب طيبة مع زوجته الآلهة "موت" ، وتمثال للإله "حورس" على هيئة الصقر، وتمثال للإله "أمون رع" كا موتف على هيئة الكوبرا. ثم تمثال للألهة "تاورت" وتماثيل أخرى.

وقد إستمرت أعمال الحفر بالخبيئة حتى يوم ٢٠ أبريل ١٩٨٩ حيث تم العثور على آخر قطعة أثرية على عمق ٤,٥ متر أسفل سطح الأرض وعلى عمق متر واحد أسفل سطح الماء. ولكي يتم التأكد من عدم وجود آثار أخرى في هذا الموقع ، فقد تم جس نحو متر آخر من الطمي وذلك باستخدام مفارز حديدية. وفي يوم ٢٩ أبريل ١٩٨٩ أعيد ردم الحفرة بعد بناء جدار واقي من الحجر الرملي بداخلها ، لتجنب أي إنهيار يحدث للتربة على امتداد الصف الغربي لأساطين الفناء.

ولعل هذه المجموعة الرائعة من التماثيل تذكرنا بخبيئة أخرى اكتشفت بين عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٩ في الفناء الذي يتقدم الصرح السابع من معبد "أمون رع" بالكرنك والتي خرج منها عدد كبير من التماثيل التي يحفظها المتحف المصري حالياً ، وإن كانت على مستوى فني أقل من تماثيل خبيئة الأقصر.

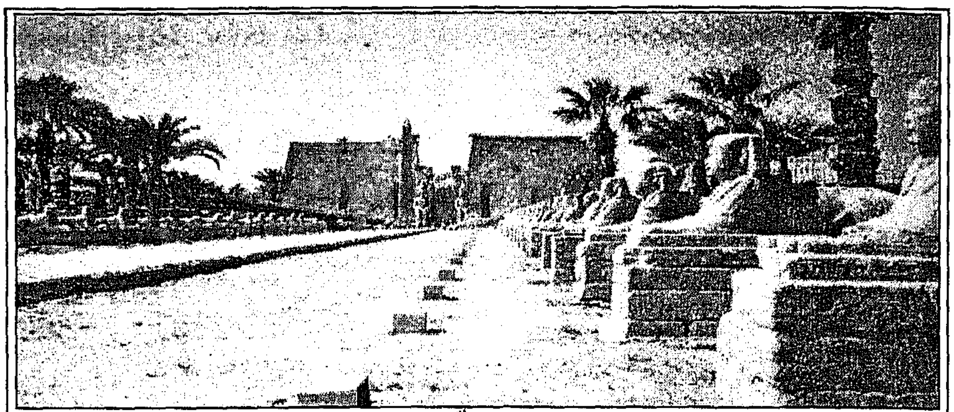
معبد الأقصر

الأقصر : (معبد)

يرجع الفضل فى بناء هذا المعبد فى صورته الحالية، على الضفة الشرقية للنيل ، على محور واحد من الشمال إلى الجنوب إلى الملك أمنحوتب الثالث ، من ملوك الأسرة الثامنة عشرة ثم أضاف إلية الملك رمسيس الثانى، من ملوك الأسرة التاسعة عشرة صرح كبير وخلفه فناء فسيح ذو أساطين بردية ويحتمل أن النواة الأولى لهذا المعبد قد وضعت فى عصر الدولة الوسطى.

أمر أمنحوتب الثالث باقامة هذا المعبد لثالوث طيبة، أغلب الظن لأمرين : الأول أن يؤكد نسبه للأله آمون نفسه ، إذ أن أحقيته للعرش لم تكن واضحة طبقا للتقاليد المصرية التى تنص بأن الفرعون يجب أن يكون ابن فرعون ومن سلالة ملكية ، أما إذا كانت سلالة غير نقية فيكتسب أحقيته للعرش بالزواج من الابنة الكبرى للملك (السابق). ولم ينطبق إحدى الشرطين على أمنحوتب الثالث فأمه "موت -أم - أويا" لم تكن مصرية بل كانت سيدة ميتانية بنت "ارتاتاما" ملك دولة ميتانى ، ولم تكن زوجته "تى" من سلالة ملكية ، بل كانت سيدة من عامة الشعب. ولهذا فكر أمنحوتب فى أن يؤكده شرعيته للعرش باثبات نسبة للأله آمون نفسه مثل ما فعلت حتشبسوت من قبل ، فهداه تفكيره - بعد استشارة كهنة أمون - إلى تسجيل ولادته المقدسة على جدران الغرفة الشهيرة بالمعبد والمعروفة بغرفة الولادة وكانت نتيجة هذا أن أمنحوتب الثالث المعروف بأنه ليس من سلالة ملكية مصرية ، أصبح أفضل من ملوك مصر السابقين، الذين تجرى فى عروقهم الدماء الملكية النقية لأنه أصبح ابن الإله أمون رع مباشرة ، ومن صلبه ، وبهذه الأسطورة وهذه النظرية أكد أمنحوتب الثالث أحقيته فى العرش. الأمر الثانى هو إرضاء كهنه أمون لكى يتقبلوه فرعونا شرعيا لمصر ، رغم عدم وضوح أحقيته فى العرش ، ولم يكن فى وسع كهنة أمون رفض نسب أمنحوتب الثالث إلى إلههم أمون وبالتالى إليهم ، فقد وعدهم باقامة معبد كبير لأعلان شأن أمون العظيم ، ولهذا تقبل الكهنة الملك الجديد بنسبه الألهى ولم يرفضه الشعب الذى لم يكن يشك فى أى شئ يقبله الكهنة.

كان الأله أمون يقوم بزيارة زوجته الألهة موت مرة كل عام فينتقل من معبده فى الكرنك إلى معبد الأقصر لذلك جعلوا من دار "الكرنك" قصر "أمون" الرسمى ، ومن "دار الأقصر" منزله الخاص ، يسكن فيه إلى أزواجه. ولكن لا ينتقل إلى تلك الدار فى موكبه الرسمى إلا فى موعد خاص من أيام العام. وهو موعد زواجه ، جعله القوم فى شهر "بابه" الذى سمى ذلك باسم الدار نفسها. وهم لم يختاروا لعرش أمون ذلك التاريخ عفوا ولا ارتجالا ، وإنما اختاروه بعد تفكير عميق ، مبعثه حب الحياة والأمل فى التمتع بخيرها. ففى هذا الشهر يكون موسم الفيضان ، وهو موسم الخصب والبركة ، فيه يغرس النهر بأرض مصر فتحمل بهذا الخير العظيم الذى يطلع على الدنيا رزقا حسنا يعيش عليه أبناء الحياة فى هذا الوادى ، فإذا جعل الناس زواج ربهم "أمون" فى هذا الشهر من أيام السنة ، فمعنى ذلك أنهم أنما كانوا يلتمسون له ولأنفسهم الخير والبركة فى موعد الخير والبركة ويتمنون له الخصب فى حياته الزوجية ليرزقهم من خصبه وليغمرهم ببره ورحمته. ذلك لون من ألوان الفكر الانسانى ، مبعثه حب البقاء والأمن فى الحياة والتماس أبواب الرزق من ابوابها. وهكذا فكر المصريون فى تزويج ربهم "أمون" ثم باتوا يحتفلون بذكرى ذلك الزوج إذا ما جاء موسم فيضان النهر كل عام.

أطلق المصريون على هذا المعبد اسم "ابت رست"

أى "ابت" الجنوبى وقد اختلف المتخصصون فى معنى كلمة "ابت" ويرى أغلبهم أن كلمة "ابت" تعنى "الحريم" وأن "ابت رست" تعنى الحريم الجنوبى لأن موكب الإله المقدس ينتقل بطريق النيل من معبد الكرنك إلى معبد الأقصر أى من الشمال إلى الجنوب ولهذا يعتقد المتخصصون أنه كان يتم فى الفترة التى يقضيها "أمون" فى الأقصر والتى كانت إحدى عشرة يوما فى الأسرة الثامنة عشرة ، ووصلت إلى ثلاثة وعشرين يوما فى الأسرة التاسعة عشرة وازدادت إلى سبعة وعشرين يوما فى الأسرة العشرين وأنه كان يتم زواج مقدس (أو احتفال بذكرى الزواج المقدس) بين الإله أمون والألهة موت ولهذا اعتبر معبد الأقصر بمثابة "قصر للزفاف" يتم فيه كل عام الاحتفال بذكرى هذا الزفاف المقدس.

أمر أمنحوتب الثالث مهندسة "امنحوتب ابن حابو" بتشييد مجموعة من المبانى ، بدأها أغلب الظن من الجنوب حيث كان يقام معبد الدولة الوسطى ، بقدس الأقداس لأن الهدف الأساسى من إقامة أى معبد هو إيجاد المكان المناسب لتمثال الإله أولا ثم إقامة مجموعة المخازن التى من حوله اللازمة له وأنهاها بالممر الفخم الذى يتكون من صفين من الأساطين التى تنتهى بتيجان على هيئة زهرة البردى المتفتحة ولم ينتهى العمل فى هذا الممر العظيم فى حياته ، فلما جاء ابنه امنحوتب الرابع – اخناتون على عرش البلاد ترك أمون وتعبد للإله أتون بل وتتبع اسم أمون ومحاه من نقوش أبيه فى المعبد ثم أكمل توت عنخ أمون ومن بعده حور محب هذا الممر العظيم.

أمر رمسيس الثانى فى الأسرة التاسعة عشرة مهندسه "باك – أن – خنسو " بإضافة الفناء الكبير المفتوح ذو الأساطين وإقامة صرح ضخم وستة تماثيل للفرعون ومسلتين أمامه ، كما أقام المسيحيون فى إحدى أجزاءه الجنوبية كنيسة ، وبنى المسلمون فى عهد الفاطميين مسجد لهم وهو مسجد سيدى يوسف أبى الحجاج نراه على يسار الداخل مباشرة فى فناء رمسيس الثانى.

وقد أطلق العرب كلمة "الأقصر" على هذا المعبد وذلك عندما شاهدوا هذه المنشئات الضخمة التى تشبه القصور عندهم بدليل وجود اسم قصر فى أسماء العديد من المعابد التى ترجع لفترة حكم البطالمة والرومان فى مصر مثل قصر ابريم فى بلاد النوبة وقصر البنات فى شمال غرب الفيوم وقصر العجوز بمدينة هابو

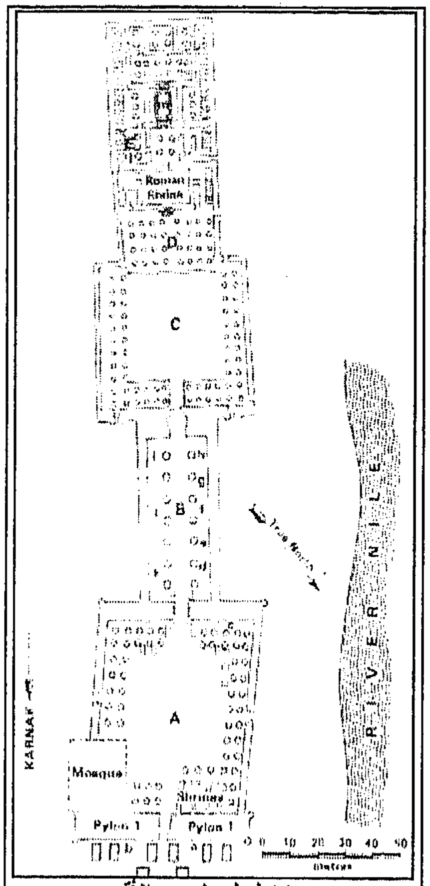

رسم تخطيطى لمعبد الأقصر

وقصر قارون بالفيوم .. الخ وكلها أسماء عربية أطلقها العرب على هذه المعابد عندما شاهدوها.

وصف المعبد :

نصل الآن إلى صرح المعبد الذى شيده رمسيس الثانى وهو عبارة عن بوابة ضخمة يتوسطها مدخل المعبد وكان يتقدمها ستة تماثيل ضخمة له ، تمثالان كبيران على جانبى المدخل يمثلان رمسيس الثانى وهو جالس ، وكان يجاور كل منهما تمثالان آخران يمثلانه واقفا. لم يبقى الآن من هذه التماثيل إلا التمثالين الجالسين ويصل ارتفاع كل منهما إلى ١٤ مترا وتمثال واحد فقط من التماثيل التى تمثله واقفا وهو المقام على أقصى اليمين (بالنسبة للداخل) ، كما أقام رمسيس الثانى أمام الصرح أيضا مسلتين من حجر الجرانيت الوردى، تزين الصغرى منهما الآن ميدان الكونكورد فى باريس منذ عام ١٨٣٦ (يصل ارتفاعها إلى ٢٢,٢ مترا) وظلت الأخرى قائمة فى مكانها حتى الآن أمام البرج الشمالى (بالنسبة للداخل) وتتميز بمجموعة للقردة البارزة التى تهلل للشمس والمنحوتة على قاعدتها (يصل ارتفاعها إلى ٢٤,٦ مترا). يوجد أمام الصرح أيضا طريق لأبى الهول يرجع لعهد الملك

نختنبو من ملوك الأسرة الثلاثين كان يوصل إلى معبد خنسو ، جنوب معابد الكرنك ، وقد حل أغلب الظن محل طريق الكباش الذى كان يرجع إلى عهد أمنحوتب الثالث.

تصف النقوش الغائرة على واجهة الصرح (العرض ٦٥ متر تقريبا)المعارك الحربية التى قام بها رمسيس الثانى ضد الحيثيين فى العام الخامس من حكمه وهى للأسف مهشمة إلى حد كبير فنشاهد على الجناح الأيمن (الغربى) للصرح الملك رمسيس الثانى ومعه مستشارية العسكريين (المنظر منقوش فى أقصى الشمال) وفى الوسط نرى الموقع أو المعسكر الذى هزم فيه أعدائه من الحيثيين وفى أقصى اليمين نرى الملك فى عربته الحربية وسط المعركة. أما المناظر الممثلة على الجناح الأيسر (الشرقى) للصرح فهى تمثل رمسيس الثانى فى عربته الحربية يرمى الأعداء الحيثيين بوابل من السهام، والأرض مغطاة بالقتلى والجرحى ، أما الأحياء فيهربون مزعورون ويتركون قادش. وفى أقصى الشمال على هذا الجناح منظر لأمير قادش خائفا فى عربته. ووصف كامل لهذه المعركة كتب باللغة المصرية القديمة (بالنقش الهيروغليفى) بأسلوب شعرى موجود أيضا على الجزء السفلى من هذا الصرح والنص يبدأ من الجناح الغربى (الأيمن) وينتهى على الجناح الشرقى.

ويوجد على واجهة الصرح أيضا أربعة فجوات عمودية، فجوتان فى كل جناح وقد خصصت لكى توضع فيها ساريات الأعلام ، كما يوجد أيضا فى أعلا الصرح أربع فتحات خصصت لكى تثبت فيها هذه الساريات.

نشاهد على جانبى المدخل من الخارج مناظر تمثل الملك رمسيس الثانى فى علاقاته المختلفة مع الآلهة والآلهات ، نذكر منهم ثالوث طيبة المقدس بالإضافة إلى الألهة أمونت. أما على كتفى المدخل من الداخل فهناك إضافات ترجع لعصر الأسرة الخامسة والعشرين تمثل الملك شاباكا فى علاقاته المختلفة مع كل من أمون وأمونت ومنتو وحتحور.

أما خلف الجناح الأيسر للصرح الشرقى فهناك مناظر جميلة مختلفة ومتعددة للملك رمسيس الثانى وزوجته فى حضرة الآلهة والآلهات وكذلك وهما يشاركان فى الاحتفال بعيد الإله مين.

نصل من مدخل الصرح إلى الفناء الفسيح (أ) (عرضه ٥٧ متر وطوله ٥١ متر)الذى أقامة رمسيس الثاني ويحيط به الصفات التى يرتكز سقف كل منها على صفين من الأساطين ، عدا المبنى الذى شيدته حتشبسوت وتحتمس الثالث والذى يقع على يمين الداخل مباشرة وقد شكلت هذه الأساطين (٧٤ أسطون) على هيئة نبات البردى وتنتهى بتيجان على شكل براعم البردى ، وهى تصور بالفعل تدهور الفن المعمارى فى الأسرة التاسعة عشرة ، فقد فقدت أساطين رمسيس الثانى كل الشبه بالشكل الأصلى المفروض أنها تمثله وخاصة إذا ما قارنا بينها وبين أساطين أمنحوتب الثالث فى نفس المعبد وبين الأساطين الجرانيتية الجميلة الرشيقة التى أقيمت فى عهد حتشبسوت وتحتمس الثالث والمقامة أمام المقاصير الثلاثة للثالوث المقدس فى الجزء الشمالى الغربى من فناء رمسيس الثانى نفسه.

وتقوم بين الأساطين الأمامية فى النصف الجنوبى لهذا الفناء المفتوح تماثيل للملك رمسيس الثانى منها ما يمثله واقفا ومنها ما يمثله جالسا . فنرى على جانبى المدخل الموصل إلى الممر العظيم الذى أقامه أمنحوتب الثالث تمثالين ضخمين يمثلان رمسيس الثانى جالسا على العرش الذى زين بمناظر تمثل إلهي النيل وهما يؤكدان الوحدة بين الوجهين وذلك بربط نبات البردى رمز الشمال ونبات اللوتس رمز الجنوب وتتميز تماثيل رمسيس الثانى الواقعة فى الجهة الشرقية من الفناء بالجمال والروعة أما المقامة فى الجهة الغربية فقد تهشم أغلبها. كذلك يميز بعضها ، سواء ما يمثله جالسا أو واقفا وجود الملكة نفرتارى بحجم صغير ، منقوشه أو منحوته كتمثال بالقرب من احدى ساقى التمثال. وقد أطلق على هذا الفناء اسم "معبد رعمسسو المتحد للابد".

تزين جدران الفناء الفسيح مناظر مختلفة تمثل التقدمات المقدسة بجانب مناظر تمثل الشعوب الأجنبية المهزومة ومن أهم المناظر التى يجب مشاهدتها فى الفناء المنظر الموجود على الجدار الجنوبى الغربى والمنظر هنا يمثل واجهة معبد الأقصر كاملة أى الصرح بتماثيله الستة وأعلامه والمسلتين ، وعلى يمين (الناظر) نرى موكب يتقدمه الأمراء من أبناء رمسيس الثانى يتبعهم الأضاحى السمينة المزينة من الماشية التى سوف يضحى بها - أغلب الظن - كقربان.

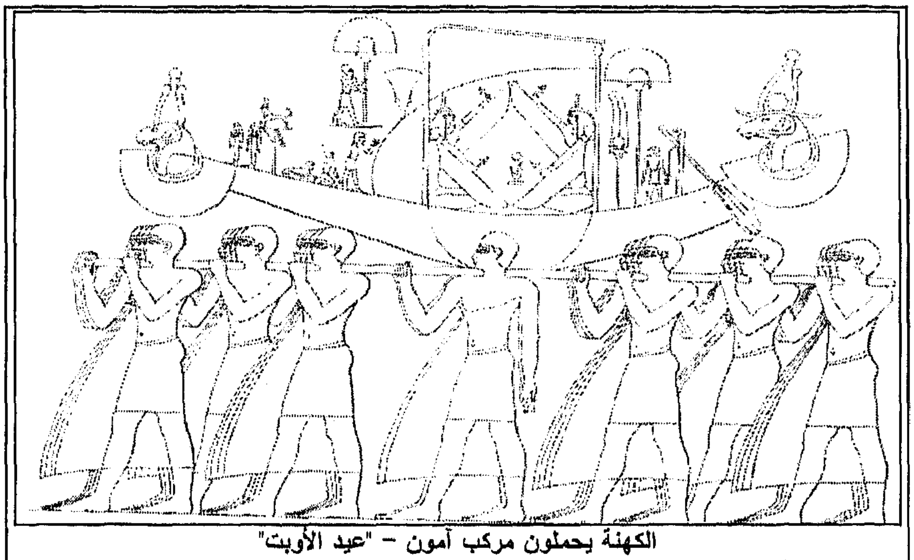

الكهنة يحملون مركب آمون - "عيد الأوبت"

يوجد فى الركن الشمالى الغربى من فناء رمسيس الثانى المقاصير الثلاثة التى شيدها كل من حتشبسوت وتحتمس الثالث وان كان البعض يرى أن رمسيس الثانى الذى سجل اسمه عليها هو الذى أقامها بحجارة اغتصبها من مقاصير لحتشبسوت وتحتمس الثالث. يتقدم هذه المقاصير أربعة أساطين رشيقة على شكل حزمة سيقان البردى من الجرانيت الأحمر ، أما تيجان هذه الأساطين فهى سيقان البردى وقد شد بعضها إلى بعض ويلاحظ وجود الرباط ذو اللفات الخمس أسفل التاج ، ويمكن أن نطلق عليها اصطلاحا تيجان البردى المبرعم ، تمييزا لها عن تيجان البردى المتفتحة. وق خصصت المقصورة الوسطى للإله أمون رع والغربية لزوجته الألهة موت والشرقية للابن الإله خنسو إله القمر. وتميزت كل مقصورة من المقاصير الثلاثة بمناظر تمثل إطلاق البخور والتطهير وتقدمه الدهون والقربان إلى المركب المقدس الخاص بالإله (والألهة) صاحب المقصورة هذا بالإضافة إلى المناظر الدينية المختلفة. أما جامع أبى الحجاج فيشغل الجزء الشمالى الشرقى من الفناء.

يلى فناء رمسيس الثانى بقايا الصرح الذى كان يمثل مدخل المعبد فى عهد أمنحوتب الثالث ، بعد ذلك نصل إلى الممر الفخم الذى يتكون من صفين من الأساطين البردية العظيمة (جـ) ، فى كل صف سبعة أساطين تنتهى بتيجان على هيئة زهرة البردى المتفتحة ويصل أرتفاع الأسطون إلى ١٦ مترا ولا تزال للآن هناك بعض الكتل الضخمة التى كانت تحمل سقف هذا الممر.

سجلت على جدران هذا الممر أيضا - احتفالات عيد "ابت" أو "أوبت" والتى ترجع أغلب الظن - إلى عهد توت عنخ أمون وهى تصور الاحتفالات السنوية التى تقام فى النيل عندما يزور أمون رع إله الكرنك معبد الأقصر وكان الموكب يتكون من مراكب الثالوث المقدس : مركب آمون الضخمة التى يميز مقدمتها ومؤخرتها رأسى الكبش الممثل للإله أمون ، أما مركب موت فيزينها رأسا سيدة ، فوق كل منهما زينة للرأس على هيئة نسر ولعل السبب فى هذا أن كلمت موت فى اللغة المصرية القديمة تكتب بعلامة النسر والمركب الثالث هو مركب الابن خنسو برأسى الصقر وكان يصاحب هذه المراكب الكهنة والراقصات والموسيقيين والجنود وحملة الأعلام وفئات الشعب المختلفة.

تبدأ مناظر الموكب من أقصى شمال الجدار الغربى وتستمر جنوبا حتى نهايته ثم تستمر بعد ذلك من أقصى جنوب الجدار الشرقى شمالا حتى نهايته إلا أن أغلب المناظر قد أصابها التلف.

ويمكن تتبع مناظر الموكب على الجدار الغربى من الشمال إلى الجنوب على الوجه التالى :

١ - القرابين الملكية أمام مراكب الثالوث المقدس فى معبد أمون بالكرنك.

٢ - حمل مراكب الآلهة على أكتاف الكهنة من الكرنك إلى نهر النيل.

٣ - إبحار المراكب على صفحة النيل إلى معبد الأقصر فى إحتفال دينى وشعبى كبير.

٤ - موكب المراكب البرى (من حيث رست فى النيل) حتى معبد الأقصر.

٥ - مناظر المراكب المقدسة والقرابين والتقدمات داخل معبد الأقصر. أما على الجدار الشرقى فنتابع المناظر من الجنوب إلى الشمال على الوجه التالى :

١ - القرابين الملكية أمام مراكب الثالوث المقدس فى معبد الأقصر.

٢ حمل مراكب الآلهه على أكتاف الكهنة من معبد الأقصر إلى النيل.

٣ إبحار المراكب فى النيل للعودة إلى الكرنك فى إحتفال دينى وشعبى كبير.

٤ موكب المراكب البرى (من حيث رست فى النيل) إلى معبد أمون فى الكرنك.

٥ القرابين والتقدمات الملكية أمام المراكب المقدسة فى معبد أمون بالكرنك.

وقد استطاع حور محب بذكائه أن يتوج فى طيبة فى عيد "الإابت". كذلك سجل كل من سيتى الأول ورمسيس الثانى وسيتى الثانى أسماءهم على جدران هذا الممر العظيم. نصل الآن إلى الفناء الكبير الذى شيده أمنحوتب الثالث (د) ، عرضه ٥١ متر وطوله ٤٥ متر وكان مخصصا للاحتفالات الدينية التى يشارك فيها فئات الشعب المختلفة وقد أقيمت فى جوانبه الثلاثة الشرقى والغربى والشمالى صفان من الأساطين التى شكلت على هيئة حزم سيقان البردى المبرعم ومجموعها ٦٤ أسطون وللأسف أن أحجار السقف التى كان ترتكز عليها الأعتاب القائمة على الأساطين قد سقطت أغلبها وبذلك لا نستطيع أن نشاهد الضوء الساطع والظل القاتم الذى من أجله صمم هذا الفناء بهذا الشكل لكى يظهره أما عن مناظر هذا الفناء فقد تهشم أغلبها.

خلف فناء الأحتفالات نجد صالة الأساطين (هـ) وتشمل على أربعة صفوف من الأساطين التى شكلت على هيئة حزم سيقان البردى المبرعم وكل صف به أربعة أساطين ويمكن اعتبارها صالة لتجلى الإله وللإشراق حيث يتجلى (أو يشرق) منها (تمثال) الإله عند خروجه من قدس الأقداس. ولم يبقى الزمن إلا على مناظر قليلة يمكن تتبعها على الجزء الأسفل من الجدار الشرقى والجنوبى لهذه الصالة حيث نشاهد مناظر لأقاليم مصر المختلفة يمثلها اله النيل حاملا للقرابين والتقدمات، وقد تدل هذه التقدمات على منتجات الأقاليم. كما نشاهد على الجدار الشرقى منظر يمثل أمنحوتب الثالث أمام آلهة طيبة ، وقد سجل كل من سيتى الأول ورمسيس الثانى ورمسيس الثالث ورمسيس الرابع ورمسيس السادس أسماءهم على بعض أساطين وجدران هذه الصالة.

نجد فى الجدار الجنوبى لصالة الأساطين على يمين ويسار الداخل مدخلين صغيرين ، يوصلان إلى مقصورتين صغيرتين ، اليمنى (و) تمثل مقصورة الإله خنسو الغربية واليسرى (ز) الملاصقة للصالة ذات الثمانية أساطين للألهة موت ، يلاصقها مقصورة الإله خنسو الشرقية (ح) . كما نجد مدخل إلى سلم مهدم بالقرب من مقصورة خنسو الغربية.

نجد فى منتصف الجدار الجنوبى لصالة الأساطين درج بسيط يوصل إلى قاعة كان بها ثمانية أساطين (ت) ، أزيلت عندما تحولت فى العصر الرومانى (من ٣٠ ق م إلى ٣٩٥ م) إلى هيكل مسيحى فأغلق المدخل الموصل إلى قدس الأقداس وتحول إلى تجويف (حنية)، أقيم على كل من جانبيه عمود من الجرانيت وغطيت المناظر الجميلة لأمنحوتب الثالث وهو فى علاقاته المختلفة مع الآلهة والآلهات بطبقة كثيفة من البياض ، ليرسموا عليها مناظر دينية مسيحية وبمرور الزمن انسلخ جزء من طبقة البياض ، فأسفر عما تحته من مناظر تمثل الملك أمنحوتب الثالث فى مناظر دينية مختلفة ويعتقد أرنولد أن هذه الصالة هى جزء من صالة التجلى وذلك طبقا لما فيها من مناظر تشير إلى ذلك. ولعل أهم هذه المناظر ما نشاهده على الجزء الشرقى من الجدار الجنوبى ، حيث نرى الملك راكعا أمام أمون والألهة موت برأس لبؤة تتوجه. كذلك نجد فى هذه القاعة حجرتين صغيرتين ، أحدهما يمينا فى نهاية الجدار الغربى ، والثانية شمالا فى نهاية الجدار الشرقى.

بعد ذلك نصل من المدخل الذى عمل فى التجويف إلى صالة ذات أربعة أساطين (ك) كانت مخصصة لمائدة القرابين والتقدمات المقدسة ، إذ نقش على جدرانها أكثر من أربعين منظرا تمثل الملك أمنحوتب الثالث والقرابين والهبات المقدسة التى يقدمها لأمون ، نذكر منها قائمة القرابين التى يقدمها الملك لأله المعبد.

كذلك العجول الأربعة التى يقدمها لأمون ونراها على الجدار الشمالى على يسار الداخل مباشرة أما على الجدار الشرقى فهناك العديد من المناظر التى تمثل الملك وهو يطلق البخور ويقدم الأوانى وصناديق الملابس الملونة وتقدمات أخرى إلى أمون. نجد فى الجدار الغربى لصالة مائدة القرابين مدخل يوصل إلى عدد من الحجرات كما نجد مدخل آخر فى وسط الجدران الجنوبى يوصل إلى حجرة الزورق المقدس لأمون وهى المقصورة التى أقامها أمنحوتب الثالث (ل) على أساس أن تكون على محور مستقيم مع مدخل المعبد ومقصورة الزورق المقدس هنا محاطة بعدد من الغرف التى ربما استخدمت كمخازن لحفظ الأشياء اللازمة للخدمة اليومية فى المعبد من أوانى ومباخر وزيوت وعطور وبخور وملابس وما شابه وقد صورت على جدران هذه المقصورة المناظر المختلفة التى تمثل الملك أمنحوتب الثالث فى علاقاته المختلفة مع الآلهة والآلهات وان كان أغلبها على الجدار الشرقى يمثل الملك يقوم بتقدمات مختلفة من زهور وبخور وأربعة عجول إلى الإله أمون.

وكان يحمل سقف هذه الحجرة أربعة أساطين ، أزيلت عندما أراد الأسكندر الأكبر (عام ٣٣٢ ق.م) أن يقيم مقصورة مقدسة للقارب المقدس الخاص بالإله أمون فأقامها وسط هذه الغرفة التى شيدها أمنحوتب الثالث وهى المقصورة المعروفة الآن بمقصورة الأسكندر، وقد صور على جدرانها سواء الخارجية أو الداخلية الأسكندر فى علاقاته المختلفة مع ثالوث طيبة ولعل من أهم المناظر الخارجية المنظر الذى يمثل المراحل المختلفة لدخول المعبد وهنا يجب ملاحظة الفرق الشاسع بين رقة الفن وجماله فى عهد أمنحوتب الثالث والمبالغة فيه وبعده عن الجمال فى عهد الأسكندر.

نجد فى الجدار الشرقى لغرفة المركب المقدس مدخل يوصل إلى حجرة جانبية ذات ثلاثة أساطين ، بها مدخل فى جدارها الشمالى يوصل إلى غرفة أخرى ذات ثلاثة أساطين لها شهرتها التاريخية وهى الغرفة التى تعرف اصطلاحا باسم غرفة الولادة (ن) وقد عرفت بهذا الاسم لما بها من مناظر تمثل ولادة أمنحوتب الثالث الإلهية ، وهو التسجيل الذى أراد به أمنحوتب الثالث أن يؤكد نسبه فيه للأله أمون نفسه ، إذ نعرف أن والده تحتمس الرابع كان قد تزوج من أميرة ميتانية هى "موت ام اويا" بنت الملك الميتانى "ارتاتاما" وهى كما نعرف أميرة أجنبية لا يجرى فى عروقها الدم الملكى المصرى ولهذا أراد الملك أن يؤكد شرعيته للعرش وذلك بإثبات نسبه للإله أمون نفسه مثل ما فعلت الملكة حتشبسوت من قبله ويجب ألا ننسى أن غرفة الولادة هذه كانت من الأسباب الأساسية التى دعت إلى بناء معبد الأقصر كله.

تمثل لنا المناظر المنقوشة على الجدار الغربى ثلاث صفوف تمثل الولادة المقدسة بمساعدة الآلهة والآلهات أما المناظر التى على الجدار الجنوبى فتمثل اعتلاء أمنحوتب الثالث للعرش ، على أية حال فالمناظر أغلبها مهشم وفقدت أجزاء كبيرة منها ولعل من أهم المناظر ما يمثل الإله تحوت يقود أمون إلى مخدع الملكة ليحل محل تحتمس الرابع والمنظر الخاص بالإله أمون والملكة "موت ام أويا" وهما جالسان على سرير تحمله الإلهتان سلكت ونيت ويشبه علامة السماء المصرية ، وأخيرا منظر الإله خنوم وهو يصنع على دولاب الفخرانى طفلين هما أمنحوتب وقرينه (الكا).

نصل من مدخل فى الجدار الجنوبى لمقصورة الزورق إلى صالة ذات اثنى عشرة اسطونا (ى) قسمت إلى صفين ، وهى طبقا لما بها من مناظر كانت مخصصة فى رأى أرنولد لمائدة القربان الخاصة بتمثال الإله فى قدس الأقداس الذى كان يقيم فى الحجرة الوسطى التى تليها مباشرة (ق) وهى حجرة بها أربعة أساطين ، قسمت إلى صفين وتمثل المناظر التى على جدرانها أمنحوتب الثالث فى علاقاته المختلفة مع الآلهة، بجانب المناظر التى تمثل تقدمه القرابين اليهم. يوجد على جانبى غرفة التمثال مجموعة من الحجرات كانت مخصصة أغلب الظن لمستلزمات الطقوس الخاصة بتمثال الإله.

أما المناظر الخارجية للجدار الغربى والجدار الشرقى للمعبد فقد مثل عليها الحروب الأسيوية للملك رمسيس الثانى.

يبلغ طول معبد الأقصر الآن بعد إضافات رمسيس الثانى ٢٥٥,٩ متر وكان ١٩٠ مترا تقريبا فى عهد أمنحوتب الثالث ويبلغ ٥٤,٤ مترا فى أقصى عرضه.

الأقصر : (مقابر)

وتسمى أيضا "مقابر طيبة" ، وهى بالضفة الغربية من النيل وتمتد نحو ٧ كيلو مترات ولكل جزء منها

اسم خاص سيأتى ذكره على حدة فى موضعه ، ولنبدأ ذكرها من الشمال متجهين نحو الجنوب. ففى أقصى الشمال نجد "مقابر الطارف" وفيها مقابر أمراء وأثرياء طيبة وكهنتها فى عصره الفترة الأولى والأسرة ١١. وبعد ذلك نجد الوادى المؤدى إلى "وادى الملوك" وفيه مقابر ملوك الدولة الحديثة. ويلى الطارف مجموعة مقابر "دراع أبو النجا" وبعضها منحوت فى صخر الجبل والبعض الآخر فى سفح الهضبة وفيها مقابر من عصور مختلفة بعضها من الدولة الوسطى والبعض الآخر من العصر الذى تلاها ويسبق الأسرة ١٨ وكذلك مقابر كثيرة من الدولة الحديثة وكلها مختلطة ببعضها.

وبعد منطقة "دراع أبو النجا" (البحرى والقبلى) نصل إلى مقابر "الدير البحرى" وهى على جانبى معبدى حتشبسوت ومنتوحتب الثانى منحوته فى صخر الهضبة. وأمام منطقة الدير البحرى وإلى الجنوب منها نجد عددا كبيرا من مقابر الأشخاص بعضها ما زال داخل بيوت أهالى القرية ولكل مجموعة منها اسم خاص فمقابر القرنة أو "علوة القرنة" أو "مقابر الشيخ عبد القرنة" منحوتة فى واجهة جبل القرنة ، وأمامها فى سفح الهضبة "مقابر الخوخة" وفيها بعض مقابر أواخر الدولة القديمة والكثير من مقابر الدولة الحديثة، و"مقابر العساسيف" ، وفيها مقابر من الدولة الوسطى والحديثة والأسرتين ٢٥ و ٢٦ وما بعد ذلك ، وبعد هذه السلسلة من الجبانات نصل إلى مجموعة مقابر "قرنة مرعى" وهى من الدولة الحديثة. فإذا تركنا قرنة مرعى وجدنا مجموعة أخرى من مقابر طيبة هى مقابر "دير المدينة" وهى من الدولة الحديثة ، وعلى مسافة غير بعيدة منها نجد مقابر "وادى الملكات" وفيها مقابر بعض ملكات الدولة الحديثة وأمرائها الذين ماتوا فى سن مبكرة.

ويتعذر ذكر رقم محدد لعدد تلك المقابر فإن كثيرا منها لم يتم الكشف عنه بعد ومازال الكثير منها فى داخل أو تحت بيوت القرى المنتشرة فى هذه الجبانة كما أن جميع المقابر التى عثر عليها فى الجبانات التى فى سفح الهضبة لا تحمل أرقاما ولم يهتم أحد بحصرها. ولو تركنا مقابر "وادى الملوك" ومقابر "وادى الملكات" جانبا فإن هناك أكثر من خمسمائة مقبرة هامة من مقابر الأشخاص فيها رسوم وكتابات هامة ولها أرقام معروفة، وكثيرا منها معد للزيارة.

الفنتين :

أو "جزيرة أسوان". علم على الجزيرة التى أمام مدينة أسوان ، وكانت آخر مدن مصر فى الجنوب وحصنا للدفاع عن البلاد فى صد أى هجمات من الجنوب. أسمها فى أيام الفراعنة "أبو" ومعناها مدينة "الفيل" ويمكن تفسيره بأنها كانت أما مركزا لتجارة العاج "واسمه بالمصرية القديمة آبو أيضا" وكان يأتى إليها من السودان ، أو أن الإسم يشير إلى الفيل الذى كان يعيش فى هذه المنطقة فى عصور ما قبل الأسرات. قام حكامها فى الأسرتين الخامسة والسادسة بارتياد طرق الجنوب وكانوا أول رحاله فى التاريخ خرجوا لاكتشاف مجاهل أفريقيا ، ونقرأ أخبار رحلاتهم مدونة فوق جدران مقابرهم المنحوتة فى الجبل الغربى لأسوان. وكان الإله "خنوم" سيد الشلال معبودها الرئيسى ، وكان الكبش حيوانه المقدس ومعه المعبودتان "عنقت" (أنوكيس) و"ساتت" (ساتيس).

وفى خرائب المدينة القديمة يوجد الكثير من أطلال المعابد ومن أهمها معبد "خنوم" ، كما كان فيها حتى منتصف القرن الماضى معبد هام من الأسرة ١٨ زالت معالمه الآن. وفى هذه الجزيرة يمكن زيارة الهياكل التى عثر عليها (عام١٩٣٢) وهى لحكام أسوان وكبار موظفيها فى الدولتين القديمة والوسطى التى توجد مقابرهم منحوتة فى الجبل الغربى خلف الجزيرة ، وقد عثرت مصلحة الآثار عند حفرها على كثير من التماثيل وموائد القرابين وغيرها من الآثار.

ومن أهم ما يرتبط بتاريخ "الفنتين" تلك المجموعة الكبيرة من البرديات الأرامية التى عثر عليها فى منازل بعض أفراد الجالية اليهودية التى كانت تعيش فيها كحامية عسكرية فى أيام الحكم الفارسى فى القرن السادس ق.م. وكان لهم فيها معبد يهودى أحرقه المصريون فى إحدى ثوراتهم على تلك الحامية.

وفى الجزيرة كثير من أطلال المدينة القديمة ، وفيما - عدا المعابد - نجد أطلال الميناء القديم ومقياس للنيل مازالت توجد فى جوانبه كتابات باليونانية تسجل ارتفاعات النيل فى العصر الرومانى. وفى هذه الجزيرة متحف فيه مجموعة من آثار النوبة التى عثر عليها أثناء الحفائر التى تمت قبل التعلية الأولى لخزان أسوان بين ١٩٠٧ ، ١٩١٠ وكذلك الآثار الهامة التى عثر عليها فى الفنتين نفسها وفى بعض المناطق المجاورة لمدينة أسوان.

الألقاب الملكية :

اتخذ الملك ألقابا تدل على علاقاته المختلفة بالآلهه والآلهات. والألقاب الكاملة للملك خمسة ، يتبع كل منها أسم أو كنية يوضح حق الملك الإلهي في حكم مصر كبلد واحد ، وقد سجلتها الآثار كاملة منذ عصر الدولة الوسطى.

فقد أشارت آثار العصر العتيق إلى ثلاثة ألقاب فقط وأضيف اللقب الرابع والخامس فى الدولة القديمة.

اللقب الأول: وهو أقدم ألقاب الملك ويعرف باللقب (الحورى) (نسبة إلى إله الدولة الصقر حورس) وقد ظهر منذ عهد الملك العقرب وقد سجل هذا اللقب داخل ما أصطلح على تسميته بواجهة القصر (السرخ) التى يعلوها صورة الإله حورس وربما يقصد هنا أن الملك الحاكم يمثل الإله حورس على الأرض.

اللقب الثانى: الذى ظهر فى العصر العتيق هو اللقب (النبتى) وهو يشير إلى السيدتين ، الألهة (واجت) حامية الشمال وتمثل على هيئة ثعبان الكوبرا والألهه (نخبت) وتمثل على هيئة طائر الرخمة أو العقاب حامية الجنوب، وقد يدل هذا اللقب أن الألهتين الحاميتين للدلتا وللصعيد قد أتحدتا فى الملك.

اللقب الثالث: هو لقب (النيسوت بيتى) أى المنتسب إلى نبات السوت (ربما نبات الحلفا) والنحلة ، ويترجم عادة بـ "ملك الوجهين ، القبلى والبحرى" أى أن الملك قد جمع فى نفسه جزأى مصر – مستخدما الرمزين الخاصين بكل من الدلتا (النحلة) والصعيد (نبات السوت). هذا اللقب يسبق – غالبا – أسم الملك الموضوع داخل الخرطوش (الإطار الملكى) مباشرة ، وهو فى الوقت نفسه إسم العرش الذى يطلقه الملك على نفسه عندما يجلس على عرش مصر. وقد ظهر هذا اللقب منذ عهد الملك دن خامس ملوك الأسرة الأولى.

اللقب الرابع: هو لقب (سارع) أى "أبن (إله الشمس) رع" وقد ظهر منذ عهد الملك جدف رع ثالث ملوك الأسرة الرابعة ، وهو يؤكد صلة الملك بالله الشمس رع. ويسبق هذا اللقب – غالبا – أسم الملك الموضوع داخل الخرطوش والمعروف به منذ ولادته وهو الأسم العائلى للملك.

اللقب الخامس: هو (حر – نوب) أى (حورس الذهبى). وسجلته آثار عصر الدولة القديمة وأن كان أصل استعمال هذا اللقب – فى رأى جون ولسن– مازال غامضا حتى الآن.

أما لقب "فرعون" فقد أشتق من الاصطلاح المصرى القديم "برعا" أى البيت الكبير وكان فى البداية يقصد به القصر الملكى أو الإدارة الحكومية ، على أنه أستعمل منذ بداية الدولة الحديثة – خلال عهد الملك تحتمس الثالث– للدلالة على الحاكم نفسه. وقد أنتقلت كلمه "فرعون" إلى الكتابات العبرانية ومنها إلى مفردات اللغة العربية.

الإله :

لا شك أن أبرز ظاهرة فى خصائص الديانة المصرية القديمة هى كثرة الآلهة فقد عرف المصريون مئات من الألهة والربات جمعوها محلياً فى "تاسوعات"، وأشاروا إلى "ملك الآلهة" ، وإلى "سيد جميع الألهة". ولو ذرعنا المنطقة من منف إلى أسوان، وبحثنا فى كل مركز من مراكز العبادة ، لوجدنا كائنات إلهية تتخذ صور الأبقار والتماسيح والكباش والكلاب الوحشية واللبؤات والعجول وأبى قردان والقردة والثيران والطيور الجارحة الصقور ، وكثيراً من المخلوقات الأخرى ، ويطلق عليها أسماء شتى فى مختلف المدن.

بعد ذكر هذه الحقيقة ، يجب علينا أن نقرر أن هناك فروقاً بين الألهة الكونية ، التى هى مواضيع الأساطير، والتى قلما تظهر فى المعتقدات الشعبية اليومية ، وآلهة الأسرة الخاصة الشعبية ، التى ليس لها معابد ، ولا تذكر فى الأساطير. كما يجب أن نقرر أن إلهاً بعينة ، مثل حورس أو خنوم ، عُبد فى كثير من المدن بجميع أرجاء المملكة ، ولكنه لم يعبد فى بعض الأماكن الواقعة بينها.

كيف نستطيع فهم الأمر على حقيقته، كيف يمكننا تفسير هذه الكثرة المدهشة من الأشكال الإلهية؟ إن دراسة تاريخ مصر المبكر يمدنا بتفسير هذه الظاهرة: كون مينا مملكة متحدة مما كان من قبل مجموعة من القبائل المستقلة ،جاءت فى أزمنة مختلفة من الهضبتين،

الليبية والعربية. كان لهؤلاء القوم ، قبل مجيئهم ، ثقافة بدائية ، وربما كانت لهم لغتهم الخاصة ، وآلهتم الخاصة التى كان مظهرها الخارجى شعار القبيلة ، كأن يتخذ الإله صورة حيوان أو شجرة أو أى شكل آخر.

يبدو أن تعدد الآلهة هو السمة المميزة للديانة المصرية ، ويبدو أكثر وضوحاً فى تعدد أشكال تلك الآلهة ، والأسماء التى تُعبَد بها. ويتضح هذا بنوع خاص لمن يعمل إحصاءً عاماً للعبادات. ولكن ، هل كان تعدد الآلهة صفة خاصة لكل جزء من المملكة على حدة؟ إذا فحصنا أقدم عبادات منف أو طيبة أو دندرة ، ظهر أن عدد الآلهة الأصليين الذين عُبدوا فى كل منطقة صغير جداً. ولم تتكون "الأسر الإلهية" إلا فى وقت متأخر نسبياً ، وعلى يد علماء اللاهوت. وعلى هذا ، يحق لنا أن نعزو إزدياد عدد العبادات وما نتج عنها من تعقيد ، إلى وحدة المملكة لا إلى ميل للتعدد الذى ، كان موجوداً من قبل فى شتى القبائل التى أسهمت فى تكوين الدولة المصرية.

يوجد فى تاريخ العبادات المصرية ما يؤكد هذا الأستنتاج. ولا شك أن هذا راجع إلى أن المصريين لم يفرطوا فى شئ من ماضيهم. بل جُمع كل شئ وحوفظ عليه جنبا إلى جنب مع المعتقدات التى يجب أن نعتبرها غير ملائمة. بيد أنه على الرغم من الجمود الذى إتسم به هذا النظام ، توجد عدة دلائل على أن المعتقدات الدينية كانت موحدة فى أذهان المصريين أكثر مما نظن من واقع إختلاف أشكال الآلهة وأسمائهم.

كان هناك ميل ، منذ أقدم العصور ، إلى إدماج جميع أسماء ووظائف إلهين أو ثلاثة آلهة فى إله واحد. والعقل المصرى لم يقتنع بكثرة المذاهب الدينية ، التى لكل منها وظائفه الخاصة ، وإنما كان يميل إلى أن جميع هذه الوظائف الإلهية ، يجب أن تدمج فى شخص الإله الرئيسى لكل منطقة. وبدلاً من ترتيب آلهة العواصم فى نظام متكامل ، كان كل منهم يطلب السلطة العامة.

رغم أن الآلهة ، تبعاً لبلادها ، كانت تختلف فى الشكل وفى الأسم وفى طريقة السلوك ، فمن المدهش أن نجد خارج هذه الاختلافات فكرة "الألوهية" المجردة التى لا تنكر ، ممثله فى شعار على هيئة لواء معلق فى طرف ساق خشبية ، تغرس عند مداخل المعابد البدائية. وكلمة "نثر" أو "الأولوهية" هى الأسم الذى كان يصف أى واحد من تلك الألهة مهما كان اسمه ؛ كما استعملت لتصف كل سمه رباتية. ومن الطبيعى أن تستعمل هذه الكلمة لتصف كله إله على حدة دون تكرار اسمه ، وسرعان ما أدى هذا الأستخدام إلى فكرة وجود قوة إلهية مستقلة اشترك فيها كل إله ، ولكنها رفعت قدر هذه الأشكال المتعددة ، لأنه أمكن استعمالها لكل واحد منهم بغض النظر عن حدودهم.

كان الأعتقاد فى "قوة إلهية" غير شخصية ، ولا نهائية موجودة فى كل إله على حدة (ولكنها عامة ومنتشرة فى حيز واسع وراء أشكالها المرئية المختلفة) عنصرا أساسياً فى الفكر الدينى المصرى. لهذا السبب يمكن أن نقول ، إلى حدٍّ ما ، إن التوحيد المصرى موجود دائما مع تعدد الألهة الواضح فى العبادات المادية. كثيرا ما يُذكر الإله فى أدب الحكمة دون أية مواصفات: "ليست إرادة الإنسان هى التى تتحقق ، بل تدبير الإله" (بتاح حوتب ، بالدولة القديمة). "يعرف الإله مَن يعمل من أجله"(مريكارع ، الأسرة الحادية عشرة). "كل من يفعل هكذا ، سيمجد الإله أسمه" (أنى ، الأسرة الثامنة عشرة) "الإنسان طين وقش ، وصانعه هو الإله" (أمنموبى ، نهاية الدولة الحديثة) "سعيد مَن يسير فى طرق الرب" (بتوزيريس ، القرن الرابع ق.م.) توجد أساليب التعبير هذه ، القاصرة على أدب الحكمة ، فى الكتابات الخاصة: "أدخلت السرور على قلب الإله لأنى فعلت ما يجب ، إذ تذكرتُ أنه يجب علىَّ أن أذهب إلى الإله يوم مماتى" (الدولة الوسطى).

إذن لا سبيل لإنكار أن مصر قد عرفت فى مختلف عصورها عقائد تدعو لعبادة آلهة متعددة نشأت عن الديانات المحلية المختلفة التى احتفظت فى حالة التوحيد بالاختلافات الأصلية التى كانت فى عبادات ما قبل التاريخ ، مع وجود أعتقاد عام لا يتناقض إطلاقا مع عمومية ووحدة كائن إلهى لا أسم له ولا شكل ولكنه يضم كل شئ.

كان هذا الإعتقاد ، بالإضافة إلى العوامل السياسية البحتة ، هو الذى سبب إنهيار إصلاح العمارنة. فقد أراد أخناتون أن يفرض إلهاً واحداً شاملاً. لم يكن هذا

الأعتقاد ، فى حد ذاته ، جديداً ولا هداماً ، ولكنه جعل ذلك الإله كائناً مرئياً - كان هو الشمس - وأعطاه أسم أتون وأراد إستبدال الألهـة الكثيرين بإله فرد ، يستوعبهم تماماً ولم يرغب فى تجسيد الوجود الكلى لقوة إلهية ، بواسطة الأشكال التقليدية والمألوفة إلى قلوب المؤمنين حيث أراد أن ينفصل تماماً عن الماضى وكل أفكاره ، كى يثبت إلهاً جديداً ، عالمياً ومنفرداً بالحكم ، يُقصد به محو جميع الألهة الآخرين إذا لم يشتركوا فى ذلك الكائن الغامض الذى ينكر عليهم أى حق فردى.

على الرغم من حدوث نكسه لذلك الإصلاح الذى نشأ فى العمارنة ، فقد أفادت منه الألهة ، إذ أستعاد كل منهم معابده وعابديه ، غير أن فكرة وجود إله واحد لم تعد مجرد فكرة كامنة فى ماضى شتى العبادات، بل أحدثت أثراً عميقاً فى نموها الفردى إذ بدأ كل إله ذى أسم وعبادة وأسطورة ، فى الأتجاه نحو تلك القوة غير المسماة ، التى عاش معها من قبل فى تعايش سلمى.

وصاحب هذا التسامى لمفهوم الإله الذى تعجز صورته الأرضية عن أن تمثله بهيئة حقه. ظهور أفكار لاهوتيه تميل إلى توحيد الوظائف التى أختص بها كل معبود. فمثلاً ، اختيار الألقاب التى أعطيت لأمون أو خنوم أو بتاح ؛ نلاحظ أن هذه الأسماء الثلاثة مع جميع أساطيرها الموروثة ، ليست إلا أدله على وجود إله واحد يسيطر على جميع المناطق الجغرافية للعالم كله ، ويتعهد جميع الظواهر الطبيعية ، ويحكم على الكائنات الحية بقوة متعادلة ، كما يحكم على حياة البشر اليومية وعلى مصير الملوك ، وعلى المستقبل الذى كان أوزيريس سيدة دائماً. وينطبق نفس هذا الشئ على الصلوات الجماعية التى تعدد مختلف الأسماء التى يعبد بها أى إله معين فى أى جزء من المملكة (مهما كانت مظاهر ووظائف ذلك الإله).

يبدو أن كل إله عظيم ، ليس فى الواقع إلا مظهراً من مظاهر جميع الألهة الأخرى. وفى ذات الوقت بدأت الأفكار اللاهوتية المحصورة فى إطار المعابد تتجه نحو فكرة إله عام: "هو الإله الأوحد" و"الروح الجماعية" ، الذى تتحدث عنه النصوص. وثانياً: فإن حماس الشعب، الذى وجد أن الإله المجرد غير كافٍ ، وأبعد من أن يقوم بدور فعال فى الحياة اليومية ، قد أخذ يتجه شيئاً نحو الصور الملموسة لذلك الإله الذى كان هو نفسه بعيدا عنها ، وهى: الرموز الأرضية ، والحيوانات المقدسة ، والمعابد المكرسة.

ولكننا نجد الألهة الشعبية تظهر فى كل مكان ، ونرى الحكماء المطببين القدماء يندمجون فى مجمع الألهة والأرباب ، وتظل أوزيريس وإيزيس أرباب العامة والبسطاء بينما تحظى مقاصير السحرة وأكواخهم بإقبال عامة الشعب.

أنظر المعبودات.

ألوهية الملك:

حتمت بيئة مصر على أهلها أن ينهجوا فى حياتها نهجا يقوم على التعاون الوثيق يهيمن عليهم النظام الدقيق. فإذا كان نيلها قد وهب لها الحياة فإنه فى نفس الوقت قد حدد الإطار الذى تتحرك فيه أسس هذه الحياة، إذ يأتى هذا النهر بفيضانه العارم مرة كل عام وقد أجبر الناس الذين يعيشون على شاطئيه أن يتعاونوا جماعيا لدرء هذا الخطر بإقامة السدود حتى لا يهلك الحرث والنسل بفيضانه العالى كما أجبرهم على التعاون جماعيا لكى يوزعوا مياهه على مناطق زراعاتهم ويوصلوها إلى كل مكان بشق الترع والقنوات. كما كان النيل هو الشريان الحيوى للمواصلات عندهم. وهكذا كانت مصر فى التاريخ من الأمم الأولى التى قامت حياة شعبها على التعاون والنظام ، وكانت أيضا هى الأمة الأولى التى أجبرتها ظروفها الطبيعية على إيجاد حكومة تسيطر على شمالها وجنوبها تحت حكم ملك واحد هو سيد البلاد وملك الوجهين القبلى والبحرى.

أعتبر المصريون ملكهم الها يحيا بينهم على وجه الأرض وهو من لحم ودم ولكنه لاينتمى إلا لمملكة الألهة فى السماء. وهو حورس بن "أوزيريس" يتعالى فى مقامه بحيث لا يجب على فرد من الشعب أن يرفع نظره إليه أو يلمس إصبعه جسده المقدس ، وإذا أراد أحد المقربين إليه أن يحييه وجب عليه أن يخر ساجدا على الأرض ويقبلها أمام قدميه. وإذا كان هذا الفرد منتميا إلى أسرته فاكبر شرف له أن يقبل قدمه. وإذا كان هذا الفرد قد نال حظوة أستثنائية من الملك فله أن يقبل ركبته.

كانت كلمة الملك الإله هى القانون السائد فى مصر وكانت رغبته المقدسة هى النبراس الذى يقود الناس فى حياتهم إلا أن الملك كان يتقيد فى سياسته بتعاليم "الماعت" ، وهى إلهة رمز المصرى بها إلى كل المثل العليا التى يجب على الحاكم أن يرعاها فى تنفيذ سياسته فى الحكم ، وهى العدل المطلق والصدق الكامل والرحمة ، والقسوة مع المذنب وكانت هذه المعانى هى الرائد لكل ملك وهى الإطار الذى يتحرك فيه كاله عاش بين الناس ليحكمهم ويوجههم إلى الخير ويمنعهم عن الشر.

وكما كان الملك يتمتع بقدسيته بين الأحياء كان أيضا يتمتع بهذه القدسية بين الموتى فهو ملك الدنيا الثانية ، يحكمها وهو مسجى فى تابوته الموضوع داخل هرمه الضخم الكبير ومن حوله تسكن مجموعة كبيرة من رجالات الدولة فى مقابرهم التى شيدوها على هيئة مصاطب حول هذا الهرم ، يعيشون طوال حياتهم الأبدية التى يبدأونها بعد موتهم ، لاهم لهم إلا أحاطه مليكهم الذى يسكن هرمه بنفس الرعاية والتقديس اللذين أحاطوه بهما فى الحياة الأولى حين سكن قصره فى العاصمة.

وعندما أعتنق المصرى عقيده أوزيريس أصبح الملك هو الآخر أوزيريسا يحكم الدنيا الثانية كما حكم الدنيا الأولى. وإذا كان جسده المحنط هو الذى يبقى فى الدنيا الثانية فقد أعتقد المصرى أن ملكه فى شكل من الأشكال المعنوية سوف يصعد إلى السماء حيث يعيش بين مجموعة الألهة التى تسكن هناك ويتحرك كواحد منهم.

أم القعاب :

علم على منطقة أثرية هامة فى جبانة "ابيدوس" على مسافة تقل عن كيلو مترين جنوبى غربى معبد رمسيس الثانى. حفرها علماء الآثار فى القرن الماضى وكشفوا فيها عن مقابر ملوك الأسرتين الأولى والثانية (العصر العتيق) ومن بينها مقبرة الملك "جر" من ملوك الأسرة الأولى التى ظن المصريين القدماء منذ الأسرة ١٢ أنها مدفن المعبود "أوزيريس" وكانوا يقدمون القرابين هناك فى أوانى من الفخار التى تراكمت بقاياة حولها فأطلق عليها الناس هذا الأسم.

وفى الأسرة ٢٦ ، فى أيام الملك "أبريس" قاموا بعمل تحقيق فى هذا الأمر وحفروا مقبرة "جر" ووضعوا فى داخلها تابوتا.

الأمراء :

كان الأبناء والبنات الذين ينحدرون من نسل ملكى يحملون لقب "ابن" أو "بنت الملك" وأمتد هذا الإمتياز فى عصور مختلفة إلى بعض الخاصة ، وفى بداية الأسرة الرابعة أصبح "الأبناء الملكيون" الحقيقيون يعتبرون ضمن كبار الحكام.

وخلال حكم الأسر التالية لقب بعض أبناء تلك الفئة من كبار رجال الدولة، والأقل مكانة، بالأمراء والأميرات. ونستطيع أن نلاحظ وجود "الأبناء الملكيين" نظريا ضمن الحكام المحليين خلال عصر الأنتقال الثانى ، وهو الأسلوب الذى ظل معمولا به فى مراسم الدولة الحديثة حيث كان يلقب الذين يقودون المواكب المقدسة نيابة عن الملك (بالابناء الملكيين لأمون ولنخبت)، ونائب الملك فى النوبة (بالإبن الملكى فى كوش).

ولعلنا نلاحظ أن بعض "البنات الحقيقيات" للملك تظهرن مرتبطات ارتباطا وثيقا بآبائهن على نقوش الآثار ، وفى طقوس العبادة كانت أسماؤهن محاطة بالخراطيش (وهو ما لم يلاحظ مثيلة بالنسبة للأولاد). ولقد صور الأمراء والأميرات حتى البالغين منهم وقد تدلت على أصداغهم خصلة الشعر المستعار كدليل على صباهم.

وخلال فترة حكم الملك "رمسيس الثانى" ، نجده وقد صور المواكب اللانهائية التى يسير فيها أولاده من الجنسين ، كما أنعم على الكثير من أبنائه برتب عسكرية ودينية ، وهذه الظاهرة بالذات لم تتكرر كثيرا خلال حقبات التاريخ المصرى القديم. وفى أواخر حكم الأسرة الثامنة عشرة ظهر من جديد لقب قديم هو "إربع" (فى الأصل كان إرى باعت ويعنى تقريباً: "من كان ضمن النبلاء ملاك الأراضي") وهو يشير إلى الشخصية الأولى بالمملكة.

وأصبحت هذه الصفة تترجم فيما بعد بكلمة أكثر بساطة وهى "الأمير". وأستعملت خلال حكم الرعامسة لكى يميز الملك أحد أبنائه الذى أختاره ليكون القائد الأعلى للجيش ، والوريث المنتظر.

أمستى :

واحد من أربعة معبودات يطلق عليها "أبناء حورس"، أعتقد المصرى أنها تحافظ على سلامة أحشاء الموتى بعد تحنيطها ووضعها فى أوان أربعة للأحشاء "تسمى الكانوبية" ويمثل أمستى برأس آدمى لذكر يلون باللون الأصفر الذى اعتاد المصريون تمثيل بشرة الأنثى به. وكان هذا المعبود فى الأصل يمثل كأنثى ، ومنذ الدولة الحديثة مثل كذكر ذى بشرة صفراء، فهو بذلك يجمع بين صفتى الذكر والأنثى.

أنظر (أبناء حورس)

أمنتت :

أعتبر القوم الآلهة أمنتت حامية للمناطق التى تقع على الشاطئ الغربى للنيل بما فيها من بشر وزرع وحيوان ، وقد صورت على هيئة امرأة تحمل فوق رأسها العلامة الهيروغليفية التى تعنى "الغرب"، ولما كانت الجبانات تقع فى الغرب ، فقد أصبحت هذه الكلمة تعنى أيضا مكان الدفن ، ومن ثم فقد أصبحت أمنتت حامية الموتى فى مقابرهم ، وكانت تقدم لها القرابين من أهل الموتى فى الجبانات ، وأن لم تبلغ من الأهمية قدراً يتطلب إقامة معابد خاصة بها ، ولكنها كحامية للموتى أصبحت من أتباع أوزيريس رب العالم الثانى ، كما أرتبطت بحتحور ، "ربة الغرب الجميل" مقر الموتى.

أمنحوتب الأول :

تولى الملك أمنحتب الحكم بعد وفاة أبيه الملك أحمس وقد حكم عشرين عاما وسبعة شهور طبقا لما ورد فى تاريخ مانيتون وقد وفق مانيتون هنا فى تحديد فترة حكم الملك إذ يذكر نص منقوش فى مقبرة أحد كبار رجال الدولة المدعو أمنمحات فى طيبة أنه خدم ٢١ عاما تحت حكم الملك أمنحتب الأول.

وقد سجل نص وجد على ظهر بردية إيبرس الطبية ظهور نجم الشعرى اليمانية فى العام التاسع من حكم الملك أمنحتب الأول (فى اليوم التاسع من الشهر الحادى عشر) وقد استطاع علماء الفلك والمتخصصون الوصول إلى تاريخ ظهور هذا النجم وهو - فى رأيهم - عام ١٥٣٧ ق.م ولاشك أن تحديد هذا التاريخ قد ساعد إلى التوصل إلى السنوات التقريبية لحكم ملوك الدولة الحديثة. وقد قضى الملك فترة حكمه فى توطيد أركان مملكته. إذ نعرف من تاريخ حياة القائد المصرى أحمس بن السيدة أبانا الذى نقشه على جدران مقبرته بمنطقة الكاب ، أنه عاصر واشترك فى الحروب تحت قيادة كل من أحمس وأمنحتب الأول وتحتمس الأول ، كما نعرف من هذه النقوش أن الملك امنحتب قد قام بحملة عسكرية للقضاء على الثوار فى النوبة ، فنعمت البلاد بالهدوء والطمأنينة فى عهده.

واتجه أمنحتب الأول بعد ذلك إلى إقامة المبانى الدينية فى طيبة من صالات للأعمدة ومقاصير للآلهة ، نذكر منها هنا المقصورة التى أبقى عليها الزمن وهى مصنوعة من الألبستر وقد عثر المهندس الفرنسى شفرييه على أحجارها كاملة داخل الصرح الثالث بالكرنك وهو الصرح الذى أقامه الملك أمنحتب الثالث الذى أمر باستخدام أحجار أكثر من مقصورة كحشو لهذا الصرح ولم يكن يعلم أنه بهذه الطريقة قد حفظ لنا هذه المقاصير من الزوال. وقد أعاد شفرييه بناءها فى المنطقة التى يطلق عليها أصطلاحا "المتحف المفتوح" وتقع شمالا بعد الفناء الأول بمعابد الكرنك. والمقصورة مخصصه لاستراحه المركب المقدس للأله أمون وتتميز المقصورة بنقوشها ومناظرها الجميلة. التى منها ما يمثل موكب المركب المقدس للأله أمون رع رب طيبة. ولا نعرف الأسباب التى دعت المصريين إلى أعتبار الملك أمنحتب الأول مؤسسا لطيبة ، بل أن الفنانين والصناع فى دير المدينة اعتبروه حاميا لهم ورفعوه هو وأمه أحمس نفرتارى إلى مصاف الألهة والآلهات ، وكانت تقدم لهما الدعوات والقربان فى المواسم والأعياد.

لم يعثر على قبره فى وادى الملوك حتى الآن وأن اعتقد البعض أنه فضل منطقة ذراع أبو النجا فى البر الغربى فى طيبة لتكون مقرا أبديا له ، إلا أن القبر الذى ينسبونه إليه فى هذه المنطقة هو قبر غير منقوش وليس فيه ما يؤكد نسبة إلى أمنحتب الأول. على أن أكتشاف معبد تخليد الذكرى له ولأمه بالقرب من الأرض المزروعة فى غرب طيبة يؤكد أن الملك

أمنحتب الأول كان أول من نفذ أسلوبا جديدا يفصل بين المقبرة الصخرية حيث تدفن المومياء ومعبد تخليد ذكراه حيث تقام له الطقوس التى تفيده فى العالم الآخر.

ولم ينجب الملك أمنحتب الأول ذرية من الذكور من زوجته الرئيسية الملكة أعح حتب ، ولكنه أنجب من زوجته الثانوية إبنة تحتمس الذى استطاع أن يتولى الحكم بعد وفاة أبيه وذلك بزواجه من الوارثة الشرعية للبلاد الأميرة أحمس التى كانت تنتمى أغلب الظن للعائلة المالكة.

أمنحوتب الأول : (مقصورة)

انظر الكرنك

أمنحوتب الثانى :

أحد ملوك الأسرة ١٨، تولى الحكم الملك أمنحوتب الثانى بعد وفاة أبيه الملك تحتمس الثالث ، فقد سجل نقش على جدارن فى مقبرة القائد "أمون - أم حب" فى طيبة أن الملك تحتمس الثالث "صعد إلى السماء وإتحد مع الإله رع وإندمجت أعضاؤة الطاهرة مع الذى خلقها. فلما جاء اليوم الثانى وأشرقت الشمس جلس على عرش أبيه الملك أمنحوتب (الثانى) واتخذ لنفسه الألقاب الملكية".

تمثال الملك "امنحوتب الثانى" فى حماية الألهة حتحور - بالمتحف المصرى

وتربى الملك أمنحوتب الثانى تربية رياضية عسكرية - كما هو مسجل على أكثر من لوحة وأثر سواء بالنص أو بالصورة - إذ نرى صورته على أحد جدران مقبرة الضابط مين بطيبة وهو الذى كان يشرف على تربية أمنحوتب العسكرية ويعلمه الرماية ، وهو يوجه الحديث لأمنحوتب قائلاً : "شد القوس حتى أذنك مستعملا كل ما فى ذارعيك من قوة وثبت السهم .. يا أمير أمنحوتب". ونعرف أيضا من لوحة حجرية للملك أمنحوتب الثانى والتى عثر عليها سليم حسن بجوار تمثال أبوالهول عام ١٩٣٦ انه كان مولعا بممارسة أنواع مختلفة من الرياضة البدنية ، وشغوفا بالفروسية، مفتونا بشبابه وقوة عضلاتها ، فلما بلغ الثامنة عشرة كان قد أتقن كل فنون إله الحرب مونتو.

أضطر أمنحوتب الثانى فى العام الثالث من حكمه للقيام على رأس جيشه بحملة حربية إلى سوريا وذلك بعد أن ثارت بعض الولايات هناك بعد توليته عرش مصر وهى ثورات غالبا ما تحدث لجس نبض الملك الجديد ، فإن أخفق فى القضاء على العصاة ، إستطاعت هذه الولايات من أن تتخلص من سيطرة الحكم المصرى وإن قضى عليهم فلم يخسروا شيئا. إذ تسجل لوحة من الجرانيت عثر عليها فى معابد الكرنك أن الملك قضى على الثوار ونكل بهم أشد تنكيل كما نعرف من لوحتا عمدا والفنتين بالنوبة "أن جلالته عاد سعيداً إلى أبيه أمون بعد أن قتل بدبوس قتاله الرؤساء السبعة الذين فى منطقة نحسى وعلقهم مقلوبين على سفينة جلالته.. وقد علق منهم سته على واجهة سور طيبة وأرسل السابع ليعلق على جدار سور نباتا ليكون عبرة تريهم قوة جلالته" وكان نتيجة ذلك -كما هو مذكور على لوحة الكرنك- أن "أتى إليه رؤساء دولة الميتانى وجزيتهم فوق ظهرهم عسى أن يمنحهم جلالته نسمة الحياة". كما ذكرت النصوص أيضاً بأن الملك أمنحوتب قام بحملة ثانية إلى سوريا فى العام السابع من حكمه وحملة ثالثة للقضاء على الفتنة فى فلسطين فى العام التاسع من حكمه.

ومن أشهر الموظفين فى عهدة قن أمون الذى شيد مقبرته فى جبانة شيخ عبد القرنة والتى تميزت جدرانها بالمناظر المختلفة ولعل أهمها الهدايا التى يقدمها قن أمون لملكه أمنحوتب الثانى بمناسبة العام الجديد.

وقد أمر أمنحوتب الثانى بحفر مقبرتـــه فـــى وادى الملوك بطيبة على نفس نظام مقبرة والـــده تحتمـــس الثالث ويعتبر قبره من أجمل ما خلفه فراعنة الأســـرة الثامنة عشرة من المقابر فى طيبة.

أمنحوتب الثانى : (مقبرة- رقم ٣٥)

اتخذت مقـــبرة أمنحوتـــب الثـــانى فـــى أسـلوبها المعمارى نفس النظام بالتقريب الموجود فـــى مقـــبرة تحتمس الثالث أى أنها تتكون من محوريـــن يكونـــان بينهما زاوية قائمة.

اكتشف لوريه هذه المقبرة عام ١٨٩٨ وهى تبدأ مـــن المدخل بسلم هابط يوصل إلى دهليز أو ممر منحدر منحوت فى الصخر A، يوصل إلى حجرة مستطيلة، شكلت أرضيتـــها على هيئة سلم هابط ومنها إلى ممر آخر B,C .

ثم بعد ذلك نصل إلى حجرة البئر D وهى مســـقفة الآن لتسهل الوصول إلى حجرة الدفن. وتتميز حجـــرة البئر هنا بوجود حجرة جانبية مستطيلة E وهى تجديـــد لم نراه من قبل. بعد ذلك نصل إلى غرفـــة مســـتطيلة خالية من المناظر والنصوص ويعتمـــد ســـقفها علـــى عمودين F وينتهى بها المحور الأول ويبدأ بها أيضـــا المحور الثانى. ونجد فى نهاية هذه الصالة على يســـار الداخل درج هابط يوصل إلى ممر قصير G يؤدى إلـــى حجرة الدفن H وحجرة الدفن هنا عبارة عـــن صالـــة كبيرة تشمل على ستة أعمدة فى صفين وبين العمودين

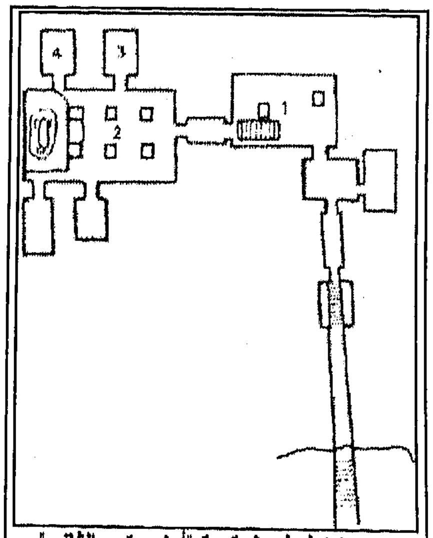

رسم تخطيطى لمقبرة "أمنحوتب الثانى"

الأخيرين درج يؤدى إلى مستوى منخفض يوجد فيـــه التابوت الذى كان يحوى المومياء الملكية حتـــى عـــام ١٩٣٧ ثم نقلت إلى المتحف المصـــرى. وقـــد نحـــت التابوت من الحجر الرملى المتبلور المعـــروف باسـم الكوارتزيت وتكتنف حجرة الدفن أربع حجرات صغيرة. وقد وجد لوريه عام ١٨٩٨ فى الحجرة الثانيـــة علـــى يمين الداخل المعروفة باسم Cache تســـع مومياوات ملكية نذكر منها مومياوات تحتمـــس الرابـــع وســـيتى الثانى وست نخت ورمسيس الثالث ورمسيس الرابع أمـــا الحجرة الأولى على يمين الداخل فكان بها ثلاث موميـــاوات لأشخاص غير معروفين.

وقد زينت حجرة الدفن بالألوان الزاهية ، وقد اتبـــع فيها ما اتبع فى مقبرة تحتمس الثـــالث حتـــى لتبـــدو وكأنها بردية هائلة الحجم مفتوحة ومرسومة بمنـــاظر ونصوص من كتاب ما هو موجود فى العـــالم الآخـــر "امى دوات" أما سقفها فقد لون بـــاللون الأزرق وبـــها نجوم لونت باللون الأصفر أما أعمدة هذه الصالة فقـــد مثل عليها الملك أمنحوتب الثانى وهو يتقبـــل علامـــة الحياة (عنخ) كل من الإله أوزيريس والإله أنوبيـــس والألهة حتحور والجميع ينتمون إلى ألهة العالم الآخر.

أمنحوتب الثالث :

أحد ملوك الأسرة ١٨ خلف تحتمس الرابـــع علـــى عرش مصر إبنه الملك أمنحوتب الثالث. وقد إدعـــى- كما إدعت حتشبسوت من قبل على جدران معبدها فـــى الدير البحرى- أنه ابن الإله آمون رع وقد سجل هـــذه الأسطورة على جدران حجرة الولادة بمعبـــد الأقصـــر فنرى هناك صورة الإله آمون رع وقـــد تجســـد فـــى شخصية تحتمس الرابع الذى يجتمع بزوجتـــه الملكـــة "موت -ام - أويا" لإنجاب ولى العهد الأمير أمنحوتب.

وقد تزوج الملك أمنحوتب الثالث فى السنة الثانيـــة من حكمه من سيدة من عامة الشـــعب ، ليســـت مـــن السلالة الملكية وكان لها أثرهـــا الكبـــير فـــى تـــاريخ الإمبراطورية سواء فى حياة زوجها أو حيـــاة إبنـــها إخناتون. لقد كانت زوجته "تى" ســـيدة لـــها طموحـــها وقوة شخصيتها فاستطاعت أن تتحكم فى سير الأمـــور والأحداث فى الدولة. وقد أستن أمنحوتب الثالث ســـنة

جديدة وهى الاهتمام بتسجيل الأحداث الهامة على ظهور جعارين كبيرة نسبيا ، فهناك مثلا الجعول التى يطلق عليها إصطلاحا جعول الزواج وهى تسجل زواج أمنحوتب الثالث من "تى" وقد نقش عليها ".. الملك أمنحوتب المعطى له الحياة والزوجة الملكية العظيمة "تى" لها الحياة "يويا" هو اسم والدها ، وهى زوجة ملك عظيم تمتد حدوده الجنوبية إلى كارى (بالقرب من نباتا) والشمالية إلى (بلاد) نهرين" ونعرف الآن بعد إكتشاف مقبرة والديها أن الأب كان يعمل كاهنا فى معبد الإله مين فى مدينة أخميم وأن الأم كانت تحمل لقب كبيرة حريم آمون.

ويبدو أن الملكة "تى" كان لها نفوذ كبير وتأثير على الملك أمنحوتب الثالث فقد مثلت بجانبه بنفس حجمه إذ نشاهد فى المتحف المصرى تمثال ضخم يمثل الملك وزوجته تى جالسين جنبا إلى جنب وهو تقليد لم يتبع من قبل عهده بل وذكرت معه على الجعارين التذكارية. إذ أنه من الطريف أن نرى إسم الملكة "تى" واسم والديها مسجلا على جعارين زواجه من كيلوخيبا إبنة الملك الميتانى "شوتارنا" والذى تم فى العام العاشر من حكمه "فى العام العاشر من حكم جلالة الملك أمنحوتب .. والزوجة الملكية الكبرى تى لها الحياة "يويا" هو اسم أبيها و "تويا" هو اسم أمها .. لقد احضرت لجلالتها "كيلو خيبا" إبنة سيد نهرين شوتارنا و ٣١٧ من سيدات حريمها".

وكان أمنحوتب الثالث يلبى -أغلب الظن- كل طلبات زوجته الملكة تى إذ نعرف من نقش على جعران آخر أنه أمر أن تحفر لها بركة كبيرة مساحتها ٣٧٠٠x٧٠٠ ذراع مصرى (الذراع المصرى ٥٢ سم) لكى تتنزه فيها بزورقها هو ووصيفاتها. وقد تم حفر البركة فى أسبوعين. وهو أمر قد يصعب تصديقه وخاصة إذا اتخذنا فى الاعتبار أن البركة المشار إليها هى بركة هابو الواقعة فى البر الغربى بطيبة.

ونعرف أيضاً من نقش على جعران أن الملك كان فى بداية حكمه مولعا بصيد الأسود إذ يذكر النقش أن الملك أمنحوتب إستطاع فى العشر سنوات الأولى من حكمه من صيد ١٠٢ من الأسود المتوحشة ، وهى رواية أيضاً ليس من سبيل إلى تصديقها أو تكذيبها.

كل هذا يوضح لنا حياة الترف والدعة والأستغراق فى الملذات والميل إلى حياة النعومة التى عاشها الملك وأتباعه. فقد فاضت خزائن الدولة بعد أن إستتب الأمن فى الإمبراطورية وتجمعت فى مصر ثروات العالم القديم لإرضاء فرعونها وبدأت مصر تجنى ثمار حروبها التى خاضتها سواء فى آسيا الصغرى أو فى النوبة. كل هذا نراه واضحا فى الفن وفى العمارة ، ففى العمارة الدينية عندما نشاهد معبد الأقصر سواء فى تخطيطه أو فى جمال نقوشه ومناظره. وفى مقابر الأفراد عندما نشاهد بعض المقابر التى ترجع لعصره مثل مقبرة الوزير "رعمس" ومقبرة "خرو - اف" وهو أحد كبار رجال الدولة فى عهد أمنحوتب الثالث وكلها تشهد بجمال المناظر ورقتها وتدل على براعة الفنان المصرى الذى استطاع أن يسجل هذه الروائع من رسوم ونقوش ملونة أو غير ملونة على جدران مقابر هذا العصر.

أمنحوتب الثالث : (مقبرة رقم ٢٢)

تعتبر مقبرة الملك أمنحوتب الثالث من اقدم المقابر الملكية المكتشفة التى تم اكتشافها عام ١٧٩٩ ، ولكن شمبليون استطاع أن يتعرف على صاحبها عند زيارته لها عام ١٨٢٩.

للوصول إلى مقبرة أمنحوتب الثالث ندخل إلى الوادى الغربى وهو وادى موحش لا زرع فيه ولا ماء ونصل إليه من نفس الطريق الذى يوصل إلى الوداى الرئيسى ولكنه يتفرع منه طريق آخر إلى الوادى الغربى وذلك قبل الوصول إلى وادى الملوك بمسافة ٣٦٠ متر.

أغلب نصوص هذه المقبرة ومناظرها فى حالة سيئة ومحفورة فى صخر الجبل ويطلق أهالى الأقصر على هذه الجبانة إسم "جبانة القرود" وذلك لوجود منظر القرود المصور على أحد جدران مقبرة "آى" المحفورة فى نفس الجبانة (رقم ٣٣) والمنظر جزء من المناظر الخاصة بالساعة الأولى من كتاب ما هو موجود فى العالم الآخر "امى - دوات".

وتتكون مقبرة أمنحوتب الثالث من ثلاثة محاور وعلى الرغم من الفترة الطويلة التى حكمها إلا أن أغلب مناظر مقبرته لم يتسع الوقت - أغلب الظن -

لتكملتها. ومن الجدير بالذكر أن هذه المناظر كاملة فى المناطق الهامة الأساسية فى المقبرة مثل حجرة الدفن H والممر الموصل إلى حجرة الدفن G والجدران التى فوق البئر D كما أنه من السهل تتبعها مرسومة بالمداد الأحمر على بعض جدران المقبرة ويبدو أن الوقت لم يتسع لتلوينها. وقد إستطاع لصوص المقابر فى العصر الحديث من نشر وسرقة مناظر تمثل وجه أو رأس الملك أمنحوتب الثالث ويحتمل أن هذه المناظر الهامة التى تمثل وجه أمنحوتب الثالث فى حيازة بعض الأفراد المهتمين بالآثار المصرية كتحف شخصية لديهم وليست كتراث قومى يجب دراسته بل وتدريسه .

تبدأ المقبرة من المدخل حتى الحجرة ذات العمودين E فى اتجاه جنوب شرقى ثم نتجه بعد ذلك إلى الشمال الشرقى حتى حجرة الدفن H ومنها نتجه ثانية إلى الجنوب الشرقى.

تبدأ المقبرة بسلم هابط يوصل إلى الممر A الذى يوصل إلى حجرة شكلت أرضيتها على هيئة سلم B ، نجد نيشين على جانبيها. بعد ذلك نصل إلى الممر C والممرات السابقة كلها خالية من المناظر. بعد ذلك نصل إلى البئر D ويجب هنا ملاحظة المناظر المرسومة والملونة بأعلى جدران حجرة البئر والتى تمثل الملك ومعه قرينة وقد شكل فى صورة تمثل أمنحوتب الثالث ، ويميزه عنه رمز "الكا" الموضوع فوق رأسه. ثم مناظر تمثل الملك يستقبل علامة الحيلة "عنخ" من كل من أنوبيس وآلهة الغرب "أمنتت" ومن الإله أوزيريس. كما نشاهد على يمين الداخل الملك ومعه قرينه أمام الألهة نوت التى تحييه كذلك نشاهده مع كل من أنوبيس وأمنتت وأوزيريس.

بعد ذلك نصل إلى حجرة ذات عمودين E ينتهى بها المحور الأول ويبدأ منها المحور الثانى والحجرة خالية من المناظر والنصوص وبها سلم هابط يوصل إلى الممر F الذى ينتهى بدرج منحدر يوصل إلى الحجرة (ومن الطريف أن نعلم أن عدد الدرجات فى كل سلم هو ١٦ درجة). تتميز جدران الحجرة G بمناظرها المختلفة التى تشابه إلى حد كبير ما شاهدناه بأعلى جدران حجرة البئر والمناظر هنا تمثل الملك مع كل من الألهة حتحور والألهة نوت والألهة أمنتت والإله أوزيريس ، كما يلاحظ أنه على يمين الداخل يوجد جرافيتى من العصر الحديث.

بعد ذلك نصل إلى حجرة الدفن H التى يبدأ بها المحور الثالث ونجد بها ستة أعمدة فى صفين ، كما أنها مزودة بسبع حجرات جانبية بأحجام مختلفة ، حجرتان على يمين الداخل وثلاثة على يسار الداخل ، ثم حجرتان نصل إليهما عن طريق مدخل فى نهاية حجرة الدفن. كما يلاحظ أيضا المنخفض الذى نصل إليه عن طريق درج صغير بين العمودين الخامس والسادس حيث يوجد التابوت وقد تحطم غطاءه الآن.

على جدران حجرة الدفن نجد مناظر ونصوص من كتاب مع هو موجود فى العالم الآخر "امى-دوات" كذلك نجد للمرة الأخيرة هنا التقليد المميز للبردية المفتوحة والتى شاهدناها من قبل فى كل من مقبرة تحتمس الثالث وأمنحوتب الثانى.

تمثل واجهات أعمدة حجرة الدفن هنا الملك أمنحوتب الثالث فى علاقاته المختلفة مع الألهة وآلهات العالم الآخر مثل أوزيريس وأنوبيس وحتحور وأمنتت.

أمنحوتب الرابع (إخناتون) :

بدأ أمنحوتب الرابع الحكم فى طيبة وكان عمره لا يزيد عن ستة عشرة عاما فعاونته أمه تى فى السنوات الأولى من حكمه. وقد بدأ حياته مثل أسلافه من الملوك فى ذلك الوقت بتقديم الولاء لأله الدولة آمون بل وإتخذ لنفسه الألقاب الخمسة التقليدية المتوارثة. ثم تزوج من نفرتيتى وهى إمرأة معروفة بجمالها وجاذبيتها وإن كانت جنسيتها للآن موضع نقاش بين الآثريين فمنهم من يعتقد أنها مصرية ومنهم من يرى أنها ميتانية وإن كان الرأى المقبول الآن أن نفرتيتى هى إبنة الضابط "آى" الذى ترك لنا مقبرة تحمل اسمه منحوتة فى الصخر فى جبانه تل العمارنة ولم يدفن فيها وهو نفس الشخص الذى تولى الحكم بعد ذلك باسم الملك آى وحفر لنفسه مقبرة ملكية فى وادى الملوك الغربى. إذ نرى على جدران مقبرته فى تل العمارنة أن زوجته تفخر بأنها مرضعه نفرتيتى ويعتقد أنها ربما تكون زوجة"آى" الثانية التى تزوجها بعد وفاة والده نفرتيتى، زوجته الأولى التى ماتت ونفرتيتى طفلة صغيرة فقامت الزوجة الثانية بارضاعها وخاصة أننا نجد على جدران نفس هذه المقبرة أسم أخت نفرتيتى المدعوة "موت نجمت".

وما كادت الأمور تستتب لإخناتون حتى بدأ يفكر فى دينه الجديد والدعوة له ، إلى إله واحد يكمن فى قرص الشمس أطلق عليه أتون ، ولم يكن أتون هذا سوى صورة جديدة لأحد ظواهر الشمس المختلفة المعروفة من قبل إتخذ أسماء جديدة ظهر أول ما ظهر فى الدولة الوسطى وعلى وجه التحديد فى الأسرة الثانية عشرة بمفهومين الأول كوكب الشمس والثانى الإله المقيم فى هذا الكوكب وإستمر أتون بهذين المعنيين حتى جاء إخناتون وحرره من المعنى الأول وأختار له المعنى الثانى بل وحلت كلمة أتون محل إله (نتر) فى اللغة المصرية القديمة. ويبدو أن كهنة الإله أمون فى بداية الأمر قد أضطروا إلى أن يسمحوا للملك ببناء معبد لألهة أتون بعد أن لاحظوا أن أتون لم يكن سوى صورة أخرى لأله مدينة عين شمس القديم رع. ودخل أتون الكرنك معقل الإله أمون. وشيد إخناتون له معبدا ضخما شرق معبد أمون فى الكرنك ، وفسر كهنة أمون هذا الرضى على أساس أن إلههم هو الإله الأكبر أمون - رع إله الدولة المحبوب فى جميع أنحاء مصر بل وخارجها وأن أتون لم يكن فى هذه الفترة فى رأيهم إلا إلها جديداً يبحث عن أتباع له ومتعبدين وهكذا دخل أتون حرم الكرنك وأعترف به بين آلهة المصريين.

أولى إخناتون كل إهتمامه إلى الدعوة لعبادة أتون وإختاره كإله لنفسه وعكف على عبادته وإتخذ لنفسه لقب "الخادم الأول للإله رع حور آختى الذى يهنأ فى الأفق باسمه النور (شو) الموجود فى أتون" ، ليكون الوحيد الذى يقوم بخدمة الإله أتون. فقد كان إخناتون وعائلته فقط هم الذين يتعبدون للإله أتون أما رعيته فكانوا يتعبدون لإخناتون نفسه كإله حاكم. فقد ذكرت النصوص أن هناك كاهنا يقوم على خدمة الملك فى حياته يحمل نفس اللقب الذى حمله إخناتون بالنسبة لأتون وهو "الخادم الأول للإله نفر- خبرو رع - وع - ان - رع" وهو أسم العرش للملك إخناتون.

بدأ كهنة أمون يعرفون أن الإله الجديد يختلف - سواء فى شكله أو تعاليمه. عن الألهة المصرية فهو لم يجسد فى صورة بشرية إلا فى بداية الأمر وفى حالات نادرة ولا هو متجسد فى صورة حيوانية كأغلب آلهتهم بل هو الحرارة الكامنة فى قرص الشمس التى تهب الناس الحياة وتغمرهم بالسعادة وقد فضل إخناتون له الصورة التى أقرتها الماعت (إلهة الحق والصدق والعدل) وشاهدتها عيناه مع بعض الإضافات الفنية ذات الصبغة الدينية فنجده قد صورة كقرص للشمس يتوسطه الصل الملكى ويخرج من القرص الأشعة على شكل خطوط تنتهى كل منها بيد إنسانية يمسك البعض منها أحد رمزين إحداهما للحياة والآخر للسعادة ، متوجهين بهما إلى أنف الملك وأنف الملكة فقط. وقد يعنى هذا أن الإله أتون يصبغ نعمته عليهما وهما بدورهما يهبانها إلى أفراد الشعب المتعبدين. وقد ذكر أسم آتون أولاً ككل الألهة المصرية بدون الخرطوش ، ثم ظهرت مرحلة ثانية هى الأولى من نوعها فى التاريخ الفرعونى وهى وضع الأسم الكامل لأتون داخل خرطوشين تماما مثل أسماء الملوك المصريين أى عومل أتون كملك مصرى، بل وتأكيداً لهذا المعنى ظهرت مرحلة جديدة هى إضافة الأدعية التى غالبا ما تضاف إلى أسماء فراعنة مصر إلى أسم أتون مثل "فليعطى الحياة إلى الأبد".

اصبحت نوايا إخناتون الآن واضحة أمام الكهنة فاخذوا يحيكون له المؤامرات والدسائس للقضاء عليه وعلى دينه الجديد ، ولم يمنعه هذا من الأستمرار فيه وأعلنها حربا لا هوادة فيها على أمون وكهنته وغير أسمه من أمنحوتب بمعنى (الإله أمون راضى) إلى إخناتون أى (المفيد للإله أتون). ثم تتبع أمون على جميع المعابد والأماكن المقدسة ومحاه ليس فى طيبة فقط بل فى أغلب أنحاء مصر حتى فى أسمه نفسه الذى غيره - كما ذكرت فى العام السادس من حكمه. ثم أعلن دينه الجديد دينا للدولة ولكنه لم يستطيع البقاء فى طيبة بعد ذلك فتركها وذهب إلى مكان جديد شيده لنفسه ولعائلته ومن تبعه وأطلق عليه "أفق أتون" وهى المدينة المعروفة بتل العمارنة على البر الشرقى للنيل بالقرب من ملوى.

وفى تل العمارنة أقام إخناتون أربعة عشرة لوحة منقوشة ومنقورة فى الصخر لتحدد غرباً وشرقاً حدود عاصمته الجديدة كما أقام هناك المعابد للإله أتون ، كما أمر بتشييد مقبرة ملكية جماعية له ولأفراد عائلته. أما مقابر الأشراف فى عهده فهى منقورة فى صخر الجبل الشرقى فى تل العمارنه. وهى مميزة عن مقابر

النبلاء فى طيبة. فجدران مقابر الأشراف فى العمارنة مزينة بالمناظر العديدة للملك وأفراد عائلته بأحجام كبيرة أما أصحاب المقابر فقد صوروا بأحجام صغيرة ، أما فى طيبة فقد زينت جدران مقابر الأشراف بالمناظر الدنيوية والدينية والجنزية وقد أتخذ المتوفى صاحب المقبرة فى جميع هذه المناظر مكانه بحجم كبير واضح.

الملك أخناتون

يعتقد البعض أن الفن الأتونى فى عهد إخناتون يمثل الحقيقة التى عاش فيها الملك ، فتماثيله الضخمة الموجودة حاليا بالمتحف المصرى تظهر "الماعت" (أى الحقيقة) بطريقة مبالغ فيها ، فهى تظهر الملك بجسده الضعيف ووجهة النحيل ذى التقاطيع الرقيقة وعينيه المتأملتين وفخذيه المتكورتين ، بمعنى آخر تظهر الملك فى شكله الذى يمثله - أغلب الظن - فى الواقع وليس فى ذلك الإطار الذى يظهر الفرد فى أحسن صورة وهو الفن الذى كان متبعا من قبل عهده ثم أتبع أيضاً بعد عهده على أن هناك مناظر تؤكد أن فنانى عصر إخناتون قد بدأوا أيضاً فى بداية حكمه بتصويره داخل ذلك الإطار المثالى وهو صورة قد لا تنطبق على ما يمثله فى الواقع.

لم يكن إخناتون ملكا محاربا فأهمل السياسة الخارجية للإمبراطورية وبدأت مصر فى عهده تفقد سيطرتها على الجزء الشمالى من إمبراطوريتها ، فقد أهتم إخناتون بدينه وعقيدته وأهمل رسائل الحكام الذين يستغيثون به ويطلبون منه العون ولم يهتم بمقابلة الرسل الذين أتوا من أسيا لمقابلته. فاستغل الملك الحيثى سوبيلوليوماس الموقف وأحتل سوريا كلها وبسط سيطرته على دولة الميتانى. وكل هذا ولم يتحرك فرعون مصر للدفاع عن أمبراطوريته ، فسقطت المدن الفينيقية الواحدة تلو الأخرى حتى أن أهالى إحدى المدن وهم أهالى بلده تونيب أرسلوا أكثر من عشرين رسالة لفرعون مصر يستنجدون به "والآن فإن مدينتك تونيب تبكى ودموعها تسيل ولا ناصر لها. لقد أرسلنا عشرين رسالة إلى مولانا فرعون مصر ولا من مجيب".

مات إخناتون وهو لا يزال شابا فى الثانية والثلاثين من عمره ، مات الملك الإله ولهذا لم يستطيع أتباعه من الأستمرار فى دينهم. فقد مات إخناتون ومات معه دينه وعقيدته إذ بموته فقدت الرعية الرمز الحى الذى يتعبدون إليه وبالتالى فقدوا وسيلة الاتصال بالإله آتون.

أنظر أتون

أمنحوتب بن حابو :

بدأ حياته كاتبا يشرف على تسجيل أسماء المجندين فى عصر الملك أمنحوتب الثالث (الأسرة ١٨) ثم تولى شئونا كثيرة منها أقامه تمثالين ضخمين أمام صرح معبد الملك فى طيبه الغربية هما المعروفان حاليا باسم تمثالى ممنون، وإقامة تماثيل ضخمة أخرى للملك فى معبد الكرنك، وكان حكيما فتن أهل عصره بحكمته كما كان متبحرا فى شئون الطب. أكرمه مليكه فسمح له بتشييد معبد جنازى صغير إلى جوار معبده الكبير، وكان هذا أكبر تكريم يحلم به مصرى ، كما سمح له فرعون مصر بأن يقيم لنفسه عده تماثيل فى معبد أمون بالكرنك. منهم تمثالان له بالمتحف المصرى يمثلانه فى وضع الكاتب مرة فى شبابه ، ومرة أخرى فى سن متقدمه.

أمنحوتب بن حابو

مات فى العام الرابع والثلاثين من حكم أمنحوتب الثالث، إلا أن ذكراه بقيت عالقة فى نفوس الأجيال ولم تلبث أن رفعت من قدرة وأوصلته إلى مصاف المعبودات فى عصر الأسرة الحادية والعشرين ، وشيد له معبد صغير على مقربة من منطقة الدير البحرى، كما شيد له معبد آخر فى منطقة دير المدينة. وقد أشتهر بين الناس وزاد تعلقهم بذكراه فى عصر البطالمة وخاصة بطليموس التاسع والحادى عشر. ومن الملاحظ أن عبادته بقيت فى طيبة الغربية ولم تتعد حدودها.

أمنمؤوبى :

أحد حكماء المصريين الذين عاشوا حوالى القرن العاشر قبل الميلاد ، ولم يكن ممن تمتعوا بالمناصب الكبرى ، إذ كان يشغل وظيفة ناظر على شونه الحبوب فى أبيدوس ، وقد كتب حكمه الغالية إلى ابنه على هيئة وصايا ونصائح "لتعليمه كيف يجيب على سؤال من يسأله ، وكيف يكتب تقريرا لرئيسة ، ولكى ترشده إلى سبل الحياة وتجعله يسعد على الأرض".

ولهذه الحكم شهرة كبيرة لأن أكثر علماء الآثار الذين درسوها يعتقدون أنها اصل سفر الأمثال فى التوارة.

وكتب وصاياه هذه فى "بردية أمنمؤوبى" إشتراها العالم الأنجليزى والس "بدج" عام ١٨٨٨ ، ونشرها وعلق عليها أكثر من عالم.

انظر الأدب المصرى القديم.

أمنمحات الأول :

فى عام ١٩٩١ ق.م. إستولى الوزير أمنمحات على الحكم واتخذ لنفسه لقب سحتب إيب رع أى المسبب الرضا لقلب رع وفى نفس الوقت إحتفظ باسمه الأصلى المعروف لنا وأسس الأسرة الثانية عشرة وأصبح يعرف باسم الملك أمنمحات الأول وان كانت ظروف إستيلائه على العرش لازالت حتى الآن غامضة وإن كنا نعتقد أنه لا يمت للدم الملكى بصله بل كان رجلاً عصامياً من الشعب قابل الكثير من المصاعب وقابلها بحدة ذكاؤه. والمعروفة لنا باسم تنبوءات "نفرتى" والتى ترجع إلى أوائل هذه الأسرة وإلى عصر هذا الملك بالذات والتى كتبت أغلب الظن - كدعاية سياسية لحماية الملك أمنمحات الأول إذ أراد الكاتب أن يقنع أفراد الشعب بأن إستيلاء هذا الفرعون على الحكم هو تحقيق لنبوءة تمت فى عهد الملك سنفرو الذى طلب من رئيس كهنة الألهة باستت الكاهن "نفرتى" أن يحيطه علماً بما سيحدث فى المستقبل فيشرح الكاهن له بأن الفوضى سوف تعم البلاد ثم ينقذها الملك أمنمحات الأول.

وتلك فقرة من هذه البردية:

"سوف يظهر ملك من أهل الجنوب يدعى أمينى ، أبن سيدة من تاستى ، يولد فى الصعيد ، ولسوف يتلقى التاج الأبيض ويتوج بالتاج الأحمر".

"فإسعدوا إذن يا أهل عصره ، ولسوف يعمل أبن الإنسان على تخليد سمعته إلى الأبد. ولن يستطيع حينذاك أن يدخلوا مصر ، عنوة. أنما سوف يستجدون الماء منها كمألوف عادتهم. ولسوف يستقر الحق فى نصابه ويزهق الباطل. سعيد من رآه وخدمه".

بمعنى آخر أن إختيار أمينى (وهو أسم مختصر لأمنمحات الأول) تم بإرادة الألهة وبفضلهم لإنقاذ مصر مما كانت فيه من فوضى فى نهاية الأسرة الحادية عشرة.

إنتشل الملك أمنمحات مصر من الفوضى التى كانت تعيش فيها فى الأيام الأخيرة من حكم الملك منتوحتب الرابع وأمر بتنظيم الشئون الداخلية ووضع الحدود بين حكام الأقاليم وجيرانها ونقل عاصمة الملك من الجنوب (طيبه) إلى الشمال إلى مدينة عرفت لنا باسم "إثت تاوى" أى القابضة على الأرضين وإن كنا لا نعلم تماماً

موقع هذه العاصمة ولكن أغلب الظن أنها تقع بالقرب من منطقة اللشت وهى المنطقة التى إختارها الملك أمنمحات مكاناً لبناء هرمه وذلك لوقوعها فى قلب الأرضين وقد أهتم الملك فى العشرين عاماً التى حكمها بمفرده بالأهتمام بمعابد الآلهة سواء فى طيبة أو فى تل بسطة أو فى مدينة الفيوم وإن كان قد أهتم أكثر بمدينة اللشت إذ إختارها ليشيد مجموعته الهرمية. كما أهتم بالنواحى السياسية والإجتماعية والإدارية فى الدولة.

أشرك الملك أمنمحات الأول إبنه سنوسرت الأول فى الحكم بعد أن ظل يحكم منفرداً ما يقرب من عشرين عاماً وهنا بدأ الوضع يتغير فقد قام سنوسرت الأول فى العام الرابع والعشرين من حكم أبيه أى فى العام الرابع من إشتراكه فى الحكم بحمله حربية إلى فلسطين وفى العام التاسع والعشرين قام بحملة أخرى إلى النوبة لتوطيد نفوذ مصر هناك وفى العام الثلاثين قام بحملة حربية إلى منطقة "تمحو" (ليبيا) وفى طريق عودته منتصراً وصل رسول من القصر يحمل نبأ مقتل الملك أمنمحات الأول. والقصة نعرفها كاملة من بردية سنوهى الذى يحتمل إنه كان على صلة قرابه بالملك والذى فر عندما سمع هذا الخبر إلى فلسطين ومنها إلى لبنان وعاش هناك إلى أن أصبح شيخ قبيلة ولكنه حن فى أواخر أيامه إلى العودة لمصر فحقق له الملك سنوسرت الأول هذه الرغبة. ونعرف من بردية سنوهى "أن الملك مات فى اليوم السابع من الشهر الثالث من شهور الفيضان فى العام الثلاثين" ويرى هيز أن هذا التاريخ يوافق الخامس عشر من فبراير سنة ١٩٦٢ ق.م. أى أن سنوسرت ظل يحكم تسع سنوات مع أبيه فى الحكم. هذه النهاية المؤلمة للملك أمنمحات الأول نعرفها أيضا من بردية عرفت لنا اصطلاحا باسم نصائح الملك أمنمحات الأول لابنه. والذى يشرح له فيها أمور الحكم ويوضح له كيف قام الأعداء بقتله ، ولاشك أن البردية قد كتبت بعد موت الملك وقد ظهرت وكأنها على لسانه من العالم الآخر وعلى الرغم من أن موت أمنمحات الأول كان فى عام ١٩٦٢ ق.م. إلا أن البرديات المختلفة التى بها نص هذه النصائح ترجع للدولة الحديثة ويبدو أن هذا النص كان محبباً إلى قلوب المصريين لدرجة أنه أصبح يدرس للتلاميذ فى الدولة الحديثة. وفى هذه البردية يقص الملك أمنمحات لأبنه سنوسرت كيف قام الأعداء بقتله فيقول:

"بعد تناول العشاء وحلول الليل ذهبت للنوم لأنى كنت متعباً وفجأة سمعت قعقعة الأسلحة ولقد كنت وحيداً ورأيت اشتباك الحراس مع الأعداء ولو أنى أسرعت وبيدى سلاحى لقاتلت هؤلاء الجبناء. ولكن لا شجاع فى الليل ولا قتال من كان وحده ، فلقد حدث ما حدث وأنا وحيد بدونك". ويتابع الملك فينصحه ألا يظهر بين رعاياه وحيداً ويوضح له "أن الذى أكل طعامى هو الذى حرض الجنود على والذى أطعمته هو نفسه الذى شجع الثورة" ، وأخيراً يوصيه بالخير ويتمنى له التوفيق.

أمنمحات الثانى :

ثالث ملوك الأسرة الثانية عشرة ، أشترك مع أبيه فى الحكم لمدة ثلاث سنوات. نعمت البلاد فى عصره بالهدوء وقامت صلات المودة بينها وبين مناطق سوريا وفلسطين وتبادلت الهدايا معها. عنى أيضا باستغلال المناجم فى سيناء والصحراء الشرقية ، واضطر إلى إرسال البعثات لتامين مناطقها من عبث البدو.

أمنمحات الثالث :

كان لكل ما قام به والده سنوسرت الثالث سواء فى الداخل من إصلاحات أو فى الخارج من حروب الأثر فى حياة الرخاء والسلام التى عاشها إبنه أمنمحات الثالث كملك لمصر وإستمرت ٤٥ عاماً وهبها كلها للنواحى الإقتصادية لمنفعة البلاد.

فقد أهتم بإرسال البعثات إلى مناجم سيناء لأستغلال النحاس والفيروز إذ عثر هناك على أكثر من ٥٩ نقشاً سجلها رؤساء العمال هناك باسمه وترجع لعهده. كذلك أرسل البعثات إلى محاجر وادى الحمامات لأستخراج حجر البازلت وإلى محاجر طرة لأستخراج الحجر الجيرى الأبيض وإلى النوبة لأستخراج الذهب.

وأهتم أيضا بمشروعات الرى فاكمل ما بدأه جده سنوسرت الثانى من إستصلاح للأراضى التى تغمرها بحيرة ميريس Moeris (قارون حاليا) فاقام الجسور لتحديد البحيرة وأمر بتجفيف مساحات كبيرة من الأراضي (٢٧ ألف فدان بالتقريب) لأستخدامها فى الزراعة كما فكر فى الأستفادة من المياه الزائدة شيده

وذلك بتخزينها فى البحيرة وتوجيهها فى أيام التحاريق إلى مجرى النيل وذلك بواسطة فتحات فى سدود تفتح عند الحاجة إليها.

شيد الملك أمنمحات هرمين له - كما فعل سنفرو من قبل-الأول فى دهشور والثانى فى هوارة بالقرب من الفيوم. وكان للمعبد الجنزى لهذا الهرم شهرة واسعة فى العصرين البطلمى والرومانى وذلك لعظمته وتعدد حجراته فاطلقوا عليه إسم اللابيرانت نسبة إلى قصر اللابرانت الذى أقامه الملك مينوس فى كنوسوس بجزيرة كريت. إلا أن تدمير المعبد الجنزى الكامل كان العقبة الكبرى فى سبيل الحصول على تفاصيل وتخطيط هذا المعبد.

أمنمحات الثالث : (هرم)

أمنمحات الثالث من ملوك الأسرة ١٢ والذى قام بالكثير من الإصلاحات فى الفيوم وبخاصة فى مجال إستصلاح الأرض وتنظيم الرى. وقد دفن هذا الملك فى هرم هوارة (على الهضبة قريبا من بلده هوارة المقطع) وليس فى هرمه الآخر فى منطقة دهشور.

ذكر هيرودوت الذى زار إقليم الفيوم فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد أن ارتفاع هذا الهرم ٧٣ مترا ولكن الحقيقة أنه كان ٥٨ مترا فقط وطول كل ضلع من أضلاعه يزيد قليلا من مائة متر وزاوية ميله ٤٥ ً ٤٨ ْ وهو مشيد بالطوب اللبن حول جدران متقاطعة من الحجر الجيرى الأبيض ، وكان للهرم كساء من الحجر الجيرى زال الآن ولم تبق من الهرم إلا كومة عالية من الطوب.

كان مدخله فى الجهة الجنوبية ونجح مهندسه فى عمل تعقيدات كثيرة من ممراته الداخلية لتضليل اللصوص وتعجيزهم، ولكنهم رغم ذلك نجحوا فى ثقب الكتل الحجرية الكبيرة ووصلوا إلى حجرة الدفن التى كانت من كتلة ضخمة واحدة من الحجر الكوارتزى طولها من الداخل ٧ أمتار وعرضها ٢,٥٠ مترا وسمك جدرانها ٥٥ سم ووزنها لا يقل عن ١١٠ طنا.

نهب اللصوص كل ما اعتقدوا أنه ثمين ثم أوقدوا حريقا أتى على ما تركوه وراءهم ولكن رغم ذلك عثر "فلندرز بترى" عام ١٨٨٩ فى داخل الهرم على أوانى مرمرية وعلى بعضها أسم هذا الملك.

ولم يعثر لهذا الهرم على معبد واد أو طريق صاعد، وكان المبنى الشهير المعروف باسم اللابيرانت فى الجهة الجنوبية منه وكان المعبد الجنازى متصلا بذلك المبنى.

وفى عام ١٩٥٦ قامت مصلحة الآثار بالحفر فى بقايا منطقة أثرية فى الجنوب الشرقى من الهرم وأتضح أنها مقبرة للأميرة "بتاح نفرو" إبنه أمنمحات الثالث وعثر فيها على تابوت كبير من الجرانيت الأحمر وبعض الأوانى الفضية وعقد كبير من الذهب والأحجار نصف الكريمة ، وعلى حزام وأساور من الذهب وغيرها وهى الآن بالمتحف المصرى.

وتوجد حول هذا الهرم جبانات كثيرة حفرها "بترى" ويرجع تاريخ أكثرها إلى العصرين البطلمى والرومانى لأن سكان مدينة الفيوم استخدموها جبانة لهم على مدى قرون كثيرة.

أمنمحات الثالث : (تماثيل)

ظهر فى عهد الملك أمنمحات الثالث تماثيل تمثل الملك فى صورة أسد راقد بوجه بشرى، تعلوه مسحه واضحة من العظمة والوقار والذقن الملكية المستعارة. ولعل الجديد هنا هو ظهور معرفة الأسد وأذنيه بدلا من لباس النمس الذى شاهدناه من قبل فى تمثال أبو الهول القائم فى جبانة الجيزة والذى يمثل الملك خفرع.

ويعتقد البعض أن هذا الشكل له مغزى دينى يشير إلى الولادة المقدسة التى يبتغيها الملك فى العالم الآخر، ويفضل البعض الرأى القائل بأن الملك هنا بهذا الشكل لا يمثل الملك بجسم أسد ولكنه يمثل أسد بوجه إنسان، دلالة على قوة الملك القادر على تمزيق كل من يتعرض لسلطانه. وقد تم العثور على أربعة تماثيل بهذا الشكل يزيد طول كل منها عن مترين (٢٢٥ سم)

ويرتفع كل منها ١٤٠ سم. كما عثر أيضا على بقايا أخرى تشير إلى ثلاثة تماثيل أخرى. وقد نحتت هذه التماثيل من حجر الجرانيت الأسود ، ويوجد على بعضها بقايا ألوان.

ويرى البعض أن هذه التماثيل كانت موجودة أصلا فى معبد الآلهة القطه باستت فى مدينة تل بسطة (الزقازيق) إلى أن أغتصبها الملك رمسيس الثانى الذى نقلها إلى عاصمته فى شرق الدلتا ثم أغتصبها ثانية الملك بسوسينس الأول أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين فنقلها إلى تانيس، إلى أن أكتشفها ماريت هناك عام ١٨٦١. وهناك إعتقاد خاطئ أن هذه التماثيل تنتمى لملوك الهكسوس وذلك لشكلها الفريد الغير مألوف فى التماثيل المصرية. وقد أثبتت الأبحاث أنها تنتمى إلى الملك أمنمحات الثالث. وقد نقش على بعضها أسماء الملوك رمسيس الثانى ومرنبتاح وبسوسينس الأول والتماثيل معروضة فى المتحف المصرى.

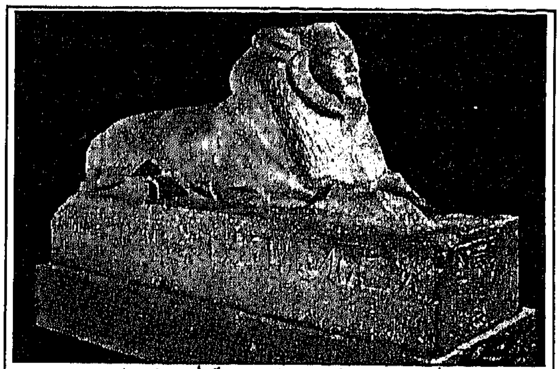
أمنمحات الثالث على هيئة أبو الهول

وهناك مجموعة فريدة من حجر الجرانيت الأسود عثر عليها أيضا فى مدينة تانيس (صان الحجر) يطلق عليها أصطلاحا "مقدما القربان" تمثل المجموعة تمثالين جنبا إلى جنب وقد إلتصق كتف كل منهما بالأخر. والمجموعة تمثل نيلى الشمال والجنوب يحملان حاصلات البلاد وخيراتها من طيور ماء وأسماك وزهور لوتس. يلاحظ الشعر المستعار الفريد التشكيل والذقن الطويلة. ويعتقد أن هذه المجموعة ترجع إلى عهد الملك أمنمحات الثالث ثم أغتصبها بعد ذلك - أغلب الظن - الملك بسوسينس الأول ونقلها إلى تانيس حيث عثر عليها هناك والمجموعة أرتفاعها ١٦٠ سم ومعروضة بالمتحف المصرى.

مقدما القرابين

أمنمحات الرابع :

سابع ملوك الأسرة الثانية عشرة. اشترك فى الحكم مع أبيه بضع سنوات، ولم يكن عصره القصير سوى النهاية المحزنة لأسرة عظيمة تمكنت من أن تعيد لمصر عظمتها وقوتها وأزدهارها. لا نعرف عن عهده إلا القليل الذى ورد فى تسجيلات بعض موظفيه الذين خرجوا على رأس بعثات لتعدين الذهب من النوبة والى محاجر وادى الهودى على مقربة من أسوان لأستحضار الجمشت والمعبد الذى أقامة فى مدينة ماضى فى الفيوم أثناء أشتراكه مع أبيه فى حكم البلاد.

أمنمحب :

أحد قواد الملك تحوتمس الثالث الذين وصلوا إلى أعظم مراتب الجندية لشجاعته ومواقفه النادرة مع هذا

الملك المحارب الذى أمضى معظم عهده يقاتل ويناضل فى سبيل تدعيم أركان الإمبراطورية المصرية. ولقد ترك "أمنمحب" تاريخ حياته مسجلا بالتفصيل على جدران مقبرته رقم ٨٥ فى جبانة الشيخ عبد القرنه على البر الغربى لمدينة طيبة. ومنه نعرف الكثير عن مواقفه النادرة، فمثلا نعرف أنه كان أول من صعد السلم ووصل إلى أعلا حصن قادش مخترقا صفوف الأعداء ومن ورائه جنده البواسل، وكذلك نعرف أنه هاجم فيلا ضخما كان قد أنطلق مهاجما الملك تحوتمس الثالث، فتبعه الفيل ونجا الملك بأعجوبة واستطاع أمنمحب أن ينجوا أيضا بعد أن ضرب خرطومه بسيفه، ومات هذا القائد فى أوائل عصر الملك أمنحوتب الثانى.

أمـــون :

لعل أول الأدلة الأثرية التى ورد فيها أسم الإله أمون إنما هى عدة فقرات من نصوص الأهرام من عهد الدولة القديمة،ويذهب "دوما" إلى أن أمون قد ذكر، للمرة الأولى، على أثر من طيبة يرجع إلى أيام "ببى الأول" من الأسرة السادسة، وكان سيد طيبة وقت ذلك، ومع ذلك، فالأسلم أن نعتبره فى عهد الدولة القديمة إلها مغمورا لقرية، صغيرة فى الصعيد، ولم يكن هناك ما يشير إلى أنه سوف يكسب ما ناله من شهرة فيما بعد، كما أن جاره الإله "مونتو" معبود أرمنت كان أشهر منه، ويذهب البعض إلى أنه ظل كذلك حتى عهد الأسرة الحادية عشرة حيث اصبح معبود الإقليم، كما أصبح معبود للأسرة الحاكمة.

هذا ويذهب بعض الباحثين إلى أن الموطن الأصلى للإله أمون إنما كان فى مدينة الأشمونين، وأن ملوك الأسرة الحادية عشرة والثانية عشرة، هم الذين أتوا به إلى طيبة، ثم أخذت شهرته تنتشر حتى طغى على جميع الألهة المصرية وعلى أى حال، فلقد تمكن أمون من أن يتبوأ مكانه ممتازة فى الدولة، عندما نجح أمنمحات الأول (أمون فى المقدمة) من تاسيس الأسرة الثانية عشرة. بعد أن كان إلها يكاد يكون مجهولا، أو على الأقل لم يكن له نفوذ سياسى فى مصر، ثم سرعان ما أصبح ، بعد حين من الدهر الإله الرسمى للدولة.

هذا وقد مزج الإله أمون والإله رع تحت اسم "أمون رع" منذ بداية الأسرة الثانية عشرة ، بغية أن يكتسب أمون صفات رع ونفوذه القوى بين الناس، وحتى يمكن عبادته وقبول طبيعته كرع. وإذ كان من العسير على الناس فهم معنى الخفاء والغموض التى يقدمها اسمه، ولم يكن المزج بالإله رع ، يرجع إلى طبيعة أمون كإله للهواء، وان القوة الخلاقة فى الهواء ومثيلتها فى الشمس واحدة، وأن رفعه إلى مرتبة الإله الأعظم كان على أساس أنه لا توجد قوة فى الكون تبارى مزج الشمس والهواء، ذلك لأن صفة أمون كإله للهواء لم تظهر إلا متأخرا عند مزجه برع، وذلك منذ بداية الأسرة الثانية عشرة، وقد يقال أن الريشتين المستقيمتين العاليتين فوق رأس أمون تشير إلى طبيعته كإله للهواء، ولكن هذا الأمر غير مسلم به، إذ لم تنفرد به آلهة الهواء، والتى تحلق فى الهواء كصقور، مثل شو وانحور وحورس ومونتو، بل شاركهم فى ذلك آلهة أخرى مثل مين وأوزيريس، ولم يكن أى منها إلها للهواء، فالإله مين أله للإخصاب فى المقام الأول، وأوزيريس أله بعث، وأن لم تخل صفاته من الخصب أبدا، هذا فضلا عن أن الإله أمون إنما كان منذ عهد الأسرة الثانية عشرة يمارس وظيفة منح الفرعون الحياة عن طريق علامة الحياة (عنخ) إلى أنف الفرعون، فضلا عن تقديمه (واس) أى السعادة، و "جد" (الثبات)، وأن كان هذا الأختصاص لم يكن مقصورا على أمون وحده، وإنما شاركه فيه آخرون، ومن ثم فلا يكاد يخلو نص دون الإشارة فيه إلى أن أمون هو الذى يمنح الفرعون الحياة والدوام والسعادة والصحة.

وبدأ أمون منذ حرب التحرير التى خاضها المصريون ضد الهكسوس يصبح واهب النصر والبلاد الأجنبية لابنه الفرعون، ذلك لأن القوم إنما قد كتب لهم نجاحا بعيد المدى فى طرد الهكسوس من مصر، وكذا مطاردتهم حتى زاهى فى لبنان، وكان ذلك كله تحت لواء أمون، ونقرأ من هذه الفترة، على لسان كامس، "لقد أبحرت شمالا فى عزم وقوة لأغلب الأسيويين بأمر أمون، أعدل الناصحين"، ثم سرعان ما تمكنت مصر، تحت لواء أمون، من تكوين إمبراطوريتها الواسعة، والتى امتدت من أعالي الفرات ودجلة شمالا، وحتى النجعة جنوبى شندى، التى تبعد عن الخرطوم بأقل من سبعين ميلا إلى الشمال، وهكذا اعتقد القوم أن الفضل فى انتصاراتهم ثم فى تكوين الإمبراطورية الشاسعة،

إنما يرجع إلى الإله الملك الذى قاد الجيوش ، وإلى الإله أمون الذى بارك تلك الحرب، وذلك عندما تعطف وأذن بالحملات الحربية وأعار سيفه وعلمه الإلهى إلى الفرعون لكى يقود الجيوش، ومن ثم فقد كان على تلك الجيوش أن تدفع ما عليها من دين لأمون، بعد أن يتم لها النصر على العدو، وأن تعطيه نصيبه العظيم من الغنيمة لأنه راعاها وحماها من الخطر، وقد أدى ذلك، مع مرور الأيام، إلى زيادة ثروة أمون زيادة كبيرة، إذ كان كل نصر للجيش معناه زيادة فى ثروة أمون، ولا نظن أن القوم كانوا يأخذون من ربهم شيئاً، اذا ما أصابتهم هزيمة، وهكذا كانت العلاقة السائدة بين إله الإمبراطورية وبين الأمة، لم تكن علاقة من يزهد فى الحصول على المغانم، ولكنها كانت اشتراكا إلهياً فى أمور دولة مقدسة، ونقرأ كثيراً فى النصوص المصرية أن جزية البلاد الأجنبية وثرواتها إنما هى لأمون، وأن الأسرى الأجانب عبيد له، يعملون فى خدمة معبده، ومن ثم فقد فاخر الفراعين بإغداق الثروات على أمون حتى تضخمت أملاكه وازدادت ثروته بدرجة عظيمة، وبمرور الزمن تكونت فى البلاد ملكية خاصة بآمون، ذات نظام يشبه نظام الحكومة، فكان لها خزائنها ومخازنها، وعندها مصانعها وموظفوها، ولها إدارتها وعبيدها، وكانت منفصلة عن أملاك بيت الفرعون، وما أن يمضى حين من الدهر، حتى تتسع هذه الأملاك بدرجة كبيرة، فلا تقتصر على أرض الكنانة وحدها، وإنما تشمل مناطق خارج مصر، وخاصة فى النوبة التى اتسع نفوذ أمون فيها، وأصبح ذهبها وقفاً عليه، وهكذا فقد تمتع أمون بمكانة ممتازة فى هذه الإمبراطورية الشاسعة، وأقيمت له فيها المعابد الضخمة بأموال الجزى التى تدفقت على مصر، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك مجموعة معابد الكرنك الهامة، ومعبد أمون فى الأقصر، وما تلقاه أمون من ولده تحوتمس الثالث من هدايا، كان منها، على سبيل المثال، فى العام الرابع والثلاثين من الحكم ما يزيد على سبعمائة رطل من الذهب. ومثلها فى العام الثامن والثلاثين، فضلاً عن تلك الكشوف الطويلة بأسماء الممالك والدويلات التى نقشت على معبد أمون، والتى قال الفرعون أنه استولى عليها بفضل أبيه أمون.

وسرعان ما بدا أمون يحمل صفات الإله مين ورع، فهو مثل مين يحتفل به لأنه يحمل ريشتين عاليتين، وهو مثله يحمى طرق الصحراء، رغم أن طيبة لم تكن أبدا واقعة على الطرق المؤدية إلى البحر الأحمر، وهكذا بدأوا يقولون عن أمون، أن الألهة تشم رائحته عندما يأتى من بونت (بلاد البخور)، وهو غنى بالعطور حينما ينزل من بلاد المازوى، وهو حورس الشرق، الذى تجلب له الصحراء الفضة والذهب واللازورد حباً فيه، كما تجلب له كل أنواع البخور من بلاد المازوى، والمر الطازج لأنفه، وتذكر عادة كل هذه المنتجات تمجيداً لجاره مين، ثم بدأ أمون يصبح بعد ذلك وكأنه الإله رع، خالق كل شئ، والوحيد، صاحب الأيدى البيضاء، هو أب الآلهة الذى خلق الناس حسب ألوانهم، وقد خرج الناس من عينيه، والآلهة من فمه، عائل كل الكائنات الحية انه يسهر فى الليل حين ينام الناس ، وهو كالراعى الصالح يبحث عن الأفضل لقطيعة.

هذا وقد كان أمون فى عقائده الأولى ربا للماء، كما ادعى بعض أصحابه، وربا للهواء، كما ادعى بعض آخر، وكان اسمه يعنى "الخفى"، خفاء الاسم، وخفاء الصورة، لدى بعض أنصاره، ويعنى "الحفيظ" لدى بعض آخر، وأضاف إليه عبدته ربوبية الإخصاب على احتمالين، هما فطنة الكهنة لما يحمله الماء والهواء من عناصر الإخصاب، وميل العوام إلى الربط بينه

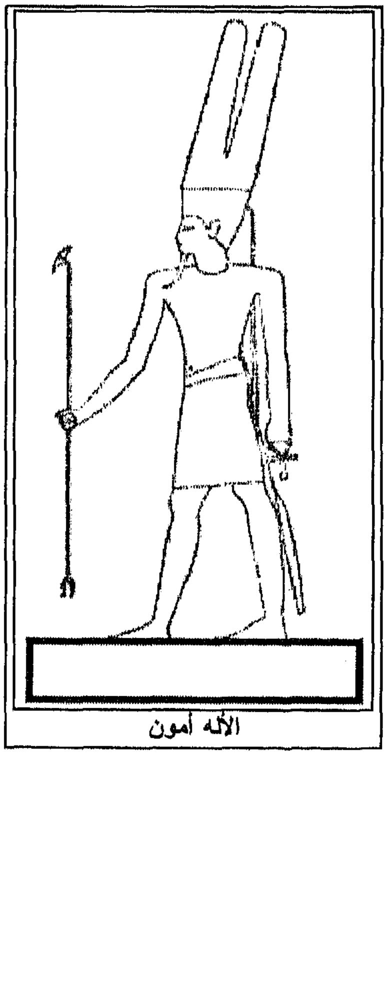

الأله أمون

وبين إله آخر قديم، عبدوه باسم "مين" وتصوروه متكفلاً بربوبية الإخصاب فى كل صورة، ومن ثم فقد صوروه على شكل الإله مين، واقفاً فى شكل مومياء، وبالقضيب المنتصب، والذراع المرفوعة التى يعلوها السوط ذو الثلاثة جدائل وبلباس الرأس المكون من القلنسوة التى تعلوها الريشتان المستقيمتان العاليتان، والتى يتدلى من مؤخرتها الشريط النازل إلى أسفل حتى القاعدة، التى يقف عليها الإله أو قريباً منها، هذا فضلاً عن أن القوم إنما تمثلوا أمون كذلك على هيئة بشرية، كان فيها محتشماً طليق الحركة، وتتدلى إحدى ذراعيه إلى جانب، وتمسك يده بعلامة الحياة "عنخ"، بينما تمتد ذراعه الأخرى قليلاً إلى الأمام وتمسك بصولجان "واس"، ويرتدى فوق رأسه لباس الرأس المميز، والذى سبق وصفه فى الشكل الإخصابى، ولكن يقتصر تدلى الشريط النازل من مؤخرة القلنسوة فى هذا التمثيل حتى الوسط فقط، ويرجح أن يكون إنفراج الساقين، نتيجة الحركة الطليقة للتمثيل، قد عاق إظهار باقية، ورغم أن الشكل الإخصابى هو الذى يغلب وروده فى الأدلة الأثرية من معبد سنوسرت الأول فى الكرنك، إلا انه يصعب تحديد أولوية أى من هذين الكباش المخصبة الطلوق، التى توهم أصحابها أنها آية من آيات ربهم على الأرض، هذا وتتميز كباش أمون عن غيرها من الكباش بالقرون الملتوية حول الأذنين، بينما كانت قرون غيره مستعرضة، وقد سبقته الكباش الأخرى فى الظهور، أما كبش أمون فيرجع إلى عصر الهكسوس، وأخيراً فقد مثل أمون أيام الدولة الحديثة فى شكل الأوزة، والتى ربما تمثل الإله نفسه أو حيوانه المقدس، كما يتضح من الأدلة الأثرية وجود بعض التمثيلات النادرة للإله نفسه فى أيام الدولة الحديثة، تأثر فيها بالإله رع، وغيره من الآلهة مثل أتوم وحورس وأوزيريس.

وعلى أى حال، فلقد بدأ أيضاً أنصار أمون ينسبون إليه كل ما يليق بربهم الذى أيدهم بنصره فى مصر وخارجها، فأعطوه الصفة العالمية، وردوا إليه ربوبية النشأة الأولى، كما ردوا إليه ربوبية النشأة الأخيرة، واعتبروه رباً للوجود، ذلك أن أمون إنما قد أصبح، طبقاً لتعاليم طيبة، التى تأثرت بمدرسة الأشمونين هو الإله الذى خلق بقية التاسوع، مع أنه أحد الآلهة الثمانية فى الأصل، وعلى ذلك فقد تخيلوه إلهاً فى هيئة ثعبان، أطلقوا عليه إسم "كم أن اف" أى "ذلك الذى أكمل زمانه" أو بمعنى آخر، هو الذى انتهى أمره، وقد انجب هذا الإله إلها آخر "اير تا" أى خالق الأرض، وهذا بدوره خلق الثمانية الأخرى، التى منها نشأت الخليقة، ومع كل فقد كان "كم أن اف" فى نظرهم هو "أمون العظيم"، معبود الأقصر، وخالق الأرض، وإله التناسل، ولما ابتغى شعراؤهم أن يمجدوه نسبوا إليه صفات الإله مونتو، إله الحرب القديم، ونعوت الإله حورس رب الدولة وحامى عرشها القديم، ونسبوا إليه سيطرة وهيمنة على ما امتدت آفاقهم السياسية والحضارية فى أقطار العالم القديم ، فهو "سيد بلاد المرجاو حاكم بونت، آتوم الذى خلق البشر، ونوع هيئاتهم وفرق ألوانهم، جميل الوجه الذى جاء من أرض الإله فى الشرق.. لك ابتهالات كل بلد أجنبى حتى عنان السماء، والى أخر الأرض والى أعماق البحر الأخضر الكبير، الواحد المنفرد، الذى لم يكن له كفوا احد، الذى يعيش على الحق كل يوم ، وهكذا أصبح أمون خالق ما هو كائن، صانع الرجال، وأب الآلهة، وسيد الملوك، وسيد السماء وثور أمه، وسيد عروش الأرضين فى طيبة، وسيد الكرنك"، وأما ثالوثه فيتكون منه بصفته الإله الأب، ومن موت الألهة الأم، ومن خونسو الإله الأبن.

أمون حر :

أول ملوك الأسرة الثامنة والعشرين ، قاد ثورة المصرين الجامحة ضد "أرتاخشاشا" الأول ، وأنتصر فى الجولة الأولى عام ٤٦٠ ق.م. بمساعدة الأسطول الأثينى. ولكنه انهزم فى الجولة الثانية أمام جحافل الفرس، ولم يخضع ونقل قيادة ثورته إلى الصعيد ولم يهدأ رغم تقدمه فى العمر حتى فاز بالنصر عام ٤١٠ ق.م. على الملك داريوس الثانى، وتم له تطهير البلاد من المستعمر الفارسى والتنكيل بأعوان الفرس من الجاليات اليهودية وخاصة تلك التى سكنت جزيرة الفنتين بأسوان، وتم تتويجه ملكا على مصر عام ٤٠٤ ق.م. وبايعه المصريون أجمعين وجعل مدينة صا الحجر (سايس) عاصمة للبلاد.

أمـــون -حـــر- خبشف : (مقبرة - رقم ٥٥)

ورد إسم هذا الأمير على جدران مقبرته بإسم "أمن خبشف" دون ذكر "حر" وهو أبن الملك رمسيس الثالث، ولعل أهم ما يميز هذه المقبرة مناظرها الجميلــة ذات الألوان الزاهية، ويبدو أن هذا الأمير قد توفى صغيرا، إذ أن المناظر تصوره بخصلة الشعر الجانبيــة، دلالــة على حداثة السن، ولكنه على الرغم من صغر سنة كان يحمل الألقاب التقليدية لأبناء الملوك، ولعل مــن أهـم ألقابه، لقب "حامل المروحة الملكية على يمين الملــك". وقد صور فى المناظر حاملا ريشة نعام طويلة، ومــن الملاحظ أن الملك رمسيس الثالث هو الذى يقـدم هنــا أبنه الأمير أمن خبشف إلى الآلهة والآلهات المختلفة ، بل وهو نفسه الذى يقوم بالطقوس الدينية وقد يكــون السبب فى هذا هو صغر سن الأمير.

تتكون المقبرة (بطيبه الغربيــة) مــن مدخـل يوصل إلى سلم هابط يوصل إلى حجــرة أساسـية ذات (حجرة جانبية ثانية)، وتنتهى الصالة الطويلة بحجرة الدفــن ويلاحـظ أن الحجـرات الجانبيـة ومقصورة القربان لم يكتمل العمل فيهم بعد.

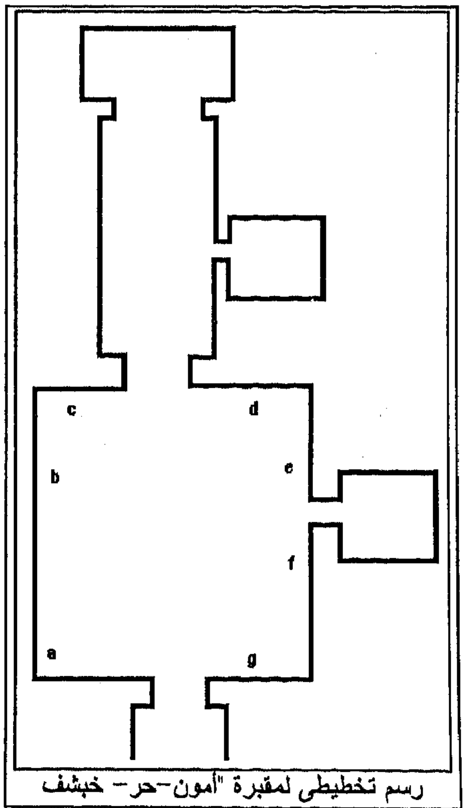

رسم تخطيطى لمقبرة "أمون-حر- خبشف

تتميز الحجرة الأولى الأساسية بالمنــاظر الجميلـة التى تمثل الأمير ووالده الملك رمسيس الثـالث وهـو يقدم ابنه إلى الآلهة والآلهات إيزيس وخلفه يقف الإله جحوتى ثم الملك وهو يطلق البخور - ومعـه الأمـير أمام الإله بتاح المصور داخل مقصورته (رقم ٢) ثـم يقدم الملك الأمير إلى كل من بتاح تاتنن (٣) ودواموت اف (٤) وأمستى (٥) ثم الألهة إيزيس (٦) ثم نعـود إلى المدخل ونتابع المناظر التى علـى يميـن الداخـل فنشاهد الملك يعانق ألهة قد تكون نفتيس (٧) ثم يقـدم الملك أبنه إلى كل من الإله شو (٨) والإله قبح سنواف (٩) ثم حعبى (١٠) وأخيرا نشاهد حتحور تقود كل من الملك رمسيس الثالث والأمير أمن خبشف (١١).

نشاهد على سمكى المدخل إلى الصالــة الطوليـة منظرين لإيزيس ونفتيس (١٢) ، (١٣). وقـد سـجل على جدران هذه الصالة مناظر ونصوص مـن كتـاب البوابات. وأخيراً نصل إلى حجرة التابوت وهى خاليـة من النقوش وبها تابوت من حجر الجرانيت الأحمر.

أمـــون - رع :

انظر أمون

أمينى: (مقبرة)

وهى تقع فى بنى حسن وتحمل رقم (٢) وأمينـى هو إختصار لأسم أمنمحات

وترتيب المناظر يجرى على النحو الآتى:

الحائط الغربى (ويتخلله باب الدخول). الجانب الشمالى:

الصـف الأول: صنــاع السـكاكين الصوانيـة. وصناع الصنادل.

الصف الثانى: أعمال النجــارة والأقــواس والجلـود والسهام والكراسى والصناديق.

الصف الثالث: صناع الحلى.

الصف الرابع: صناعة الفخار.

الصف الخامس: زراعة الكتان وصناعته.

الصف السادس : الحصاد.

الصف السابع: الحرث والبذر.

أما الصفوف السفلية على الجانب الجنوبي من الحائط الغربي فقد تخللها رسم الباب الوهمي لأمنمحات حيث توجد عليه الصلوات الجنائزية المعتادة التي تذكر أوزيريس وأنوبيس لصالح أمنمحات وزوجته حتبت وهذه النقوش مهشمة تهشيما كبيراً ، أما المناظر فهي مرتبة على النحو الآتي:

الصفان الأول والثاني : زراعة الكروم.

الصفان الثالث والرابع: صيد السمك والطيور.

الصف الخامس: إدارة المنزل ومناظر الفاكهة والأعشاب واللحوم والخبز والبيرة.

الصف السادس: خدم حتبت ومعهم أدوات الزينة والخبازون.

الصف السابع: الموسيقيون وصناع الحلوى.

الصف الثامن: الموسيقيون والثيران تخترق المياه الضحلة.

الحائط الشمالي (على يمين الداخل):

الصف الأول والثاني: الصيد بالشباك في الصحراء.

الصف الثالث: موكب المحراب وبه تمثال أميني ثم الكهنة والراقصات والأكروبات.

الصف الرابع إلى السابع: موكب موظفي وخدم منزل أميني ومعهم الهدايا.

الحائط الشرقي:

ويشمل المناظر الآتية التي يتخللها في حالتنا هذه باب الهيكل الذي كان يوضع به تمثال أميني.

الصفوف الأول والثاني والثالث: المصارعون.

الصفان الرابع والخامس: الجنود وهم يهاجمون القلعة ومناظر الحرب.

الصف السادس: الحج إلى محرابي أوزيريس الرئيسين:

(أ) ناقلة عليها مومياء أميني يجرها مركبان مبسوطا الشراع وقد ذكرت العبارة الآتيه: "الإبحار إلى الجنوب لنيل البركة من أبيدوس للأمير أمنمحات".

(ب) قارب خاص بالحريم يجره مركبان منكسا الصارى وقد ذكرت العبارة الآتيه: "الإبحار شمالا لنيل البركة من دادو (بوزيريس) للأمير أمنمحات".

الحائط الجنوبي:

على هذا الحائط خط يقسمه إلى قسمين الأكبر منهما (إلى اليسار) وعليه يرى الكهنة والخدم وهم يقدمون العطايا لأمنمحات وهو جالس، بينما نجد على اليمين عطايا مماثلة تقدم لزوجتة حتبت.

ورسوم الحائط الشرقي من الهيكل مهشمه جداً، بينما تحطم تمثال أميني الضخم، ويوجد على جانبي التمثال أو على الاصح على بقاياه رسم لزوجتة حتبت إلى اليمين قد تهشم أيضاً، ورسم مماثل لأمة حنو إلى اليسار، أما الجدران فتحوى عطايا ونقوشاً وصلوات.

أنتف الأول :

امير من أسرة طيبة، أعلن الثورة ضد ملوك الأسرة العاشرة الأهناسية، جمع حوله أمراء المقاطعات الجنوبية وكون منهم أتحادا أخذ على عاتقه توحيد الصفوف والقضاء على عوامل الأضمحلال التي سادت البلاد. أستمرت المناوأة بين هذا البيت وبين أهناسيا أكثر من ثمانين عاما، تولى قيادة الصراع بعد هذا الأمير نفر من أسرته حتى تم النصر وأعلن حفيده منتوحوتب الثاني نفسه ملكا على مصر. دفن انتف في مقبرة ضخمة منقورة في الصخر في منطقة الطارف شمالي جبانات البر الغربي بالأقصر ، وكان يعلو سطحها هرم صغير.

أنتف الثاني :

ثاني أمراء أسرة طيبة التي قامت بتكوين حلف من ست مقاطعات جنوبية لمناهضه ملوك الأسرة العاشرة الأهناسية. كان حاكما قويا وأخذ يسوس الجزء الخاضع له من مصر العليا بالعدل، وأخذ أيضا في مدة حكمه الطويلة يشيد بعض العمائر الدينية ويرمم ما تهدم من الهياكل والمعابد. دفن في مقبرة بمنطقة الطارف شمالي جبانات البر الغربي بالأقصر.

أنوبيس :

رمز المصريون للإله أنوبيس(أنبو) بكلب يربض عادة على قاعدة مرتفعه، مائلة الجوانب إلى أعلى، أو يصورونه على هيئة آدمية لها رأس كلب أو كلب يصحب إيزيس، وأعتبروه حاميا للجبانه وربا للموتى ومن ألقابه المعروفة "القابع على جبله"، وسيد الأرض المقدسة وسيد سقارة (راستاو = جبانه منف)، والذى يرأس بهو الإله (مكان تحنيط جثة فرعون) ، ومن ثم فقد وصف بالمحنط، وأنه هو الذى حنط جثة أوزيريس، وكان القوم على أيام الدولة القديمة يبتهلون إليه بأن يسمح للقرابين بأن تصل إلى جثته، ونظروا إليه فى الدولة الحديثة على أنه ابن لأوزيريس ثم جعلوه، مع تحوت، مشرفا على تقديم الموتى إلى محكمه العدل، والتى كانت تحكم – تحت رياسة أوزيريس – على الميت بأنه من أهل الجنة أو من أصحاب السعير، بعد وزن أعماله من حسنات وسيئات، وفى العصور المتأخرة، وبسبب الشبه بينه وبين الإله "وب واوات" غدا فى نظر القوم المحارب الذى يقف إلى جانب فرعون ويحيمه، كما نراه فى هيكله بمعبد حتشبسوت بالدير البحرى يشترك مع خنوم فى منح الملك الفرعون قدسية الحكم وطول البقاء، كما نراه كذلك ممسكا بيده ما يشبه الغربال الذى ما يزال

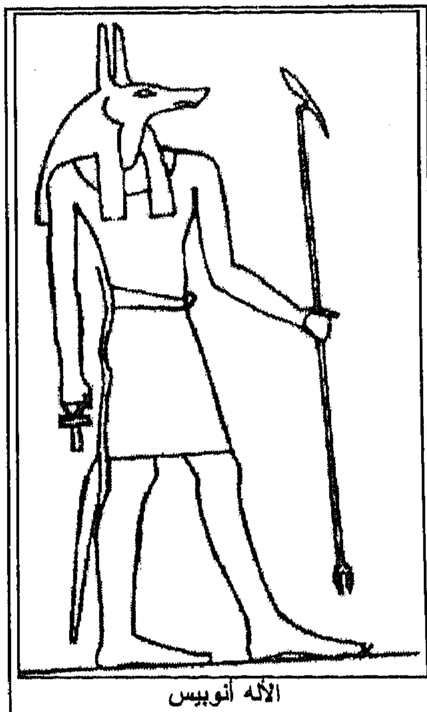

الآله أنوبيس

يستعمل حتى الآن فى قرانا فى الأحتفال بمرور أسبوع على ولادة الطفل، هذا وقد صور أنوبيس، مع الإله ست، على رؤوس الصولجانات واللوحات التى ترجع إلى عصر ما قبيل الأسرات، كما ظهر على كثير من طبعات الأختام التى ترجع إلى عصر الأسرة الأولى، كما سجل حجر بالرمو الأحتفال بعيد مولده فى عصر الأسرة الأولى كذلك.

وأما مركز عبادة أنوبيس الرئيسى فكان فى مدينة "القيس" (٥ كيلو جنوبى بنى مزار بمحافظة المنيا)، وقد أطلق الأغريق عليها أسم "كينوبوليس" بمعنى مدينة الكلب، وهى "حنو" المصرية، عاصمة الأقليم السابع عشر من أقاليم الصعيد، كما عبد كذلك فى "ثنى" على مقربة من أبيدوس، ثم سرعان ما انتشرت عبادته منذ العصور المبكرة فى معظم أنحاء البلاد. وأقيمت له بها المحاريب ، ومن أجملها ما كان بالدير البحرى، هذا وقد ربط القوم بين أنوبيس حيوان الصحراء، وبين الصحراء الغربية ، بيت الموتى، ومن ثم أخذ اللقب الجنازى للإله "خنتى أمنتيو" أول الغربيين. الذى أخذه فيما بعد أوزيريس ويبدو أن انبو كان، بادئ ذى بدء، إلها للموتى الفرعون فحسب، ذلك لأن القوم كانوا فى العصور السحيقة يقتلون الملك بحية سامة عند نهاية العام الثامن والعشرين للحكم، وعندما كانت تأتى النهاية المحتومة، فإن أنوبيس (وربما كاهنة) يظهر للفرعون ومعه الحية، ورغم أن القوم قد كفوا عن هذه العادة السيئة منذ العصور المبكرة، فقد ظل أنوبيس الإله المنذر بقدوم الموت، وقد مثل كمحارب يحمل خنجرا أو حية سامة أو كوبرا، هذا ونظرا لقدرة أنوبيس على التنبؤ لقدوم الموت فقد أرتبط بالسحر، وقد صور وهو يقود الألهة الأخرى التى قدمت لتكشف عن أسرار المستقبل وعندما وحد أنوبيس مع العقيدة الأوزيرية فى العالم الآخر، قيل أنه أبن نفتيس من أوزيريس، وأن إيزيس هى التى قامت بتربيته، ومن ثم يعد حارسا لها، وعندما استعادت إيزيس جسد أوزيريس قدم لها أنوبيس الأدوية التى ساعدت على تحنيطه، ثم قام بأداء الطقوس الجنازية لأوزيريس، والتى أصبحت فيما بعد نموذجا يحتذى لكل طقوس الدفن، ومع ذلك، طبقا لروايات أخرى، فإن جب هو

الذى كان شديد الارتباط بأنوبيس وتحوت، هذا وقد كان لأنوبيس فى العقائد المتأخرة وظائف ثلاثة هامة فقد كان مراقبا للتحنيط السليم، وكان يستقبل المومياء عند وصولها إلى المقبرة وكان يقوم بطقس فتح الفم، ثم هو بعد ذلك يقود الروح إلى حقل السماء، وهو يضع يده على المومياء ليحميها، ثم هو الذى يقود الميت إلى الميزان ، بل ويتولى بنفسه ضبط الميزان.

أنوكيس :

انظر "عنقت"

أنينى : (مقبرة)

وهى تقع بالحوزة العليا ، وتحمل رقم (٨١). ولمزار أنينى أهمية كبرى من الناحية التاريخية بصرف النظر عن مزاياة الفنية التى لا يمكن أنكارها، إذ أنه يحوى أو بعبارة أصح كان يحوى - رغم تهشم اللوحة التى به - قصة حياته الرسمية التى سردت بحيوية فائقة وبشئ كثير من التفاصيل. وهو كمعظم الموظفين المصريين الآخرين لم يحمل نفسه مشقة التواضع عندما تحدث عن مآثره، فلقد كان يؤمن بها، وقد أكد ذلك فى أقواله ولهذا فإن الكتابة على لوحته، والتى لدينا منها لحسن الحظ نسخا فى حالة جيدة من الحفظ ممتعة كما أنها قيمة وعلينا أى نتذكر هنا أنه هو الذى حفر المقبرة الأولى فى وادى الملوك وهى مقبرة تحتمس الأول "دون أن يرى أحد أو يسمع أحد"، وهو الذى أحضر أيضا من أسوان مسلتى تحتمس الأول ولا زالت واحدة منهما قائمة الآن. وهو يقص علينا أنه بنى مركبا طوله ١/٢ ٢٠٦ أقدام وعرضه ٤/٣ ٦٨ قدما ليحمل المسلتين فى النهر. ولقد كان فى أستخدامه الجص فى تغطية جدران المقابر - غير موفق كما كان يظن فى وقته، ولكننا ندين بتعليقاته على سير الأحوال عندما خلف تحتمس الثالث تحتمس الثانى وكانت مصر لا تزال تحكمها حتشبسوت القوية ، فهو يقول فى هذا: "لقد حل تحتمس الثالث فى مكانه (أى فى مكان تحتمس الثانى) كملك على مصر ولهذا أصبح فى مكان الذى أنجبه وكانت شقيقته الزوجة الملكية (حتشبسوت) تسوس الأمور فى مصر وفقاً لآرائها" ، وما كان فى الإمكان تلخيص الموقف بأحسن من تلك الجملتين. وقد لخص أنينى مواهبه فى أسلوب شائق فهو يقول: "لقد أصبحت عظيما بدرجة تعجز الكلمات عن التعبير عن عظمتى وسأقص عليكم أيها الناس عن هذه العظمة فاصغوا إلى وافعلوا الأعمال الطيبة التى فعلتها مثلى تماما. لقد ظللت قويا فى هدوء ولم يصادفنى أى شر وقد قضيت سنين حياتى فى سعادة فلم أكن خائنا أو ذليلا ولم أقترف خطأ أبدا وكنت رئيسا للرؤساء، ولم أفشل.... ولم أتردد قط، بل كنت أطيع دائما أوامر الرؤساء.... ولم أدنس قط المقدسات".

وواجهة مزار أنينى - الذى يقع بملاصقة رقم ٨٠ - تؤدى إلى صالة مقطوعة فى واجهة الصخر يسند سقفها ستة أعمدة مربعة. ولقد سقطت أجزاء من سقف هذه الصالة وأستعيض عنها بسقف من الخشب. وبهذا تكون الصالة المستعرضة المعتادة قد عدلت وحلت محلها الصالة ذات الأعمدة المربعة التى زينت جوانبها الخلفية بالمناظر.

فإذا بدأنا بالعمود الأول على اليسار وجدنا منظر يظهر فيه أنينى (وقد أتلف بعضه) وهو يصوب سهامه على الفرائس، وقد هجم نحوه ضبع يعض بأسنانه سهما مكسوراً، بينما يهجم كلب على الحيوان الجريح.

وأسفل ذلك صيادون آخرون. وهنا نجد أيضا رسم بديع لكلب يهاجم حيوانا صغيرا. وعلى العمود الثانى صورة جديرة بالإهتمام لمنزل أنينى الريفى حيث يجلس هو وزوجته تحت مظلة ويعطى الأوامر للبستانى وعلى العمود الثالث منظر لأنينى جالسا إلى المائدة وقد نشر أمامه العديد من التقاديم. أما العمود الرابع فليس عليه شئ. والعمود الخامس علية منظران للحرث والزرع قبل الحصاد. وعلى العمود السادس مناظر الحصاد. وعلى الحائط الخلفى إلى يمين الصالة يوجد المنظر المعتاد لصيد الأسماك. وبعد ذلك يرى أنينى ومعه كلبه الأليف وأصدقاؤه يستعرضون الحيوانات فى ضيعته من غنم وحمير وأوز وطيور البشروش. وعلى الحائط الخلفى من جهة اليسار يرى أنينى وزوجته وأصدقاؤه يراقبون الغنائم التى أحضرها تحتمس الأول من حروبة

ويرى أحد الجنود المصريين يسوق النساء النوبيات بأولادهن المحمولين فى سلال على ظهورهن ، وجنود يحضرون الغنائم ونساء آسيويات يحملن أولادهن على أكتافهن بينما تعرض بعض الغنائم أيضا. وبعد ذلك منظر آخر فيه يفتش أنينى على الماشية والغلال الخاصة بضيعة المعبد. وما كان هذا المنظر ليكتمل دون رسم أحد الأشخاص وهو يضرب ودون رسم المذنب. ثم يأتى بعدئذ منظر وزن كنوز المعبد وتسجيل النتيجة وفى الحجرة الداخلية إلى اليسار رسوم لأنينى وزوجته يتقبلان العطايا وبعد هذا نجد مناظر جنائزية وتقاديم لأنينى وزوجته. وفى الحائط الخلفى للمقصورة أربعة تماثيل جنائزية مهشمه جدا بينما نرى على الجدران الجانبية رسوم ملونه لأنينى وأصدقائه.

أهناسيا :

وتسمى أحيانا "اهناسيا المدينة" و "أهناسيا أم الكيمان" وهى بلده هامة فى محافظة بنى سويف على بحر يوسف قريبا من مدخل الفيوم، وكانت عاصمة للإقليم العشرين من أقاليم الوجه القبلى. بها أطلال المدينة القديمة التى كانت تسمى "حت - حنن - نسو" ومعناها "بيت أبن الملك". وردت فى النقوش الأشورية تحت أسم "هيننسى" وكانت مقر عبادة الإله "حريشف" (فى اليونانيه حرسافيس) الذى كان يلقب بالقوى ولهذا ساواه اليونانيون بالههم "هرقل" وسموا المدينة "هرقليوبوليس".

كانت عاصمة لمصر أيام العصر الأهناسى (الأسرتين التاسعة والعاشرة) وكان يعيش فيها ملوك هاتين الأسرتين وشيدوا فيها المعابد والقصور ودور الحكومة.

توجد بين خرائبها أطلال عدة معابد ، وعثر فيها وفى المناطق المجاورة لها على كثير من آثار الدولتين الوسطى والحديثة والعصر المتأخر والعصر القبطى. لم يعثر على جبانة ملوكها حتى الآن، أما جبانتها العامة فهى على حافة الصحراء وتمتد عدة كيلو مترات بين قرى ميانه وسد منت وقد عثر فيها على مقابر كثيرة من الأسرتين التاسعة والعاشرة وكذلك مقابر بعض كبار الدولة الذين كانوا أصلا من أهل هذه المدينة ووصلوا إلى مناصب كبيرة فى الدولة الحديثة وفى العصر الصاوى والعصر الفارسى وما تلاه من عصور، ومن أهم تلك الشخصيات الوزير "رع - حوتب" والوزير "با - رع - حوتب" وقد كانا فى أيام الملك رمسيس الثانى.

أواريس :

مدينة قديمة ورد اسمها فى وثائق حرب التحرير التى دارت بين الملك "أحمس الأول" وبين الهكسوس والتى أنتهت بطردهم من مصر وذكرتها المصادر المصرية بأنها كانت عاصمتهم ومقر حكمهم. يرى بعض علماء الدراسات المصرية أنها كانت فى المكان المعروف الآن باسم "صان الحجر" أو تانيس ، ولكن هناك أخرين ، ورأيهم هو الأرجح، يقولون أن مكانها فى "قنتر" وما حولها وهى نفس مدينة "بررع مسو" التى أصبحت مقرا لملوك الأسرة ١٩ فى الدلتا فيما بعد. لم يعثر حتى الآن سواء فى "صان الحجر" أو فى "قنيتر" أو فى أى مكان آخر فى شرقى الدلتا على المكان الذى يحوى مقابر الهكسوس ، ولكن مقابر بعض الموسرين من الهكسوس عثر عليها عام ١٩٦٨ فى تل الضبعة القريب من قنتير.

أوانى الأحشاء :

آمن المصرى منذ أول تاريخه بفكرة البعث بعد الموت كما أعتقد أن من أهم ضمانات هذا الخلود المحافظة على الجثة فى شكل يقارب شكلها أثناء الحياة، ومن ثم لجأ إلى تحنيط الجثة تحنيطا تطور به حتى وصل به إلى حد يقارب الكمال فى عصر الدولة الوسطى. وحتمت عملية التحنيط أخلاء الجثة من كل ما تحتويه من عناصر رخوة لا يمكن تجفيفها وهى بداخلها، فانتزع المصرى المخ والقلب والرئتين والكليتين والمصارين وحنطها على حدة وحفظها فى صندوق مربع قسمه إلى أربعة أجزاء ، وكان يصنع هذا الصندوق تارة من الأحجار الصلبة وذلك للملوك

والملكات وتارة أخرى يصنعه من الخشب لغيرهم من الناس ويوضع فى فجوة تنقر خصيصا له على مقربة من التابوت فى حجرة الدفن. حدث هذا طوال عصر الدولة القديمة. إلا أن المصرى منذ أواخر الأسرة السادسة إستعاض عن الصندوق بأوان أربعة صنعت من الحجر ، وأودعها هذه الأجزاء الرخوة بعد تحنيطها وكان غطاء هذه الأوانى مستديرا مصقول السطح.

تطور هذا الغطاء على مدى العصور فكان فى عصر الدولتين الوسطى والحديثة حتى آخر الأسرة الثامنة عشر على هيئة رأس صاحب الجثة ، ثم صنعت هذه السدادات على هيئة رءوس أربعة من أبناء حورس وكانت هذه الرءوس الأربعة كما يأتى:

"أمستى" على هيئة رأس إنسان و "حابى" على هيئة رأس قرد ، و "دواموتف" على هيئة رأس ابن أوى و"قبح سنوف" على هيئة رأس صقر.

ولقد أطلق الأغريق على هذه الأوانى أسم الأوانى الكانوبية نسبة إلى معبود مدينة كانوب (أبو قير). إذ كان فى تلك المدينة معبود مصرى حمل أسم أوزيريس وكان يمثل على هيئة آنية لها رأس أوزيريس.

ومنذ العصر الأغريقى أطلق الناس على أوانى الأحشاء ، التى تتصل أتصالا وثيقا بأوزيريس وحياته بعد الموت ، أسم الأوانى الكانوبية.

انظر أبناء حورس.

أوانى الأحشاء

أوزيريس :

كان أوزيريس أكثر الآلهة شعبية فى مصر بسبب مظهره السلمى وخلقه الرضى ونعمه الوفيرة على البشرية ، ثم ميتته العنيفة وبعثه ، ومن ثم فلم يقدسه المصريون فحسب ، بل غزا أفئدة الكثيرين من شعوب حوض البحر المتوسط ، وخاصة فى بلاد الأغريق والرومان وهما فى أوج حضارتهما ، هذا وهناك ما يشير إلى أن أقدم رمز للإله أوزيريس إنما وجد فى الصعيد على مدخل معبد حورس فى نخن (البصيلية) من أخريات عصر بداية الأسرات ، كما أسفرت حفائر حلوان عن العثور على رمز للإله أوزيريس فى إحدى المقابر التى ترجع إلى عصر الأسرة الأولى ، وكان يمثل على هيئة شجرة جذعها مستقيم وقد ربطت فروعها طبقات بعضها فوق بعض، مما يدل على أن عبادة أوزيريس إنما كانت قائمة فى ذلك العصر على أن هناك من يرى أن وطن أوزيريس إنما كان فى الدلتا. فى إقليم "عنجة" ، والتى سميت فيما بعد "جدو". واتخذ أهلها من أوزيريس معبودا ، وأطلقوا على مدينتهم "جدو" اسم "بر أوزيريس" الذى حرفه الأغريق إلى "بوزيريس" ، وهى "أبوصيربنا" الحالية. على مبعدة ١٠ كيلو جنوبى غرب سمنود ، وهكذا حل أوزيريس محل المعبود "عنجتى" فى بوزيريس ، واخذ عنه بعض مظاهر شاراته كريشتى التاج وعصا الراعى المعقوفة ، ثم انتشرت عبادته من هذه المدينة إلى جميع أنحاء البلاد وخاصة أبيدوس، التى أصبحت المركز الرئيسى لعبادته.

غير أن هذا الرأى الذى يذهب إلى أن انتشار عبادة أوزيريس من "بوزيريس" إلى الصعيد ، لا يستطيع أن يثبت أمام فرض عكسى يذهب إلى أنها قد انتشرت من الصعيد إلى الدلتا ، هذا فضلاً عن أن ما قيل أن أوزيريس قد أخذه من "عنجتى" يمكن أن يكون من خواص الحكم أو شاراته ، ومن ثم فيمكن أن نفترض أن غازياً صعيدياً كالملك العقرب قد اخضع جزءاً من شرق الدلتا ، واكتسب لقب "عنجتى" ، أي المنتسب إلى الإله عنجتى ، ولعل مما يدعم هذا الغرض ذلك الشريط الطويل المتدلى إلى الخلف من رأس الإله عنجتى ، وهو من زينة الإله مين ، وكذا الإله أمون ، وهما

الإلهان اللذان لا يشك أحد فى أصلهما الصعيدى وأخيراً فكل رئيس عظيم فى عصور ما قبل التاريخ ، إنما كان يعبد كأوزيريس.

هذا ويذهب "فرانكفورت" إلى أن بعض المقاصير المقدسة لرؤساء ما قبل الأسرات ، إنما قد بقيت بعد الإتحاد وقيام الأسرة الأولى ، وصارت مقاصير لأوزيريس وليس للآلهة المحلية على اعتبار أن كل ملك إنما كان أوزيريس ، ومن ثم فقد ارتبط أوزيريس بعدد من المقاصير ، الأمر الذى يفسر لنا ادعاء عدة مواقع فى مصر أنها كانت تمتلك جسد أوزيريس أو جزءاً من هذا الجسد ، وأن قصة تقطيع ست لجسد أوزيريس ، لا يمكن أن تمثل الاعتقاد المصرى الأصيل، الذى يرى حفظ الجسد كاملاً ، وأن المؤلفين المتأخرين قد كتبوا هذا تحت تأثير قصة "ديونسيوس" و"أودونيس" ثم يشير "فرانكفورت" بعد ذلك إلى أن "بوزيريس" قد امتلكت واحدة من مقاصير ملك قديم وكان لها ارتباط لأوزيريس وأن أبيدوس قد امتلكت أهم أعضاء أوزيريس، وهى الرأس التى دفنت، طبقاً للتقاليد، هناك، وقد عرفت مقبرة الملك "جر" بمقبرة أوزيريس أبيدوس فى الدولة الوسطى المركز الرئيسى لعبادة أوزيريس، ويخلص "فرانكفورت" من ذلك إلى أن عبادة أوزيريس إنما كانت من أبيدوس ، وأن الريشتين اللتين كان يلبسهما "عنجتى" إنما كان أصلهما من الصعيد، ومن ثم فقد شجبت النظرية التى تقول بأن أوزيريس من شرق الدلتا من بوزيريس وبأن الدلتا قد غزت الصعيد، بعد أن اتحدت المملكتان تحت قيادة أوزيريس.

وهناك من الروايات ما يشير إلى أن نوت قد ولدت أوزيريس فى طيبة فى أول أيام النسئ الخمسة، وأن أوزيريس قد سمع صوت فى المعبد ينادى بأنه قد ولد اليوم الإله الملكى العظيم، سيد كل الذين يدخلون إلى الضوء. واعترف رع بأوزيريس وريثا له، وقيل أيضا أن أوزيريس وإيزيس قد أحبا بعضهما، وهما ما يزالان فى الرحم، وقد أثمر هذا الحب ولدهما حورس الأكبر، وان أوزيريس قد نجح فى اعتلاء عرش أبيه جب، وطبقا للاساطير المتصلة بأوزيريس ، فان الناس فى ذلك العصر المبكر كانوا ما يزالون فى بربرية يأكلون لحم البشر، وأن أوزيريس قد علمهم الحضارة، وما يجب أن يؤكل ومالا يؤكل، وأوضح لهم كيفية زراعة الحبوب كالقمح وكروم العنب، كما علمهم كذلك طريقة عبادة الآلهة، وكتب القانون من أجلهم، بعون من كاتبه تحوت، الذى خلق الفنون والعلوم وأعطى الأشياء أسماءها، وأنه قد حكم بالمنطق، وليس بالقوة، ثم بدأ ينشر علمه فى بقية العالم، تاركا إيزيس نائبة عنه فى تصريف الأمور فى مصر، وقد أصطحب معه فى مهمته كثيراً من الموسيقيين، فضلا عن الآلهة المتوسطة، وأستطاع، عن طريق المناقشة وأغانى الأناشيد، أن يقنع الناس هناك بأتباع وسائله، وهكذا كتب له نجاحاً غير قليل فى تعليمهم زراعة القمح والشعير والعنب، وكذا بناء المدن، وفى أثيوبيا علمهم كيفية تنظيم الفيضان عن طريق قنوات الرى والسدود، وفى أثناء غيابه، قامت إيزيس، بعون من تحوت، بإدارة المملكة ولكنها جوبهت بدسائس "ست" الذى لم يكن طامعاً فى العرش فحسب، ولكنه كان مفتوناً بها كذلك ، فضلاً عن الرغبة فى تغيير النظام المقرر، وبعد عودة أوزيريس بفترة قصيرة، قرر ست، بعون من ملكة أثيوبيا "آسو" واثنين وسبعين متآمراً – إبعاد أوزيريس، وذلك فى اليوم السابع عشر من شهر حتحور (سبتمبر أو نوفمبر فيما بعد) من العام الثامن والعشرين من حكمه، وسقط أوزيريس ضحية التآمر ، وألقي ست بجسده فى النيل ، وتمكنت إيزيس بعد ذلك من العثور على الجسد، وإعادة الحياة إليه بقوة سحرها، وبمساعدة تحوت ونفتيس وأنوبيس وحورس ولكن أوزيريس كان قد انتسب إلى عالم الموتى ، وفضل أن تكون مملكته هناك فى أرض الموتى ، تاركاً مهمة الدفاع عنه فى هذه الأرض لولده حورس.

الأله أوزيريس

هذا وقد ربط المصريون بين أوزيريس (أوسيرى بالقبطية) وكل التطورات التى تحدث على سطح الأرض طوال العام، وتؤثر فى إنتاجهم الزراعى، فعندما يجئ الفيضان يكون أوزيريس هو الماء الجديد الذى يكسب الحقول خضرة، ومع أن أوزيريس صار مع الماء، بل من ينابيع الماء العظيمة، نفساً واحدة، فإنه من الواضح، أن وظيفة خاصة للماء هى التى امتزج بها، فالماء بوصفه مصدراً للخصب، ومانحاً للحياة، هو الذى وحد به أوزيريس، وهو الذى يسبغ الحياة على التربة، ومن ثم فإن أوزيريس كان يتصل بالتربة اتصالاً وثيقاً، وإذا ما جف النبات وفنى، فإن هذا يعنى أن أوزيريس قد مات ، غير أن موته هذا ليس أبدياً إذ اعتقد القوم أن الحياة تعود إليه كل عام، وبعودتها تنبت المزروعات التى يعيش عليها الحيوان والإنسان ، ومن ثم فإن الإشارات المعروفة لنا عن أوزيريس إنما تقرنه بحياة النبات أو توحده معها، كما تربط متون الأهرام بين أوزيريس والحياة النباتية ، ويرتبط بذلك تصوير أوزيريس مستلقيا على الأرض وينبت القمح من جسده أو تمثل شجرة نابتة من قبره أو تابوته، أو تجعل تماثيل الإله المصورة على هيئة مومياء فى قالب مكون من الدشيشة والتراب مدفونة مع المتوفى أو موضوعة فى حقل القمح ليضمن به الزارع محصولاً موفوراً من أرضه ، هذا فضلاً عن أن أوزيريس إنما قد وحد فى أقدم نسخة من كتاب الموتى مع الحنطة، إذ يقول المتوفى معبراً عن نفسه " أنى أوزيريس، وأنى أعيش كحبة حنطة وأنمو كحبة حنطة وأنى شعير"، وهكذا، ومن أجل الحياة والموت اعتبر أوزيريس بعد ذلك إلها للموتى، وأما فى العصور المتأخرة فقد اعتبر إلهاً للقمر، لأنه كان يختفى ثم يعود مرة ثانية إلى الحياة، كما مثل كذلك الشمس الغاربة والمشرقة، هذا وقد أدت كثرة وظائف أوزيريس إلى أن يصبح ينبوعاً لا ينضب لوضع الأساطير، وربما كانت أسطورته صدى لأحداث طواها الدهر منذ أمد بعيد، وربما كانت هذه الأحداث غير مرتبطة فى الأصل، فضلاً عن انتمائها إلى عصور مختلفة، ثم أدمجت فيما بعد فى قصة أخلاقيه عن الكفاح بين الخير والشر، وتتلخص فى أن ملكاً طيباً قتله أخوه الشرير، فأحضرت زوجته جثته ونجحت فى أن تعيد إليها الحياة، ثم عكفت على تربية ولدها منه فى كتمان شديد، حتى إذا ما بلغ مبلغ الشباب انتصر على قاتل أبيه وجلس على عرشه، ولا ريب فى أن ما أكسب هذه الأسطورة تلك القوة، إنما كان بسبب الأعتقاد بأن الأستبداد والظلم ليساهما القوتان اللتان تسودان العالم، وإنما الحق والإخلاص، هذا فضلاً عن الاعتقاد بانتصار الإله المقتول على الميت، فقد إسترجع الحياة، وأصبح سيد للموتى، بعد أن تنازل عن حقه فى سيادة الأحياء لولده حورس ومن الواضح أن القوم إنما قد تمسكوا بهذه الأفكار منذ أول عصورهم، وأن هذه القصة كانت بمثابة المثل الواضح الذى تبلورت حوله هذه الأفكار.

هذا وتصف النصوص كذلك وفاء الزوجة إيزيس لزوجها أوزيريس، فقد أخذت تبحث عنه دونما كلل أوملل فى كل أنحاء البلاد، بعون من أختها نفتيس حتى قدر لها أن تعثر عليه فى "ندية"، ثم استعانت بكل الآلهة وبكل القوى السحرية، حتى تمكنت آخر الأمر من أن تعيد إليه الحياة حيناً من الدهر، حملت فيه من زوجها حملا إلهيا، وأنجبت ولدهما حورس الذى قدر له أن يستعيد حق أبيه وعرشه المغتصب، ويذهب "أوتو" إلى أن التفسيرات المتأخرة قد أوضحت لنا أنها قد اسدلت الستار على جسده، واستقبلت مولودها، وأن هذا التصور يعنى عند القوم أن الموتى إنما كان فى استطاعتهم أن يهبوا الأحياء الخصوبة، ومن ثم فإن أوزيريس إنما هو جسد الخصوبة الأرضية، وحين تتجسد هذه الفكرة فى شكل إله ميت، فإن هذا يعنى منح الحياة الجديدة للابن من الأب المتوفى، وعلى أى حال، فلقد عكفت إيزيس على تربية ولدها حورس وعندما بلغ مبلغ الرجال، عقد له أتباع أوزيريس لواء الزعامة لاستعادة نفوذهم القديم، تحت شعار "بوتو" إحدى مراكز عبادة حورس وقد كتب له فى ذلك نجاحاً بعيد المدى ، وهكذا كان المصرى يرمز لكل ملك حى بانه "حورس" ولكل ملك ميت بأنه "أوزيريس"، ثم سرعان ما تصبح للعقيدة الاوزيرية علاقة وثيقة

بالملك، ومن ثم فقد اتخذ الملك زى وشارات أوزيريس فى طقوس "عيد سد" الذى كانت ترمز مراسيمه إلى بعث "أوزيريس"، وكان الهدف منه ربط فرعون بهذا الحادث الميمون، وفى النهاية أصبح فرعون المتوفى "أوزيريس".

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى ما تعبر عنه الأسطورة من قيم فاضلة، غير ما ذكرنا من قبل، فإخلاص الزوجة لزوجها، وبر الابن بأبيه، والحنان وحب الوالدين الخالص من الأنانية نحو الأبناء، ونصرة الأبناء لوالديهم، كلها أدلة على أهمية السلوك الفاضل داخل الأسرة، باعتبارها العمل الأول فى ظهور الأفكار الخلقية، هذا فضلاً عن أن الحكم الذى صدر لصالح أوزيريس واعتباره "ماع خرو" أى مبرأ أو صادق الصوت، واحتفال الآلهة فى كل أنحاء البلاد، وفى الجهات الأربع فى السموات والأرض بذلك، إنما يعد انتصار الحق.

أضف إلى ذلك أن سلوك الإنسان وأفعاله إنما قد خرجت من نطاق الأسرة الضيق، وأصبح الحكم عليه، صواباً أو خطأ، من المجتمع نفسه، ذلك لأن قيم الإنسان وأفكاره إنما أصبحت ترتبط بحياته العملية وبسلوكه داخل المجتمع.

هذا وكان من نتائج ازدياد أهمية أوزيريس وأسطورته ذات المغزى الطيب، وانتشارها التدريجى بين طبقات المجتمع المصرى، وبخاصة الدنيا منها، أن انعكس ذلك فى الخلود، عن طريق اسم أوزيريس ومحاكاته، على أساس أنه ملك مؤله، ورث حكم مصر عن أبيه جب، فأقام فيها العدل، وهدى الناس إلى الخير، ونشر بينهم العدل، ثم تعرض لغدر أخيه ست، فمات وبعث حياً، فظلت ذكراه فى قلوب الناس تحمل معانى التقديس والإجلال، ومن ثم فقد مزج كهنة رع عودته للحياة لكى يضيفوا إلى ملوكهم نفس صفات أوزيريس، بغية أن يعيشوا الحياة الدائمة ، كما عاش أوزيريس، غير أن هذا التصور الأوزيرى لم يكن مقصوراً على الملوك وحدهم، وإنما تعداه إلى فئات أخرى من المجتمع، وان بدت ظواهره خفيه فى البداية، ثم سرعان ما أصبحت واضحة بعد عصر الثورة الإجتماعية التى إتجهت فيها البلاد نحو الديمقراطية، والتى لم تكن وقفا على الحياة الدنيا، بل تعدتها إلى الحياة الثانية، ولهذا نجد العامة من القوم يشاركون الفرعون مصيره الأخروى، فكما أن الفرعون سيكون أوزيريس فى الآخرة، فلقد اعتقد كل فرد أنه سيكون كذلك أوزيريس، فما كاد الحى ينتهى إلى الآخرة حتى يحمل أوزيريس وصفاته، فيرعى جسده حارس إيزيس ونفتيس، ويقوم إلى جواره ولده حورس ليدفع عنه شر المعتدين، ثم يقودة فى موكب النصر والرحمة إلى مكانه من السماء، وما يكاد ركب التاريخ يصل بأيامه إلى مطلع أيام الدولة الوسطى حتى تصبح هذه العقيدة واضحة فيما انتشر على توابيت الموتى من تعاويذ ورقى، ويصبح الناس متساوين فى عالم القبور.

وهكذا أخذ نفوذ أوزيريس ومصيره فى العالم الآخر ينتشر بين كل طبقات المجتمع الذين اعتقدوا أن قبر أوزيريس الأصلى ، إنما كان فى الصحراء خلف أبيدوس ، فى مكان مقبرة جر ، ومن ثم فقد أصبحت مكاناً مقدساً ، بل أكثر قداسة من أى مكان آخر فى مصر ، وبالتالى فقد عملت فئات كثيرة من كل الطبقات والبلاد على أن تدفن هناك بجوار قبر أوزيريس ، ومن تعذر عليه ذلك جهد على أن يقيم لنفسه قبراً رمزياً أولوحاً تذكارياً ، ينقش عليه اسمه وأسماء أقاربه ، فضلاً عن الدعوات والصلوات للإله العظيم ، كما حرص بعض حكام الأقاليم ممن كتب عليهم أن يدفنوا فى أقاليمهم ، أن يحمل جثمانهم إلى مقر إله الموتى فى أبيدوس ثم العودة ببعض الأشياء لتودع معهم فى قبورهم فى مواطنهم الأصلية ، ولعل السبب فى ذلك أن القوم إنما كانوا يعتقدون أن بعث أوزيريس إنما تم فى أبيدوس على يد تحوت ، سيد الكلم المقدس ، وإيزيس التى انتفعت بما زودها به تحوت من كلام ، ثم حورس الذى قام بالاحتفالات الرمزية ، كما يقال أن رع قد أرسل أنوبيس ليعاون إيزيس ونفتيس وتحوت وحورس فضلاً عن أن يخيط الأوصال المقطعة ، وهكذا أعادت الحياة إلى أوزيريس ، وبدأ حكمه كملك على الموتى فى العالم السفلى ، وسيد للأبدية ، وكان يظن

أن بعثه كان بعثاً جسمانياً بفضل السحر ، كما كان يحتفل سنوياً فى أبيدوس ، وهكذا أصبحت الرحلة إليها عند القوم رحلة حج إلى مقر أوزيريس ، وبالتدريج حلت محل ما يسمى "بالحق القديم الذى كان يقام فى أون" ، الأمر الذى يفسر لنا كذلك اللوحات الجنازية الموجودة فى "أم القعاب" والتى أقامها أصحابها القادمون من جميع أنحاء البلاد لزيارة قبر أوزيريس، ومن هنا كان أهم ألقاب أوزيريس "خنتى امنتى سيد ابجو" ، بجانب ألقابه الأخرى ، مثل ملك الآلهة ووريث جب وسيد الأبدية والكائن الطيب. وإله الخصب والنماء.

(أنظر الحج إلى أبيدوس).

هذا وقد عبد أوزيريس فى كل أنحاء البلاد فى ثالوث يتكون منه ومن إيزيس وحورس وكانت مراكزه الرئيسية فى "بوزيريس" (أبوصيربنا) وفى أبيدوس، (أبجو) وفى "تديت" على مقربة من أبيدوس، حيث قتل هناك أو عثرت إيزيس على جسده، وعرف هناك بصفته "أول الغربيين" وهو اللقب الذى أخذه من معبود أبيدوس الأصلى "خنتى امنتيو" ويعنى ملك الموتى، وربما كان هناك تمثال لأوزيريس فى كل معبد فى مصر، غير أن "أبيدوس" إنما كانت أشهر مراكز عبادته فى مصر، ومن هنا اهتم الملوك بها منذ عصر التأسيس، حيث اكتسبت نصيباً من القداسة لوجود معبد "خنتى إمنتى" إمام الغربيين على حافة الأراضى الزراعية المؤدية إليها وعلى حافة الطرق المؤدية إلى مقابر الملوك فيها وزادت قداستها بعد بداية عصر الأسرات، منذ أن اعتبرها أهل الدين مقراً لضريح أوزيريس، منذ أن نسبوا إليه الملك "جر" من الأسرة الأولى، ثم تضخمت قداستها بمرور الأجيال حتى اعتبرت فى الدولة القديمة داراً للحج والزيارة.

أوستراكا :

كلمة يونانية الأصل ostraca بمعنى قطعة مكسورة. يقصد بها علماء الآثار فى كتاباتهم أى قطعة مكسورة من أناء من الفخار أو أى شطفة من الحجر، وخصوصا الحجر الجيرى الأبيض، أستخدمها القدماء للكتابة عليها. وهناك عشرات الألوف منها فى متاحف مصر وفى جميع متاحف العالم الكبيرة بعضها عليه كتابة بالهيروغليفية والبعض الأخر بالهيراطيقية كما يوجد الكثير منها باليونانية واللاتينية والقبطية والعربية وغيرها من اللغات. والموضوعات المدونة عليها متنوعة. فبعضها رسائل شخصية أو كشوف حسابات ومعاملات مالية بين بعض الأفراد ومنها عدد كبير عليه فقرات من كتابات أدبية منقولة عن البرديات المعروفة، وعلى البعض الآخر رسوم لبعض المعبودات أو الحيوانات أو الرسوم الهزلية (الكاريكاتورية) وبعضها ملون.

ولم يقتصر أستخدام الاوستراكا على عصر معين أو منطقة معينة بل كان استخدامها عاما فى جميع العصور وفى أنحاء البلاد ولكن أهم مصدر لها فى المناطق الأثرية فى مصر هو جبانه "طيبة" وخصوصا فى أيام الأمبراطورية (الأسرات ١٨-٢٠) وعلى الأخص مدينة العمال بدير المدينة.

أوسركاف :

لقب الملك وسركاف بلقب "أرى ماعت" أى منفذ الحق ويرى مانيتون أنه حكم ٢٨ سنة ويعطيه كاتب بردية تورين ٧ سنوات فقط ويشير حجر بلرمو أنه قد قام بتشييد معابد للآلهة والآلهات وخاصة إلة الشمس رع وهو أحد ملوك الأسرة الخامسة.

وقد أختار وسركاف منطقة سقارة لتشييد هرمه الذى شيده على مقربة من الركن الشمالى لسور هرم جسر المدرج ويرى إدواردز أنه ربما كان لهذه المنطقة فى الأسرة الخامسة تقديسا خاصا يفسر لنا أختيار وسركاف لهذه المنطقة على الرغم من ارتفاعها إرتفاعا ملحوظا وخاصة فى الجهة الشرقية من الهرم حيث يقام عادة المعبد الجنزى للهرم مما إضطر مهندسة إلى بناء المعبد فى الجهة الشرقية للهرم لكى لا يخالف القاعدة العامة ، ويعتقد فيرث أن عدم وجود المكان الكافى فى الجهة الشرقية

للهرم هو الذى إضطر المهندس لتشيد المعبد الجنزى فى الجهة الجنوبية والأكتفاء بهيكل صغير فقط فى الجهة الشرقية. وهرم وسركاف بسيط فى تخطيطه ويشبه فى تصميمة أهرامات الأسرة الرابعة وهو مشيد من الحجر الجيرى وكان له كساء من الحجر الجيرى الجيد وكان إرتفاعه ٤٤,٥متر (الآن ٢٢,٨٠متر) وطول ضلع قاعدته المربعة كان ٧٠,٣٧ متر وأصبح ٦٣,٨٤ متر.

ونعرف من المصادر التاريخية أن وسركاف هو أول ملك شيد معبد لإله الشمس رع فى منطقة أبو غراب (على بعد ميل شمال أبو صير جنوب الجيزة) وفى أعوام (١٨٩٨-١٩٠١) قام كل من المهندس لدفج بورخارت والأثرى هنرش شيفر بالبحث عن معابد الأسرة الخامسة فأكتشف معبدين أحدهما شيده الملك نى وسر رع والآخر ربما ينتمى للملك وسركاف. وفى عام ١٩٢٨ عثر فيرث على هذا المعبد للمرة الثانية وكان متهدما وقد أستخدم المصريون موقعة فى العصر الصاوى لبناء مقابرهم وقد عثر المنقبون على بعض أجزاء من تماثيل الملك وسركاف أهمها رأس لتمثال له (ثلاث أمثال الحجم الطبيعى) وهو من حجر الجرانيت الأحمر موجود الآن بالمتحف المصرى وبعض أجزاء من مناظرة منقوشة نقشا متقنا. ومما يؤسف له أن هذا المعبد مخرب تخريبا كاملا، ولم يعثر فيه على أى دليل مكتوب يؤكد نسبة المعبد للملك وسركاف.

أوسركون الأول :

ثانى ملوك الأسرة الثانية والعشرين التى انحدرت من جد ليبى أسمه "يويو واوا". هاجر من ليبيا واستقر بعض الوقت فى الواحات البحرية ثم انتقلت الأسرة إلى مدينة اهناسيا وانخرط بعض افرادها فى السلك الكهنوتى والبعض الآخر فى السلك العسكرى ، وانتهى الأمر بأن تولت هذه الأسرة عرش البلاد مكونة الأسرة الثانية والعشرين. وهناك غير هذا الملك ثلاثة أخرون سموا بهذا الإسم - وحرص ملوك هذه الأسرة على أن يعينوا أولادهم كبارا لكهنة أمون فى طيبة حتى يستطيعوا الهيمنة على هذا المركز العتيد ويستمدوا منه نفوذهم على بقية أجزاء الدولة ، ويحصلوا على ماتدرة أملاك معابد أمون من ثروة ضخمة.

أوشبتى : (أو شاوبتى)

كلمة مصرية قديمة تعنى "المجاوب" وهى مشتقة من كلمة "شاوبتى" القديمة التى لا نعرف حتى الآن معنى لها ، والكلمتان أطلقهما المصرى على نوع من التماثيل الصغيرة الحجم المصنوعة أما من الحجر أو من مادة القاشانى (فيانس) أو من الخشب أو البرونز أو من الطين المحروق. وكل تمثال منها يمثل مومياء ملفوفة فى أكفانها وقد أمسك بإحدى يدية فاسا وبالأخرى قدوما وحبلا ينتهى بمقطف مجدول من القش يحمله فوق ظهره. ويشرح لنا الفصل السادس من كتاب الموتى مهمة هذه التماثيل إذ نقرأ فى هذا الفصل:

"أيها المجاوب "أوشبتى" إذا ما دعى صاحبك "فلان بن فلان" (إسم صاحب المقبرة) ليقوم بواجباته من الأعمال المعتادة فى عالم الموتى. فعليك أن تجاوب قائلاً: ها أنذا".

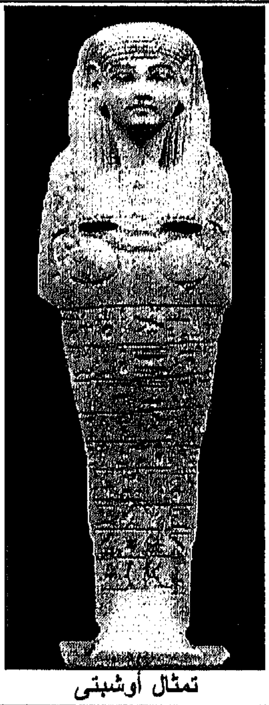

تمثال أوشبتى

وتعتبر عادة وضع تماثيل المجاوبين "الأوشبتى" فى المقبرة تطوراً لعادة قديمة أنتشرت بين الناس منذ أول أيام التاريخ المصرى وهى دفن عدد كبير من الخدم حول مقبرة سيدهم للقيام على خدمته فى الدنيا الثانية. وما لبثت هذه العادة أن أختفت تماما من مصر فى أواخر أيام الأسرة الأولى وحلت محلها تدريجيا عادة وضع تماثيل من الحجر تمثل عددا من الخدم، كل يقوم بأداء مهمته التى يؤديها فى الدنيا الأولى، وكانوا يضعون هذه التماثيل فى سرداب المقبرة مع تمثال صاحبها. وفى عصر الدولة الوسطى، زاد انتشار عقيدة أوزيريس رب الدنيا الثانية وكان المصرى يراها صورة طبق الأصل من مصر التى عرفها فى حياته ولكن مكانها كان تحت الأرض وفيها سماء ونيل وأرض خصبة تحتاج إلى ريها وفلاحتها. وكانت العادة تقضى فى عصر الدولة الوسطى بوضع تمثال أحد المجاوبين فى المقبرة ، ولكن هذا العدد زاد فى الدولة الحديثة ووصل عامة إلى ٤٠٣ : لكل يوم تمثال ولكل عشرة تماثيل مشرف (٣٦٠ يوماً + ٣٦ مشرفاً = ٣٩٦) ثم لكل يوم من الأيام الخمسة لشهر النسئ تمثال وللخمسة تماثيل مشرف عليهم (٥+١=٦) وفى نهاية الأمر تمثال لكاتب يسجل أعمال كل مجاوب ويكتب تقريرا عن سير العمل. وكثيرا ما نعثر فى بعض مقابر العصر المتأخر على أعداد ضخمة من هذه التماثيل تصل إلى ٧٠٠ تمثال توضع فى مجموعات فى صناديق خشبية بجانب تابوت الميت. ولم تخل مقبرة من هذه التماثيل سواء كانت لملك أو لأى فرد من أفراد الشعب.

أوناس (ونيس) :

آخر ملوك الأسرة الخامسة، حكم فترة ثلاثين عاما وهو أول ملك نقش فى حجرة دفنة نصوص اصطلح على تسميتها بنصوص الأهرام وهى التى كشف عنها ماسبيرو عام ١٨٨٠ فى هرمه المشيد فى الركن الجنوبى الغربى لسور الهرم المدرج بسقارة وهى عبارة عن مجموعة تعاويذ وصلوات وطقوس دينية مختلفة تم إختيارها بواسطة الكهنة ومن الملاحظ أنها تختلف من هرم لآخر بدليل أن الكهنة كانوا يفضلون بعض النصوص على البعض الآخر أما الهدف منها فهو ضمان السعادة الأبدية فى الحياة الثانية بعد موت الملك أو الملكة وقد وصل مجموع هذه التعاويذ إلى ٧١٤ تعويذة نجد منها ٢٢٨ فقط فى هرم ونيس. بل إكتشف ماسبيرو أيضا فى نفس العام (١٨٨٠) نصوص أهرامات كل من الملوك تيتى الأول ومرنرع الأول وببى الثانى من الأسرة السادسة كما أكتشف جكييه بعد ذلك فى الفترة ما بين ١٩٢٠ - ١٩٣٥ نصوص أهرامات زوجات الملك ببى الثانى الثلاث الملكة أوجبتن والملكة نيت والملكة إبوت وأخيراً وجدت هذه النصوص منقوشة فى هرم ملك يدعى أبى أحد ملوك الأسرة الثامنة.

ويصل أرتفاع هرم ونيس الآن إلى ١٩ متر بعد أن كان فى الأصل ٤٤ متر وطول ضلع قاعدته المربعة ٦٧ متر وهو مهدم إلى حد كبير. ويميز الطريق الصاعد فى المجموعة الهرمية للملك ونيس أن جدران هذا الطريق منقوشة بمناظر مختلفة منها ما يمثل حاملى القرابين ومنها يمثل أسطولا من السفن تحضر أحجاراً من محاجر أسوان ومنها ما يمثل صيدا طقسيا كما نجد به أيضا المنظر المشهور الذى يمثل جماعة أنهكهم الجوع وقد أتقن الفنان التعبير عنهم وهم أغلب الظن من غير المصريين.

أوناس : (هرم)

يقع هرم الملك أوناس جنوب غرب مجموعة زوسر وهو أثر من الآثار الهامة التى يجب أن يزورها كل من يذهب إلى سقارة ، ونقوم الآن بوصف العناصر المعمارية المكونة للمجموعة الهرمية لهرم أوناس وهى:

معبد الوادى :

نرى معبد الوادى للملك "أوناس" على مقربة من مدخل الطريق المؤدى إلى منطقة آثار سقارة على مقربة من حافة الأراضى المزروعة. وتم الكشف عن جزء من هذا المعبد قبل قيام الحرب العالمية الثانية ببضع سنوات، ولكن لم تستأنف الحفائر بعد

ذلك ولم يتم الكشف عن المعبد كله، ونـــرى بيـــن خرائبه بعض أعمدة من الجرانيت الأحمر وتيجانها من الطراز النخيلى.

وكان الغرض من هذا المعبد أن يكون عبارة عـــن ميناء رست عندها المركب التى كانت تحمـــل جثمـــان الملك للصلاة عليه قبل دفنه فى هرمه ، بعد نقله فـــى موكب دينى عبر الطريق الصاعد إلى المعبد الجنازى.

الطريق الصاعد :

وهو يصل بين معبد الـــوادى والمعبـــد الجنـــازى وطوله يزيد على ٦٦٠متراً ، وينحرف إتجـاه مرتيـــن نظراً لإرتفاع الهضبة ، وهـــو بيـــن جدرايـــن وكـــان مسقوفاً، وأرضيته مرصوفه بكتـــل الحجـــر الجيـــرى الأبيض الجيد. كان سقف الطريق مزيناً بنجوم ملونـــة باللون الأصفر فوق أرضية زرقـــاء، وعلـــى جدرانـــه مناظر منقوشة.

فعلى الجانب الشمالى نشاهد مناظر تمثـــل تمليـــح السمك بعد صيده ، ونرى بينهم صبـــى يمســـك قـــرداً لإضحاك الناس تماماً كما هو الحال الآن. كذلك نـــرى منظـــر لصـــانعى الأوانـــى النحاســـية والحجريـــة وصانعى الذهب والإلكتروم ممسكين منفاخاً لإشعال النار لصهر الذهب.

أما الحائط الجنوبى فعليـــة منظـــراً يمثـــل بعـــض المراكب الكبيرة الضخمة التى تحمل بعـــض الأعمـــدة الحجرية ذات التيجان النخيلية وفى موضع آخر نشاهد بعض مناظر ملونه باللون الأخضر تمثل الصيـــد فـــى الصحراء ويظهر فيها الأرانب البرية والغزلان وكـــلاب الصيد تطاردهم.

ومن بين المناظر الفريدة منظر يمثل مجموعة مـــن الأشخاص بلغ بهم الوهن والضعف درجة كبيرة جعلتهم يبدون وكأنهم هياكل عظيمة ، ويعـــرف هـــذا المنظـــر بمنظر المجاعة ، ولكن من ملامحهم نســـتطيع القـــول بأنهم من غير المصريين.

المعبد الجنازى :

وهو مهدم إلى درجة كبيرة ولم يبق من عنـــاصره إلا قليلاً تعطى فكرة باهتة عما كان عليه هذا المعبد فى العصر القديم ، وإن كان أهم ما نلاحظـــه مـــن هـــذه العناصر تلك الأعمدة الجرانيتية ذات التيجان التى تشبه النخيل ، وهو الطراز المعروف فى جميع المعـــابد الجنازية للاسرة الخامسة ، وتلك الأرضيـــات مـــن المرمر والجرانيت.

الهرم :

والإرتفاع الحالى لهرم "أوناس" يقرب مـــن ١٩ متراً، ولكن إرتفاعه الأصلى كان ٤٤ متراً ، وطـــول كل ضلع منه ٦٤ متراً، وهو مهدم تهدماً كبيراً. ومن الواضح أن الهرم كان مبنيـــاً بالأحجـــار الحجريـــة المحلية ككتله صماء، وعلى الجهة الجنوبيـــة منـــه نرى نقشاً مكتوباً بعلامات كبيرة الحجم ســـجل فيـــه الأمير "خعمواس" أبن الملك "رمسيس الثانى" ترميمه لهذا الهرم.

مدخل الهرم من الناحية الشـــمالية منـــه ، وهـــو منحوت فى الصخر على مسافة قصـــيرة مـــن قـــاعدة الهرم، ويؤدى إلى ممر هابط مقطوع فى الصخر أيضـــاً وكذلك الحجرات الداخلية فيه، والممر الـــهابط ينتـــهى بردهة، وبعدها نجد ممراً أفقياً فيه ثلاثه متاريس مـــن الجرانيت. وهذا الممرالأفقى يؤدى إلى ردهـــة ســـقفها جمالونى مثلث. وفى الجهة الشرقية من هذه الردهـــة (أى إلى يسار الداخل) نجد دهليزاً يـــؤدى إلـــى ثـــلاث فجوات فى الجدار وفى الجهة الغربية دهلـــيز ممـــاثل يؤدى إلى حجرة الدفن.

وسقف حجرة الدفن جمالونى مثلث مزيـــن بنجـــوم منقوشة نقشاً بارزاً وملونه باللون الأصفر فوق أرضية زرقاء. وفى آخر الحجرة نجـــد التـــابوت وهـــو مـــن الجرانيت الأسود ومصقول صقلاً جيداً، وجدران حجـــرة الدفن فى الجزء الذى يشغله التابوت مكسوه بـــالمرمر المصقول ومزخرفة بالزخاف التى تمثل واجهة القصـــر

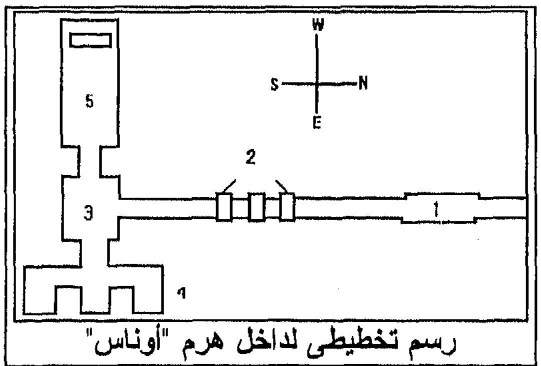

رسم تخطيطى لداخل هرم "أوناس"

وهى ملونة باللونين الأخضر والأسود، وسطوح حجوة الدفن بإستثناء الجزء المكسو بالمرمر، والردهة والممرات الأخرى بل والجزء الأسفل من الممر الهابط مغطاه كلها من السقف حتى الأرض بفصول من "نصوص الأهرام".

أونى :

أو "ونى"، من الشخصيات الهامة فى تاريخ الأسرة السادسة. عرفنا تاريخ حياته من لوحته التى عثر عليها فى "أبيدوس" وهى محفوظة الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة ويذكر فيها أنه كان فتى يافعا عندما تولى أول وظيفة له فى عهد الملك "تتى" أول ملوك تلك الأسرة ثم وصل إلى منصب مدير الزراعة والمشرف على أراضى الملك. ووثق فيه الملك "بيبى الأول" فقلده أعظم المناصب القضائية ووصلت ثقته به إلى الحد الذى جعله يسند إليه إجراء تحقيق مع الملكة وغيرها من نساء القصر ، كما أوكل إليه مهمة تكوين جيش عدد جنوده عشرة آلاف جمعه من بلاد النوبة ومن جميع بلاد الصعيد ابتداء من "الفنتين" فى الجنوب حتى "أطفيح" فى الشمال. ويفتخر القائد الشاب بأن النظام كان سائدا بين جنوده وأن أحدا منهم لم يغتصب شيئا مهما قلت قيمته من أى فرد من الناس، ويذكر إنه قاد ذلك الجيش إلى بلاد فى الشرق من مصر ونجح فى القضاء على الخارجين على النظام من أهلها وأعاد الهدوء إليها وتغنى بجمالها ووفرة أشجار التين وكروم العنب فيها مما يدل على أن تلك الحملة لم تكن ضد بدو سيناء وأنما كانت فى فلسطين. ويذكر "أونى" حملة أخرى جهز لها جيشين سار أحدهما بطريق البر والثانى بطريق البحر، وكان "أونى" نفسه مع الأسطول الذى رسا عند مكان يحتمل جدا أنه عند "حيفا" فى سفح جبال الكرمل ثم توغل الجنود بعد ذلك إلى الداخل، حيث إتصلوا بالجيش الآخر، وأتموا مهمتهم بنجاح، وقمعوا ما كان فيها من عصيان.ويتضح لنا من هذا المصدر التاريخى، صلة مصر بغربى آسيا فى تلك الأيام. ويجب الا يغيب عن ذهننا، أن تلك الحملات، فى ذلك العهد، لم يكن هدفها أخضاع تلك البلاد سياسيا لحكم مصر، بل أنها لم تتعدى أن تكون حملات لحماية طرق التجارة وتأديب المعتدين على قوافلها إذ أن مصر كانت قد بدأت منذ الأسرة الخامسة سياسة توسيع نطاق صلاتها التجارية بالبلاد المجاورة.

ولم يستمر "أونى" فى نشاطه كقائد حربى بعد موت "بيبى الأول" ولكن ابنه الملك "مرنرع" لم يهمل شأن الرجل المحنك وأراد الأستفادة من خبرته وحسن ادارته فعينه حاكما للصعيد ، وكان يطلب منه من آن لآخر، أثناء قيامه بذلك العمل أداء مهمات خاصة، مثل أحضار الجرانيت اللازم لهرمه ومعابده من محاجر أسوان والمرمر من محاجر "حتنوب" ، وآخر عمل هام قام به هو شق خمس قنوات فى صخور الشلال لتسهيل الملاحة ، ويفتخر بأنه اتم ذلك فى عام واحد ، وأن الملك "مرنرع" ذهب بنفسه ليرى تلك القنوات بعد الإنتهاء منها وأن زعماء المنطقة ، وزعماء بلاد النوبة قدموا للملك ولاءهم.

ويختتم "أونى" لوحته بقوله أن ما ناله من تكريم وتقدير فى حياته لايرجع إلا إلى مزاياه الشخصية فقد نشأ عصاميا وأنه كان دائما حائزا على رضاء جميع الناس وعاش محبوبا من أبيه وأمه.

أبيس :

طائر لا يعيش فى مصر الآن ولكن يوجد فى بعض جهات السودان الجنوبى يعيش فى الجهات التى يكثر فيها وجود الأحراش والمستنقعات ، وكان يرمز به فى أيام الفراعنة للأله "تحوت" ويحنط ويعنى بدفنه بعد موته، وهو دون شك غير الطائر المعروف فى مصر باسم "أبو قردان" الذى يراه الناس فى الحقول.

عثر على أكثر من جبانه جماعية له ، وكان يوضع كل طائر منها فى إناء من الفخار بعد تحنيطه ولفه فى كفن خاص ، وكثيراً ما كانوا يضعون فى نفس المكان المعد لدفنه تمثال له من النحاس أو البرونز أو غير ذلك من المواد كما كانوا يضعون معه الحلى أو التمائم والجعارين.

أشهر جباناته الجماعية كانت فى تونا الجبل ، وهى جبانه الأشمونين مركز عبادة الأله تحوت ، وقد عثر أيضا على سراديب دفن له فى جهات أخرى كان أحدها

فى الواحات البحرية ، وقد عثر فى السنوات الأخيرة على عدة سراديب لدفنه فى سقارة وفيها عشرات الألوف من مومياته.

أيبوور:

حكيم عاصر الملك ببى الثانى آخر ملوك الأسرة السادسة، وفى ذلك العصر أخذت عوامل الإنحلال تظهر فى الإدارة الحكومية وتؤثر فى هيبة الملك عند الشعب، واستشرت عوامل التفكك وغزا بدو سيناء والصحراء الشرقية بعض مناطق الدلتا. قام هذا الرجل بمجابهة ملك مصر - وقد بلغ من الكبر عتيا (حكم أربعاً وتسعين سنة وجلس على العرش وهو فى السادسة من عمره) - بحقائق مرة عما يجرى فى مصر من أحداث قلبت الأوضاع رأسا على عقب ، فذكر له كيف عم الخراب البلاد وكيف تهاوت كل المثل العليا للمصريين فاعتدى الناس على القوانين وانتهكوا حرمة المعابد وشردوا منها كهنتها. ووصلت إلينا بردية كاملة تحوى تحذيرات هذا الحكيم وتعتبر الوثيقة الأولى التى تسجل ثورة إجتماعية ضد قدسية الملوك وضد الطبقة الحاكمة التى ألهتها زخارف الدنيا والحياة الرغدة عن رعاية الشعب وحمايته من عوامل التفكك والأنحلال.

انظر الأدب المصرى القديم.

إيزيس :

يذهب بعض الباحثين إلى أن ايزيس، بمعنى كرسى العرش. إنما كان أصلها فى الدلتا، وربما ظهرت فى أول الأمر كمعبودة محلية بمدينة "بر - حبت" (بيت الأعياد) ، والتى أطلق عليها الأغريق ايسيتوم (ايزيوم) عاصمة الإقليم الثانى عشر وهى بهبيت الحجر الحالية (٩ كيلو شمال غرب سمنود)، ويبدو أنها كانت إلهة سماوية، ثم فقدت طابعها هذا منذ أن ورد ذكرها فى قصة أوزيريس، وأحتفظت بصفتها كزوجة أوزيريس، وأما لحورس، ثم سرعان ما أشتهرت بصفاتها المتعددة التى ترمز للاخلاص العظيم للزوج والرعاية الكاملة للابن ، ومن ثم فقد أصبحت فى نظر القوم المثل الأعلى للأم الحنون، والزوجة الوفية ، ونظرا لالتجائها إلى السحر للعثور على جثة زوجها الشهيد ، وأعادة الحياة إليه ، فضلا عن الدفاع عن إبنها ، والأصرار على توليته عرش مصر ، كوريث لابيه أوزيريس ، فقد أشتهرت بلقبها "العظيمة فى أعمال السحر" ، هذا وتشير الأساطير إلى أنها ولدت فى أيام النسئ، شانها فى ذلك شأن أوزيريس وست ونفتيس وحورس ، وقد أنجبت حورس عندما كانا ما يزلان فى الرحم وأما بعد موت أوزيريس.

وهناك ما يشير إلى وجودها منذ عصور من قبل الأسرات، وقد عثر على أسمها من عصر التأسيس على ختم من أبيدوس، كما عثر فى حلوان على قطعة عاجية تمثل رمز الألهة إيزيس على هيئة يد ملعقة، فضلا عن قطعة أخرى عاجية ربما كانت غطاء لصندوق صغير، وقد حلى الغطاء برسمين بارزين لرمز إيزيس وتحتها العلامة "حتب" وقد زادت أهمية إيزيس فى العصور المتأخرة، ثم سرعان ما بدأ القوم ، فيما قبل العصر الأغريقى، يخلطون بين الآلهة المصرية وبين بعضها الآخر، ومن ثم فقد خلطوا بين إيزيس وبين حتحور وغيرها من الآلهات، ومن ثم فقد أصبحت إيزيس شخصية مبهمة، حتى يمكن أن يقال أنها غدت الآلهة بصفة عامة، وقد سميت فعلا فى أحدى المرات "الجوهر الجميل للآلهة جميعاً"، وفى نشيد من العصر الرومانى أصبحت تعرف بصفة عامة

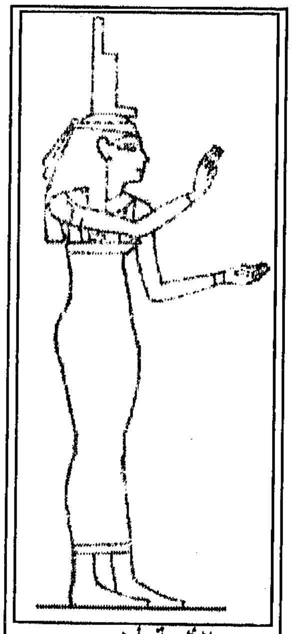

الألهة أيزيس

الهة كل مدينة، وأصبح على كل من الألهات نيت وباستت وبوتو وغيرهن أن تقنع بأن تصير إيزيس، هذا وقد ظهرت فى العصور الفرعونية المتأخرة روايات تذهب إلى أن أحد أجزاء جسم أوزيريس قد دفن فى جزيرة، "بيجة"، على مقربة من فيله، ثم سرعان ما أخذت عقيدة إيزيس تظهر فى المنطقة على أنها الآلهة الشافية لكثير من الأمراض، وذات القدرة العجيبة فى السحر ، ومن ثم فقد بنى لها الملك "نختنبو" من الأسرة الثلاثين مقصورة فى الجزيرة.

هذا وقد أستمرت عبادة إيزيس طوال معظم العصور الفرعونية، وخاصة فى جزيرة فيله ، وظلت تعبد هناك حتى القرن السادس الميلادى ، وقد تغيرت هيئتها ، كما حدث لأوزيريس ، كما أستمرت موقرة مثله فى شكلها الجديد، ومن ثم فقد أصبحت كذلك ألهة للخصب، بينما كان أوزيريس يمثل فيضان النيل، ورمزت إيزيس إلى الثراء فى أرض مصر التى قامت بحمايتها من ست (الصحراء) ، وبصفتها الألهة الأم، فقد أكتسب صفات حتحور ونوت ، ومع ذلك فقد كان يشار إليها ، بصفة أساسية ، على أنها الزوجة المخلصة والنائحة ، ومثلث غالبا فى هذا الدور على هيئة حدأة تصحبها نفتيس ، وكحداه وأثنين معها يلاحظان الأوانى الكانوبية أو على هيئة حدأة جاثمة على نهايتى التابوت ، وفى عصور أخرى شوهدت كحامية لمتوفى (أوزيريس ، أو غيره مما قد اندمج معه) بأجنحه ذات ريش طويل. ومثلث غالبا فى هيئة امرأة على رأسها كرسى العرش ، وهى العلامة الهيروغليفية التى تعنى اسمها ، وفى أحيان أخرى كان غطاء رأسها قرص الشمس الذى يحيط به قرنى البقرة ، وقد أتى ذلك من توحيدها مع حتحور ، وشوهدت أحيانا برأس بقرة وهى الرأس التى أعطاها أياها تحوت ، عندما ضرب حورس رأسها عقابا لها على أعتراضها على انتقامه من ست ، هذا وقد شوهدت إيزيس فى بعض الأحايين كأمراة على رأسها هلال القمر ، أو قرنان من زهور اللوتس وأذنى بقرة ، أو تحمل نباتا قرنيا ، هذا وقد يشير إليها ، فى تماثيلها التى تظهر فيها وهى ترضع الطفل حورس على أنها حامية الطفل ، وخاصة من المرض ، وكان رمزها المميز هو الحزام أو عقدة إيزيس التى اعتقد القوم أنها تمثل قوة الخلق.

هذا وقد تمتعت إيزيس فى عصر البطالمة بمكانه فاقت ما كان لألهات مصر الأخرى ونستدل على ذلك من كثرة الأشارة إليها فى النصوص الهيروغليفية ، ومن انتشار معابدها فى جميع أنحاء البلاد ، ومن تقديم كافة الطبقات القرابين والهبات لها ، هذا وقد كان الاغريق يشبهون إيزيس بد يمتر، وفى عهد البطالمة شبهت إيزيس بالألهات افروديت وهيرا وأثينا ، ومن ثم فإن الملكة "أرسينوى الثانية" ، زوج بطليموس الثانى، التى تشبهت بافروديت، قد تشبهت كذلك بإيزيس، كما أن الكثيرات من ملكات وأميرات البطالمة قد تشبهن (أيزيس)، وصورن فى شكلها بطراز اغريقى، الأمر الذى ساعد على انتشار عبادة إيزيس بين الاغريق، حتى إذ ما كنا فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، كانت إيزيس قد أحتلت مكانه بارزة بين الأغريق، وأما مركز عبادة إيزيس الرئيسى فى عهد البطالمة فهو جزيرة فيله (انس الوجود ، جنوبى أسوان)، حيث شيد لها وللآلهة المتصلة بها معبداً عظيماً، هذا إلى جانب عدة معابد فى الإسكندرية ومجاوراتها، فضلا عن فيلادلفيا، ثم سرعان ما أنتشرت عبادة إيزيس فى حوض البحر المتوسط، حتى شبهها الأغريق بكل الهة أخرى ، وبكل سيدة رفعت إلى مصاف الآلهة ، وإعتبروها "سيدة الجميع ، البصيرة ، القهارة ، ملكة العالم المأهول، نجم البحر وتاج الحياة ، مانحة القانون، المنفذة، منبع الرشاقة والجمال ، مصدر الحظ والثراء ، رمز الصدق والحب"، لأنها وهبت العالم فنون الحضارة ، ووضعتها تحت رعايتها ، هذا وقد كانت إيزيس ، بوصفها الهة ثغر الإسكندرية ، قد أصبحت حامية الملاحة ، ومن ثم فقد أصبحت تمثل ومعها الدفة ، وبوق الوفرة وعليها رداء يكاد يشبة طراز أردية النساء من الدولة الحديثة ، ذو طيات كثيرة ، وعقدة على الصدر ، ثم سرعان ما أنتشرت عبادتها فى أوروبا حتى وصلت إلى إنجلترا ، عندما اعتبرت كذلك حامية البحارة فعملوا على نشر عبادتها فى كل مكان وصلوا إليه.

ايمحوتب :

من نوابغ البشر ، ولد وعاش بمصر فى مستهل الألف الثالث ق.م ، وارتبط اسمه باسم الملك "زوسر" مؤسس الأسرة الثالثة بدأ حياته معماريا كاتبة، ولم يقتصر نبوغة على العمارة ، بل أمتد إلى نواح أخرى، فقد ذكر المؤرخ المصرى "مانيتون" ، الذى عاش فى القرن الرابع ق.م.، عند حديثه عن زوسر قال: "وفى عهده عاش إيموثيس (ايمحوتب) الذى يعتقد اليونانيون إنه "أسكلبيوس" (إله الطب عندهم) بسبب مهارته فى الطب. وقد أكتشف هذا الرجل فن البناء بالحجر المنحوت وأقبل بكل روحه ، وبحماس شديد على العلم ولكنا نعلم أن المصريون أستخدموا الحجر المنحوت ، فى تشييد مبانيهم قبل أيام "ايمحوتب" بعهد طويل ، منذ أيام الأسرة الأولى ولكنه صاحب الفضل ، فى كونه أول من أقام مبان كبيرة الحجم من الحجر فى مصر ، بل وفى العالم كله ، وأول من شيد المقبرة الملكية على هيئة هرم مدرج ، وأول من أستخدم الحجر على نطاق واسع، فى تشييد المعابد ، وعلى الأخص العناصر المعمارية، والتى كانت تبنى حتى أيامه بالطين، أو بالبوص أو الخشب وفروع الشجر.

كانت المقابر الملكية حتى آخر أيام الأسرة الثانية، تبنى من الطوب اللبن، على هيئة بناء مستطيل كبير الحجم، يسميه الأثريون "مصطبة" لمشابهته للمصاطب التى يبنيها سكان القرى فى مصر أمام بيوتهم ، ولكن "ايمحوتب" أدخل شيئا جديدا عندما قرر تشييد قبر "زوسر" فى سقارة على هيئة مصطبة ، كلها من كتل الأحجار ثم أخذ يزيد عليها مصطبة فوق أخرى ، حتى بلغ عددها ست مصاطب ، وهو الهرم المدرج بسقارة. ولم يكتف بذلك ، بل بنى حول الهرم سورا ضخما بالحجر، ما زال جزء كبير منه قائما فى مكانه حتى الأن وبنى فى داخل السور مجموعة من الهياكل والمبانى الأخرى، كلها من الحجر، نرى فيها استخدام الحجر لأول مرة، فى بعض العناصر المعمارية، وما زالت هذه الآثار تثير أعجاب كل الزائرين اليوم، كما استأثرت باعجابهم فى العصور القديمة وخصوصاً السور الكبير، وتلك الأعمدة الرشقية فى المدخل وفى الهياكل، التى كانت مصدر إلهام لبعض معماريى اليونان فيما بعد.

وعرف "زوسر" قدر مهندسة فأكرمه كل الأكوام، وأوكل إليه أهم الوظائف فى البلاد، فكان مديرا لجميع الأعمال، وكبيرا لكهنة هليوبوليس، كما كان مشرفا على الخزانة، وبعبارة أخرى أصبح الرجل الأول فى البلاد بعد الملك، بل وذهب فى تكريمه إلى أبعد من ذلك، إذ كتب إسم مهندسة على قواعد تماثيلة الملكية، وهو شرف غير عادى. ولم ينس المصريون "ايمحوتب" بعد وفاته، فقد ظل اسمه يتردد فى كتابات الدولة الوسطى، ويذكرون مع الاعجاب فضله وحكمته ، وأنه كان وزيراً لزوسر، كما كان من عادة الكتاب فى الدولة الحديثة، أراقه بضع قطرات من الماء قربانا له، قبل أن يبدأوا فى الكتابة. وفى أيام الأسرة ٢٦ أى بعد أكثر من ألفى سنة بعد موته ، زاد تقدير المصريين لنابغتهم ، حتى ألهوة وسموه "أبن بتاح" وبنوا له المعابد فى جهات كثيرة من البلاد سواء فى منف ، أو فى الصعيد ، أو فى بلاد النوبة ، أو الواحات (الواحات البحرية). وعندما زاد اتصال اليونانيين بمصر فى القرن السابع ق.م. ، ووقفوا على ما كتبه "ايمحوتب" فى علوم الطب ، أبو أن يصدقوا أن مثل هذا النابغة يمكن أن يكون بشرا كسائر الناس، بل هو إله، وقالوا أنه لم يكن إلا "أسكلبيوس" إله الطب عندهم، الذى عاش فى مصر فى ذلك الزمن البعيد، تحت إسم "ايمحوتب".

ونحن لا نعرف الكثير عن حياته الخاصة، وكل ما حفظه لنا التاريخ المصرى عن حياته، وقاله المصريون لليونانيين، إنه من بلده الجبلين جنوبى الأقصر، كما عرفنا إسم أبيه وكان يسمى "كانفر"، وكان مديرا للأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى، وذلك من نقش مهندس معمارى أسمه "خنوم أب رع"، عاش حوالى عام ٤٩٥ ق.م. ، وذهب إلى وادى الحمامات بين قفط والقصير، للحصول على الأحجار اللازمة لبناء كان مكلفا بالأشراف على تشييده ، وسجل فى ذلك النقش

سلسلة طويلة بأسماء جدوده ، وأكثرهم من المعماريين وكان أقدمهم جميعا "ايمحوتب" وأباه.

وفى كثير من متاحف العالم توجد تماثيل صغيرة الحجم من البرونز تمثله كطبيب ، وقد عثر على الجزء الأكبر منها ، أثناء حفائر "مارييت" فى سقارة، فى منتصف القرن ١٩ ، على مسافة غير بعيدة ، من الطريق الموصل إلى السرابيوم مما يرجع معه وجود هيكل له فى تلك المنطقة لم يكتشفه أحد حتى الآن. أما قبره ، فمن المرجح أن يكون فى سقارة ، غير بعيد من هرم "زوسر" ولكن لم يعثر علية أحد بعد.

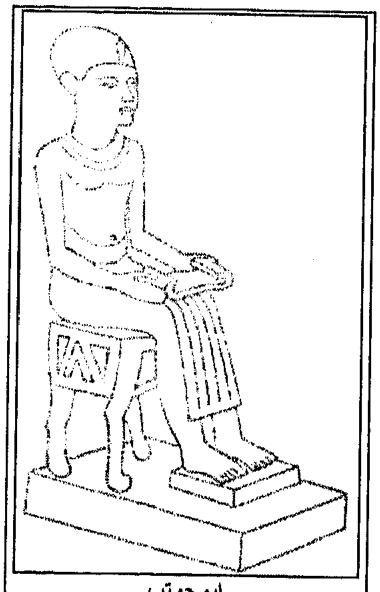
إيمحوتب

إينحرت :

عبد الأله اينحرت (أنوريس عند الأغريق) فى أبيدوس فى عهد الدولة الحديثة ، وغالبا ما كان إسم أنوريس يدخل فى أعلام الجهة المجاورة ، وهى نجع الدير ٤١ كيلو جنوب أخميم شرق النهر) ونجع المشايخ (٤ كيلو جنوبى نجع الدير) ، وقد صور القوم الههم أنحور هذا على هيئة رجل تعلو رأسة أربع ريشات ويقبض على حربه ، وأما اسمه أنحور (اينحرت) فمعناه "الذى يحضر البعيد" ، وربما أمكن تفسيره بأنه يرمز إلى الصياد الذى يجلب الصيد من بعيد ، ربما أشاره إلى الأجداد الذين استقروا فى هذا الإقليم قبل العصر الحجرى الحديث ، وقامت حياتهم على الصيد ، وأياما كان الأمر ، فرغم أن أهمية أنوريس قد قلت فى الدولة القديمة والوسطى، فقد فاز بشهرة كبيرة فى الدولة الحديثة رفعت من شأنه وأدمجته مع الآلهة العظمى.

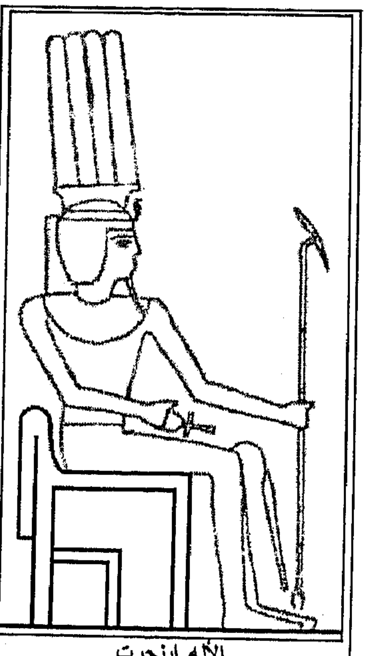
الأله اينحرت

ب

البا :

لا توجد فى اللغة المصرية القديمة كلمة تقابل كلمة "الروح" وأنما هناك كلمات ثلاثة وهى "الكا" و "البا" و"الآخ" لكل منها خصائص، وتعطينا مجتمعه المعانى التى يمكننا أن نقول أنها تجمع ما نقصده من مفهوم كلمة الروح.

كانت "البا" ترسم على صورة طير أو صورة طير له رأس إنسان إبتداء من الأسرة الثامنة عشرة ولكنها بدأت تلعب دورا هاما فى عقيدة المصريين منذ عصر الفترة الأولى، وكانوا يقصدون بها الروح التى تفارق الجسد عند الموت ولكنها تظل دائما تحوم حوله ولا تترك مكان القبر، وكثيرا ما يرسمونها وهى تشرب من صهريج ماء أو تستظل بالأشجار بجوار المقبرة ، أو تطير مرفرفة فوق رسم جسد صاحب القبر.

باب وهمى :

اعتقد المصريون فى عصورهم الأولى، أن المقبرة هى "العالم السفلى" التى يمضى الميت فيها حياة الخلود، ولما كانت المقبرة لا تحوى من عناصر الإنسان البشرى سوى عنصرين فقط: هما الجثة المحنطة والكا، ولما كانت الكا عنصرا غير مادى دائمة الحركة، فأنها تقبع تارة فى حجرة الدفن، وتصعد أخرى إلى حجرات المزار، المشيدة فوق سطح الأرض. وقد خصص المصريون جزءا من جدران حجرة القرابين، لتكون على هيئة باب مغلق، كان قريبا جدا من البئر الموصلة إلى حجرة الدفن، حيث تسكن الكا مع الجثة، معتقدين أن هذا الباب الوهمى، هو المنفذ للكا إلى داخل المقبرة والى خارجها، حتى تتلقى القرابين التى يكدسها الأقرباء والأهل والأصدقاء فوق مائدة حجرية فوق الأرض، أمام هذا الباب، تسمى مائدة القرابين. ويرجع تاريخ هذه الابواب الوهمية إلى عصر الأسرة الأولى، حيث شكلت جوانب المقبرة الملكية المشيدة باللبن على هيئة أبواب وهمية، ثبتت أمامها فى الأرض رءوس مصنوعة من الطين، تمثل

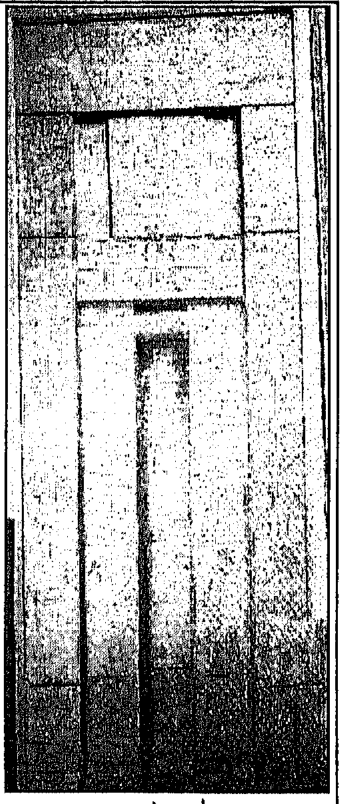

باب وهمى

الحيوانات التى قدموها قرابين، وتطورت الفكرة، فأصبح الباب الوهمى، يمثل على جدران التابوت، الخشبى أو الحجرى، فى الآسرات التالية ، ثم نراه

يمثل أهم جزء من حجرة القرابين، منذ منتصف الأسرة الرابعة ، ويصنع من أحسن أنواع الأحجار الجيرية ، وأحياناً كان يصنع من الخشب. ومكانه فى الحائط الغربى لحجرة القرابين الرئيسية ، التى كانت عادة تلاصق الجزء الجنوبى من الجانب الشرقى للمصطبة.

واعتاد مصريو الدولة القديمة ، ملء جنبات الباب الوهمى الذى يتكون من عتب علوى ثم من لوحة تبدو كما لو كانت تمثل نافذة تعلو الباب ، ثم عتب سفلى ثم من مصراعى الباب تعلوهما أسطوانة أفقية ، تمثل حصيراً أو ستاراً ملفوفاً ، اذا ما اسدل أغلق الباب. واذا ما فتحت تكون منها ما يشبه الأسطوانة تحت العتب السفلى ، ثم يتكون بعد ذلك من خدى الباب الخارجيين والداخليين وقد اعتادوا ملء كل هذه المسطحات، بعدد كبير من الصور التى تمثل صاحب المقبرة، تارة جالساً وأمامه مائدة القرابين، وحولها قائمة القرابين، وتارة واقفاً تحف به زوجته واولاده، وتكتب ألقابه المختلفة قبل اسمه، ثم تكتب صيغة الدعاء الجنازى. الذى يجب على كل زائر أن ينطق به، ليتعطف الملك وآلهة الدنيا الثانية، فى زيادة الخيرات التى يتمتع بها صاحب المقبرة فى دنياه الثانية، ويضمن بذلك مؤونة أبدية.

وكان الباب الوهمى من أهم عناصر المقبرة فى الدولة القديمة ، الا أن أهميته أخذت تتضاءل أمام انتشار عقيدة أوزيريس التى نقلت مكان الدنيا الثانية من المقبرة إلى العالم السفلى، ثم أننا نراه فى عصر الدولة الوسطى، مرسوماً على جوانب التابوت فقط، وبدأ المصرى يستعيض عنه بلوحات من الحجر، يقيمها داخل المقبرة، وعلى جانبى مدخلها، يملأ سطوحها بعدد كبير من النصوص والرسوم. وفى عصر الدولة الحديثة، كان الباب الوهمى يرسم فى قليل من المقابر. إلا أنه ظهر ثانية ، وعاد إلى أهميته القديمة، فى عصر الأسرة السادسة والعشرين (٦٠٠ق.م) ولا غرابة فى ذلك فملوك هذه الأسرة ، أرادوا العودة إلى كل ما يتعلق بمظاهر الحضارة المصرية فى عصرها القديم ، ومن أجل ذلك نطلق على هذا العصر إسم "عصر إحياء القديم".

وكانت أهم صيغة تنقش على الباب الوهمى هى صيغة "حتب دى نسو" أى عطية مقدمة من الملك وتعرف بإسم صيغة القرابين.

باستت :

عبدت باستت فى تل بسطة (برباست = معبد باستت) فى مجاورات مدينة الزقازيق الحالية. على هيئة القطة منذ اقدم العصور (ربما منذ الأسرة الثانية)، وقد عبدت فى منف منذ الأسرة الثامنة عشرة، بعد أن اندمجت فى معبودتها "سخمت" التى مثلها القوم على هيئة اللبؤة، هذا وقد تحدث هيرودوت عن الاحتفالات الكبيرة التى كانت تقام فى عيدها، اذ كان الرجال والنساء يبحرون معا إلى بوباستة (أو أرتميس، كما دعاها الأغريق)، ويحمل كل قارب عدداً كبيراً من الجنسين، وكانت بعض النساء تدق على الطبول، بينما يرقص بعض الرجال، على طول الطريق، أما البقية فيغنون ويرقصون، وعندما يصل القوم إلى بوباستة فإنهم يحتفلون بالعيد، ويقدمون أضحيات كثيرة، ويستهلكون من النبيذ فى هذا العيد، أكثر مما يستهلكون فى بقية العام، وتزدحم المدينة بالمحتفلين ، حتى ليبلغ عددهم قرابة سبعمائة ألف من الرجال والنساء ، عدا الصبية.

الآلهة باستت

هذا وكانت باستت تمثل فى هيئة بشرية لها رأس قطة ، أو فى هيئة قطة ، كما كانت تماثيلها تصنع من البرونز. أما شكلها المبكر فكان قطة من النوع البرى المستأنس، وقد أعجب القوم بها بسبب سرعة حركتها وشجاعتها، ومع ذلك فقد ظلت باستت ألهة محلية، ولكنها اندمجت مع رع وأصبحت ابنته وزوجته، كما أدمجت كذلك مع المعبودات الأوزيرية وقد روت الأساطير أنها دافعت عن رع ضد الحية ابيب ، هذا وقد صور ولدها "ماحس" الذى أنجبته من رع فى هيئة رجل برأس أسد ، مرتدياً تاج "أتف" الخاص بأوزيريس أوعلى هيئة أسد يفترس أسيراً ، وقد وجد أحياناً مع "نفرتوم" ابن سخمت ، والتى حاول كهنتها ادماجها مع باستت فى عهد الأسرة الثانية والعشرين ، التى اتخذت من "تل بسطة" عاصمة لها ، ومن ثم فقد بنوا لها معبداً مثلت فى جميع أرجائه ، وقد وصف هيرودوت هذا المعبد بأنه كان يقوم على جزيرة ، حيث ينساب النيل فى مجريان لا يختلط الواحد منهما بالأخر ، حتى مدخل المعبد، وكان عرض كل منهما مائة قدم ، وارتفاع المدخل مائة أخرى ، وقد زخرف بأشكال ترتفع إلى تسع أقدام، ويقع المعبد فى وسط المدينة ، ويراه الطائف حوله من جميع الجهات ، اذ بينما ارتفعت المدينة بفعل أكوام الطمى، بقى المعبد كما شيد منذ البداية ، ومن ثم أمكن رؤيته، ويحيط المعبد سور حفرت عليه أشكال ، وبداخل السور فناء به أشجار باسقة حول المحراب الكبير الذى به تمثال الآلهة ويبلغ طول المعبد وعرضه ستاد من جميع الجهات، وقبالة المدخل يمتد طريق مرصوف بالحجارة لمسافة ثلاثة استاد تقريباً ، وهو يخترق السوق متجهاً نحو الشرق، وعرضه أربعة بليثرون وعلى جانبى هذا الطريق تنمو أشجار ترتفع إلى عنان السماء ، وبجانب بناء هذا المعبد فقد قام القوم بتوسيع المعابد الموجودة، فضلاً عن مقصورة كبيرة لها فى طيبة.

وقد احتلت باستت فى تل بسطة مكانة حورس فى ادفو، وحتحور فى دندرة، كما كانت فى العصور المتأخرة، كألهة مقاطعة، تمثل القوى الخيرة فى الشمس وتحمى الأرضين، وأحياناً كانت تمثل القمر كذلك، ومن ناحية أخرى، فقد كانت سخمت تمثل القوى المدمرة فى الشمس، وقد ميزت العقيدة الأوزيرية بين الإلهتين سخمت وباستت بوضوح، كما أخذت باستت كذلك صفات حتحور ، ومن ثم فقد عرفت كألهة للمرح والموسيقى والرقص ، وصورت فى هيئة امرأة لها رأس قطة وتحمل شخشيخة وصندوقاً وسلة ورأس لبؤة تحيط بها رقاب تلتف حول بعضها ، وأخيراً فلعل من الجدير بالإشارة إلى أن القطط قد عوملت كشئ مقدس تبجيلاً للألهة باستت ، كما أن مقبرة القطط المحنطة فى بوباستة كانت مشهورة فى العالم القديم.

باشد : (مقبرة رقم ٣ بدير المدينة)

كان باشد خادماً فى مكان الحق فى غرب طيبة (وهو صاحب المقبرة رقم ٣٢٦ أيضاً) وترجع إلى عهد الرعامسة. ننزل إلى غرفة الدفن الصغيرة ذات السقف المقبى وقد كسيت بمناظر ذات ألوان زاهية ، وسوف نشاهد على جدارى الدهليز الموصل إليها رسم للإله أنوبيس فى صورة ابن أوى قابعاً فوق مقصورته.

ندخل الآن إلى حجرة الدفن فنجد فى أعلى جدار المدخل منظراً يمثل الإله بتاح سكر فى صورة صقر مجنح داخل زورق وأمامه يتعبد "قاحا" ابن باشد وخلف الزورق يوجد ابن آخر يدعى مننا يتجه بالدعاء إلى مجموعة من الآلهة مصورة على الجدار الآخر. كما نرى عين "الاوجات" فوق رأس الإله بتاح سكر فى صورة الصقر. أسفل هذا المنظر يوجد على يمين الداخل صورة المتوفى وهو راكع تحت نخلة مثمرة ليشرب الماء من البحيرة. أما على يسار الداخل على نفس جدار المدخل فهناك ثلاثة صفوف من أقارب المتوفى. نتجه الآن إلى الجدار الجنوبى (الذى على يسار الداخل) فنشاهد المتوفى وعائلته يتعبدون للإله حورس فى صورة صقر أما على الجدار الشمالى (الذى على يمين الداخل) فهناك منظر يمثل المتوفى وابنته وهو واقفاً يتعبد للآلهة رع حور آختى واتوم وخبرى وبتاح وتجسيد للعمود "جد" ثم نشاهد على الجداريين منظر الرحلة المقدسة إلى أبيدوس حيث نرى المتوفى وزوجته ومعهما طفلة وأمامهما مائدة قربان داخل زورق.

ويوجد على الجدار الضيق الآخر المواجه للداخل منظر يمثل الإله أوزيريس جالساً على عرشه أمام جبل وخلف أوزيريس نرى الإله حورس فى صورة صقر وأمامه عين "أوجات" تحمل بيد بشرية سراج به مشعلين وأسفلها نرى المتوفى وهو يتعبد. وقد جلس أمام أوزيريس إله يحمل أيضاً نفس السراج السابق أما

المناظر التى أسفل المنظر السابق فهى مهشـــمة. ونشاهد فى نهاية غرفة الدفن بقايا التابوت وقــد سجل عليه نصوص مــن كتــاب الموتــى وفصــل الأعترافات المنفية ومنظر يمثــل أنوبيــس وهــو يعتنى بمومياء المتوفى الراقدة على سرير.

نشاهد على النصف الجنوبى مــن الســقف صــور الآلهة والإلهات أوزيريــس وإيزيــس ونــوت وشــو ونفتيس وجب وأنوبيس ووبواوات وأناشيد موجه لعين رع ونرى على النصف الشمالى المجموعة الأخــرى مـن الآلهة والآلهات المكونة من أوزيريس وجحوتى وحتحــور ورع حور آختى ونيت وسرقت وأنوبيس ووبواوات.

باكت الثالث : (مقبره)

وتقع فى بنى حسن وتحمل رقم (١٥) ويوجد بــها مدخل كبير عادى دون رواق ، ثم مقصورة مربعة ذات سقف مقبب وطرفها الشرقى مقسم بواسطة عموديــن (محطمين) من طراز برعم زهــرة اللوتــس ، وفــى الزاوية القبلية الشرقية من المقصــورة تحـت هيكـل صغير، وبالمقبرة سبعة آبار للدفن.

الرسوم الحائط الغربى : مشوه تشويهاً كبــيراً ، أما الحائط الشمالى فعليه مناظر صيد الحيوان والحلاقة وصناعة الكتان والغزل، ومناظر لفتيات يلعبـن ألعابـاً بهلوانية وأخرى لنساء يلعبن بالكرة، ومناظر للرعــاة وجامعى المكــوس وصــانعى الســكاكين الصوانيــة والموسيقيين والصياغ والرسامين والنحاتين وصيــادى الأسماك. وعند الطرف الغربى للحائط نجد رسماً كبيراً لشخصين واقفين أحدهما يمثل باكت والآخر يمثل ابنته نفرحبوت حتحور ، ومما هو جديــر بالانتبــاه بوجــه أخص صور البنات وهن يلعبن الكرة. وعلــى الحــائط الشرقى رسوم المصارعين التى تضم ٢٢٠ مجموعــة منهم تمثلهم فى مواضع مختلفة ، والمصارعون هنــا مصريون وقد رسم أحدهم بلون أحمر فــاتح والثــانى بلون أحمر بنى حتى يمكن التمييز بين أعضاء جســم كل منهما. وبخلاف ذلك يوجد منظر لموقعة حربيــة ، تمثل هجوماً على قلعة ومناوشة فى ساحة القتال. أمــا الحائط الجنوبى فيحوى مناظر الكروم وعمــل الخـبز والفطائر والقرابين ثم موكب تمثال بـــاكت ثــم جــرد الأشياء وأعمال الحقول وصنـــاع الفخـار والمعـادن والتمرينات والألعاب الرياضية.

بانجم :

إسم لشخصيتين كبــيرتين مــن الأســرة الحاديــة والعشرين كان كل منهما كبيراً لكهنة أمون فى طيبــة ولكنه كان فى حقيقة الأمر ملكاً عليــها وليــس لأحــد سلطان فوق سلطانه فى الجزء الجنوبى من مصــر أى النوبة والجزء الأكبر من الصعيد أما الدلتا فكانت تحـت حكم عائلة أخرى ترتبط بكهنة طيبة برباط المصاهرة.

بتاح :

ليس هناك من الأدلة ما يشير إلى أن الإله "بتــاح" كان واحداً من أقدم آلهة مصر، ومع ذلك فــإن صلتـه بأوزيريس بعد موته وبعثه فى أبيدوس تشير إلى أنــه هناك أقدم منه فى منف التى أصبح الإله الرئيسى فيها، هذا وقد نسب القوم مدينتهم منف هذه إلــى معبودهـا بتاح، وكان من أوائل الآلهة التى ظــهرت فــى هيئـة بشرية منذ ما قبل بداية الأسرات، وظل محتفظــاً بــها حتى نهاية التاريخ المصرى القديم، كما ظلت عقيدتــه، وخاصة بين الطبقات المثقفة، قوية، اذ كانت تســودها الروحانية، بخلاف العقائد الأخرى التى سادتها المادية، وربما كان اصل هذا الإله رجلاً عبقرياً، طواه النســيان لزمن بعيد، ذلك لأنه بخلاف مجموعة الآلهة المصريــة لم يأخذ صورة حيوان، ولم تكن له صلة بواحد من هذه الحيوانات، وقد مثل فى شكل رجل فى لفائف مومــياء، لا يغطى رأسه سوى قلنسوة ضيقة ملاصقــة لعظــام الرأس، ولا تبرز منه سوى اليدين ، يقبض بها علــى رمزى "جد" (الدوام) و"واس" (الصولجــان) ، ويزيــن رقبته بقلاده عريضة تغطى كتفيه وجزءاً من صــدره ، وقد رفعه كهان منف إلى مرتبة الإله الخالق ، وقــالوا عنه، فيما تروى نظرية الخلق المنفية، والتــى ربمـا ترجع إلى أوائل عهد الدولة القديمة وربما إلى بدايــة العصور التاريخية، أنه كان قبل كل شئ وانــه خلـق العالم، على أساس أنه القلب (أى الفكرة) فى كل شـئ، وأنه اللسان (أى الكلم) فى كل فــم ، يوحــى القلـب بالفكرة إلى اللسان، فإذا نطق اللسان ، كان هذا النطـق هو الخلق ، بمعنى أن كل الأشياء تأتى إلى الوجــود، وتؤدى كل الأعمال، بعد أن يتصورها بتاح فــى قلبـه كفكر، ثم يصدر بها الأمر عن طريق اللسان ، فتخــرج إلى حيز التنفيذ عن طريق أعضــاء الجســم الأخــرى

وهكذا كانت وسائل بتاح غير وسائل آلهة الخلق الأخرى، فقد كانت روحانية اكثر منها جسدية ، مما أدى إلى عدم شيوعها بين الشعب، رغم بقاء أهمية بتاح طوال العصور الفرعونية.

إنظر نظريات الخلق (نظرية منف).

هذا وقد اكتسب بتاح شهرة واسعة منذ أن أصبحت منف عاصمة للبلاد، ذلك لأن تفوقها السياسى إنما كان سبباً فى أن يحظى معبودها بتاح بمكانة مرموقة بين الآلهة المصرية، بل وان يعتبر إلهاً للأرض كلها، أسوة بالإله جب، وأن يكون سيداً للفنون، حامياً للفنانين، ومن ثم فقد كان أهم لقب يعتز به كبير كهانة لقب "عظيم الفنانين"، وربما اعتبر كذلك إله القوة التى فى الأرض، كما كان يطلق عليه سيد العدالة ، وملك الأرضين، وخالق الفن، ورافع السموات وخالق الألهة، الإله العظيم، صاحب البداية الأولى، أول من كان وأول إله فى الخليقة، وبذا كان بتاح بمثابة الإله الذى عاش عصوراً لا حد لها، أو كما يقول المصرى القديم، احتفل بعدد لا يحصى من الأعياد الفضية، ومن ثم فقد أصبح

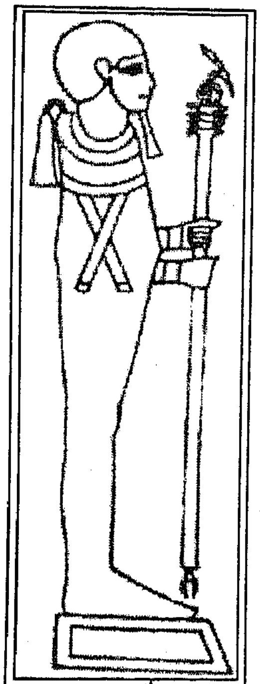

الآله بتاح

مثلاً يشبه به كل ملوك مصر الذين حكموها مدداً طويلة، هذا وقد وجد الأغريق الشبه كبيراً بينه وبين معبودهم "هيفايستوس" (المثال) فأطلقوا عليه هذا الاسم، وهكذا اقترن بتاح فى العصر اليونانى بالإله "هيفايستوس" وفى العصر الرومانى بالمعبود "فولكان"، أما فى مصر فقد اقترن بتاح بسوكر الذى شارك بتاح شهرته فى منطقة منف، وقد صور على هيئة صقر، وبشكل آدمى برأس صقر، واعتبر إلهاً لسقارة، جبانة منف، التى سميت بإسمه، وربما كان له معبد داخل منف نفسها، وكان القوم يعتقدون فى هذا المنظر الجامع للمعبودين انه يحمى الجبانة ومن يدفن فيها، وفى وقت لاحق اضافوا إليهما معبوداً ثالثاً، وهو الإله أوزيريس فأصبح اسم المعبود الجديد الذى يجمع قوى وخصائص المعبودات الثلاثة "بتاح سوكر أوزيريس" وقد مثلوه على هيئة رجل رأسه جعران ، وأحياناً كان كصورة مومياء ملتحية لها الريشتان وقرص الشمس وقرون الخروف، وكان إلهاً جنزياً. وفى الواقع فلقد ارتبط بتاح بكثير من الآلهة ، بما فيها نون، الماء الازلى الذى بزغ منه العالم، وحعبى إله النيل ومصدر الخصب، وجب إله الأرض، وتاتنن إله الأرض القديم والذى يمثل التل الأزلى، وشو الذى يصعد إلى السماء، وحتى أتون، أما ثالوثه المقدس فكان يتكون من بتاح كاب، وسخمت كزوجة، ونفرتوم كابن.

وهناك من الأدلة الأثرية ما يشير إلى وجود ديانة بتاح منذ عصر الأسرة الأولى ، فقد عثر فى طرخان على أنيه من الألبستر عليها شكل بتاح فى مقصورته وقد كتب عليها أسمه ، وأما مركز عبادته الرئيسى فكان فى منف ، حيث شاد القوم معبد بتاح فى الناحية الجنوبية المفتوحة من السور ، وأعتادوا أن يلقبوه منذ ذلك الحين بلقب "الكائن جنوبى جداره" ، أو "جنوبى سورة" وربما شادوا إلى الجنوب من الباب القبلىلمعبده بناية صغيرة خصصت للمعبود "حاب" الذى رمزوا له بالفحل ، وربما للفحل نفسه، وفى عهد الأسرة السادسة والعشرين زاد بسماتيك الأول من حجم المعبد، حيث عبد بتاح على هيئة العجل أبيس الذى بنى له سرابيوم منف أو مدفن العجول المقدسة فى أقصى الغرب من منطقة سقارة الشمالية، وكان العجل ابيس فى ذلك العصر بمثابة الرمز الحى للإله بتاح وكان يحفظ بعد موته ويدفن فى أحتفال مهيب ، وتوضع معه الأوانى والحلى وغيرها ، ويذهب البعض إلى أن عبادة الثور أنما كانت قائمة منذ عهد الأسرة الأولى ، أعتماداً على تصوير ملوك هذه الأسرة على هيئة ثيران ، وأن الثور أنما كان فى نظر القوم رمزا

للقوة فى الحرب وفى الأخصاب، هذا وقد أشتهرت هذه العبادة باسم "مرور حبى" (منيفس وأبيس فى تصحيف اليونان)، حيث عبد الأول فى عين شمس، رمزاً لإله الشمس، وعبد الثانى فى منف رمزاً لبتاح، وقد أحتفظ القوم فى معبد بتاح بالعجل المقدس أبيس، دون أن تكون هناك علاقة ما، على الأقل فى العصور المبكرة، بين المعبودين كما أن بتاح لم يصور أبداً على هيئة ثور ولم يعتقد القوم أنه تجسد فى ثور ولم يعتبر أبيس كروح لبتاح، إلا على أيام الدولة الحديثة، وأن كان هناك أعتقاد يجعل من أبيس، وكذا من منيفس عجل هليوبوليس، رسولين يقومان بتلبية الرسائل إلى الهيهما، وهو أعتقاد يرجع إلى عهد الدولة الحديثة، وعلى أى حال ، فلقد تمتع بتاح على أيام الأسرة التاسعة عشرة بالدوحة الرفيعة والمنزلة السامية، وكذلك حرص أمراء تلك الأسرة، من أمثال مرنبتاح الذى خلف أباه رمسيس الثانى على عرش الكنانة، على تولى منصب الكاهن الأكبر للعجل حبى (أبيس) ومن قبل كان أخوه "خع أم واس" كاهنة الأكبر كذلك هذا فضلا عن مرنبتاح نفسه (محبوب بتاح) أنما كان ينتسب إلى الإله بتاح، كما كرس له محراب فى معبد أوزيريس الذى بناه سيتى الأول فى أبيدوس، وحمل فيلق من جيش رمسيس الثانى أسم بتاح (بجانب فيالق أمون ورع وست).

بتاح حتب :

تنسب التقاليد المتوارثة وسجلات التاريخ إلى بتاح حتب الذى ربما كان وزيراً للملك جد كارع إسيسى تلك "التعاليم" الذائعة الصيت! إن الواقع التاريخى لشخصية بتاح حتب لايبدو مؤكدا، ولكن الروح التى ألهمت تلك التعاليم ترجع على ما يبدو إلى الدولة القديمة. ونجد فيها أن الكون يحكمه نظام ثابت ومتأصل تجسده "الماعت"، يتولى معاقبة من يخترقه أو ينتهكه تلقائيا. أما الإله الخالق الأول الذى أحكم هذا النظام يظل معتزلا إلى حد ما.

انظر الأدب المصرى القديم..

بتاح حتب : (مقبرة)

تقع غرب الهرم المدرج بسقارة ويرجع تاريخها إلى الأسرة الخامسة، وكان صاحبها يشغل منصباً مرموقاً فى عهد الملك "إسيسى" من ملوك الأسرة الخامسة، وهناك شك فى أن يكون صاحب التعاليم المعروفة بتعاليم "بتاح حوتب" المشهورة من الدولة القديمة.

ومصطبة "بتاح حوتب" مزدوجة يتقاسمها مع موظف آخر يدعى "آخت حوتب" كانت له صلة قرابه به غير واضحة حالياً. والمصطبة معقدة التخطيط ولكن يمكن شرح مناظرها إبتداء من المدخل الشمالى الذى يستعمل فى الدخول حالياً.

بعد المدخل نسير فى ممر مستطيل نقشت على جداره الغربى (على يمين الداخل) بعض المناظر التى لم تستكمل التى تعطينا فكرة عن طريق النقش عند المصريين القدماء إذ كان الفنان يبدأ بالرسوم المخططة بالحبر قبل البدء فى النقش ، وقد شكل سقف المقصورة على هيئة جذوع النخل ولون باللون الأحمر.

وعلى باب المدخل مناظر الخدم وهم يتقدمون نحو المقصورة حاملين قرابين من لحوم وطيور ، وفوق الباب بالجدار الشمالى الذى دخلنا منه إلى المقصورة منظر مهشم بعض الشئ يمثل "بتاح حوتب" مرتديا ملابسه اليومية وقد قبعت كلابه المدللة تحت كرسية بينما يمسك أحد تابعيه قرداً ويقوم بعض خدمه بتزيينه فى حين يتلقى البعض الآخر أوامره أو يطربون بالموسيقى. وتحت هذا المنظر إلى يمين الباب خدم آخرون يحملون الهدايا ومنظر الذبح للتضحية.

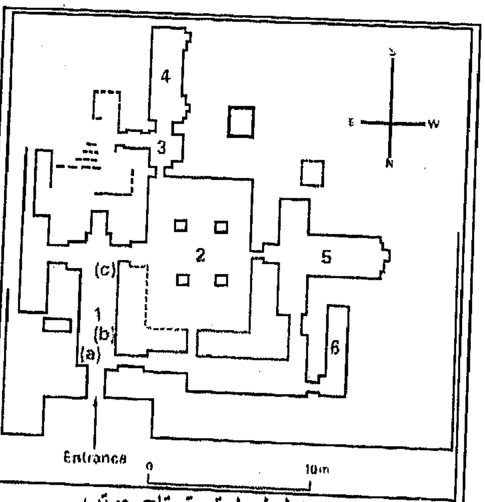

رسم تخطيطى لمقبرة بتاح حوتب

الجدار الغربى :

يوجد عليه لوحتان بينهما نقوش محفورة يمثل الجزء الأعلى منها قائمة بأسماء القرابين وفى أسفلها صف من الكهنة يقدمون القرابين وتحتهم ثلاثة صفوف من الخدم يحملون الهبات. وبجانب الباب الوهمى نرى "بتاح حوتب" جالساً أمام مائدة القرابين المحملة بالأطايب ويشرب من الكوب بينما يقوم الخدم والكهنة بذبح الماشية وأحضار المأكولات الطازجة، كما نرى خادمات فى أعلى يمثلن إقطاعيات الرجل العظيم ويحملن المأكولات.

الجدار الشرقى :

نرى فى المنظر الأول "بتاح حوتب" ممثلاً بدون عباءته وبدون ذقنه الرسمى وهو يراقب كافة ألوان اللهو الذى يجرى فى البلاد وفى الصف العلوى منظر يمثل جمع البردى من المستنقعات وخوض الخدم بماشيتهم عبر البركة المملوءة بالتماسيح ونرى أحد الرعاة فى المركب فى الوقت الذى يمسك آخر عجلاً صغيراً بحبل وهما يصيحان فى التمساح المتربص لهما.

وفى الصف الثانى نرى أولاداً يلعبون ، ومنظر الأولاد وهم يجلسون على الأرض وأصابع أيديهم تمسك بأصابع أقدامهم بينما يحاولون النهوض دون الإستعانة بأيديهم ، ويلاحظ أيضاً ذلك الولد الذى يركع على الأرض ويحاول الإمساك بأقدام زملائه الأربعة الذين يحاولون التغلب عليه بالهجوم فى كل جانب.

وفى الصف الثالث منظر لقطف الكروم فنرى رجالاً يسقون الكرمة ويقطفون العنب ويعصرونه ويخرجون منه العصارة.

ومن المناظر الرائعة منظر يمثل حياة الصحراء والقنص والصف الرابع المخصص لذلك ينقسم إلى قسمين: ففى القسم العلوى نرى كلاب الصيد تهاجم الضباع والوعول والظبى ، بينما ترضع غزاله رضيعها، ومنظر لأسد ينقض على ثور يتألم ألماً شديداً كما نرى كلاب صيد أخرى تثير الرعب فى غزال وظبى، وراع قد أمكنه أمساك أحد ثورين بواسطة حبل الصيد وفوقها نرى قنفدين كبيرين أبدع تمثيلهما يسيران فى خطوات متئدة إلى الأمام ويمسك أحدهما بفمه جرادة أصطادها.

ونرى فى الصف الخامس مناظر على شاطئ النهر فالسمك قد طرح ليجف فى الشمس وقد شغل كهل وولد بتضفير الحبال التى تستخدم فى صنع المراكب.

والصف السادس يمثل منظر لصيد الطيور بواسطة الشباك.

والصف السابع نرى مشاجرة بين بحارة ثلاثة وخلفهم مركب رابع يحمل رجل عجوزاً يستمتع فى هدوء بطعام وشراب وفير.

والمنظر الثانى على الجدار الشرقى يبين "بتاح حوتب" فى ملابسه الرسمية مرتدياً عباءته ولباس رأسه الكامل ولحيته الرسمية ناظراً إلى الهدايا والخيرات المقدمة من قرى الشمال والجنوب. والصف العلوى يرينا مناظر المصارعة ودراسات بديعة للجسم فى حالة الأجهاد الشديد وجماعة من الشباب يمسكون بشاب وهم يلعبون. وفى الصفين التاليين نرى الصيادين وهم عائدون بصيدهم، أحدهم يعود بكلابه والأرانب والقنافد تحمل فى أقفاص، كما نرى أسداً وفهداً كلاً منهما فى قفص يسحبان على زلاقة بينما يساق ظبى ووعل وحيوانات صيد أخرى من نفس النوع.

والصف الخامس والصفوف التالية تمثل الحياة فى المزرعة وبخاصة إطعام الماشية بقصد تسمينها وثيراناً سمينة تساق لفحصها ثم نشاهد أسراباً لا عد لها من الدواجن والأوز، وكان عددها بالآلاف.

بتاح سوكر :

إسم إله مصرى قديم جمع بين "بتاح" المعبود الرئيسى للعاصمة "منف" وبين اله من آلهة الأرض وهو "سوكر" وكان المصريون يعتقدون فى هذا المظهر الجامع للمعبودين أنه يحمى الجبانة ومن يدفن فيها وكانوا يقدمون له القرابين فى جميع العصور. وفى وقت لاحق أضافوا إليهما معبودا ثالثا وهو الإله "أوزيريس" فأصبح أسم المعبود الجديد الذى يجمع خصائص وقوى المعبودات الثلاثة "بتاح سوكر أوزيريس".

بتاح واش :

كان يشغل منصب مدير أعمال ووزير خلال حكمى الملك ساحورع ، والملك نفرإير كارع فى الأسرة الخامسة. ولقد قام بمغامرة مذهلة إلى الدرجة التى جعلت "نفرإير كارع" يأمر بتدوينها على جدران مقبرة بتاح واش. ومن دواعى الأسف أن نصوص هذه القصة وصلتنا فى حالة تلف بالغ ، وإن كنا نستطيع إلى حد ما أن نستشف من خلالها أن تلك المغامرة قد عادت عليه بالمجد والموت فى ذات الوقت: وقد أصيب هذا الوزير بالفعل بمرض عضال ظهرت فى أعقابه أعراض غريبة من نوعها، وإستلزم الأمر الرجوع للكتابات القديمة الخاصة بعلاج الأمراض، ولكن دون جدوى. ولم يستطع أحد إنقاذه ولكن العزاء الغالى الذى ناله "بتاح واش" هو قيام الفرعون بعمل جنازة فخمة له.

بتوزيريس :

كبير كهنة الإله تحوت فى مدينة الأشمونين (هوموبوليس) فى أواخر الحكم الفارسى وفى أيام الإسكندر الأكبر، عاش حتى عام ٣٠٠ ق.م. واسمه فى المصرية القديمة "بادى-أوزير" أى عطية أوزيريس، وهو من عائلة توارث رؤساؤها ، جيلا بعد جيل ، هذه الوظيفة الهامة ، وكانوا فى الوقت ذاته مشرفين على معابد الآلهة الأخرى.

ومقبرته فى جبانة "تونا الجبل" من أشهر الآثار

تابوت بتوزيريس

المصرية ، وهى محفوظة تماما ، وعلى جدرانها مناظر تمثل مختلف مظاهر الحياة اليومية ، وخصوصاً العمال الذين يعملون فى صناعة المعادن ، وتجهيز العطور والتجارة والزراعة وصناعة النبيذ وغيرها.

وبينها مناظر كثير مرسومة على طراز يمزج بين الفنين المصرى واليونانى.

كرمة أهل بلده بعد موته وكانوا يذكرونه كأحد كبار الحكماء.

بتوزيريس : (مقبرة)

أهم مقابر تونا الجبل بمحافظة أسيوط ، وكانت جبانة لمدينة الأشمونين ، وهى مقبرة شيدها "بتوزيريس" الذى كان كبيراً لكهنة الإله "تحوت" وغيره من الآلهة وأهم شخصية فى مدينة الأشمونين حوالى عام ٣٠٠ ق.م. أى فى أوائل أيام حكم البطالمة فى مصر. لا تمتاز هذه المقبرة العائلية بفخامتها فحسب بل تمتاز قبل كل شئ آخر بمناظرها التى جمعت بين الفن المصرى الأصيل الذى رسموا به بعض مناظر الحياة اليومية ورسوم أخرى نرى فيها بوضوح التأثير الواضح بالفن اليونانى والحضارة اليونانية فى عدد من المناظر وبخاصة فى الزراعة وبعض الصناعات ، ومازال جزء كبير من تلك الرسوم يحتفظ بألوانه.

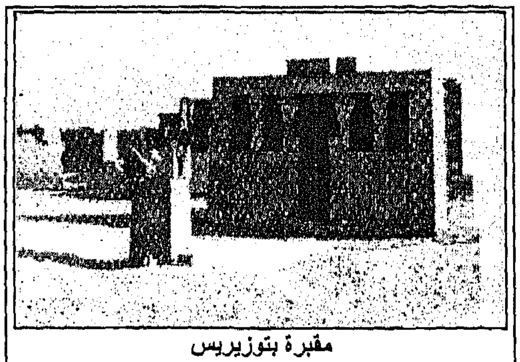

مقبرة بتوزيريس

بحدتى :

المعبود الرئيسى لمدينة بحدت (حاليا "ادفو")، ويعنى الأسم "الأدفوى". رمز اليه المصريون بالصقر، وهكذا دخل فى مجموعة الآلهة التى عبدها المصريون على هيئة "الصقر". وفاز "بحدتى" منذ أول العصور بشهرة كبيرة على أساس أنه "البطل المنتصر"، "حامى الملك"، و"سيد السماء" ، وكثيرا ما ورد أسمه: "حورس أدفو"، كما أن أحب تصوير له إلى نفوس الناس كان يمثله على هيئة "قرص الشمس يمتد منها جناحان" ،

وهكذا أنتقل المعبود "بحدتى" إلى مجموعة الآلهة الشمسية التى تمثل إله السماء وكثيراً مانرى الشمس تمثل على واجهات المعابد ، وتحتل الجزء العلوى من الجدران المنقوشة.

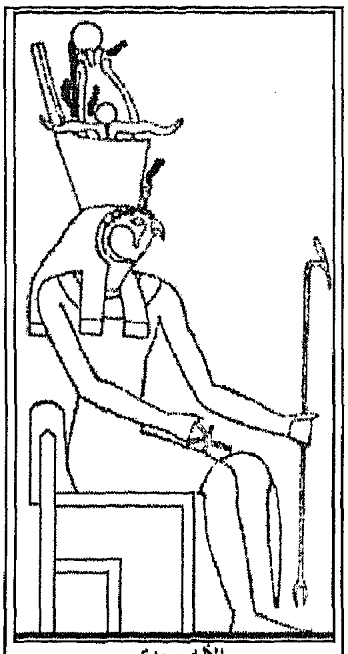
الآله بحدتى

بحيرة قارون :

لم تعرف بهذا الأسم إلا منذ العصور الوسطى ، وكانت يعرف قبل ذلك فى الكتب العربية باسم "بحيرة الصيد" وأحيانا "بحيرة الفيوم" أو "البحيرة" فقط. ذكرها "هيرودوت" تحت أسم "بحيرة موريس" وهو تحريف يونانى لأحد أسمائها فى أيام الفراعنة "مى ور" وكانت البحيرة فى أقدم عصورها تكاد تملأ المنخفض الذى تشغله محافظة الفيوم، أما سبب تكونيها فيرجع كما يرجع الجيولوجيون إلى تدفق ماء النيل فى هذا المنخفض فى العصر الحجرى القديم فى أعقاب أحد الفيضانات العالية جدا، وذلك طبعا عن طريق الفرع الطبيعى للنيل الذى يسمى الآن "بحر يوسف" وهو بدوره أسم حديث مثل تعبير بحيرة قارون وكان يسمى حتى العصر الأيوبى (أى حتى القرن ١٤ الميلادى) "بحر المنهى".

كانت مياه البحيرة القديمة فى عهد الدولة القديمة تملأ الجزء الأكبر من المنخفض ، وكانت المستنقعات والأحراش تملأ جزءا آخر منه ، كما كانت تقوم فيها بعض البلاد فوق المرتفعات التى على مستوى أكثر من عشرين مترا فوق سطح البحر، وعلى مقربة منها الحدائق والحقول، مما جعل هذه المنطقة من بلاد وادى النيل مكانا صالحا جدا للإقامة وللصيد، وكانت تنقسم إداريا إلى قسمين البحيرة الشمالية والبحيرة الجنوبية.

وأهتم ملوك الأسرة الثانية عشر بالفيوم وقاموا ببعض مشروعات الرى لتحويل جزء كبير من المستنقعات والأحراش إلى أرض زراعية وأقاموا الجسور فى بعض الأماكن حول البحيرة وأنشأوا عدد من المدن الجديدة حولها ، فازدهرت بعض البلاد فى ذلك العصر وقامت فيها المعابد مثل ما نجده فى اللاهون وهوارة ومدينة الفيوم (شدت) وأم البريجات ومدينة ماضى وقصر الصاغة. وأكثر ملوك الأسرة ١٢ أهتماما بالفيوم هو الملك "أمنمحات الثالث" مشيد هرم هوارة ومشيد المبنى الشهير باسم "اللابيرانت" الذى كان على مقربة منه.

وشهدت الفيوم عصر أزدهار كبير آخر فى بداية عصر البطالمة إذ كانت مياه البحيرة القديمة قد انحسرت عن بقاع كثيرة من الأراضى فاستغل بطلميوس الثانى (القرن ٣ ق.م.) ذلك وقام باستخلاص جزء كبير من البحيرة وعمل اصلاحات زراعية كثيرة وأنشأ بلادا جديدة أكثرها عند مستوى (١٧ تحت سطح البحر) مثل ديميه وكوم أوشيم وسنورس وترسا وبطن أهريت وقصر البنات ووطفة وقصر قارون.

وكان سكان هذه البلاد يشربون ويروون أراضيهم أما من مياه البحيرة التى كانت عذبة نسبيا أو من شبكة الترع والقنوات التى كانت تتفرع فى جميع البلاد وأهمها ترعتان كانت تمر إحداهما فى شرقى البحيرة وشمالها وتمر الأخرى فى جنوبها وغربها ، وكانت كل منهما تتفرع من بحر المنهى (بحر يوسف).

وبالرغم من تدهور حالة البلاد فى أيام الرومان وبداية العصور الإسلامية فإن بعض البلاد والقرى ظلت عامرة بسكانها فقد عثر فى خرائبها على كثير من أوراق البردى المكتوبة باللغة اليونانية وغير ذلك من الآثار ، ولم تتعرض بلاد الفيوم للخراب إلا عند إهمال تطهير الترع والقنوات.

وبالرغم من هذا التدهور فإن الأهالى ظلوا يزرعون بعض البلاد مستخدمين مياه البحيرة والسواقى إلى أن حدث فى العصر الأيوبى بعض الأهتمام بتلك المنطقة ونفذت الدولة بعض مشروعات الرى وبخاصة على مقربة من اللاهون وسميت ترعة المنهى منذ ذلك الوقت باسم "بحر يوسف" نسبة إلى صلاح الدين ، أما ما نقرؤه فى بعض ما كتبه العرب عن صلة سيدنا "يوسف الصديق" بهذه المحافظة أو أصل كلمة الفيوم من أنها "ألف يوم" فليس إلا محض خيال إذ أن بحر يوسف ليس إلا فرعا طبيعيا للنيل وأن معنى كلمة الفيوم مأخوذة كما هى من أسمها القديم بمعنى "الماء" أو "البحيرة".

وزاد إنحسار ماء البحيرة وإتساع رقعة الأراضى الزراعية حتى أصبح سطح مياه البحيرة فى الوقت الحاضر ٤٥ تحت سطح البحر. وأقصى طول لها من الشرق إلى الغرب لا يزيد عن خمسين كيلو مترا وعرضها لا يزيد عن عشرة كيلو مترات وتضيق فى أطرافها وعمق مياهها ٤-٥ متر وبها عده جزر صغيرة وواحدة كبيره نسبيا وهى جزيرة القرن.

بدء الشعائر الدينية. كما كانت تقام بعض الأسرار المقدسة الليلية على ضفاف تلك البحيرات ، ومن أمثلة هذه الأسرار بعث أوزيريس فى سايس.

وكانت البحيرات المقدسة إما مستطيلة الشكل أو مدورة قليلاً عند الأطراف. وبطنها المصريون بالحجر وجعلوا لها سلما يستند إلى سورها للوصول به إلى مستوى سطح الماء الذى كان يتغير بتغير أوقات السنة.

البدارى :

بلدة فى محافظة أسيوط على الضفة الشرقية للنيل أمام أبو تيج. عثر فيها على حضارة من العصر النيوليتى وهى ، باستثناء حضارة تاسا ، أقدم حضارات العصر الحجرى الحديث فى الوجه القبلى.

كان الموتى يدفنون على هيئة القرفصاء على الجنب الأيسر، وأنظارهم متجهة نحو الغرب ، ويوضع معهم كثير من الأوانى الفخارية، وعلى الأخص نوع أحمر مصقول وحافته العليا سوداء.

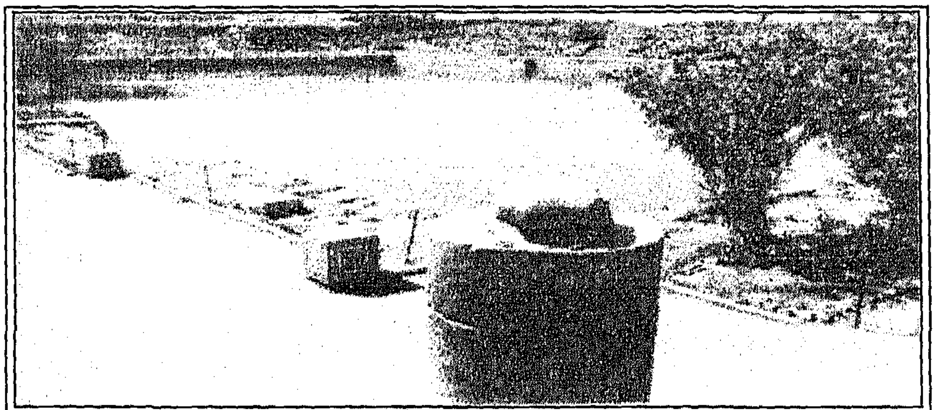

البحيرة المقدسة

البحيرة المقدسة :

لما كانت الشمس قد بزغت من المياه الأولية عند بدء الزمن ، وكان بكل معبد بحيرة مقدسة ظلت مياهها الراكدة محتفظة بقواها الكامنة. كان فعل الخليقة يتجدد كل صباح فى تلك البحيرة. وقد كشفت الحفائر عن كثير من هذه البحيرات المقدسة ، منها ما كان فى الكرنك ودندرة والطود والمدامود وتانيس. وكان الكهنة يتطهرون كل يوم عند الفجر فى البحيرة المقدسة قبل

وفى حضارة البدارى ، ويرجع تاريخها إلى حوالى عام ٤٠٠٠ ق.م ، وظهر إستخدام النحاس لأول مرة كحبات من عقود للزينة ، كما تحققنا من أن الناس عرفوا نسيج الملابس ، وكانوا يضعون غطاء كالطاقية فوق الرأس ، كما عرفوا استخدام أسرة من الخشب ، وكان لهم ميل خاص لرسم الحيوانات للزينة فوق بعض الأدوات المصنوعة من العاج ، أو حول حافة بعض الأوانى الفخارية.

بدى باستت :

يعتبره المؤرخ المصرى "مانيتون" السمنودى ، مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين تولى العرش المصرى فى وقت كانت البلاد منقسمه على بعضها ، فهناك فى شرق الدلتا بيت مالك يحكم من العاصمة "صان الحجر" ويسيطر على مصر الوسطى ، وكانت مصر العليا تدين بالولاء لكبير كهنة أمون الذى أخذ يتمثل بالفراعنة ويكتب أسمه فى "خرطوش" ملكى. واستطاع "بدى باستت" أن يؤسس أسرة ملكية سيطرت على غرب الدلتا، كما حصل على معونة كهنة طيبة وبذلك دانت له مصر العليا أما كهنة منف فظلوا على ولائهم للبيت المالك القديم فى منف. وأشتبك الملكان فى حرب قصيرة ثم قبل كل منهما الأمر الواقع وصارت فى مصر أسرتان ملكيتان تحكمان فى وقت واحد ، وأنتهز أمراء الأقاليم هذه الفرصة فاستقلوا باقاليمهم.

بر - إيب - سن :

خامس ملوك الأسرة الثانية. بدأ حربا جديدة تؤكد سيطرة مصر العليا على مصر السفلى ، وأعلن عدم ولائه "لحورس" المعبود الأول لمصر المتحدة ، وأختار "ست" معبود مدينة "أومبوس" ليكون الأله الأول للبلاد وخرج على التقاليد المتبعة وهجر منف وبقى فى عاصمته الجنوبية "طينة" ، وأعلنها ثورة ضد الشمال، ولا ندرى كيف أنتهت أيامه. وأراد من أتى بعده أن يرسم سياسة وسطا ولكن الأمر انتهى بعودة العاصمة نهائيا إلى الشمال واستعادة حورس لمكانته وتاسيس الأسرة الثالثة.

بر - إيب - سن : (مقبرة فى أبيدوس)

يرمز لهذه المقبرة عند الأثريين بالحرف p ، وقد تهدم بناء المقبرة العلوى تماماً. أما الجزء الذى يقع تحت سطح الأرض فقد حوى حجرة الدفن فى الوسط ، ويحيط بها حجرات صغيرة جانبية ، وتفصل الحجرات عن بعضها البعض جدران من اللبن تنتهى أطرافها المطلة على الحجرة الرئيسية بما يشبه العمود النصفى. هذه الحجرات استخدمت - أغلب الظن - كمخازن للأثاث والمعدات الجنازية.

أما الأطوال الكلية لهذه المقبرة فهى ٢١ متراً من الشمال إلى الجنوب و١٨,٥ مترا من الشرق إلى الغرب.

البردى :

إستخدم المصريون القدماء نبات البردى فى صنع الحصير والحبال وبعض أنواع الصناديق ، وفى شتى الأغراض الأخرى ، وأشهرها ذلك النوع من ورق الكتابة الذى كتبوا عليه كثيرا من أدابهم وعلومهم. والنبات الذى أستخدم لم يعد ينبت فى مصر الآن ، اللهم الا فى بعض الأحواض الصناعية وفى جميع متاحف العالم برديات أو أجزاء من برديات مصرية أكثرها دينى، ولكن هناك أيضا كثير من البرديات الطبية والأدبية وبرديات أخرى فى مختلف أنواع العلوم، والرسائل الشخصية وغيرها من الوثائق.

بر رمسيس :

يعنى هذا الأسم "بيت رمسيس" وحسب الصيغة الكاملة: "بيت رمسيس محبوب أمون المعظم بانتصاراته". ولقد أطلق على بيت رمسيس أسم جديد خلال حكم رمسيس الثانى وهو "بيت رمسيس محبوب أمون، الكا العظيمة لرع حور آختى" وتلخص العبارتان برنامج رمسيس الثانى خلال فترة حكمه فى سياسة هجومية مع تعظيم هالة الفرعون الشمسية المقدسة. وتشير العبارة إلى المنشأة الرئيسية التى أقامها ذلك الملك العظيم ضمن العديد غيرها وهى عاصمة جديدة أتخذت من مدينة "أفاريس" القديمة نواه لها.

وتقع "أفاريس" عند منحدر الفرع الشرقى بين النيل والصحراء الشرقية ، وكانت عاصمة للهكسوس آنفا بمعبدها العريق للإله "ست" ، وقد سارت بها بعض الأنشطة فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة. ولقد أقيم فى هذا الموقع مقر ملكى خلال حكم الملك سيتى الأول الأبن الروحى للإله "ست" ، وأحد أبناء المنطقة العسكريين. بعد ذلك قام "رمسيس الثانى" عند توليه الملك بتطوير هذا المقر الملكى وتحويله إلى مدينة مترامية الأطراف. ومثلما حدث فى "العمارنة" فقد شيدت مجموعة فخمة من القصور والمعابد، ومبانى الخدمات والمنازل الأنيقة، وكذلك الأحياء الشعبية.

وشملت موقع "أفاريس" من جهة الجنوب، بل وتعدتها بكثيراً جهة الشمال. أما المدينة التجارية التى أطلق عليها أسم "رمسيس"، ليست فى الواقع سوى "بر رمسيس". ولاشك أن فكرة الملجأ القومى خلال الأسرة التاسعة عشرة، كانت لها أبعاد إستراتيجية أمام إضطرابات وقلاقل بدو المضيق، وأندفاع الحيثيين نحو فلسطين. إذن كان لابد أن يكون مقر الملك ومعسكرات قواته المسلحة والترسانه البحرية، فى موقع متميز يسمح لها بمراقبة الحدود الشرقية بالدلتا، وبسوعة - إذا ما أقتضى الأمر فى كنعان وفينيقيا. واستمرت مدينة "بر رمسيس" تحتل مكانتها كعاصمة فى ظل حكم الملك رمسيس الثالث أيضا. ولكن بدأ يأفل نجمها خلال حكم باقى الرعامسة شأنها فى ذلك شأن غيرها من المدن. وقد تسبب إنخفاض منسوب مياه فرع النيل الشرقى، وتعرضها لغزوات الليبيين والأسيويين فى احلالها بمدينة تانيس التى أصبحت مقرا للحكم ومرفأ نهرى حوالى عام ١١٠٠ق.م.

ونستطيع حاليا أن نحدد موقع "بر رمسيس" شمال مدينة "فاقوس" تقريبا ، فيما بين تل الضبعة والختاعنة وقنتير حيث كانت على مستوى أسفل من مستوى المزارع الحالية. وهناك ثلاثة أنواع من المصادر التى تسمح لنا بمعرفة أوجه الأنشطة ومكانة مدينة "بر رمسيس" العظيمة:

١- نجد الكثير من النصوص المنحوتة على الأحجار والتى تروى أعمال رمسيس الثانى ، كذلك العديد من الوثائق الإدارية والفنية ، بالإضافة إلى ألقاب كبار الموظفين ، وبعض النصوص الأدبية الخاصة بالمديح والثناء. كل ذلك يساعدنا فى إعطاء لمحة عن تلك المدينة الكبرى التى كانت مخزنا للأسلحة وقاعدة بحرية تقع على حدود الأراضى المصرية والأراضى الأسيوية، ومكانا للإقامة والراحة. كما كانت مقرا فخما فسيح الأرجاء ، يستقبل فيه الفرعون دافعى الضرائب ، ويحتفل بأعياده، وحيث تقام شعائر عبادة الآلهة الثلاثة الرئيسية بالدولة: أمون، ورع، وبتاح بالإضافة إلى الشعائر الخاصة بالإله "ست" رب الأسرة وبقية "أرباب رمسيس" ، ومختلف أوجه نبوغ الذات الملكية التى تتمثل فى التماثيل الضخمة العملاقة.

٢- الجبانة المنهوبة التى انهارت وتحولت إلى محجر ومخزن للأثاث الخاص بملوك الأسرتين الواحدة والعشرين والثانية والعشرين. وتكشف المنشآت والنصب، التى أعيد استخدامها فى تانيس وبعض القطع التى عثر عليها فى "تل بسطة" و "تل المقدام" ، عن أبعاد مترامية ، وعن مجمع رمسيس الثانى من تماثيل عملاقة (ومن بينها جزء من أضخم تمثال معروف حتى الآن) والتماثيل المبتكرة والمنحوتات القديمة التى قام الرعامسة بإجراء إضافات عليها ، والأساطين العالية والمقاصير الأحادية الحجر ، والمسلات الكبيرة والصغيرة وأجزاء من الجدران الكثيرة ، واللوحات التى تشهد بورع وتقوى رمسيس الثانى وانتصاراته. ولقد تم نحت وبناء كل ذلك بمختلف أنواع الأحجار التى أمر مؤسس المدينة بإحضارها سواء من الصحراوات أو من صخور الشلالات. وعلى "لوحة عام ٤٠٠" نجد نصا فريداً من نوعه يخلد الإله "ست بعل" إله الملك رمسيس وكذلك أسلافه.

٣- ولا تحوى أراضى "قنتير" والأماكن المجاورة لها إلا أنقاض ضئيلة متناثرة للمعابد. ولكنها أظهرت وجود أرضية من الخزف البراق لأحد القصور ، والقوالب التى كانت تستخدم فى صب الجعارين لتمجيد الملكية. كما عثر على تماثيل عملاقة للآلهة ، وأنقاض ورش لتصنيع الأسلحة ، وأبواب ونوافذ جميلة الصنع خاصة بالقصور الصغيرة التى كان يقطنها الأمراء والوزراء ، وعثر كذلك على مجموعة من اللوحات التى تصور الجنود والعمال وهم يبتهلون إلى تماثيل رمسيس الثانى العملاقة.

أنظر كذلك أواريس.

البرشا :

وتسمى أحيانا "دير البرشا" منطقة أثرية بمحافظة المنيا على الضفة الشرقية للنيل أمام ملوى تقريبا (٣٠٠ كم جنوبى القاهرة) وهى جبانة مدينة خمنو (الأشمونين) وبها جبانات من الدولة القديمة وبعض مقابر لحكامها فى عصر الفترة الأولى وفى الأسرة ١٢ وهى منحوتة فى الصخر. وفى سفح الجبل جبانة كبيرة عثر فيها على كثير من التوابيت الخشبية التى غطيت جوانبها بنصوص التوابيت ومناظر دينية مختلفة. وأهم

ما فى المنطقة مقبرة "تحوتى – حوتب" حاكم الإقليم ١٥ من أقاليم الصعيد وفيها المنظر المهم الذى يمثل نقل تمثاله الكبير المقطوع من مرمر محاجر "حتنوب" وكان إرتفاعه أكثر من ستة أمتار ونصف ويزن أكثر من سبعين طنا. وعلى مقربة من المقابر نجد بعض المحاجر التى نستدل من النقوش التى فيها على أن أمنحوتب الثالث قطع أحجارا منها لأجل معبد الأشمونين "هرموبوليس" وكذلك الملك نختنبو الأول لتشييد معبد هناك.

وإلى الشمال من المقابر ، بين الحقول المزروعه، نجد المبنى المعروف باسم دير البرشا وفيه بعض أجزاء ربما شيدت قبل القرن الثامن الميلادى ويوجد بالكنيسة التى بداخله حنيات بها صور ملونة ولكنها من عصور أحدث.

بس :

يذهب بعض الباحثين إلى أن الإله بس إنما كان أصله من بلاد العرب ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب إلى أن الإله بس إنما قد جاء إلى مصر فى عصر الأسرة الثانية عشرة من السودان ، وربما كان فى الأصل اله أسد. فقد حافظ على بعض صفات الأسد، ولكنه مثل فى مصر عادة على هيئة قزم قبيح ، سيقانه مقوسة يرتدى جلد الأسد ، وكثيرا ما صورت أذناه على هيئة أذنى الأسد وله عرفه ، ويمتد لسانه خارج فمه ، ويوحى منظره العام بالمجون ، ويبعث على الضحك ، وقد كان فى أول الأمر حاميا للبيت المالك ، وكان واحداً من المعبودات التى أعتمد عليها فى ولادة حتشبسوت ، ثم سرعان ما أنتشرت عبادته بين عامة القوم ، وأصبح واحدا من المعبودات الشعبية، فقد كان جالبا للسرور فى منازل طبقات القوم المختلفة ، وكان حاميا للأسرة ، ومتصدرا لطقوس الزواج وزينة المرأة، وصديقا حميما للمرأة يساعدها أثناء الولادة ويحمى الوليد ، وقد صور كثيراً وهو يرقص حول المرأة عندما تضع حملها لأول مرة.

هذا وكان بس حاميا لعبدته من حيوانات الصحراء، وبخاصة الثعابين، ومن ثم يظهر غالبا وهو يلتهم الثعابين، ورغم أنه صور أحيانا فى ملابس حربية كقاتل لأعداء عبدته، فقد كان فى الأصل الها للخير والسرور، ولهذا نراه يرقص ويضرب على القيثارة، رغبة فى تسلية الآلهة ، ومن هنا كان للرقص والموسيقى دور هام فى عبادته، هذا وقد مثل بس فى هيئة قزم له اذرع طويلة، وساقاه قصيرتان مقوستان وله ذيل، ويحمل وجهه ذو الأنف العريض الأفطس لحية كثة، وعيناه الضخمتان كانتا نصف مغلقتين بحواجب ضخمة، وكان له لسان طويل يمتد خارج فمه، وأذنان بارزتان، وأحيانا كان قرنان صغيران يخرجان من جبينه، وأحيانا يلبس تاجا من ريش طويل، هذا وقد صور بس كثيرا على وسادة الرأس ، وبصفة خاصة تلك التى فى فراش الزوجية ، وعلى مقبض مرآة وأدوات العطور ، كما صور على التمائم المصنوعة من عاج التماسيح ، والتى كان الغرض منها الحماية ضد حيوانات الصحراء والثعابين ، وأخيرا فقد أصبح بس الحامى وجالب السلام للميت ، ومن ثم فقد صور على الوسادة التى تحت رأس المومياء ، هذا وقد كانت الصورة الأنثى للإله بس هى "بست" الحية قاذفة اللهب ، وأن أعتقد القوم بصفة عامة أن بس قد تزوج من "تاورت".

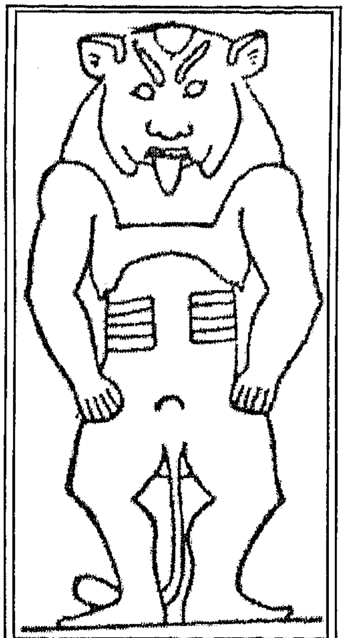

الآله بس

بسماتيك الأول :

مؤسس الأسرة السادسة والعشرين ، كافح طويلا حتى إستطاع تخليص مصر من الآشوريين مستعينا ببعض الفرق الليدية التى أرسلها حليفه "جيجس" ، وبعد أن أستقر له الحكم فى دلتا مصر العليا مستخلصا أياها من سيطرة كهنة أمون بطيبة ، وتوصل إلى ذلك بتعيين أبنته "نيت – أقرت" (نيتوكريس) زوجة إلهية

لأمون ، وكانت صاحبة هذا المنصب الدينى تتمتع بثروة ضخمة ونفوذ قوى فى البلاد قام بإصلاحات عديدة ، وأنشأ جيشا وأسطولا كان قوامهما من الجند المرتزقة الأجانب وعدد قليل من المصريين ، وكانت فرصة أستغلها الإغريق فكونوا جاليات كثيرة أخذت تهيمن على تجارة البلاد ، وقوى نفوذهم إلى الحد الذى جعل المصريون يتعلقون بتراثهم القديم محافظة على كيانهم القومى وظهرت حركة قوية فى الفن تقوم على محاكاة الأساليب الفنية السائدة فى الدولة القديمة والدولة الوسطى أى فى عصور أزدهار الحضارة المصرية الأصيلة.

بسماتيك الثانى :

ثالث ملوك الأسرة السادسة والعشرين لم يحكم إلا مدة قصيرة ولم يترك آثارا تدل على أعماله ، ونعرف أنه كان مغاليا فى أستخدام الجند المرتزقة وكون منهم ثلاثة جيوش عسكرت فى غرب الدلتا وشرقيها والثالث فى جنوب مصر أى فى جزيرة "الفنتين" ، وازدهرت تجارة اليونانيين وازدحمت مدينة "نوكراتيس" اليونانية بهم وكذلك جزيرة "الفنتين".

بسماتيك الثالث :

سادس ملوك الأسرة السادسة والعشرين وآخرهم ، ما كاد يجلس على العرش حتى اضطر للدفاع عن وطنه ضد جحافل الإمبراطورية الفارسية بقيادة "قمبيز" وخسر المعركة عند "بلوزيوم" (تل الفرما) وأرتد إلى منف حيث أستسلم ، وأحسن قمبيز معاملته وأطلق سراحه ، ولكنه ما لبث أن حاول تحرير وطنه من المستعمر ، ووقع أسيرا وأنتحر.

بسوسنس الأول :

ثانى ملوك الأسرة الحادية والعشرين التى حكمت فى الدلتا واستقرت فى العاصمة "تانيس" (صان الحجر) فى شرق الدلتا ، فى حين أستقل كهنة أمون فى طيبة وكونوا أسرة مالكة أول ملوكها "حريحور" ، وقد هيمنت الأسرة المالكة الأولى على الدلتا ومصر الوسطى حتى أسيوط ، والأسرة المالكة الثانية على مصر العليا وكانت عاصمتها طيبة. ولقد تهادنت الأسرتان وأنتهى الأمر بينهما بالمصاهرة ولم تلبث مصر أن دانت كلها للبيت المالك الذى حكم من العاصمة "تانيس". عثر على مقبرته سليمة فى صان الحجر عام ١٩٤٠ وبها مجموعة كبيرة من الأوانى الذهبية والفضية والحلى الذهبية الكثيرة وهى الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة.

وكان إسمه أو لقبه "باسبا خع إن نيوت" بمعنى "النجم الساطع فى المدينة".

البعث والخلود:

كان المصريون القدامى من أوائل الأمم ، أن لم يكونوا أول أمه آمنت بالبعث والخلود بعد الموت فى حياة قد لاتختلف فى جوهرها عن حياتهم فى العالم الدينوى ، وقد كان بناء الأهرامات وغيرها من العمائر الدينية الضخمة نتيجة سيطرة الدين على المصريين وأثره فى حياتهم وتفكيرهم ، فالدين - كان ولا يزال وسيظل - أكبر قوة تؤثر فى حياه الإنسان ، كما أنه كان منفذا للخيالات ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة به ، ذلك التفسير الذى أوحى بفكرى الخلود ، أو الحياة بعد وسيظل - أكبر قوة تؤثر فى حياه الإنسان، كما أنه كان منفذا للخيالات ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة به ، ذلك التفسير الذى أوحى بفكرة الخلود ، أو الحياة بعد الموت ، هذه الفكرة كان قد اعتنقها القوم وكان لها أكبر الأثر فى نفوسهم ، بل أنه، فيما يرى برستد ، لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب العالم احتلت فى نفسه فكرة بعد الموت المكانة العظيمة التى أحتلتها فى نفس الشعب المصرى القديم ، وكان من نتائج ذلك أن ترك لنا القوم عدداً هائلا من المقابر والأهرامات والمعابد التى لا يمكن حصرها ، بينما لا نجد إلا قليلا من المنازل التى كان يعيش فيها القوم ، بل أن العواصم الكبرى، كمنف وطيبة ، قد اختفت ولم تكد تترك من بعدها أثراً، ولعل السبب فى ذلك أن الأولى إنما كانت تبنى بالأحجار، بينما كانت الثانية من اللبن ، إيمانا منهم أن الأولى أبدية، والثانية وقتية.

وهناك ما يشير إلى أن فكرة البعث والخلود إنما بدأت قبل التاريخ بالآف السنين ، ومن هنا رأينا أصحاب حضارات العصر الحجرى الحديث يضعون شيئا من القرابين لموتاهم.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن ذلك الإعتقاد الملح فى الحياة بعد الموت ، والذى نشأ منذ تلك العصور المبكرة من تاريخ مصر الفرعونية ، إنما كان يعضده كثيرا ويغذيه تلك الحقيقة المعروفة عن تربة مصر ومناخها ، وهى أنها تحفظ الجسم الإنسانى بعد الموت من البلى إلى درجة لا تتوافر فى أية بقعه أخرى من العالم ، فلقد أعتادت أغلب أجيال القوم منذ فجر تاريخهم على أن يدفنوا موتاهم فى الحواف الصحراوية، والغربية منها بخاصة ليناًوا بمقابرهم عن رطوبة لأرض الطينية، ويتركوا أرض الزراعة للزراعة ويوفروا أرض القرى لأحيائها ، وشيئا فشيئا تبينوا أن مقابرهم الصحراوية تحفظ جثث موتاهم بحالة لا بأس بها لفترات غير قصيرة، وعندما اختلطت هذه الظاهرة بأحاسيسهم الدينية لم يردوها إلى جفاف الصحراء وحده، ولا إلى دور الرمال فى أمتصاص رطوبة الجسد وحده، وإنما ردوها أساسا إلى قدرة ربانية حانية، وقدروا أنهم إذا استرضوا صاحب هذه القدرة وقدسوه ، زاد من رعايته لجثثهم وحفظها سليمة لأطول مدة ممكنة ، وقد حدث بالفعل أن المعبود الذى تخيلوه ربا للحواف الصحراوية وسموه "انبو"، أو أنوبيس كما دعاه الأغارقة، كان هو نفسه المعبود الذى تخيلوه راعيا لجثث موتاهم وقادر على حفظها وحاميا للجبانات، وقد أنتشر الإيمان به من طائفة إلى أخرى حتى أصبح الجميع يتوجهون بدعواتهم الأخروية إليه ، وقد أعتبروه رباً للتحنيط بارعا فية ورمزوا إليه بهيئة ابن آوى.

وكان النيل هو العنصر الثانى وكان سببا فى إيمان القوم بالبعث والخلود فقد كان فيض النيل يأتى دائما فى موعده ، فما أن تقبل شهور الصيف حتى ترتفع مياهه وتفيض وتمد الحقول بالمياه والطمى الجديد ، وكان النيل دائما يبر بوعده ولم يقصر فى مد تلك الحقول بما يبعث فيها الحياة ، فكان أنتظامه سببا فى غرس شعور الثقة فى نفوس القوم ، وبث مولده المتكرر فى نفس المصرى عقيدة راسخة ، أنه فى استطاعته هو الآخر أن ينتصر على الموت ويحيا حياة أبدية ، ولا يمكننا أن ننكر أن كثيرا ما حدث أن النيل قد قصر فى مجيئه وهبط عن معدلة الطبيعى ، وحينئذ تكون الشدة التى قد تصل إلى المجاعة ، ولكنه لم يقصر أبداً إلا لفترة محدودة ، ثم يعود بعدها وقد حمل فى طياته الخير العميم ، وهكذا كان القوم يرون فيضان النيل كل عام فى موسم لا يخلفه ، فيخصب التربة وينبت البذرة ، ويدفع دورة الحياة الزراعية دفعة جديدة ، وسرعان ما تتابع الدورات إلى مالا نهاية ، وقد وجد القوم أن ذلك إنما قد ينطبق كذلك على بعض الجزر التى تغطيها المياه ثم سرعان ما تنحسر عنها فتحيا وتزدهر ، ثم تعود فتغرقها (أى تميتها) من جديد، ثم سرعان ما يتكرر الأمر كله مرة ثانية ، ولم يتوهم القوم أن ذلك كله قد يحدث تلقائيا من غير علة أو غاية ، وإنما آمنوا معها برب كريم يدفع الفيضان من باطن الأرض ، ويدفع النبات من الحب المدفون فى التربة ويحيى الحقول الجافة بعد الموت كلما مسها بفيضه ورحمته ، ومع طول التدبر ونمو التدين قدروا أن من يتعهد طبيعتهم بالحياة المتجددة ، ويدفع عنها مواتها ، قادر من غير شك على أن يتعهد أهلها بالحياة بعد وفاتهم ، طالما أحبهم ، وطالما تقربوا إليه وقدسوه، وقد حدث بالفعل أن المعبود الذى تخيله نفر منهم رباً للفيضان والخصب والزرع وقدسوه باسم "أوزيريس"، كان هو نفس المعبود الذى نسبوا إليه ربوبية البعث والآخرة ، وجعلوا مملكتة تحت الأرض ، وأمتد تقديسهم له فى طول البلاد وعرضها ، وأحاطوه بأساطير وتخيلات ، وهو غير حعبى.

وكانت الشمس هى العنصر الثالث الذى ألهمت المصرى القديم عقيدة البعث والخلود ، فلقد رأى القوم ، كما رأت شعوب أخرى ، ذلك الكوكب العظيم الذى يغرب يوميا فى الغرب ، ويعود إلى الشروق من الشرق، ولكنهم رأوا كذلك مالشمسهم من تأثير خاص فى حياتهم بسبب وضوحها فى سماء مصر الصحو ، وبسبب التوافق والإنسجام بين مواسم حرارتها وبين مظاهر الطبيعة الأخرى ، وعلى رأسها النيل ، وأثر ذلك كله فى بذر المحاصيل وجنيها ، فضلا عن ارتباط شروقها بيقظة الكائنات بعد النوم ، وبالحركة بعد الخمول ، والرؤية بعد قلة الرؤية ، فلم يردوا ذلك إلى عملية آلية لاروح فيها ولا هدف لها ، وإنما ردوه إلى رب قادر (هورع) أتخذ الشمس آيته الكبرى لنفع الأحياء فى الدنيا ، ثم رأوا هذا الرب الذى يسير لمنفعتهم فى الدنيا ، قادر على أن يوجهها لنفعهم فى الآخرة ، بعد أن تتجه إلى الأفق الغربى حيث توجد أغلب مدافنهم، فينزل فيه إلى ما تحت الأرض، وتضئ ظلمة القبور، وتنير مسالك العالم السفلى، وتخيلوا للرب من أجل هاتين الغايتين مركبتان يعبر بهما سماء الأحياء فى النهار، دعوها "منعجت" ، ومركبا يعبر بها سماء الموتى فى الليل، دعوها "مسكتت" ، وله فى هذه الأخيرة مسار معلوم تحدثت عنه كتب الموتى فى كل ساعة من ساعات الليل الأثنى عشر.

بعـل:

معبود آسـيوى عرفـه المصريـون منـذ دخـول "الهكسوس" واستقرارهم فى الدلتا (فى القرن السـابع قبل الميلاد) وقبله الناس على أنه صورة طبق الأصـل من معبودهم القديم "ست". لم تشيد له معابد ولم يحـظ بعبادة خاصة وذكره رمسيس الثـانى فـى نصـوص حروبه وقال انه كان يمده بحمايته. وأخذ الناس بعـد عصره يمثلون قوة الملك وشدة بطشه بأعدائه بقوة بعل.

الأله بعل

بعنخى :

تولى بعنخى الحكم فى مملكة نباتا بعد وفـاة أبيـه كاشتا وقد أصبح من القوة بحيث أخذ يتطلع إلى عرش مصر وقد ساعده على ذلك إضمحلال مصر السياسـى والتطاحن القائم بين أمـراء الأقـاليم. فقـام بحملـة عسكرية على مصر نعرف أخبارها من نص - بأسلوب إنسانى جميل - على لوحة حجرية عثر عليها فى نباتـا عام ١٨٦٢م وترجع للعام الحادى والعشرين من حكمه.

وتقص علينا هذا اللوحة كيف أن بعنخى قد أرسـل جيشاً إلى الشمال عندما علم أن "تف نخت" قد فـرض حمايته على الأشمونين وأهناسيا بل وزوده بتعليمـات لأحترام قدسية المعابد والتطهير قبـل الدخـول إلـى هياكلها. وقد إستقبل هذا الجيش فى طيبـة إسـتقبالاً كبيراً ثم تابع سيره إلى الشمال فوصل إلى الأشـمونين ومنها إلى أهناسيا وكان النصر حليفه أينما حل. وقـد إستطاع حاكم مدينة الأشمونين المدعـو نمـرود مـن الفرار ثم العودة ثانية إلى مدينته فأعاد تحصينها ونظم طريقة الدفاع عنها ولهذا فلم يتمكن جيش بعنخى عنـد عودته من الشمال من إقتحامها وأكتفى بمحاصرتـها. ولم تسعد هذه الأنباء بعنخى فقام بنفسه من نباتا علـى رأس جيش كبير حتى وصل إلى طيبة وأحتفل هناك مع المصريين بعيد الأوبت ثم تابع مسيرته حتى وصل إلـى الأشمونين فأقام الأبراج العالية التـى تعلـو أسـوار المدينة وظل جنوده يرسلون سهامهم إلى جنود نمـرود الذين أنهكهم الجوع. فلم يجد الحاكم نمرود أمامـه إلا الإستسلام للملك بعنخى بل وأهداه فرساً مـن أحسـن خيوله وذلك لعلمه بمحبة الملك النوبى للجياد. فعفـى بعنخى عن نمرود وجرده من أمواله وممتلكاته ثم تتبع سيره إلى أهناسيا ومنها إلى منف. وكان تف نخت قـد سبقه إليها فحصنها ونظم دفاعها ولهذا قاومته إلـى أن إنتصر عليها.

وما أن سقطت منف حتى جاء بقية أمـراء طيبـة يقدمون فروض الولاء والطاعة للملـك بعنخـى. بـل وإعترف به كهنة عين شمس فرعونا لمصر ومؤسسـا للأسرة الخامسة والعشرين وإن كان مانيتون قـد بـدأ هذه الأسرة بأخيه شاباكا، لم يجد تف نخت فائدة مـن مقاومة الملك بعنخى فاستسلم فى بادئ الأمر وطلب المغفرة وقد قدم له فروض الولاء والطاعة فعفى عنه الملك.

إكتفى بعنخى بالسيطرة على أمراء الأقاليم وتـرك من يثق فيهم يحكم إقليمه وعاد هو إلى نباتا ليصبـح ملكاً على مصر والسودان "جعلنى أمون إله نباتا ملكـاً على جميع القبائل. كل من أقول له: أنت ملـك يكـون ملكاً. وكل من أقول له: لست ملكاً - لا يكـون ملكـاً. وجعلنى أمون إله طيبة ملكا على مصر. وكـل مـن أمنحه رضاى لن تمس مدينتـه إلا بيـدى الآلهـة المحليون يصنعون الملوك. والشعب يصنع الملـوك. أما أنا فإن أمون هو صانعى".

إنتظر تف نخت حتى عاد بعنخى إلى نباتـا وبـدأ يوطد سلطانه مرة أخرى فأعطى لنفسه لقـب "حـاكم الأرضين وسيد مصر العليا والدلتا" واستمر يحكم فـى الشمال فترة عشر سنوات منذ عودة "بعنخى" إلى نباتا.

بنو : (فونكس)

طائر اللقلق ، ويشتق اسمه من الفعل المصرى القديم "وبن" بمعنى يشرق. أعتبره المصريون صورة من صور إله الشمس "رع" وعبد على هذا الأساس فى مدينة "أون" (هليوبوليس). وأرتبط بالقمة الهرمية للمسلة (بن بن) التى يحط فوقها وبالشجرة المقدسة "اشد" وكلاهما من أهم رموز مدينة "أون" كما ارتبط بطائر "البا" (الذى يرمز للروح) وأعتبره المصريون أيضا "سيد أعياد السد" أى "عيد مرور ثلاثين سنة على تتويج الملك" أعتقادا منهم أنه يرمز إلى سنى الحياة الطويلة ، ونرى هذا واضحا فى الديانة المصرية فى العصر الإغريقى إذ تجعل حياته تمتد تارة إلى ٥٠٠ سنة وتارة أخرى إلى ١٠٠٠ سنة.

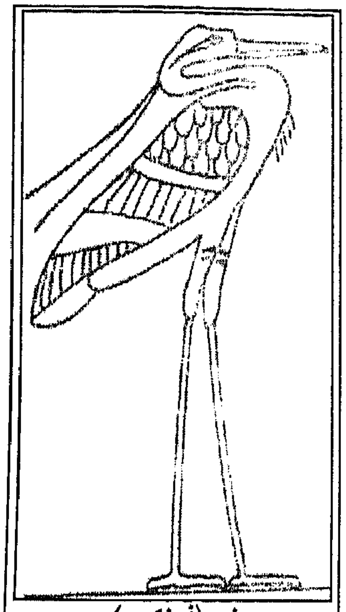
بنو (فونكس)

بنى حسن :

من أهم مناطق الآثار فى مصر ، وهى بالضفة الشرقية من النيل. تبعد ٢٧٧ كم جنوبى القاهرة وقريبه من أبو قرقاص (على الضفة الغربية للنيل) بمحافظة المنيا. بها مقابر حكام الإقليم السادس عشر (إقليم الغزال) من أقاليم الوجه القبلى ، وهى منحوتة فى الصخر وجدرانها مغطاة بنقوش ملونة فوق طبقة من الملاط وعليها مناظر تمثل مختلف مظاهر الحياة اليومية فى ذلك العهد مثل الصناعات المختلفة ومناظر الصيد والألعاب الرياضية والحفلات إلى جانب مناظر تقديم القرابين وغيرها.

وكان أمراء هذا الأقليم يعتزون كثيرا بجيش أقليمهم وكانوا يجدون متعة كبرى فى مراقبة تمريناتهم الرياضية المختلفة ليحتفظوا بمرونة أجسامهم وليتمرنوا على أساليب تساعدهم فى التغلب على العدو، ولهذا اشتهرت مقابر بنى حسن بما فيها من مناظر الهجوم على الحصون أو مناظر المصارعة أو المبارزة بالعصا (التحطيب) أو رفع الأثقال وكلها فى حالة جيدة ومحتفظة بألوانها.

وعلى مسافة ثلاثة كيلو مترات جنوبى المقابر يوجد مدخل واد فيه معبد منحوت فى الصخر على مسافة نصف كيلو متر من مدخله وهو المعبد المعروف باسم إسطبل عنتر(سبيوس أرتميدوس) ، وفى آخر الوادى هيكل آخر منحوت فى الصخر جدرانه مغطاة بالنقوش الملونة وهو من العصر نفسه أى من أيام الملكة حتشبسوت وتحوتمس الثالث.

بنى حسن : (مقابر)

تعتبر المجموعتان الواقعتان فى أقصى الشمال وفى أقصى الجنوب أقدم هذه المقابر. فالمجموعة الشمالية ترجع إلى الأسرتين الثانية والثالثة على حين تخص المجموعة الجنوبية الأسرة الخامسة ، وهذه المجموعة الأخيرة تقع إلى الجنوب مباشرة من الوادى الواقع به كهف أرتميس ، وتقع إلى الجهة الشمالية مباشرة لهذا الوادى مقابر من عهود الأسرة العشرين إلى الثلاثين ، ولكن مجموعة المقابر الملفتة للنظر وذات الأهمية البالغة هى مقابر الأسرة الثانية عشرة الخاصة بحكام مقاطعة الوعل، وتقع هذه المقابر قباله فى منتصف المسافة لهذا الخط الطويل من المقابر قبالة أبو قرقاص مباشرة ، وهناك جبانة كبيرة لأفراد الحاشية والموظفين التابعين لأمراء مقاطعة الوعل واقعة مباشرة تحت واجهة الهضبة التى تضم المقابر الفخمة لرؤسائهم الإقطاعيين.

وتعتبر المجموعة الكبيرة من مقابر الدولة الوسطى الخاصة بالحكام من أروع ما خلفه لنا هذا العصر الذى يعد أعظم عصور التاريخ المصرى متعة. ويبلغ عددها ٣٩ وتمدنا الكتابات فى أثنتى عشرة منها بأسماء الأشخاص الذين أقيمت المقابر من أجلهم ، ومن هؤلاء ثمانية كانوا رؤساء وحكاماً عظاماً ، وأثنان كانا

أميرين، وواحد كان أبن أمير ، وآخر كان كاتباً ملكياً ، وبهذا فإننا ننتقل بزيارتنا لهذه المقابر بين عظماء القوم فى المجتمع المحلى فى مصر الوسطى. وتقع أقدم المقابر إلى الجنوب من هذه المجموعة التى تمتد على طول الهضبة لمسافة ربع ميل تقريباً. وهذه المقابر القديمة ترجع إلى الأسرة الحادية عشرة ، وتتكون فى العادة من حجرات مستطيلة بسيطة مع بئر للدفن ومقصورة ذات سقف فى بعض الأحيان على أعمدة مستديرة منحوتة فى الصخر، وإذا ما مررنا أمام هذا الصف من المقابر متجهين نحو الشمال وجدنا مقابر أشراف الأسرة الثانية عشرة وقد أصبحت تدريجياً أكبر وأكثر أتقاناً والكثير منها ذات أروقة ، والنظام الداخلى فيها أتم ، وزخرفها على العموم أكثر إتقاناً أيضاً ، وفى حالة من الحفظ أحسن ، ولو أنها فى بعض الأحيان قد أصابها بعض التلف منذ أن كشفت.

والمقابر جميعها منحوتة فى فى نفس طبقة الحجر الجيرى فى منتصف الهضبة تقريباً وكانت الطريقة التى استعملت كالآتى: يستحدث مدخل فى واجهة الهضبة حتى الإرتفاع الذى يرى فيه المهندس المعمارى سمكاً كافياً فى الصخر فوق حافة السقف – غير أن المهندس قد أساء التقدير فى هذا الموضوع فى إحدى الحالات وذلك فى المقبرة رقم ٢٩ مما أدى إلى سقوط السقف. وهناك من الأدلة ما يشهد بأن جزءاً كبيراً من هذا العمل قد تم بواسطة آلات نحاسية ولكن الصوان قد أستعمل أيضا بدرجة كبيرة كما يبدو من بقايا الآلات التى استهلكت ، وعندما ينتهى العمل فى الواجهة الراسية فإن الخطوة التالية للعمل تتناول نحت أعمدة الرواق نحتاً مبدئياً ثم أستحداث الباب الرئيسى ، وبعد ذلك يبدأ الحفر داخل المقبرة حيث يقوم العمال باستخلاص الصخر فى كتل يقرب حجمها من ٦٠ بوصة × ٢٠ بوصة × ٢٢ بوصة مبتدئين بالسقف إلى أسفل. ولم يكتمل العمل فى الكثير من المقابر ، وبذا أتاحت لنا فرصة تكوين فكرة عن طرق العمل التى استعملت. وتعتبر المقبرة رقم ٤ لخنوم حتب الرابع أحسن مثال لذلك، فتسوية الصخور لاستحداث واجهة عمودية نتج عنها تحويل ما كان بمثابة شرفة طبيعية فى الجبل إلى ممر عريض تنفتح فيه الأبواب المختلفة، وهذا أتاح الفرصة للعمل فى تكملة الواجهة برواقها ومدخلها التى تركت بطبيعة الحال منحوتة نحتا خشنا حتى يكمل العمل الداخلى، وما قد ينتج عن ذلك من ضرر قد يلحق بالمدخل والرواق. ويلاحظ أن الممر الواقع أمام الواجهة ينقطع كثيراً أو قليلاً فى إحدى المناطق بين المجموعتين البحرية والقبلية، وفى أماكن متعددة كما هو الحال فى المقابر المقابلة ٢،٣،١٥،٢٩،٣٢،٣٣ حيث تصعد الممرات من الوادى إلى أبواب المقابر.

وهذه المقابر فى مجموعها تعتبر أثراً رائعاً لحضارة الدولة الوسطى وهى تصطف على طول الهضبة لمسافة ربع ميل، فمداخل المقابر الكبيرة تبدو بوضوح من أى نقطة من السهول الخصبة التى تقع تحت الهضبة وهذا مما يوجب الدهشة والإعجاب، وبالإضافة إلى ذلك فلابد أن طبيعة المنظر الذى يراه المرء من أعلى قد جلب الأنظار إلى هذا المكان فإلى مدى ما يقرب من أربعين ميلا يمكن رؤية نهر النيل وهو يلمع تحت أشعة الشمس عندما يخترق متعرجاً الوديان الخضراء من الروضة حتى الهضاب البيضاء للكوم الأحمر فى الشمال وحيث ترى مآذن الجوامع البعيدة المدى فى المنيا عندما يحدث النهر أنحناءه الأخير ثم يختفى عن الأنظار.

وهذه المقابر رائعة فى جملتها غير أن بعضها ملفت للنظر فى تفاصيلها ، فواجهتا مقبرتى أمنمحات (أمينى) وخنوم حتب الثانى بأعمدتهما ذات الأضلاع الثمانية والستة عشر ضلعا على التوالى مهيبتان لبساطتهما ، والحجرة الداخلية فى المقبرة الأولى بأعمدتها ذات الستة عشر ضلعاً وسقفها المقبب المنقوش وكوتها الغربية حيث يقوم تمثال أمنمحات ، لا يكاد يوجد ما يعلو عليها فى نوعها ، أضف إلى هذا أن رسوم المقاصير الملونة بفرق المصارعين والراقصين والبنات اللآتى يلعبن بالكرة ، ولو أنها ليست على درجة متساوية من الدقة كما كان متوقعاً ، فأنها دائما نضرة ومثيرة للإهتمام رغم ماعانته من تلف ، ورغم التغيرات الطبيعية وزوال ألوانها بمرور الزمن. ويقول الدكتور هول: "تعتبر مقبرة أمينى ببنى حسن كشفاً جديداً لهؤلاء الذين يستمدون معلوماتهم عن الفن المصرى بوجه أخص من المبانى الضخمة للكرنك وأبو سمبل ، فلا يوجد مبنى مثل صالة مقبرة أمينى المتكاملة فى نسبها ذات الأعمدة المربعة الجميلة – قد نحت فى الصخر – فى العصور اللاحقة بمثل هذا

الجمال ويمثل هذه الدقة فى محاكاة الأصل الذى اتبع فى رسم المجموعات المتعددة للمصارعين بالألوان على الجدران حول المدخل حتى الحجرة الداخلية والتى لا يمكن أن يدانيها إلا الرسوم الملونة فى أحسن العصور على الأوانى الإغريقية ، التى تحلى هذا الحائط بأشخاصها الملونة بالألوان المتباينة ، حين كان لا يوجد فى العصور اللاحقة إلا صفوف الكتابة الهيروغليفية المتكلفة الجامدة ، بإطاراتها المزخرفة.

وتقع أهم مقبرتين من هذه المجموعة فى القسم الشمالى، وهما مقبرتا أمنمحات (أمينى) وخنوم حتب الثانى (رقما ٢ ، ٣) ، و يمكن الوصول إليهما بواسطة طريق قديم يؤدى مباشرة لرواق المقبرة رقم ٢. والمقبرة رقم ١ الموجودة إلى جهة اليسار لم يكمل مطلقا فليس لها سوى رواق لم ينحت نحتا تاما وليس بها كتابة ولا تحوى بئرا.

أما المقبرة رقم ٢ فيمكن إعتبارها أجمل مثال فى هذه المجموعة كلها ، فعتب الرواق فيها يسنده عمودان كل منهما ذو ثمانية أضلع ، ولو أنه من المحتمل أنه قصد أن يكونا ذوى ستة عشر ضلعاً مثل الأعمدة الموجوة داخل المقصورة إذ إن العمل فى الرواق لم يكتمل أبداً ، ووراء الأعمدة نجد سقف المدخل مقببا ويبلغ ٢٣ قدماً فى إرتفاعه ، أما الباب الكبير فى المنتصف فيبلغ إرتفاعه ١٦ قدماً وعرضه أكثر قليلا من ٦ أقدام. والحجرة الرئيسية أو المقصورة مربعة الشكل وتكاد تبلغ ٣٨ قدماً فى كل ضلع من أضلاعها ، وتنقسم إلى ممر أوسط وممرين جانبيين وذلك بواسطة صفين من الأعمدة ذات ستة عشر ضلعاً ، ويتكون كل صف منهما من عمودين ، والعمود القريب من الهيكل المنحوت فى الحائط الشرقى محطم فيما عدا قطعة منه ما زالت معلقة بالعتب. وقد حفرت أضلاع الأعمدة حفراً قليل الغور يتراوح عمقه من نصف بوصة تقريباً إلى أكثر من ربع بوصة. ومن بين الستة عشر ضلعاً ترك ضلعان – وهما المواجهان للصفين الشرقى والغربى للمقبرة دون حفر، ومن المحتمل أنه قصد بذلك أن يكونا معدين لنقش. كتابة عليهما ولكنها لم تتم قط، وقد شكلت أسقف الممر الأوسط والممرين الجانبيين فى صورة قبو مسطح بعض الشئ ، فالإرتفاع حتى قمة القبو ٢١ قدما. ويغطى سطح القبو رسوم مضلعة. وفى منتصف الحائط الشرقى باب ارتفاعه ١٠ أقدام وتسع بوصات يؤدى إلى الهيكل أو على وجه أصح إلى الباب الوهمى الذى يوجد أمامه تمثال القرين (كا) لأمنمحات ، وقد تحطم هذا التمثال الذى يبدو من القطع التى عثر عليها فى أثناء الحفر أنه كان قدر الحجم الطبيعى مرتين ونصف. وكان الهيكل يغلق بواسطة باب له مصراعان. وبالمقصورة الأساسية فى الجانب القبلى بئران للدفن ، وعلى العموم فإن مقصورة المقبرة منحوتة بنسب متناسبة دقيقة وبطريقة تجعل لها تاثيراً مستقلا عن مجرد حجمها ، ولا يوجد فى المعمار المصرى إلا القليل الذى يمكن أن يضاهيها.

وهنا لا نجد الرسوم كما هو الحال فى سقارة بارزة بل نجدها ملونة بشكل يدعو إلى الإهتمام الكبير ، وخاصة وقد روعى فيها التحرر فى التصميم والتنفيذ الذى يميزها. وعلى هؤلاء الذين يعتبرون الفن المصرى جافاً وتقليدياً أن يدرسوا هذه المجموعات من المصارعين هنا وفى مقبرة خنوم حتب الثانى، ورسوم الفتيات اللواتى يلعبن الكرة فى مقبرة باكت رقم ١٥، إن مجموعة المصارعين المرسومة بالألوان على جدران الصالة الخارجية لمقبرة أمينى تبدو فخمة على وجه خاص بسبب التحرر والواقعية اللتين روعيتا فى رسمها والقريبة من "الإحساس الإغريقى" فالرسوم الملونة فى هذه المقبرة وفى مقبرة خنوم حتب تعتبر أحسن مثال من الدولة الوسطى للتلوين بالماء الذى يقابل الطريقة الكريتية للتلوين بالفرسكو الحقيقى. ومن الأشياء التى يجب ملاحظتها هذا النظام العجيب للوحة الرسام المصرى فى هذا الوقت (٢٠٠٠ق.م) فلقد استطاع التخلص من الكثير من الألوان التى تشبه قوس قزح ، بينما نجد الرسام البابلى لم يستطع أن يتطور ليدرك كنه الألوان حتى وقت متأخر ، وأن الدقة العجيبة التى نفذ بها العدد الرائع من هذه الرسوم فى ظلام المقابر المصرية الدامس لأمر يدعو حقاً إلى الدهشة والتأمل.

بهبيت الحجر:

بلدة شمالى سمنود بمحافظة الغربية ، كان اسمها فى العصر الفرعونى "بر-هبيت" وكان يعبد فيها الأله حورس وأمه إيزيس، ومن الأخيرة جاء اسمها "ايسيوم" التى عرفت به المدينة فى أيام اليونان

والرومان. كان بها معبد فى العصور الفرعونية أراد الملك نختنبو الثانى من الاسرة ٣٠ أن يقيم بدلا منه معبدا آخر أتمه وجمله الملك بطليموس الثانى، وهو معبد فخم مشيد من أحجار الجرانيت الوردى والرمادى. وعلى الرغم من أن المعبد قد تهدمت جدرانه (على الأرجح من جراء أحد الزلازل) فإن أكثر أحجاره ما زالت باقية فى مكانها وعليها نقوش هامة فيها مناظر تقديم القرابين لعدد غير قليل من الآلهة وبخاصة أوزيريس وحورس وإيزيس.

البهنسا :

بلدة بمصر الوسطى فى محافظة المنيا، كانت من مدن مصر الهامة فى أيام الفراعنة وعاصمة للاقليم ١٩ من أقاليم الوجه القبلى، وكان اسمها "بر-مزد" ومنها أتى اسمها فى القبطية "بمجى" ثم أطلق عليها اليونان اسم "اوكسيرينوكس" وهو اسم سمك القنومة الذى كان يقدسه أهل هذه البلد، وقد ذكر المؤرخ الرومانى بلوتارك قصة المعارك الدامية التى كانت تجرى بينهم وبين جيرانهم أهل بلدة القيس (كينوبوليس) لأنهم كانوا يأكلون هذا النوع من السمك.

كانت بلدة هامة فى جميع العصور القديمة، وزاد من اهميتها مركزها التجارى لانها كانت ومازالت على رأس الدرب الموصل إلى الواحات البحرية. لم يعثر حتى الآن على أطلال معابدها القديمة على الرغم من تأكدنا بأنها كانت بها عدة معابد أحدها للأله "ست" الذى أغدق عليه رمسيس الثالث كثيرا من الهبات كما ورد فى بردية هاريس كما كان فيها معبد للمعبودة "تواريس" (تا - ورت) وآخر للمعبودة "رننوت".

اقام فيها فى العصر الصاوى والعصر الفارسى جالية آرامية عثر على بعض وثائقها محررة على البردى فى أطلال هذه المدينة، وازدهرت كثيرا فى العصر المسيحى وشيدت فيها كنائس كثيرة عثر على كثير من زخارفها ونقوشها، كما ظلت لها هذه الأهمية بعد فتح العرب لمصر فترة طويلة. كما عثر فيها أيضا على مجموعات كبيرة من أوراق البردى اليونانية على اعظم جانب من الأهمية.

بوتو : (ألهه)

معبودة مدينة "بوتو" فى الإقليم السادس بالدلتا (حاليا "تل الفراعين") ورمز لها المصريون بالثعبان. كما سميت أيضا "واجيت" بمعنى "الخضراء" واعتبرت بمثابة "الحامية" للملك بصفته مسيطرا على الدلتا، ويقابلها فى الجنوب "نخبت" معبودة مدينة "نخن" (حاليا "الكاب" شمال ادفو) التى تحمى الملك بصفته مسيطرا على مصر العليا، ولقبت المعبودتان "بوتو" و"نخبت" بلقب "السيدتين" الحاميتين للملك.

بوتو : (تل الفراعين)

منطقة أثرية كبيرة تبعد ١٢ كيلو مترا شمال شرقى دسوق بمحافظة الغربية بين شباس وتل ابطو، وتسمى الآن "تل الفراعين" كانت من بلاد الإقليم السادس من أقاليم الوجه البحرى، وكانت عاصمة لمملكة الوجه البحرى قبل أن تتحد مصر للمرة الثانية فى عهد مؤسس الأسرة الأولى. وكانت فى الأصل بلدين يفصلهما طريق، وسميت إحداهما "دب" وكانت تعبد فيها الألهه "واجيت" والأخرى "بى" ومعناها العرش وكان ألهها الرئيسى "حورس" الذى حل محل أله أقدم منه.

ظلت لها مكانتها الدينية طوال أيام التاريخ المصرى، ولعبت دورا هاما فى العصر الصاوى وكانت مركزا لأحدى النبوءات الشهيرة فى مصر فى ذلك الوقت. عثر فىخرائبها على كثير من الآثار أكثرها من الدولة الحديثة والأسرة ٢٦ والعصر البطلمى.

بوخيس :

رمز المصريون لهذا المعبود بالثور، وقد عبد فى أرمنت (جنوبى الأقصر) حيث أدمج بمعبودها الرئيسى "مونتو"، وقد قام بوخيس بدور كبير فى العصور المتأخرة عندما جمع القوم بينه وبين "منيفس"، ثور هليوبوليس المقدس، ومن ثم فقد ارتبط بروابط وثيقة بعبادة رع ، هذا وقد كشف عن جبانه كبيرة غربى أرمنت خصصت لدفن الثور المقدس فى توابيت حجرية ضخمة. وضع كل منها

فى حجرة خاصة ، منقورة فى باطن الأرض ، وقد أطلق على هذا المدفن اسم "بوخيوم".

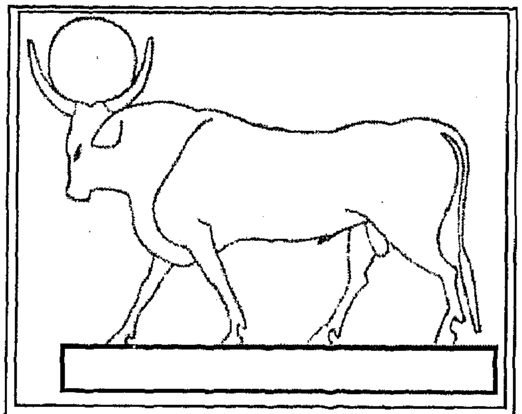

بوخيس

بونت :

علم على بلاد اتصل بها المصريون القدماء وكانوا يرسلون إليها البعثات بالبر والبحر منذ الأسرة الخامسة لجلب محصولاتها من البخور والصمغ والأبنوس والعاج وجلود الحيوانات وغير ذلك. وكثرت تلك الأسفار فى الأسرة ١١ ، ويذكر أحد رؤساء البعثات وأسمه "حننو" أنه سافر إليها إحدى عشرة مرة.

ونرى مناظر أهل بونت على الآثار المصرية ابتداء من الأسرة ١٨ وأهمها مناظر الرحلة التى أو فدتها الملكة حتشبسوت إلى تلك البلاد وسجلت مناظرها على جدران معبدها بالدير البحرى بطيبة ، إذ نرى السفن الكبيرة راسية على الشاطئ ، وبيوت إحدى قرى بونت، ومنظر زعيم البلاد وزوجته وبعض رجاله وقد أتوا ليستقبلوا من وفد إليهم ويأخذوا هداياهم. وقد عادت سفن حتشبسوت بالكثير من حاصلات تلك البلاد وبخاصة الكميات الضخمة من البخور الجاف ، وبعض أشجار البخور نفسها لزراعتها فى حدائق معبد أمون بالكرنك ومعبدها بالدير البحرى. أما بونت نفسها فقد أختلفت فيها أراء علماء الدراسات المصرية القديمة وأرجحها أنها كانت المنطقة الواقعة حول بوغاز باب المندب فى جنوبى البحر الأحمر على الشاطئين الأفريقى والأسيوى أى تشمل الصومال وآريتريا وجنوبى الجزيرة العربية.

بوهن :

منطقة أثرية على الضفة الغربية للنيل أمام وادى حلفا (٣٤٠ كم جنوبى أسوان ، ١٢٨٠ كم جنوبى القاهرة).

بها أطلال مدينة "بوهن" القديمة وتوجد بها أطلال معبدين أحدهما يرجع إلى أيام الأسرة ١٢ شيده سنوسرت الأول باسم المعبودين أمون وحورس وجدده أمنحوتب الثانى من ملوك الأسرة ١٨ وسيتى الأول من ملوك الأسرة ١٩ أما المعبد الثانى وهو جنوبى المعبد الأول فقد بدأت تشييده الملكة حتشبسوت وأتمه تحوتمس الثالث من الأسرة ١٨ وهو مشيد من الحجر الرملى وبه عدة حجرات وأعمدة ذات ٢٤ ضلعا ، وما زال جزء كبير من سقفه القديم والنقوش التى على جدرانه فى حالة جيدة.

وفى أطلال المدينة القديمة كشفت إحدى البعثات الأثرية عام ١٩٥٨ عن حصن كبير من أيام الأسرة ١٢، وهو من أهم ما عثر عليه من حصون حربية وأعظمها حجما. عثر فى أطلال هذه المدينة منذ سنوات بعيدة على كثير من الآثار الهامة إذ كانت أول الحصون الهامة شمالى الشلال الثانى ، وقد أصبحت هذه المنطقة كلها منذ ١٩٦٧ تحت مياه بحيرة ناصر (بحيرة السد العالى).

ببيى الأول :

حكم كما ورد فى تاريخ مانيتون ٥٣ سنة ويعطيه كاتب قائمة سقارة ٣٤ سنة أما بردية تورين فتذكر له ٢٠ عاما فقط وقد اتبع سياسة أسلافه فى إرسال البعثات إلى أسيا (فلسطين) وإلى النوبة. كما أن هناك ما يدل على إحتفاله بعيد السد ولقد إتبع سياسة التقارب فتزوج من أبنه أمير منطقة أبيدوس "خوى" وأنجب منها ولى عهده مرنرع وهناك إحتمال بأنه تزوج من أختها بعد وفاتها وأنجب منها إبنه نفر كارع المعروف باسم ببيى الثانى وهى لاشك خطوة جريئة إتخذها الملك ببيى الأول وتعتبر الأولى من نوعها فى التاريخ الفرعونى إذ يتزوج الملك من بنات رعاياه وليس من أميرات القصر.

شيد ببيى الأول هرمه فى سقارة وسماه اسم "من نفر" أى "(ببيى) خالد وجميل" وهو الأسم الذى إشتق

منه فيما بعد اسم منف الحالى وقد إزدهرت الفنون فى عهده ولعل نقوش معبده فى سقارة (القبلية) وتمثاله النحاسى بالمتحف المصرى وتماثيله المرمرية فى متحف بروكلين خير دليل على ذلك.

بيبى الأول : (تمثال)

مصنوع من النحاس ، ويمثله بالحجم الطبيعى فى صحبة شخص آخر أصغر منه على قاعدة واحدة ، وقد أختلفت الآراء فى تحديد شخصيته ، فالبعض يرى أنه قد يمثل بيبى الأول نفسه وهو صغير والبعض الآخر يعتقد أنه يمثل الملك مرنرع أكبر أبناء الملك بيبى الأول ، ورأى ثالث يرى فيه الملك بيبى الثانى أبن الملك بيبى الأول والأخ الأصغر للملك مرنرع وقد عثر عليهما فى معبد الإله حورس بالكوم الأحمر (مدينة هيراكونبوليس) شمال أدفو فى صعيد مصر.

يمثل التمثال الأكبر الملك بيبى الأول بالحجم الطبيعى بارتفاع ١٧٧ سم ، مادا ذراعه اليسرى إلى الأمام ، وكان ممسكا بها أغلب الظن عصا طويلة، مرخيا ذراعه اليمنى إلى جانبه مقدما ساقه اليسرى إلى الأمام وقد عثر عليه بدون التاج الذى كان يزين هامته. وقد أهتم الفنان فى هذه المحاولة الرائدة بتفاصيل ملامح الوجه رغم صعوبة تشكيله فى المعدن بعكس الأخشاب والأحجار فرصع العينين مما

تمثال بيبى الأول

يعطى الإيحاء بأن الفنان حاول إضفاء الحياة فيهما ، وأجاد تشكيل الألف والشفتين والذقن. وقد وفق فى تشكيل قامة الملك، فبدى بيبى رشيقا. وكانت بعض الأجزاء مغشاة بطبقة رقيقة من الذهب من النقبة وأظافر اليدين والقدمين.

بالمتحف المصرى بالقاهرة.

بيبى الثانى :

أحد ملوك الأسرة السادسة وأبن الملك بيبى الأول ، أتى بعد أخيه وإبن خالته مرنرع الأول ولقد حكم أطول فترة ممكنة فى التاريخ الفرعونى وربما فى تاريخ العالم إذ روى مانيتون أن بيبى الثانى كان فى السادسة من عمره عند وفاة أخيه مرنرع وإستمر يحكم ٩٤ سنة وهى رواية ليس من سبيل إلى تأكيدها أو نقضها أما بردية تورين فتعطيه أكثر من ٩٠ عاما. على أية حال فلقد إحتفل بالعيد الثلاثينى مرتين على الأقل ، كما أرسل فى سنوات حكمه الأولى بعض الحملات إلى الجنوب بقيادة حكام الفنتين وقد كانت أمه وصية عليه منذ بداية حكمه أما خاله "زاو" فقد أصبح وزيرا له وصاحب الكلمة العليا فى الدولة.

ويبعد ما تبقى من مجموعة بيبى الثانى الهرمية ما يقرب من ٢٥٠ متر من الركن الشمالى الغربى لمصطبة شبسسكاف بسقارة وقد إهتم بحفر هذه المجموعة جكييه فى الأعوام ١٩٢٦-١٩٣٦.

وطال الحكم بالملك بيبى الثانى الذى إستبدت به شيخوخته ثم بدأ يتبدل حال الحكومة فدب فيها الضعف وقلت هيبتها وفى نفس الوقت زاد سلطان حكام الأقاليم وزادت ثروتهم وقل ولاؤهم لصاحب العرش فزادت الأعباء على كاهل الحكومة وتعطلت المصالح وإشتدت المظالم مما أدى إلى القيام بثورة. ثورة على كل شئ ثورة على الظلم وعلى الحكم وحتى على الآلهة وقد صور نتائج هذه الثورة فى أواخر الأسرة السادسة حكيم مصرى يدعى "ايبوور" الذى يحتمل أنه عاش فى أواخر عهد أحد خلفائه الضعاف ولقد وصلت إلينا صورة متأخرة من أراء الحكيم كتبها أديب من الدولة الحديثة على بردية تعرف باسم بردية ليدن ٣٤٤ نسبة إلى متحف ليدن الموجودة به عام ١٨٢٨.

بيبى الثانى : (هرم)

معبد الوادى :

يتكون من فناء ذو أعمدة وأمامه رصيف كبير يستخدم كمرسى للسفن أيام الفيضان. ويبدو أن جدران هذا المعبد كانت مغطاة بالنقوش التقليدية التى تمثل الملك وهو يذبح أعداؤه أو يصطاد فى أحراش الدلتا تصحبه مجموعة من الآلهة. إلى جانب ذلك كان فى المعبد عدد من المخازن.

المعبد الجنازى:

يتكون من صالة مستطيلة على جدارها الشمالى يوجد منظر للملك وهو واقف فى قارب يصطاد فرس النهر ، ثم يلى هذه الصالة فناء فى جوانبه الأربعة أعمدة مربعة عددها ثمانية عشر من الكوارتزيت رسم على أحد أوجهها الملك وبعض الآلهة. وبعد ذلك تأتى الأجزاء الداخلية للمعبد وهى تشمل الهيكل ومقصورات التماثيل الخمسة.

وعلى الجدار الشرقى المستعرض منظر يمثل الملك وهو يضرب أسيراً ليبياً على رأسه بالدبوس وخلف الأسير تقف زوجته وإبنيه يطلبون الرحمة. ومن هذه الردهة تصل إلى مقصورات التماثيل الخمسة وعلى جانب هذه المقصورات كانت توجد المخازن.

ثم تأتى بعد ذلك ردهة مربعة فى وسطها عمود مثمن الأضلاع ، وعلى جدرانها الأربعة صور الملك تستقبله الآلهة المختلفة مع رجال الدين وعظماء القوم الذين أجتمعوا لتحيته عند دخوله المعبد.

أما الهيكل فقد كان أكبر الغرف فى المعبد وقد كان سقفه ملوناً باللون الأزرق ومزيناً بالنجوم المذهبة، ونقشت الجدران بمناظر حاملى القرابين والتقدمات.

الهرم :

كان أرتفاعه فى الأصل ٥٢ متراً وطول ضلع قاعدته ٧٦ متراً ، مدخلة فى الناحية الشمالية ، ينزل بانحدار لمسافة قصيرة ثم يستمر الممر أفقياً مسافة ٣٨ متراً ينتهى بحجرة سقفها جمالونى مثلث مزخوف بالنجوم وعلى جدرانها كتابات من نصوص الأهرام. وفى الجهة الغربية من هذه الحجرة نجد ممراً يؤدى إلى حجرة الدفن مشيدة بعناية فائقة ولها سقف مثلث ومزين بالنجوم وجدرانها مغطاه بنقوش من نصوص الأهرام باستثناء الجزء المحيط بالتابوت.

وفى الناحية الغربية من هذه الحجرة يوجد تابوت من الجرانيت الأسود مصقول صقلاً جيداً وعلى أحد جوانبه نقش باسم الملك وألقابه وعلى جدران الحجرة المحيطه به زخارف تمثل واجهة القصر.

وهذا الهرم يقع بمنطقة سقارة القبلية.

بيت الحياة :

أطلق هذا الأسم على معاهد التعليم التى كان لها عدة وظائف: فأولاً ، كانت هناك وظائف الكتبه المتصلة بالمعابد الكبرى حيث توضع النصوص الدينية اللازمة لطقوس العبادة وتنسخ ، وتعد النسخ الأصلية للأساطير والطقوس التى ستنقش على جدران المعبد.

وزيادة على الأعمال المتصلة مباشرة بحاجات المعبد، يمارس موظفو "بيت الحياة" الطب أيضاً، ويحتمل أن تكون "المصحات" التى صارت، فى عصور لاحقه ، جزءا من مبنى المعبد، ذات صلة مباشرة ببيوت الحياة هذه فكان بها المعلمون وموظفو المعبد، كأولئك المسئولين عن إقامة الشعائر الدينية اليومية، والفنانون وأرباب المهن. ويحتمل أن يكون بيت الحياة هذا هو المكان الذى نسخ فيه الكتبة آلافاً من كتب الموتى، فانتجوها بكميات كبيرة منذ الدولة الحديثة وما بعدها، إذ أعتقد أن مثل هذا الكتاب من المعدات الضرورية للموتى فى رحلتهم الأخيرة.

كانت بيوت الحياة أكثر من مواضع لنسخ النصوص التى تتطلبها طقوس العبادة فيبدو أنها كانت مراكز للعلم الكهنوتى.

بيت الوالى : (معبد)

على مسافة قصيرة إلى الشمال الغربى من معبد كلابشة يقع بيت الوالى على سفح تل من التلال ، ويتألف هذا المعبد من فناء أمامى مكشوف وصالة منحوتة فى الصخر وقدس الأقداس.

وكان هناك فى الأصل جسر طويل يمتد إلى المعبد من السهل ، ولكنه تهدم وأختفى ، ولم يبق من الفناء الأمامى

الذى تتكون جدرانه من الصخور الجرانيتية من ناحية ومن البناء من ناحية أخرى سوى أطلال صخرية جرانيتية.

وهذه الجدران مزخرفة بنقوش بارزة تمثل غزوات رمسيس الثانى ، مؤسس المعبد فى حروبه ضد النوبيين والليبيين والآسيويين. وتظهر النقوش والمناظر المنقوشة على الجدار الجنوبى (الأيسر) انتصاراته على الآثيوبيين.

كما يشاهد رمسيس فى عربته الحربية وهو ينقض بقوة على جيش الآثيوبيين الهارب ، ويطلق عليهم وابلا من السهام من قوسه. ويرى خلفه اثنان من أبنائه الكثيرين الذين لا يقعون تحت حصر. وهما أمون - حر - لو - ، خغ - أم - واست فى عربتيهما مع رجالهما. ويشاهد حاملو الأقواس والنبال من الزنوج مبعثرين ومشتتين أمام هجماته وراحوا يلتمسون معسكرهم بينما الأطفال والنساء يجرون على غير هدى والرعب يتملكهم.

وبعد ذلك نرى نتائج النصر بعد نشوب المعركة حيث نشاهد رمسيس جالسا تحت مظلة بينما يتقدم نبلاؤه وحكامه ويقدمون له جزية الأثيوبيين المقهورين الماثلين أمامه.

ونرى حاكم كوش أمنحوتب بن بسيور فى موضع متميز كالعادة ، وقد أدرجت الجزية فى سجلين ، حيث يدون فى السجل الأعلى وحيث تظهر الرسوم والخواتم الذهبية وجلود الفهود والدروع والمقاعد والمراوح وريش النعام وأنياب الفيلة والثيران وأسد وغزال مع مجموعة من الجنود الزنوج.

ونشاهد فى الصف الأسفل الأسرى والثيران حيث يرى أحدهما بقرنين على شكل يدين مرفوعتين بينهما رأس زنجى وقرود وفهد وزرافة ونعامة وبعض الأسرى النساء تحمل إحداهن طفلها فى سلة على ظهرها وتسندها بواسطة حزام ملتف حول جبهتها.

وعلى الجدار البحرى للفناء نرى مشاهد بارزة ومنحوتة عن معارك وأنتصارات الملك رمسيس فى آسيا وليبيا. ويرى أولا واقفا فوق أثنين من أعدائه المطروحين أرضا وممسكا بثلاثة سوريين من شعورهم، فيما يلوح ببلطة من فوقهم ، ويتولى أحد أبنائه قيادة الأسرى الآخرين.

وبعد ذلك نشاهد رمسيس وهو يهاجم قلعة سورية حيث نشاهد القتلى من المحاربين يتساقطون من فوق شرفات الحصون. كما نشاهد محاربون آخرون يتضرعون إلى الملك فيما ينقض أحد أبنائه حاملا بلطة من باب القلعة.

ويظهر الملك من جديد فى عربته الحربية التى يقودها بسرعة ويعمل فى أعدائه الفارين ضربا وطعنا، كما يشاهد مرة أخرى وهو يقتل ليبيا ويهاجمه أحد كلاب الملك.

وأخيراً يجرى تتويج الفرعون تحت مظلة فيما يقبع أسده الأليف عند قدميه ، وهو يستقبل الأسرى السوريين الذين قدمهم إليه الأمير أمن - حر - انمعت.

وهناك ثلاثة أبواب فى جدار هذا الفناء تؤدى كلها إلى المحراب أو صالة الأعمدة ، وعلى الواجهة الشرقية الظاهرة من الواجهة المنحوتة فى الصخر يشاهد الملك فوق الباب الأوسط وهو يرقص أمام الإله أمون - رع.

بينما نشاهده على البابين الجانبيين وهو واقفا أمام الإله "مين" والإله "خونسو" وآلهة أخرى. لقد نحت المحراب كله فى الصخر ويستند سقفه على عمودين تركت أربعة جوانب منها بلا نقوش، حتى تنقش عليها ألقاب الملك.

وخلف حائط المدخل القبلى نشاهد الملك وهو يضرب زنجيا كرمز لانتصاره على النوبيين فيما يرى الملك مرة أخرى على الجانب الشمالى من نفس الحائط وهو يضرب أسيراً سوريا كرمز لغزوه أراضى الشمال.

وثمة مشاهد أخرى يشاهد فيها الملك واقفاً أمام الآلهة كالعادة ، ويظهر فى سمك البوابة الوسطى رسم منقوش لنائب ملك أثيوبيا وهذا النائب يدعى ميساى وهناك باب آخر متفرع من الدهليز يؤدى إلى قدس الأقداس الذى له مشكاة فى جداره الخلفى.

وفى ذلك المكان كان يجلس ثلاثة تماثيل ، ولكنها تحطمت وإن كان من المحتمل أنها كانت تمثل ثالوثا الهيا من رمسيس وهو جالسا بين أثنين من أتباعه أو أثنين من الآلهة يحرسونه.

وفى قدس الأقدس نشاهد الألوان وهى ما زالت جميلة زاهية وبحالة جيدة ذات مستوى عالى فى الدقة والإنجاز والتوزيع من مستوى الألوان الموجودة فى معبد كلابشة.

كانت الغرف المختلفة لمعبد بيت الوالى تستخدم فى العصر المسيحى الأول لأغراض العبادة المسيحية مع الطقوس العادية ، وما زالت بقايا قباب كنيسة مسيحية التى أنشئت فى فناء المعبد ظاهرة فوق جدران هذا الفناء.

ساهمت حكومة الولايات المتحدة مساهمة سخية فى إنقاذ ثلاثة من أهم أثار النوبة وهى معابد بيت الوالى ووادى السبوع ومقبرة بنوت ، وقد عهدت هيئة الآثار إلى أحدى الشركات العربية لتنفيذ هذا العمل وأنقاذ هذه الآثار الذى تم معظمه من ١٩٦٣ - ١٩٦٥ ، وتم فك هذه المعابدة بنجاح وأعيد بناء معبد بيت الوالى فى منطقة كلابشة. وأعيد تشييد مقبرة بنوت فى منطقة عمدا وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات إلى الداخل من الموقع القديم لهذا المعبد.

بيت الولادة :

أطلق شامبوليون كلمة "ماميزى" على "بيت الولادة"، وهى كلمة قبطية بهذا المعنى. وتصف الملحقات التى كانت تضاف فى الحقبة المتأخرة إلى المعابد الكبرى حيث تقام الطقوس السنوية لمولد "الإله الطفل". وخير "بيت الولادة" باق بحالة جيدة ، فى فيله، وفى إدفو ، وفى دندرة ، وهى جميعاً متشابهة فى رسمها المعمارى. وغالباً ما يكون لها سور من الأعمدة إرتفاعه نصف أرتفاع المبنى نفسه ذى الحوائط المدعمة بالأعمدة. وزين المذبح والباب بالنقوش البارزة البهيجة الموحية بالمرح والموسيقى بينما تبين المناظر الداخلية "الزواج الإلهى" و "مولد الملك الطفل".

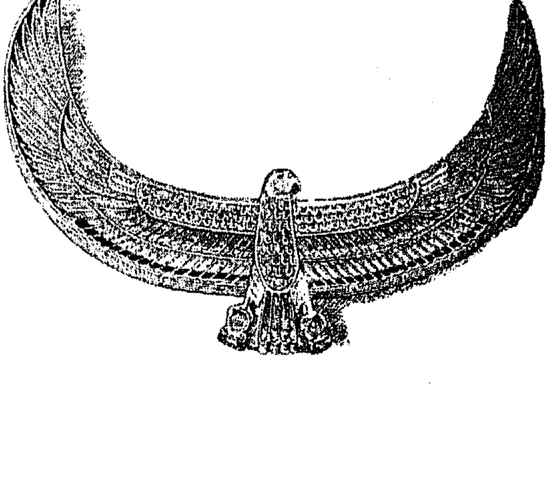

ت

تابوت :

اعتبر المصرى التابوت من أهم الضمانات الرئيسية التى تتطلبها الحياة الأبدية بعد الموت، وتطور التابوت على مر السنين، فكان فى الدولة القديمة فى صورة صندوق ضخم من كتلة من حجر الجرانيت، أو الحجر الجيرى الأبيض، أو المرمر أو غيره مستطيل الشكل له غطاء من نفس الحجر وتزين جوانبه الطويلة بأشكال تمثل واجهة القصر يتوسطها المدخل، كما كان يرسم أو ينقش على أحد الجوانب شكل عينين بشريتين. واعتبر التابوت فى هذا العصر بمثابة مسكن للجسم المحنط الذى يوضع على جانبه بحيث يستطيع الميت أن يرى عن طريق العينين المنقوشتين ما يجرى من أحداث فى العالم الخارجى. أما تطور التابوت فى عصر الدولة الوسطى فقد أنصب على ملء جوانبه من الداخل والخارج بنصوص دينية هدفها توضيح المصاعب التى يلاقيها الميت فى الحياة الدنيا الثانية وطرق التغلب عليها (أنظر متون التوابيت) كما صنعت هذه التوابيت من الخشب بجانب الحجر. وظهرت عادة صناعة التوابيت الآدمية الشكل مع محاولة إعطاء الوجه ملامح صاحب التابوت ومنذ عصر الأسرة السابعة عشرة ظهرت التوابيت الريشية وهى توابيت آدمية الشكل تصور على جانبيها كل من المعبودتين "إيزيس" و "نفتيس" ولكل منها جناحان تمدهما لحماية الميت الذى يرقد فى التابوت، فتغطى الأجنحة الأربعة المرسومة على سطح التابوت كل جنباته ، واصطلح الأثريون على تسمية هذا النوع باسم "التوابيت الريشية" ومنذ عصر الأسرة الثامنة عشرة اعتاد الملوك وضع الجثة فى تابوت ريشى يوضع فى تابوت آخر من نفس النوع ثم يوضع التابوتان فى ثالث كبير، وفى نهاية الأمر توضع هذه التوابيت الثلاثة (الواحد منها داخل الآخر) فى تابوت حجرى ضخم مستطيل الشكل، وأهم نماذج هذه الأنواع توابيت الملك توت عنخ أمون. وكانت التوابيت الآدمية الشكل فى عصر الدولة الحديثة تصنع من الذهب الخالص أو من الفضة للملوك أو من الخشب الثمين المكسو برقائق من الذهب. ومنذ (القرن التاسع قبل الميلاد)صنعت التوابيت الآدمية الشكل من الأحجار الصلدة (الحجر الجيرى الأبيض - الجرانيت - البازلت) وحرص المصريون على أن تبدو ملامح الوجه أيضا مطابقة لملامح صاحب التابوت وكثيرا ما كانت السطوح الخارجية لهذه التوابيت الضخمة تملأ بالكثير من رسوم آلهة الدنيا الثانية وأجزاء من كتاب الموتى.

وانتشرت أيضا التوابيت البسيطة التى تصنع من نوع من أنواع الخشب المحلى تثبت حول قوائم أربعة تصبح بذلك صناديق مستطيلة خالية من الزخرف وهذا النوع من التوابيت استعمله عامة الناس من الطبقة محدودة الدخل.

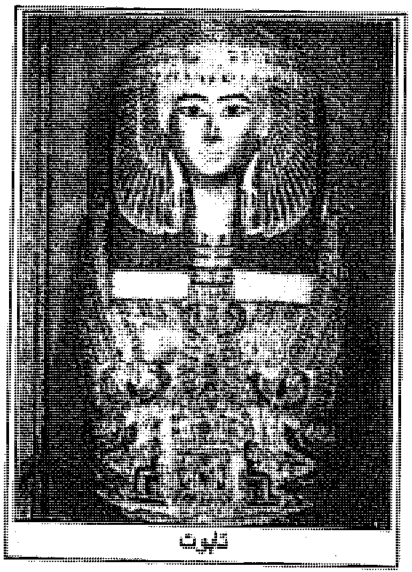

تابوت

تاتنن : (إله)

تعنى الكلمة "الأرض البارزة" رمز المصريون بـها إلى قمة التل الأزلى الذى ظهر من الخضم اللانـهائى، فكان بذلك "البيئة الأولى" التى ظهرت عليـها الحيـاة. ورمز الناس لإله هذه الأرض البارزة بثعبـان سـموه "خنتى – تنن" (بمعنى سيد الأرض البـارزة) ، جعلـوا مكانه تارة فى منف حيث أدمج فيه معبودها الرئيسـى "بتاح" وتارة أخرى فى "أون" (هليوبوليس) واندمج فيه معبودها الرئيسى "أتوم". كما جعلوا أيضا الأشـمونين مكانا لهذا التل ، وفـى هـذه الحالـة نشـأت فوقـه المخلوقات الثمانية الأزلية (انظر الثامون). ونظـروا لأن هذا المعبود كان يمثل "البداية الأزلية" فقد جعـل منـه الناس "سيدا للزمن" وتبرك به الملوك حتـى يمنحـهم حكما طويلا، وفرصا كثيرة للاحتفال بعيـد "السـد" أى "العيد الثلاثينى".

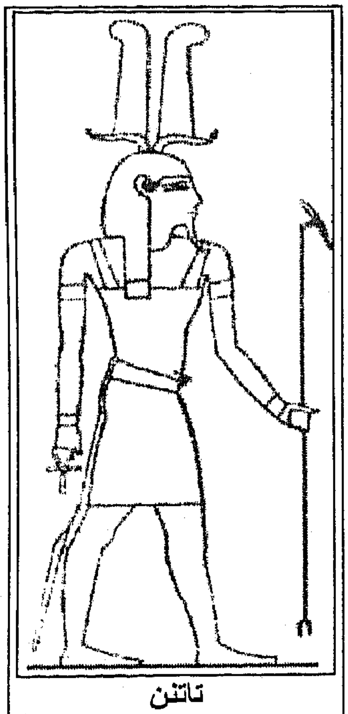
تاتنن

تـــــاج :

لعبت التيجان دورا رئيسيا عند المصريين القدماء ، كرمز من أهم رموز القدسية سواء للملك أو الآلهة. أما الملوك فقد كان لهم تاجـان رئيسـيان: الأول يسـمى (حدجت) هو التاج "الأبيض" الذى كان يصنع من الجلـد على الأرجح ويبدو كقلنسوة مخروطية الشكل تتسع من أسفل لحجم الرأس وتثبت فى مكانها بأحكام أجزائـها التى تغطى الجبهة وتلتف حول الأذنين وتغطى الجـزء الخلفى من الرقبة. وتضيق هذه القلنسوة فـى قطرهـا كلما ارتفعت، ثم تنتهى بقمة كروية ذات انبعاج خفيـف عند وسطها. أما التـاج الثـانى فـهو (دشـرت) أى "الأحمر" وكان يصنع من الجلد أيضا. وجزؤه الأسـفل يحكم تثبيته على الرأس بالطريقة السالفة الذكـر، ثـم يبدو فى شكله عامة كقلنسوة ترتفع باستدارة إلى مـا يعلو الرأس بعشرين سنتيمترا ، فى حين يمتد جزؤهـا الخلفى فقط إلى أعلا وينتهى بطرف يكاد يكون مدببـا ، ويرشق فى التاج سلك من الذهب ينغرس طرفه الأسفل فى زاوية التقاء الجزء العالى من التـاج مـع جزئـه الرئيسى المستدير الذى يغطى الرأس ، فى حين يكـون طرفه الآخر دائرة حلزونية.

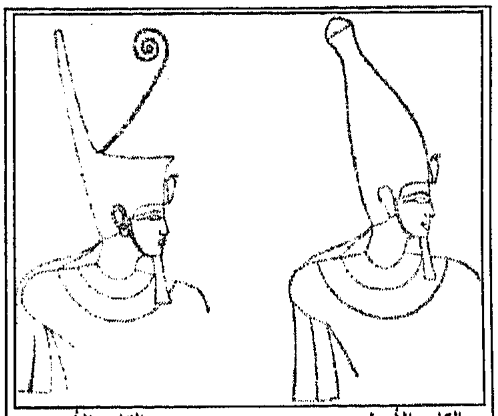
التاج الأبيض والتاج الأحمر

كان هذان التاجان يمثلان "القوة" و "رمز القدسـية الملكية" و "يكسبان صاحبهما شـرعية الحكـم"، الأول يضفى على الملك هذه المعانى بالنسـبة إلـى الوجـه القبلى والثانى بالنسبة إلى الوجه البحرى. وقد بلغا حدا من القدسية دفع الملوك إلى رفعـهما كرمزيـن إلـى مصاف المعبودات ويعين لهما كهانا للمحافظة عليهما.

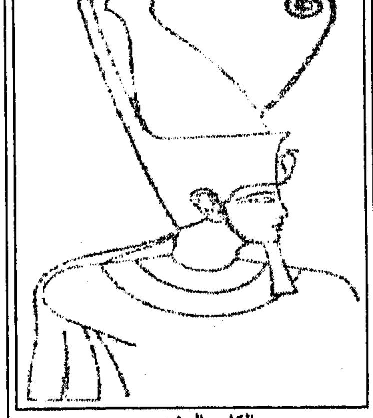
التاج المزدوج

وهناك تاج ثالث هو "التاج المزدوج" الذى يمثل وحدة القطرين ويتكون من التاج الأبيض متداخلا مع التاج الأحمر وأطلق المصريون عليه اسم "باسخمتى" أى "القوتان".

ومنذ الأسرة الثامنة عشرة ظهر تاج رابع يسمى "التاج الأزرق" عبارة عن قلنسوة من الجلد يحكم تثبيتها على الرأس وتعلو باستدارة خفيفة لا تلبث أن تتحدب أطرافها عند سطحها من أمام وخلف. وكانت تكسو هذه القلنسوة دوائر صغيرة من الذهب تملأ سطحها الخارجى ، وتتدلى من طرفها الذى يغطى الجزء الخلفى من العنق عدة شرائط من القماش لكل شريط منها لون، وألوان هذه الشرائط هى الأبيض والأحمر القانى والأزرق. وفى الواقع كانت هذه الشرائط تزاد على جميع التيجان منذ الدولة الحديثة.

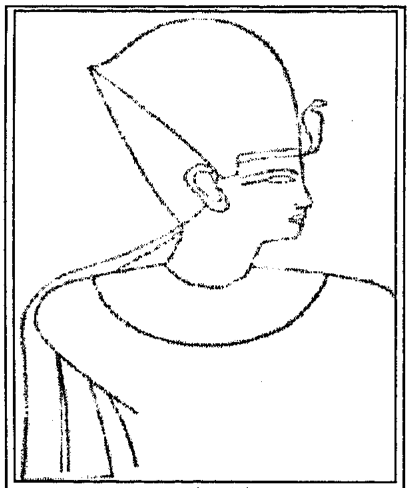

التاج الازرق

وعدا هذه التيجان الأربعة هناك تاج خامس يعرف

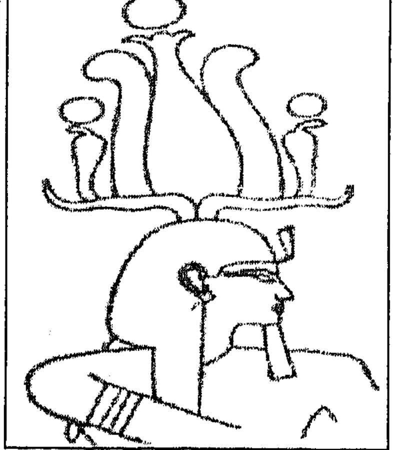

تاج أتف

باسم "آتف" كان فى الأصل يتكون من قرنين لكبش يمتدان أفقيا وتعلوهما ريشتان من أجنحة النعام ، وينفرد بلبس هذا التاج معبود اسمه "عنجتى" اشتهرت عبادته فى شرق الدلتا ، واعتبر هذا التاج رمزا من رموز الدلتا، فأضاف إليه الملك التاج الأبيض وكان يتوسط الريشتين ويعلو قرنى الكبش وليس من شك أن التاج "آتف" يعتبر رمزا للأتحاد بين الجنوب والشمال.

نزيد على ما تقدم غطاءين للرأس كان يرمز بهما إلى قوة الحكم والقدسية الشرعية للملك، هما "منديل الرأس" (ويطلق المصريون عليه اسم "تمس") ثم الطاقية التى تغطى الرأس بإحكام وهى مستديرة تأخذ فى انبعاجها شكل الرأس تماما وهى أشبه بغطاء الرأس المستعمل فى صعيد مصر والمسمى "اللبدة".

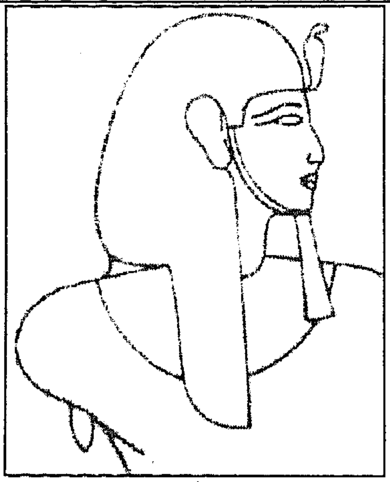

تاج النمس

أما الآلهة فقد تعددت تيجانها واختلفت أشكالها، ويلاحظ أن مجموعة الآلهة التى تمثل قوى السماء والنور تتحلى بتيجان تتكون عادة من قرص الشمس أو قرص القمر، أما مجموعة الآلهة التى تمثل قوى الفضاء والهواء فكانت تتحلى بتيجان تتكون عامة من ريش الصقر، وأما مجموعة الآلهة التى يرمز لها بحيوان مقدس، فهى تتحلى بتيجان تتكون من قرون هذا الحيوان. ومن الملاحظ أن تيجان الآلهة لم تحظ بتلك القدسية التى أحاط بها المصريون تيجان ملوكهم.

تاسوع :

عبر المصريون القدماء بكلمة "بسجت" عن "مجموعة من تسعة" من الآلهة العظمى التى كونت "الأسرة الآلهيه"

الأولى لمدينة "أون" أى هليوبوليس القديمة، وتدل صفات هذه الآلهة على أنهم مثلوا عند المصرى القوى الطبيعية التى يمكن أن تدخل فى تكوين العالم.

وتاسوع "أون" يتكون أولا من خالقه "أتوم" الذى خلق نفسه من نفسه ، خرج من قمة التل الأزلى التى أنحسرت عنها مياه المحيط اللانهائى "أنظر نون" فكان بذلك أول الخلق. وما لبث أن خلق من نفسه معبودين هما "شو" (رب الفضاء) و "تفنوت" (ربة الرطوبة)، خلقهما بأن تناول من نفسه وبيده كمية من "المنى" وضعها فى فمه بين أسنانه وشفتيه، ثم عطس فكان "شو" وتفل فكانت "تفنوت". وتزوج المعبودان وأنجبا "نوت" (ربه السماء) و "جب" (رب الأرض) ، وتزوجا أيضا وأنجبا أربعة هم: "أوزيريس" و "ايزيس" و "ست" و"نفتيس" ومن الواضح أن هذه المجموعة لم تحو كلا من "حورس" بن "أوزيريس" و "رع" اله الشمس القوى الذى ظهر فى هليوبوليس، وأن دل هذا على شئ فانما يدل على أن عصر تكوين هذا التاسوع كان أقدم بكثير من عصر ظهور كل من حورس و رع (ظهر الأول فى بدء العصر التاريخى وظهر الثانى متكاملا فى عصر الأسرة الخامسة).

وسرعان ما تأثرت المراكز الدينية الأخرى فى مصر بهذه الفكرة ، وحاول كل منها أن يكون لمعبوده الرئيسى تاسوع "بتاح" معبود منف، ولكن فى كثير من الأحيان لم يستطع الكهان أن يجمعوا عدد تسعه من أربابهم ليكونوا منهم الأسرة الألهية، فـاكتفى كهنة "أبيدوس" المركز الرئيسى "لأوزيريس" بعدد سبعة فى حين اضطر كهنة طيبه أن يكونوا جماعة من خمسة عشرة عضوا بزعامة الهم القدير "منتو". وهكذا فقدت كلمة "بسجت" معناها الأصلى: "مجموعة من تسعة" وأصبحت تعنى مجموعة أفراد الأسرة الألهية. ولئن اشتركت هذه الألهة فى كل مركز ظهرت فيه أسطورة عن عملية الخلق الأول للحياة على الأرض، فقد أختلفت طريقة كل منها.

تانيس :

أسمها الآن "صان الحجر" وأسم صان مأخوذ من اسمها فى المصرية القديمة "زعن - ت" ومكانها الآن فى شرقى الدلتا بمركز فاقوس ، محافظة الشرقية. كانت إحدى مدن مصر الهامة فى الدولة الحديثة وكانت عاصمة للأقليم ١٤ من أقاليم الوجه البحرى.

كانت من أوائل المناطق الأثرية التى قام "ماريت" بالحفر فيها وعثر فيها هو و "بترى" من بعده على آثار من الأسرة الرابعة والأسرة الثانية عشرة، ولكن هذه الآثار جلبت إليها من مناطق أخرى على الأرجح فى أيام الملك رمسيس الثانى وليست من أطلال معابد أقيمت فى هذه المدينة فى تلك الأيام.

وأشتهرت "تانيس" بمعبدها الفخم الكبير الذى يرجع تاريخ أكثر مبانيه إلى أيام الملك رمسيس الثانى ومازالت فيه بعض المسلات الجرانيتية وقد نقلت واحدة منها إلى القاهرة وهى الأن على الضفة الغربية للنيل على مقربة من المبنى المرتفع المعروف باسم برج القاهرة.

وقد كشفت الحفائر التى قام بها "مونتيه" منذ سنوات طويلة عن كبير من الآثار فى داخل المعبد الكبير وفيما حوله وكان أهم ما ظهر فى تلك الحفائر عام ١٩٤٠ عندما عثر على الجبانة الملكية خارج سور المعبد الكبير وسور معبد الألهة "عنت" على بقاء بعض ملوك الأسرتين ٢١ ، ٢٢ ، عثر فيها على مجموعات هامة من حلى ذلك العصر ، وهى محفوظة الآن فى قاعة خاصة بالمتحف المصرى بالقاهرة. وهى للملوك "بسوسنس الأول" و "أمنموبى" من ملوك الأسرة ٢١ و"أوسركون الثانى" و"شاشانق الثالث"من الأسرة ٢٢، وملك يسمى "حقا - خبر - رع" "شاشانق" لم يكن اسمه معروفا بين ملوك مصر قبل العثور على قبره.

ويرتبط إسم "تانيس" باسم مدينتين مازالتا موضع النقاش بين علماء الدراسات المصرية وهما مدينتا "أواريس" التى كانت عاصمة ومقرا لملوك الهكسوس ، والأخرى مدينة "بر - رعمسو" التى كانت المقر الملكى فى الدلتا للملك رمسيس الثانى ، إذ يرجع عدد كبير من علماء الآثار المصرية أن مدينة "بى - رعمسو" كانت فى الموضع المعروف الآن باسم "قنتير" فى مركز فاقوس ، حيث عثر هناك على أطلال قصور لهذا الملك وأثار أخرى هامة ، كما يرجحون أيضا أن "قنتير" هى أيضا مكان عاصمة الهكسوس ، ولكن "مونتيه" يؤازره عدد آخر من العلماء مازالوا مصممين على أن كلا من المدينتين كان فى موضع "تانيس". وكل ما نستطيع قوله هو أنه على الرغم من أنه لا توجد ادله قاطعة حازمة حتى الأن إلا أن الرأى الأرجح هو أن منطقة "قنتير" وما حولها كانت عاصمة الهكسوس ، وأنها مكان "أواريس" وهى أيضا مكان مدينة "بر - رعمسو".

تاورت :

كانت "تاورت" أو "أبت" معبودة انثى فرس النهر منذ ما قبل الأسرات وقد قدسها القوم تحت أسم "البيضاء" أو "أبت" بمعنى الحريم، أو "تاورت" بمعنى العظيمة، وأعتقدوا أنها تساعد في المولد اليومي للشمس، وسموها عين رع ، وأصبحت تاورت بالتدريج معبودة أقل أهمية في الديانة الرسمية، وأن كانت موقره كمعبودة منزلية. وفي كل العصور. وعند كل الطبقات، كانت تاورت هي الألهة الحامية للمرأة الحامل. فضلا عن الطفل الوليد. ومن ثم فقد كانت تظهر غالبا على أيام الأسرة الثامنة عشرة ، مع الأله بس وهو يرقص حولها في حجرة الولادة كما أنها ساعدت حتشبسوت عند مولدها. وكانت توضع تمائمها، مثل بس في المقابر. ومن ثم فقد أعتقد القوم أنها تحمي أعادة مولد (بعث) المتوفى خلال مملكة الموتى ، كما أعتبرت أحيانا زوجا للإله ست ، ومن ثم فقد أكتسبت سمعة سيئة.

هذا وقد صورت تاورت في هيئة أنثى فرس النهر الحامل منتصبة على قدميها الخلفيتين ، ومرتكزة بإحدى قدميها الأماميتين على علامة هيروغليفية تعني الحماية، وقد تدلت أطراف بطنها الضخمة وثدييها الكبيرين، وكانت تاورت ترمز إلى الأخصاب ، كما كانت تحمي الحوامل، سواء من أمهات الآلهة أو الملوك أو من عامة القوم، من الوضع العسر، وكانت لها معابد في طيبه وفي الدير البحري، كما كان القوم يمثلونها على جدران المعابد وفي تماثيل مختلفة وفي تمائم صغيرة تظهرها في عقود كانت تحلى بها أعناقهم.

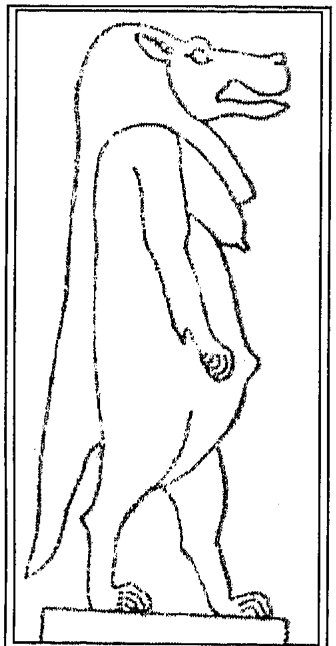

الآلهة تاورت

تتويج الملك :

رفع المصري من قدر مليكه إلى حد التأليه ، ووضعه في مصاف الآلهة لا فارق بينه وبينهم إلا أنه يعيش بين الناس على الأرض ، ومن أجل ذلك كانت عملية التتويج تقوم على اختيار الآلهة لممثلهم على العرش المصري المقدس، وتكونت من مراسم مختلفة تشترك في معظمها آلهة البلاد، وتحتوي على طقوس ترمز إلى ذكريات الكفاح الذي خاضه الأجداد عندما حاولوا توحيد القطرين بحد السلاح.

وإذا كانت قد وصلت إلينا نصوص كثيرة تتحدث عن التتويج ومراسمه المختلفة ، إلا أنها جميعا غير كاملة، كما يرجع كل نص منها إلى عصر مختلف ، ولذلك فليس من السهل علينا إعطاء صورة كاملة محددة لعملية التتويج ، وبخاصة لأن المصري كان يقدس القديم، وهو في تقديسه له كان يصر على إبقائه دون تغيير مع السماح للجديد بأن يضاف حتى ولو كان هناك تناقض واضح بين الجديد والقديم.

تبدأ مراسم التتويج في الواقع بإثبات أحقية الملك في العرش على أساس أن الآلهة قد اختارته منذ أن كان طفلا رضيعا ، فهو قد انحدر من صلب ملك إله وأنجبته أم هي بنت ملك وزوجة ملك. وإذا حدث أن شاب مركز الملك شئ من الضعف ، فقد كان يلجأ إلى كثير من الحيل لإثبات أن الآلهة قد إختارته. ويحدث هذا إما عن طريق إعلان "رؤيا" يعلن الإله الأكبر فيها أنه إختار الشخص بعينه أو أن يتوسط الإله المحلي لدى الإله الأكبر ليختار الشخص بعينه ، أو يعلن الإله الأكبر أنه اختار الشخص بعينه ليجلس على العرش لأنه خرج من صلب الإله بعد أن ضاجع أمه (أنظر حتشبسوت وأمنحوتب الثالث)

فإذا ما إستكمل الملك هذه الناحية إجتمع كبار الكهنة ليختاروا اسم العرش الخاص بهذا الملك، ليعلنوا قرارهم على أساس أن مجمع الآلهة في السماء برئاسة الإله الأعظم قد أقر هذا الأسم أو كما يقول النص المصري: "أن الإله قد أوحى إلى قلوبهم بالاسم الذي صنعه هو وفقا لما قرره قبل ولادته". ويتلو هذا تقدم الملك إلى إله الدولة يقوده كاهن عظيم سائلا،

"القبول" ويعنى هذا أن يقبله الإله ليمثله على الأرض وأن يمنحه القوة والقدرة على الحكم وأن يسمح له بتقلد رموز الملكية ويتحلى بالتيجان، وعندئذ وبعد "القبول" يقوم "حورس" و"ست" (وأحيانا يقوم تحوت مقام ست) بتطهير الملك بالماء المقدس ثم يضعان فوق رأسه التيجان ويقومان بعملية رمزية تمثل توحيد القطرين وتتم بربط ساقين إحداهما من نبات البردى والأخرى من نبات اللوتس تحت عرش الملك.

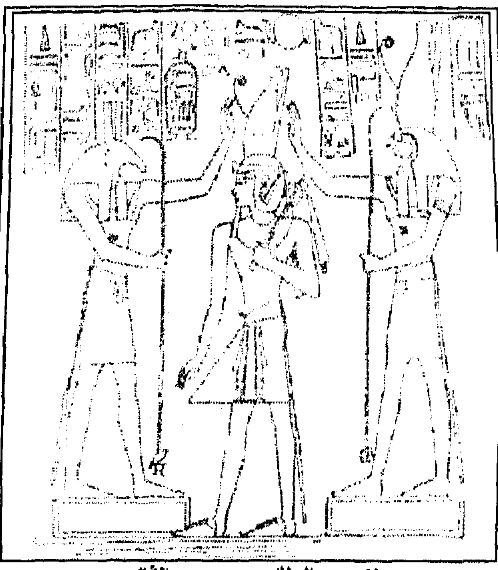

تتويج الملك رمسيس الثانى

إذا ما تمت هذه المراسيم فعلى الملك أن يجلس تحت شجرة مقدسة (شجرة الأشد) ليقوم كل من "تحوت" والمعبودة "سشات" بتسجيل اسم الملك على أوراقها وتمنياتهما له بطول العمر والحظ الحسن. ثم يقام حفل "إقامة عمود جد"، ويتبعه حفل إطلاق أربعة سهام يصوب كل منها نحو ناحية من الجهات الأصلية الأربعة، ثم يطلق الملك أربعة طيور يتجه كل منها نحو الجهات الأربعة، والمقصود بالسهام إنها نذير لكل من تراوده نفسه فى أى ركن من أركان الدنيا بالحاق أى ضرر بصاحب العرش، أما الطيور الأربعة فهى رسل تعلن على العالم أجمع خبر تعيين ملك جديد على العرش المقدس. وتتم الإحتفالات بخروج الملك وطوافه حول جدران مدينة منف.

ويبدو أن التتويج كان يتم عادة فى منف، فهذه هى المدينة التى شيدها مينا أول ملوك الفراعنة، لكى يثبت بها أقدام الوحدة وجعل فيها الحصن الذى يراقب منه محاولات الانفصال، ليسارع بإخمادها. ويبدو أيضا أن بعض مراسم التتويج كانت تتم فى سفينة كبيرة، وذلك لأن ملوك الأسرة الأولى وهم الذين كونوا وحدة البلاد، ومنهم تسلسل الفراعنة، وكان كل منهم يمنح خليفته ويورثه الحق المقدس لاعتلاء العرش، لم يجدوا مكانا لائقا لسكناهم فى الحصن الذى أطلقوا عليه اسم "الحصن الأبيض" فكانوا يأتون من عاصمتهم الجنوبية "ثينة" ليتقلدوا مهام الحكم وهم فى سفينتهم.

فإذا ما تم التتويج فى منف كان على الملك أن يزور آلهة مصر الكبرى فى معابدها وتقام له فى كل مكان ينزل فيه احتفالات كبرى، حتى يصل إلى عاصمته الرسمية، ولقد عرف التاريخ لمصر عدة عواصم منها من كان فى الدلتا ومنها ما كان فى مصر العليا.

تتى :

مؤسس الأسرة السادسة ، وكان من مؤيدى حركة "أوناس" (آخر ملوك الأسرة الخامسة) ضد كهنة اله الشمس وسيطرتهم الكبرى على شئون البلاد. وكان أيضا شديد الصلة بالحركة التى قامت فى منف لاعلاء شأن معبودها "بتاح" حتى يتم بعض التوازن بينه وبين رع (معبود هليوبوليس)، وإلى جانب هذا فقد بدأت عقيدة أوزيريس (رب الدنيا الثانية) تنتشر إنتشاراً كبيراً بين الناس ، ووسط هذه التيارات المختلفة جلس "تتى" على عرش البلاد وحاول جهده أن يسير بشئون الحكم وسط هذه الأعاصير ، ويبدو أنه لم ينجح. ويؤكد "مانيتون" المؤرخ المصرى أنه مات مقتولا بيد حراسه. ودفن فى هرمه الذى شيده فى سقارة.

تتى : (هرم)

يقع هرم الملك"تتى" على بعد حوالى ٥٠٠ متر شمال شرق الهرم المدرج وعلى بعد حوالى ١٥٠ متراً غرب الأرض الزراعية. والهرم يبدو وكأنه كومة من الأحجار والرمال ولا شك أنه قد تعرض كغيرة من الأهرامات للعبث والتدمير فقد زالت الكسوة التى كانت تمثل أحجار ملساء على الأوجه الخارجية ، كما ضاعت أجزاء كبيرة من مبانى الهرم نفسه وخاصة القمة.

مدخل الهرم من الناحية الشمالية ويؤدى إلى غرفة الدفن وقد وجدت بعض الجدران المنقوشة بنصوص

الأهرام محطمة. وللدخول إلى غرفة الدفن ننزل من الممر المنحدر الذى يقع بأرضية الجبل فى الواجهة الشمالية للهرم وقد زود حالياً بسلم خشبى يوصل إلى ردهة وبعد ذلك نمر فى ممر أفقى وكان به فى الأصل متراسين من الجرانيت الوردى لمنع الدخول إلى غرفة الدفن ، وينتهى هذا الممر بثلاث غرف. ثم نصل إلى غرفة التابوت ، سقفها جمالونى مدبب منقوش بالنجوم ممثلاً للسماء الذى صعد إليها الملك والغرفة مغطاة بنصوص الأهرام.

ولم يبق من المعبد الجنازى إلا القليل، وكان ممر مدخله محفوظاً بالمخازن على جانبيه ، ويؤدى إلى بهو الأعمدة فى وسط المعبد، وفى البهو بضع درجات تصعد إلى النيشات الخمس، كما توجد مخازن أخرى فى الجهتين الشمالية والغربية.

كان هرم "تتى" من الأهرام الكبيرة ولكن لم يبق منه الآن إلا القليل، ويرجع ذلك إلى أنه لم يشيد بالعناية والإتقان الكافيين، فنواته الداخلية مبنية بكتل صغيره "فجة" من الحجر الجيرى وبعض الحصى، وكساؤها من الحجر المحلى.

تتى شرى : (ملكة)

هى زوجة الملك سقننرع تاعا الأول، وأم الملك سقننرع تاعا الثانى وأم زوجته "أعح حوتب". والملكة تتى شرى ليست من أصل ملكى، فوالديها من عامة الشعب، وقد عاشت فترة الجهاد فى نهاية الأسرة السابعة عشرة ، فعاصرت زوجها وإبنها وحفيدها الملك كامس وماتت فى عهد حفيدها الثانى الملك احمس الأول. وقد عثر لها على تمثالين فى طيبه، كما أقام لها حفيدها أحمس - الذى ظل وفيا طوال حياته لذكراها - مقصورة فى أبيدوس ليخلد إسمها عليها، عثر فيها على لوحه تذكر أن الملك أحمس أراد تكريم جدته وتخليد ذكراها، فأمر بتشييد هرما فى الأرض المقدسة بأبيدوس، وذلك على الرغم من أن لها قبرا ومعبدا جنزيا فى طيبة ، كما أمر ببناء مقصورة لها.. "ستحفر بحيرتها وتزرع أشجارها وتثبت قرابينها ويؤدى الكهنة فيها الطقوس الدينية لم يحدث من قبل أن فعل الملوك السابقون شيئاً من هذا النوع لأمهاتهم".

التجارة الخارجية والعملة :

لقد بقى سر طرق المعاملة مجهولا فى مصر القديمة وبخاصة فى عصورها الأولى حتى الآن، وقد بذلت محاولات عظيمة للوصول إلى حل هذا اللغز، ولكن ما وصل إليه العلماء لا يزال مبهما وذلك لقلة المصادر وغموض ما لدينا منها، والرأى السائد أن المصريين كانوا يتعاملون بالمبادلة، تلك الطريقة

مناظر التجارة

الساذجة التى يتبعها سكان مجاهل إفريقية حتى الآن ولكن كل ما وصلت إليه مصر من الحضارة فى مختلف نواحيها لا يجعلنا نصدق أن طريقة المبادلة كانت طريقة المعاملة الوحيدة فى عهد الدولة القديمة ولذلك يقول "بيرن": "يظهر لى أنه من الأمور الصعبة أن أعترف بان مدنية متقدمة من الوجهة التشريعية مثل المدنية المصرية فى عهد الدولة القديمة لا تعرف إلا نظام المبادلات بالمواد الطبيعية دون مقياس متفق عليه يحدد قيمتها مع أنها كانت تعرف بيع النسيئة، ومع أن لها نظاماً ناضجا، غاية فى الإتقان. على أن نظام المبادلة بلا نزاع لا يتفق فى سذاجته مع كل الدقة التى نلاحظها فى نظام الوراثة، والبيع والوصايا، والقضايا التى كانت تنجم عن ذلك عندهم".

والواقع أن كل ما لدينا من النقوش عن سير المعاملات ينحصر ظاهراً فى المبادلات. وفى كل مدينة وفى كل قرية كان يقام سوق فى المحال العمومية وكان المدنيون والفلاحون يتقابلون هناك فى أوقات معينة ويتبادلون سلعهم المتنوعة؛ فكان القوم يأتون من كل

حدب وصوب راجلين، أو على ظهور حميرهم أو فى زوارقهم النيلية، كل منهم يحمل منتجاته الزراعية أو الصناعية فكان يحمل مكتل خضره. والصياد يحمل سله سمكة. والصانع الصغير الحر يحمل النعال التى صنعها أو أوانى الفخار، أو قطع النجارة والزيت والعطور، والحلى والخزف، وعصى الخيزران والمراوح، والشص، ومئات من الأشياء الأخرى التى كانت تستعمل فى الحياة اليومية العادية. ولدينا مقابر عدة من عهد الدولة القديمة قد رسم عليها مناظر الأسواق فى نشاطها كما نشاهدها الآن هذه كما ذكرنا هى المصدر الوحيد لدينا عن المعاملات المصرية.

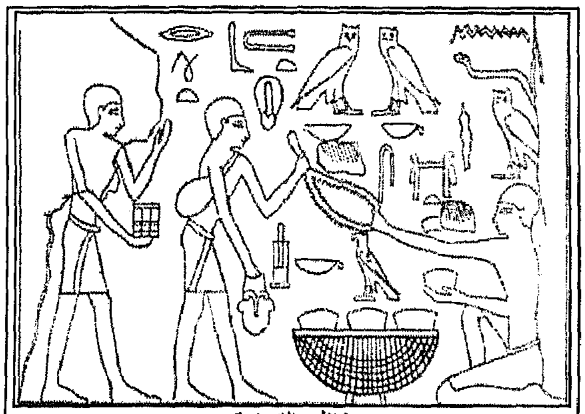

مناظر التجارة

والظاهر أن كل المناظر المعروفة من هذا القبيل كانت كلها خاصة بالضياع المأتمية التى كانت تتبادل فيها سكان هذه الجهات سلعهم ولكن لابد من أنه كان للمدن العظيمة أسواقها وسنشرح ذلك فى حينه.

ونشاهد فى هذه الأسواق أن الذين كانوا يحملون سلعا ثقيلة الوزن كانوا يجلسون القرفصاء خلف

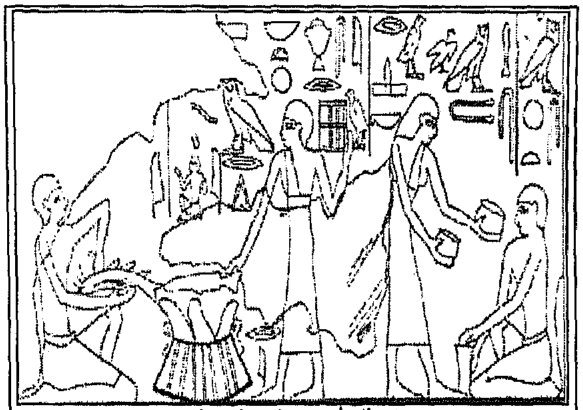

صورة مثل أنواع التبادل والتجارة

سلالهم وقففهم وفى منظر واحد شاهدنا البائع جالسا على مقعد مرتفع وأمامه سلعته ويأتى إليهم المشترون لشراء حاجاتهم أما من خفت أحمالهم فيسيرون فى أنحاء السوق ويتبادلون فيه سلعهم ويمكننا أن نتصور منظر هذه الأسواق فى أسواقنا الحالية بكل ما فيها من محاولات، ومكر ودهاء وتحيات وإغراء، ومشاغبات.

ولكنا نتساءل هنا هل يدل تمثيل كل هذه الأشياء على الجدران حقيقة على أن كل شار فى الوقت نفسه بائع أو بعبارة أخرى أن النقود كانت على ما يظهر مجهولة، وأن الأسواق المصرية كانت تنحصر فى مبادلات دون قوانين ودون تقاليد تجرى على مقتضاها؟ إذا نظرنا إلى السوق المصرية وجدنا صاحب مكتل من البصل يقابله شخص آخر يريد أن يتخلص من مروحة، أو من قلادة وبائع قيثارات، أو أدوات للصيد أن يبدل بها مأكولات وصانعا يعطى قلادة بدلا من نعلين، وامرأة تقدم لمخاطبها قارورة من الروائح العطرية من صنع يدها. وبائع عصى من الخيزران وقد فرغ صبره أمام مشتر متردد، وبائع السمك ناشراً سلعته أمام امرأة معها صندوق. وبائع مرايا يفخر بسلعته وبائع بصل يتأهب لمبادلة حزمة منه برغيف من الخبز المصنوع من الدقيق الجيد ، (ولكن لا نعرف إذا كان المبادل يريد حقيقة بصلا أو لا). والظاهر أن النعال كانت سوقها رائجة وعلى أية حال نشاهد فى رسوم سقارة أن فلاحا كان يبادل إسكافا بكيل من الحبوب زوجا من النعال، وقد كان كل منهما ينتظر صاحبه أو يبحث عنه وقد أنتهى الأمر بإتمام الصفقة.

وفى الجملة كانت السوق العامة للأفراد رقيقى الحال المكان المختار لقيام المبادلات بينهم فيما يحتاجون إليه من المأكولات والمصنوعات وقد كان سكان المدن يدخرون ما يكفيهم طيلة الأسبوع من الخضر كما كان الفلاح يبيع ما عنده ويعود حاملا معه قلادة جميلة، أو قارورة من العطر، أو حذاء ينتعله فى الأعياد، ففى هذه الأحوال لم تكن الحاجة ماسه للمعاملة بالنقد، وتدل التجارب على أن محاصيل الحقل كانت تجد من يبادل بها من أصحاب الحرف والصناعات وأن هؤلاء الآخرين كانوا متأكدين من أن يجدوا معامليهم من الصيادين والفلاحين. والواقع أن مثل هذه المعاملات لم يكن فيها ما يدعو للارتباك عندما تكون صغيرة القيمة أو قليلة العدد ، حيث تكون الحاجة لها نطاق ضيق، وأنه يكفى لصنعها بعض المختصين لعدد محدود من الناس.

وعلى هذا يمكننا أن نجيب بأن المبادلات كانت موجودة فى مصر ولا تختلف فيها عن البلاد الأخرى الفطرية قبل أن يدخل فيها التعامل بالنقود. ولابد أن القوم كانوا قد وضعوا فيما بينهم بحكم العادة بعض قواعد للمبادلة اللهم إلا فى بعض سلع لم يجر عليها التعامل من قبل كانت تحتاج لأخذ ورد ومناقشة ومساومة.

التجارة الداخلية: والواقع أن الأمور كانت تجرى فى سيرها الطبيعى عندما تكون المبادلة من الأشياء العادية ذات القيمة الضئيلة.

ولكن يتساءل الإنسان ماذا تكون الحال عندما يكون موضوع المبادلة ، شيئا عظيم القمية كمنزل أو ثور أو قطعة أرض ، إذ لايمكننا أن نتصور ما يصنعه فلاح يريد أن يبيع ثوراً ليشترى بثمنه مقداراً من الحبوب ، وبعض آلات للفلاحة معينة وأشياء أخرى ، فهل كان فى قدرته أن يجد مبادلا عنده كل هذه الأشياء فى مقابل ثورة ؟ وماذا تقول فى رجل يريد أن يبيع عقارا حتى ولو كان الشارى حاضرا ومتلهفا على إتمام الصفقة فإنه لابد أن يكون فى حيازته المقدار والنوع من البدل الذى يرغب فيه المستبدل ويجب ألا نخفى هنا أن التجارة بمعناها الحقيقى - شراء سلعة مقابل أخرى أغلى ثمنا - قد أصبحت فى هذه الأحوال مرتبكة لدرجة لا يمكن معها أن ينمو رأس مال التاجر بعض الشئ فيمكننا أن نتصور مثلا أصحاب حرف أحرار يعملون فى مصنعهم فى أحد أحياء (منف)، ويعيشون مما يمكن أن يجلبه لهم معاملوهم الدائمون أو مايأتى إليهم به المترددون على الأسواق ، ولكن لا يمكننا أن نتصورهم بسهولة يشترون سلعهم ويتممون مصنوعاتهم حتى يمكنهم أن ينتجوا محصولا من النعال أو من المراهم تؤهلهم لشراء بهائم، أو بعض أفدنة حتى يكون لهم فى النهاية منزلة كبيرة بين أقرانهم. وكذلك لا يمكن لثرى بيده رأس مال من أى صنف كان، أن يشرع فى المبادلة به فى مقابل شئ آخر يبادل به كرة أخرى وهكذا حتى يجد فى النهاية أن رأس ماله الاصلى قد ازداد، ثم يستمر على هذا المنوال. وتلك هى صفات التاجر الحقيقى الذى يدب فى نفسه حب الكسب؛ ولكن لا نزاع فى أن المبادلة ليست هى الطريقة التى تشبع أغراض مثل هذا التاجر بصفة دائمة مرضية.

وليس معنى ذلك أنه لم توجد تجارة داخلية فى عهد الدولة القديمة، وأن النظام الأقتصادى فى هذا العصر لم يكن فى مقدوره أن ينتج نظام الأتجار، الذى يمكن به أن يصبح التاجر غنيا بفضل حركة التعامل بالنقد. والظاهر أن حركة التعامل بالمبادلة فى هذا العصر لم تلعب إلا دوراً محدودا جداً إذ كانت محصورة فى أصناف معينة وهى التى كان يصنعها أصحاب الحرف الحرة الذين لهم مصانع صغيرة فى منازلهم أو فى الأسواق العامة. وتوجد إعتبارات عامة إجتماعية تعزز هذه الأستنتاجات.

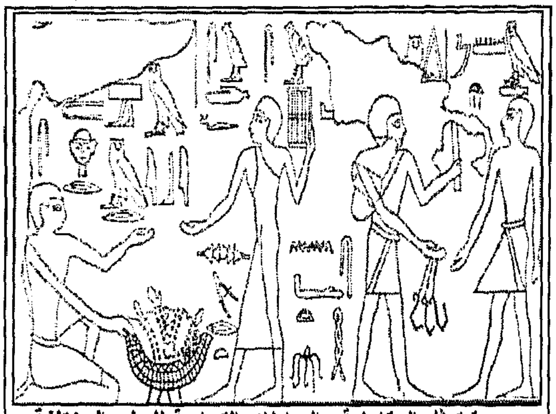
صورة تمثل المقايضة والمبادلات التجارية للسلع المختلفة

إذ فى الواقع كان يوجد فى عهد الدولة القديمة طوائف إجتماعية تتلخص فيما يأتى:

أولا: طائفة الأشراف ، أو كبار الموظفين الذين يملكون ضياعا وبخاصة فى عهد الأسرتين الخامسة والسادسة ، وقد كانوا منتشرين فى الوجه القبلى أكثر من الوجه البحرى. ثانياً: طبقة الكتاب من درجات مختلفة. ثالثاً: طبقة الفلاحين. رابعاً: طبقة الصناع.

فطائفه الأشراف لم تكن فى حاجة لأى شئ خارج ضياعهم إذ كان، محصول الأرض يمدهم بأكثر مما يحتاجون. وكان كل مايريدون صنعه يعمل فى مصانعهم الملحقة بقصورهم. أما طائفة الكتبة فكانوا يشرفون على ميزانية الحكومة فى كل الأماكن التى يؤدون فيها وظيفتهم، أى أنهم يعانون فى تصريف جزء ضخم من العقار الذى يدفع عنه جزية أما الفلاحون وأصحاب الحرف فكانوا تابعين للضياع التى كانت تتعهد بمعيشتهم أو كانوا يعيشون أحراراً من كسبهم الخاص ففى الحالة الأخيرة كان الفلاح يستثمر أرضه، ويهتم بأحواله الأقتصادية ويذهب إلى السوق ليبيع ما يزيد عن حاجته من منتجات أرضه أما الصانع الصغير فكان من جهته يبادل فى حانوته أو فى السوق كل منتجات صناعته بما يقتات به أو ما يحتاج إليه من

المصنوعات الأخرى. وهكذا كان سير الحياة فى نطاق ضيق فى الضياع أو المدن الصغيرة ، مما يدل على أنهم ربما كانوا يجهلون حركة التجارة بالمعنى الحقيقى التى كان لابد من أستعمال العملة فيها. ومع كل ما ذكر فلا يمكن أن نعتقد بوقوف المصرى عند هذا الحد فى معاملاته إذ لا يعقل أن شعبا قد شاد مدينة مثل التى قامت فى "منف" لم يكن فى مقدورة تحسين حالة المبادلة التى تدل على منتهى السذاجة والتأخر ولابد أن الواقع كان على نقيض ذلك، إذ كان يوجد منذ العهد الطينى كمية لابأس بها من المعدن الذى يحبه كل القوم، وأعنى بذلك الذهب فكان المصرى فى مقدورة أن يجزئة أو يحوله إلى سبائك دون أن يفقد شيئا كثيرا فى هذه العملية، وكذلك كان يمكنه ادخاره دون أن يصيبه عطب ما وتأثيره كان واحدا على كل فرد فى أى وقت كان. على أن المشاريع التى كانت تقوم لاستخراج هذا المعدن، والهبات من الذهب التى كان يهديها الملك للمقربين له، وقطع المصنوعات التى كانت تصاغ للزينة، أو تكون علامة على الثراء ، كل هذه الأشياء تؤكد لنا أن الأصفر الرنان لم يكن موضع احتقار أى شخص، وأنه كان يمكن المبادلة به مقابل أى شئ فى كل الأحوال ويعزز ذلك أن حجر "بالرمو" قد ذكر لنا أن ثروات الأفراد المنقولة كانت تشتمل على معادن ثمنية كانت تحصى فى أوقات معينة.

فكيف والحالة هذه لا يمكن أن نعتبر الذهب عاملا ثالثا فى المبادلات.

ولا يبعد أن تجود لنا تربة مصر بنقش أو بردية تكشف لنا الغطاء عن التعامل بالذهب فى التجارة وتحل لنا كل مسائل المبادلة التى لاتزال معقدة. على أنه مما يؤسف له جد الأسف أنه لم يعثر على تمثيل ظاهر واضح فى مناظر الأسواق القديمة التى عثرنا عليها حتى الآن على المبادلة بالذهب ، ولكن هذا لايعنى شيئا كبيرا إذا علمنا أن كل ما وصل إلينا من تمثيل الأسواق المصرية مصدره مناظر المقابر أو المعابد ، وهذه بالطبع لم يقصد منها قط أن تمثل لنا كل حياة البلاد الاقتصادية فى كل تفاصيلها وكل مالدينا عن الحياة الاقتصادية قد عرفناه من المناظر التى تركها لنا عليه القوم. وليس من حقنا أن ننكر وجود كل شئ لم يتركه لنا عظماء القوم فى مناظر مقابرهم. وقد يكون من الدهشة بمكان أن تجود الصدف بالعثور على مقبرة أحد أغنياء التجار الذين نجهل وجودهم حتى الساعة ، بل والذين يعتقد البعض عدم وجودهم كليه ، وبذلك يهدم لنا النظرية القائلة بأن بناء المقابر فى الجبانة الملكية كان وقفا على المقربين.

تحتمس الأول :

إستولى على عرش مصر بعد وفاة الملك أمنحوتب الأول، على الرغم من أن والدته "سنى سنب" لا يجوى فى عروقها الدم الملكى ، فلم تكن زوجة شرعية لملك أو إبنة ملك ، ولكنه إستطاع أن يستولى على العرش وذلك بزواجه من الأميرة أحمس التى كانت – سيدة من أصل عريق وتنتمى – أغلب الظن – إلى العائلة المالكة. وقد حكم طبقاً لما ورد فى تاريخ مانيتون اثنى عشرة سنة وتسعة شهور.

ونعرف من نقش يرجع للعام الثانى من حكمه وجد على صخرة أمام جزيرة تومبوس عند الجندل الثالث ، أنه قام بحملة عسكرية لتأمين الحدود الجنوبية وصلت فى عهده إلى جنوبى نباتاً بمسافة ٢٠٠كم عند الجندل الرابع وذلك بعد العثور على بقايا قلعة مصرية فى كنيسة كورجوس هناك.

بعد ذلك وجه الملك نشاطه إلى أسيا الصغرى فتوجه إلى نهرينا وهو الأسم المصرى القديم لبلاد النهرين وقاتل الأعداء وأسر العديد منهم ، وعاد بعد أن ترك هناك لوحة حجرية تسجل باسمه هذا النصر، وقد ورد ذكرها فى حوليات الملك تحتمس الثالث عند حديثه عن حملته العسكرية الثامنة أنه أقام لوحة حجرية بجانب الملك تحتمس الأول هناك.

وإن كانت حدود مصر الجنوبية وصلت فى عهد تحتمس الأول إلى الجندل الرابع ، فقد وصلت حدودها الشمالية ، لأول مرة فى التاريخ الفرعونى ، إلى "المياه التى تجرى بالعكس ، منحدرة ناحية الجنوب" وذلك إشارة إلى نهر الفرات الذى يجرى من الشمال إلى الجنوب بعكس نهر النيل.

وأهتم تحتمس الأول بتشيد المبانى الدينية ، فأقام الصرح الخامس بمعابد الكرنك ثم شيد أمامه شرقا صالة ذات أعمدة أوزيرية ثم بعد ذلك شيد الصرح الرابع غربا ثم أقام مسلتين، مازالت أحدهما قائمة فى مكانها حتى الآن.

وكان الملك تحتمس الأول هو أول من إتخذ وادى الملوك مقرا لمقبرته الملكية، وكان فى ذلك الوقت

منطقة لايطرقها إنسان أو حيوان، جدباء ليس بها ماء ولا نبات، بمعنى آخر تعتبر أحسن مكان لإخفاء المقبرة. وقد تكتم تحتمس الأول سر بناء هذه المقبرة تكتما شديداً يدلنا عليه النص الموجود على لوحة في مقبرة المهندس "إنيني" بمنطقة شيخ عبد القرنة بالبر الغربي بطيبة، يقول النص: "لقد أشرفت على حفر مقبرة جلالته الصخرية وحدى، لا من شاف ولا من سمع". ولعل الأهمية التاريخية لهذه المقبرة تتلخص في أنها تعتبر بداية لطراز جديد من المقابر الملكية التي شيدت في وادي الملوك ويطلق عليها إصطلاحا المقابر ذات المحور الواحد وهي تبدأ بمدخل على هيئة سلم منحدر ومنه إلى ممر غير مستقيم يوصل إلى حجرة مربعة بها سلم آخر يوصل بدوره إلى حجرة الدفن البيضاوية الشكل التي نجد في نهايتها التابوت المصنوع من الحجر الرملي الأحمر ومزين بصورة للآلهة إيزيس عند القدم والآلهة نفتيس عند الرأس وكانت به مومياء تحتمس الأول. (وقد نقلت بعد ذلك إلى مقبرة إبنته حتشبسوت ثم بعد ذلك إلى خبيئة المومياوات بالدير البحري). أما المعبد الجنزي للملك فقد أمر تحتمس الأول بإقامته بالقرب من الأرض المزروعة على البر الغربي لطيبة.

تحتمس الأول : (مقبرة – رقم ٣٨)

لعل الأهمية التاريخية لهذه المقبرة تتلخص في أنها تعتبر بداية لطراز جديد من المقابر الملكية التي في وادي الملوك والتي يطلق عليها اصطلاحا المقابر ذات المحور الواحد وتعتبر مقبرة تحتمس الأول أقدم المقابر الملكية في وادي الملوك حتى الآن.

تبدأ المقبرة بمدخل صغير يوصل إلى درج يهبط إلى احدور يوصل إلى حجرة مربعة تقريبا، ويهبط من منتصفها تقريبا سلم إلى حجرة الدفن وهي حجرة خشنة الصنع، وقد نحتت على شكل الخرطوش الملكي ربما لكي يكون جسد الملك داخل الخرطوش دائما أبدا، بعد أن كان اسمه بداخله طوال فترة اعتلائه عرش مصر. ويسند سقف هذه الحجرة عمود واحد، كما يوجد حجرة صغيرة جانبية في حجرة الدفن.

كان يوجد في نهاية حجرة الدفن تابوت من حجر الكورتزيت (وهو الحجر الرملي المتبلور وهو الآن بالمتحف المصري تحت رقم ٥٢٣٤٤) وكان مسجل على غرفة الدفن الفصل الثاني عشر من كتاب ما هو موجود في العالم الآخر المعروف باسم "امي دوات". وقد قام فيكتور لورية باكتشافها في مارس عام ١٨٩٩.

لم يستقر تحتمس الأول طويلا في مقبرته التي حفرها لنفسه – إذ أن ابنته الملكة حتشبسوت – قد أمرت بنقل مومياء أبيها – خوفا عليها – إلى مقبرتها (رقم ٢٠ بوادي الملوك) ولم تستقر مومياؤه هنا أيضا طويلا فقد نقلت بعد ذلك – مع العديد من المومياوات إلى خبيئة الدير البحري حيث تم الكشف عنهم في يوليو عام ١٨٨١.

تحتمس الثاني :

تولى العرش الملك تحتمس الثاني بعد وفاة أبيه الملك تحتمس الأول، وهو أبن من زوجة ثانوية هي موت نفرت، على أن شرعيته للحكم أتت من زواجه من أخته غير الشقيقة حتشبسوت بنت كل من تحتمس الأول والملكة أحمس.

ونعلم من لوحه أقامها الملك تحتمس الثاني في العام الأول من حكمه وهو في طريقة من أسوان إلى فيلة أنه قام على رأس جيشه للقضاء على الثوار في النوبة وتمكن من القضاء عليهم جميعا ولم يبقى سوى أحد أطفال الزعيم النوبي الذي أحضره معه إلى طيبة كاسير.

ونعلم أيضاً من تاريخ حياة القائد أحمس بن نخبت الذي أمر بنقشه على جدران مقبرته بمنطقة الكاب والذي عاش وخدم في عهود الملوك إبتداء من أحمس وحتى تحتمس الثالث، أن الملك تحتمس الثاني توجه بشخصة لإخضاع قبائل (الشاسو) وهم البدو، سكان شمال شرق وجنوب فلسطين وأسر العديد منهم.

وقد شيد مقبرته في وادي الملوك وهي غير منقوشة ويبدو أنها لم تكمل وتحوي تابوتا خاليا من النصوص. وقد عثر على مومياوات الملوك تحتمس الأول والثاني والثالث كلها محفوظة في خبيئة الدير البحري، كما عثر أيضا على معبده الجنازي.

مات تحتمس الثاني بعد فترة حكم قصيرة وكان لايزال في الثلاثين من عمره وقد ترك ابنا من زوجة ثانوية هو تحتمس (الثالث فيما بعد) من زوجته أيزيس وبنت هي "نفرو رع" من أخته وزوجته حتشبسوت.

تحتمس الثالث :

تولى الحكم منفردا بعد وفاة حتشبسوت أو بعد إبعادها عن العرش والقضاء عليها وعلى من يواليها وكان غضبة تحتمس الثالث الإنتقامية واضحة فى ما تبقى من عهد حتشبسوت من آثار، فقد حطم أتباع تحتمس الثالث تماثيلها وكشطوا أسماءها وشوهوا صورها. وقد إعتبر تحتمس الثالث بداية حكمه منذ توليته العرش بعد وفاة أبيه تحتمس الثانى، بل نعرف أيضاً أن بعض قوائم الملوك مثل قائمة الكرنك وقائمة أبيدوس قد أسقطا عن عمد فترة حكم حتشبسوت لاعتبارها خارجة عن التقاليد المصرية وإغتصابها عرش مصر.

وبدأ تحتمس الثالث يهتم بالسياسة الخارجية بالبلاد بعد أن أهملتها حتشبسوت عشرين عاما كاملة، خاصة أن الأوضاع السياسية فى أسيا الصغرى بدأت تتغير، إذ أن هجرات الحوريين بدأت منذ القرن الثامن عشر ق.م من أواسط أسيا، وهم شعب غير معروف للآن إلى أى جنس ينتمى، والبعض الآخر يعتقد أنهم ينتمون للجنس الآرى. هذه الهجرات المتتابعة، أستقر البعض منها فى مناطق الهلال الخصيب وكونوا بعض الدويلات فى بعض المدن السورية وإستوطن البعض الآخر أطراف العراق وكونوا دولة الميتانيين كما أستقر قبائل منهم فى الأناضول وكونوا دولة الحيثيين، وكان يجاور دولة الميتانيين من الجنوب دولة أشور، أما مملكة بابل فكانت مستقرة فى الجزء الجنوبى على مقربة من الخليج الفارسى كل هذا إستغرق ثلاثة قرون إلى إن وصلنا إلى القرن الخامس عشر ق.م ، وكانت خطورة دولة الميتانيين فى شمال شرق الشام ، وقرب نهرى الخابور والفرات هو تحكمها فى مداخل الهجرات سواء فى شمال سوريا وأطراف العراق.

وإستطاع أمراء دولة الميتانيين من التحالف مع أمراء فلسطين وسوريا تحت زعامة أمير مدينة قادش الواقعة على نهر العاصى، وعندما علم تحتمس الثالث بهذا إضطر الملك للقيام بحملته الأولى لتوطيد ملكة فى أسيا الصغرى ، بعد أن لاحظ أن النفوذ المصرى بدأ يتدهور فى سوريا وأن الأمراء هناك بدأ كل منهم يستقل بولاية "فلم يتأخر جلالته من التقدم إلى بلاد الشام ليقتل الخائنين الذين فيها وليكافئ الموالين له"

فقام على رأس جيشه من القنطرة وقطع مسافة ١٥٠ ميلا فى عشرة أيام وصل بعدها إلى غزة حيث إحتفل هناك ببداية السنة الثالثة والعشرين من حكمه، ثم قطع ثمانين ميلا أخرى فى إحدى عشرة يوما بين غزة وإحدى المدن عند سفح جبال الكرمل، وهناك عقد تحتمس الثالث مجلس الحرب مع ضباطه بعد أن علم أن أمير قادش قد جاء إلى مدينة مجدو فى فلسطين وجمع حوله ٣٣٠ أميراً بجيوشهم وعسكروا فى المدينة المحصنة هناك ليوقفوا تقدم تحتمس الثالث من الدخول إلى ممر مجدو. وقد إستقر رأى تحتمس الثالث من أن الجيش يسلك أقصر الطرق أو أخطرها وأبعدها عن تفكير العدو. فقد كان هناك ثلاث طرق للوصول إلى مجدو ، إثنان منها يدوران حول سفح جبال الكرمل والثالث ممر ضيق ولكنه يوصل مباشرة إلى مجدو.

وفى فجر اليوم التالى قام تحتمس الثالث على رأس قواته بالهجوم على شكل نصف دائرة - منفذا حرب المفاجأة - على مدينة مجدو ، فتفرق الأسيويون المدافعون عنها وفروا هاربين وتركوا وراءهم عرباتهم الكبيرة ومعسكرهم المليئ بالغنائم، ليدخلوا المدينة المحصنة لينجوا بأرواحهم ولكن الجنود زملائهم من الأسيويين أغلقوا أبواب المدينة على أنفسهم ، وقد أوضح النص المصرى أنه "إذا لم يتجه جنود جلالته بقلوبهم للاستيلاء على ما خلفه العدو لاستولوا على مجدو فى تلك اللحظة" وقد كلفت هذه الغلطة الجيش المصرى سبعة شهور أخرى ، حاصر فيها مدينة مجدو حتى إستسلمت ، وأرسل الأمراء الموجودون بداخلها أولادهم حاملين الأسلحة لتسليمها للملك تحتمس الثالث ولكن أمير قادش إستطاع الهرب بعد المعركة.

وإختلف تحتمس الثالث عن حتشبسوت فى إدارة شئون الدولة، فقد كانت حتشبسوت مهتمه بالشئون الداخلية فى البلاد وتفخر بما تبذله من جهد فى إصلاح الأمور الداخلية بمصر أما تحتمس الثالث فقد كان قائداً ومحارباً، يهتم بحملاته الحربية وإنتصاراته بل وتسجيلها على جدران صالة الحوليات بمعابد الكرنك. وكان تحتمس الثالث أول من اصطحب معه فى حملاته الحربية كتبة وعلماء لتسجيل كل ما يدور فى هذه الحروب على ملفات البردى ويؤرخون كل ما يحدث.

وقد قام تحتمس الثالث بعدد من الحملات

العسكرية وصل عددها إلى ستة عشرة حملة ، وذكرنا منها حملته الأولى المشهورة على مدينة مجدو التى قام بها فى العام الثانى والعشرين من بداية حكمه. وفى العام الثلاثين من حكمه قام بحملته السادسة التى إستطاع أن يدمر فيها مدينة قادش ويستولى عليها ، كما قام فى حملته الثامنة فى العام الثالث والثلاثين من حكمة للقضاء "على ذلك العدو الخاسئ فى النهرين" ويقصد هنا الملك الميتانى الذى فكر أن يبسط سلطانة على البلاد الواقعة غرب نهر الفرات. فأعد له تحتمس الثالث ما إستطاع من قوة وعبر على رأس جيشه نهر الفرات وطارد ملك الميتانى الذى فر من أمامه مذعورا. وقد ترك تحتمس الثالث هناك لوحة على الضفة الشرقية لنهر الفرات لتسجل نصره وتخلده.

ونعلم من نقش لوحه جبل برقل أن الجيش المصرى وصل فى العام السادس والأربعين من حكمه إلى جبل برقل عند الجندل الرابع عند مدينة نباتا التى كانت تمثل الحدود الجنوبية فى عهده حيث أقام هناك بعض المعابد والقلاع.

ومن أشهر الموظفين فى عهده وزيره المعروف باسم "رخميرع" الذى ترك لنا فى مقبرته بجبانة شيخ عبدالقرنة سجلا حافلا بكل ما كان يقوم به ويشرف عليه من أعمال بل وترك لنا نصا يذكر الوصايا التى أعلنها الملك تحتمس الثالث عند تنصيبه وزيراً له وهى تعتبر بحق الدستور الذى يحدد الصلة بين الحاكم والمحكوم.

وقد ترك تحتمس الثالث العديد من الآثار التى تخلد إسمه. فقد شيد فى الكرنك مجموعة من المبانى نذكر منها صالة الحوليات، والصرحين السادس والسابع والمبانى التى أقامها حول مسلة حتشبسوت لإخفائها والصالة المعروفة باسم (آخ منو) أو صالة الإحتفالات. كما أقام زوجين من المسلات وقد نقلوا جميعا الآن من أماكنهم وأصبحوا سفراء فى لندن وفى نيويورك وفى روما وفى إسطنبول. هذا بجانب العديد من المعابد الصغيرة المشيدة فى أماكن مختلفة من أنحاء مصر، نذكر منها معبده فى كل من أبيدوس، قفط، أرمنت، الكاب، الفنتين، سمنة وأخيراً فى جبل برقل.

وقد أمر تحتمس الثالث بحفر مقبرته فى وداى الملوك بالبر الغربى بطيبة وقد زينت جدران حجرة الدفن بنصوص ومناظر - للمرة الأولى - من كتاب ما هو موجود فى العالم الآخر ، وقد كتبت هذه النصوص بالخط المختصر وهو الخط الوسط بين الهيروغليفى والهيراطيقى حتى لتبدو حجرة الدفن كبردية ضخمة مفتوحة مليئة بالنصوص من كتاب الموتى.

تحتمس الثالث : (مقبرة - رقم٣٤)

نصل الآن إلى نوع أخر من المقابر الملكية ، يختلف فى نظامه ومظهره عن مقبرتى كل من تحتمس الأول وحتشبسوت. فمقبرة الملك تحتمس الثالث تتكون من محورين. وهذان المحوران يكونان زاوية تكاد تكون قائمة. ومدخل هذه المقبرة فخم ، يقع فى مكان عال ، ولهذا أقامت مصلحة الآثار سلما من الحديد لكى يسهل الوصول إلى هذا المدخل المحفور فى منطقة مرتفعة فى صخر بطن الجبل وقد اكتشف هذه المقبرة لوريه عام ١٨٩٨.

نصل من المدخل A إلى دهليز ينحدر انحدار شديدا إلى أسفل يوصل إلى الممر B الذى ينتهى عند حجرة صغيرة D يتوسطها سلم هابط C ومنها إلى ممر صغير وأخيراً نصل إلى حجرة البئر E وقد سقف الآن لكى يستطيع الزوار المرور عليها ، وقد لون سقف حجرة البئر باللون الأزرق وبه نجوم بيضاء ويصل عمقة إلى ٦ أمتار. بعد ذلك نصل إلى حجرة تكاد تكون مربعة، يحمل سقفها عمودين وسقفها مزدان بنجوم صفراء على أرضية زرقاء وسجل على جدرانها كشف طويل بأسماء الآلهة والآلهات التى يأتى ذكرها فى كتاب ما هو موجود فى العالم الآخر ويصل عددها إلى ٧٤١ سم. وهذه الحجرة تعتبر نهاية المحور الأول وبداية المحور الثانى. ويوجد فى الركن الشمالى من هذه الحجرة سلم هابط G يوصل إلى حجرة الدفن التى أتخذت شكل الخرطوش الملكى.

نصل الآن إلى حجرة الدفن H ويحمل سقفها عموديين A,B ، ويوجد على جانبيها أربع حجرات صغيرة ، وزعت بمعدل حجرتين على كل جانب وتغطى

جدران حجرة الدفن رسوم ونصوص تخطيطيـــة وقــد كتبت بالخط المختصر وهو الخط الوسط بين الخطين الهيروغليفى - والهيراطيقى. وقد كتبت على أرضية صفراء باللونين الأسود والأحمر حتى لتبدو حجــرة الدفن كأنها بردية ضخمة مفتوحة مليئة بنصـــوص ومناظر كتاب ما هو موجود فى العالم الآخر. وهــذه الرسوم والنصوص فى حالة حفـــظ تـام وتعطينـــا النسخة الكاملة الأولى لكتاب ما هو موجود فى العالم الآخر "امى دوات" بفصوله الأثنـــى عشـــر. وهــذه المناظر والنصوص تمثل الخطوة الأولى للرسوم التى سوف نشاهدها بعد ذلك بالنقش البارز ابتـــداء مـــن عهد الملك حور محب.

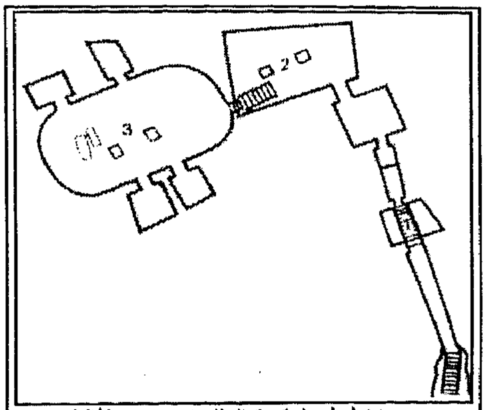
رسم تخطيطى لمقبرة الملك تحتمس الثالث

ولعل من أجمل منـــاظر حجـــرة الدفـــن المنـــاظر المرسومة على الواجهة الشمالية للعمود الأول A ، إذ نرى عليه أكثر من منظر فريد ، غير متبع فى المقـــابر الملكية فى طيبه وهى المناظر التى تمثل الملـــك مـــع أفراد عائلته. ويمثل المنظر الأول الملك تحتمس الثالث مع أمه أيزيس وهما فى مركـــب فـــى العـــالم الآخـــر ويتقدمهما رجلين يحمل الأول منهما رمز الأله نفرتـــم والثانى رمز الأله حورس. وتحت هذا المنظـــر يوجـــد منظر آخر يمثل تحتمس الثالث يرضع من أمه ايزيـــس والتى صورها المصـــرى كشـــجرة الهيـــة ذات أيـــدى إنسانية ممسكة بثديها لترضع ابنها الملـــك تحتمـــس الثالث وكانت أمه أيزيس زوجة ثانوية للملك تحتمـــس الثانى ولاتجرى فى عروقها الدم الملكى ولذلك حـــرص تحتمس الثالث على تصويرها معه لكـــى يعطـــى لـــها الأسبقية التى لم تتحها لها مولدها ثم هناك منظر يمثـــل الملك تحتمس الثالث يتبعه ثلاثة من زوجاته هن "مريت رع" و "سات أعج ونبتو" وأخيراً أبنته "نفرت أرو".

أما باقى واجهات العموديـــن الأول والثـــانى فـــهى مليئة بمناظر كتاب ماهو موجود فـــى العـــالم الآخـــر. ويوجد فى أقصى حجرة الدفن التابوت المصنوع مـــن الحجر الرملى الأحمر وهو منقوش أيضا ومثلت الألهـــة نوت على قاعه، رافعة ذراعيها ويوجد بجوار التـــابوت غطاؤه. وقد وجد التابوت فارغا أما المومياء فقد عـــثر عليها مع مجموعة أخرى فيما يسمى بخبيئة الدير البحرى.

تحتمس الثالث : (تمثال)

بلغ فنانو الأسرة الثامنة عشرة غاية أســـمى فـــى تماثيل الملك تحتمس الثالث ومثال ذلك التمثال الشـــهير المعروض بالمتحف المصرى والمنحـــوت مـــن حجـــر الشست - يصل إرتفاعه إلى مـــترين - وهـــو يمثـــل الفرعون واقفا منتصبا بجسم رشيق وعضلات مشدودة يطأ الأقواس التسعة، أما الرأس فهو آيـــة فـــى دقـــة الصنع وجمال التعبير، تعلو وجهـــه إبتســـامة خفيفـــة سمحة ثم هناك التمثال المعروض له فى متحف الأقصر ويمثله واقفا، يلبس النقبة الملكية و"النمس". وقد مثلـــه الفنان فى صورة مثالية تعلو وجهة إبتســـامة رقيقـــة. والتمثال هنا يبرز القدرة التقنية للمثال المصرى القديـــم فى هذه الفترة. فقد استطاع - رغم ما يستخدمه مـــن أدوات بسيطة - أن يضفى - بالصقل - ملمسا رقيقـــا يتناقض مع ملمس الحجر الذى يســـتخدمه، ويضفـــى الجلال الهادئ والكمال البدنى ويلاحظ فى هذا التمثـــال أيضا أحد مميزات النحت التى ظهرت فى هذه الفـــترة وهى تقوس حاجبى الملك إلى أسفل نحو أعلى الأنـــف والتمثال منحوت من حجر الشت المخضـــر وإرتفاعـــه ٩٠,٥ سم ويعد من أروع تماثيل النحت فـــى الأســـرة الثامنة عشرة.

ثم هناك تمثال فريد للملك تحتمس الثالث من حجـــر الجرانيت الأسود، إرتفاعه ٦٦ سم ومحفوظ بـــالمتحف المصرى بقى منه الجزء الأعلى مـــن تمثـــال جـــالس للملك، أتبع فيه الفنان الأسلوب القديم الذى شـــاهدناه فى عصر الملك خعفرع. فقد نحت الصقر واقفا خلـــف رأس الملك ناشرا جناحيه كأنما يحتضـــن بـــهما رأس

الملك تحتمس الثالث. وقد لبس الملك التـــاج الأحمـر والذقن الملكية المستعارة ونلاحظ تجسيم الحاجبين.

تمثال الملك تحتمس الثالث بالمتحف المصرى

تحتمس الثالث : (حوليات)

يطلق هذا التعبير على الكتابـات المنقوشـة علـى جدران المبانى التى أمام قدس الأقداس لمعبد الكرنـك، وهى أخبار الحملات الحربية التى قام بها هذا الملك فى البلاد الآسيوية ابتداء من العام الثانى والعشرين مـن حكمه أى بعد أن أبعد عمته حتشبسوت عـن العـرش نهائيا وأصبح حاكم البلاد الأوحد.

سجل فى تلك النقوش أخبار حملاته الستة عشـر التى كان يقوم بها كل عام وذكر فيها ما أستولى عليـه من نفائس وما كان يصل إليه من جزية ، ونعرف مـن هذه النقوش أن الأصل كـان يكتبـه كتـاب ملحقـون بالجيش على ملفات من الجلد فى مكان تلك الحمـلات وأن ماسجلوه على بعض جـدران الكرنـك ليـس الا مختصراً لها.

ولا تقتصر أهمية الحوليات على ما تضفيـه إلـى تاريخ مصر من معلومات ولكنا نقف منها على الكثـير من الحياة الإجتماعية والتقدم الحضارى وأسماء البـلاد القديمة فى كثير من بلاد فلسطين ولبنان وسوريا وبلاد ما بين النهرين.

تحتمس الرابع:

توفى الملك أمنحوتب الثانى فـى العـام السـادس والعشرين من حكمه، وتبعه إبنه الملك تحتمس الرابـع الذى حكم فترة تسع سنوات، عاشها فى سـلام ، وإن كان قد قام بعد توليته العرش مباشرة بحملة للقضــاء على الثورة التقليدية فى سوريا ثم بعد ذلك قـام فـى العام الثامن من حكمه بحملة إلى النوبة للقضاء علـى الثوار هناك.

ومن أشهر الآثـار الباقيـة مـن عـهده ، اللوحـة الجرانيتية التى ترجع للعام الأول من حكمه وهى المقامـة الآن بين مخالب تمثال أبو الهول بالجيزة. ويقص علينـا تحتمس الرابع من خلال نصوص منقوشة عليـها ، أنـه ذهب عندما كان شابا ليحتمى بظل أبو الهول وذلـك بعـد رحلة صيد مرهقة فغلبه النعاس فرأى فيما يـرى النـائم الآله حور - أم - أخت (المجسد فى تمثال أبـو الـهول) يبشره بتاج مصر عندما يحرره من الرمال التـى عليـه. ويبدو أن الملك تحتمس الرابع قد نفذ للأله حـور - أم - آخت رغبته بعد توليته العرش مباشرة. هذه القصة تؤكـد أن تحتمس الرابع لم يكن الوريث الشرعى ولهذا أختلـق هذه النبوءة لكى يفسر لنا أن إختياره قد تم بواسطة الألـه حور أم - أخت.

وقد خطى تحتمس الرابع خطوة جريئة فى السياسـة الخارجية وهى أن تزوج من إبنه الملك "أرتاتامـا" وهـى خطوة لها أكثر من مدلول ، إذ أن هذا الزواج الدبلوماسـى يؤكد إعتراف فرعون مصر بدولة الميتانى، وفـى نفـس الوقت يعلن إنهاء حالة الحرب بين مصر ودولة الميتـانى وأصبحت من الآن مملكة الحيثيـين هى العدو المشـترك لمصر والميتانيـين وقد أطلق المصريـون علـى هـذه الأميرة الميتانية إسما مصريا هو "موت أم أويـا" وهـى التى أصبحت فيما بعد أم الفرعون المصـرى أمنحوتـب الثالث الذى خلف والده تحتمس الرابع على عرش مصر.

وقد بدأ فى عهد الملك تحتمـس الرابـع الأهتمـام بتزيـين مقدمة العربة الحربية للملك بمنـاظر تمثـل ساحة القتال وهى المناظر التى زينت بـها بعـد ذلـك واجهات صروح المعابد فى الدولة الحديثة وما بعدهـا. وقد عثر على عربة تحتمس الرابع فى مقبرته بطيبـة وهى معروضة الآن بالمتحف المصرى.

وقد أمر الملك بتشيـيد مقبرته فى وادى الملـوك أما معبده الجنزى فهو مخرب تخريبا كاملا وقد وجـد

على أحد جدران مقبرة تحتمس الرابع نص بالخط الهيراطيقى يرجع لعهد الملك حور محب الذى أصدر التعليمات إلى المشرف على أعمال الجبانه فى ذلك الوقت المدعو "معيا" وإلى مساعدة "جحوتى مس" بإعادة "دفن الملك تحتمس الرابع فى المسكن المقدس بالبر الغربى" مما دعا إلى نقل مومياء تحتمس الرابع مع مومياوات أخرى إلى قبر أمنحوتب الثانى حتى عثر عليهم فى عام ١٨٩٨وقد يدل هذا أن مقبرة تحتمس الرابع قد نهبت بعد وفاته مما دعى الملك حور محب بأن يأمر بإعادة دفنها.

تحتمس الرابع : (مقبرة – رقم ٤٣)

أكتشف هذه المقبرة تيودور دافيز ومساعدة كارتر عام ١٩٠٣ وهى تتكون من ثلاثة محاور كل محور يكون مع الآخر زاوية تكاد تكون قائمة ، ولم يتبع هذا النظام غير ملكين من ملوك الأسرة الثامنة عشرة وهما تحتمس الرابع والملك أمنحوتب الثالث الذى فضل مكاناً آخر يعرف بوادى الملوك الغربى ونحت فيه مقبرته، ولم يشاركة فى هذا الوادى غير الملك "آى" صاحب المقبرة رقم ٢٣ بالوادى الغربى.

وتبدأ مقبرة تحتمس الرابع بمدخل يؤدى إلى سلم هابط يوصل إلى دهليز A يوصل بدوره إلى حجرة مستطيلة ، شكلت أرضيتها على هيئة سلم يوصل إلى الممر B الذى يوصل إلى إلى حجرة البئر C ويجب هنا ملاحظة المناظر المرسومة الملونة بأعلى جدران حجرة البئر إذ نرى على يسار الداخل ستة مناظر تمثل الملك أمام كل من الأله أوزيريس والأله أنوبيس والألهة حتحور، كما نشاهد الأله أنوبيس فى منظر لم يكتمل. ونجتاز حجرة البئر المسقفة الآن لنصل إلى حجرة ذات عمودين D وهى تعتبر نهاية المحور الأول وبداية المحور الثانى وهى خالية من النقوش. ونجد فى ركنها الشمالى درج هابط إلى ممر E يوصل بدوره إلى سلم هابط للحجرة F وهى الحجرة التى ينتهى عندها المحور الثانى ويبدأ أيضا المحور الثالث. ويجب ملاحظة المناظر والنصوص المسجلة على جدران هذه الصالة إذ نلاحظ أنه على الجدار الشمالى المناظر الملونة التى تمثل الملك مع كل من الأله أوزيريس والأله أنوبيس والألهة حتحور، كما نلاحظ على يمين الداخل أى على الجدار الجنوبى للحجرة F نص بالخط الهيراطيقى يرجع لعهد الملك حور محب الذى أصدر التعليمات إلى المشرف على أعمال الجبانة فى ذلك الوقت المدعو "معيا" وإلى مساعدة "جحوتى مس" بإعادة "…. دفن الملك من – خبرو – رع" (تحتمس الرابع) "فى المسكن المقدس بالبر الغربى لطيبة" وقد نقلت هذه المومياء مع موميات أخرى بعد ذلك إلى مقبرة أمنحوتب الثانى كما ذكرت من قبل. وقد يدل هذا أن مقبرة تحتمس الرابع قد فتحت بعد وفاته ، مما دعا حور محب أن يصدر أوامره بإعادة دفنها ونشاهد أيضا فى نفس الحجرة على الجدار الشرقى مناظر تمثل الملك وهو يتقبل علامة الحياة (عنخ) من الألهة حتحور ومن الأله أنوبيس ثم واقفا أمام الاله أوزيريس.

بعد ذلك نصل إلى حجرة الدفن G ويحمل سقفها ستة أعمدة فى صفين ، وبين العمودين الأخيرين درج يوصل إلى منخفض حيث يوجد التابوت H المنقوش والمصنوع من حجر الجرانيت الأحمر ، كذلك تنفتح حجرة الدفن على أربع حجرات صغيرة ، حجرتان فى كل جانب. وحجرة الدفن لم ينتهى العمل منها أما الأثاث الجنازى الذى عثر فى هذه المقبرة فهو معروض بالمتحف المصرى.

التحنو :

شعب كان يعيش إلى الغرب من مصر وكان يرى فيه القدماء مصدر تهديد لحدودهم الغربية ، وقد ورد ذكر الانتصار عليهم على آثار "نعرمر" أول ملوك الأسرة الأولى.

وتوالى ذكرهم بعد ذلك على الآثار ، وأهم ما يمثلهم المنظر الذى خلفه "ساحورع" من ملوك الأسرة الخامسة على جدران معبده فى "أبو صير" ويوجد الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة ، ونجد فيه بوضوح أن أولئك الناس كانوا يشبهون المصريين إلى أبعد الحدود وكان رجالهم ونساؤهم يرتدون ملابس تشبه إلى حد كبير ملابس المصريين فى ذلك العهد ، ويتسمى الكثيرون منهم بأسماء مصرية.

ولكن شعبا آخر وهو شعب التمحو هاجمهم وتغلب عليهم فحاولوا الهجرة إلى مصر فى أيام "ساحورع" ، وما لبثوا أن انتهى أمرهم كشعب له كيان وأصبح أسمهم يطلق على المنطقة فقط.

أما عن المنطقة التى كان يعيش فيها التحنو فقد شملت جزءا من الشاطئ الشمالى وواحة سيوة والبحرية وليبيا، وكان أهم مركز لتجمعهم فى منطقة الجبل الأخضر هناك ، ويرتبط اسمهم باسم شجرة الزيتون التى تنبت فى تلك المناطق.

وتنحصر معلوماتنا عنهم حتى الآن فيما ورد على الآثار المصرية.

التحنيط :

كان المصريون القدامى من أوائل الامم ، أن لم يكونوا، أول أمة آمنت (عن طريق الفكر الأنسانى) بالبعث، والخلود بعد الموت فى حياة قد لا تختلف فى جوهرها عن حياتهم فى العالم الدنيوى، حدث ذلك قبل التاريخ بآلاف السنين، كما تشير إلى ذلك بقايا أقدم حضارات العصر الحجرى الحديث كما فى مرمدة بنى سلامة وفى حلوان العمرى وفى ديرتاسا.

وليس هناك من شك فى أن بناء الأهرامات وغيرها من العمائر الدينية الضخمة فى العصور التاريخية ، إنما كان نتيجة سيطرة الدين على المصرين وأثره فى حياتهم وتفكيرهم ، فالدين كان ومازال وسيظل أكبر قوة تؤثر فى حياة الانسان ، كما أنه كان منفذا للخيالات ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة به، ذلك التغير الذى أوحى إليه بفكرة الخلود أو الحياة بعد الموت ، هذه الفكرة كان قد إعتنقها القوم، وكان لها أكبر الأثر فى نفوسهم، بل أنه لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب العالم، احتلت فى نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التى احتلتها فى نفس الشعب المصرى القديم.

هذا وقد اعتقد المصريون القدامى أن الإنسان إنما يتكون من جسد وروح ، وأن الجسد مصيره إلى القبر بعد الموت ، وأما الروح فمصيرها إلى السماء ، وكما جاء فى نصوص الأهرام : "أن الروح إنما تذهب إلى السماء بينما يبقى الجسد فى الأرض" ، ومن ثم فقد اعتقدوا أن هناك بجانب الجسد المادى (خت) روحا نورانية شفافة هى (الآخ) تذهب إلى السماء ، وتبقى فيها إلى الأبد مع الأله "أوزيريس".

وهناك روح هى "الكا" (أى القرين) تبقى بجوار الجسد فى مقبرته، وفيما حوله على الأرض، وأن القرابين إنما تقدم لها، وهى فى نظر القوم، الملاك الحارس للإنسان، أو التى كان المرء يستقبلها عند مولده بأمر من الأله "رع"، كما كانوا يعتقدون أنه مادامت هذه "الكا" معه، ومادام هو رب الكا ، وأنه يغدو منها ، فهو حى يرزق، ولئن كان أحد لا يستطيع رؤية هذه "الكا"، فالمعتقد أنها تشبه صاحبها تماما.

وهناك روح ثالثة هى "البا" ، والتى يمكن تسميتها بالروح الأبدية، وهى إذا كانت تترك الجسد، وتنفلت منه عند الموت، فقد تخيلوها فى أشكال مختلفة، فهى أحيانا كطير، ومن ثم فمن المحتمل فيما يرى القوم أن تكون روح الميت طائرا بين طيور الأشجار التى غرسها بنفسه، وقد تكون فى هيئة زهرة اللوتس، أو فى هيئة ثعبان يندفع من جحره، أو فى هيئة تمساح يزحف من الماء إلى الأرض.

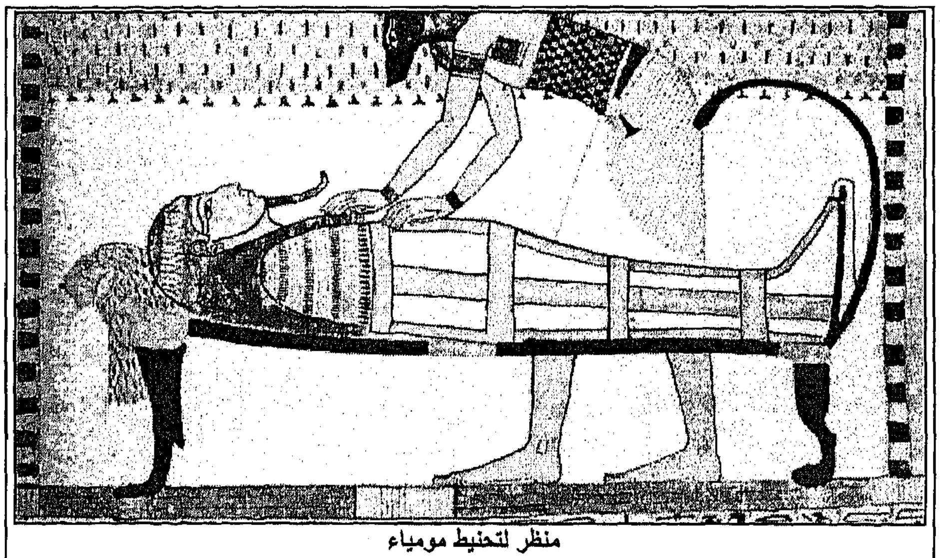

منظر لتحنيط مومياء

هذا وكان القوم يعتقدون أن "البا" تلحق بموكب الشمس فى رحلتى الليل والنهار ، وأنها تزور الجسد فى رحلة النهار ، وأن كلا من "البا" و "الكا" مرتبط بقاءهما وخلودهما ببقاء الجسد وخلوده ، كما أنهما تفنيان بفناء الجسد وفساده ، ولعل هذا هو السبب فى اهتمام القوم بتحنيط أجساد موتاهم ، حتى تحتفظ بملامحها التى كانت لها فى الحياة الدنيا.

اعتقد المصريون القدامى أن الموت هو انفصال العنصر الجسمانى عن العناصر الروحية، ومن هنا كانت العناية بدفن جثث الموتى، إذ أن فناءها معناه هلاك الروح، ولهذا عملوا على المحافظة على جسد المتوفى حتى يستطيع أن يحيا حياته الثانية وأن يتمتع بما يودع إلى جانبه من طعام وشراب وكساء وما يقدم له من قرابين، على أن القوم منذ أن بدأوا يدفنون موتاهم فى توابيت وفى غرف من اللبن أو غرف محفورة فى الصخر، تعرضت الجثث للتلف، ذلك لان الرمال الحارة الجافة لم تعد تمتص ما فيها من رطوبة تعمل على فسادها، ومن فقد فقد عملوا على الحفاظ على المظهر الخارجى للجثة بوسائل شتى ، منها لف الجثة بلفائف من الكتان تحتفظ بالشكل الخارجى للجسم أو تغشيها بغلاف من الجص، وخاصة الوجه الذى ترسم عليه ملامحه، أو تغطية الرأس بقناع من الكتان والجص معا تشكل فيه ملامح الوجه. وقد بلغوا بهذه الوسيلة غايتها فى بداية الأسرة الثانية عشرة، حيث صنعوا توابيت مختلفة على هيئة الميت يضعون فيها جثته، ثم يضعونها داخل تابوت آخر من الخشب.

وهكذا لم يدخر القوم وسعا فى الحفاظ على الجثة، وان كان أهم وسائل فى ذلك هو التحنيط، بل لقد وصل اهتمام القوم بالحفاظ على الجسد سليما إلى تعويض الأطراف المنزوعة أثناء الدفن بأخرى، وإلى تركيب الجبائر إلى الأطراف المكسورة بعد الموت، ربما نتيجة لقلة العناية فى أثناء التحنيط، وكأنهم أرادوا علاجها بعد الوفاة، ذلك لأن العملية إنما كانت دينية أكثر منها طبية، وذلك حتى يمكن للروح أن تبقى وأن تتعرف على الجسد، وتتمتع بما يقدمه الأحياء للميت من قرابين، وما يصاحب عملية تقديم القربان من طقوس دينية وصلوات ودعاء، ومن ثم فقد كانت للمقابر، وخاصة فى عهد الدولة القديمة والوسطى ، أبواب وهمية ، كانت أول الأمر مجرد فجوة فى الحائط ، تطورت فيما بعد إلى رسم يسمح للمتوفى بالدخول والخروج من المقبرة ، كما نحتت كذلك فوق الباب الوهمى لوحة صور فيها المتوفى وأمامه مائدة القرابين.

والتحنيط : لغة استخدام الحنوط أو الحناط، وهو كل طيب يمنع فساد الجسد أو هو كل ما يطيب به الميت من مسك وذريرة وصندل وعنبر وكافور، وغير ذلك مما يذر عليه تطيبا له وتجفيفا لرطوبته، ولفظ يعنى حنط من لفظ لاتينى Balasmum أى حفظ فى البلسم، أما لفظ موميا فقال صاحب "أقرب الموارد" أنها دواء، وربما أطلقت الموميا اليوم على ما حنط من الأجسام، وهى يونانية معناها حافظ الأجسام، ويطلق على الجسد المحنط مجازا اسم مومياء لما يعتريها من سواد يشبه القار المعدنى (الأسفلت)، وهو اللون المعروف للمادة التى وصفها "دسقوريدس" وذكر أنها تسمى "موميا"، ويذهب "الفرد لوكاس" إلى أن هذا اللفظ ربما كان لفظا فارسيا بمعنى القار، وأنه أطلق فى العصور المتأخرة على الجثث المصرية المحنطة لقرب لونها من القار، غير أن التسمية خاطئة، ذلك لأنه لم يعثر على قار إلا فى مومياء واحدة من العصر الفارسى، وأن إستعمل فى عصر الإغريق والرومان، ولعل سواد القار والراتنج هما سبب هذا الخطأ الذى وقع فيه بعض الأثريين.

وأيا ما كان الأمر ، فهناك آثار للتحنيط منذ الأسرة الأولى، ثم لا نلبث أن نتبينها فى وضوح فى عصر الأسرة الثانية ، وقد كان من الممكن أن يتوافر لدينا الكثير من آثار التحنيط مرتبة يتلو بعضها بعضا لولا ما وقع على قبور الملوك والنبلاء من عدوان ، وما أصابها من تخريب على أيام الثورة الاجتماعية الأولى، وعلى أى حال، فلقد كان الجسد فى الأسرة الأولى يلف فى طبقات سميكة من الكتان ثم سرعان ما ظهر فى عهد الأسرة الثانية ما يثبت بداية المحاولات الأولى للتحنيط الحقيقى، و ذلك بإظهار ملامح المتوفى بلفة بأربطة الكتان بطريقة تسمح بالمحافظة على الشكل الحى للوجه والصدر والأطراف بعد تحلل الجسد فى هيكله العظمى وتقلصه ويبدو أن ذلك قد تحقق بغمس الكتان فى مادة صمغية حتى أن تلك الموميات التى ترجع إلى الأسرة الثانية إنما تكاد تبين مظهر أصحابها بوضوح ، فقد مثلت ملامح المتوفى بتفاصيلها، وكذا

أعضاء الرجال التناسلية، وأبرزت تفاصيل الثديين للنساء فى صورة كاملة، كما وضعت الجثث فى وضع القرفصاء، وفصلت الذراعان والرجلان والأصابع ولفت بحيث تأخذ شكلها الأصلى فى الحياة.

على أن القوم يبدو، إنما قد توصلوا إلى التحنيط بالمعنى الصحيح ومارسوه فعلا فى الأسرة الثالثة، إذ وجدت فى عصر هذه الأسرة توابيت لحفظ المومياء، وتوابيت أخرى بها أربعة أوان من المرمر لحفظ الأحشاء المحنطة، كما وجدت بقايا من مومياء الملك "زوسر" فى غرفة الدفن الجرانيتية فى هرمه المدرج بسقارة.

ولعل أقدم مثال للتحنيط إنما هو مومياء الملكة "حتب حرس"، زوج الملك سنفرو، وأم الملك خوفو، وقد وجدت أحشاء هذه الملكة محنطة ومودعة فى صندوق من المرمر، عرف باسم "الصندوق الكانوبى" وقد قسمت إلى أربعة أقسام زود كل منها بمادة التحنيط، وهى التى عثر عليها فى حجرة الدفن بمقبرتها، شرقى الهرم الأكبر، غير أن طريقة التحنيط لم تكن فى الدولة القديمة قد وصلت إلى درجة كبيرة من الإتقان، ومن ثم فقد عمد القوم وقت ذاك إلى استكمال تمثيل ملامح الجسم بقماش كتان غمس فى راتنج منصهر، بحيث يبدو الوجه والجسم بملامحه الحقيقية فى الحياة، ولعل أبدع مثال لمومياء الدولة القديمة هو مومياء "نفر" التى كشفت عنها هيئة الآثار فى سقارة عام ١٩٦٦م.

هذا وقد كانت عملية التحنيط تستغرق سبعين يوما، كان الكهنة فى أثنائها يرتلون الصلوات، وقد ارتدوا قناعا على شكل رأس ابن آوى، وهو يمثل أنوبيس أله الجبانة وراعى الموتى، والذى كثيرا ما كانوا يسمونه "رئيس خيمة الإله"، وكان التحنيط يتم داخل حظيرة مؤقتة تفك عقب الإنتهاء من الخطوات الأولى، وهى الغسل، وذلك فى أماكن مخصصة لذلك تقع فى الغرب قريبا من مكان الدفن، ونظرا للأهمية العقائدية لأماكن التحنيط، فقد سميت "المكان الطاهر" و "دار الإله الطاهرة" و "خيمة الرب" و "كشك الإله" وبدهى أن التحنيط إنما كان يستهدف فى الدرجة الأولى المحافظة على الجسد من عوامل البلى عن طريق تخفيضه، ولكن ليس هناك من ريب فى أن هناك طرقا أخرى لمنع التعفن، منها طريقة التبريد فى صفائح بعد تعقيم محتوياتها، هذا فضلا عن طريقة التخليل والتمليح والتدخين والتجفيف، كما أن هناك مواد كيميائية تمنع العفن كالجلسرين والكحول والزيوت الطيارة والتوابل وحامض الجاويك وثانى أكسيد الكبريت، وأخيرا فإن أقسام التشريح فى المستشفيات تحفظ الجثث من العفن عن طريق حقنها بمواد مطهرة.

ولعل سائلا يتساءل: ما هى الوسائل التى استخدمها المصريون القدامى لتحنيط أجسام موتاهم بطريقة أذهلت الدنيا كلها بخاصة وأن جسم الإنسان إنما يحتوى على ٧٥% من وزنه ماء، وأن إخراج هذه الكمية الهائلة من الجسم ليس بالأمر السهل؟.

لقد قام جدل طويل حول إجابة سؤالنا هذا، فذهب رأى إلى أن القوم إنما استعملوا حمام الملح بعد استخراج الأحشاء أثناء التحنيط، فهناك ما يشير إلى أنهم قد حفظوا الأسماك بطريقة التمليح وذلك بسبب وفرة الملح ورخصه، ورغم أنه لم يعثر فى الموميات ما يشير إلى استخدامهم لهذه الطريقة فى التحنيط، فليس هناك ما ينفى استعمالها، فضلا عن العثور على الملح فى لفائف الجثث وفوق الملابس التى تنتمى إلى العصر المسيحى، ومن ثم فقط ذهب "اليوت سمث" إلى أن استعمال الملح فى التحنيط، بل ملح الطعام انما كان أهم مواد التحنيط فى أغلب الأحايين.

على أن هناك ما يقف عقبة فى قبولنا لهذه الطريقة، ذلك أن ملح النطرون إنما يحتوى على نسبة عالية من ملح الطعام، وعلى سبيل المثال فقد حوت عينات النطرون من الكاب ٧٥% من ملح الطعام، ولعل

رأس مومياء الملك سيتى الأول بالمتحف المصرى

الاتجاه السابق كان نتيجة لذلك، وهذا يعنى انه اعتبر المادة الشائبة هى المادة الأصلية، بينما اعتبرت مادتا الكربونات والبيكربونات الصودا، على أنها شوائب، رغم أن الحقيقة عكس ذلك تماما، ولعل هذا هو الذى دفع بعض الباحثين إلى اعتبار مومياء الملك مرنبتاح مكسوة بملح الطعام بسبب غرقه فى البحر، على اعتبار أنه فرعون موسى، غير أن التحليل الكيميائى قد أثبت أن كمية الملح قليلة، وانطلاقا من هذا كله، فقد استبعدت طريقة التمليح من أن تكون الطريقة العادية فى التحنيط.

وهناك وجه آخر للنظر يذهب إلى أن القوم قد عرفوا طريقة التدخين، اعتمادا على العثور على حجرة فى مقابر طيبة وقد امتلأت بالجثث حتى سقفها ، هذا فضلا عن حجرات مجاورة كسيت جدرانها بطبقة من الهباب، مما يشير إلى تجفيف الجثث عن طريق الحرارة البطيئة (التدخين)، على أساس أنه من غير الممكن أن عددا كبيرا من القوم قدموا جثث موتاهم بهذا العدد الضخم دفعة واحدة، ومن ثم فان وجود الهباب إنما يشير إلى استخدامه فى تطهير المقابر، هذا فضلا عن أن كلا من هيرودوت وديودور لم يذكرا شيئا عن تجفيف الجثث عن طريق التدخين.

وهناك وجه ثالث يذهب إلى استعمال الجير الحى فى التحنيط لإزالة الجلد ثم التأثير عليه بعد ذلك بنبيذ التمر، وأن هناك من وجد كربونات الجير فى بعض المومياات بنسبة ٨,٦% ، غير أن "لوكاس" يرى أنه ليس هناك من دليل على استعمال المصريين للجير الحى فى التحنيط، أو فى أى غرض آخر قبل العصر البطلمى.

على أن هناك وجهاً رابعاً للنظر يذهب إلى استعمال النطرون كمادة أساسية فى التحنيط، وقد عثر على النطرون فى عدة مقابر، كما فى مقابر "يويا" و "تويا" والدى الملكة تى، زوج أمنحتب الثالث وأم اخناتون، وفى مقبرة من الأسرة الحادية والعشرين، كما عثر على أكياس مليئة بالنطرون فى مقبرة "توت عنخ أمون"، إلى جانب أكياس بها نطرون فى صدر بعض المومياات، هذا فضلاً عن العثور على لفائف مومياات من عصر الأسرة الثانية عشرة مشبعة بالنطرون، بل لقد وجد نطرون داخل جمجمة طفل فى مقبرة أمنحتب الثانى، وعلى أى حال، فهناك ما يشير إلى استعمال النطرون من عصر الأسرة الرابعة وحتى العصر الفارسى.

ولعل سؤال البداهة الآن : كيف تتم عملية التحنيط؟

يروى هيرودوت أنه " إذا ما مات مصرى ذو قدر لطخت كل نساء بيته الرأس أو الوجه بالطين، ثم يتركن الجثة فى الدار، ويجلن فى المدينة لاطمات، وقد شمرن وكشفن عن صدورهن ومعهن كل "قريباتهن" ثم يحملون الجثة إلى المحنطين الذين يعرضون عليهن نماذج ثلاثة لجثث مصنوعة من الخشب ، تمثل أنواع التحنيط الثلاثة ، وأغلاها الطريقة التى اتبعت فى تحنيط أوزيريس ، والطريقة الثانية أقل تكلفة ، وأما الطريقة الثالثة فهى أقل ما يمكن عمله ولا تكلف الا القليل من المال فإذا ما اتفق الطرفان تسلم المحنطون الجثة ، ثم يبدأون فى إخراج بعض المخ من المنخارين بواسطة قطعة معقوفة من الحديد ، والبعض الآخر يفضل عقاقير يصبونها فى الرأس ، ثم يشقون الكشح بحجر أثيوبى مسنون (ولعله حجر الصوان) ويخرجون الأحشاء كلها ثم ينظفونها ويغسلونها بنبيذ التمر، ثم يطهرونها بالتوابل المجروشة، ثم يملأ الجوف بمر نقى مسحوق ودار صينى وسائر أنواع الطيب ، ما عدا البخور ، ثم يخيطونها ثانية ، ثم يملحون الجثة بتغطيتها بالنطرون سبعين يوماً ، فى نهايتها تغسل الجثة ثم يلف الجسم كله بشرائط الكتان الشفاف ، ثم يسلمون الجثة لأصحابها ، ويعملون لها هيكلاً خشبياً على هيئةإنسان ويضعونها فيه ، وبعد إغلاقه عليها يحفظونها بعناية فى غرفة الدفن ويقيمونها مسندة إلى حائط".

هذه هى الطريقة الأولى الغالية الثمن، وأما الثانية فتتم بأن يملأ المحنطون الحقن بزيت الصنوبر لملأ جوف الجثة دون أن يشجوها، ودون أن يستخرجوا الأحشاء ، ولكنهم يضعون الزيت من الشرج ويسدونه بعد ذلك حتى لا ينساب الزيت منه، ويملحون الجثة أياماً عدتها سبعون يوماً، وفى نهايتها يخرجون الزيت من الجوف، وهذا الزيت قوته عظيمة، حتى أنه يجرف معه الأحشاء والمصارين التى تكون قد تحللت ، أما اللحم فيذيبه النطرون، ومن ثم لا يبقى من الجثة سوى الجلد والعظام، ثم يردون الجثة إلى أهلها دون أية عناية أخرى.

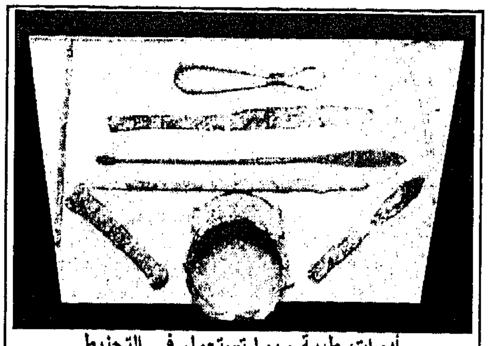

أدوات طبية ربما تستعمل فى التحنيط

وأما الطريقة الثالثة والتى كانت تستخدم لمن هم أقل ثراء، فقد كان المحنطون يغسلون الجوف بماء الفجل، وتترك الجثة فى الملح سبعين يوماً ، ثم ترد لأصحابها ليذهبوا بها إلى المقبرة.

وعلى أى حال، فإن دراسة الجثث إنما تشير إلى أن معظم ما جاء فى رواية هيرودوت إنما هو صحيح إلى حد كبير، كما أن هناك ما يشير إلى أن عملية التحنيط قد تطورت فى العصور المختلفة إلى أن بلغت ذروتها فى عصر الدولة الحديثة، وتعتبر موميات الملوك تحوتمس الاول وأمنحتب الثانى وسيتى الأول ورمسيس الثانى والملكة نزمت من أروع الأمثلة على مدى اتقان القوم لعملية التحنيط ونجاحهم فى احتفاظ الجسم بملامحه وأنسجته الأصلية.

وتتفق طريقة تحنيط الملوك والأشراف فى ذلك العصر فى كثير من تفاصيلها مع أغلى طريقة شرحها هيرودوت ، وتتلخص فى الخطوات التالية :

١- تنقل الجثة إلى معمل التحنيط ، والذى كان يسمى "بيت التطهير" (بروعبت) أو البيت الجميل (برنفر) حيث تنزع ملابسها ثم توضع على لوحة خشبية لإجراء العمليات الجراحية لأستخراج المخ، الأمر الذى يتم عادة عن طريق الأنف، وربما عن طريق الثقب الأعظم بواسطة قضيب ملوى من النحاس أو البرونز على شكل ملعقة، وفى كلا الحالتين كان المخ يهتك بسبب ضخامة حجمه وضآلة فتحة اخراجه، والعملية رغم أنها شاقة فهى ضرورية لأن المخ من أوائل الأنسجة التى تتعفن بعد الوفاة.

٢- تستخرج الأحشاء الباطنية عن طريق شق فى الجانب الأيسر من البطن ، ثم تستخرج الأمعاء فالكبد فالطحال، أما الكليتان فتتركان عادة فى مكانهما ، ثم يشق الحجاب الحاجز لأستخراج الرئتين، أما القلب وأوعيته الدموية فتترك مكانها.

٣- يغسل تجويف البطن والصدر بنبيذ البلح والتوابل، وهو إجراء لا يترك أثراً ظاهرياً على المومياء.

٤- تغسل الأحشاء بعد تعقيمها ، وذلك بوضع كل جزء منها فى ملح نطرون جاف على سرير صغير مائل إلى أن يستخلص كل الماء الذى بها وتجفف تماماً، ثم تعالج بالزيوت العطرية والراتنج المنصهر، وتلف فى أربع لفافات مستقلة، توضع كل منها فى بعض الأحيان فى تابوت صغير من الذهب كتابوت أحشاء توت عنخ أمون، أو من الفضة كتابوت أحشاء شيشنق، ثم توضع هذه التوابيت (أو اللفافات بدون توابيت غالباً) فى أربعة أوان تسمى "الأوانى الكانوبية" أغطيتها يحمل كل منها اسم أحد أولاد حورس الأربعة ، وقد شكلت رؤوس هذه الأوانى على شكل رأس آدمى حتى أخريات أيام الأسرة الثامنة عشرة ، ثم شكلت بعد ذلك طبقاً للأشكال الفعلية لأولاد حورس الأربعة ، فالكبد يوضع فى إناء غطاؤه على شكل "ايمستى" ، والرئتان توضع فى إناء غطاؤه على شكل "حابى" والمعدة فى إناء على شكل "دواموت اف" ، ثم الأمعاء فى إناء على شكل "قبح سنو اف" (وأما أشكال أولاد حورس فكان ايمستى على شكل رأس آدمى، وكان حابى على شكل رأس قرد، وكان دواموت اف على شكل رأس ابن آوى، وكان قبح سنو اف على شكل رأس صقر) ، وأخيراً كانت الأوانى الكانوبية توضع فى صندوق للأحشاء يعلوه أحيانا تمثال أنوبيس، إله الجبانة والتحنيط.

ولعل من الجدير بالإشارة أن الأحشاء كانت على أيام الأسرة الحادية والعشرين تنظف وتلف بكتان ثم تعاد إلى مكانها الطبيعى ، كما كانت فى الحياة الدنيا، وأما أولاد حورس الأربعة فكانت تصنع لهم تماثيل من الشمع ثم توضع فى الأحشاء التى كانت تحميها ، كما كانت البطن تملأ فى أكثر الحالات بالنشارة ، وفى قلة منها بالراتنج.

٥- كان الفراغان البطنى والصدرى يحشوان بمواد حشو مؤقتة من ثلاثة أنواع من اللفافات، الأولى بها نطرون لاستخلاص ماء الجسم من الداخل، والثانية من الكتان لامتصاص الماء المستخرج، والثالثة من الكتان كذلك ولكنها تحتوى على مواد عطرية لإكساب الجسم رائحة طيبة أثناء عملية التحنيط الرئيسية.

٦- يقفل مكان فتحة البطن بالخياطة أو تختم بمادة راتنجية أو شمعية ، كما تقفل كذلك فتحات الفم والأنف والأذن والعيون ، ولزيادة المحافظة على الملامح كان المحنطون يغطون الوجه والفم والخدان بكتان مغموس بالنطرون والدهنيات.

٧- كانت الفكرة الرئيسية للتحنيط هي تجفيف الجثة لمنع الميكروبات اللاهوائية من النمو على أنسجتها، ومن ثم فقد كانت الجثة توضع بعد استخراج أحشائها وغسلها في كوم من النطرون الجاف، وربما ملح الطعام الجاف، على سرير التحنيط، وهو سرير مائل من الحجر في نهايته فتحة صغيرة تؤدى إلى حوض تجمع فيه السوائل التي تستخرج من الجثة نتيجة لعملية الانتضاح، وتستغرق هذه العملية سبعين يوماً يظل الجسم فيها مغموساً في النطرون، وقد ذكرت تلك السبعون يوماً على الآثار المصرية، ومن ثم فإننا نقرأ على غطاء تابوت بالمتحف المصرى "أنت يا من مكثت سبعين يوماً بالمنزل الجميل، سبعون يوماً راقداً في المكان، سبعون يوماً حداداً".

٨- تستخرج الجثة بعد ذلك من النطرون وتغسل بالماء وتجفف بالمنشفات ، وقد تغسل بسائل آخر مثل نبيذ التمر، وكانت الأصابع غالباً ما تصبغ بالحنة ، كما كان يحشى تجويفا الصدر والبطن بمواد مثل الانسيون والمر والكاشية (خيار شبر) ومواد عطرية أخرى، فضلاً عن الكتان أو الكتان المغموس في الراتنج، وبالنشارة المشبعة بالراتنج أو بالتراب والنطرون، وقد يضاف إلى ذلك بصلة أو بصلتان، ثم كانت تشد حافتا الشق البطنى إلى جانب بعضهما، ويثبت على الشق لوح معدنى أو من شمع النحل على شكل عين حورس، ثم يثبت هذا اللوح المعدنى في موضعه على الشق براتنج منصهر لسد شق البطن، وأحياناً كان الشق يخاط بخيط من الكتان.

٩- يدهن كل جسم المتوفى بزيت الأرز ودهانات عطرية أخرى ، وكذلك كل سطحه بمسحوق المر والقرفة لإكسابه رائحة عطرة.

١٠- تسد فتحتا الفم والأنف والأذنين بقطع من قماش الكتان المغموس في الراتنج المصهور، أما العينان فكان يوضع بكل منهما قطعة من هذا القماش المشبع بالراتنج تحت الجفن ثم تجذب الجفنان على الحشو، لكى تبدو العينان غير غائرتين، وإنما في شكلهما الطبيعى في الحياة بقدر المستطاع، وفى عهد الأسرة الحادية والعشرين استعملت العيون الصناعية وحشيت العضلات بالراتنج وبالكتان مع الراتنج للحفاظ على الشكل الظاهرى، أما القطران فقد استعمل بعد ذلك وحده أو ممزوجاً مع الراتنج.

١١- تعالج الجثة كلها براتنج منصهر بواسطة فرشة عريضة لإكساب الجثة صلابة ولسد مسام الجسم حتى لا تتعرض أنسجته لتأثير الرطوبة مرة أخرى، ومن ثم لا تتمكن بكتريا التعفن من العيش على أنسجته.

١٢- تزين جسم المتوفى بالحلى ، وقد وجدت على مومياء توت عنخ أمون ١٤٣ قطعة من الحلى المختلفة من الخواتم والأقراط والعقود والأساور والصدريات والتمائم المختلفة ، كما وضعوا في بعض الأحوال حزاماً من الخرز في وسطه دلاية على شكل صقر جاثم من العقيق الأحمر بحيث يقع فوق شق التحنيط كتميمة لحماية الشق ووقايته، ثم يلف الجسم كله بلفائف من الكتان التى تلصق بعكسها بالراتنج المعطر ، وقد لفت جثة توت عنخ أمون بست عشرة طبقة من الكتان.

١٣- تجرى على المومياء بعد انتهاء كل العمليات السابقة والطقوس التى تصاحبها عملية "فتح الفم" التى يلمس فيها الكاهن الأعظم فم المومياء بقضيب خاص ويقول له "أنت الآن ترى بعينيك ، وتسمع بأذنيك، وتفتح فمك لتتكلم وتأكل، وتحرك ذراعيك وساقيك، أنت تحيا ، أنت الآن حى ، وقد عدت صغيراً مرة أخرى ، وستعيش إلى الأبد".

تحوت :

كان تحوت (تحوتى أو جحوتى كما ينطق في المصرية) هو المعبود الذى نسب اليه القوم أصول

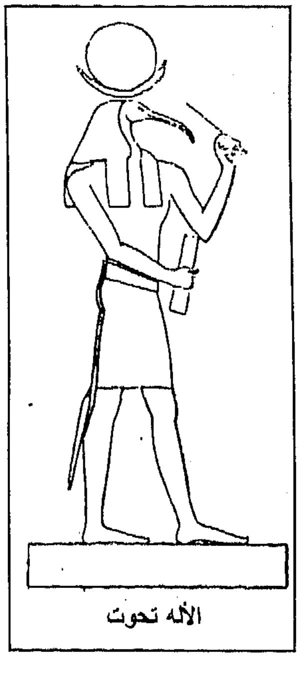

الأله تحوت

الحكمة والحساب ورعاية الكتاب والكتابة والفصل فى القضاء، كما اعتبروه كاتبا أعلى ووزيرا، ونائبا لمعبودهم الأكبر رع، فهو الأله الذى يقسم الزمن إلى شهور، وهو الذى ينظمها، أى ينظم شئون العالم وإذا كان إله الشمس هو حاكم العالم، فإن تحوت هو أعظم الموظفين شأنا، هو الوزير الذى يقف بجانبه على سطح سفينته ليتلو عليه شئون الدولة، وهو القاضى الذى يحكم فى السماء، ويقضى فى منازعات الآلهة، ويتنبأ للآلهة والبشر بما سيحدث لهم، وهو الذى يشيد المدن ويضع حدودها، ثم هو العالم سيد الكتب ورب كلمات الآلهة، أى الكتابة المقدسة، وهو الذى أعطى الناس الكلمات والكتابة وعلم الكتاب الحساب الصحيح، ولما كانت الرياضة والفلك مرتبطة عند القوم بالسحر والكهانة، فقد كان تحوت سيد السحر الكبير، وعندما كان وزيراً لأوزيريس، فقد علمه فنون الحضارة، كما علم إيزيس التعاويذ التى جعلتها جديرة بلقب "الساحرة الكبيرة"، التى مكنتها من إعادة الحياة لأوزيريس، فضلا عن شفاء جميع الأمراض التى عانى منها طفلها حورس، كما تمكن تحوت نفسه، بعون من رع، من طرد السم القاتل الذى وضعه ست للطفل حورس، وقد تمكن كذلك، بصفتة الها للطب، من إعادة عين حورس التى استطاع ست أن ينتزعها، وهو فى هيئة خنزير أسود، هذا وقد عرف تحوت على أنه كاتب الآلهة ومعلن قراراتهم، ومن ثم فقد اعتبر رسول الآلهة، ولهذا فقد وحد مع "هرمس" فى العصر اليونانى ونظراً لكونه كان كاتبا لرع فقد عبده الكتبة وكل المثقفين فى مصر، بما فيهم الكهنة، واتجهوا فى بعض الأحايين إلى تضخيم دوره، ومن ثم أعلنوا بأن الفرعون المتوفى يتحد مع رع خلال النهار، ويتحد مع تحوت (القمر) خلال الليل، ومع ذلك ففى أثناء العهود التى ساد فيها أمون رع أصبح تحوت الها للحكمة وكاتباً، وغدت وظيفته كاله للقمر عديمة الأهمية.

هذا وقد رمز القوم إلى تحوت بثلاث كائنات حسية، رمزوا إليه بالطائر أبيس (أبو منجل) أو رأس أبيس على جسد أدمى، ولكنه كان من الممكن أن يكون كذلك قرداً، أو أن يبرز نفسه كقمر ثم سرعان ما خرج القوم بتأويلات عدة عن روابط تحوت بهذه الرموز، ففسروها بعضهم على أساس التشابة الوظيفى بين تحوت رب الحساب، وبين القمر على أساس حساب الشهور والليالى، ثم على أساس التشابة الوظيفى كذلك بين تحوت نائب رع ووزيره فى مجمع الآلهة وبين القمر نائب الشمس وبديلها فى ليالى السماء، بينما فسرها بعض آخر على أساس التشابه المظهرى فى التقوس اليسير الذى يظهر به كل من عرجون القمر أو هلاله، ومنقار أبى منجل، وريشة الكتابة التى يستخدمها تحوت رب الكتابة والميزان، هذا وقد فسرها فريق ثالث على أساس تشابه الخصال بين تحوت رب الحكمة ومايستتبعها من الرصانة والوقار، وبين ما يتبدى من حكمة القرد العجوز، الفطن بين الحيوانات، ورصانة أبى منجل بين الطيور، حين يتهادى فى تؤدة وتثاقل، ويطيل بحثة عن ديدان الأرض، وكأنه الرمز الحى للرصانة والصبر، ويكون فيما يفعله خير للفلاح وأرضه، وتقبلها فريق رابع، على أساس التنوية بكرامه تحوت حين يرسل طيوره (أبو منجل) إلى مشارف الدلتا فى أسراب كثيرة خلال مواسم تهب فيها العواصف عليها من الصحراء محملة بديدان وحشوات، فتتلقفها تلك الطيور، وتقى الناس والزرع أضرارها بأمر ربها.

هذا ويذهب بعض الباحثين إلى أن عبادة تحوت أنما نشأت أولا فى الدلتا، فى الإقليم الخامس عشر، ربما فى هرموبوليس بارفا، ثم وجد له موطنا جديداً بعد ذلك فى الأشمونين (هوموبوليس ماجنا)، على مبعدة ١٠ كيلو شمال غرب ملوى، حيث أصبحت بعد ذلك المركز الرئيسى لعبادته فى مصر كلها، هذا وقد ظهرت عبادة تحوت منذ عصور ما قبل الأسرات، حيث صوره القوم على رؤوس الصولجانات واللوحات، كما ظهر رمزه على هيئة طائر الأبيس على بعض بطاقات الأسرة الأولى، وأن نسب إليه الكهنة فى الأشمونين فضل خلق العالم، بعد أن خلق نفسه بنفسه، فهو أذن الموحد الأول والخالق الأول، الذى خرجت منه الآلهة جميعا، وقد أعتبر كذلك الأله الصديق الوفى للآلهة وبنى الإنسان.

تحوتى :

أحد قواد تحوتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشرة، وردت عنه قصة مثيرة أعتبرت فيما بعد من القصص الشعبى أنتقلت إلى أداب شعوب أخرى ولعلها الأصل للقصة الشعبية: "على بابا والأربعون حرامى"

وتتلخص قصة تحوتى القائد أنه فشل فى الاستيلاء على مدينة يافا بعد حصار طويل ولجأ إلى الحيلة والخديعة ، فأوهم أمير يافا أنه يريد المهادنة وخيانة سيدة فرعون مصر وبعد أن صدقة الأمير قبل أن يذهب ومعه زوجته وأبنه إلى معكسر تحوتى للأتفاق على تفاصيل الاستسلام، وأثناء الحديث أسرع بعض الضباط من المصريين بتقييد أمير يافا ونفذ تحوتى حيلته بأن وضع مائتى جندى مدججين بأسلحتهم فى مائتى غرارة وأختار خمسمائة جندى لحملها إلى داخل المدينة مدعيا أنها جزية يقدمها إلى أمير المدينة. وسار الموكب يتقدمه سائق عربة الأمير حتى دخلوا المدينة وهنا هاجموا أهلها واستولوا عليها وأسروا أعدادا كبيرة منهم. وأرسل تحوتى إلى ملكه تحوتمس الثالث رسالة يقول فيها. "فلتهنأ ! لقد سلم إليك والدك أمون العظيم أمير يافا وكل قومه ومدينته كذلك. أرسل رجالا ليحملوهم أسرى حتى تملأ معبد أبيك أمون ملك الآلهة بالعبيد ذكوراً وأناثا، أولئك الذين أصبحوا صرعى تحت قدميك إلى أبد الآبدين".

ورد هذا النص على بردية هاريس رقم ٥٠٠ المحفوظة فى المتحف البريطانى.

التسلية والترفية :

لم تكن حياة المصريين كلها كداً وتعباً كما تصور لنا الكثير من النقوش، بل كثيراً ما كان يلجأ المصرى إلى المرح واللهو البرئ. حقيقة ، لم تكن هناك دور لهو أو ملاه بالمعنى المعروف لدينا الآن، ولكن مع ذلك فقد تعددت لدى المصريون ألوان التسلية التى يمضون بها أوقات فراغهم وكثرت وسائل الترفيه التى تخلق السرور وتبعث على البهجة؛ نذكر من تلك الألوان والوسائل:

الأشتراك فى الأعياد والمواكب :

تعددت أعياد المصريين، وخاصة فى عهد الدولة الحديثة ، فهناك الأعياد الزراعية كعيد رأس السنة وعيد الحصاد وعيد الفيضان، وهناك الأعياد الدينية كمواكب أمون وأعياد الآلهة المختلفة وأعياد الجبانه، ثم أعياد فرعون كالإحتفال بتتويجه والعيد الثلاثينى. وكانت معظم هذه الأعياد فى مبدأ الأمر ذات طابع دينى، ولكنها لم تلبث أن تحولت إلى فرص لإقامة الإحتفالات الكبيرة والمواكب الضخمة.

وكان المصرى حريصاً على المساهمة فى تلك الأعياد، يستقبلها بمظاهر البهجة والسرور ويشارك فيها بكل جوارحه ، يخرج مع أسرته لمشاهدة المواكب، ويصلى صلوات الحمد والشكر، وينشد الأناشيد مع المنشدين، وقد يرقص رقصاً يعبر عن السرور والأمتنان.

وقد كثرت أعياد الفراعنة ، يخلقون لها الأسباب والمبررات، وتميزت بما شاع فيها من ألوان الترف والتبرج، وبما طغى عليها من إتجاهات لتمجيد فرعون وأعلاء شأنه فى نظر شعبة ، وربطه بركب الآلهة ، ووصل حاضره ومستقبله بماضى أسلافه الأمجاد.

وكان أهم تلك الأعياد عيد الأحتفال بتتويج فرعون وجلوسه على العرش. وكانت تتلى فى هذا العيد صلوات خاصة، وتجرى طقوس دينية متوارثة، وقد حرص فراعنة الدولة الحديثة بوجه خاص على أن يظهر فرعون فى هذا العيد على رأس موكب عظيم يحمل الكهنة فيه تماثيل الفراعنة مينا ومنتوحتب الثانى وأحمس، وهم الذين وحدوا البلاد وبدأوا عصور نهضتها الكبرى وعلى أن يشرق فرعون أمام شعبه المبتهج السعيد. والواقع، أنه قد كانت لحفلات التتويج أهمية كبيرة، فهى إلى جانب كونها أحتفالا بارتقاء الملك لعرش بلاده، كانت بمثابة تخليد لذكرى قيام وحدة وادى النيل تحت تاج فراعنته.

ومن أعياد فرعون الهامة "العيد الثلاثينى" أو "حب سد" فى لغة قدماء المصريين. ولم يكن من الضرورى ليحتفل بهذا العيد أن يحكم فرعون ثلاثين عاماً ، بل هو عيد يقام بعد مرور جيل من الزمن على جلوس فرعون على العرش ويحتفل فيه بتجديد حيوية الملك ونشاطه، حتى يمكنه أن يحكم مدة أخرى بنفس القوة والقدرة، ويمثل فيه أرتقاؤه للعرش. وقد سجلت لنا نقوش إحدى مقابر النبلاء بطيبه من عهد الدولة الحديثة الإحتفال بذلك العيد أحسن تسجيل. وأبرزت ما تجلى فيه من بهجة وروعة، فأقيمت الولائم فى القصور ووزعت العطايا وأحتفل باتصال ركب فرعون إلى سلم العرش. وكان من عادة الفراعنة الإحتفال بذكرى ذلك العيد بعد أحتفالهم الأول به.

وقد أهتم فراعنة الدولة الحديثة بتنظيم أعياد ومواكب النصر بعد عودتهم من حملاتهم المظفرة فى آسيا، فيقدمون القرابين شكراً للآلهة على ما أولوهم من قوة ومن نصر على الأعداء، ويكرمون قواد الجيش ويحتفلون بالإنعام عليهم. وكان مما لايغفل المصرى عن مشاهدته موكب الجيش المصرى وهو عائد من حملته الموفقة فى الشمال أو الجنوب، تتقدمه العجلات الحربية، بمنظرها الأخاذ وبريق معدنها الخاطف، وتسير فى مؤخرته جيوش الأسرى من الأعداء، وقد هرع لإستقباله رؤساء الكهنة وكبار رجال الدولة بينما أخذت الشعب المصطف على جانبى الطريق نشوة النصر والفخار.

والواقع أنه قد كان لتلك الأحتفالات والمواكب أثرها الفعال فى بث روح الجندية فى المصريين، ورفع الروح المعنوية للشعب. ومن خير الأمثلة لتلك الأعياد الحفلات الكبرى التى أقيمت أبتهاجاً بانتصار تحتمس الثالث فى موقعه مجدو الفاصلة، وكذا أعياد النصر التى تلت معركة رمسيس الثانى الرهيبة عند قادش.

إقامة الحفلات والولائم:

لم يقنع سراه المصريين بما كان يقام فى الأعياد من حفلات، ولكنهم كانوا يخلقون الفرص التى تهيئ لهم المآدب والولائم ومجالس السمر والحفلات الخاصة. وطالما شهدت منازل هؤلاء السراة ولائم رائعة يدعى إليها عشرات الصحاب والخلان والجيران لقضاء "يوم سعيد" لدى الداعى، حيث يتجاذبون أطراف الحديث، ويطعمون أطيب الأطعمة، ويشربون الجعة والنبيذ، ويستمتعون بسماع الموسيقى والغناء ومشاهدة الرقص، بينما يقوم خدم المضيف بخدمتهم ورعايتهم، فيحملون إليهم صحاف الطعام وسلال الفاكهة، ويملأون له أكواب الشراب ويقدمون لهم الزهور أو يتوجون بها شعورهم أو يحيطون بها أعناقهم، ويضمخونهم بالدهون والعطور، فى حين تقبع حيواناتهم الأليفة وخاصة القطط تحت مقاعدهم.

وكانت النساء يحضرن تلك الحفلات مع الرجال. ومع أن الحياة الإجتماعية للمرأة كانت أكثر تحرراً عند المصريين القدماء منها فى كثير من المجتمعات فى عصرنا الحالى، إلا أن الرجال العزب لم يختلطوا بالنساء فى تلك الحفلات بحرية، كما تتيح لهم الحضارة الحديثة، فقد مثل الأزواج جالسين بجانب زوجاتهم، فى حين يجلس غير المتزوجين من الرجال والنساء فى صفوف خاصة لكل جنس.

وكثيراً ما نرى فى النقوش آنية توضع تحت المقاعد — على سبيل الاحتياط خشية إفراط بعض المدعوين أو المدعوات فى الطعام أو الشراب، ومن الطريف أن إحدى الصور قد مثلت لنا سيدة أفرطت إفراطاً كبيراً فى تناول الشراب حتى غلبها القئ فأسرعت إليها الخادمة بإناء تفرغ فيه ما يملأ جوفها من طعام أوشراب.

وكانت تبدو فى هذه الحفلات، وخاصة فى عصر الدولة الحديثة حين أزداد ثراء المصريين ، مظاهر الترف والبذخ فى الرياش والثياب والطعام كما كانت تسبغ الموسيقى على جو تلك الحفلات روح السمر والمتاع اللطيف. لقد كان المصريون عن طريق هذه الحفلات والولائم يقضون أوقاتاً طيبة ممتعة بين أفراد العائلة ووسط الأصدقاء والمعارف ، مما يدل على رقى العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع فى ذلك الحين، وعلى ولع المصريين بالفنون الرفيعة من موسيقى وغناء ورقص.

وليمة أحد كبار رجال الدولة

الموسيقى :

وقد عرف المصريون بحبهم للموسيقى، وإقبالهم عليها، يستوى فى ذلك العامة والخاصة، كما احتلت مكانه رفيعة فى قلوبهم، فقدروا الفن والإلهام، وشغفوا بالنغمة العذبة واللحن الجميل.

وقد أستخدم المصريون آلات موسيقية متنوعة منذ أقدم عصورهم. وكانت هذه الآلات فى بادئ الأمر مصرية صميمة محدودة الأنواع ، ولكن بعد أن أزداد أتصال المصريين بالشعوب الأسيوية المجاورة تطورت الآلات تطوراً كبيراً ، ودخلت إلى مصر بعض الآلات الأجنبية.

ويمكن تقسيم آلات المصريين الموسيقية إلى ثلاث مجموعات رئيسية، الآلات الوترية، آلات النفخ، ثم آلات الإيقاع. ويعد الجنك أقدم الآلات الوترية وأكثرها

موسيقيتان تلبس كل منهما نقبة شفافة وقد رسم الفنان واحدة منهما إلى الأمام بدلا من الرسم التقليدى من الجانب

شيوعاً. وهو عبارة عن صندوق خشبى للصوت يخرج منه عدد من الأوتار العمودية الإتجاه والمثبتة فى طرف الآلة وقد تعدد أنواع الجنك وإختلفت أحجامه وتطورت أشكاله. ومن أقدم أنواعه نوع مقوس متوسط الحجم يوضع على الأرض مباشرة أو يثبت فوق قاعدة. يلعب عليه الموسيقى وهو جالس. ثم أستخدم بعد ذلك نوع ضخم، رائع الزخرفة والنقش، قد يزيد إرتفاعه على قامة الإنسان يعزف عليه الموسيقى وهو واقف.

أما الكنارة فهى آله خشبية أسيوية الأصل، تمتد أوتارها، التى تبلغ خمسة فى العادة ، متوازية بين صندوق الصوت وإطار خشب ، وتعلق أفقية أو رأسية أثناء العزف. كذلك إستخدم المصريون الطنبور، وهو آله ذات صندوق صوتى بيضى الشكل، تمتد منه رقبة طويلة، قد تقصر فى بعض الأحيان، حتى ليشبه شكل تلك الآله العود الحالى. وكانت تحمل على الصدر فى وضع أفقى كما يستخدم الكمان الآن أو فى وضع رأسى كما تحمل الربابة ويستخدم للعزف على الطنبور ريشه يلعب بها على أوتاره الثلاثة أو الأربعة.

موسيقتان تلعبان على الة وترية وقد أخذت كل منهما تحرك قدميها على أنغام الموسيقى بينما أخذت الثالثة تتمايل فى حركات راقصة عنيفة

أما آلات النفخ فاهمها المزمار الذى تعددت أنواعه، فأستخدم نوع قصير يستعمل فى وضع أفقى وآخر طويل يستعمل فى وضع رأسى مع ميل قليل إلى الخلف. ثم ظهر بعد ذلك المزمار المزدوج وهو يتكون من مزمارين يتقابلان عند الفم ويتباعد كلما بعدا عنه.

وتعد آلات الإيقاع من أقدم الآلات الموسيقية فى مصر، ومن أهم أنواعها المصفقات المعدنية والخشبية التى تحدث صوتاً عند قرع بعضها ببعض كالصنوج والمقارع والعصى المصفقة. أما الدفوف فكانت تتكون من إطارت خشبية مستطيلة الشكل فى الغالب، تغطيها جلود رقيقة وتستخدم بوجه خاص مع الرقص. وكانت الطبول أسطوانية الشكل من الخشب أو المعدن تعلق على الكتف حين الضرب بها. وكثيراً ما كان يصحب التصفيق بالأيدى بعض أنواع الموسيقى وخاصة إذا

أقترنت بالغناء والرقص، كذلك استخدم المصريون الصلاصل، وهى مصنوعة فى أغلب الأحيان من إطار من المعدن على هيئة حدوة حصان تخترقه بعض القضبان الرفيعه، التى تحدث رنيناً عند تحريكها. وكان إستخدامها مقصوراً على النساء وللأغراض الدينية.

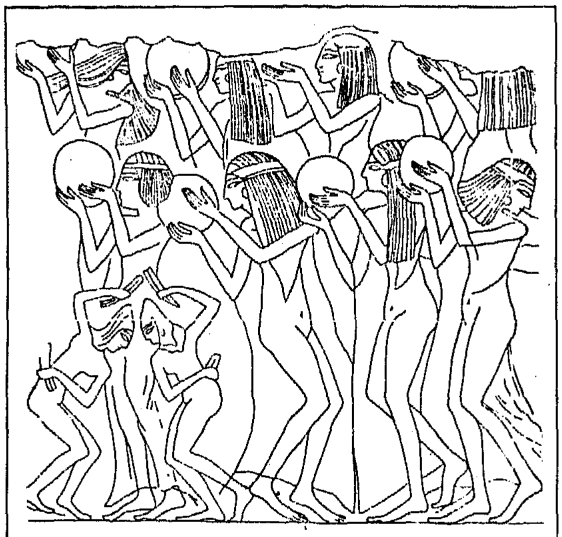

حفلة موسيقية

وقد ولع المصريون بتناول الطعام على نغمات الموسيقى، كما أنتشرت عادة إحضار فرقة موسيقية كاملة، لتعزف للضيوف وتساهم فى الرقص والغناء أثناء الحفلات والولائم. وقد تكونت هذه الفرق فى بادئ الأمر من الرجال، ثم أزداد بمرور الأيام عدد النساء فى تلك الفرق حتى أقتصر بعضها عليهن فقط. وقد شكلت تلك الفرق فى الدولة القديمة من واحد أو أكثر من ضاربى الجنك وعازفى المزمار وضابطى الإيقاع والمغنين أما فى الدولة الحديثة فقد أضيف إليهم ضاربو الدفوف والعازفون على الطنبور والكنارة. وكان بين الموسيقيين والمغنين، وخاصة لاعبى الجنك عدد كبير من مكفوفى البصر، ومع ذلك فلم يكن كل الموسيقيين محترفين، فقد هوى الكثير من المصريين العزف على الآلات الموسيقية والغناء. وفى منظر بمقبرة "مرروكا" أحد نبلاء الدولة القديمة بسقارة، نراه وقد جلس جلسة هادئة مسترخية، يستمع إلى غناء زوجته وعزفها على الجنك.

وكان لقصر فرعون فرقة موسيقية خاصة، كما كان للموسيقى مكانتها فى المعبد، عند إقامة الشعائر الدينية، وكذا فى الجنازات وفى الأعياد والحفلات العامة. وقد أمتلأت النقوش الخاصة بالمعارك الحربية بصور الجنود ينفخون فى الأبواق أو يقرعون الطبول.

ويلاحظ على الموسيقى المصرية القديمة أرتباطها القوى والمنطقى فى نفس الوقت بالغناء والرقص ، وهو أرتباط يجعل من الصعب على الإنسان فصل أحدهما عن الآخر.

وقد أهتم المصريون بضبط الإيقاع إهتماماً فائقاً، مما ساعد على توقيت النغم وتنظيم حركات التوقف وأنتقال اللحن. وكان يستخدم فى سبيل ذلك التصفيق أو رفع الأيدى والأذرع أو إخراج أصوات عن طريق تحريك الأصابع.

كذلك تميزت الموسيقى المصرية القديمة بتطورها وتقدمها جيلا بعد جيل. وقد كانت هادئة رتيبة فى عهد الدولة القديمة، ثم مالت إلى العنف والضجيج أيام الدولة الحديثة، حين أستخدم الجنك ذو العشرين وتراً والمزمار المزدوج والطبول والدفوف القوية. ولكنها مع ذلك ظلت دائماً متمسكة بطابعها الخاص وذوقها الرفيع، الذى أثار إعجاب الزائرين من الإغريق القدماء.

الغناء :

وقد لازم الغناء الموسيقى فى كثير من الأحيان وكان المصرى القديم يغنى فى البيت والطريق ، وأثناء العمل، وفى كل مكان ، وعند كل مناسبة وكان من عادة بعض المغنين رفع أيديهم إلى آذانهم عند الغناء ، بينما يتابع الحاضرون الأنغام بالتصفيق.

وقد دونت أغان كثيرة على البردى أو نقشت بجانب الصور ، وكان منها مايتصل بالحب والغرام فيتغزل المحب فى حبيبته غزلا ساذجاً صادق العاطفة خالياً من

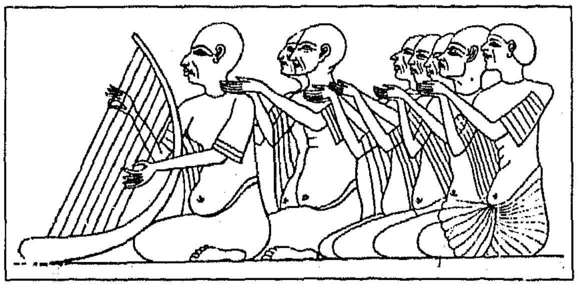

الصنعة والتكلف ، ويتغنى بجمالها وحسنها ومنها غناء شعبى يتصل بالعمل ، يغنيه الفلاح والعامل والراعى أثناء مزاولته لعمله الشاق.

فكانت هناك أغان خاصة بالحرث والحصاد والدرس وعصر النبيذ ورعى الأغنام والتجديف وصيد السمك، كما كانت هناك أناشيد تنشد فى المعابد أو أثناء الطقوس الجنائزية أو فى مناسبات الأعياد وفى مواكب النصر.

وقد ترك لنا المصريون من أغانى الحب والغزل، التى تحوى من العاطفة الملتهبة والحس المرهف والشعور الرقيق ، وتجيش بطوفان من الانفعالات النفسية ما لا يزال يحرك القلوب ويهز المشاعر ، رغم أن أصحابها قد واراهم التراب منذ آلاف السنين.

وقد تحدثوا فى هذه الأغانى التى تشبه نظائرها فى أى بلد آخر عن الشوق إلى المحبوب، والرغبة فى الوصال القريب الذى يمنح الصحة والقوة والسرور، وعن قسوة الفراق التى تعذب الحبيبة ولا تشعرها بأى لذة فى الحياة ، كما حضت بعض الأغانى على الأستمتاع بالحياة بقدر المستطاع.

وقد رمزوا فى تلك الأغانى إلى الحبيبة أو الزوجة بالأخت ، ولم يقصدوا بذلك إلى ما فى مفهوم تلك الكلمة الآن من رابطة الدم. وفى هذا التعبير سمو فى المعنى، يرتفع بعاطفة الحب إلى مستوى عاطفة الأخوة من حيث النقاء والطهر.

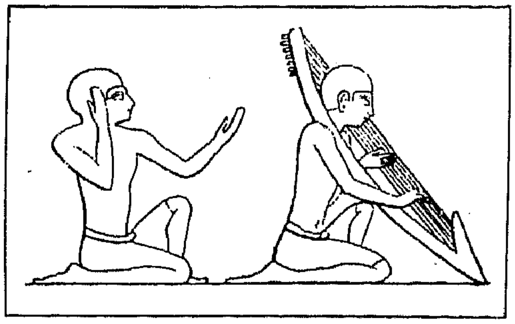

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن المصرين لم يعرفوا التمثيل بمعناه المعروف لدنيا الآن ، فلم تكن الرواية التمثيلية المصرية سوى طقس دينى يقوم به الكهنة فى مناسبات خاصة. ومن أشهر تلك التمثيليات تمثيلية "حورس وست" التى كانت تمثل فى معبد أدفو والتى تصور قصة الحرب بين الإله "حورس" وعمه "ست" التى انتهت بانتصار حورس وتتويجه ملكاً على البلاد.

الرقص :

احتل الرقص مكانة كبيرة فى حياة المصريين القدماء، ولعب دوراً هاماً فى مجتمعهم، فهم لم يقبلوا عليه رغبة فى اللهو أو التسلية أو الترفيه عن النفس فحسب بل اتخذوا منه أيضا سبيلا لعبادة الخالق، وعدوه مظهراً من مظاهر التعبير عن سرورهم وامتنانهم بما أنعم الله به عليهم من نعمه.

وكان الرقص المصرى القديم جميلا رقيقاً منسقاً، يخلو من تلك الحركات الاهتزازية العنيفة، التى يمارسها البعض الآن ويزعم أنها رقصات مصرية قديمة، فعلى النقيض، قد كانت الحركات المعبرة والإيماءات الرشيقة هى الطابع المميز لأسلوب الرقص فى مصر القديمة.

وقد تنوع الرقص وفقاً للمناسبات والأغراض التى يقام من أجلها. ويمكن تصنيف الرقصات المصرية القديمة إلى أنواع كثيرة، منها الرقص الإيقاعى أو الحركى، وهو يتمثل فى حركات منتظمة متكررة يقوم بها جماعة من الفتية أو الفتيات ويضبط إيقاعها التصفيق أو قرع المصفقات كالصنوج والعصى المصفقة. وتبدو هذه الرقصات هادئة مهذبة ، إذ تخطو الراقصة فى خطوات بطيئة بحيث لا تكاد يرتفع قدماها عن الأرض، مع رفع الذراعين وضمهما فوق الرأس.

ويتصل بهذا النوع من الرقص بعض التشكيلات الرياضية والحركات الأكروباتية التى يمكن تسميها تجاوزاً بالرقص الرياضى أو الأكروباتى حيث اختار الراقصون أو الراقصات حركات أكثر صعوبة وأشد أجهاداً من حركات الرقص الحركى. ولا يقدر كل فرد على ممارسة هذه الحركات لأنها تتطلب مرونة جسمانية كبيرة وتحتاج إلى تدريب طويل شاق، كأن تقف الراقصة على ساق واحدة وقد رفعت الثانية إلى أعلى أو أن يصعد راقص فوق أكتاف زملائه مكوناً شكلا هرمياً أو تنثنى الفتيات إلى الخلف بأجسامهن حتى يلمسن الأرض بأطراف أيديهن.

وهناك الرقص الزوجى، ولا نقصد به الرقص الزوجى المتعارف عليه الآن، فلم نعثر على صورة مصرية قديمة واحدة تصور رجلا وامرأة يرقصان متلاصقين ، فأزواج الراقصين فى مصر القديمة كانت تتكون إما من رجلين وإما من امرأتين تمارسان حركات مماثلة تهدف إلى إثارة إعجاب المشاهدين بما

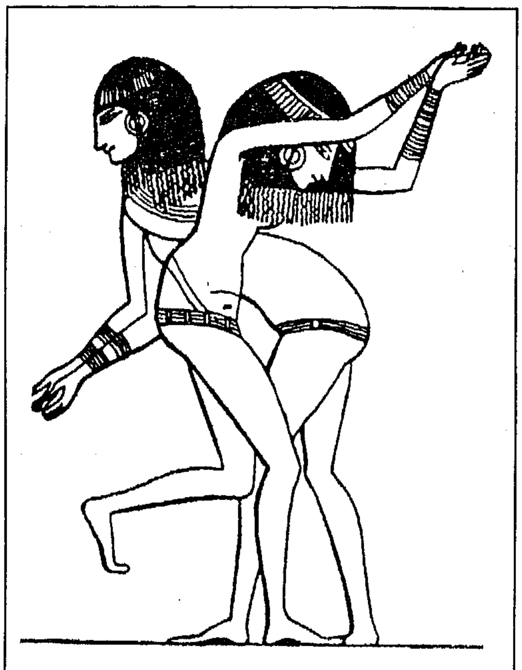

رقص ترفيهى

تتضمنه من تناسق حركى تام. أما الرقص الجماعى فنقصد به رقص أشخاص يمارسون حركات مماثلة تخلب لب النظارة بتكرار إحدى الحركات بشكل يماثل تعاقب وحدة معينة فى الزخرفة. أما رقص المحاكاة فيهدف إلى أن يحاكى الراقصون حركات الحيوانات أو النباتات أو الظواهر الطبيعية، وهو يهدف عند الشعوب البدائية إلى استمالة الحيونات أو استحضار ظواهر طبيعية معينة كاستنزال المطر بغية الحصول على حصاد وفير، ولعلة عند الشعوب المتحضرة يهدف إلى إدخال السرور على قلب النظارة، إما لما يحتويه من عناصر التهريج، وأما لإعطائهم الفرصة للحكم على مدى نجاح الراقصين الذين يمارسونه فى محاكاة ما يريدون تقليده. ومن خير أمثلة هذا النوع من الرقص ذلك المنظر الذى مثل على جدران إحدى مقابر بنى حسن حيث رمزت فتاة واقفة باسطة ذراعيها إلى حركة الريح بينما ترمز الفتاتان الماثلتان أمامها بانثناءاتهما إلى النباتات المتمايلة بفعل الريح. وقد

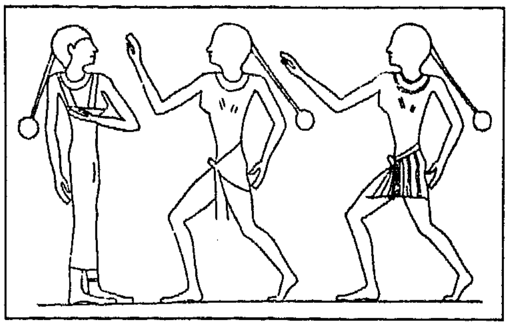

اتخذ الراقصون فى بعض الرقصات أوضاعاً تشبه أوضاع الكلاب الصيد عند تأهبها للمطاردة أو قلدوا بأذرعهم قرون البقر.

وقريب من رقص المحاكاة نوع آخر هو الرقص التمثيلى ، الذى يشبه اليوم ما يعرف بالباليه أو اللوحات الحية ، ويهدف إلى تمثيل الحوادث التاريخية أو قصص الحياة ومظاهرها المختلفة ويمكن إدخال جانب كبير من الرقص الدينى ضمن هذا النوع. ومن أمثلة هذا النوع تلك الرقصة التى يمثل فيها أحد الراقصين الملك وهو يقبض بيده اليسرى على ناصية عدو راكع أمامه بينما ارتفعت يده اليمنى لتحطم رأس العدو ، وهى صورة تشبه النقش الذى يمثل جهاد الملك نارمر على لوحته الشهيرة عند توحيده للبلاد. وصورت رقصة تمثيلية أخرى يقوم بها ثلاث راقصات ارتدت إحداهن ملابس النساء وقد مثلت فى وضع هادئ وكأنها تنصت للراقصتين الأخرتين اللتين ارتديتا ملابس الرجال واتخذتا وضعاً مماثلا يرمز إلى مناجاة الفتاة الواقفة أمامهما والتسابق على طلب ودها.

وعرف المصريون الرقص الموسيقى، وكان فى أيام الدولة القديمة هادئاً ، تخطو فيه الراقصات الواحدة وراء الأخرى فى خطوات بطيئة بحيث لاتكاد ترتفع أقدامهن عن الأرض، مع تحريك أيديهن، فى حين تصفق أخريات مع أقدام الراقصات، كما كان الجنك والمزمار يؤلفان المصاحبة الموسيقية. أما فى عصر الدولة الحديثة فقد تحول هذا النوع من الرقص إلى رقص سمر تمايل فيه الفتيات فى رشاقة ودلال، وهن يقمن بحركات بارعة بالأذرع والجذع والسيقان، ويلعبن فى نفس الوقت على الطنبور أو يعزفن بالمزمار. وكان هذا اللون من الرقص يمارس عادة فى المآدب والحفلات لتسلية الضيوف، كما اقتنى السراة فى منازلهم فتيات يجدن هذا اللون من الرقص.

أما الرقص الدينى فقد كان جزءاً لا ينفصل عن الخدمة الدينية ، كما هو الحال فى معظم الأمم القديمة. لقد كانت للآلهة – فى عقيدتهم – كافة خصائص البشر، وهم يبتهجون بالرقصات الجميلة كما يبتهج لها البشر. وكانت النسوة المشتركات فى الرقصات التى تحيط بموكب الآلهة يقرعن الطبول ويلوحن بالأغصان، هادفات بذلك إلى طرد الأرواح الشريرة التى قد تعوق سير الموكب بنواياها العدوانية.

وكان الرقص الجنائزى شديد الأهمية فى اعتقاد المصريين القدماء، حتى لقد وصى الكثيرون منهم بعدم إغفال الرقص عند تشييع جنازاتهم. وكان جانب من الرقص الجنازى يشكل جزءاً من الطقوس الدينية الجنازية، بينما يهدف جانب آخر منه إلى تسلية الميت وإدخال السرور على قلبه وإلى طرد الأرواح الشريرة

سيدة تعزف على الهارب

التى تؤذيه. كذلك مارس المشيعون والمشيعات للجنازة بعض الرقصات كمظهر من مظاهر الحزن على المتوفى. ومن أشهر الرقصات الجنازية تلك التى صورت فيها الراقصات يتمايلن فى حركات وفقاً لضربات الدفوف، فى حين انفصل الرجال عن النساء وساروا فى خطوات متناسقة رافعين أذرعهم فى الهواء.

أما رقصات الحرب التى يمثل فيها الكر والفر والقفز والمبارزة ، فكان يمارسها بوجه خاص الجند المرتزقة من ليبيين ونوبيين وغيرهم ، وكانت بمثابة وسيلة للتسلية وللترفيه عن الجنود فى أوقات الراحة.

الخروج للمطاردة وصيد البر :

كان الصيد البرى رياضة لعلية القوم أكثر منه وسيلة لكسب القوت. والواقع أنه لم يكن للصيد – وخاصة صيد البر – شأن كبير فى الحياة المصرية القديمة ، إذ لم يكن هناك ما يقضى ترك المصريين لحياة الزرع المستقرة الهادئة، والأخذ بأسلوب شاق من أساليب الحياة، غير مضمون الربح.

وكانت الصحارى المصرية فى ذلك الوقت تأوى من الحيوان البرى أكثر مما تأوى الآن نوعاً وعدداً ، فصاد المصريون الثيران الوحشية والكباش والماعز والخنازير البرية والغزلان والأيائل والتياتل والوعول والأرانب والثعالب والنموس والقنافد وبنات آوى والضباع والأسود، كما اقتنصوا أحياناً الزراف والنعام والفيلة.

ورغم أن المصريون قد بلغ حبهم للصيد بأنواعه حداً كبيراً ، ومهروا فى القنص والمطاردة إلا أن ذلك لم يستتبع أن يكونوا أحراراً دائماً فى الانسياق وراء ذلك النوع من الرياضة، فقد كان لكل مقاطعة حيوانها المقدس الذى لا يجرؤ أى إنسان على مسه بسوء ، وقد مارس المصريون طرقاً كثيرة فى الصيد فاستعملوا السهام والرماح. واستخدموا طريقة الخية والحبل والأنشوطة، وطريقة الفخ. وقد استعانوا فى الصيد بالكلاب التى اقتنوا منها أنواعا ذات قدرة على اقتفاء الأثر ومهاجمة الفريسة دون خوف أو وجل، وإحضارها إلى الصائد دون أصابتها بضرر، وعنوا بتدريبها على القنص والمطاردة.

وقد أولع هواة الصيد بصفة خاصة بالأنطلاق إلى أودية الصحراء ، يطاردون فيها الحيوانات البرية مستخدمين القوس والسهام، والتى حرص الآباء على

تدريب أبنائهم الرماية بها منذ حداثتهم. بل لقد أولع المصريون بممارسة شد القوس وإطلاق السهام فى غير أوقات الصيد للتسلية وإظهار المهارة فى الرماية، بل لقد كان ذلك فناً أتقنه فراعنة الدولة الحديثة بوجه خاص، وتباهوا بتفوقهم فيه، وقد اشتهر الفرعون "امنحتب الثانى" بحسن الرماية والقدرة على إصابة الهدف بعد أن دربة على ذلك أحد رجال أبيه البارعين فى ذلك المضمار، وكان يدعى "مين" وأخذه بالمران منذ نعومة أظافره. وقد فاخر المصريون بقوة ذراع ملكهم، فزعموا أنه لم يكن هناك من الناس من يستطيع أن يشد قوسه غيره، كما روى عنه أنه أطلق يوماً أربعة سهام فاخترقت أربعة أهداف نحاسية سمك كل منها قرابة الثمانية سنتيمترات.

وكان هواة الصيد يخرجون فى باكورة الصباح يرافقهم عدد كبير من الخدم والأتباع ، الذين يحملون لهم الطعام والماء والأقواس والسهام. وكثيراً ما كان يلجأ هؤلاء الأتباع إلى إقامة شباك تحيط بمساحة من الأرض، يتركون أحد جوانبها مفتوحاً. ثم يطلقون كلاب الصيد فى أنحاء المكان لإخافة الحيونات وإثارتها ، بينما ينتشر الصيادون فى جهات متفرقة ، محاولين بواسطة سهامهم توجيه أكبر عدد من الحيونات إلى داخل تلك الشباك حيث يسهل صيدها.

وكان صيد البر رياضة محببة للفراعنة بوجه خاص. وقد صور "ساحورع" أحد فراعنة الأسرة الخامسة على جدران معبده الجنازى بأبى صير وهو يصطاد حيوانات الصحراء ، وقد وجهها أتباعه إلى رقعة محدودة، ليسهل عليه اصطياد أكبر عدد منها.

كما روى عن تحتمس الثالث أنه أخذ فى إحدى غزواته الأسيوية يستجم فى أراضى ما بين النهرين، ويسل نفسه بصيد الفيلة التى كانت ترتاد تلك البقاع فى تلك الأزمنة ، حتى بلغ عدد ما اصطاده منها مائة وعشرين فيلا. وقد تعرض فرعون فى إحدى مغامرات الصيد لخطر الموت عندما رمى بسهمه فيلا ضخماً دون أن يصيب منه مقتلا ، فاندفع الفيل الهائج نحوه، وكاد أن يفتك به لولا أن أسرع إليه أحد قواده، ويدعى "أمنمحب" فعاجل الفيل بضربة سيف قطعت خرطومه، وأنقذ بذلك ملكه من موت محقق.

وكان "تحتمس الرابع" من أكثر الفراعنة ولعا بالصيد فى صحراء الجيزة بالقرب من "أبى الهول". وقد أقام تلك اللوحة الجرانيتية المعروفة "بلوحة الحلم" بين مخلبى "أبى الهول" والتى دون عليها حلماً حلم به وهو نائم بجوار ذلك التمثال بعد أن أجهده الصيد، حين تمثل له إله الشمس، وطلب منه أن يزيح الرمال عن التمثال، ووعده بأن يكافئه بعرش مصر.

وكان ابنه "أمنحتب الثالث" من أكثر فراعنة الدولة الحديثة هواية للصيد وبراعة فيه. فقد ورد على الآثار أنه ولع بالخروج إلى الصحراء لصيد الأسود - وكان صيدها فى ذلك الوقت مما يفخر به الملوك - وأنه اصطاد منها فى خلال الأعوام التى انقضت بعد اعتلائه العرش مائة واثنين من الأسود ، كما روى عنه أنه علم ذات يوم بوجود قطيع من الثيران الوحشية تجوب إحدى المناطق الصحراوية ، فأسرع إليها ومن ورائه الأتباع ، وهناك أمرهم بإحاطة المكان بسياج يعوق هرب تلك الثيران ويحصرها فى مكان محدود ، ثم أخذ يرديها بسهامه دون كلل أو توقف ، حتى أسقط منها ستة وتسعين رأساً.

وقد مثل الفرعون "توت عنخ أمون" على غطاء أحد صناديقه بالمتحف المصرى وهو فى عربته يصيد الأسود فى ثبات ورباطة جأش منقطعى النظير ، بينما اندفعت بعض الأسود إلى الفضاء إثر إصابتها بسهامه أو هوت إلى الأرض ، وتسللت أسود أخرى هاربة لتنجو بنفسها. كما صور أيضاً وهو يصوب سهامه على بعض النعام وقد أطلق كلبه من ورائها.

أما الفرعون "سيتى الأول" فقد مثلته بعض النقوش، وقد غادر عربته وانطلق يصيد السباع وهو راجل، لا يصحبه سوى كلبه، مستخدماً فى ذلك رمحه.

وقد صور فى معبد مدينة هابو بالبر الغربى لطيبة منظر رائع للفرعون "رمسيس الثالث" ممتطياً عربته، يصرع الثيران الوحشية ، بينما مثل الفرعون فى منظر آخر وقد صرع أسدين واستدار ليواجه أسداً ثالثاً هاجمه من الخلف.

وتدلنا هذه الصور والمناظر، رغم ما بها من مبالغة فى إظهار جرأة فرعون وقوته، على ولع المصريين بصيد الحيوانات ومطاردتها وتقديرهم للمبرزين فى تلك الرياضة.

قضاء الوقت فى صيد الأسماك وقنص الطيور:

ولع المصريون بالنزهة فى فروع النيل وفى المستنقعات والبرك التى يتركها الفيضان ، مستخدمين فى أغلب الأحيان قوارب خفيفة مصنوعة من سيقان البردى، مصطحبين معهم زوجاتهم وأولادهم وخدمهم. وكانت تنتشر على سطح المياه فى تلك العصور زهور اللوتس وغيرها من النباتات المائية ، وتنمو فى وسطها أجمات البردى الكثيفة ، وتسبح فيها الأسماك المتعددة الأنواع والتماسيح وقطعان من أفراس النهر، وترفرف عليها أسراب متنوعة من البط والأوز والكركى والبجع والحمام والسمان وغير ذلك من الطيور المائية.

وكان المصريون يستمرئون قضاء الوقت بين تلك الكائنات الحية، فتتسلى النساء والأولاد بقطف الزهور ومداعبة الطيور، بينما يمارس الرجال رياضتهم المحبوبة وهى قنص الطيور بعصى الرماية المعقوفة، التى كانوا يفضلونها على إستخدام القوس والنشاب، فى حين يقوم الخدم بتزويد أسيادهم بأسلحة جديدة كما يجمعون لهم صيدهم.

وكانت أهم طيور الصيد عند قدماء المصريين الأوز والبط والكركى والبجع والسمان والعصافير. وقد حرم صيد بعض الطيور المقدسة كالصقر رمز المعبود حورس وطائر أبو منجل رمز الإله تحوت ، إله الحكمة والكتابة.

وكانت الطريقة المتبعة فى ذلك النوع من الصيد أن ينزوى الصياد بقاربه فى منطقة يتكاثف فيها البردى وتصلح لأن تكون مخبأ له ، ويقف هناك ممسكاً بيسراه عصا الرماية، وهى عبارة عن قطعة رقيقة من الخشب منحنية عند ثلثها الأخير فى شكل زاوية منفرجة ، تشبه إلى حد كبير عصا "**البومورانج**" التى استخدمها الأستراليون. فإذا ما اقترب سرب من الطيور قذف الصائد بعصاه مستخدماً يده اليمنى ثم يردفها بغيرها. وتنطلق العصى فى حركة دائرية ، وتصيب الكثير من الطيور ، التى تسقط فاقدة الحس بين أدغال البردى، فتلتقطها زوجته أو ابنته أو أحد الأتباع. بل لقد سجل أحد المناظر من الدولة الوسطى صورة قطة تقبض على ثلاثة من الطيور بمخالبها الأمامية والخلفية وبفمها، وهو أمر يصعب تصديقه وقد يكون لخيال الفنان جانب كبير فيه.

كذلك كان النبلاء يشرفون أو يشتركون فعلاً فى إيقاع الطيور فى الفخاخ ، أو فى قنصها بشباك طويلة تنشر ويمسك بحبالها عدد من الرجال. وحين تتهافت الطيور على الشباك ، بغية التقاط الحب المبذور فيها، ويتجمع عدد كبير منها داخله ، يشير رجل مختبئ إلى بقية الرجال بشد حبال الشباك التى تقفل على ما تحتويه من طيور.

وكان المصريون يستخدمون فى صيد السمك طرقاً مختلفة. وقد درج المحترفون على استعمال الشباك المختلفة الأشكال والأحجام والسلال والشصوص المتعددة السنانير؛ بغية الحصول على كميات كبيرة من الأسماك للاتجار فيها. أما هواة صيد السمك، الذين يمارسونه كرياضة ووسيلة من وسائل التسلية، فكانوا يلهون بمحاولة إصابة السمك بحرابهم. بل لقد صوروا فى بعض الأحيان وهم يستخدمون حراباً ذات حدين، يصيدون بها سمكتين برمية واحدة، وهو أمر يصعب تصديقه. كذلك كان صيد السمك بالشص المفرد تسلية أكثر منه وسيلة لكسب الرزق. يزاولونها من الشاطئ أوفى قوارب البردى الصغيرة.

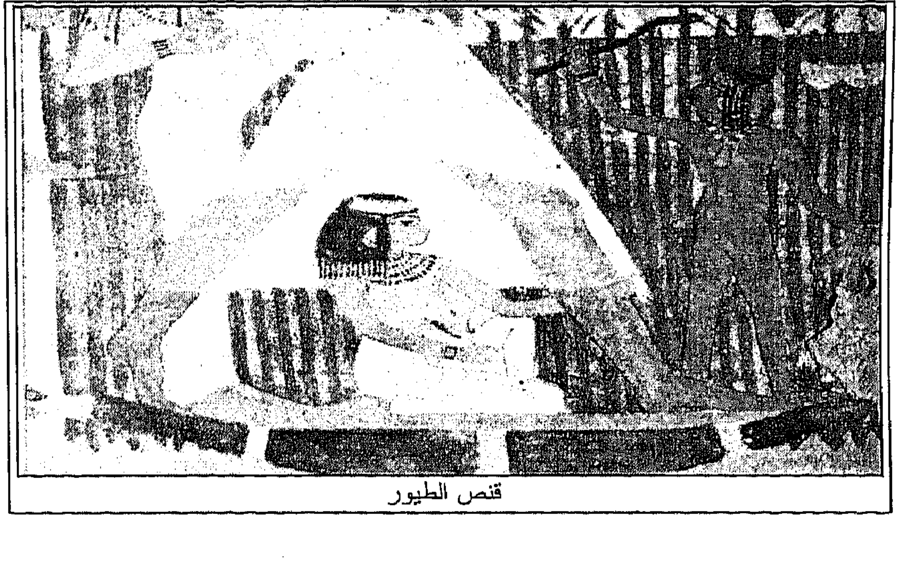

قنص الطيور

وقد هوى عليه القوم صيد فرس النهر ، مستخدمين فى ذلك حراباً خاصة طويلة ذات أنصال معدنية مدببة فى نهايتها ، يمكن فصلها عنها بعد إصابة الحيوان بها. وكانت تتصل بهذه الحراب حبال طويلة تستخدم فى سحب الفريسة بعد إنهاكها أو قتلها. وكان صيد فرس النهر مثيراً ، ولكنه فى نفس الوقت شديد الخطورة ، ولذا فكثيراً ما كان يقوم به الأتباع والخدم تحت إشراف سيدهم. ومع ذلك ، فلم تخل النقوش من صور لبعض النبلاء يقومون بأنفسهم بعملية صيد فرس النهر. وكانت الطريقة المتبعة فى صيده أنه بمجرد ظهور أحد أفراس النهر فوق سطح الماء ليتنفس ، يسارع الرجال بتسديد حرابهم إلى أجزاء جسمه المختلفة ، فتغور النصال المعدنية فى ذلك الجسم الضخم ، والتى يفصلونها من الحراب بهزات خفيفة. ويغوص فرس النهر المتألم فى الماء ، ولكنه لا يلبث أن يظهر ثانية ليلتقط أنفاسه، فيسددون إليه الضربات تلو الضربات حتى يصيبه الإرهاق الشديد ، فيسحبونه بالحبال إلى الشاطئ.

ولم تسعفنا النقوش بتفصيلات كافية عن صيد التمساح، الذى كان يمارس فى حدود ضيقة لعوامل دينية.

المباراة فى ألعاب الحظ والفكر :

أغرم المصريون كذلك بألعاب منزلية شتى، تحتاج إلى أعمال الفكر ، وتتطلب قدراً من الحظ. ولم تقتصر هذه الألعاب على طبقة معينة ، فقد لعبها الملوك وعلية القوم جالسين على المقاعد والكراسى الوثيرة كما لعبتها الطبقة العاملة وهى مفترشة الأرض. وقد عثرنا على رقاع وقطع لهذه الألعاب ونقوش تمثلها منذ بدأ العصر الفرعونى وفى جميع عصوره. ولكنا رغم ذلك لاتزال نجهل الكثير من قواعد تلك الألعاب.

ولقد كان لدى المصريين لعبه تشبه لعبة "الضاما" تمارس على رقاع مقسمة إلى مربعات اختلف عددها،

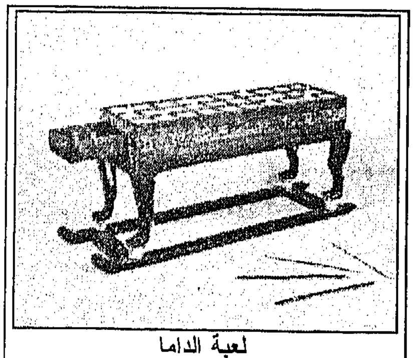
لعبة الداما

ولو أن معظمها كان يحوى ثلاثين مربعاً مقسمة فى ثلاثة صفوف. وكان المتنافسان يجلسان فى مواجهة بعضهما ويحركان قطع اللعب وفقاً لقواعد خاصة. وكانت قطع اللعب التى يحركها كل لاعب تختلف عن قطع اللاعب الآخر فى الحجم أو الشكل أو اللون. ومع ذلك فقد صورت القطع متشابهة فى بعض مناظر تلك الألعاب.

وهناك لعبة أخرى تشبه لعبة "الشطرنج" يجرى فيها اللعب بدبابيس من العاج خمسة منها تتوجها رؤوس كلاب بينما تتوج الخمسة الأخرى رؤوس بنات آوى. ويغلب على الظن أن كل لاعب كان يحرك فريقه محاولاً الوصول إلى الهدف المرسوم فى رأس الرقعة قبل الفريق الآخر ، مستوحين فى ذلك ما تمليه عليهم قطع الإلقاء (الزهر).

ومن أقدم تلك الألعاب لعبة كانت تمارس على لوح مستدير فى شكل ثعبان ملتو التواء حلزونياً ، وتستخدم فيها قطع لعب على شكل كرات صغيرة. ويغلب على الظن أن الهدف فى هذه اللعبة كان إدخال الكرات إلى مركز الدائرة ، ويطلق عليها لعبة الثعبان.

مشاهدة الألعاب الرياضية وألعاب الأطفال:

تعددت أنواع الألعاب الرياضية التى زاولها المصريون ، وأقبلوا إقبالاً شديداً على ممارستها أو مشاهدتها فى أوقات فراغهم ، والتى نخص منها بالذكر: المصارعة والتحطيب والمبارزة والتسلق ورفع الأثقال والرماية والكرة وشد الحبل.

ولما كان لألعاب الأطفال ونشاطهم إغراء خاص ، وكان باعثاً للبهجة والسرور فى أفئدة الآباء ، فقد تسلى المصريون برؤية أطفالهم يلعبون ويمرحون. وقد أمدتنا الجدران بصور متعددة لأطفال منهمكين فى ألعابهم ومبارياتهم. وبعض هذه الألعاب يشبه ما يمارسه أطفالنا الآن ، والبعض الأخر لم نتوصل إلى فهم أصوله بعد.

وكانت معظم هذه الألعاب جماعية يشترك فيها عدة أطفال وتخضع لقواعد ونظم خاصة. وكان اللعب بالكرة من أحب الألعاب إلى قلوب الفتيات ، ويكاد يكون مقصوراً عليهن دون الفتيان ، وكانت الفتيات يتقاذفن الكرة فى رشاقة ومهارة دون أن تسقط على الأرض. وكن فى بعض الأحيان يجمعن بين الركوب وتقاذف الكرات ، كما كن قادرات على اللعب بعدة كرات فى وقت واحد ، أو يلعبن بالكرات فى أوضاع خاصة ، كأن يقذفن الكرات ويلتقطنها ، وقد ثنين أذرعهن.